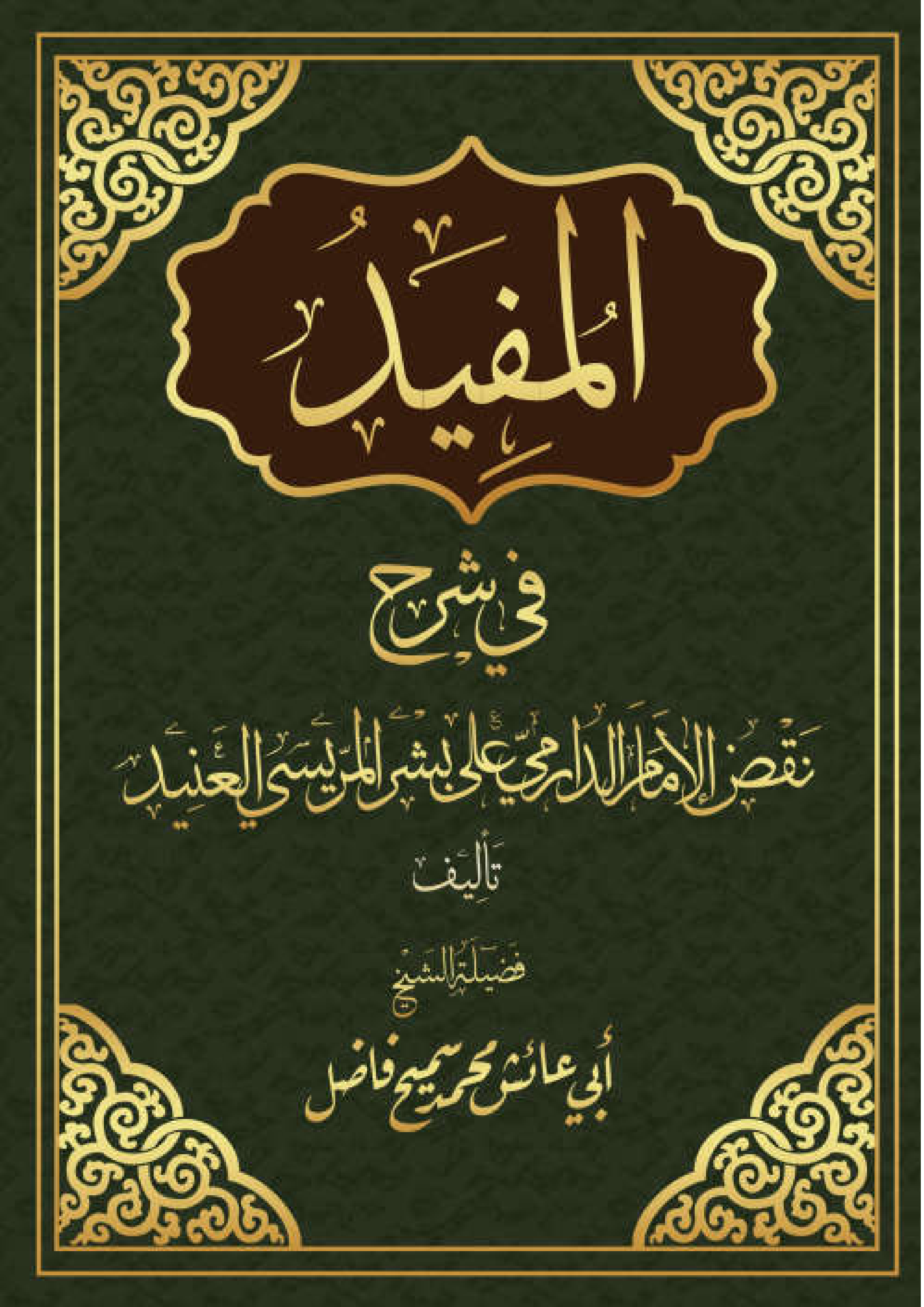
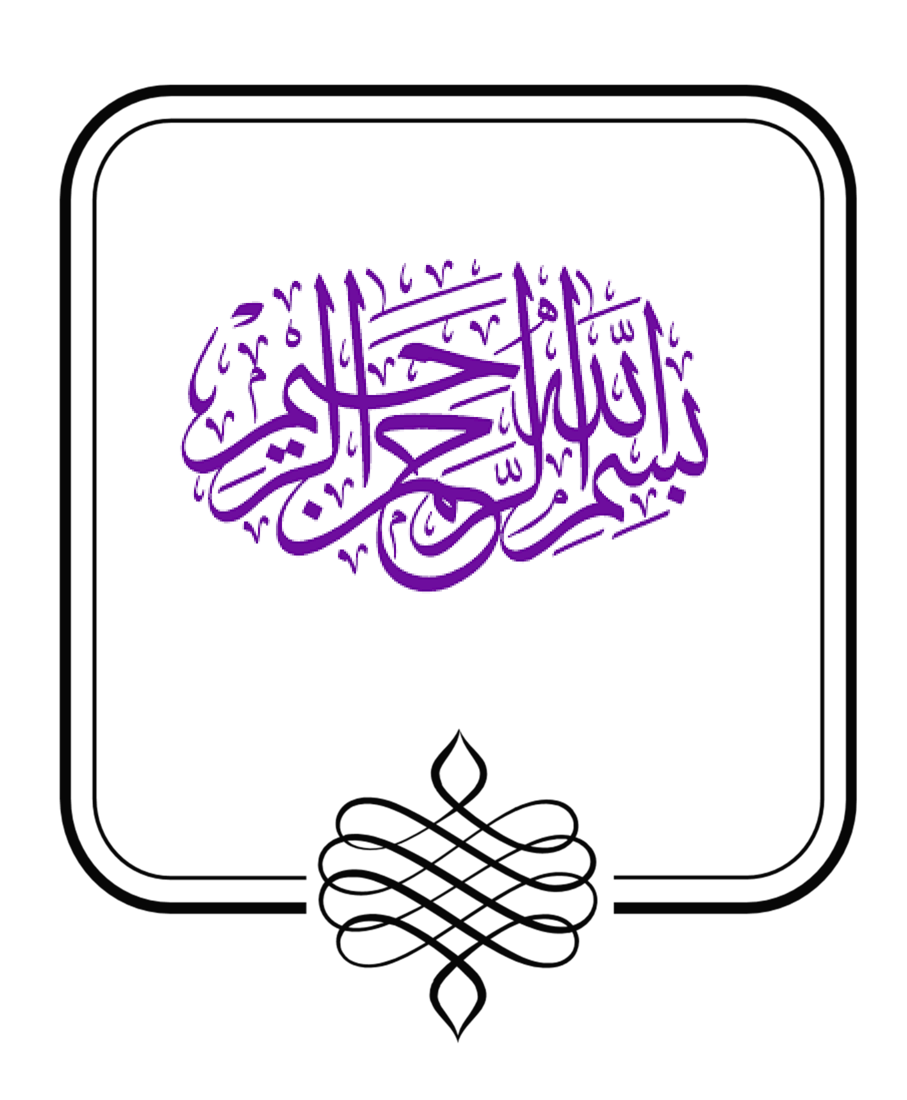

المفيد
في شرح
نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي العنيد
تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عائش محمد سميع فاضل


بسم الله الرحمن الرحيم



بين يدي الشرح

الحمد لله العزيز الحميد، مَن كَمُل في أسمائه وصفاته كمالًا جلَّ عن أن يحيط به أحد من العباد والعبيد، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله محمدٍّ وعلىٰ آل بيته وصحابته ممن جعلهم الله مناراتٍ لأهل التوحيد، وغُصَةً في حلوق أهل التعطيل والتحريف والتنديد.

أمَّا بعد:

فبين يديكم شرح لكتاب نقض الإمام الدارمي علىٰ بِشرٍ المريسي فيما افتراه علىٰ الله من التوحيد، راعيت فيه: سهولة العبارة، وبيان ما غمض من الألفاظ مما كان سببه علو بيان الدارمي الإمام، مع بسط القول حينًا لتقرير المسألة علىٰ الوجه الذي يجلي الحق ويزيل الشبهة.

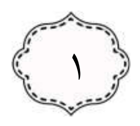
وقد كان أصل هذا الشرح دروسًا ألقيتها بمسجد الرضوان بكرداسة- الجيزة حرسها الله وأعلىٰ منارة التوحيد والسنة فيها وفي سائر ربوع المعمورة، واعتمدت في الشرح نسخة دار النصيحة وقد رغب أخي الكريم-كعادته- سلطان السلطان في القيام علىٰ تفريغ الدروس، ثم دفعها إليَّ لمراجعتها، فجزاه الله خيرًا وكتب لنا وله الأجر وافي، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وأما التقصير والزلل فمني، ومن وجد شيئًا من ذلك فلا يبخل علىٰ أخيه بنصيحة وتوجيه، والله يعفو ويغفر؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو عائش محمد سميح فاضل

عفا الله عنه

abuaish1978@gmail.com

paradise_inshalla@yahoo.conm



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أمَّا بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمَّا بعد:

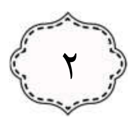
فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قد أخبر بما هو واقع كونًا وقدرًا، وعلَّمنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ما ينبغي

---

(١) [آل عمران:١٠٢].

(٢) [النساء:١].

(٣) [الأحزاب:٧٠-٧١].



أن نفعله شرعًا، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر أن: «افترقتِ اليهودُ علىٰ إحدَىٰ وسبعينَ فرقةً، وافترقتِ النصارَىٰ علىٰ اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً، وستفترقُ هذه الأمةُ علىٰ ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً، كلُّها في النارِ إلا واحدةً».

ولما سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الواحدة التي ستنجو قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الصحيح الذي تلقاه أهل السنة والجماعة بالقبول أن هذه الأمة ستفترق من بعده، وأن هناك من سيخرق السفينة أو يحاول خرقها، ويحاول أن يُوجد ثغرة في هذا البناء العظيم -بناء الإسلام- بما يأتي به من البدع والمحدثات في دين رب العالمين، وأن طائفةً هي التي ستبقىٰ علىٰ نهج النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

افتراق الأمة كونـًا وقدراً ودور علماء السنة في بيان معالم هذا الدين

ولذلك كان دور العلماء منذ عهد السلف الصالح أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن جاء بعدهم إلىٰ يومنا هذا بيانَ حقيقة هذا الدين، وبيان ما تركه لنا النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان ديدنهم تجاه كل من حاول تغيير نهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقفوا له، وأن يُبينوا مخالفته، وأن يُبينوا الحق في مثل هذه الأمور ليردوا الأمر إلىٰ نصابه.

والذي يتتبع تاريخ المسلمين يجد أن صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن جاء بعده ما قصَّروا في ذلك، فها هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتدت العرب، وتأول بعضهم بعضَ آيِ كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فامتنعوا عن أداء الزكاة، فمنهم من جحدها،

وجحد فرضيتها.

ومنهم من تأول قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقالوا: الله عَزَّوَجَلَّ يُخاطبنا ويُخاطب نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المكلف بجمع الزكاة، وقد مات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا نُؤدي الزكاة بعده لأحد، فأبوا أن يؤدوا الزكاة إلىٰ خليفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم من جحد فرضيتها، فكان لها أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولما أُشكل عليه من قِبل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن هؤلاء يقولون: لا إله إلا الله فكيف تُقاتلهم! فقال الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة".

فهؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله، ويُصلون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكنهم جحدوا فريضة الزكاة، وأبوا أداءها، فقاتل الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي يُفرِّق بين الصلاة والزكاة، فكما أن الصلاة حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالزكاة حق المسلم، الفقير، وفيها حق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وفي موقف الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رد علىٰ العلمانيين، الذين يقولون: لا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه سعوا في بناء دولة، وإنما كان الأمر دين، ورسالة، يؤدون هذا الإسلام، وأما الدولة والخلافة، والنظام، وغير ذلك فهذا لم يأتِ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقول الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وموقفه يُبيِّن أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أرسىٰ دعائم دولة إسلامية، لها أركانها، ولها أسسها، ولا يجوز بحال من الأحوال أن يُفصَل الدين عن الدولة، وأن يُفصَل الدين عن الدنيا.

ولا يجوز أن نقول كما يقول الغرب: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فإن الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) [التوبة:١٠٣].

حاربهم بصفته خليفة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورئيس الدولة.

وحاربهم كذلك، لأن هذا من مهام ولي الأمر، الذي ولَّاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ المسلمين، وكان يُقيم الحدود، وكان يجبي الزكاة، ويقود الجيوش ويفعل غير ذلك مما كان يفعله النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشاهد: أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد أحدهم أن يُحدث خرقًا في الإسلام قام لهم أبو بكر الصديق ورد الناسَ علىٰ ما كان عليه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجوب فرضية الزكاة.

ثم ما كان في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الثاني من موقف تجاه بعض أهل البدع، كما علمنا من موقفه تجاه صبيغ بن عِسل، الذي أراد أن يتكلم بالمتشابه من القرآن، وأراد أن يُغير الطريقة التي ترك رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه عليها من فهم القرآن، من العمل بمحكمه، ومن رد متشابهه إلىٰ محكمه، فكان موقف الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ زجره زجرًا شديدًا، وضربه، ونهاه عن أن يخوض في مثل هذه الأمور مرة أخرىٰ.

ثم ما كان كذلك من موقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخوارج، فإنه جادلهم وناظرهم في بدء الأمر، ولكن أراد الله عَزَّ وَجَلَّ كونًا وقدرًا أن يكون مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتكون شهادته علىٰ يد هؤلاء الخوارج.

وكذلك ما كان من موقف علي بن أبي طالب مع السبئية، وما كان من موقفه مع الخوارج، وما كان من موقف عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مع الخوارج، لما استأذن علي بن أبي طالب في مناظرتهم، وذهب إليهم ووجدهم يتأولون القرآن علىٰ غير تأويله، يُكفِّرون المسلمين، ويحتجون بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ويقولون: إن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حكَّموا الرجال في أمر من الشرع، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وهم بذلك كفروا؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن لَّمْ

﴿يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، فأخذوا آياتٍ نزلت في الكفار وأنزلوها في المسلمين.

فذهب إليهم عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجادلهم كذلك بالقرآن، وبيَّن أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد حكَّم الرجال في أمور في كتابه، كما حكَّم في حق من قتل صيدًا وهو مُحرم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[المائدة:٩٥]، فقال: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

وكما حكَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الرجال فيما يكون من جانب الزوج وزوجته، من شجار، وخلاف، وغير ذلك، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾[النساء:٣٥].

فناظرهم عبد الله بن عباس وبيَّن ما هم عليه من الضلال، فتاب أكثرهم وعادوا إلىٰ ما كان عليه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه من الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وظل الأمر علىٰ ذلك بعد أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما ظهر مبتدع يريد أن يُحدث خرقًا في الإسلام قام إليه أهل السنة والجماعة وأئمة هذا الدين وردوا عليه باللسان وبالبنان، فصنَّفوا.

فمن هؤلاء مثلًا: الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه رد علىٰ من أنكر أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فصنَّف كتابه العظيم (**خلق أفعال العباد**).

وكذلك أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه ألَّف كذلك في الرد علىٰ الجهمية والزنادقة، وألَّف كتابه (**السنة**) كذلك الذي يرويه عنه ابنه أحمد في الرد علىٰ هؤلاء، وفي بيان ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه.

وكذلك ابن خُزيمة، ألَّف في التوحيد، وابن منده، وابن بطة، والآجري، والطحاوي، وابن تيمية، وابن القيم، وغير هؤلاء كثير.

ومن هؤلاء الذين ألَّفوا في الرد علىٰ أهل البدع وبيان ضلالهم، وبيان ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه: الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا العلم الذي ألَّف كتابين في الرد علىٰ الجهمية المعطلة المعتزلة المبتدعة وهما من الأهمية بمكان، حتىٰ قال شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكِتَابَاهُ مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي السُّنَّةِ وَأَنْفَعِهَا، وَيَنْبَغِي لِكُلِّ طَالِبِ سُنَّةٍ مُرَادُهُ الْوُقُوفُ عَلَىٰ (مَا كَانَ) عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالْأَئِمَّةُ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَيْهِ، وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوصِي بِهَذَيْنَ الْكِتَابَيْنِ أَشَدَّ الْوَصِيَّةِ وَيُعَظِّمُهُمَا جَدًّا، وَفِيهِمَا مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِمَا" انتهىٰ المراد من اجتماع الجيوش الإسلامية. فألَّف كتابًا في الرد علىٰ الجهمية، وألَّف كتابًا أكبر منه في الرد علىٰ بشر المريسي، وهو الكتاب الذي معنا بعنوان: (**نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد**).

وقراءة كتب الردود من الأهمية بمكان؛ لأنها تبين لك طريقة السلف في الرد، فإنه كما سيأتي في منهج المؤلف في هذا الكتاب كانت له طريقة معينة في الرد علىٰ أهل البدع، وليست هذه الطريقة مما اختُص بها الإمام الدارمي، لكنها طريقة أهل العلم من أهل السنة كما سنرىٰ.

ترجمة الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ

عثمان بن سعيد الدارمي ذكر له الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ ترجمة في (**سير أعلام النبلاء**)، فقال: "هو الإمام العلامة الحافظ الناقد، أحد الأعلام الثقات، أبو سعيد، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني، وُلد قبل المائتين بكثير.

والدارمي نسبة إلىٰ الدارم، بطن من بطون تميم، وهو دارم بن مالك بن حنظلة من بني تميم، أحد أجداده.

كان الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسع الرحلة، طوّافًا، لقي الكبار، وسمع خلقًا كثيرًا بالحرمين، والشام، ومصر، والعراق، فأخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي، وأخذ علم الحديث وعلله عن علي بن المديني، ويحيىٰ بن معين، وأحمد بن حنبل، وفاق أهل زمانه".

قلت: وهذه عادة أهل العلم، أنهم يطلبون العلم عند الأكابر قبل أن يتصدروا، فإذا شهد لهم الأكابر والأئمة بالعلم تصدَّروا وعلَّموا الناس.

فهنا يقول في ترجمته للدارمي: "كان واسع الرحلة"، فلم يكن له شيخ واحد، لكنه طاف علىٰ شيوخ أهل السنة، وأخذ منهم، وتنقل في بلاد المسلمين يطلب العلم.

والعلم لا يُعطيك بعضه حتىٰ تُعطيه كلك، فلا بد أن يحرص المرء علىٰ طلب العلم، وعلىٰ حفظه، وفهمه، وتعلمه، وتعليمه للناس، فهذه زكاة العلم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستعملنا في خدمة دينه.

فاق أهل زمانه حتىٰ حسده بعض الناس، فذكر هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نفسه: "أن رجلًا كان يحسده، قال له: ماذا كنت لولا العلم؟" يريد: أن العلم هو الذي رفع شأنه، ولولا العلم لم يكن شيئًا، "فقال الدارمي: أردتَ شينًا فصار زينًا"، يعني أردت التنقص والعيب فصار زينًا؛ لأن العلم شرف، ولا يناله كل أحد، إنما هو فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال الحاكم: "سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا الفضل يعقوب بن إسحاق يقول: ما رأينا مثل عثمان بن سعيد، ولا رأىٰ عثمان مثل نفسه.

وقال أبو الفضل الجاردي: "كان عثمان بن سعيد إمامًا يُقتدىٰ به في حياته وبعد مماته"،

لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع بين العلم والعمل، وصبر، وكان علىٰ يقين بصحة هذا الدين، وبصحة الطريق الذي عليه، فصابر وثابر، حتىٰ نفع الله عَزَّوَجَلَّ به خلقًا كثيرًا.

ولذلك جعله الله عَزَّوَجَلَّ إمامًا بعد موته، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة الفرقان كذلك: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤].

قال الحاكم: "وقال أبو الفضل الجاردي: كان عثمان بن سعيد إمامًا يُقتدىٰ به في حياته وبعد مماته".

وقال الحسن بن صاحب الشاشي: سألت أبا داود السجستاني عن عثمان بن سعيد فقال: "منه تعلمنا الحديث".

وقال يعقوب بن إسحاق: "ما رأينا أجمع منه".

وقال العبادي: "وأبو سعيد كان في العلم بمحل، لو كان في زمن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لقدموه علىٰ أنفسهم".

قال الذهبي -وهكذا حكىٰ-: "وهذه مبالغة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن أحدًا لا يفضل أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يبلغ علمهم ومكانتهم ممن جاء بعدهم، لكنه أراد أن يبين ما كان عليه الدارمي من العلم والعمل".

وكان لهذا البصير الناقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ دور كبير في مواجهة المبتدعة بلسانه، وبنانه، في ثبات، وقوة، وغيرة علىٰ دين الله.

ومن تأمل كتابيه (**الرد علىٰ الجهمية**) و (**الرد علىٰ بشر المريسي**) فسيقف علىٰ مدىٰ ما

كان عليه هذا الإمام، من مناصرة السنة، ومحاربة البدعة، مع ما تميز به من قوة الرد، وشدة الحرص علىٰ إثبات صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأسمائه، التي كان بشر المريسي وأضرابه يبالغون في نفيها، حتىٰ قال عنه الذهبي: "كان لهجًا بالسنة، بصيرًا بالمناظرة، جذعًا في أعين المبتدعة".

وهو الذي قام علىٰ محمد بن كرام الذي يُنسَب إليه الكرامية، وطرده عن هراه فيما قيل.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ، وقد ناهز الثمانين من عمره، وكانت وفاته بهراه.

هذا بالنسبة لعثمان بن سعيد الدارمي، فماذا عن المردود عليه؟

بشر بن غياث المريسي!!

والأولىٰ ألا يُذكَر، فإن أهل العلم يُهملون حال هؤلاء، لكن ترجمته مليئة بالفوائد:

- في بيان حرص أهل العلم علىٰ نصيحته.
- وفي بيان ما أحدثه من الخرق في دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.
- وفي بيان بعض أقواله، وفي بيان حكم أهل العلم عليها وعليه.

بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، قيل: نسبة إلىٰ مريس، وهي قرية بجنوب مصر، بين النوبة وأسوان.

وقيل: إنه كان يسكن في بغداد، بدرب المريس، فنُسب إليه، وهو بين نهر الدجاج ونهر البذاذين، والبذاذ: بائع القماش.

والمريس في بغداد: هو الخبز الرقاق، يُمرس بالسمن والتمر، كما يصنعه أهل مصر بالعسل بدل التمر، وهو الذي يُسمونه بالبسيسة، هكذا قال ابن خلكان في وفيات الأعيان.

فوائد من ترجمة المريسي

فإما أن يكون منسوبًا إلىٰ مريس جنوب مصر، وإما أن يكون منسوبًا إلىٰ درب المريس ببغداد، وهذا أولىٰ؛ لأنه لا تُذكَر ترجمته إلا ويُذكَر أن ذلك في بغداد.

قال الذهبي عن حاله، **قال**: "نظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوىٰ، وجرَّد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتىٰ كان عين الجهمية في عصره، وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفَّره عدة منهم، ولم يُدرك جهم بن صفوان"، بل تلقَّف مقالاته من أتباعه.

وستأتي ترجمة الجهم بن صفوان في ثنايا كتاب الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الشافعي: "ناظرت المريسي فقال: القرعة قمار"، يعني ذكر له حديثًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه جواز القرعة، والقرعة سنة الأنبياء قبل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقرع بين نسائه إذا خرج في سفر.

فناظره الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرعة، وذكر له الأحاديث، فقال: "القرعة قمار، ورد حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

قال: "فذكرت له حديث عمران بن حصين في القرعة، ثم ذكرت قوله لأبي البختري القاضي" -يعني ما كان من قول بشر بن المريسي- "فقال البختري: شاهدًا آخر وأصلبه"، يعني إن جئتني بشاهد آخر علىٰ هذا الكلام صلبته.

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: "كان والد بشر يهودي، قصارًا، صباغًا، في سويقة نصر".

وذكره النديم صاحب الفهرس، وهو شيعي معتزلي، وأطنب في تعظيمه، وقال: "كان دينًا ورعًا متكلمًا".

ثم حكىٰ أن البلخي قال: "بلغ من ورع المريسي أنه كان لا يطأ أهله ليلًا مخافة الشبهة"، لم تكن هناك مصابيح، فكان لا يطأ أهله ليلًا، حتىٰ لا يقع علىٰ أخته، أو علىٰ أجنبية!

"وكان لا يتزوج إلا من هي أصغر منه بعشر سنين مخافة أن تكون رضيعته!".

فهذا يدل علىٰ ورعه، لكن ورعه هذا -إن كان صادقًا فيه- لم يمنع أهل العلم من بيان حاله، والرد عليه.

الخشوع والورع غير كافيين للحكم علىٰ صاحبهما بالسنة

ولذلك قالوا: لا يغرنك خشوع الرجل، فقد تجد الواحد من هؤلاء طويل اللحية، قصير الثياب، لا يذكر الآخرة إلا ويبكي، فيغتر العوام به، وهو علىٰ ضلالة يُؤسسها، فحذَّر أهل العلم من أمثال هؤلاء.

وعندنا المريسي ها هنا، كان ورعًا، ديِّنًا، ومثله من يكون قوَّامًا لليل، صوامًا للنهار، يحفظ القرآن، ويخشع في صلاته، ومع ذلك يؤسس باب ضلالة، فلم يمنع أهل العلم من ذمه، ومن بيان حاله، ومن تحذير الناس منه، فلم يكن حالهم كحال الناس في هذه الأيام، لأن الناس في هذه الأيام يغترون بأمثال هؤلاء.

فإذا لبث الواحد منهم الغُترة، والثياب البيض، وبكىٰ عند ذكر رسول الله ﷺ وهو علىٰ باب ضلالة، فأراد بعض الناس من أهل السنة أن يرد عليه، ردوا هم عليه، وبينوا أنه يبكي، وأنه يخشع، قلبك أنت قاسٍ، وكل هذا من جهلهم بالسنة ومنهج السلف وحال هؤلاء.

كان المريسي جهميًا، وكان له قدر عند الأمراء، وسنعلم متىٰ كان هذا القدر.

قال مرةً لرجل اسمه كامل، قال: "في اسمه دليل علىٰ أن الاسم غير المسمىٰ".

هذه عقيدة المعتزلة، فهم ينفون أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وصفاته، وإن أثبتوا أسماءه أثبتوها مجردة عن الصفات، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، ويقولون: هي مخلوقة. لا يقولون كما يقول أهل السنة والجماعة: إنها أعلام وأوصاف، فهي أعلام علىٰ ذات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأوصاف تدل علىٰ المدح وتضمنت صفات الكمال، فالله عَزَّوَجَلَّ له الأسماء الحسنىٰ والصفات المُثلىٰ.

فهؤلاء ينفون الأسماء والصفات عن ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كعادة جهم.

قال الذهبي: "وصنف كتابًا في التوحيد، وكتابًا في الإرجاء -في الرد علىٰ المرجئة- وكتابًا في الرد علىٰ الخوارج، وكتابًا في الاستطاعة -في الرد علىٰ الرافضة في الإمامة- وفي تكفير المشبهة"، قطعًا يعني بالمشبهة أهل السنة والجماعة، "وكتابًا في المعرفة، وكتابًا في الوعيد، وأشياء غير ذلك في نحلته".

فانظر -رحمك الله- هذا الرجل صنَّف كتبًا في الرد علىٰ الرافضة، في الرد علىٰ الخوارج، وفيما سماه توحيدًا، بل كان من الفقهاء كما يقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولم يكن ذلك مبررًا ولا مانعًا أهل العلم من أهل السنة والجماعة من الرد عليه وبيان ضلاله، وبيان أنه من رؤوس المبتدعة.

ونحن في هذه الأزمان نجد الواحد من هؤلاء ما صنف مصنفًا ولا شرح كتابا، وغاية أمره أن يكون خطيبًا مفوهًا يحسن الكلام، وتجد الناس يُصدرونه علىٰ أنه إمام الأئمة، وأنه الذي ينبغي أن يقتدي الناس به دون غيره.

قال الذهبي: "أُخذ المريسي في دولة الرشيد، وأهين من أجل مقالته، وهذا كان في وقت كانت السنة منصورة، والبدعة مدحورة مغمورة، فلم يكن للمريسي في عهد الرشيد قبول، ولا لنحلته نفوذ، وتوعده السلطان -الذي هو هارون الرشيد- فهمَّ بقتله شر قتلة، وكان

يتخفىٰ طيلة عهد الرشيد، وظل كذلك في عهد الأمين من بعد، إلىٰ أن جاء عهد المأمون"، عليه من الله ما يستحق، إلا أن يكون تاب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آخر حياته.

حتىٰ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا أظن الله يغفل عن المأمون".

وقد كان بعض أهل العلم يذهب إلىٰ أن المبتدع لا توبة له، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا بد أن يُجازيه علىٰ أعماله، وقد ذكرنا ذلك في شرح كتاب الاعتصام، وأنه لا يدخل تحت المشيئة، فلا بد أن يُعاقبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأن يُجازيه علىٰ عمله، وليس في ذلك تكفير له، طالما أنه لم يأتِ ببدعة مُكفِّرة.

فلما جاء المأمون وجد المعتزلة منه انتصارًا لمذهبهم، فقرَّب المأمون المبتدعة، وأقصىٰ أهل السنة، وترجم كتب اليونان، وعليها اعتمد كل من خالف الصراط المستقيم، وحارب طريقة النبي الأمين صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وطريقة أصحابه إلىٰ يومنا هذا.

الفساد الذي دخل علىٰ دولة الإسلام في الدولة العباسية

سبب البلاء إلىٰ يومنا هذا هذه الترجمة، التي تمت في عهد المأمون.

وسيأتي -إن شاء الله- في مقدمة الشيخ محمد حامد الفقي لكتاب النقض بيان الأثر المترتب علىٰ هذه الترجمة، وكيف أنه أثر علىٰ سائر جوانب التوحيد، وأفسد علىٰ المسلمين دينهم.

فقرَّب المأمون المبتدعة، وأرسل أناسًا إلىٰ دولة الروم لجلب هذه الكتب، فجلبوها، وعيَّن جماعة من النصارىٰ لترجمتها.

وأنشا بيتًا وسماه بيت الحكمة، فالعرب يُسمون الفلسفة القادمة من اليونان بالحكمة، فسماه بيت الحكمة، وترجم كل ما يرد عليه من الغث والسمين، فترجم كتب الطب، وكتب

الفلك، وكتب الرياضيات، وترجم كتب أرسطو، وأفلاطون، وسقراط، الكتب التي تتناول مسائل الخلق والغيب، يُجيبون عنها بعقولهم، لأنهم تنكروا للأنبياء والرسل، وكانوا لا يأخذون عنهم، فخاضوا في هذه الأمور بعقولهم.

فلما تُرجمت هذه الكتب استحسنها بعض من لم يكن عنده علم بالشرع، وخلطوها بما جاء به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرادوا أن يُوفقوا بينها وبين ما جاء به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وليت الأمر توقف عند ذلك - وبئس ذلك-، لكنهم قدَّموها علىٰ الشرع، وصار كل ما يُعارض هذه الكتب وما جاء فيها إما أن يُرَد، وإما أن يُؤوَّل، أو يُحرَّف، أو يُعطَّل، حتىٰ صارت هذه الكتب هي الأساس التي بنىٰ عليها المبتدعة دينهم.

فإذا فتحت كتابًا الآن من كتب الأشاعرة أو من كتب المعتزلة أو الماتريدية، لا تجد فيه إلا كلامًا من كلام الفلاسفة، وإلا مقدمات عقلية صعبة جدًا، لا تستطيع أن تفهمها.

فإذا أردت أن تبحث عن آية أو حديث لا تجدها إلا في باب الشبهة التي ينبغي أن تؤول أو تُرد، يعني لا يذكرون الآية أو الحديث إلا من باب الرد والتأويل.

يعني إذا تكلم في مسألة نفي رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة، فيُدلل علىٰ ذلك بأمور عقلية فاسدة، فإذا بصرت بحديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر ليس دونه سحاب**» في احد كتبهم، وفرحت بذلك لا يطول فرحك؛ لأنك ستجد بعد قليل أنه ما ذكر الحديث إلا من أجل تأويله ورده، وكذلك الآيات.

فأحدثت هذه الكتب ضررًا وشرًا عظيمًا.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: "روىٰ أبو داود عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع عبد الرحمن بن مهدي أيام صُنع ببشر ما صُنع، يقول: من زعم أن الله لم يُكلم موسىٰ يُستَتاب، فإن تاب وإلا

ضُربت عُنقه".

وقال المروزي: "سمعت أبا عبد الله -وذكر المريسي- فقال: كان أبوه يهوديًا، أي شيء تراه يكون؟"، يعني لابد أن يكون علىٰ هذه النحلة الباطلة.

وأخرج الخطيب بسنده عن إسحاق بن إبراهيم قال: "مررت في الطريق فإذا بشر المريسي والناس عليه مجتمعون، فمر يهودي فأنا سمعته يقول: لا يُفسد عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة"، يعني يُحذر من بشر المريسي، يقول: إن أباه قد أفسد علينا التوراة، فلا يُفسد بشر المريسي عليكم كتابكم الذي هو القرآن.

وحاولت أمه معالجته ومعالجة أمره بالحسنىٰ، فاستعانت في ذلك بالإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكلمت الشافعي في ذلك، فقالت: "يا أبا عبد الله، أرىٰ ابني يهابك ويحبك، وإذا ذُكرت عنده أجلَّك، فلو نهيته عن هذا الرأي الذي هو فيه؟ فقد عداه الناس عليه، ويتكلم في شيء يواليه الناس عليه ويحبونه"، يعني اجعله يتكلم في شيء يحبه الناس عليه غير هذا الأمر.

قلت: ومعاداة الناس له في هذا الزمان دليل علىٰ انتشار السنة، واندحار البدعة، فاستجاب لها الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لها: أفعل.

قال الراوي الذي روىٰ عن الشافعي هذا الأثر أو هذا الخبر قال: "فشهدتُ الشافعي، وقد دخل عليه بشر، فقال له الشافعي: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق، أم فرض مفترض أم سنة قائمة، أم وجوب علىٰ السلف البحث فيه والسؤال عنه؟"، يعني إذا كان شرعًا فلن يخرج عن واحد من هذه الأمور.

"فقال بشر: ليس فيه كتاب ناطق، ولا فرض مفترض، ولا سنة قائمة، ولا وجوب علىٰ السلف البحث فيه، إلا أنه لا يسعني خلافه، فقال الشافعي: أقررت علىٰ نفسك بالخطأ،

فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار؟ يُواليك الناس عليه وتترك هذا، فقال بشر: لنا نهمة فيه"، يعني لا أستطيع أن أتركه؛ لأنه صاحب شهوة، وصاحب حب للرياسة، لما رأىٰ الناس يجتمعون علىٰ ضلاله هذا فصار له نهمة وحاجة ورغبة فيه، فكيف يترك ذلك ويخبر علىٰ الحديث ولن يُقبل عليه الناس كما أقبلوا عليه في مثل هذا الأمر؟!

فقال: "لنا نهمة فيه، فلما خرج بشر قال الشافعي: لا يُفلح" ا.هـ

قلت: وهذا فيه نصيحة أهل العلم لمن زاغ عن الصراط المستقيم؛ لأنهم يرجون هدايته، وهذا تجده زائغًا مشهورًا في القديم والحديث.

وقال أبو عبد الله: "كان بشر يحضر مجلس أبا يوسف، يتفقه، فيصيح ويستغيث"، يعني يُكثر الاعتراض علىٰ نصوص الوحي، كلما ذكر أبو يوسف حديثًا عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يوافق عقله رده، فصاح.

فقال له أبو يوسف مرة: "لا تنتهي أو تُفسد خشبة"، ما معنىٰ "أو تُفسد خشبة"؟ يعني لا تنتهي حتىٰ تُصلَب.

ثم قال أبو عبد الله: "ما كان صاحب حجج، بل صاحب خطب"، يعني كان لسِنًا، يستطيع الكلام ويُحسنه كالجهم بن صفوان. لماذا سُميت الطريقة بالجهمية مع أنه أخذها عن الجعد بن درهم؟ يعني الذي وضع أسس الضلالة الجعد بن درهم، وكثير من الناس لا يعرفون الجعد بن درهم، وإنما يعرفون الجهم بن صفوان، ما سبب ذلك؟ لأن الجعد بن درهم لم يكن متكلمًا كالجهم بن صفوان، فلم يستطع أن ينشر طريقته ونحلته، ولما تلقفها منه الجهم بن صفوان وكان صاحب لسان نشرها بين الناس.

فقال: "ما كان صاحب حجج، بل صاحب خطب"، وهذا حال أهل البدع.

أما الحجج المُستقاة من كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهم السلف فهم من أبعد

الناس عنها، ولا تجد ذلك في كتبهم إلا من باب الشبهة التي تحتاج لرد وتأويل.

يعني عندما نقرأ هذا الكتاب تجد الكثير من آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومن أحاديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن الآثار الواردة عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأما أهل البدع فلا يذكرون ذلك إلا عن طريق الشبهة التي تحتاج إلىٰ رد.

وقال أبو بكر الأثرم: "سُئل أحمد عن الصلاة خلف بشر المريسي، فقال: لا تُصلِّ خلفه".

وقال قتيبة: "بشر المريسي كافر"، فكفَّره أهل العلم.

وقال الذهبي: "وقع كلامه إلىٰ عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ، فصنف مجلدًا في الرد عليه -وهو الكتاب الذي معنا- ومات في آخر سنة ٢١٨ وقد قارب الثمانين".

وشر الناس من طال عمره وساء عمله، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله كما جاء عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ ناهز الثمانين، فطال عمره، وحسن عمله، وكان له الذكر الحسن من بعده، والمريسي طال عمره وساء عمله، نسأل الله السلامة والعافية.

حتىٰ قال الذهبي: "فهو بشر الشر، وبشر الحافي بشر الخير، وكان كما كان أحمد بن حنبل أحمد السنة، وكان أحمد بن أبي دؤاد أحمد البدعة".

وأما الكتاب الذي بين يدينا فهو: (**نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افتراه علىٰ الله من التوحيد**).

هناك نقد -بالدال- ونقض -بالضاد-. **النقد الذي هو بالدال**: قد يكون نقدًا بنَّاءً ونقدًا هدامًا، بنَّاءً يعني أنت تنقد المرء من أجل أن يُحسن أو أن يُصلح بعض ما كان في عمله من



الخلل.

وأما النقض: فإنك تأتي علىٰ كل ما عنده بالهدم والإفساد. فهذا الذي أراده الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يهدم كل الأسس التي جاء بها المريسي.

فجاء في اللسان في مادة "نَقَضَ" قال: النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء.

وفي الصحاح: النقض: نقض البناء والحبل والعهد، وهو ضد الإبرام، يُقال: نقضه ينقضه نقضًا، فالمراد: هدم وإفساد ما جاء به هذا الجهمي، من حجج عقلية فاسدة.

سبب تأليف الكتاب

وقد صرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالغاية التي من أجلها وضع هذا الكتاب فقال في أول الكتاب، وقال في الجزء الأخير منه، وهذا هو كلامه في الجزء الأخير.

قال: (وَاعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَرَ كِتَابًا أَجْمَعَ لِحُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي نُسِبَ إِلَىٰ هَذَا الْمُعَارِضِ، وَلَا أَنْقَضَ لِعُرَىٰ الْإِسْلَامِ مِنْهُ، وَلَوْ وَسِعَنِي لَافْتَدَيْتُ مِنَ الْجَوَابِ فِيهِ بِمُحَالٍ، وَلَكِنْ خِفْتُ أَلَّا يَسَعَ أَحَدًا عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَانِ يَكُونُ بِبَلَدٍ يُنْشَرُ فِيهِ هَذَا الْكَلَامُ، ثُمَّ لَا يَنْقُضُهُ عَلَىٰ نَاشِرِهِ ذَبًّا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمُحَامَاةً عَنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ مِنَ ضُعَفَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصبيان، وَأَن يَضِلُّوا بِهِ، وَيَفْتَتِنُوا أَوْ يَشُكُّوا فِي اللهِ وَفِي صِفَاتِهِ، وَلَمْ نَأْلُكُمْ فِيهِ وَالْإِسْلَامَ نُصْحًا إِنْ قَبِلْتُمْ، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ فَلْيَنْصَحْ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَإِخْوَانَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلْيَعْرِضْهُ عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَمَنْ غَبَرَ مِنْ عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ حَتَّىٰ يَسْتَقِرَّ عِنْدَهُ نُصْحُنَا).

قال: (وَخِيَانَةُ هَذَا الْمُعَارِضِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّهُ أَحْدَثَ أَشْنَعَ الْمُحْدَثَاتِ وَجَاءَ بِأَنْكَرِ الْمُنْكَرَاتِ، وَلَا آمَنُ عَلَىٰ مَنْ أَحْدَثَ هَذَا بَيْنَ ظَهْرَيْهِمْ فَأَغَضُّوا لَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُنْكِرُوهُ عَلَيْهِ بِجِدٍّ، أَنْ يُصِيبَهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ مَسْخٍ، أَوْ خَسْفٍ، أَوْ خَذْفٍ؛ فَإِنَّ الْخَطْبَ فِيهِ أَعْظَمُ مِمَّا

يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْعَوَامُّ).

ففيه: أن أهل البدع إذا نشروا بدعهم في الناس وجب علىٰ أهل العلم أن يردوا عليهم، وإلا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليهم عقابه.

والرد عليهم وردعهم أولىٰ من الرد علىٰ السُرَّاق والزناة وقطاع الطرق؛ لأن الشبهة في قلوب الناس أعظم من الشهوة، الشبهة تُفسد الدين، وتمحقه، وتُضيعه، فالرد عليهم أولىٰ من الرد علىٰ هؤلاء.

وهذا الكتاب الذي معنا من أقوىٰ كتب السلف، التي جمعت بين التأصيل وإفحام الخصم بعبارة قوية.

وقد كان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعظِّم الإمام الدارمي جدًا، ويجعل كتابيه النقض والرد علىٰ الجهمية من أوائل الكتب التي ينبغي لطالب العلم الإلمام بها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ المعطلة والجهمية**)، وانظر إلىٰ عنوان الكتاب، (**اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ المعطلة والجهمية**)، هذا يبين لنا أن الأمر خطير، وأن الأمر جلل، وما ينبغي أن نستهين به.

ولذلك كان دكاترة الجامعات يسخر من هذا العنوان، يقول: ما هذا العنوان الذي كتبه ابن القيم؟! هل هو في حرب! اجتماع الجيوش الإسلامية، الصواعق المرسلة، نقول: نعم، هو في حرب، وهذا الجهاد أعظم من جهاد اليهود والنصارىٰ والمشركين؛ لأن جهاد هؤلاء يُبقي الدين، ويُبقي ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخطرهم لا ينقطع؛ فلكل قوم وارث.

ولذلك قال عبد الله بن المبارك: "إنا لنحكي كلام اليهود والنصارىٰ ولا نستطيع أن نحكي كلام هؤلاء"، يعني الجهمية.

فسمىٰ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بـ (**اجتماع الجيوش الإسلامية**)، وقال في هذا الكتاب عن الإمام الدارمي، قال: "وكتاباه من أجلّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف علىٰ ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصي بهذين الكتابين أشد الوصية، ويُعظمهما جدًا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات والعقل والنقل ما ليس في غيرها".

أقسام الكتاب ومنهج الدارمي في كتابه

وهذا الكتاب الذي معنا قسمه المصنف أقسامًا ثلاثة:

- فجعل **القسم الأول** في الرد علىٰ الشبهات التي ساقها المُعارض علىٰ لسان المريسي الجهمي العنيد.

- وجعل **القسم الثاني** في الرد علىٰ الشبهات التي ساقها المعارض علىٰ لسان محمد بن شجاع الثلجي الكذاب، وستأتي ترجمة الثلجي هذا عند الكلام عن القسم الثاني من الكتاب.

- **وأما القسم الثالث**: فجعله في الذب عن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وفي الذب عن أهل الحديث، كعكرمة مولىٰ ابن عباس، وفي بيان أن كتابة الحديث بدأت في عهد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا هذا الطعن قديم جدًا، فليس الطعن وليد هذه الأيام علىٰ إسلام بحيري، وإبراهيم عيسىٰ، وغير هؤلاء، بل هو طعن قديم جدًا.

ولذلك ما جاء المستشرقون بشيء من كيسهم، وإنما أخذوا الطعونات التي طعن بها أهل البدع علىٰ الإسلام وجاءوا بها في صورة أخرىٰ نمقوها، وزينوها، وعرضوها علىٰ ضعاف

العقول.

فجعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ القسم الثالث في الذب عن أصحاب النبي وأهل الحديث.

وأما منهج المؤلف: فلم يُشر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية الكتاب إلىٰ منهجه، يعني لم يقل مثلًا: سأتبع منهجًا معينًا قائمًا علىٰ كذا وكذا وكذا، لكن الذي ينظر في كتابه يستطيع أن يستقي هذا المنهج، وأن يقف عليه.

فنجد هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتناول شبهة المعارض بالعرض، مبينًا ما اعتمد عليه من أدلة وحجج، يعني هل اعتمد علىٰ آية في هذه الشبهة؟ أم علىٰ حديث ضعيف، أم هو حديث صحيح، لكنه أخطأ في تأويله علىٰ شبهة عقلية فاسدة، علىٰ لغة يجهل بها، فيعرض الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر.

ثم يتناول طريقة الاستدلال التي ينهجها المعارض في استناده إلىٰ الأدلة، ويُعرِّض بالشبهة أحيانًا قبل الشروع في عرضها، ثم بعد عرض الشبهة يقوم المؤلف بالرد عليها مُفندًا المزاعم الباطلة بالأحاديث النبوية، وبكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فيستدل بالآيات، والأحاديث، والآثار الواردة عن أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن التابعين، وأقوال الأئمة، وهو مع ذلك يستخدم منهج الاستدلال العقلي السليم.

وهذا فيه: أن أهل السنة والجماعة كانوا يستخدمون المنهج العقلي، هذا المنهج الذي ما عرفته أوروبا إلا بعد أن فاقت وقامت من كبوتها، بعد أن سرقت مخطوطات المسلمين، وترجمت هذه المخطوطات، وخرجوا من عصور الظلام من القرون الوسطىٰ، وصاروا إلىٰ ما هم عليه الآن، فالذي علَّم أوروبا المنهج التجريبي، والمنهج الاستقرائي، ونقض منطق أرسطو العقيم، الذي علَّمهم هم المسلمون، لكن المسلمين تركوا كل ذلك وأخذوا ما عندهم من زبالات الأفكار.

قال بعض الحداثيين: ينبغي أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتىٰ الالتهابات التي في حلوقهم! لو استطعنا أن نأخذها لأخذناها! وحقًا ما أخذوا إلا مثل هذه الأمور!!

فهم أخذوا كل ما عندنا من أمر حسن، وأخذنا نحن كل ما عندهم من نتن، نسأل الله السلامة والعافية.

فسنجد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ استخدم المنهج العقلي في استدلاله، وكذلك اعتمد علىٰ دلالات الألفاظ اللغوية، وبيَّن جهل المريسي.

مقدمة الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نقرأ معًا هذه المقدمة النفيسة للشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أول رئيس لجمعية أنصار السنة المحمدية، وقد جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سببًا في نشر المنهج السلفي في ربوع مصر -حرسها الله- فكتب مقدمة نفيسة عند تحقيقه لهذا الكتاب.

فهو أول من أخرجه إلىٰ الدنيا بعد أن كان مخطوطة، فجعله مطبوعًا، فقال في مقدمته بعد أن بيَّن ما كان عليه المسلمون بعد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، فصار الدين بهم عزيزًا، وكذلك من تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلك سبيلهم.

فقال بعد أن ذكر حال الأمة في هذه الفترة: "وما زال هذا شأن الناس، حتىٰ دخل فيهم المدخول، فلُبس ثوب الإسلام اللين الجميل علىٰ قلب موتور"، يعني صار هناك من يتزيَّا بزي الإسلام ويتسمىٰ بأسماء المسلمين ومع ذلك قلبه خرب لا يعرف عن الإسلام شيئًا.

"فلُبس ثوب الإسلام اللين الجميل علىٰ قلب موتور، وصدر موغور، ونفس تأكلها نار العداوة للإسلام ونبي الإسلام صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودولة الإسلام، فبذروا في الناس بذور الفتنة، وزينوا لهم الانصراف عن الكتاب والسنة، ومنبعهما الصافي، إلىٰ آراء الرجال وأهواء بني الإنسان، وقياس العقول البشرية".

قال: "وزادوا في الفساد حين وثقوا من رواج فتنتهم، أن حسَّنوا علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان في الإلهيات".

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيذكر لنا شيئًا من كتاب تاريخ الإسلام للإمام الذهبي يذكر الطبقات



التي كانت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف كان حال الإسلام في هذه الطبقات.

أهمية معرفة تاريخ المسلمين

ومعرفة تاريخ المسلمين من الأهمية بمكان، ولذلك صنف أئمتنا في التاريخ الإسلامي، فوضع الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه في التاريخ، وكذلك ابن الجوزي، وضع كتاب (**المنتظم**)، وكذلك ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ له المبتدأ والخبر، وابن كثير، وضع (**البداية والنهاية**)، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وضع (**التاريخ الكبير**)، وغير هؤلاء كثير صنفوا في تاريخ المسلمين، لما في تعلم تاريخ المسلمين من الأهمية.

من هذه الأهمية: معرفة سنن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كونه التي أخبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الدين سيعود غريبًا كما بدأ، وأن الأمة من بعده ستفترق إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار.

والتاريخ خير شاهد علىٰ هذه الفِرق، وعلىٰ هذه الغربة، فالمُطالِع للتاريخ يقف علىٰ هذه السنن الكونية التي أخبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك معرفة التاريخ الصحيح تُفيد في أخذ العبرة من التاريخ، كيف ذلك؟ نستدل بما كان علىٰ ما لم يكن، كما جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "استدل علىٰ ما لم يكن بما كان، فإن الأمور مشتبهات".

الأحداث تتكرر، فما الذي نجَّىٰ منْ نجا من هذه الثورات الخبيثة؟ كان سببًا رئيسيًا في نجاة من نجىٰ من هذه الثورات أنهم اعتبروا بما جاء في التاريخ، وأنهم قرؤوا التاريخ واستقرؤوه، فوجدوا أن الثورة ما جاءت بخير يوم قط للمسلمين.

لو نظرت في تاريخ الثورات التي قامت في بلاد المسلمين، منذ أول ثورة قامت علىٰ

عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ آخر ثورة قامت في البلاد العربية والإسلامية لوجدت أن هذه الثورات ما جاءت إلا بالخراب.

طيب، الذي نجا من هذه الثورات ماذا قال؟ هل قال: هذه الثورات ليس لها مثال سابق كما قال بعضهم؟! ليس لها نظير؟ لا، نظر في الثورات التي حدثت في بلاد المسلمين، فما جاءت بخير قط، فاعتبر بسبب هذا التاريخ.

وكذلك من أهمية معرفة التاريخ: استخراج القواعد الكلية التي مبناها علىٰ استقراء أحداث التاريخ.

والمقصد أن هناك جُملًا يقولها العلماء، هذه الجمل ليست من أحاديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإنما هي جُمل كالحكمة، هذه الحكمة مأخوذة من ماذا؟ من واقع مُجرَّب.

فتسمع مثلًا علىٰ لسان العلماء من يقول: "سلطان غشوم خير من فتنة تدوم"، ما قالوا ذلك خنوعًا ولا استسلامًا ولا رضىٰ بالظلم ولا غير ذلك، لكنهم نظروا في التاريخ؛ لأن هذه الأمور والفتن إذا وقعت في بلاد المسلمين فإنها تدوم، كما هو الحال في سوريا، والعراق، وليبيا، وغير ذلك من الأماكن، ويترتب علىٰ ذلك الفساد العظيم.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ يقول: "إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة".

من أين أخذ ذلك؟ أخذه من قراءة التاريخ، فإن الدولة ولو كانت مسلمة لكنها كانت ظالمة فإن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يُديل عليها، ويجعلها عبرة لغيرها، حتىٰ ترجع إلىٰ ربها تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ «سلط الله عليهم ذلًا لا ينزعه حتىٰ يرجعوا إلىٰ دينهم»، ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

بعض السلف يقول: "اصبروا حتىٰ يستريح بر أو يُستَرَاح من فاجر"، هذا ليس قولًا ثابتًا



عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه استقراء للتاريخ.

يعني هؤلاء الذين خرجوا علىٰ الحجاج هل خلعوا الحجاج؟ ما استطاعوا أن يخلعوا الحجاج، وكان فيهم من فيهم من خيرة القُراء العلماء الذين زلوا في هذه الفتنة، طب ماذا كان مآل الحجاج؟ مات.

ولذلك قال من قال: "اصبروا حتىٰ يستريح بر"، يعني الذي صبر عليه، "أو يُستَرَاح من فاجر"، يأخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بدعوة أو بصلاح الناس، فيُغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حالهم إلىٰ حالٍ أفضل.

فمعرفة التاريخ من الأهمية بمكان، وهي مما يُستدل به في الشرع.

يعني مثلًا: بعض الروافض لا يفهمون قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣]، ﴿مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ علىٰ أنه يجوز للواحد أن يتزوج امرأتين أو ثلاثة أو أربعة.

وإنما يقولون: إن الواو هاهنا واو الجمع، يعني يجوز لك أن تتزوج ﴿مَثْنَىٰ﴾، اثنين، ﴿وَثُلاثَ﴾، اثنين زائد ثلاثة خمسة، ﴿وَرُبَاعَ﴾، خمسة وأربعة تسعة، فيجوز لك أن تتزوج تسعة من النساء.

فيُرَد علىٰ هؤلاء: مَن مِن أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن التابعين ومن جاء بعدهم فهم الآية علىٰ هذا الفهم؟ لا تجد، فالتاريخ شاهد علىٰ بطلان هذا الفهم.

فالشيخ هاهنا رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر لنا طرفًا من هذه الطبقات -طبقات الإسلام- وما كان فيها من ظهور البدع، وضعف للسنة، أو ظهور للسنة، وضعف للبدع، لكي نعتبر، ولكي نعلم سنة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه.

فقال: "وزادوا في الفساد"، يعني زاد الناس في الفساد؛ لأن الناس كلما بعدوا عن النبي ﷺ أو الزمان الذي كان فيه النبي ﷺ وصحبه ضعف تمسكهم بالسنة، وانتشرت البدعة بينهم، فكلما اقترب الإنسان من هذه الأزمنة الفاضلة التي هي قريبة من النبي ﷺ كان أبعد عن البدعة ووُفِّق لما كان عليه النبي ﷺ.

قال: "وزادوا في الفساد، حتىٰ وثقوا من رواج فتنتهم، أن حسَّنوا علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان في الإلهيات، وزخرفوها بشتىٰ الوسائل، من أنها موافقة للمعقول، وأنه من العار علىٰ الإنسان أن يُلغي عقله ولا يُحكمه في منقول العلوم".

هذه حجج من أخذ علوم اليونان وأدخلها في الدين، وهذا حال سائر الفرق، عدا أهل السنة والجماعة، فكلهم أدخل هذه القواعد الفلسفية التي جاءتنا من اليونان في الدين، وأرادوا التوفيق بينها وبين ما جاء به النبي الأمين ﷺ ثم آل مآلهم إلىٰ رد ما جاء به النبي ﷺ والفتنة بهذه المقاييس الفاسدة.

قال: "ولا بد أن يكون له السلطان علىٰ كل شيء"، يعني قالوا: العقل لا بد أن يكون له السلطان علىٰ كل شيء، حتىٰ صفات الله، وأسمائه، والدار الآخرة، وشئونها، وما أُعد فيها لأهلها، واستعانوا علىٰ ذلك ببعض المخدوعين من الحُكام والولاة، كما حدث في الدولة العباسية، وسيأتي.

"فاجتمع لهم الشبهات، ووحي الشيطان، وقوة اللسن، وشدة المراء والجدل، وبأس السلطان وسيفه، فقويت الفتنة، وعم شرها، ونال حماة الإسلام، وازدادت عن حياضه من ذلك ما الله به عليم"، كما حدث في فتنة خلق القرآن، وما نال أئمة هذا الدين من التعذيب، والسجن، والقتل، وغير ذلك.

قال: "وهو عليه محاسب، ومكافئ أولئك الفاتنين المفتونين، وكان من نتاج ذلك: أن

تبدل مجرىٰ العالم الإسلامي، وتحول عن نهجه الأول وطريقه القويم، الذي كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعون والأئمة المهتدون، ودُونت الكتب والمؤلفات موسومة بأسماء إسلامية، لترويج هذه الفتنة وتثبيتها، فتلقفها الخلف المفتون عن ذلك السلف الفاتن الخادع، وتوالت الأيام وكثرت المؤلفات الممزوجة بكثير من هذه السموم، حتىٰ بلغ الأمر بالعامة وأكثر الخاصة أن اعتقدوا ما فيها مذاهب أهل السنة والجماعة، ودعوْها كتب العقائد والتوحيد، وهي في الواقع إنما وُضعت عن جهل أو علم لزلزلة العقائد والتشكيك في الله، وإصابة القلوب بأمراض الشبهات التي تقطعها عن الله وخشيته، وتصلها بالشيطان وكفره واستكباره".

قلت: من أخذ عقيدته من هذه الكتب التي هي بعيدة عن الكتاب والسنة وفهم السلف، انتهىٰ أمره إلىٰ الحيرة والشك، لا ينتهي أمره إلىٰ اليقين.

نماذج من حيرة المتكلمين آخر حياتهم

وانظر في حال الفخر الرازي الذي أقام حياته كلها علىٰ البحث عن أدلة عن وجود الله!!، أفي الله شك؟! هل وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحتاج إلىٰ بحث؟! هذا أمر مركوز في الفِطَر.

ولذلك حاجَّته المرأة العجوز- كما في القصة المشهورة-، لما دخل السوق ذات يوم ومعه ثلاثمائة من تلاميذه حوله، فرأته تلك المرأة، فقالت: من هذا الملك؟ فقال لها أحد تلاميذه: ليس بالملك، ألا تعرفينه؟ إنه الفخر الرازي، وعلماء المسلمين يقولون: الفخر الرازي، ولا يقولون: فخر الدين الرازي، مع أنه إذا تُرجم له يُقال: فخر الدين الرازي، والصحيح أن يقال: الفخر الرازي؛ لأنه جاء بكثير من القواعد الباطلة التي عادت علىٰ أصول الدين بالهدم، فلا يستحق هذا اللقب، وإنما يقال: الفخر الرازي.

فقيل لهذه المرأة: ألا تعرفينه؟ إنه الفخر الرازي، معه ألف دليل علىٰ وجود الله، فقالت:

سبحان الله! أفي الله شك! هل وجود الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يحتاج إلىٰ كل هذه الأدلة! والله ما بحث عن ألف دليل إلا لما قام في قلبه ألفُ شك!!

وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد، الإنسان مفطور علىٰ الإقرار بوجود الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كما أنه مفطور علىٰ التقام ثدي أمه.

يعني البهيمة -أعزكم الله- ما أن تنزل من بطن أمها إلا وتتجه مباشرةً إلىٰ ضرعها، من الذي علمها؟ هي ما خرجت إلىٰ الحياة إلا هذه اللحظة، فمن الذي علمها وفطرها علىٰ ذلك؟

كذلك الدين، الإنسان مركوز في فطرته أن لهذا الكون خالقًا مدبرًا، هذه الفطرة التي غرسها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وفطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فالتنقير في ذلك واتباع القواعد الفلسفية الباطلة وأقيسة العقول الباطلة مآله للشك والحيرة والضلال إلا أن يلطف الله تعالىٰ.

ولذلك الرازي الذي ما ترك علمًا إلا وألَّف فيه، حتىٰ العلوم الكفرية، ألَّف في السحر، وفي مخاطبة النجوم، والأفلاك، ألَّف في التفسير، له (**مفاتيح الغيب**) حشاه بهذه النظريات الفلسفية، وألَّف في الأصول، وهو من أئمة أصول الفقه، وألَّف في كل شيء، ومع ذلك ماذا قال في نهاية حياته؟

قال: "لقد تتبعتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ووجدت أقرب طريقة طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وفي النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورىٰ:١١]"، آيات يسيرة جدًا، وقد قضىٰ جل حياته فيما لا فائدة فيه.

ثم كان يتمثل هذه الأبيات:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال   وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـا في وحشـة مـن جسـومنا   وحاصـــل دنيانـــا أذىٰ ووبـــال
ولـم نسـتفد مـن بحثنا طـول عمرنـا   سـوىٰ أن جمعنـا فيـه قيـل وقـال

وكان الجويني يقول: "ليتني أموت علىٰ دين عجائز نيسابور".

وأبو حامد الغزالي مات وصحيح البخاري علىٰ صدره، عاد إلىٰ القراءة في كتب السنة بعد أن هجرها وتركها؛ لأن هذه الطرق التي سلكوها لا تُفيد اليقين في هذا الدين، فالاعتقاد خاصةً لا يُؤخَذ إلا من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

قال: "وما علمنا المسلمين كانوا أذل منهم وقت أن فشت فيهم هذه الكتب والمؤلفات، ولا أبعد منهم عن روح الإيمان، وإخلاص المؤمنين والسابقين، وما تقلص ظل الإسلام وجولته إلا بعد نشر هذه المؤلفات".

لماذا يبغض المستشرقون دولة بني أمية ويرفعون شأن الدولة العباسية؟

قلت: أعظم دولة بعد دولة الخلافة الدولة الأموية، وما انتشر الإسلام في ربوع الأرض إلا علىٰ يد الدولة الأموية.

وكانت دولة عربية خالصة، وهذا مما يعيب به المستشرقون هذه الدولة ويطعنون به عليها وليس بطعن، يقولون: الأمويون كانت عندهم عنصرية، طبعًا هذه ليست بمذمة، لماذا؟ لأن سياسة الناس بغير الدين الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تؤدي إلىٰ فساد الناس.

وعندما جاءت الدولة العباسية قامت علىٰ أكتاف الفرس، والشيعة، وغير هؤلاء، فما الذي فتحوه من بلدان بلدان العالم ونصروا الإسلام فيه؟ ما فتحوا شيئًا سوىٰ عمورية فقط، وهي التي يُدندنون حولها ليل نهار، وامعتصماه!! وذلك بسبب المرأة التي قيل أنها

صرخت في عمورية فأرسل المعتصم من يفتح هذه البلدة فقط من هذه البلاد، ومع ذلك تجد المستشرقين يمدحون في الدولة العباسية جدًا، لماذا؟ لأنها انتشرت فيها البدع، وانتشر فيها خرق الإسلام بخلاف دولة بني أمية.

"وما تقلص ظل الإسلام وجولته إلا بعد نشر هذه المؤلفات، علىٰ زعم مُروجيها من أنها لتعليم المسلم كيف يُقيم الدليل العقلي علىٰ وجود ربه".

اشتمال القرآن علىٰ البراهين العقلية والإجمال في تقسيم الدليل إلىٰ عقلي ونقلي

سؤال: أليس في القرآن أدلة عقلية؟ بعض الناس يقول: الدليل العقلي والدليل النقلي، ويقصد بالدليل العقلي العقل الصرف، اللي هو بعيد عن القرآن، والدليل النقلي آية أو حديث، كأن القرآن ليس فيه أدلة عقلية!

يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]، هذا دليل عقلي جاء به القرآن، ويسمىٰ في الأدلة العقلية ومناهج الاستدلال باسم السبر والتقسيم، أي أنك لو نظرت في هذا الكون لن تخرج بغير هذه القسمة التي ذكرها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تذكيرًا وتنبيهًا للفطرة.

فهؤلاء المشركون، هل خُلقوا من غير شيء؟ يعني من غير خالق؟ هل خلقوا أنفسهم أم هم الخالقون؟ والذي يقطع به العقل السوي أن خُلقوا من غير شيء لا يقبلها ذلك العقل. لابد أن خالقًا خلقهم، أم هم الخالقون؟ أي هل خلقوا أنفسهم؟ فاقد الشيء لا يُعطيه، كيف يكون عدمًا ويخلق نفسه، ليخرج من العدم إلىٰ الوجود؟! وفي القسمة طرف ثالث وهو: هناك من خلقهم.

لماذا لم يذكره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ لأن العقل يُقر بذلك، لا بد أن يُقر بذلك.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[آل عمران:١٩٠]، الآيات التي في آخر سورة آل عمران، هذه الآيات تخاطب العقل.

ولذلك قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويلٌ لمن قرأهن ولم يتدبرهن».

فالقرآن مليء بالبراهين العقلية، فزعم هؤلاء أن هذه الطرق التي جاءوا بها والتي هي بمبعدةٍ عن طريقة القرآن كفيلة بإقامة الدليل العقلي علىٰ وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فشغلوا أنفسهم بتوحيد الربوبية، وليتهم جاءوا به علىٰ وجه الصحيح، وتركوا ما من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ألا وهو توحيد الألوهية.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُرسل الرسل لتُبين للناس إن هناك خالقًا لهذا الكون، لأن هذا أمر مستقر حتىٰ عند المشركين.

ولذلك القرآن كان ينطلق من هذه الأمور، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥].

الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[البقرة:٢١] ثم يذكر بعض أفعال الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذ هو الذي خلقكم، وهو الذي أنزل من السماء ماء، وهو الذي جعل لكم الأرض فراشًا، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، فينطلق من توحيد الربوبية إلىٰ توحيد الألوهية.

لكنَّ المتكلمين صرفوا جُل حياتهم في إثبات ربوبية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولذلك فسروا كلمة التوحيد علىٰ هذا المقتضىٰ.

فمعنىٰ لا إله إلا الله عند الأشاعرة لا خالق إلا الله، لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، وهذا لا

يخرج عن توحيد ربوبية، وليس هذا الذي جاء به الأنبياء والرسل.

فظنوا أنهم بذلك يردون المخالف عن ضلاله إلىٰ الإسلام، وتالله إنها أوقعت المسلمين في الضلال وأمرضت قلوبهم، وفلَّت من حد إيمانهم.

ولذلك أنت تجد الآن بعض الأزاهرة لا يتورعون عن زيارة القبور، والطواف حول قبر البدوي، والحسين، والسيدة، وتُنقَل صلاة الجمعة من مسجد البدوي، وغير ذلك،...لماذا؟ لأن هم عندهم خللًا في فهم "لا إله إلا الله"، ليس عندهم "لا إله إلا الله": لا أحد يستحق العبادة إلا الله، ولذلك جعلوا هؤلاء وسائط بينهم وبين الله، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه المشركون، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر:٣].

قال: "ولقد عم الشر والبلاء بهذه المؤلفات المُشككة في الله وفي صفاته التي اختارها، وهو الحكيم الخبير، ووصف به نفسه في كتابه العربي المبين، ووصفه بها رسوله الذي ما ضل وما غوىٰ، وما ينطق عن الهوىٰ، وآمن بها علىٰ من أنزلها الله، وكما تلاها رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ آمن بها الصحابة الذين كانوا أول من سمعها، واطمأنت بها نفوسهم، واهتدت بها قلوبهم، وأثمرت فيها إيمانًا بالله قويًا، استرخصوا في سبيل الدفاع عنه، ونشر نوره النفس والنفيس".

وما سمعنا عن واحد من أولئك الصحابة أنه سأل رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن معنىٰ قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، ولا عن معنىٰ قوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠]، ولا عن غير ذلك، ولا قالوا له: يا رسول الله، إنه يلزم من ذلك كذا وكذا، أن يكون له جهة، أو أن يكون له كذا وكذا مما سيذكره المصنف علىٰ لسان بشر المريسي.

وهذا أقوىٰ ما يُحتَج به علىٰ إجراء آيات الصفات علىٰ ظاهرها، الإجماع السكوتي.

القرآن نزل بلسان عربي مبين، ونزل فيه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]، واليد في لغة العرب تأتي بمعنىٰ النعمة، وبمعنىٰ القدرة، وبمعنىٰ اليد الحقيقية، القوة واليد الحقيقية، اليد المعروفة في لغة العرب.

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ الذي يتبادر إلىٰ الذهن إن اليد المقصود بها هاهنا اليد المعروفة في لغة العرب، اليد الحقيقية، لكن علىٰ قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]لأن اليد صفة كمال لا نقص، والفرق بين صفة الخالق والمخلوق كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق.

منهج الصحابة أعلم وأحكم وأسلم

هل وجدنا واحدًا من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشكل وقال: يا رسول الله، هل اليد هاهنا بمعنىٰ اليد الحقيقية أم النعمة أم القدرة أم القوة؟ هل وجدنا واحدًا من التابعين يقول ذلك؟ لا والله، بل وجدنا من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن صحبه ما يبين أن المراد بتلك الصفات الصفات الحقيقية المعروفة في لغة العرب، والتي هي بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء.

يعني النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما يقرأ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨]، النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضع الإبهام والسباحة علىٰ العين والأذن، وأبو هريرة راوي الحديث يصنع ذلك، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ماذا أراد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أراد أن يُثبت لله السمع والبصر، لكن هل هو سمع كسمعنا؟ بصر كبصرنا؟ لا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

فالصحابة سمعوا هذه الآيات، وسمعوا هذه الأحاديث، وأمروها كما جاءت؛ لأنهم يعلمون أنه لا محظور في إثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: "ولقد كانوا من الفقه والفهم والعربية المستقيمة بالدرجة العليا، ففهموا هذه الآيات علىٰ ما يدل لفظها العربي المُنزَّل من عند العليم الحكيم، وآمنوا بها علىٰ ما يليق بالله العلي الأعلىٰ الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

قلت: الشيخ حامد الفقي يقول ذلك لأن الصحابة يُتَهمون بأنهم كالأعاجم، بلسان الحال أو المقال يتهم الخلف من المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الفِرَق الصحابة بأنهم كانوا كالأعاجم، يقرؤون القرآن ولا يفهمون معناه.

ولذلك وضعوا قاعدة: "منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم"، ما معنىٰ: منهج السلف أسلم؟ انت عندما تسمع هذه العبارة تظن فيها المدح للسلف الصالح، والأمر عكس ذلك، إذ فيها ذم للسلف الصالح، فمعناها أن السلف كانوا يقرؤون الآيات والأحاديث من غير فهم، ولم يسألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فماتوا علىٰ غير معرفة بمعاني الآيات وتأويلها، والتابعون كذلك!!

فلما جاء الخلف من أئمة الكلام من المعتزلة والأشاعرة صار منهجهم أعلم وأحكم، فتكلموا في الأسماء والصفات بعقولهم.

فربنا يقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هما يقولون: الله ليس له يد، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤]، الله ليس له عين، بل معناها الرعاية والحفظ والكلاءة، واليد تعني النعمة أو القدرة، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]، ليس له عين.

«إن الله يضع قدمه علىٰ النار، فتقول النار: قط قط، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ لها: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد»، **يقولون**: القدم أو الرجل بمعنىٰ: الجماعة من الناس.

ما تركوا صفة لله إلا وأوَّلوها وحرفوها، وقالوا: إن منهجهم أعلم وأحكم، أما منهج السلف فأسلم، والعبارة متناقضة، كيف يكون المنهج أسلم وليس أعلم ولا أحكم! كما



يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا لا يجاوزون عشر الآيات حتىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل، ولذلك طالت مدة حفظهم للقرآن.

فالطفل الصغير عندنا قد لا يُجاوز السابعة إلا وقد حفظ القرآن، بينما ُعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ظل في حفظ سورة البقرة أربع سنوات، وفي رواية: ثمان سنوات، وإن كانت الرواية الأشهر: أربع سنوات، هل كان عمر بليد الفهم؟! كان لا يحفظ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟! لا، لكنهم ما كانوا يقرءون القرآن ويقرءون الآيات فيُجاوزون هذه الآيات إلا بعد أن يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلموا الإيمان قبل القرآن.

ولذلك لم تختلف أمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت الصحابة؛ لأنهم كانوا يفهمون مراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تعجب في يوم من الأيام، فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما ذكر ذلك الخطيب في (**الجامع**): خلا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذات يوم يُحدِّث نفسه، يقول: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، وكتابها واحد؟! فأرسل إلىٰ عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي دعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله، فقال عبد الله بن عباس: "يا أمير المؤمنين، إنما أُنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أُنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيما أُنزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا اختلفوا اقتتلوا".

فزجره عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وانتهره، فانصرف ابن عباس، ثم نظر عمر فيما قاله ابن عباس فعرفه، يعني أدار القول في رأسه مرة أخرىٰ فعرفه، فأرسل إلىٰ ابن عباس وقال: "أعد عليَّ ما قلت"، فأعاده فعرفه وأعجبه، فهذا هو الذي حدث في الأمة، يقرؤون القرآن لا يُجاوز

حناجرهم، لا يفقهون كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فأعملوا فيه العقول علىٰ غير مراد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الصحابة فبناءً علىٰ هذا الطريق الذي سلكوه أورثهم ذلك الهُدىٰ والسلامة من الزيغ الاستدراك علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن قال لك: إن الصحابة كانوا يستشكلون بعض الأمور ويسألون النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ورد عنهم في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

يقال: ما الضير في ذلك، الصحابة فهموا الآية علىٰ ظاهرها علىٰ ما تقتضيه عربيتهم، فالآية ظاهرها أنه لن ينجو أحد، ولن يدخل أحد في الأمن ولا في الاهتداء؛ لأن الآية تقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾،"ظلم" نكرة في سياق النفي ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، فتُفيد العموم، فكل من وقع في ظلم حتىٰ ولو كان صغيرًا فليس له الأمن وليس له الاهتداء.

فالصحابة ذهبوا إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكروا له ما جاء في صدورهم، لأنهم عرب، ويفهمون القرآن علىٰ مقتضىٰ عربيتهم.

فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس الظلم الذي تذهبون إليه، وإنما الظلم الشرك».

كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان العبد الصالح، أو كما قال العبد الصالح لقمان لولده: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]، فالظلم هاهنا بمعنىٰ الشرك.

القرآن فيه كثير جدًا ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾، من الذي كان يسأل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم المشركون.

الشاهد: أن الصحابة كانوا يسألون النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما أشكل عليهم، وهذا لا يقدح في فهمهم للقرآن، بل هذا دليل علىٰ فهمهم وتدبرهم له لمن أمعن النظر.

مثال آخر: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]، **سبب نزولها**: ذهاب أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ النبي، لما أنزل الله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾[البقرة:٢٨٤]، وهذا كذلك يدل علىٰ أن الصحابة كانوا يقرؤون القرآن، ويسألون عما فيه.

وهذا مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ، تلميذ عبد الله بن عباس، قرأ القرآن علىٰ ابن عباس مرتين، يسأله ويوقفه عند كل آية، يسأله عن معناها.

وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ سبعين سورة من فم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذا قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أراد أن يقرأ القرآن غضًا طريًا فليأخذه أو ليقرأه علىٰ ابن أم عبد**».

"فالصحابة كانوا يقرؤون القرآن، وكانوا يتدبرونه، فأورثهم ذلك الهدىٰ والسلامة من الزيغ والاستدراك علىٰ الله وعلىٰ رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا كان حالهم، وسبيلهم، وكان سبيل الهدىٰ والرشاد فأورثهم ذلك علمًا صالحًا وعملًا نافعًا، فهل للناس أن يرجعوا إلىٰ ما كانت عليه تلك الفرقة الناجية بنص حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي التي قال فيها: من كان علىٰ ما كان عليه هو وأصحابه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وهل كان عند أصحابه هذه الكتب وهذا الجدل العنيف وهذا المراء، وهذه الأدلة والبراهين العقيمة؟ كلا والله ما كانت عندهم.

ثم قال: "وإني أنقل هاهنا للقارئ الكريم جُملًا قيمة من (**تذكرة الحفاظ**) للإمام الذهبي، ذيَّل بها علىٰ الطبقات، وبيَّن فيها حال الإسلام في كل عصر، وحال العلم وأهله، لعل فيه

عبرة وذكرىٰ تنفع المؤمنين".

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقة الخامسة، والطبقة الخامسة هذه لما رجعت وجدتها بدايةَ الدولة العباسية، أيام أبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، قبل المأمون.

قال: "كان الإسلام وأهله في عز تام، وعلم غزير، وأعلام الجهاد منشورة، والسنن مشهورة، والبدع مكبوتة، والقوَّالون بالحق كثير".

قلت: ولذلك طلب هارون الرشيد بشرًا المريسي، وأقسم بالله -كما جاء في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد- أنه إن طالته يده ليقتلنه، لكنه هرب منه وما ظهر إلا في خلافة المأمون.

"فكانت السنن مشهورة، والبدع مكبوتة، والقوَّالون بالحق كثير، والعُبَّاد متوافرون، والناس في بُلهنية من العيش" -يعني سعة ورفاهية- "بالأمن، وكثرة الجيوش المحمدية، من أقصىٰ المغرب وجزيرة الأندلس وإلىٰ قريب مملكة الخطىٰ وبعض الهند وإلىٰ الحبشة".

وقال في آخر الطبقة السادسة، وفيها كانت الدولة لهارون الرشيد، ثم الأمين فالمأمون، وكان فيها البرامكة الذين سعوا في ترجمة كتب اليونان.

قال: "فلما قُتل الأمين، واستُخلف المأمون علىٰ رأس المائتين، نجم التشيع، وأبدىٰ صفحته، وبذر فجر الكلام، ونبتت حكمة الأوائل ومنطق اليونان، وعُمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مُرضٍ مُهلك، لا يُلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة في عافية منه، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين علىٰ القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه، فامتحن العلماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من البلاء أن تعرف ما كنت تُنكر، وتُنكر ما كنت تعرف، وتُقدم عقول الفلاسفة، وأن يُعزَل منقول أتباع الرسل، ويُمارَىٰ في القرآن، ويُتبرم بالسنن والآثار،

وتقع في الحيرة، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومُضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلىٰ صراط مستقيم".

كيف وصلت كتب اليونان لبلاد المسلمين؟

في هذا الوقت دخلت كتب اليونان، لكن كيف دخلت إلىٰ بلاد المسلمين؟

ذكر الشيخ نصر المقدسي وعنه نقل السيوطي في (**صون المنطق**)، كيف وصلت هذه الكتب إلىٰ بلاد المسلمين، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الكتب خرجت إلىٰ أرض الإسلام، فتُرجمت بالعربية، وكان سبب خروجها من أرض الروم إلىٰ بلاد الإسلام يحيىٰ بن خالد بن برمك، وذلك أن كتب اليونان كانت ببلاد الروم، وكان ملك الروم خاف علىٰ الروم إن نظروا في كتب اليونان أن يتركوا دين النصرانية، وقد غزا الروم بلاد اليونان.

فجاء الملك بكتب اليونان، وجعلها في بناء، لأنه يعلم خطر هذه الكتب، هذه الكتب ما دخلت علىٰ أمة إلا دمرتها، من جهة العقيدة، فجعلها في بناء من جص، وأغلق الباب عليها، حتىٰ لا تصل إليها يد واحد من الرومان، وحتىٰ يسلم دين النصارىٰ لهم، ولا يتأثروا بدين اليونان الوثني الشركي.

فالشاهد: إنه جمع هذه الكتب في موضع وبنىٰ عليها بناءً بالحجر والجص، حتىٰ لا يُوصَل إليها.

فلما أفضت رياسة الدولة بني العباس إلىٰ يحيىٰ بن خالد، وكان زنديقًا، بلغ خبر الكتب التي في البناء إليه، فصانع ملك الروم، ودولة الإسلام في هذه الفترة كانت في عزة ومنعة، فصانع ملك الروم، بالهدايا، يرسل إليه الهدايا، ولا يطلب شيئًا، حتىٰ لما أكثر عليه الهدايا قال: إن هذا الرجل خادم العرب قد أكثر عليَّ من هداياه، ولا يطلب مني حاجة، وما أراه إلا

يلتمس حاجة، وأخاف أن تكون حاجته تشق عليَّ، وقد شغل بالي، فلما جاءه رسول يحيىٰ قال له: قل لصاحبك: إن كانت لك حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيىٰ رده إليه، وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء، ترسلها إليَّ أُخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليك، فلما قرأ الرومي هذا الكتاب استطار فرحًا، وجمع وزراءه وبطارقته وقال لهم: لقد أفصح ملك المسلمين عن حاجته، وإن لي رأيًا أريد أن أعرضه عليكم، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا حتىٰ تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته الكتب اليونانية، يستخرج منها ما يحب ويردها، قالوا: ما رأيك؟ قال: قد علمت أنه ما بنا عليها من كان قبلنا، إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارىٰ وقرؤوها كانت سببًا لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم.

وهذا ما حدث حقًا لما انتشرت هذه الكتب في بلاد المسلمين أدت إلىٰ فرقة المسلمين وتبديد جماعتهم.

قال: وأنا أرىٰ أن أبعث بها إليه وأسأله ألا يردها، قال: يُبتلون بها ونسلم نحن من شرها، فإني لا آمن أن يكون بعدي من يجترئ علىٰ إخراجها فيقع فيما خيف عليهم، قالوا: نعم الرأي رأيت أيها الملك فأمضه، قال: فبعث بالكتب إلىٰ يحيىٰ بن خالد، فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف فأخرجوا منها كل شر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي آخر الطبقة الثامنة تَقالّ أصحاب الحديث، وتلاشوا، وتبذَّل الناس بطلبه، يهزأ بهم أعداء الحديث والسنة، ويسخرون منهم، وصار علماء العصر في الغالب عاكفين علىٰ التقليد في الفروع، من غير تحرير لها، مُكبين علىٰ عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين، من غير أن يعقلوا أكثرها، فعمَّ البلاء، واستحكمت الأهواء، ولاحت مبادئ رفع العلم وقبضه من الناس، فرحم الله امرءًا أقبل علىٰ شأنه، وقصَّر من لسانه، وأقبل

علىٰ تلاوة قرآنه، وبكىٰ علىٰ زمانه، وأدمن النظر في الصحيح، وعبد الله قبل أن يبغته الأجل، اللهم فوفِّق وارحم".

ثم قال في آخر الطبقة التاسعة: "ولقد كان في هذا العصر وما قاربه من أئمة الحديث النبوي خلق كثير، وما ذكرنا عُشرهم هنا، وكذلك كان في هذا الوقت خلق من أئمة أهل الرأي والفروع، وعدد من أساطين المعتزلة، والشيعة، وأصحاب الكلام، وظهر في الفقهاء التقليد، وتناقص الاجتهاد، فسبحان من له الخلق والأمر، فبالله عليك يا شيخ ارفق بنفسك، والزم الإنصاف، ولا تنظر إلىٰ هؤلاء -يعني من بقي من أئمة الحديث- ولا تنظر إلىٰ هؤلاء النظر الشذر -النظر الشذر يعني غير المستقيم يعني- ولا ترمقهم بعين النقص، ولا تعتقد فيهم أنهم من جنس محدثي زماننا، حاشا وكلا، فما في من سميت أحد والحمد لله إلا وهو بصير بالدين، عالم بسبيل النجاة".

الذهبي يقارن أئمة الحديث الذين كانوا في الطبقة التاسعة بأئمة الحديث الذين كانوا في زمانه، يقول: لا تقارن هؤلاء بأئمة زماننا، شتان ما بينهم، وقد كان زمان الذهبي أمثال الإمام المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابن العطار، وابن كثير، ابن عبد الهادي، تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ومع ذلك يقول هذا الكلام، فكيف لو رأىٰ زماننا رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟!

قال: "وليس الحجة في كبار محدثي زماننا أحد يبلغ رتبة أولئك في المعرفة، فإني أحسبك لفرط هواك تقول بلسان الحال إن أعوَزَك المقال: ما أحمد؟ وما ابن المديني؟ وأي شيء أبو زُرعة؟ وأبو داود؟ هؤلاء مُحدِّثون ولا يدرون ما الفقه، وما أصوله، ولا يفقهون الرأي، ولا علم لهم

بالبيان والمعاني والدقائق، ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق، ولا يعرفون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالدليل"

"ولا هم من فقهاء الملة، فاسكت بِحلم، أو انطق بجهل، فالعلم النافع هو ما جاء عن أمثال هؤلاء، ولكن نسبتك إلىٰ الفقه كنسبة مُحدثي عصرنا إلىٰ أئمة الحديث، فلا نحن ولا أنت، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوي الفضل، فمن اتقىٰ الله راقب الله، واعترف بنقصه، ومن تكلم بالجاه والجهل أو بالستر فأعرض عنه، وذره في غيه، فعقباه إلىٰ وبال، نسأل الله العفو والعافية" انتهىٰ المراد.



مقدمة الكتاب

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ يَسِّر وأعِن برحمَتك يَا كَرِيم)**.

قال: (أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَحْنَفِ، قَالَ: أنبئنا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْقَرَّابُ الْحَافِظ، قَالَ: أنبئنا أَبُو بكر محمد بن حَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُزَكِّي، قَالَ: أنبئنا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّرَّامُ، قَالَ: حدثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ قَبْلَ كُلِّ كَلَامٍ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي كُلِّ مَقَامٍ، وَعَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ رَبِّنَا وَعَلِيهِ أفضَل السَّلَام، أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ عَارَضَ مَذَاهِبَنَا فِي الْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ مِمَّنْ بَين ظَهْرَيْكُمْ مُعَارِض، وَانْتُدِبَ لَنَا مِنْهُمْ مُنَاقِض، ينقض ببعض مَا رَوَيْنَا فِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَعَلَىٰ آله أَصْحَابِهِ بِتَفَاسِيرِ الْمُضِلِّ الْمَرِيسِيِّ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْجَهْمِيِّ)**.

📖📖📖

المصنف: هاهنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كعادة أهل العلم ابتدأ كتابه بحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يبدأ بالحمد، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

وكذلك كان يفعل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عادة أهل العلم في كتبهم.

فبدأ بحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثم قال: **(فَقَدْ عَارَضَ مَذَاهِبَنَا فِي الْإِنْكَارِ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ)**.

التعريف بالجهم بن صفوان رأس الجهمية ومبدأ أمره

والجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان المُعطِّل، أما الجهم بن صفوان فهذا اسمه، وأما المُعطِّل فهذه صفته، لأننا سنعلم بعد ذلك أنه أُس التعطيل في أسماء الله وصفاته، وهو الذي

وضع الأصول التي سارت عليها سائر الفرق الكلامية من بعده، وإن أنكروا نسبتهم إليه، لأننا سنقرأ بعد قليل ما جاء في ذمه علىٰ لسان أهل السنة وعلىٰ لسان أهل الكلام، من المعتزلة والأشاعرة، يذمون جهمًا، وهم يُتابعونه في أصوله، وهذا عجيب.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجهمية قال: "أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُكلم موسىٰ، وأن الله ليس بمتكلم، ولا يتكلم، ولا ينطق وكلامًا كثيرًا أكره حكايته، وهم كفار زنادقة أعداء الله" انتهىٰ من طبقات الحنابلة".

وهذا المعارض الذي ينعته الدارمي ولا يسميه أخذ كل هذه الأسس عن بشر المريسي، فجعل المصنف رده ردًا علىٰ بشر المريسي وما جاء به، ولم يجعل رده علىٰ هذا المعارض، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية، فإنه ما رد علىٰ أفراد الأشاعرة في بدعهم الكلامية، ولكن رد علىٰ أُسِّهم ومناظرهم وهو الفخر الرازي، فألَّف هذا الكتاب.

فهنا يقول: إن الرد سيكون علىٰ الجهمية، فمن هم الجهمية؟ ومن رئيسهم ورأسهم؟

أما الجهمية: فهي فرقة عدَّها أكثر أهل العلم خارجة عن الإسلام، يعني ليست من الإسلام في شيء، وحكموا بكفرها.

وأما رأسها: فهو الجهم بن صفوان أبو محرز، هكذا كُنِّي، لأنه لما قُتل صاح الناس: قُتل أبو محرز، كما جاء في (**تاريخ الطبري**).

كان من الموالي، وكان ولاؤه لبني راسب، ولذلك يُقال: الجهم بن صفوان الراسبي، أبو محرز.

ولم يكن له كبير شأن في العلم، نشأ بعيدًا عن العلم والعلماء، واشتُهر بين العلماء أنه كان تلميذًا للجعد بن درهم، فالجعد بن درهم شيخه.



ولذلك قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خلق أفعال العباد: "قال قتيبة بن سعيد: بلغني أن جهمًا كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم".

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم أصل هذه المقالة -يعني مقالة التعطيل- مأخوذة عن تلامذة اليهود والنصارىٰ وضُلَّال الصابئين، وأول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها، فنُسبت مقالة الجهمية إليه".

قلنا: **والسبب في ذلك**: أن الجهم بن صفوان كان لسِنًا، يُحسن الكلام، ويدعو لهذه المقالة، فنُسبت إليه وانتشرت، وأما الجعد بن درهم فلم يكن يدعو لهذه المقالة ولم يكن يُحسن الكلام.

الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان كان مؤدبًا لمروان بن محمد، وهو آخر خلفاء بني أمية، ولذلك لُقب بمروان الجعدي، نسبة لجعد بن درهم، ولعل ذلك كان من أسباب سقوط دولة بني أمية كما يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو أول من قال بخلق القرآن، ونفي صفة الكلام عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقال: إن القرآن مخلوق وليس كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهو كذلك أول من قال بنفي الصفات، وكان يرىٰ القدر، بخلاف تلميذه الجهم بن صفوان، فإن الجهم بن صفوان كان يرىٰ الجبر، وكان متناقضًا في اعتقاده، فإنه كان يرىٰ الجبر وفي نفس الوقت كان يرىٰ الخروج علىٰ ولاة الأمر، فخرج علىٰ بني أمية وقُتل، كما سيأتي.

ونحن نعلم أن عقيدة الجبرية أن كل شيء كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقدَّره، فإذا كان علىٰ الناس حاكم ظالم جائر فهذا مما كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فعليه أن يرضىٰ، هذا الذي تقتضيه عقيدتهم،

لكنه جمع بين المتناقضات، فكان يقول بالجبر وفي نفس الوقت خرج علىٰ سلطانه وإمامه.

قتل خالد بن عبد الله القصري الجعد بن درهم يوم عيد الأضحىٰ، من أجل مقالاته، كما روىٰ ذلك كثير من المحدثين والمؤرخين، فهي قصة مشهورة ذكرها أهل العلم.

وكان سبب قتله: أنه زعم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يُكلم موسىٰ تكليمًا، فكذَّب القرآن صراحة، فقتله خالد بن عبد الله القصري، وقال كلمته المشهورة: "أيها الناس، ضحوا، تقبل الله منكم ضحاياكم، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يُكلِّم موسىٰ تكليمًا".

وشكر العلماء له هذا الصنيع، وهذا يوم أن كانت دولة الإسلام قوية، في عزة، ومنعة من جهة العقيدة، وأئمة السنة متوافرون وكان ذلك في الدولة الأموية، ولم يُنكر واحد منهم علىٰ خالد بن عبد الله القصري هذا الفعل، لماذا؟ لأنه فعله من أجل العقيدة ومن أجل الحفاظ عليها.

هذه المقالة أخذها الجعد بن درهم في سلسلة مُظلمة تنتهي إلىٰ رأسهم، الذي منه نشأت هذه المقالة.

فالجعد بن درهم أخذ هذه المقالة عن أبان ابن سمعان، وكان من غلاة الرافضة، وادعىٰ الألوهية في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وادعىٰ أن عليًا نبي، ووصي، وقال كلامًا قبيحًا.

وأخذ أبان هذا القول عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها هو عن لبيد بن الأعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهي المقالة تنتهي إلىٰ الساحر الذي سحر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو لبيد بن الأعصم، وأخذها عن يهود اليمن، فأصل المقالة اليهود.

وكان لبيد هذا يقول بخلق التوراة، فأُخذت منه هذه المقالة وقالوا بخلق القرآن؛ لأنهم



ينفون أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يتكلم كلامًا حقيقيًا.

وكان سبب انحراف الجهم بن صفوان: أنه تأثر بطائفة تسمىٰ السُمَنية، وناظرهم لما تكلم معهم في إثبات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإثبات وجوده، فأشكلوا عليه بأمور ستأتي، وستأتي هذه المناظرة في ضمن الكلام.

قالوا له: هذا الإله الذي تعبده هل تستطيع أن تصل إليه بإحدىٰ الحواس الخمس؟ يعني هل تراه؟ وهو يقول: لا، هل تستطيع أن تشمه؟ لا، هل تسمعه؟ لا، هل تمسه؟ لا، قالوا: فليس بإله، فأشكلوا عليه، فظل أربعين يومًا تاركًا للصلاة، يبحث عن جواب لهذا الإشكال الذي أوردوه عليه، وخرج لهم بجواب مفاده: تعطيل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن صفاته وأسمائه، فلما قبلوا منه هذا الجواب غرَّه عقله، وظن أنه بذلك استطاع أن يُقنعهم بالعقيدة الصحيحة السليمة، فبنىٰ علىٰ هذه العقيدة، وكان يدعو إليها، فانتشر قوله بنفي أسماء الله وصفاته.

أما علمه: فقد قلنا بأنه لم يطلب العلم ولذلك شهد غير واحد من أهل العلم علىٰ جهله:

قال عبد العزيز بن أبي سلمة: "إن كلام جهم صفة بلا معنىٰ، وبناء بلا أساس، ولم يُعد قط من أهل العلم، ولقد سُئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة، فخالف كتاب الله بجهله، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[الأحزاب:٤٩]".

وقال أيوب السختياني: "كان جهم فيما بلغنا لا يُعرَف لا بفقه، ولا ورع، ولا صلاح، وإنما أُعطي لسانًا مُنكرًا، فكان يجادل ويقول برأيه".

وقال مقاتل بن سليمان: "إن جهمًا والله ما حج هذا البيت قط، ولا جالس العلماء، وإنما كان رجلًا أُعطي لسانًا".

وقال الذهبي ونقله عنه الحافظ ابن حجر: "ما علمته روىٰ شيئًا".

ولم يكن الجهم معرضًا عن العلم فحسب، بل كان معارضًا لما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ولذلك قال الإمام أحمد عنه: "كان صاحب خصومات وكلام".

ويكفي الدلالة علىٰ موقفه من العلم وموقفه من كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن أبا نُعيم البلخي قال: "كان رجلًا من أهل مرو صديقًا لجهم، ثم قطعه وجافاه، فقيل له: لم جفوته؟ -يعني لم تركت صحبته؟- فقال: جاء منه ما لا يُحتَمَل، قرأت عليه يومًا آية كذا وكذا، فنسيها الراوي، فقال الجهم: ما كان أظرف محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ".

قال: "فاحتملتها منه، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلًا إلىٰ حكِّها لحككتها من المصحف، قال: فاحتملتها".

قال: "ثم قرأ القصص، فلما انتهىٰ إلىٰ ذكر موسىٰ قال: ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يُتمها، ثم ذكر هاهنا فلم يُتمها، ثم رمىٰ بالمصحف من حجره برجليه ووثب عليه".

فهذا يدل علىٰ قبيح فعله، وأنه كان زنديقًا، ومحاربًا لكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومع ذلك كان يضع الكتب في بيان عقيدته، ويُرسلها إلىٰ الناس، يُصنف ويدعو الناس إلىٰ هذه البدعة.

ولم يكن الجهم وحده في هذا الأمر، بل إن امرأته كذلك كانت تدعو إلىٰ هذا الأمر، وكانت تُسمىٰ زهرة، تدعو النساء وهو يدعو الرجال، وابنه محمد يدعو الصبيان، نسأل الله العافية.

فقد جاء عن مكي بن إبراهيم رَحِمَهُٱللَّهُ شيخ الإمام البخاري أنه قال: "دخلت امرأة جهم علىٰ امرأته أم إبراهيم، وكانت امرأة الجهم ديدانية -تبدو أسنانها-، بضب كما هو عندنا في

العامية المصرية، فقالت: يا أم إبراهيم، إن زوجكِ هذا الذي يُحدّث عن العرش من نجَّره؟"، يعني من النجار الذي صنع هذا العرش؟ تتكلم عن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، فقالت لها: "نجَّره الذي نجَّر أسنانك هذه".

وعن الأصمعي أنه قال: "قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله علىٰ عرشه، فقالت: محدود علىٰ محدود"، تريد أن تنفي العرش، وهم ينفون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء، فقال الأصمعي: "هي كافرة بهذه المقالة".

وأما ابنه فكان مُقربًا عند الخليفة العباسي المأمون، كان يُقربه ويُدنيه ويُجلسه معه كما يفعل ببشر المريسي.

خرج الجهم بن صفوان علىٰ دولة بني أمية وقُتل في خروجه هذا.

ولذلك اختلف أهل العلم في سبب مقتله، هل قُتل من أجل السياسة؟ أم قُتل من أجل هذه المقالة؟ فمن أهل العلم وهم قلة جدًا الذين قالوا: إنما قُتل الجهم بن صفوان من أجل خروجه، ومن أجل السياسة، والخروج مبني علىٰ اعتقاد فاسد.

وممن قال هذا الكلام: الشيخ جمال الدين القاسمي -عفا الله عنه- صاحب التفسير، فقال في كتابه (**تاريخ الجهمية والمعتزلة**) قال عن الجهم حينما وصفه قال: "كان داعيًا للكتاب والسنة، ناقمًا علىٰ من انحرف عنهما، مجتهدًا في أبواب من مسائل الصفات".

قال هذا الكلام في الجهم بن صفوان، فزكَّاه ومدحه، وهذا كلام باطل، وكلٌ يُؤخَذ منه ويُرد إلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا شك بأنه قُتل بسبب هذا الاعتقاد الفاسد الذي بُني عليه هذا المعتقد الباطل عند كل الفرق الكلامية.

الجهم بن صفوان كفَّره أهل العلم، لما بدر منه، ولما أقاموا عليه من حجة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقال أبو حنيفة مثلًا في بيان حاله قال: "أتانا من الشرق رأيان خبيثان: جهم مُعطِّل، ومقاتل مُشبِّه"، مقاتل بن سليمان، كان ممثلًا، يُمثِّل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بصفات المخلوقين.

وعن ابن مبارك قال: "ذُكر الجهم في مجلس أبي حنيفة، فقال: ما يقول؟ قالوا: يقول: القرآن مخلوق، فقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف:٥]".

ورُوي أن الجهم بن صفوان قصد أبا حنيفة للكلام معه، فلما لقيه أبو حنيفة ودعاه إلىٰ المناظرة - فقال له أبو حنيفة: "الكلام معك عار، والخوض فيما أنت فيه نار تلظىٰ، بلغني عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة".

يقول إبراهيم بن طهمان: "ما ذكرته -أي الجهم- ولا ذُكر عندي إلا دعوت الله عليه، وما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه هذا العظيم".

وقال مالك بن أنس: "الكلام في الدين كله أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، القدر، ورأي جهم، وكل ما أشبهه، ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عمل، فأما الكلام في الله فالسكوت عنه؛ لأني رأيت أهل بلدنا -يعني من سبقه من الصحابة والتابعين في المدينة- ينهون عن الكلام في الدين إلا ما كان تحته عمل".

وقال عبد الله بن المبارك: "عجبتُ لشيطان أتىٰ الناس داعيًا إلىٰ النار، واشتُق اسمه عن جهم"، يعني جهنم، فسُمي الجهم بن صفوان.

المتكلمون يطعنون في الجهم وهم علىٰ أصوله

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "إنه ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون علىٰ أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرىٰ والله ألا يُناكَحوا ولا يُوارَثوا"، يعني حكم عليهم بالكفر والزندقة.

وكفَّره غير واحد من أهل العلم.

قال الشيخ حافظ حكمي: "جهم بن صفوان شقيق إبليس، لعنهما الله، وكان مُلحِدًا عنيدًا وزنديقًا زائغًا مبتغيًا غير سبيل المؤمنين".

وقال الشيخ محمد خليل هراس: "وكان جهم من أكذب الناس علىٰ الله، وأعظمهم فتنة وضلالة في الدين".

وأما علماء الكلام الذين يتبرؤون منه ومن طريقته مع أنهم يسيرون علىٰ أصوله في تقرير العقيدة فقد جاء عنهم كذلك تكفيره، وجاء عنهم ذمه.

فيقول مثلًا تاج الدين السبكي الأشعري: "ونحن علىٰ قطع بأنه رجل مبتدع، وما لنا ولجهم! وهو عندنا شر المبتدعة، من قال بهذه المقالة فهو كافر، لا حياه الله ولا بياه، كائنًا من كان".

وقال عبد القادر القاهر البغدادي، قال: "وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته، وأكفرته القدرية في قوله بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالق أعمال العباد".

وقال الشهرستاني: "وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه، ونسبته إلىٰ التعطيل المحض".

بل طعن فيه المعتزلة أنفسهم، مع أنهم أخذوا أصولهم كالقول بخلق القرآن عنه، فطعن فيه الجاحظ، ولم يترجم له المرتضىٰ في طبقات المعتزلة.

وأشار القاضي عبد الجبار إلىٰ أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة كان يرد علىٰ الجهم بن صفوان، وكذلك القاضي عبد الجبار. وذكر المقريزي في الخطب أن المعتزلة كفَّروه.

وهذه النقولات حجة عليهم، لماذا؟ لأنهم يُكفِّرونه ويُبدِّعونه في موضع ثم هم يسيرون علىٰ أصوله في سائر عقيدتهم.

فأصل مقالة التعطيل مأخوذة عن الجهم والجهمية.

قال الإمام الدارمي: "فكان من صنع الله لنا في ذلك: اعتماد هذا المعارض علىٰ كلام بشر، إذ كان مشهورًا عند العامة بأقبح الذكر، مفتضحًا بضلالاته في كل مصر، ليكون ذلك أعون لنا علىٰ المعارض عند الخلق، وأنجع في قلوبهم لقبول الحق، ومواضع الصدق، ولو كنىٰ فيها عن بشر كان جديرًا أن ينفذ عليهم بعضه في خفاء وفي ستر، ولم يفطن له من الناس إلا كل من تبصر، غير أنه أفصح باسم المريسي وصرَّح، وحقق علىٰ نفسه الظن وصحح، ولم ينظر لنفسه ولا لأهل بلاده ولم ينصح، فحسب امرئ من الخيبة والحرمان، وفضيحة من الكور والبلدان، أن يكون إمامه في توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بشر بن غياث المريسي".

الكُور: جمع كَورة، وهي: المدينة الصغيرة، والصقع، كما جاء في القاموس.

من الخذلان أن يكون إمام المرء غير رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

هذا من الخذلان، أن يكون إمام المرء واحدًا من رؤوس البدعة، كما أنه من الخذلان أن يكون إمام المرء واحدًا أو جماعة من الجماعات الحزبية، فإن سقف المرء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له إمام إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعلماء منارات يدلون عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك هم هداة هذه الأمة ومصابيح الدجىٰ.

ولذلك كل قول يُوزَن علىٰ كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما هذه الحزبية فإنها تحمل المرء علىٰ ضيق أفُقه والعطن، فلا ينظر إلىٰ الدين إلا من خلال هؤلاء، ولا يأخذ تفسير الكتاب والسنة إلا من خلال هؤلاء.

ولذلك ذم السلف الصالح هذه الحزبية التي نعيشها الآن وحاربوها، فجاء في ترجمة مُطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ التابعي الجليل أنه كان يفِد علىٰ زيد بن صُحان العالم المُحدِّث، وكان زيد يعقد مجلسًا لطلبة العلم، وكانوا يذكرون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويتفكرون في خلق الله، يعني كان مجلس رقائق، فلما دخل عليهم وجدهم قد وضعوا كتابًا، وفي هذا الكتاب: الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن دستورنا، ومن كان معنا كنا معه، ومن كان علينا كنا كذا وكذا، البنود دي نفس بنود الإخوان المسلمين، الله غايتنا، والقرآن دستورنا، والموت في سبيل الله أسمىٰ أمانينا، نفس الشعارات، ثم السمع والطاعة لهم.

فوضعوا هذه البنود، وأخذوا يمررونها علىٰ الجالسين، فكلما مروا علىٰ رجل من هؤلاء يقولون: أقررت يا فتىٰ؟ يقول: أقررت، أقررت يا فتىٰ؟ يقول: أقررت، حتىٰ جاء إلىٰ مطرف بن عبد الله، وكان أصغر القوم، فقالوا له: أقررت يا فتىٰ؟ فنظر في الورقة وقال: لا، فهمُّوا به، فقال زيد بن صحان: علىٰ رسلكم، ماذا عندك يا فتىٰ؟ فقال: إني قطعتُ عهدًا مع الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أريد أن أقطع عهدًا غيره، هذا العهد هو أخْذُ ما جاء في القرآن والسنة علىٰ وجه الشمول والعموم، بفهم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بفهم هؤلاء... فعلموا خطأهم وأقلعوا عما عزموا عليه، لصدقهم في طلب الحق.

فحسب امرئ من الخيبة والحرمان أن ينضم إلىٰ جماعة غير جماعة أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يأخذ فهم القرآن والسنة من غير أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه لا بد

أن يضل، إن لم يضل في الفتنة هذه لا بد أن تأتي فتنة أخرىٰ يضل فيها؛ لأن هؤلاء -أعني الإخوان المسلمين كمثال- لما وضعوا هذه الأصول قالوا: لا يجوز لك أن تفهمها إلا من خلال الأصول العشرين التي وضعها حسن البنا، فكل ما جاء في خلاف هذه الأصول فإنه لا يُقبَل، حتىٰ لو قلت له: قال ذلك أبو بكر، أو عمر، أو حتىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعض الفِرق قد تنجو من فتنة معينة، لماذا؟ لأن الأصل الذي عندهم وافق نهج أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأصل في هذه الجزئية، فإذا جاءت فتنة أخرىٰ... والفتن تترىٰ كما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني أرىٰ الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر»، هذا هو حال الدنيا، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، لن يجد سبيلًا من النجاة من الفتنة التي تأتي بعد ذلك في حزبه وجماعته وكلام مرشده وأميره، فيضل نسأل الله السلامة.

ولذلك الذي ينجو من جميع الفتن من كان مقتفيًا أثر أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي فتنة ترد علىٰ الإنسان طالما أنه متمسك بنهج أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا وعملًا فلن تضره إن شاء الله.

بعض الناس يقولون: نحن أتباع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحن سلفيون، ومع ذلك ما تأتي فتنة إلا ويخوضون فيها بألسنتهم، ويقعون في هذه الفتن، ويضلون، إنما الذي ينجو من هذه الفتن المُتابع لأصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القول والعمل.

فقال: "حسب امرئ من الخيبة والحرمان، وفضيحة في الكور والبلدان، أن يكون إمامه في توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بشر بن غياث المريسي".

لماذا هذا الخذلان؟ لأن بشر بن غياث كما سيأتي لا يُثبت توحيدًا، لا يُثبت ربًا، يعبد عدمًا.

قال: "أن يكون إمامه في توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بشر بن غياث المريسي، الملحد في أسماء

الله، المفتري المعطل لصفات ربه الجهمي، أنشأ هذا المعارض يحكّي في كتاب له عن المريسي، من أنواع الضلال وشنيع المقال، والحجج المحال، ما لم يكن بكل ذلك نعرفه ونصفه فيه، برثاثة مناقضة الحجج".

الرثاثة والرث: الشيء البالي، وجمعه: رِثاث، يُقال: رثّ الحبل يرثّ رثاثة، وفلان رث الهيئة، وإذا أرثّ الثوب أي: أخلق.

فحُجج بشر المريسي وحجج المعارض الذي ينقل عن بشر المريسي حجج رثة، لا قيمة لها.

📖📖📖

فقال: **(أنشأ هذا المعارض يحكي في كتاب له عن المريسي، من أنواع الضلال وشنيع المقال، والحجج المحال، ما لم يكن بكل ذلك نعرفه ونصفه فيه، برثاثة مناقضة الحجج، ما لم يكن يقدر أن يصفه، فتجافينا عن كثير من مناقضة المعارض)**.

تجافينا يعني: ابتعدنا.

(وقصدنا قصد المريسي العاسر في قوله الداحض، لما أنه أمكن في الحجاج من نفسه، ولم يفطن لغور ما يخرج من رأسه، من الكلام المدلس المنقوض والكفر الواضح المروفوض).

📖📖📖

بعض الكلمات صعبة، تحتاج إلىٰ بيان، نقف عندها ليتضح المراد.

يقول: "فتجافينا"، تجافينا مأخوذة من الجفوة، وهو البعد.

ويقول كذلك: **(وقصدنا قصد المريسي العاسر)**.

العسرة: هي الذلة، والعسرة في اللسان: التلعثم.

وقال: "في قوله الداحض"، يعني الباطل.

قال: **(ولم يفطن لغور ما يخرج من رأسه من الكلام المدلس المنقوض)**.

"المدلس" مأخوذ من الدلس، و"الدلس": الظلمة، والخداع، والغدر.

📖📖📖

ثم قال: **(وكيف يهتدي بشر للتوحيد وهو لا يعرف مكان واحده، ولا هو بزعمه في الدنيا ولا في الآخرة بواجده،فهو إلىٰ التعطيل أقرب منه إلىٰ التوحيد، وواحده بالمعدوم أشبه منه بالموجود)**.

إذًا بشر لن يهتدي إلىٰ ربه وخالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه لا يُثبت شيئًا، ينفي عنه أسماءه وصفاته.

ولذلك جاء في مناظرة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول صفات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما يبين أن الجهمية يقولون: ما فوق العرش رب يُدعَىٰ، لا يُثبتون عرشًا، ولا يُثبتون إلهًا في السماء يُعبَد ويُقصد.

ويقولون: إن الداعي ليس بحاجة لأن يرفع يده إلىٰ السماء، بل لو وضعها إلىٰ الأرض كذلك لجاز له، ولا يقبلون ما جاء عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الباب مما يُخالفهم بل يردونه أو يحرفون معناه تحت ستار التأويل الحادث.

فلما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام أمام رجل سلمت فطرته قال: هؤلاء قد ضيَّعوا الله، وإلا فأين الله؟! يعني هؤلاء ضيَّعوا خالقهم ومعبودهم، فليبحثوا لهم عن إله.

📖📖📖



الخلاف في إثبات المكان لله تعالىٰ

فهنا يقول: (وكيف يهتدي بشر للتوحيد، وهو لا يعرف مكان واحده؟!).

فأثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المكان، وفي كلام السلف نجد منهم من يُثبت المكان لله، ومنهم من يتوقف في هذا الأمر نفيا وإثباتا حتىٰ يستفسر، كإثبات المكان، والحيز، والجهة، والجسم، وغير ذلك من هذه الألفاظ، لماذا؟ لأن هذه الألفاظ لم ترد لا في كتاب الله ولا في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكانوا يتوقفون عندها حتىٰ يعلموا المعنىٰ المراد من القائل، فإن أثبت معنىٰ صحيحًا أثبتوا هذا المعنىٰ، وتوقفوا في اللفظ، وإن أثبت معنىٰ باطلًا ردوا ذلك.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الألفاظ قال:** "وحقيقة الأمر يكون في المعنىٰ، أن يُنظَر إلىٰ المقصود، فمن اعتقد في لفظة المكان أن المكان لا يكون إلا ما يفتقر إليه المتمكن، فمعلوم أن الله سبحانه ليس في مكان بهذا الاعتذار، لأن هذا يعني افتقار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذا المكان، ومن اعتقد أن العرش هو المكان، وأن الله فوقه مع غناه عنه، فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار" فلابد من الاستفسار والتفصيل.

وهذا سنجده في كل الألفاظ التي يُوردها هؤلاء، يعني يقولون: الله عَزَّوَجَلَّ ليس بجسم، فيقال لهم: ماذا تقصدون بلفظة جسم؟ إن أرادوا أنه أبعاض وأجزاء يفتقر بعضها إلىٰ بعض فهذا لا يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتحتاج إلىٰ تركيب وتأليف وغير ذلك، فهذا لا يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإن أرادوا بالجسم أن الله عَزَّوَجَلَّ له صفات تليق بجماله وجلاله كما جاء في الكتاب والسنة فنقول: نُثبت ما جاء لله عَزَّوَجَلَّ من هذه الصفات لكن لا نُطلق هذا اللفظ؛ لأنه لم يرد في الشرع.

قال: "فمما يجب نفيه"، هذا شيخ الإسلام يقول: "فمما يجب نفيه بلا ريب: افتقار الله

إلىٰ ما سواه، فإنه سبحانه غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، فلا يجوز أن يُوصَف بصفة تتضمن افتقاره إلىٰ ما سواه.

وأما إثبات النِسب والإضافات بينه وبين خلقه فهذا متفق عليه بين أهل الأرض، فالفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين الذات والذات.

وأما علوه علىٰ العالم ومباينته للمخلوقات، فمتفق عليه بين الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة وأئمتها".

ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان لفظة الجهة، لأن المعطلة ينفون إثبات الجهة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونحن نقول: الله عَزَّوَجَلَّ في جهة العلو، صحيح وهذا لا محظور فيه.

ولذلك قال شيخ الإسلام: "لم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يُثبتونها لله -يثبتون الجهة- لأنه لا محظور في إثباتها البتة، حتىٰ نفتها المعتزلة، ثم تبعهم علىٰ نفيها متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي ومن اقتدىٰ بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة"، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة:٥]، والعروج إنما يكون لأعلىٰ، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤]، وقال: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[الملك:١٦].

"فإن قيل: إن هذا من المتشابهات"، يعني هذه الآيات من المتشابهات، "يقال لهم: عاد الشرع كله متشابهًا"، لأن الآيات كثيرة جدًا، وأحاديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كذلك.

قال: "وجميع الحكماء اتفقوا علىٰ أن الله والملائكة في السماء".

قال: "والشبهة التي قادت نفاة الجهمية إلىٰ نفيها"، يعني لماذا نفت الجهمية إثبات

الجهة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ لماذا لم يُثبتوا جهة لله عَزَّوَجَلَّ جهة العلو؟ لأنهم اعتقدوا ان إثبات الجهة يُوجب إثبات المكان، السلسلة الشيطانية، إثبات الجهة يُوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يُوجب إثبات الجسمية، وإثبات الجسمية يُوجب إثبات الأبعاض؛ لأنه لا جسم إلا وهو ذو أبعاض، وإثبات الأبعاض يُوجب الافتقار، والافتقار يُوجب الحدوث، سلسلة شيطانية، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

فبشر المريسي علىٰ هذه الطريقة لا يهتدي للتوحيد، ولا يكون تفسيره لقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أو لكلمة التوحيد لا إله إلا الله كتفسير النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والصحابة، لا معبود حق إلا الله.

قال الدارمي: "فهو لا يعرف مكان واحده، ولا هو بزعمه في الدنيا ولا في الآخرة واجده، فهو إلىٰ التعطيل أقرب منه إلىٰ التوحيد".

التعطيل لغة واصطلاحًا

التعطيل في لسان العرب مأخوذ من مادة عَطَل، يقال: عطلت المرأة وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي، ولم تلبس الزينة، وخلا جيدها من القلائد، الجيد: الرقبة، كما قال امرؤ القيس في معلقته:

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ إذا هي نصَّته ولا بمعطل

وهذا أحسن الجيد، "إذا نصَّته": أظهرته، "ليس بفاحش"، يعني ليس بطويل الطول الفاحش، "ولا بمعطِل" يعني وليس بخالٍ من الحلي.

وأما التعطيل في الاصطلاح: فهو نفي صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أو نفي بعضها عن الله، نفي صفات الله كلها أو نفي بعضها، فليس شرط التعطيل النفي التام، بل من نفىٰ بعضها أو

حرفها دخل في زمرة المعطلة.

"والتعطيل: أصل الشرك"، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ "وقاعدته التي يرجع إليها، وهو ثلاثة أقسام"، لا يخرج عنها التعطيل:

- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، أن يقول: إن هذا العالم لا خالق له، ولا رب له، ولا صانع له، كما قال النمروذ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ادعىٰ الربوبية، وكما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨]، وكما قال فلاسفة اليونان، فإنهم زعموا قِدم العالم، وأنه ليس مخلوقًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأول أنواع التعطيل: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

- **والنوع الثاني**: تعطيل الصانع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن كماله المقدس، بتعطيل أسماءه وأوصافه وأفعاله، تعطيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصانع عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه، وصفاته، وفعاله، فلا يُثبتون لله اسمًا، ولا صفة، ولا فعلًا، كالجهمية، لا يُثبتون لله اسمًا، ولا صفة، ولا فعلًا، وكالمعتزلة، يُثبتون أسماء بلا صفات، وكالأشعرية، ينفون أفعال الله الاختيارية، فالله عندهم لا يرضىٰ، ولا يغضب، ولا يفرح، ولا يأتي، ولا يجيء، لماذا؟ لأن هذه الأفعال تُفيد الحدوث -زعموا-، يفرح بعد أن لم يكن فرحًا، يغضب بعد عدم غضبه، يتكلم بعد عدم كلامه، فتُفيد الحدوث، وما يحل به الحوادث فهو حادث، وهذا أصل الجهم بن صفوان، فيلعنونه ويُبدعونه ويُكفرونه، ثم يسيرون علىٰ نهجه.

- **والنوع الثالث**: تعطيل معاملته عما يجب علىٰ العبد من حقيقة التوحيد، تعطيل معاملة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عما يجب علىٰ العبد من حقيقة التوحيد، يعني كلمة التوحيد تقتضي الإقرار، والنطق، وعمل الجوارح، فمن خالف في شيء من هذه الأمور فقد عطل الكلمة



عن مقتضاها، وكلٌّ بحسبه فمُقلٌّ ومستكثر.

📖📖📖

قال: (فهو إلىٰ التعطيل أقرب منه إلىٰ التوحيد، وواحده بالمعدوم أشبه منه بالموجود).

ثم قال: (وسنُعبر لكم عنه من نفس كلامه، ما يُحكم عليه بالجحود، بعون الملك المجيد الفعال لما يريد، ولولا ما بدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسي وبثها فيكم، ما اشتغلنا بذكر كلامه مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب بعض الجُهَّال، فيُلقيهم في شك من خالقهم وفي ضلال، أو أن يدعوهم إلىٰ تأويله المحال، لأن جُل كلامه تنقص ووقيعة في الرب، واستخفاف بجلاله وسب، وفي التنازع فيه يُتخوَّف الكفر ويُرهَب).

فالذي حمل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **علىٰ الرد**: أنه خشي أن يعلق هذا الكلام الذي نشره هذا المعارض وقد أخذه من بشر المريسي، خشي أن يعلق بقلوب بعض الناس والجُهال، فكتب هذا الرد لكي يرد عليه.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام أئمة السلف في بيان حال الجهمية وبيان كلامهم وحالهم.

📖📖📖

معنىٰ قول ابن مبارك: لَأَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "لَأَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحكي كَلَام الْجَهْمِية".

حَدثنَاه الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، قَالَ: حدثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَن بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ).

من ميزة هذا الكتاب: أنه يسوق أقوال السلف بأسانيدها، فهو كتاب مُسنَد، والمصنف هاهنا ذكر قول عبد الله بن المبارك الذي يبيّن فيه شناعة كلام الجهمية، **فقال**: "لَأَنْ أَحْكِيَ

كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحكي كَلَام الْجَهْمِية".

ولكي تقف علىٰ معنىٰ ومغزىٰ هذا الأثر عليك أن تتذكّر ما وصفت به اليهود والنصارىٰ ربهم من المعائب، من الفقر فقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وكذلك قالوا: يد الله مغلولة، ونسبوا إليه الولد، ونسبوا إليه التعب بعد خلقه للخلق، ونفوا عنه كل صفات الكمال، تذكّر هذه الفعال من اليهود والنصارىٰ وحينئذٍ تعلم أن ما جاءت به الجهمية أعظم مما جاءت به اليهود والنصارىٰ، كيف ذلك؟

فاليهود والنصارىٰ لم يصفوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعدم، فأثبتوا له السمع والبصر واليد، أثبتوا هذه الصفات، ولذلك في التوراة أسماءٌ وصفاتٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهناك كتب أُلّفت في أسماء الله الحسنىٰ في الكتاب المقدس -كما يسمونه-، وصفاته كذلك موجودة في هذا الكتاب.

فهم أثبتوا الأسماء والصفات، شبّهوا، ومثّلوا، المهم أنهم أثبتوا، ولم يصفوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعدم، ولذلك الشرك مع الإثبات أقل كفرًا من الإلحاد في الله وأسمائه وصفاته، فالملحد أعظم جرمًا وذنبًا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من المشرك؛ لأن الملحد عطّل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته، وعطّله عن صنعته وخلقه، وعطّله عن عبوديته، المشرك يشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعبده ويعبد غيره معه، فكان حال الجهمية أشد ضلالًا وكفرًا من حال اليهود والنصارىٰ.

ولذلك قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (**خلق أفعال العباد**) قال: "نظرت في كلام اليهود والنصارىٰ والمجوس فما رأيت أضلّ في كفره منهم"، أي: من الجهمية، فهم أضلّ في كفرهم من اليهود والنصارىٰ والمجوس.

وقال الشيخ الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصفات الإلهية في قول عبد الله بن المبارك، قال: "وقد صدق، ولا يشك في صحة قول ابن المبارك وصدقه من سمع كلام بِشرٍ السابق آنفًا، ذلك

الكلام -هو يقول هذا الكلام- ذلك الكلام الذي يقشعرّ جلد المرء عند النطق به ويقف شعره، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلىٰ به بِشرًا وأمثاله".

📖📖📖

قال: (فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَرِهْنَا الْخَوْضَ فِيهِ، وَإِذَاعَةَ نَقَائِصِهِ حَتَّىٰ أَذَاعَهَا الْمُعَارِضُ فِيكُمْ، وَبَثَّهَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ).

قاعدة منهجية: أهل العلم لا يتكلمون في مثل هذه الأمور إلا إذا أُذيعت وانتشرت بين الناس ما يخالفها، فالأصل في الناس صحة الاعتقاد، فلا يُبحث في مثل هذه الأمور.

ولذلك كان مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكره الكلام في الأسماء والصفات، لماذا؟ لأن الناس علىٰ عقيدة سليمة صافية لا يحتاجون للكلام في مثل هذه الأمور، لكن متىٰ يُتكلم في مثل هذه الأمور؟ عندما ترد علىٰ الناس الشبهات من هؤلاء المبتدعة والضلّال فيحتاج الناس بعد ذلك للرد عليهم وبيان المنهج الصحيح.

📖📖📖

فقال: (حَتَّىٰ أَذَاعَهَا الْمُعَارِضُ فِيكُمْ، وَبَثَّهَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَخَشِينَا أَلَّا يَسَعَنَا إِلَّا الْإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ بَثَّهَا وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا، مُنَافَحَةً عَنِ اللهِ، وَتَثْبِيتًا لِصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ وَلِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَدعاءً إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَىٰ، وَمُحَامَاةً عَنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْغَفْلَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصبيان أَن يضلوا بهَا أو أن يفتتنوا إِذْ بَثَّهَا فِيهِمْ رَجُلٌ كَانَ يُشِيرُ إِلَيْه بَعْضُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ فِقْهٍ وَبَصَرٍ).

بعض الناس إذا تكلم بشيء من الفقه ظن الناس أنه عالمٌ في كل شيء فيستفتونه في كل شيء، وربما كان علىٰ عقيدة باطلة ضالّة فيضلّ ويُضِلّ الناس، وقد كان ذلك حال بشر المريسي.

فمن أجل ذلك تكلم الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصنّف هذا الكلام منافحةً عن الله وهذا أعظم

الشرف، أن يُؤَلّف في أسماء الله وصفاته وأن يُنافَح عن أسماء الله وصفاته، فالتأليف في ذلك أشرف بكثير من التأليف في العمليات كالفقه والمعاملات والعبادات وغير ذلك؛ لأن هذا أصل الدين، وكلٌّ شريف.

📖📖📖

قال: (وَتَثْبِيتًا لِصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ).

ولذلك لو لم يؤلف هؤلاء ويدافعون عن أسماء الله وصفاته ما وصلت إلينا نقيّةً صافية كما كان عليه سلف الأمة إلىٰ الآن، فجعلهم الله أسبابًا يحفظ بهم دينه الخاتم.

📖📖📖

قال: (إِذْ بَثَّهَا فِيهِمْ رَجُلٌ كَانَ يُشِيرُ إِلَيْه بَعْضُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ فِقْهٍ وَبَصَرٍ وَلَا يَفْطنُون لعثراته إِذْ هُوَ عَثَرَ، فَيَكُونُوا مِنْ أَخَوَاتِهَا مِنْهُ علىٰ حذر، وقد كَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ أَنَّهُ سَمِعَ عِيسَىٰ بْنَ يُونُسَ يَقُولُ: "لَا تُجَالِسُوا الْجَهْمِيَّةَ، وَبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ كَيْ يَعْرِفُوهُمْ فَيَحْذَرُوهُمْ").

وجوب الرد علىٰ المبتدعة

وهذا أصلٌ في التحذير من أهل البدع، وليس مختصًا بالجهمية، بل هذا عام في كل مبتدعٍ ضالّ يحاول أن يحرّف الدين، لا بد أن يُحَذّر منه، وكل بدعةٍ في كل زمان بحسبها، فإذا أظهر الناس بدعة الخروج ردّ علماء السنة عليهم، وإذا أظهروا بدعة القول بخلق القرآن ردّ علماء السنة عليهم، وكذلك إذا عطّلوا أسماء الله وصفاته ردّوا عليهم كذلك، وأكثروا في الرد عليهم حتىٰ يقول المبتدع: هؤلاء ليس لهم كلام إلا في كذا...يذمون علماء السنة وطلاب العلم وقد سمعنا ذلك كثيرًا.

فقوله: (لَا تُجَالِسُوا الْجَهْمِيَّةَ) هو هو لا تجالسوا أي مبتدع، (وَبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ كَيْ يَعْرِفُوهُمْ فَيَحْذَرُوهُمْ).

ومثله كان قول مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء قاعدةً كليةً مستمرةً في كل صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولذلك بدلًا من أن نقول: الاستواء معلوم نقول: الصفة معلومة والكيف مجهول، والإيمان بهذه الصفة واجب وبالكيف واجب، والسؤال عن الكيف بدعة، هذه قاعدة عامة أخرجناها من قول مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تهوين أهل البدع من شأن البدع

والتحذير من البدعة والمبتدعين متواترٌ في كتب الأئمة، في كتب الحديث وفي كتب الاعتقاد، وكذلك في قرآن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الآية العمدة في التحذير من هؤلاء: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾[آل عمران:٧].

النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في هذه الآية: «أولئكِ» -يخاطب عائشة- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «الذين سمّىٰ الله فاحذروهم»، فاحذروهم واحذروا بدعتهم.

وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث العرباض بن سارية قال: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة».

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك في تعليقه علىٰ حديث كعب بن مالك لما هجره النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه خمسون يومًا، قال: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة علىٰ هذا مجمعين متفقين علىٰ معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم، فيُهجر أهل البدع حتىٰ يتوبوا ويرجعوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويبيّنوا ما هم عليه من الضلال".

وذكر الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثارًا كثيرة في كتابه الاعتصام، وكذلك مثله ابن بطة في كتاب الإبانة وهو كتابٌ عظيم في العقيدة، والإمام الآجري كذلك في كتاب الشريعة، كل هؤلاء

يعقدون أبوابًا في التحذير من البدعة والمبتدعين، وما قال واحدٌ عن هؤلاء أنهم مفرّقة!، أنهم فرّقوا الأمة ومزّقوها وكانوا السبب في تأخّرها وفي تسلّط الأعداء عليها!، بل والله هؤلاء هم الذين حفظوا لنا دين رب العالمين.

📖📖📖

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ).

(افْتَتَحَ هَذَا الْمُعَارِضُ كِتَابَهُ بِكَلَامِ نَفْسِهِ مُثَنِّيًا بِكَلَامِ الْمَرِيسِيِّ، مُدَلِّسًا عَلَىٰ النَّاسِ بِمَا يوهِمُّ أَنْه يَحْكِي وَيُرِىٰ مَنْ قِبْلَهُ مِنَ الْجُهَّالِ وَمَنْ حَوَالَيْهِ مِنَ الْأَغْمَارِ أَنَّ مَذَاهِبَ جَهْمٍ وَالْمَرِيسِيِّ فِي التَّوْحِيدِ كَبَعْضِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْإِيمَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَكَاخْتِلَافِهِمْ فِي التَّشَيُّعِ وَالْقَدَرِ، وَنَحْوِهَا كَيْ لَا ينفرُوا مِنْ مَذَاهِبِ جَهْمٍ وَالْمَرِيسِيِّ أَكْثَرَ مِنْ نُفُورِهِمْ مِنْ كَلَامِ الشِّيعَةِ والمُرْجِئة والقَدَرِيّة).

الأغمار جمع غُمْر بالضم، وهو الجاهل الغِر الذي لم يجرّب الأمور، فيغري من حوله من الأغمار.

الذي يريد أن يقوله الإمام هاهنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أن بعض الناس -وهذا نجده في زماننا كذلك- بعض الناس يهوّنون من بدعة جماعةٍ بعينها، أو من بدعة شخص بعينه، أو رأسٍ من رؤوس البدع، يعني هذا نسمعه كثيرًا يقولون: الخلاف لا يعدو أن يكون خلافًا فرعيًا، لم يصل إلىٰ الاختلاف في الأصول، يقولون: هذه الجماعات سبيلها الوصول لتحكيم الشريعة وهذا هدفها، وهي وإن اختلفت طرقها فغايتها واحدة، ولا خلاف بين هذه الجماعات في الأصول، هذا يدندن عليه كثيرًا بعض الحزبيين في كتابٍ له اسمه فقه الخلاف، يذكر فيه أن الإخوان المسلمين والتبليغيين والجماعة المسلّحة والجهاديين هؤلاء لا خلاف بينهم في الأصول، وإنما الخلاف في طريق التمكين، وغايتهم واحدة، يهوّن



من هذا الخلاف.

وهذا الذي صنعه هذا المعارض، أراد أن يهوّن من بدعة الجهم بن صفوان، وأن يبيّن أنها ليست بدعةً مكفّرة، وإنما هي خطأٌ في الدين كالخطأ في اختلاف الناس في الإيمان في القول والعمل، بعض الناس يقول: الإيمان هو التصديق والقول، وبعضهم يقول: القول والعمل، وبعضهم يقول: هو مجرد التصديق.

وهناك فرق ينبغي توضيحه: هذه الجماعات أو الفرق التي قالت هذا الكلام وتأوّلت هذا الكلام ليست جماعات كفرية، ولذلك ما كفّرها العلماء بسبب التأويل، فهذا المعارض يريد أن يسوّي الجهم بهؤلاء، وأن ما وقع فيه الجهم هو هو كالذي وقع فيه هؤلاء.

وكذلك الزيادة والنقصان، فأهل السنة هم الذين يقولون: الإيمان يزيد وينقص، وسائر الفرق يقولون بخلاف ذلك.

فمنهم من يقول: يزيد ولا ينقص، ومنهم من يقول: لا يزيد ولا ينقص، والذين يقولون بالزيادة والنقصان هم أهل السنة فقط.

أهل السنة والجماعة يقولون: يزيد وينقص بخلاف غيرهم لأن كل الفرق الأخرىٰ تقول: إن الإيمان كلٌ لا يتبعّض ولا يتجزّأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، بخلاف أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان حقيقته أبعاضٌ وأجزاء، قد يذهب بعضه فيذهب أصله، وقد يذهب بعضه ولا يذهب أصله، وإنما الذي يذهب كمال الإيمان الواجب كالشجرة، كما ضرب المثال شيخ الإسلام في كتاب الإيمان، الشجرة إن قطعت أغصانها، أو فروعها، أو ثمارها نقصت الشجرة لكنها لا تموت، بخلاف لو قطعت جذعها فإنها تموت، فهو يريد هنا أن يهوّن من جُرم وكفر الجهم وأن يساوي ما فعله الجهم بما فعله هؤلاء.

قال: (وَكَاخْتِلَافِهِمْ فِي التَّشَيُّعِ).

كاختلافهم في التشيُّع، التشيُّع مأخوذٌ من المشايعة وهي: المتابعة والمطاوعة، وقد كان يُطلق في مبدأ الأمر علىٰ من يوالي عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ويحب آل البيت مع حفظ مكانة أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم صار علمًا بعد ذلك علىٰ من يتنقّص أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويقدّم عليًا عليهم، وهم الذين يُسمَّون في هذه الأيام بالرافضة، يُسمَّون ويشتهرون بالرافضة، الذين رفضوا زيدًا لما سألوه عن أبي بكرٍ وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فذكر لهما المكانة الجليلة، فهذا كذلك يريد أن يبيّن أن ما فعله جهم كما فعله الشيعة.

وكاختلافهم في القدر في خلق أفعال العباد، والذين قالوا بخلق أفعال العباد تأوّلوا ذلك.

ولذلك التأويل الفاسد جنىٰ جنايةً عظيمةً علىٰ الإسلام والمسلمين، كل الفرق التي تنتسب إلىٰ الإسلام وانحرفت عن العقيدة الصحيحة كان سبب ذلك: التأويل الفاسد لكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد صدقت فيهم نبوءة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قال: «هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الْكِتَابِ وَاللَّبَنِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْكِتَابُ وَاللَّبَنُ؟ قَالَ: «يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدَعُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمَعَ وَيَبْدُونَ».

فهؤلاء الذين قالوا بخلق أفعال العباد مثلًا، أن أفعال العباد غير مخلوقة أرادوا تنزيه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن خلق المعاصي ثم محاسبة الناس عليها، قالوا: هذا ظلم، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزّهٌ عن الظلم، كيف نقول: هو خلق المعاصي ثم يحاسب الناس عليها؟ فنفوا خلق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لأفعال العباد، وهذا باطل؛ لأنه خلاف ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أعطىٰ العبد إرادةً ومشيئةً واختيارًا وأرسل له الرسل وأنزل له الكتب، يستطيع أن يميّز بين الحق والباطل وليس مجبورًا علىٰ ذلك، فخلْق هذه الأمور إنما هو من باب الابتلاء، فنفوا خلق الله عَزَّوَجَلَّ لأفعال العباد.

فساوىٰ هذا المعارض بين بدعة الجهم وبدعة هؤلاء، لماذا فعل ذلك؟

📖📖📖

قال: (كَيْ لَا ينفرُوا مِنْ مَذَاهِبِ جَهْمٍ وَالْمَرِيسِيِّ أَكْثَرَ مِنْ نُفُورِهِمْ مِنْ كَلَامِ الشِّيعةِ والمُرْجِئَة والقَدَرِيّة).

ثم قال: (وَقَدْ أَخْطَأَ الْمُعَارِضُ مَحَجَّةَ السَّبِيلِ وَغلِط غَلَطًا كَثِيرًا فِي التَّأْوِيلِ لما أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ لَمْ يُكَفِّرْهُمُ الْعُلَمَاءُ بِشَيْءٍ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ، وَالْمَرِيسِيُّ وَجَهْمٌ وأصحابهما يكفّرون أهل الفرق، ولَمْ يَشُكَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي إِكْفَارِهِمْ).

ما سبب غلط المريسي؟ سبب ذلك التأويل الفاسد، والتأويل في لغة العرب مردُّه إلىٰ الرجوع والمآل، وأما في الاصطلاح فعند المتقدّمين له معنيان وأضاف المتأخرون معنىً ثالثًا.

لم يخرج كلام الأئمة المتقدمين في التأويل عن اللغة والكتاب والسنة، فالمعنىٰ الأول للتأويل: التفسير، كما يقول الطبري وغيره من المفسّرين: واختلف علماء التأويل في هذه الآية، ويقول: والقول في تأويل هذه الآية كذا وكذا، يعني تفسير.

التأويل في اللغة والاصطلاح، والمقبول والمردود منه

والمعنىٰ الثاني عند المتقدمين: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فإن كان الكلام خبرًا عن الجنة والنار واليوم الآخر وأسماء الله وصفاته فالمراد حقيقة هذه الأشياء وعلينا تصديقه.

تأويل اليد: اليد بالمعنىٰ المعروف في لغة العرب.

وتأويل الرؤىٰ: وقوعها، وتأويل ما جاء في ذكر الجنة والنار: أن هذه الأمور ستقع حقيقةً وليست تخييلًا كما تقول الفلاسفة، وإن كان الكلام في باب الطلب فتأويله تنفيذه، إن كان

أمرًا يفعله المرء، وإن كان نهيًا ينتهي عنه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف:٥٣]، يعني: إلا وقوعه.

وكما قالت عائشة تحكي فعل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كان يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»، قالت: "يتأوّل القرآن"، ومرادها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:١-٣].

فكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتأوّل القرآن، يعني هذا أمرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ وتأويله تنفيذه، تقول: كان يقول ذلك بعد أن نزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾، هذا هو التأويل بمعنييه عند المتقدمين.

وكذلك دعاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابن عباس «**اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل**» معنىٰ التأويل هنا التفسير.

ثم جاء المتأخرون وأحدثوا معنىً ثالثًا للتأويل لم يعرفه المتقدمون، أو كان عندهم لكنه كان بمعنىٰ آخر كالبيان المستند لدليل شرعي، فقال المتأخرون التأويل هو صرف اللفظ من المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لقرينةٍ تدل علىٰ ذلك، كما مر بنا في درس الأصول.

التأويل بالمعنىٰ الأول والثاني التفسير والحقيقة والمآل ممدوحٌ مطلقًا لا يُذم، أما التأويل بالمعنىٰ الثالث منه الممدوح ومنه المذموم، فإن كان هذا التأويل بناءً علىٰ قرينةٍ صحيحة ودليل معتبر فهو ممدوح، وإن كان بناءً علىٰ قرينةٍ فاسدة فهو مذموم.

نضرب مثالًا للقرينة الصحيحة والقرينة غير الصحيحة: الله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه في سورة النحل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]، طيب، إذا

قرأت القرآن يعني استعذ بالله بعد قراءة القرآن؟ هذا ظاهر اللفظ، أم إذا أردت أن تقرأ القرآن؟ والمراد: إذا أردت أن تقرأ القرآن، رجّحنا المعنى الثاني على المعنى الأول بالقرينة أو الدليل المعتبر وهو فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل الخلاء يقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، يعني إذا أراد أن يدخل الخلاء، فالقرينة هاهنا تكون صحيحة.

﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، ﴿**اسْتَوَى**﴾ بمعنى: استولى؛ لأن تفسير الاستواء بالعلو والارتفاع هذا يلزم منه إثبات الجهة وإثبات المكان وإثبات الجسم، ويلزم منه مشابهة الله للمخلوقين، والله ليس كمثله شيء، فنؤوّل الاستواء بمعنى الاستيلاء، القرينة هاهنا صحيحة؟ غير صحيحة، لماذا؟ لأنها قرينة عقلية فاسدة- وهذا غالب قرائن المتكلمين إن لم تكن كلها- ثم إن ذلك يخالف القرآن الذي جاء فيه هذا اللفظ في مواضع سبعة ومع ذلك ما جاء في موضع منها استوى بمعنى استولى، وتخالف ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سأل: «**أين الله؟**» وأقر جواب الجارية، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦]، وتخالف فهم السلف، فإذا كانت القرينة تخالف الكتاب والسنة وفهم السلف فهي قرينةٌ فاسدة غير معتبَرة.

فالتأويل الذي ذهب إليه جهمٌ وغيره من أهل البدع هو التأويل بالمعنى الثالث، وهو: صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لقرينةٍ، لكن القرينة هاهنا قرينة فاسدة.

بل القرينة أحيانًا قد تكون لعبًا، يعني التأويل قد يكون ضربًا من اللعب، والعلماء يكفّرون من أوّل بهذه الطريقة ولا يعذرونه، فالتأويل منه ما يُعذَر به ومنه ما لا يُعذَر به.

العذر بالتأويل في العلميات والعمليات سواء

ما هو التأويل الذي يُعذَر به؟ أي هو خطأ لكن صاحبه لا يكفر به. ما كان له وجهٌ في لغة العرب، ولذلك لم يكفّر العلماء الأشاعرة والمعتزلة، لأن تأويلهم له وجهٌ في لغة العرب، فاليد في لغة العرب تأتي حينًا بمعنىٰ النعمة، وبمعنىٰ القدرة. فله وجهٌ في لغة العرب، وأرادوا التنزيه، فبدّعوهم وضلّلوهم لكنهم لم يكفّروهم.

لكن لماذا كفّر العلماء الجهم والجهمية؟ هي هي العلة التي من أجلها كفّر العلماء الرافضة، لماذا كفّر العلماء الرافضة؟ لأنهم لعبوا بالقرآن.

فقالوا مثلًا: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾: الحسن والحسين، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠]: علي وفاطمة، ﴿بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١]: أبو بكر وعمر، أين الوجه الذي يُصار إلىٰ التأويل من أجله في هذه الآيات؟ هذا لعب.

ولذلك كفّروهم من أجل هذا التأويل كما قال الشيخ ابن عثيمين: "التأويل الذي لا يُعذر صاحبه به هو ما لا وجه له في لغة العرب".

أين الوجه الذي بسببه أوّل الجهم كل أسماء الله وصفاته؟ لا يوجد، فكفّر العلماء هؤلاء كما بيّنا.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ضوابط التأويل، قال: "كل متأوّلٍ معذورٌ بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب وله وجهٌ في العلم"، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولذلك عذر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الرجل الذي قال لولده: إذا أنا متُّ فاحرقوني ثم ذرّوني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبَنّي عذابًا ما عذّبه أحد من العالمين، هل هذا تأوّل تأويلًا صحيحًا؟ لا، تأوّل تأويلًا خاطئًا؛ لأنه ظن أن الله عَزَّوَجَلَّ لن يقدر علىٰ جمعه مرةً أخرىٰ

بسبب جهله فقام بهذا الصنيع، ولذلك عذره ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما التأويل المردود غير السائغ كتأويل الباطنية، الباطنية يقولون الحج قصد زيارة الأئمة، الصوم الإمساك عن كشف أسرار الأئمة، هذا تأويل الباطنية الملاحدة، فتأويلهم غير سائغ فلا يُعذرون به.

قال ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إيثار الحق علىٰ الخلق، قال: "لا خلاف في كفر من جحد المعلوم بالضرورة وتستّر باسم التأويل، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنىٰ"، أراد الجهمية حين قال "كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنىٰ".

📖📖📖

فهنا يقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَدْ أَخطَأَ الْمُعَارِضُ مَحَجَّةَ السَّبِيلِ وَغلِط غَلَطًا كَثِيرًا فِي التَّأْوِيلِ)**.

فعلمنا حد التأويل وأنواعه والسائغ وغير السائغ منه.

📖📖📖

قال: (لما أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ لَمْ يُكَفِّرْهُمُ الْعُلَمَاءُ بِشَيْءٍ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ).

يعني الأشعرية والمعتزلة، ولا يقصد بذلك القدرية الأُوَل الذين ينكرون علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنما يقصد من جاء بعدهم وانتسبوا إليهم، فالعلماء لم يكفّروا هؤلاء، ونقل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع في منهاج السنة النبوية علىٰ عدم تكفير أهل السنة لهؤلاء.

بل نقل الإجماع علىٰ أن هؤلاء المبتدعة من الفرق يدخلون في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠]، يعني لو أن الإنسان دعا بهذا الدعاء فهؤلاء يدخلون؛ لأن معهم بعض الإيمان ولم يخرجوا من الإسلام.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنهاج، قال: "المتأوّل الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر، بل ولا

يفسق إذا اجتهد" يعني إذا كان من أهل الاجتهاد فأخطأ.

ولذلك نحن لا نفسّق الغزالي ولا نفسّق الجويني، لا نفسّق هؤلاء ولا نكفّرهم، إنما نقول: هم من رؤوس الأشاعرة، هم من رؤوس كذا لكنهم اجتهدوا وأخطأوا، وكان قصدهم حسنًا، ولذلك كل من ظهر له الحق من هؤلاء رجع؛ لأنه ما كان يبغي إلا الحق، الرازي ألّف ما ألّف ورجع في آخر حياته، الغزالي ألّف ما ألّف، الجويني ألّف ما ألّف، الشهرستاني ألّف ما ألّف، وندموا في آخر حياتهم؛ لأن هؤلاء ما قصدوا إلا متابعة النبي ﷺ وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول في حق الرازي عفا الله عنه: "والذي أقطع به -معنىٰ كلامه- والذي أقطع به أن الرجل لم يقصد مخالفة النبي ﷺ لكنه اجتهد فأخطأ، والله يعذره يوم القيامة".

هذا في حق المجتهد، من كان أهلًا للاجتهاد فأخطأ فلا يُبَدّع ولا يُفَسّق، أما غالب الذين يُبدّعون ويُفسّقون في هذه الأيام ليسوا من العلماء فضلًا عن أن يكونوا من المجتهدين وقامت عليهم الحجة وعاندوا وجادلوا، وظهر هذا في كلامهم وفي فعالهم، فقامت عليهم الحجة فبدّعهم أهل العلم.

أهل العلم لا يسارعون في تبديع أحد إلا بعد التأنّي والصبر ومراجعته وإرسال الكتب والرسائل والنصيحة، فإذا أعرض هؤلاء بُدِّعوا.

العذر بالتأويل في العلميات والعمليات سواء

هذا العذر بالتأويل يكون في المسائل العملية فقط؟ يعني في الصلاة والصوم والعبادة والمعاملات؟ يعني بعض الناس يفرّق بين المسائل العلمية والمسائل العملية، يعني لو أخطأ في مسألة في الصوم يُمَرّر له الأمر ويقول: اجتهد وأخطأ، إنما لو أخطأ في العقيدة وكان مجتهدًا لا يُمرّر له.

ونقول: أكثر ما جاء فيه العذر بالجهل المسائل العقدية، أخطأ من شدة الفرح، هذا الذي شك في قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. عائشة تسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وكل ما نقول يعلمه الله؟ أو ما نفعله يعلمه الله؟" أو كما قالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا مشهورٌ عند الناس في المسائل العملية"، يعني ده مشهور عند الناس، "وأما مسائل العقائد -هكذا يقول شيخ الإسلام- فكثيرٌ من الناس كفّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحدٍ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحدٍ من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع".

هذا الكلام لا ينسحب علىٰ الجهمية؛ لأن الجهمية قال بعض أهل العلم: هم ليسوا من الفرق الإسلامية، هم ملةٌ بمفردها، لا تدخل في الاثنين وسبعين فرقة؛ لأنهم ليسوا مسلمين.

قال: "وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفّرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثيرٍ من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالكٍ والشافعي وأحمد وغيرهم".

فالأشاعرة مثلًا يكفّرون غيرهم، والمعتزلة يكفّرون غيرهم، وأهل السنة لا يكفّرونهم.

هل كان النبي يأمر من أسلم بالشك والنظر؟

قال: "وقد يسلكون في التكفير ذلك، فمنهم من يكفّر أهل البدع مطلقًا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع، وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية، وهذا القول أيضًا يوجد في طائفةٍ من أصحاب الأئمة الأربعة وليس هو قول الأئمة الأربعة ولا قول غيرهم، وليس فيهم من كفّر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد يُنقَل عن أحدهم أنه كفّر من قال بعض الأقوال ويكون مقصوده أن هذا القول كفر

ليُحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يكون كل من قاله مع الجهل والتأويل كافر، والقاعدة في ذلك: إن ثبوت الكفر في حق الشخص المُعيّن كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه لا بد له من شروطٍ وموانع".

ولذلك نحن نقول: الجهمية كفار، ولما كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب الجهمية في عصره يقول إنه لا يكفّرهم لما عندهم من الجهل، فأنت تكفّر الجهمية بإطلاق، وإما إنزال الحكم المعيّن علىٰ أعيانهم فلا بد له من وجود الشروط وانتفاء الموانع كسائر أحكام التكفير.

📖📖📖

قال: (ولَمْ يَشُكَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي إِكْفَارِهِمْ).

يعني في تكفير الجهمية.

📖📖📖

(سَمِعْتُ مَحْبُوبَ بْنَ مُوسَىٰ الْأَنْطَاكِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ وَكِيعًا يُكَفِّرُ الْجَهْمِيَّةَ، وَكَتَبَ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ خَشْرَمٍ أَنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ كَانَ يُخْرِجُ الْجَهْمِيَّةَ مِنْ عِدَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَمِعْتُ يَحْيَىٰ بنَ يَحْيَىٰ وَأَبَا تَوْبَةَ وَعلي بن الْمَدِينِيِّ يُكَفِّرُونَ الْجَهْمِيَّةَ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوق).

فأحمد بن حنبل كان يكفّر ابن أبي دؤاد ولا يكفّر خلفاء بني العباس، ويقول لهم: يا أمير المسلمين، وهذا يقول بخلق القرآن وهذا يقول بخلق القرآن، لكن هذا تلبّس بالشبهة وظنها الحق، وهذا جادل عنها بغير حق فقامت عليه الحجة.

📖📖📖

قال: (فَلَا يَقِيسُ الْكُفْرَ بِبَعْضِ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْفِرَقِ إِلَّا امْرُؤٌ جَهِلَ الْعِلْمَ يُوَفَّقْ فِيهِ لِفَهْمٍ).

يعني الذي يساوي بين هذه الفرق وبين الجهمية هذا إنسانٌ جاهل.



📖📖📖

قال: (فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ النَّاسَ تَكَلَّمُوا فِي الْإِيمَانِ، وَفِي التَّشَيُّعِ، وَالْقَدَرِ وَنَحْوِه، وَلَا يجوز لأحد أَن يتأوّل فِي التَّوْحِيدِ غَيْرَ الصَّوَابِ).

صدق المعارض وهو كذوب! فعلًا لا يجوز لأحدٍ أن يتأوّل في التوحيد غير الصواب.

📖📖📖

(إِذْ جَمِيعُ خَلْقِ اللهِ يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ: اللَّمْسِ، وَالشَّمِّ، وَالذَّوْقِ، وَالْبَصَرِ بِالْعَيْنِ، وَالسَّمْعِ، وَاللهُ بِزَعْمِ الْمُعَارِضِ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ).

كلام من هذا؟ كلام الجهم في مناظرته مع السُّمَنيَّة، وتأتي قراءة المناظرة في باب رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه سيحتجّ بهذه المناظرة علىٰ نفي رؤية المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَقُلْنَا لِهَذَا الْمُعَارِضِ الَّذِي لَا يَدْرِي كَيْفَ يتناقض: أَمَّا قَوْلُكَ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ فِي التَّوْحِيدِ غَيْرَ الصَّوَابِ، فَقَدْ صَدَقْتَ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْأمة وَصَوَابه قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَاءَ بِهَا مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ومَنْ قَالَهَا فَقَدْ وَحَّدَ اللهَ»).

«ومَنْ قَالَهَا فَقَدْ وَحَّدَ اللهَ»، يريد الإمام أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان يأتيه الرجل يريد الدخول في الإسلام كيف كان يدخل في الإسلام؟ بالنطق بالشهادة، ما كان يقول له: إلهك هذا الذي تعبده هل تستطيع أن تراه؟ أن تسمعه؟ أن تشمه؟ أن تمسّه؟ كما كان يقول الجهم، يعني يقول: هذه هي كلمة التوحيد، وهذا هو التوحيد الذي علّمه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة، ما علمهم النظر ولا القصد للنظر ولا الشك وهذه الترهات التي هي أصل دين المتكلمين عافانا الله وإياكم.

📖📖📖



قال: (وَكَذَلِكَ رَوَىٰ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»).

قال: حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه- قال: فَهَذَا تَأْوِيلُ التَّوْحِيدِ وَصَوَابُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ).

لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله، وهذا ما كان يقبله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الناس، وهو معنىٰ التلبية.

📖📖📖

قال: (فَمَنْ أَدْخَلَ الْحَوَاسَّ الْخَمْسَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي صَوَابِ التَّأْوِيلِ مِنْ أُمَّةِ محَمَّدٍ وَمَنْ عَدَّهَا؟).

أين في كلام النبي أو كلام ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أو الصحابة إدخال الحواس الخمس كشرطٍ في توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ فهم يؤصّلون أصولًا ويحملون الناس عليها، وهي أصولٌ عقليةٌ فاسدة مبنيةٌ علىٰ القياس الفاسد، قياس الخالق علىٰ المخلوق، اللي هو قياس الغائب علىٰ الشاهد، هذه هي التسمية عندهم، قياس الغائب علىٰ الشاهد، وهو أصل كل بليّة، ومع أنهم يذمون هذا القياس في تقريراتهم إلا أنهم متلبسون به واقعون فيه في جدالهم وحجاجهم.

📖📖📖

قال: (فَأَشِرْ إِلَيْهِ!).

يعني أين في كلام الله وكلام النبي وكلام الصحابة هذا الذي تقوله؟

📖📖📖

(فَأَشِرْ إِلَيْهِ غير مَا ادعيتم فِيه مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، وَنُظَرَائِهِ،

وَلِمَنْ تَأَوَّلَ فِي التَّوْحِيدِ الصَّوَابَ، ولَقَدْ تَأَوَّلْتَ أَنْتَ فِيهِ غَيْرَ الصَّوَابِ، إِذِ ادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ لَا يُدْرَكُ وَلَمْ يُدْرَكْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، إِذْ هُوَ فِي دَعْوَاكَ لَا شَيْءٌ، وَاللهُ مُكَذِّبٌ مَنِ ادَّعَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ فِي كِتَابِهِ).

سبب تسلط السمنية علىٰ الجهم أثناء مناظرته، وكيف يكون جوابهم

لأن الجهم لما ناظر السُّمنِيَّة قال: روحك هذه التي بين جنبيك هل تستطيع أن تراها؟ أن تسمعها؟ أن تشمها؟ أن تمسّها؟ فقال: وكذلك الله، وهذا يترتب عليه نفي كل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقال: هذه دعوىٰ ادّعيتَها وفي القرآن والسنة ما يخالفها؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُدرك كذلك بالحواس.

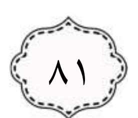
نقول: أولًا الجهم لقلة علمه لما نوظر خُصِم، خُصِم من أجل ماذا؟ من أجل جهله بالعلم الشرعي، يعني كان يستطيع أن ينهي المناظرة مع هؤلاء السُّمَنية ويقول لهم: ليست المعرفة مقتصرة علىٰ الحواس الخمس.

بل كذلك من أبواب المعرفة ما جاء به الأنبياء والرسل، فنحن نصدّق بما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستطيع أن يخصمهم بذلك، لكنه ما قال ذلك لجهله بالعلم الشرعي،

وثانيا: في القرآن والسنة ما يكذّب دعواه، فيه أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرىٰ، وأنه يُكلَّم، وأنه يُسمع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وقال: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

📖📖📖



قال الدارمي: (فَأَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مُوسَىٰ أدرك مِنْهُ الْكَلَامَ بِسَمْعِهِ).

ولذلك لما جاء عمرو بن عُبيد إلىٰ أبي العلاء صاحب القراءة فقال له: أريد أن تقرأ هذه الآية هكذا: "وكلم اللهَ موسىٰ تكليمًا"، فموسىٰ اسم مقصور لن تظهر عليه العلامة، فـ "وكلم اللهَ موسىٰ تكليمًا"، معنىٰ ذلك: أن موسىٰ هو الذي تكلم، يريد أن ينفي كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقال له ماذا تصنع بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]؟ ماذا تصنع في هذا الضمير؟ فأخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن موسىٰ أدرك منه الكلام بسمعه.

📖📖📖

(وَهُوَ أَحَدُ الْحَوَاسِّ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا).

فالله يُدرك بالحواس.

📖📖📖

(وَيُدْرَكُ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ بالأعين، وهِيَ الْحَاسَّةُ الثَّانِيَةُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ جَهْرًا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»).

قال: وَرَوَىٰ عَنْهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

قال: حَدَّثَنَاهُ عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيٍّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: فَذَاكَ النَّاطِقُ مِنْ قَوْلِ اللهِ، وَهَذَا الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَيُّ حَوَاسٍّ هي أَبْيَنُ- أو هو أبيَنُ- مِنْ هَذَا؟ فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْمُعَارِضَ مَنْ تَأَوَّلَ فِيهِ غَيْرَ الصَّوَابِ).

فكل ما سبق من أدلة ينقض دعوىٰ المعارض التي أخذها من رأس الجهمية ومؤسس نحلتهم الجهم بن صفوان.

ثم قال: **(باب الإيمان بأسماء الله تعالىٰ وأنها غير مخلوقة).**

مسائل تتعلق بأسماء الله الحسنىٰ

عقد المصنف هذا الباب في بيان وجوب الإيمان بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي بيان أنها غير مخلوقة.

وفقه الأسماء والصفات من الأهمية بمكان؛ ذلك أن شرف العلم من شرف المعلوم، العلم يشرف بحسب المعلوم المدروس فيه، وأشرف معلوم علىٰ الإطلاق هو الله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأشرف العلوم العلم بأسمائه وصفاته.

ولذلك وجدنا القرآن لا تكاد تخلو آية من اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته.

حتىٰ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وفعاله أكثر مما فيه من ذكر الطعام، والشراب، ونعيم أهل الجنة، والأخبار عن الميعاد، والدار الآخرة"، فهذا علم عظيم.

ولذلك بيَّن نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فضل هذا العلم، وفضل من يتعلمه.

فأعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي، وسورة تعدل ثلث القرآن، ليس لغيرها هذه المنزلة.

ولو تدبرنا السورة والآيات لوجدناها خُلِّصت للكلام عن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته وفعاله، فعظمت هذه السورة، وعظمت هذه الآية.

ومما يُبين فضل هذا الباب -أعني باب الأسماء والصفات- أنك خُلقت لغاية، كما قال

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فلك معبود أنت مُكلف بعبادته، ولن تستطيع أن تعبده إلا إذا تعرفت عليه، ولن تستطيع أن تتعرف عليه إلا من خلال أسمائه وصفاته.

فباب الأسماء والصفات هو الباب الذي يلج منه المرء إلىٰ عبادة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ومن كان عنده خلل في هذا الباب أصابه الخلل في عبادته.

ولذلك لما فسر المتكلمون كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" بغير معناها الصحيح وقعوا في الشرك، والاستنجاد بالقبور، والتوسل بالمخلوقين، فهو باب عظيم ينبغي للمرء أن يتعلمه، وأن ينظر فيه الفينة بعد الفينة؛ لأن من عرف الله من خلال أسمائه وصفاته أحبه لا محالة، كما جاء عن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عقد المصنف هذا الباب في بيان وجوب الإيمان بأسماء الله تعالىٰ، وأنها غير مخلوقة.

والسؤال الآن: أين الدليل في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته؟

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، فهذا فيه: اختصاص الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالأسماء الحسنىٰ والصفات العليا، ولن تستطيع أن تدعو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلا من خلال الأسماء والصفات.

«إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»، فلن يتحقق المشروط إلا بتحقق الشرط، الذي هو إحصاء أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ونزيد علىٰ ذلك ونقول: كل دليل ورد في الشرع فيه وجوب الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسماء الله وصفاته وفعاله، فالأدلة لا تُحصىٰ، وذلك أن الإيمان بالله لا يتم إلا بأركان أربعة:



- أن تؤمن بوجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

- وأن تؤمن بربوبيته لجميع الخلق.

- وأن تؤمن باستحقاقه لأن يُعبَد وحده دون غيره.

- وأن تؤمن بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا.

فهذا هو القدر الواجب من الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالإيمان بالأسماء والصفات ركن من أركان الإيمان بالله.

فإذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء:١٣٦] فقوله: ﴿آمِنُوا بِاللهِ﴾ يدخل فيها وجوب الإيمان بهذه الأركان الأربعة.

واضح من عنوان الباب أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرد علىٰ الجهمية في زعمهم أن أسماء الله مخلوقة وليست مضافة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حقيقةً، بل خلقها، وهذا القول هو قول الجهمية.

وأخذه عنهم المعتزلة، لكنهم لم يجسروا أن يقولوا: إن الأسماء والصفات ليست لله، لأنهم لو قالوا ذلك لكفروا، فأرادوا أن يكونوا في منزلة بين المنزلتين.

فقالوا: نُثبت لله الأسماء لكننا نُفرِّغ هذه الأسماء من الصفات، فنقول: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم.

ومآل قولهم إلىٰ ما أراده الجهمية، وسيأتي بيان السبب الذي من أجله قالوا هذا الكلام.

📖📖📖

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ اعْتَرَضَ الْمُعَارِضُ أَسْمَاءَ اللهِ الْمُقَدَّسَةَ، فَذَهَبَ فِي تَأْوِيلِهَا مَذْهَبَ إِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ، فَادَّعَىٰ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرَ اللهِ، وَأَنَّهَا مستعارة مخلوقة)**.

فالجهمية والمعتزلة يقولون: أسماء الله غير الله، وهذه بدعة لم تكن معروفة عن السلف،

هل أسماء الله هي الله؟ أم أنها غيره؟

فالجهمية يقولون: أسماء الله غيره، مخلوقة، جعلها البشر لربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن أهل السنة والجماعة من أراد أن يرد عليهم، فقابل القول بضده، فقال: أسماء الله هي الله، وهذه المسألة التي يُعنوَن لها في كتب الاعتقاد: هل الاسم هو المسمىٰ أم غيره؟ ويعنون بالاسم: اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويعنون بالمسمىٰ: الله عَزَّوَجَلَّ.

القول الصحيح في الاسم والمسمىٰ

فهل الاسم هو المسمىٰ أم غيره؟ قلنا: المعتزلة قالوا: أسماء الله غير الله، وهذا توحيدهم، ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلا اسم ولا صفة، وهذا أصل عندهم من الأصول الخمسة، وهو أول أصل عُرفوا به واشتهروا به: العدل والتوحيد.

ولذلك تجد في بعض كتب المقالات: أهل العدل والتوحيد والمراد المعتزلة، ما المراد بالعدل؟ نفي خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لفعال البشر.

يقولون: إننا لو قلنا: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يخلق أفعال البشر فهذا فيه إثبات النقص لله، كيف يخلق المعاصي ثم يُحاسبهم عليها؟

ورددنا علىٰ ذلك فيما سبق بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعطىٰ الإنسان المشيئة، والاختيار، والقدرة، وأنزل له الكتب، وأرسل له الرسل.

وهم أهل التوحيد، ماذا يقصدون بالتوحيد؟ تعطيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته، فلا يُسمىٰ باسم ولا يُوصَف بوصف.

فقابلهم بعض أهل السنة، فقالوا: بل الاسم هو المسمىٰ.

ومن هؤلاء: الإمام اللالكائي، في كتابه: (**أصول الاعتقاد**)، فعقد بابًا في بيان أن الاسم هو



المسمىٰ.

ولا شك أنه ما أراد بذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الألف واللام والراء والحاء والميم والنون، وهي الحروف التي يتكون منها اسم الرحمن، وإنما أراد أن هذا الاسم يدل علىٰ ذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما أن الله يدل علىٰ ذاته، كما أن الرحيم يدل علىٰ ذاته.

وتوسط قوم في المسألة، **وهذا القول هو القول الصحيح**، فقالوا: لا نقول: إن أسماء الله هي الله، ولا نقول: إن أسماء الله غيره، ولكن نقول: الاسم للمسمىٰ.

وهذا هو الذي دل عليه كتاب الله وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعقول، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا لخصت كلامه ويحسن الرجوع إليه.

الدليل علىٰ ذلك -علىٰ أن القول الصحيح أن الاسم للمسمىٰ-: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما تكلم عن أسمائه وصفاته قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، قال: ﴿وَلِلَّهِ﴾، فجعل الاسم للمسمىٰ.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا».

لكننا لو قلنا: الاسم غير المسمىٰ فهذا يُوهم أن أسماء الله مخلوقة، ويُوهم أننا نقول بقول المعتزلة، لو قلنا: الاسم هو المسمىٰ حتىٰ لو قال ذلك واحد من أهل السنة، وأراد أن الاسم الذي هو الألف واللام والراء والحاء والميم والنون ليست هي الله هذا فيه شبه حتىٰ من جهة اللفظ بكلام المعتزلة، ولو قلنا: الاسم هو المسمىٰ فهذا كذلك يُوهم أن ذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي هذه الحروف، ولذلك قلنا: الصحيح: الاسم للمسمىٰ.

📖📖📖

قال: **(ثُمَّ اعْتَرَضَ الْمُعَارِضُ أَسْمَاءَ اللهِ الْمُقَدَّسَةَ، فَذَهَبَ فِي تَأْوِيلِهَا مَذْهَبَ إِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ، فَادَّعَىٰ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرَ اللهِ، وَأَنَّهَا مستعارة مخلوقة، كَمَا أنه قَدْ يَكُونُ شَخْصٌ بِلَا**

اسْمٍ).

هذا هو وجه القياس، وما وقع الناس في الشرك وتعطيل أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا من القياس الفاسد، من قياس الخالق علىٰ المخلوق، فيقولون: كما أنه قد يكون شخص بلا اسم.

(فَتَسْمِيَتُهُ لَا تَزِيدُ فِي الشَّخْصِ، وَلَا تَنْقُص).

فهذا معناه -يعني مقتضىٰ كلام هؤلاء-: **(أَنَّ اللهَ كَانَ مَجْهُولًا كَشَخْصٍ مَجْهُولٍ لَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، وَلَا يُدْرَىٰ مَا هُوَ، حَتَّىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَابْتَدَعُوا لَهُ أَسْمَاءً مِنْ مَخْلُوقِ كَلَامِهِمْ، فَأَعَارُوهَا إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْرَفَ لَهُ اسْمٌ قَبْلَ الْخَلْقِ)**.

فقبل أن يخلق لم يكن يُسمىٰ خالقًا، وقبل أن يرزق لم يكن يُسمىٰ رازقًا، وقبل أن يكون مدبرًا لهذا الكون لم يكن يسمىٰ ربًا، فما كانت هذه الأمور إلا بعد أن ظهرت فعال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه، فأعطىٰ المخلوقون هذه الأسماء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

📖📖📖

قال: (وَمَنِ ادَّعَىٰ هَذَا التَّأْوِيل فَقَدْ نَسَبَ اللهَ تَعَالَىٰ إِلَىٰ الْعَجْزِ، وَالْوَهَنِ، وَالضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَعِيرَ مُحْتَاجٌ مُضْطَرٌّ، وَالْمُعِيرُ أَبَدًا أَعْلَىٰ مِنْهُ وَأَغْنَىٰ، فَفِي هَذِهِ الدَّعْوَىٰ اسْتِجْهَالُ الْخَالِقِ، إِذْ كَانَ بِزَعْمِهِ هَمْلًا، لَا يُدْرَىٰ مَا اسْمُهُ، وَمَا هُوَ، وَمَا صِفَتُهُ، وَاللهُ الْمُتَعَالِي عَنْ هَذَا الْوَصْفِ الْمُنَزَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ هِيَ تَحْقِيقُ صِفَاتِهِ).

(لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ هِيَ تَحْقِيقُ صِفَاتِهِ، سَوَاءٌ عَلَيْكَ قُلْتَ: عَبَدْتُ اللهَ، أَوْ عَبَدْتُ الرَّحْمَنَ، أَوِ الرَّحِيمَ، أَوِ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ، وَسَوَاءٌ عَلَىٰ الرَّجُلِ قَالَ: كَفَرْتُ بِاللهِ، أَوْ قَالَ: كفرت بالرحمن الرَّحِيم، أَو بالخالق الْعَزِيزِ الْحَكِيم، وَسَوَاءٌ عَلَيْكَ قُلْتَ: عَبْدُ اللهِ، أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، أَوْ عَبْدُ الْعَزِيزِ، أَوْ عَبْدُ الْمَجِيدِ، وَسَوَاءٌ عَلَيْكَ قُلْتَ: يَا الله، أَو يا رحمن، أَو يا رحيم، أَو يا

مَلِكُ يَا عَزِيزُ يَا جَبَّارُ، بِأَيِّ اسْمٍ دَعَوْتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، أَوْ أَضَفْتَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّمَا تَدْعُو اللهَ نَفْسَهُ، مَنْ شَكَّ فِيهِ فَقَدْ كَفَرَ).

فأراد أن يُبين هاهنا القاعدة التي قعَّدها من جاء بعده، ما قال أهل العلم المتأخرون كلامًا في باب الاعتقاد إلا وسبقهم إلىٰ ذلك الأئمة، لكن الأئمة ما كانوا يُقعِّدون.

يعني ما كانوا يكتبون مثلًا: قواعد في الأسماء والصفات، قواعد في الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، كانوا يكتبون ذلك في كتبهم، فيجيء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ويستنبطون من هذا الكلام قواعد، ليسهل الفهم.

فقالوا مثلًا علىٰ هذا الكلام الذي قاله الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته، قالوا: أسماء الله أوصاف وأعلام، وهذه قاعدة من قواعد الأسماء الحسنىٰ، فهي أعلام باعتبار دلالتها علىٰ ذات الله، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة، وهذه القاعدة الثانية، أسماء الله مترادفة متباينة، مترادفة باعتبار ماذا؟ باعتبار دلالتها علىٰ الله، كما قال الإمام هاهنا: لو قلت: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، فكل ذلك دعاء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهي متباينة باعتبار ماذا؟ ما تضمنته من الصفات، فصفة الرحمة تفارق صفة العلم، تفارق صفة القدرة، إلىٰ آخره.

📖📖📖

قال: **(وَسَوَاءٌ عَلَيْكَ قُلْتَ: رَبِّيَ اللهُ، أَوْ رَبِّيَ الرَّحْمَنُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ**: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء:١١٢]، **وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ**: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[الحشر:١]، **وَقَالَ**: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب:٤٢]، **كَذَلِكَ قَالَ فِي الِاسْمِ**: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾[الأعلىٰ:١]).

ففي الآية الأولىٰ ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾، أي: سبحوا

الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وفي الآية التي بعدها كان التسبيح للاسم، ولو كان الاسم مخلوقًا لما جاز التسبيح والتنزيه له؛ لأن الذي يُنزَّه عن النقائص هو الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال: (كَذَلِكَ قَالَ فِي الِاسْمِ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ﴾[الأعلىٰ:١]، كَمَا يُسَبِّحُ اللهَ، وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا مُسْتَعَارًا غَيْرَ اللهِ لَمْ يَأْمُرِ اللهُ أَنْ يُسَبِّحَ مخلُوقٌ غَيْرَهُ، وَقَالَ: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٤]، ثُمَّ ذَكَرَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ بِأَسْمَائِهَا الْمُسْتَعَارَةِ الْمَخْلُوقَةِ).

وأنا أريد منك أن تتدبر في دقة استنباط أئمتنا، كيف يستنبطون الردود من الكتاب والسنة، وكيف يُقيمون الحجة علىٰ المخالفين.

وهذا مصداق قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، والمقصود بالمثل هاهنا: الشبهة، لا يأتون بشبهة إلا وتجد في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يرد هذه الشبهة، فكيف استنبط الإمام هاهنا من تسمية الآلهة الباطلة؟

قال: (ثُمَّ ذَكَرَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ بِأَسْمَائِهَا الْمُسْتَعَارَةِ الْمَخْلُوقَةِ)، لأن الذي سمىٰ هذه الآلهة البشر.

(فَقَالَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [النجم:٢٣]، وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ حِينَ قَالُوا: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠] فَقَالَ لَهُمْ نبيهم يَنْهَاهُمْ: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف:٧١]، يَعْنِي أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ لَمْ تَزَلْ، كَمَا لَمْ يَزَلِ اللهُ).



الفرق بين: كان الله بصفاته، وكان الله وصفاته

ولذلك الصحيح من جهة اللفظ أن تقول: كان الله بصفاته، كان الله بأسمائه، وليس أن تقول: كان الله وأسماؤه، كان الله وصفاته، ما الفرق؟ لأن الواو تقتضي المغايرة.

لكن كما قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده علىٰ الجهمية: "نقول: كان الله بصفاته"، فكما كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أزليًا قديمًا فصفاته كذلك معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يستفد اسم الخالق بعد أن خلق، ولا اسم الرازق بعد أن رزق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

📖📖📖

قال: (**يَعْنِي أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ لَمْ تَزَلْ، كَمَا لَمْ يَزَلِ اللهُ، وَأَنَّهَا بِخِلَافِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي أَعَارُوهَا لِلْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَسْمَاءُ اللهِ بِخِلَافِهَا**).

هذا هو وجه الدلالة، أنْ كانت أسماء الآلهة الباطلة مخلوقة، واستحقوا الذم علىٰ هذه الأسماء المخلوقة.

(**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَسْمَاءُ اللهِ بِخِلَافِهَا فَأَيُّ تَوْبِيخٍ لِأَسْمَاءِ الْآلِهَةِ الْمَخْلُوقَةِ**).

لماذا وبَّخ الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأسماء المخلوقة إذن؟

(**إِذْ كَانَتْ أسماؤها وَأَسْمَاءُ اللهِ مَخْلُوقَةً مُسْتَعَارَةً عِنْدَكُمْ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَكُلُّهَا مِنْ تَسْمِيَةِ الْعِبَادِ وَمِنْ تَسْمِيَةِ آبَائِهِمْ بِزَعْمِكُمْ؟**

فَفِي دَعْوَىٰ هَذَا الْمُعَارِضِ أَنَّ الْخَلْقَ عَرَّفُوا اللهَ إِلَىٰ عِبَادِهِ بِأَسْمَاءٍ ابْتَدَعُوهَا، لَا أَنَّ اللهَ عَرَّفَهُمْ بِهَا نَفْسَهُ، فَأَيُّ تَأْوِيلٍ أَوْحَشَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ مِنْ أَنْ يَتَأَوَّلَ رَجُلٌ أَنَّهُ كَانَ كَشَخْصٍ مَجْهُولٍ، أَوْ بَيْتٍ، أَوْ شَجَرَةٍ، أو بهمية، لَمْ يُشْتَقَّ لِشَيْءٍ مِنْهَا اسْمٌ، وَلَمْ يُعْرَفْ مَا هُوَ، حَتَّىٰ عَرَّفَهُ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟!) وهذا الاستدلال في غاية البهاء، وفيه الحجة الدامغة علىٰ

هؤلاء الجهمية.

قياس الخالق علىٰ المخلوق هو أصل كل شر وشرك، وتعطيل، وإلحاد

ثم قال: (وَلَا تُقَاسُ أَسْمَاءُ اللهِ بِأَسْمَاءِ الْخَلْقِ).

كما قلنا: قياس الخالق علىٰ المخلوق هو أصل كل شر وشرك، وتعطيل، وإلحاد.

وأصل ضلال الخلق من كل   هو الخوض في فعل الإله بعلة

وأول من قاس هذا القياس الفاسد إبليس، وقد كان قياس الخالق علىٰ المخلوق سببًا لعبادة الأصنام من دون الله، حيث قاسوا الخالق المالك الرب المعبود علىٰ المملوك المربوب الفقير، ما العلة؟ وجود الواسطة، فكما أن المخلوق لا تستطيع أن تصل إليه إلا من خلال الواسطة فكذلك الخالق، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، فجعلوا الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمنزلة المخلوق.

وما عُطِّلت أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا إلا من خلال القياس الفاسد، فجعلوا إثبات صفاته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من حلول الحوادث به، فقاسوا الخالق علىٰ المخلوق، وبيان ذلك أن عندهم أصلًا باطلًا في إثبات حدوث هذا العالم.

يقولون: هذا العالم مكون من جواهر وأعراض، الأعراض يعني الصفات التي يتصف بها هذا العالم، كالحر، والبرد، والسكون والحركة، وهذه الأعراض يطرأ عليها التغير، وهذا التغير دليل الحدوث، فكل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ومن ثَمَّ يكون هذا الكون حادثا، وليس قديما كما تقول الفلاسفة.

أخذوا هذا الأصل وجعلوا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مع المخلوق في قضية كلية، وهو الذي يسمىٰ بالقياس الشمولي، فقالوا: كذلك لو أثبتنا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الصفات والفعال والأسماء فهذا

يدل علىٰ أنه محل للحوادث؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ سبيل المثال يتكلم وقتما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيتكلم ويُنزل الوحي علىٰ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في وقت معين، لم يكن أنزله في وقت قبله، ويكلم موسىٰ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في وقت معين، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، متىٰ كلم الله موسىٰ؟ لما جاء للميقات، فلم يُكلم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ موسىٰ قبل ذلك، فمعنىٰ ذلك: أن الله كلم موسىٰ بعد أن لم يكن مكلمًا له، طيب هذا تغير -هكذا يقولون- ولو أثبتنا الكلام لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فقد جعلناه محلًا للتغير والحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فقاسوا الله علىٰ المخلوق، فعطلوا صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

والله عَزَّوَجَلَّ لا يجوز في حقه إلا قياس واحد فقط، وهو قياس الأولىٰ، وهو المذكور في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠].

والمقصود بقياس الأولىٰ: أن كل كمال من غير وجه نقص يتصف به المخلوق فالخالق من باب أولىٰ، كصفة القدرة، فالقدرة صفة كمال، ولا نقص فيها، فإذا اتصف بها المخلوق فالخالق من باب أولىٰ، وكلّ نقص لا كمال فيه يتنزه عنه المخلوق فالخالق أولىٰ أن يتنزه عنه.

فالذي أوقع هؤلاء في التعطيل: أنهم قاسوا أسماء الله علىٰ أسماء الخلق.

قال: **(وَلَا تُقَاسُ أَسْمَاءُ اللهِ بِأَسْمَاءِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْخَلْقِ مَخْلُوقَةٌ مُسْتَعَارَةٌ، وَلَيْسَت أَسْمَاءَهُم نَفْسَ صِفَاتِهِم)**.

يعني الذي سمىٰ ابنه كريمًا، هل هو سماه لأن ابنه سيكون كريمًا؟ هي مجرد أعلام، فقد يُسمىٰ كريمًا وهو من أبخل الناس، وقد يُسمىٰ محمدًا وهو مذموم بين الناس، وأما أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فهي أعلام وأوصاف كما قلنا.

ولذلك قال: **(وَلَيْسَت أَسْمَاءَهُم نَفْسَ صِفَاتِهِمْ، بَلْ هِيَ مُخَالِفَةٌ لِصِفَاتِهِمْ، وَأَسْمَاءُ اللهِ**

صِفَاتُهُ، لَيْسَ شَيْءٌ منها مُخَالِفًا لِصِفَاتِهِ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ مُخَالِفًا لأسمَائه، فَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ مَخْلُوقَةٌ أَوْ مُسْتَعَارَةٌ فَقَدْ كفَرَ وَفَجَرَ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: "اللهُ" فَهُوَ "اللهُ" وَإِذَا قُلْتَ: "الرَّحْمَنُ" فَهُوَ "الرَّحْمَنُ"، وَهُوَ "اللهُ"، وَإِذَا قُلْتَ: "الرَّحِيمُ" فَهُوَ كَذَلِك، وَإِذا قلت: "حَكِيمٌ، حَمِيدٌ، مَجِيدٌ، جَبَّارٌ، مُتَكَبِّرٌ، قاهر، قَادر" فَهُوَ كَذَلِك، وَهُوَ "اللهُ" سَوَاءٌ لَا يُخَالِفُ اسْمٌ لَهُ صِفَتَهُ وَلَا صِفَتُهُ اسْمًا.

وَقَدْ يُسَمَّىٰ الرَّجُلُ حَكِيمًا وَهُوَ جَاهِلٌ، وَحَكَمًا وَهُوَ ظَالِمٌ، وَعَزِيزًا وَهُوَ حَقِيرٌ، وَكَرِيمًا وَهُوَ لَئِيمٌ، وصالحًا وَهُوَ طالح، وَسَعِيد وَهُوَ شَقِيٌّ، وَمَحْمُودًا وَهُوَ مَذْمُومٌ، وَحَبِيبًا وَهُوَ بَغِيضٌ، وَأَسَدًا، وَحِمَارًا، وَكَلْبًا، وجُريًا وَكُلَيْبًا، وَهِرًّا، وَحَنْظَلَةَ، وَعَلْقَمَةَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ).

وذلك للفرق بين صفة الله وصفة المخلوق، واسم الله واسم المخلوق.

قال: (وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **اسْمُهُ كَأَسْمَائِهِ سَوَاءٌ، لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَلَا يَزَالُ، لَمْ تحدث لَهُ صفته، وَلَا اسْمٌ لَمْ يَكُنْ، كَذَلِكَ قَبْلَ الْخَلْقِ كَانَ خَالِقًا قَبْلَ الْمَخْلُوقِينَ، وَرَازِقًا قَبْلَ الْمَرْزُوقِينَ).**

هذا كلام من؟ كلام الإمام الطحاوي، اشتُهر هذا الكلام علىٰ لسان الطحاوي، مع أن الذي قاله الإمام الدارمي، وكم من كلام قاله الأئمة واشتُهر علىٰ لسان غيرهم.

فالطحاوي يقول في عقيدته: "ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنىٰ الربوبية ولا مربوب"، يعني لم يكن هناك مربوب، "وله معنىٰ الخالق ولا مخلوق، وكما أنه مُحيي الموتىٰ بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم"، فكما انه مُحيي الموتىٰ لأنه أحيا فهو مستحق لهذا الاسم قبل إحيائهم، "وذلك بأنه علىٰ كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلىٰ شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال: (وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ كَأَسْمَائِهِ سَوَاءٌ، لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَلَا يَزَالُ، لَمْ تحدث لَهُ صفته، وَلَا اسْمٌ لَمْ يَكُنْ، كَذَلِكَ قَبْلَ الْخَلْقِ كَانَ خَالِقًا قَبْلَ الْمَخْلُوقِينَ، وَرَازِقًا قَبْلَ الْمَرْزُوقِينَ، وَعَالِمًا قبل المعلومين، وسمعيًا قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ أَصْوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ).

يُقال أصواتَ أم أصواتِ؟ يعني هي جمع تكسير ولا جمع إناث مختوم بالألف والتاء؟

جمع تكسير، نعم.

الشيخ: أحسنت، "كان" في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مسلوبة الزمن، فلما نقول: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٧] ليس معنىٰ ذلك أنه كان ولم يكن بعد ذلك، بل هو كان، وكائن، وسيكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قال: (وسمعيًا قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ أَصْوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ، وَبَصِيرًا قَبْلَ أَنْ يَرَىٰ أَعْيَانَهُمْ مَخْلُوقَةً، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]).

(وَقَالَ مَرَّةً: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَقَالَ مَرَّةً: "اللهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ").

لكن هذه الأخيرة ليست آية في كتاب الله، "الله علىٰ العرش استوىٰ" لم يأت ذكرها في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقال الله عَزَّوَجَلَّ: (﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]، وَقَالَ مَرَّةً: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]).

قال: (لِأَنَّهُمَا بِمَعْنَىٰ وَاحِد، ولو كان كَمَا ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ وَإِمَامُهُ الْمَرِيسِيُّ).

يعني ادعىٰ بأن صفات الله مخلوقة، ومنها: الاستواء.

(لَكَانَ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ اسْتَوَيَا جَمِيعًا علىٰ الْعَرْشِ).

أراد بالخالق الله عَزَّوَجَلَّ والمخلوق اسمه وصفته-علىٰ زعمهم- استويا جميعًا علىٰ العرش.

(وَإِذ كَانَت أسماؤه مخلوقة عِنْدهم).

إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف.

(لِأَنَّ لِحُدُوثِ الْخَلْقِ حَدًّا وَوَقْتًا، وَلَيْسَ لِأَزَلِيَّةِ اللهِ حَدٌّ وَلَا وَقْتٌ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَكَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ).

قال: **(ثُمَّ احْتَجَّ الْمُعَارِضُ لِتَرْوِيجِ مَذْهَبِهِ بِأَقْبَحِ قِيَاسٍ)**.

فقاس قياسًا فاسدًا مرة أخرىٰ.

قلنا: الشبهة التي من أجلها نفىٰ المعتزلة الجهمية أسماء الله وصفاته هذه الشبهة أخذوها عن فلاسفة اليونان، والذي أخذها عن فلاسفة اليونان: الفلاسفة المشَّاؤون المنتسبون للإسلام كالفارابي وابن سينا، الذين قلدوا فلاسفة اليونان في كل شيء، حتىٰ في طريقة تعليمهم، فكان فلاسفة اليونان يُعلمون وهم يمشون، يقولون: هذا أدعىٰ للنشاط، فكان هؤلاء يفعلون فعلهم.

من أين أخذ المعتزلة مذهبهم في الأسماء والصفات

أخذوا أقوالهم، وكانت بضاعتهم من العلم مزجاة، ففُتنوا بهذه العقول الفاسدة، وحاكموا نصوص الشرع لهذه الأصول، فما كان معارضًا لها في زعمهم ردوه وجعلوا هذه الأصول هي التي يُعتمَد عليها.

لننظر ماذا قال الفلاسفة في صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ لو قرأت للفارابي كتاب (**المدينة**

الفاضلة)، تجده لا يصف الله تعالىٰ بصفة إثبات، وإنما لا يذكر إلا السلب، وهذا مأخوذ عن فلاسفة اليونان، وأخذه المتكلمون والفلاسفة المنتسبون للإسلام عنهم، فتجد عندهم النفي المفصل، والإثبات المجمل، فالله ليس بجسم، ولا بعرض، ولا بجوهر، ولا يأتي، ولا يجيء يوم القيامة، وليس له يد، ولا سمع، ولا قدم وليس له... كلها سلوب، فجعلوا النفي مفصلًا والإثبات مجملًا، وهذا غاية النقص؛ لأن الكمال لا يكون إلا في كثرة الإثبات المفصل، وليس في كثرة النفي.

اقرأ آخر سورة الحشر، ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣]، الصفات كلها صفات إثبات.

متىٰ يأتي النفي المفصل؟ عند رد النقص المُدعىٰ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كما ادعىٰ اليهود فقر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة:٦٤]، هذا في البخل، ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾، فهذا إثبات للنفي المُفصَّل، نفي الظلم.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، نفي الصاحبة والولد ومثله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٣-٤]، لماذا جاء النفي هاهنا مُفصلًا في هذه المواضع فقط وهي قليلة؟ لرد النقص المُدعىٰ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لأن من البشر من ادعىٰ هذه الصفات لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فمنهم من أثبت الولد لله، ومنهم من أثبت أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تعب بعد أن خلق السماوات والأرض، ومنهم من أثبت الفقر لله لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[التغابن:١٧]، فقالوا: إن الله يستقرضنا، فأثبتوا الفقر لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فجاء النفي المفصل ردًا علىٰ هؤلاء، لكن بخلاف ذلك، فالقاعدة هي النفي

المجمل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥].

فهؤلاء أخذوا هذه الطريقة من الفلاسفة، وجعلوها هي الأصل في الكلام عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته.

شبهة أن الإثبات يقتضي التركيب والتشبيه

وشبهتهم في ذلك قالوا: لأن الإثبات يقتضي التشبيه والتركيب، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية.

كيف يقتضي التشبيه؟ لأننا لو أثبتنا الأسماء شبَّهنا الله بخلقه، لأن الخلق قد سموا بهذه الأسماء، فمن الخلق من هو عالم، ومنهم من هو حكيم، ومنهم من هو كذا، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وكيف يقتضي التركيب؟ يقولون لفساد عقولهم وتصورهم: لأننا لو أثبتنا الصفات أثبتنا الأبعاض والأجزاء لله، وهذا يقتضي الجسمية.

يعني لو أثبت اليد لله، والعين لله، والسمع لله، طيب هذه بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء، وهذا يقتضي الافتقار، تفتقر إلىٰ التركيب، والله مُنزه عن ذلك، فالله عَزَّوَجَلَّ هكذا يقولون تبعًا للفلاسفة: واحد لا كثرة فيه.

ولذلك عندهم ثلاث جمل عندما تسمعها تكاد تقول: الله أكبر! فرحًا بها: الله واحد في صفاته لا شبيه له، واحدٌ في فعاله لا شريك له، واحد في ذاته لا قسيم له.

مثل أصول المعتزلة تمامًا، الأصول الخمسة، عندما تسمع الأصول الخمسة تقول: هذا هو ما جاء به القرآن والسنة، العدل، التوحيد، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لكن عند الوقوف علىٰ حقيقة قولهم تعلم الضلال الذي تحويه هذه العبارات

والأصول.

عندهم ثلاث جمل كما قلنا، قد يسمعها المرء غير الخبير بمذهبهم ويقول: كلام صحيح، فيقولون: الله واحد لا شبيه له، كلام جميل، لكن ماذا أرادوا؟ نفي الصفات، واحد لا قسيم له، ماذا أرادوا؟ نفي الصفات الخبرية، كاليد، والعين، واحد في فعاله، لا شريك له، كأنهم أرادوا الجبر، وهذا مذهب الأشعرية، وإن حاولوا تجميل قبحه بتسميته كسبًا.

فدائمًا الذي يُخالف عقيدة أهل السنة والجماعة لا تُسلم بكلامه، ولا تُسلم بمقدماته حتىٰ لا تُلزم بالنتائج، كل كلمة قل له: ماذا تقصد بهذه الكلمة؟ ماذا تقصد بالتوحيد؟ ماذا تقصد بنفي التشبيه؟ يقول لك: نفي التشبيه يعني نفي الصفات، تقول: هذا باطل.

فالشاهد: أن هذه هي الشبهة التي من أجلها نفوا الأسماء والصفات، شبهة التشبيه والتركيب.

السؤال الآن: هل إثبات الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقتضي التركيب والافتقار؟ لا يقتضي التركيب والافتقار، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رد طيب في بيان تلبيس الجهمية.

قال: هذه الصفات التي وُصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هل أضافها إليه مخلوق؟ فاستعارها من خارج أم أنها له؟ هي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولذلك نقول: كان الله بصفاته، فإثبات الصفات له لا يقتضي الافتقار للمخلوق، ولا يقتضي التعدد والتركيب.

لا تغتر بظاهر عبارات المتكلمين

ولذلك يستدل كما استدل الإمام أحمد بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:١١]، فقال: سماه الله وحيدًا، وله عينان، وأذنان، وسمع، وبصر، وله كثير من الجوارح، ومع ذلك سماه الله وحيدًا، ولله المثل الأعلىٰ.

فإذا أثبتنا الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلا يعني ذلك التعدد والتكثر والتركيب، هي كلها شُبه عقلية بعيدة عن الوحي.

يقول: ﴿ثُمَّ احْتَجَّ الْمُعَارِضُ لِتَرْوِيجِ مَذْهَبِهِ بِأَقْبَحِ قِيَاس، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَتَبْتَ اسْمًا فِي رُقْعَةٍ ثُمَّ احْتَرَقَتِ الرُّقْعَةُ، أَلَيْسَ إِنَّمَا تَحْتَرِقُ الرُّقْعَةُ وَلَا تَضُرُّ النَّارُ الاسْمَ شَيْئًا؟﴾.

فكذلك أسماء الله، لو عطلناها ونفيناها فهذا لا يضر الله شيئًا، هذا قياسه، انظر كيف قاس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي له الكمالات في كل شيء علىٰ هذا الأمر الذي ذكره، ليس عندهم أدب.

ولذلك سنجد لسانًا فيه حدة وشدة من الإمام الدارمي علىٰ هؤلاء، وحُقَّ له ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: ﴿فَيُقَالُ لِهَذَا التَّائِهِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَخْرُجُ من رَأسه: إِنَّ الرُّقْعَةَ وَكِتَابَةَ الِاسْمِ لَيْسَ كَنَفْسِ الِاسْمِ، إِذَا احْتَرَقَتِ الرُّقْعَةُ احْتَرَقَ الْخَطُّ، وَبَقِيَ اسْمُ اللهِ لَهُ، وَعَلَىٰ لِسَانِ الْكَاتِبِ كَمَا لَمْ يَزَلْ قَبْلَ أَنْ يُكْتَبَ، لَمْ تُنْقِصِ النَّارُ مِنَ الِاسْمِ وَلَا مِمَّنْ لَهُ الِاسْمُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَتْ أَسْمَاءَ الْمَخْلُوقِينَ، لَمْ تُنْقِصِ النَّارُ مِنْ أَسْمَائِهِمْ وَلَا مِنْ أَجْسَامِهِمْ شَيْئًا﴾.

يعني لو كتبنا اسم مخلوق وأحرقنا هذه الرقعة، فهذا لن يُنقص المخلوق شيئًا.

﴿وَكَذَلِكَ لَوْ كَتَبْتَ "اللهَ" بِهِجَائِهِ فِي رُقْعَةٍ، لَاحْتَرَقَتِ الرُّقْعَةُ وَكَانَ اللهُ بِكَمَالِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَكَذَلِكَ لَوْ صُوِّرَ رَجُلٌ فِي رُقْعَةٍ، ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ، لَاحْتَرَقَتِ الرُّقْعَةُ، وَلَمْ يَضُرَّ الْمُصور شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ، لَوِ احْتَرَقَتِ الْمَصَاحِفُ كُلُّهَا لَمْ يَنْقُصْ مِنْ نَفْسِ الْقُرْآنِ حَرْفٌ وَاحِدٌ، وَكَذَلِكَ لَوِ احْتَرَقَتِ الْقُراء كُلُّهُمْ أَوْ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبَقِيَ الْقُرْآنُ بِكَمَالِهِ كَمَا كَانَ لَمْ يُنْتَقَصْ مِنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ عِنْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ بِكَمَالِهِ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

قال: ﴿وَقَدْ كَانَ لِإِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ فِي أَسْمَاءِ اللهِ مَذْهَبٌ كَمَذْهَبِهِ فِي الْقُرْآنِ، كَانَ الْقُرْآنُ

عِنْدَهُ مَخْلُوقًا مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ، لَمْ يَتَكَلَّمِ اللهُ بِحَرْفٍ مِنْهُ فِي دَعْوَاهُ، وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ اللهِ عِنْدَهُ مِنَ ابْتِدَاعِ الْبَشَرِ مِنْ غير أَن يَقُول الله: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠] بِزَعْمِهِ قَطُّ، وَزَعَمَ أَنِّي مَتَىٰ اعْتَرَفْتُ بِأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بـ ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠] لَزِمَنِي أَنْ أَقُولَ: تَكَلَّمَ اللهُ بِالْقُرْآنِ، وَلَوِ اعْتَرَفْنَا بِذَلِكَ لَانْكَسَرَ عَلَيْنَا مَذْهَبُنَا فِي الْقُرْآنِ).

الشاهد: إن هذه الآية فيها هدم لمذهب الجهمية في الأسماء والصفات والقرآن، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، لأننا لو قلنا: القرآن مخلوق، فهل المخلوق يقول: إني أنا الله رب العالمين؟ واضح؟ هذا كفر، هل المخلوق يقول: إني أنا الله رب العالمين؟ هذا مُحال، وهذا يدل علىٰ أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: **(وَقَدْ كَسَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ رَغْمِ أُنُوفِهِمْ فَقَالَ:** ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠]، **لَا يَسْتَحِقُّ مَخْلُوقٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا، فَإِن ذَلِكَ كَانَ كَافِرًا، كَفِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ:** ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤].

فَهَذَا الَّذِي ادَّعَوْا فِي أَسْمَاءِ اللهِ أَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أُصُولِ الْجَهْمِية الَّتِي بنوا عَلَيْهَا مِحنهم، وأسسو بِهَا ضَلَالَتَهُمْ، غَالَطُوا بِهَا الْأَغْمَارَ وَالسُّفَهَاءَ، وَهَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُغَالِطُونَ بِهَا الْفُقَهَاءَ).

كما هو الحال في كل بدعة، يُغالَط بها الأغمار والسفهاء، ولا يقف لها ويرصدها ويُبين ما فيها من العوار إلا الفقهاء، لكن ما المقصود بالفقهاء من كلام الإمام الدارمي؟ أئمة أهل السنة والجماعة، ولا يعني أي واحد من الفقهاء، وإلا فأكثر فقهاء زماننا عندهم خلط في باب الأسماء والصفات، فهو يتكلم عن الفقهاء في زمانه، ما كان فقيه في زمانه إلا وكان عالمًا بالمعتقد الصحيح.

ولذلك لفظة "القُراء" لما ترد في لسان السلف ليس معناها كما هو عندنا الذي يؤم الناس، القُراء هم العلماء العالمون.

يقول القرطبي في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر] "هذه آية القُراء"، ماذا يقصد بالقُراء؟ يعني العالم العامل، كذلك هنا يقول: الفقيه يقصد بالفقيه: العالم، صحيح المعتقد، العامل بعلمه.

فيقول: (وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُغَالِطُونَ بِهَا الْفُقَهَاءَ، وَلَئِنْ كَانَ السُّفَهَاءُ فِي غَلَطٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، إِنَّ الْفُقَهَاء مِنْهُم لعلىٰ يَقِين، أَرَأَيْتُمْ قَوْلَكُمْ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ فَمَنْ خلقَهَا؟ أَوْ كَيْفَ خَلَقَهَا؟ أَجَعَلَهَا أَجْسَامًا وَصُوَرًا تَشْغَلُ أَعْيَانُهَا أَمْكِنَةً دُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟ أَمْ مَوْضِعًا دُونَهُ فِي الْهَوَاءِ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: لَهَا أَجْسَامٌ دُونَهُ، فَهَذَا مَا تَنْفِيهِ عُقُولُ الْعُقَلَاءِ).

لماذا قطع الدارمي بعدم قبول العقل بما قالوا؟...لأن المضاف إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قسمان.

- قسم قائم بنفسه، فهذه إضافة المخلوق إلىٰ الخالق، كما قال: ﴿نَاقَةُ اللهِ﴾[الأعراف:٧٣]، وبيت الله.

- وقسم لا يقوم بنفسه، وهو الذي يُسميه هؤلاء: العَرض أي الصفات، والعرض لا يكون إلا في جوهر، يعني في جسم، مثل السمع، والبصر، وكالأسماء.

فهل رأيت اسمًا استقل بذاته؟ أو وصفًا؟ لا وذلك لأنه لا يقوم بنفسه.

يقول المعارض هاهنا: هذه الأسماء أجسام وصور تشغل أمكنة معينة في الأرض أو في السماء، قال الدارمي: هذا مما لا يقبله عقل؛ لأنها لا تقوم بذاتها، لا بد لها من محل.

(فَإِنْ قُلْتُمْ: لَهَا أَجْسَامٌ دُونَهُ، فَهَذَا مَا تَنْفِيهِ عُقُولُ الْعُقَلَاءِ، وَإِنْ قُلْتُمْ: خَلَقَهَا عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الْعِبَادِ، فَدَعَوْهُ بِهَا، وَأَعَارُوهَا إِيَّاهُ، فَهُوَ مَا ادَّعَيْنَا عَلَيْكُمْ: إِنَّ اللهَ بِزَعْمِكُمْ كَانَ مَجْهُولًا لَا اسْمَ لَهُ حَتَّىٰ أحدث الْخَلْقُ فَأَحْدَثُوا أَسْمَاءً مِنْ مَخْلُوقِ كَلَامِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ بِاللهِ وَفِي أَسْمَائِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِهِ).



تعريف الإلحاد وأقسامه

قلت: الإلحاد في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاته علىٰ أقسام.

الإلحاد في لغة العرب بمعنىٰ: الميل، ومنه: اللحد، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**»، «**اللحد لنا**» **يعني**: الأصل في مقابر المسلمين أن تُلحَد، أن تحفر القبر وتضع الميت في ناحية القبر. وأما الشق فهذا لغيرنا من اليهود والنصارىٰ، لكننا لا نفعل ذلك، فهل هذا يُخالف سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ نقل النووي الإجماع علىٰ جواز ذلك، وأن اللحد أفضل، وليس هناك كراهية في الشق.

فالإلحاد في اللغة بمعنىٰ: الميل، ومنه: المُلحد؛ لأنه مال عما يجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته في الشرع: فكما عرَّفه العلامة ابن عثيمين: هو الميل عما يجب لله في أسمائه وصفاته.

وله أنواع كثيرة:

فمن الإلحاد: أن تُسمىٰ الأصنام والمعبودات الباطلة بأسماء الله، أن تُشتَق لها أسماء من أسماء الله، فاللات علىٰ أحد للتفسيرين من الله، والعزىٰ من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا إلحاد.

ومن الإلحاد: وصفه سبحانه بما يتنزه عنه من النقائص، كالفقر، والبخل، والإعياء، هذا كله ينافي كماله.

ومنه: تعطيل الأسماء عما اشتملت عليه من الصفات، فهي مجرد أعلام فقط، والمعطلة منهم مستقل ومستكثر في هذا الباب، أقلهم الأشاعرة.

ومن الإلحاد: تشبيه صفاته بصفات خلقه، فيقال: يد الله كيَد فلان، يد المخلوق، فهذا من

الإلحاد، وهو التمثيل.

ومنه: تسمية الله بما لا يليق.

فمثلًا: الفلاسفة يُسمون الله بالعلة الأولىٰ، أو بعلة العلل، هكذا يسمون الله عَزَّوَجَلَّ الفلاسفة، العلة الأولىٰ، وعلة العلل، والنصارىٰ يسمون الله أبًا، فهذه كلها من الإلحاد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أسماؤه أوصاف مدح كلها	مشتقة قد حملت لمعاني
إياك والإلحاد فيها إنه	كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الألحاد فيها الميل	بالشرك والتعطيل والكفران

قال: (**قَالَ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٢-٤]، **كَمَا نُضِيفُهُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ كَانَ كَمَا ادَّعَيْتُمْ لَقِيلَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُسَمَّىٰ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ**).

أي لكان سماه المخلوق، لكنه أضاف كل هذه الأسماء إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بلا فصل.

(**وَكَمَا قَالَ**: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[آل عمران:١-٣]، **وَكَمَا قَالَ**: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ﴾[الزمر:١]، **كَذَلِكَ قَالَ**: ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[فصلت:٢]، **وقال**: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢]، **وقال**: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[النمل:٦]، **كُلُّهَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَكُلُّهَا هِيَ اللهُ، وَاللهُ هُوَ أَحَدُ أَسْمَائِهِ**).

قال: (**وَاللهُ هُوَ أَحَدُ أَسْمَائِهِ، كالعزيز، الْحَكِيم، الْجَبَّار، الْمُتَكَبِّر**).

قال: (**كَذَلِكَ رَوَىٰ زَعِيمُكُمُ الْأَوْسَطُ يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُفَ عَنِ الشعبي إن قنعتم بروايته**).

الآثار والأحاديث التي تُثبت أن أسماء الله له غير مخلوقة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كَذَلِكَ رَوَىٰ زَعِيمُكُمُ الْأَوْسَطُ يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُفَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، إِنْ قَنَعْتُمْ بِرِوَايَتِهِ**).

وقوله: (**يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُف**): هو القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، صاحب أبي حنيفة.

وقوله: (**زَعِيمُكُمُ**) فلا يعني الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا الزعامة في المعتقد، فإن أبا يوسف القاضي كان صاحب حديث وسنة.

بل لما صنَّف الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدته بيَّن في صدرها أنها عقيدة صاحبي الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف.

فالزعامة هاهنا المقصود بها: الزعامة الفقهية، فكان المريسي يحضر لأهل الرأي.

فقال: (**كَذَلِكَ رَوَىٰ زَعِيمُكُمُ الْأَوْسَطُ يَعْقُوبُ أَبُو يُوسُفَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، إِنْ قَنَعْتُمْ بِرِوَايَتِهِ**).

قال: (**حَدَّثَنَاهُ مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا أَبُو يُوسُفَ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: "اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ هُوَ الله"**).

وقال: (**حَدثنَا هدبة بن خالد، أَخْبَرَنَا أَبُو هِلَالٍ الرَّاسِبِيُّ، عَنْ حَيَّانَ الْأَعْرَجِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: "اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ هُوَ اللهُ، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهُ يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا؟"**).

والأثر الأول أثر ضعيف؛ لأنه من رواية مجالد بن سعيد، وهو سيئ الحفظ، وهو كذلك أثر منقطع الإسناد.

وأما الأثر الثاني فهو أثر حسن لغيره، فهو ثابت عن جابر بن زيد، وفيه قال: "اسْمُ اللهِ

الْأَعْظَمُ هُوَ الله، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهُ يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا؟".

والشاهد في هذا الأثر: أن هذا الاسم أُضيف إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليس مخلوقًا من مخلوقاته، بل كان الله بأسمائه وصفاته، ففيه رد علىٰ الجهمية المعتزلة.

واسم الله الأعظم عند جماهير أهل العلم: هو الله، وهذا ما مال إليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاسم الأعظم هو الله.

ومنهم من قال: اسم الله الأعظم: الحي القيوم، وقد جاء في ذلك حديث عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن اسم الله الأعظم موجود في ثلاث سور: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه، ولما نظروا في هذه السور الثلاثة وجدوا اسم الله "الحي القيوم"، فاستنبطوا أن اسم الله الأعظم هو الحي القيوم.

لكن الجمهور -كما قلنا- علىٰ أن اسم الله الأعظم هو الله.

تفاضل الأسماء والصفات الذاتية والفعلية

قال هاهنا: **(اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ)**، **والأعظم**: أفعل، فهي أفعل التفضيل، فهل أسماء الله تتفاضل؟ هل أسماء الله فيها فاضل وأفضل؟ أم أنها لا تتفاضل؟

الصحيح في ذلك: أن الأسماء والصفات تتفاضل، وذلك بحسب ما تحمله من المعاني، فبعض الأسماء الحسنىٰ يحمل من المعاني الجليلة العظيمة ما لا يحمله غيره.

كما جاء في حديث رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل الذي دعا ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم**»، فالأعظم معروف في لغة العرب أنها أفعل تفضيل، فهناك عظيم وأعظم.

والدليل الثاني كذلك: ما جاء في حديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أحب الأسماء إلىٰ**

الله عبد الله وعبد الرحمن»، أين الشاهد في هذا الحديث؟ حسنًا، أين الدلالة في قوله: «أحب»؟ أنه خصها دون غيرها، نعم.

الدليل في هذا الحديث: أن الأسماء لو لم تكن تتفاضل لتساوت في هذا الأمر، فكانت التسمية بعبد الله وعبد الرحمن كالتسمية بغيرها من الأسماء الحسنىٰ، فلما قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الأسماء إلىٰ الله عبد الله وعبد الرحمن» دل ذلك علىٰ فضل هذين الاسمين علىٰ غيرهما من الأسماء.

بل إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**مدارج السالكين**) جعل مدار الأسماء الحسنىٰ كلها علىٰ الأسماء الثلاثة الواردة في سورة الفاتحة: الله، والرب، والرحمن، فرد كل الأسماء إلىٰ هذه الأسماء الثلاثة، **فالصحيح**: أن أسماء الله تتفاضل باعتبار ما تتضمنه من المعاني.

والصفات كذلك تتفاضل، صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تتفاضل، فليست علىٰ درجة واحدة.

وهذا التفاضل باعتبارين، التفاضل في الصفات يكون باعتبارين:

- باعتبار الصفة في نفسها، فهناك صفة أفضل من صفة، فصفة الرحمة أفضل من صفة الغضب، بدليل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**إن رحمتي تغلب غضبي**».

- وتتفاضل كذلك باعتبار متعلقها، يعني باعتبار ما تتعلق أو من تتعلق به هذه الصفة، فالرضىٰ صفة من صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الفعلية، يرضىٰ عمن يشاء.

ورضاه عن النبيين أعظم من رضاه عن غيره من المؤمنين، فهنا الصفة تفاضلت باعتبار من تتعلق بهم.

قال: **(أَفَلَا يَسْتَحِي عَبْدٌ مِنْ خَالِقِهِ وَمِنْ خَلْقِ رَبِّهِ فَيَدَّعِي أَنَّ اللهَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ مُسْتَعَارٌ!)**.

فهذا فيه رد علىٰ هؤلاء، ذلك أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما قلنا: تضمنت الأوصاف المُثلىٰ

لله تعالىٰ، ولذا وقع فيها التفاضل.

ولا يقع التفاضل في الأعلام المحضة، يعني لو قلنا كما تقول المعتزلة: الله له أسماء بلا صفات، سميع بلا سمع، هذه أعلام محضة، لا تتضمن أي صفة، لو كانت أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مخلوقة مستعارة أعلامًا محضة دالة علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لما وقع فيها التفاضل، والنبي يقول: إن هذا هو اسم الله الأعظم، «**لقد دعا الله باسمه الأعظم**».

فهذا التفاضل في الأسماء مبني علىٰ ما تحويه هذه الأسماء من الصفات والمعاني، علمنا لماذا جاء بهذا الأثر؟ «**لقد دعا الله باسمه الأعظم**»، جاء به من أجل هذا التفاضل، وقع التفاضل من أجل ما تحويه من المعاني، فهذا فيه رد عليهم في قولهم بأن أسماء الله أعلام مجردة، لأنهم ينفون الصفات عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيقولون: هي أعلام مجردة مترادفة، فإذا سمَّينا الله باسمه السميع هو يحمل نفس ما يحمله اسمه العليم، الكبير، الكريم، كلها أعلام محضة، لا تحمل صفات الكرم، ولا الجود، ولا السمع، ولا البصر، فجاء بحديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم**»، والنبي يتكلم بلسان عربي مبين.

وسيأتي في كلام المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ ما يُبين أن أكثر المبتدعة إنما أُتوا من جهة جهلهم بلغة العرب.

والاستدلال بهذا الأثر فيه: بيان أن المصنف كان من أئمة اللغة، كما كان من أئمة الاعتقاد، وهذا في أئمتنا من أهل السنة والجماعة، أنهم كانوا أئمة في اللغة، وأئمة في التفسير، وأئمة في الحديث، وأئمة في المعتقد.

ولذلك كانت عقيدتهم عقيدة سليمة يُعضدها الكتاب والسنة وكلام العرب.

فقال: (**أَفَلَا يَسْتَحِي عَبْدٌ مِنْ خَالِقِهِ وَمِنْ خَلْقِ رَبِّهِ**)، يعني هو عبد من خلق ربه، لا يخرج عن خلق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ (**فَيَدَّعِي أَنَّ اللهَ اسْمٌ مَخْلُوقٌ مُسْتَعَارٌ!**).

ثم قال: (حَدَّثنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بن أبي طَلْحَة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كهيعص اسْم من أسماء الله").

هذا الأثر ذكره الطبري في تفسيره، والبيهقي في الأسماء والصفات، من طريق المصنف من طريق الدارمي بلفظ: كهيعص، طه، طس، طسم، يس، ص، حم، ق، ونحو ذلك، قال: "قسَم أقسمه الله تعالىٰ وهي من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ".

لكن هذا الأثر أثر ضعيف، ففي سنده عبد الله بن صالح المصري، وهو سيئ الحفظ، وعلي بن أبي طلحة القرشي لم يسمع من عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فالأثر ضعيف.

قال: (وَقَدْ رُوِيَ لَنَا فِي تَفْسِيرِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حَدَّثَنَاه أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حدثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ عطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كَافٌ مِنْ كَرِيمٍ، وَعَيْنٌ مِنْ عَلِيمٍ، وياء من حَكِيمٍ، وَهَا مِنْ هَادٍ، وَصَادٌ من صدوق").

يعني هذه الأحرف التي جاءت في صدر سورة مريم، فجعل كل حرف من هذه الأحرف هو أول حرف من اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن هذا الأثر كذلك أثر مضطرب، لا يصح عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهو كذلك أثر ضعيف؛ لأن عطاء بن السائب وإن كان ثقة إلا أنه اختلط، وروايته عن سعيد بن جبير فيها ضعف، فالأثر لا يصح.

قال: (وَحَتَّىٰ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُجْمِلُهَا).

يعني يُجمل فواتح السور.

(فَيَقُولُ: "يَا كهيعص اغْفِرْ لِي"، كَمَا يَقُولُ: "يَا اللهُ اغْفِرْ لِي").

ثم ساق الإسناد فقال: (حَدَّثَنَا روح بن عبد الْمُؤمن الْمقري، حدثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ،

حدثَنَا نَافِعُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ، عَنْ فَاطِمَةَ ابْنَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّهَا سَمِعَتْ عليًّا يَقُول: "يَا كهيعص اعفرلي"، فَمَنْ خَلَقَ "كهيعص" فِي دَعْوَاكُمْ؟ وَمَنْ تَكَلَّمَ بِهَا قَبْلَ اللهِ؟ وَمَنِ اهْتَدَىٰ لَهَا غَيْرَ اللهِ؟ وَكَمَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ:** ﴿أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص: ٣٠]**)**.



هذا الكلام لنا معه وقفات

أما الوقفة الأولى: فهي أن هذه الآثار لا تصح، لا يصح شيء منها عن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى هذا الأثر الأخير الذي ذكره عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أثر ضعيف، وفي سنده نافع بن عبد الله المقرئ، قال عنه أحمد: "ليس في الحديث بشيء".

وفي سنده كذلك فاطمة بنت علي بن أبي طالب، وهي الصغرى، وهي وإن كانت ثقة لكن قال الحافظ المزي عنها: "روت عن أبيها، وقيل: لم تسمع منه".

قال موسى الجهني: "دخلت على فاطمة بنت علي، وهي ابنة ست وثمانين سنة، فقلت لها: تحفظين عن أبيكِ شيئًا؟ قالت: لا".

وفيه كذلك ما يُبين ضعف هذا الأثر، فهذه الآثار كلها لا تصح عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أولًا.

وقفات مهمة مع الحروف المقطعة

وثانيًا: هل هذه الأحرف المقطعة التي في أوائل السور أسماء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أم لا؟

بدايةً نقول: الأحرف نوعان، الحرف في لغة العرب نوعان:

- هناك حرف مبنى.
- وحرف معنى.

فحرف المبنى: كحرف الهجاء، فكلمة "أم" تتكون من حرفين: الهمزة والميم، فهذه أحرف مبنى.

وأما أحرف المعنىٰ: فهي كأحرف الجر، فـ"من" حرف جر، و"إلىٰ" حرف جر، و"علىٰ" حرف جر، وهذه الأحرف لها معاني، ولذلك سُميت بأحرف المعنىٰ، يعني "علىٰ" تُفيد الفوقية، و"في" تُفيد الظرفية، فهذه تُسمىٰ بحروف المعاني، طيب.

هذه الحروف التي في أوائل السور هي وإن كانت حروف مبنىٰ، يعني في أصلها حروف مقطعة، "يس" الياء والسين، "طه" الطاء والهاء، إلا أنها تحمل مغزىٰ معينًا؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يأتي بشيء في كتابه إلا لحكمة، ولمغزىٰ، علم هذه الحكمة وهذا المغزىٰ من علمه وجهله من جهله.

هذه الحروف اختلف فيها أهل العلم علىٰ أقوال، والقول الراجح، الذي يُعضده الدليل، وهو ما رجحه العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، هو: أن هذه الحروف جيء بها في أوائل السور من أجل أن يُقال للمشركين: هذا القرآن من جنس كلامكم، أي: في أصله، فهو من أحرف كالأحرف التي تتكلمون بها، فأتوا بمثله، أو فأتوا بسورة من مثله، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والدليل الذي يُرجح هذا القول: هو ما ذكره العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الأحرف إن وردت في أوائل السور يأتي بعدها الحديث عن القرآن كلام الله، كأن الله يريد بذلك أن يتحداهم بأنه أنزل كلامًا من جنس كلامهم، فهل يستطيعون الإتيان بمثله أو بسورة من مثله؟! فهو ينفي بذلك دعوىٰ المشركين أن هذا القرآن مُفترىٰ من قِبل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولو تتبعنا هذه السور لوجدنا ذلك إلا في سورتين؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يقول في أول سورة البقرة: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:١-٢]، ويقول في آل عمران: ﴿الم * اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران:١-٣]، ويقول: ﴿ص وَالْقُرْآنِ

ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص:١]، ويقول: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق:١]، ويقول: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس:١-٢]، فيأتي بهذه الأحرف ثم يأتي بعدها ذكر القرآن.

فالراجح -والله أعلم-: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جاء بهذه الأحرف من أجل أن يتحدىٰ بها هؤلاء الذين يزعمون أنه مُفترىٰ من قِبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أولًا.

الأمر الثالث: هب أن هذه الاثار ثبتت عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كهيعص اسم من أسماء الله"، أو غيرها من الأحرف المقطعة، كيف نُوجه هذا القول؟ هذا القول له توجيه، قاله أهل العلم في كتب علوم القرآن، فيُوجَّه قولهم أن كل حرف من هذه الأحرف المقطعة مأخوذ من اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هم ما أرادوا أن "كهيعص" هذا اسم من أسماء الله، إنما أرادوا أن الكاف مأخوذ من "كريم"، الهاء مأخوذ من "هاد"، وهكذا، بدليل الأثر التالي الذي ذكره عن عبد الله بن عباس لما فصَّل في ما جاء في صدر سورة مريم.

وهذا معهود في كلام العرب، أن تقتصر علىٰ الحرف الأول من الكلمة ويُفهَم المراد.

يعني مثلًا يقول الشاعر: "قلت لها قفي قالت قاف"، أي: وقفت.

وقال آخر:

بالخير خيرات وإن شرًّ فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

"وإن شرًا فـ" يعني: وإن شرًا فشر، فـ: فشر، فذكر الحرف الأول.

"ولا أريد الشر إلا أن تـ": ولا أريد الشر إلا أن تُريد، "ولا أريد الشر إلا أن تـ" هو ذكر حرف التاء، يعني إلا أن تريد.

وهذا القول اختاره الزجاج كما في معاني القرآن، فحتىٰ لو صحت هذه الآثار عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلها توجيه مقبول.

قال: (**كَذٰلِكَ قَالَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا الرَّحْمَنُ**»).

قال: (**حَدَّثَنَاهُ مُسَدَّدٌ**).

ومسدد: هو الإمام العلم، مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن ماهك، هذا اسمه، كما ذكره الذهبي في السير، قال بعضهم عن هذا الاسم: لو كُتب أمام هذا الاسم بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية العقرب؛ لأن اسمه عجيب.

قال: (**حَدَّثَنَاهُ مُسَدَّد، حدثنَا سُفْيَانُ، عَن الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ**: «**قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بتته**»).

أي: قطعته، وهذا الحديث حديث حسن بشواهده، وهو في الصحيح، أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن، قال الله: من وصلكِ وصلته، ومن قطعكِ قطعته.

الشاهد في هذا الحديث: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: «**أَنَا الرَّحْمَنُ**»، فهو من سمىٰ نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خلق الرحم خلقها قبل خلق الخلق، صحيح؟ وقبل أن يوجد البشر خلق الرحم، فاشتق لها من اسمه اسم لها، وقال لها: من وصلكِ وصلته، ومن قطعكِ قطعته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي سمىٰ نفسه ولم يكن المخلوق هو الذي سمىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجعل له الأسماء المستعارة المخلوقة، تعالىٰ الله عما يقول المعتزلة والجهمية، وهذا استدلال بديع.

فقال: «**شَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بتته**».

(**فَيَقُولُ اللهُ: أَنَا شَقَقْتُ لَهَا من اسْمِي، وَادعت الْجَهْمِية المكذبين لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهُمْ أَعَارُوهُ الِاسْمَ الَّذِي شقها مِنْهُ! ومن أَيْنَ عَلِمَ الْخَلْقُ أَسْمَاءَ الْخَالِقِ قَبْلَ**

تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمْ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ آدَمُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ أَسْمَاءَ الْمَخْلُوقِينَ حَتَّىٰ عَلَّمَهُمُ اللهُ مِنْ عِنْده، وَكَانَ بَدو عِلْمِهَا مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة:٣١-٣٣]).

هذه الآيات وردت في خلق آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أبو البشر، فالله عَزَّوَجَلَّ لما خلقه ونفخ فيه الروح أمره أن يذهب إلىٰ الملائكة، وأن يستمع لتحيتهم، فإنها ستكون تحيته وتحية ذريته من بعده، ثم كرَّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آدم بأن سجدت له الملائكة، وعلَّمه الأسماء كلها، علَّمه كل الأسماء، فعلَّمه القصعة، والقصيعة، والفسوة، والفسية، علَّمه كل شيء كما يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فمن الذي علَّم الخلق هذه الأسماء؟ الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي علمها آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعلمها ذريته من بعده، وكان بُدو هذا العلم هبة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لماذا تقول المعتزلة بأن مبدأ اللغات اصطلاحي؟

وأنا لما قرأت هذا الكلام للإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ علمت لماذا تقول المعتزلة بأن مبدأ اللغات اصطلاحي، يعني هذه المسألة مسألة مبدأ اللغات من المسائل الدخيلة التي تُدرَس في علم أصول الفقه، وليس لها قيمة في علم أصول الفقه، ولا يترتب عليها ثمرة في علم أصول الفقه، فجمهور أهل العلم ومنهم أهل السنة والجماعة يقولون: إن مبدأ اللغات توقيفي، من قِبل الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ "واللغة الرب لها وضع"، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي وضع اللغة، وعلَّم آدم الأسماء كلها، وهذه هي الآية العمدة في استدلالهم، والمعتزلة يقولون: وضع اللغة اصطلاحي، وما كنت ألتفت إلىٰ السبب في قول المعتزلة باصطلاحية اللغة، وأنها

ليست توقيفية، قلت: ما الذي يترتب علىٰ ذلك؟

وأحيانًا يعني كنت أميل لقول المعتزلة، ولكن لم أكن أدري ما خَلْفَ هذا القول، قالوا بأن اللغة اصطلاحية من أجل مذهبهم في أسماء الله، لأنهم لو قالوا بأن اللغة توقيفية لبطل مذهبهم، لماذا؟ لأن هذا سيعود عليهم بما يُفيد بأن الله هو الذي سمىٰ اسمه العليم الحكيم الرحيم، صحيح؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي وضع هذه الأسماء، لكن قالوا بأنه وضع اللغة اصطلاحي من أجل ماذا؟ من أجل أن ينصروا مذهبهم في أن أسماء الله مخلوقة، وأن صفاته كذلك، والقرآن من صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَى **ولذلك يقولون**: القرآن مخلوق وليس كلامًا لله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

لماذا تقول المعتزلة بأن مبدأ اللغات اصطلاحي؟

فمن هنا قالوا بأن وضع اللغة اصطلاحي وليس توقيفيًا.

قال: (**وَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا وَحَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»).

وهذا حديث صحيح ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخرجه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه.

قال المصنف: (**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، حدثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عيينة، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعين اسْمًا -مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا- لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وتر يحب الْوتر**»).

وقال: (**حَدَّثَنَا هشام بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ، حدثَنَا الْوَلِيد ين مُسلم، حدثَنَا خُلَيْد بْن دعْلج، عَنْ قَتَادَة، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**:

«لِلَّهِ تِسْعَةً وتسعون اسْمًا مَنْ أحصاها كلهَا دخل الْجنَّة»).

وهو حديث صحيح وإسناده ضعيف.

فقال: «لِلَّهِ تِسْعَةً وتسعون اسْمًا»، والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىَ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:١٨٠].

فهذا الحديث مع الآية يُثبتان أن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكثر من اسم.

لكن لماذا ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث؟ فقه هذه الأحاديث تحت هذه التراجم يبين لنا علو فقه هؤلاء الأئمة، يعني الذي درس معنا كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب يجد أن هذا الرجل كان صاحب فقه عال جدًا؛ لأنه يستنبط الدلالات العجيبة من الآيات والأحاديث بناءً علىٰ ما ترجم به، وكذلك المصنف هاهنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لماذا ذكر هذا الحديث؟

أولًا: ذكره لأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لله»، والإضافة هاهنا إضافة اختصاص، فالله عَزَّوَجَلَّ يختص بهذه الأسماء، وهو الذي سمىٰ بها نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا أولًا.

هل كثرة الأسماء تدل علىٰ تعدد الآلهة ومشابهة النصارىٰ؟

ثانيًا: ذكر هذا الحديث أيضًا -وهذا هو المهم- لأنه أراد أن يُثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكثر من اسم، والهدف من ذلك أن المعتزلة والجهمية يدَّعون أننا لو سمينا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأكثر من اسم فقد شابهنا النصارىٰ، نعبد أكثر من إله، يعني يقولون: أنتم شر من النصارىٰ، النصارىٰ يعبدون ثلاثة، أنتم تقولون: إن ربنا له تسعة وتسعين اسما!، تعبدون تسعة وتسعين إلهًا! هكذا يقولون.

وهذا كلام باطل، وذلك للفرق بين معتقد أهل السنة والجماعة ومعتقد النصارىٰ،

النصارىٰ يعبدون أقانيم ثلاثة مستقلة بذاتها، الأب مستقل بذاته، له صفاته التي استقل بها، وهم يسمون ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالأب، والابن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسمونه بالابن، وله صفات استقل بها، وانفصل بها عن الأب، والروح القدس كذلك، ولذلك يأتون بها في صورة حمامة فمعنىٰ ذلك: أنهم يجعلون هذه الأقانيم الثلاثة آلهة مستقلة، فهل هذا وجدناه في أسماء ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ لا، هذه أسماء لربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي هي كصفاته، لا تنفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ففرق بين معتقد أهل السنة والجماعة ومعتقد النصارىٰ.

ولذلك نقل إسحاق بن راهويه أن جهمًا قال: لو قلت: إن لله تسعة وتسعين اسمًا لعبدت تسعة وتسعين إلهًا، هذا ما قاله الجهم، يعني قلتم بقول النصارىٰ في مسألة الأقانيم.

فرُد عليه بماذا؟ بأن الرسول قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»، وفي الآية قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، والأسماء جمع، وأقل الجمع ثلاثة، ولا فرق عند الزيادة علىٰ واحد بين الثلاثة والتسعة والتسعين، طالما أنك زدت علىٰ واحد فلا فرق بين هذه الزيادة بين الثلاثة والتسعة والتسعين،فلله أسماء وليس اسمًا واحدًا كما نطق بذلك الكتاب والسنة، وفرق بين هذا المعتقد وبين عقيدة النصارىٰ.

هذا الكلام الباطل يقوله كذلك المُعطلة الأشعرية عند تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد إلىٰ: توحيد ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، يقولون: أنتم مُثلِّثة، كما كان يقول حسن السقاف، ورد عليه الشيخ الألباني، ورد عليه الشيخ عبد الرزاق البدر في (**القول السديد في الرد علىٰ من أنكر تقسيم التوحيد**)، لأنهم قالوا: تقسيم التوحيد إلىٰ أقسام ثلاثة هذا فيه شبه للنصارىٰ، وقطعًا هذا كلام كذلك مردود.

هل أسماء الله محصورة

هناك مسألة أخرىٰ كذلك في هذا الحديث، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن لله تسعة**

وتسعين اسمًا»، هل أراد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحصر في هذا الحديث؟ ما أراد الحصر في هذا الحديث.

وقد نقل النووي اتفاق العلماء علىٰ ذلك، نقل النووي اتفاق العلماء علىٰ أن الحصر غير مراد هاهنا.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **في بيان معنىٰ هذا الحديث قال**: "إنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألف درهم، أعدها للصدقة"، وهذا المثال يذكره الشيخ ابن عثيمين كثيرًا في توجيه هذا الحديث، قاله الخطابي.

وهذا لا يدل علىٰ أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، وإنما هذه الألف أعدها للصدقة.

كذلك أسماء الله التسعة والتسعون من أحصاها في الكتاب والسنة دخل الجنة، وليس معنىٰ ذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس له أسماء أخرىٰ، بدليل حديث عبد الله بن مسعود، الذي قال فيه: «**اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، فجعل الأسماء علىٰ أقسام، منها ما أنزل الله في كتابه، ومنها ما علمه أحدًا من خلقه، ومنه ما استأثر به في علم الغيب عنده.

وكذلك قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من بليتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك**»، **الشاهد في قوله**: «**لا أحصي ثناء عليك**»؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لو علمنا كل الأسماء والصفات فخير من بلغ مرتبة العبودية والثناء علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكان قد أحصىٰ الثناء علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والدليل كذلك: حديث الشفاعة، أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما يسجد تحت العرش يفتح

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليه بمحامد وثناءات يُثني بها علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لم يكن قد علمها قبل ذلك، والثناء علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يكون بأسمائه، وصفاته، وفعاله، فكل هذا فيه دليل علىٰ أن الحصر لا يُراد في هذا الحديث.

قال: «من أحصاها دخل الجنة»، ما المراد بالإحصاء؟ اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من قال: الإحصاء: الحفظ، واستندوا إلىٰ هذه الرواية التي معنا، التي قال: لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، فقالوا: الإحصاء: مجرد الحفظ.

والقول الراجح في ذلك: أن الإحصاء يتضمن أمورًا ثلاثة، أشهرها:

- معرفة هذه الأسماء، والوقوف عليها.

- ومعرفة معانيها.

- والعمل بمقتضاها.

الوقوف علىٰ هذه الأسماء بالكتاب والسنة، وهذا هو معنىٰ الإحصاء، الإحصاء يعني العد، يعد هذه الأسماء في الكتاب والسنة، تستخرج هذه الأسماء من الكتاب والسنة، عبادة عظيمة جدًا، وأنت تقرأ القرآن تستخرج هذه الأسماء.

ثم الوقوف علىٰ معاني هذه الأسماء، من خلال كتب التفسير، أو الكتب التي أُلِّفت في شرح الأسماء الحسنىٰ، كالنهج الأسمىٰ.

ثم العمل بمقتضىٰ هذه الأسماء.

فمن تحققت فيه هذه الأمور الثلاثة تحقق له المشروط وهو دخول الجنة؛ لأنه حقًا الذي يعمل بهذه الأسماء لا يعصي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإن عصاه عاد إليه؛ لأنه يسير إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالمحبة، والرغبة، والرهبة، يتعبد إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بسائر هذه الأسماء وما تضمنته من

صفات.

في الرواية الثانية: قال: (حَدَّثَنَا هشام بْنُ عَمَّار)، الحديث.

ثم قال بعد ذلك: (قَالَ هِشَامٌ).

يعني هشام بن عمار.

(وَحَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حدثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: كُلُّهَا فِي الْقُرْآن، هُوَ الله لَا إِلَه هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الْمُحْصِي، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيّ، الحميد، المحصي، المبدئ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِر، الْبَاطِن، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفو، الرؤوف، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ الْمُعْطِي، الْمَانِعُ الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْغَنِيُّ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ، فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءُ اللهِ).

هذه الرواية رواية مُدرَجة، آخر الحديث: «من أحصاها دخل الجنة»، وأما هذه الرواية فهي رواية مُدرَجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث علىٰ أن هاتين الروايتين"، يعني اللتين جاء فيهما هذا العد للأسماء الحسنىٰ، "ليستا من كلام النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه"، انتهىٰ من مجموع الفتاوىٰ.

وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان، وهو ثقة عند أهل الحديث، وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسناد صحيح"، لا نعلم ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

وقد روىٰ آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح، وقال شيخ الإسلام كذلك.

وهذا الحديث الذي فيه عد الأسماء الحسنىٰ ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل هذا ذكره الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز، أو عن بعض شيوخه، ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي، فهذا العد لا يثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن قوله: "كلها في القرآن" يرد ثبوت هذا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا؟ لأن بعض هذه الأسماء لم ترد لا في القرآن ولا في السنة.

يعني "الضار النافع" لم يرد في كتاب الله ولا في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعز المذل، المُحصي، المُعيد، المُميت، الماجد، الرافع، الخافض، الباقي، الرشيد، الصبور، النافع، هذه الأسماء لم ترد لا في كتاب الله ولا في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما هي مشتقة من صفات وأفعال لله.

والصحيح: أن أسماء الله توقيفية، لا تُشتَق من أسمائه ولا من صفاته ولا فعاله.



خطأ في فهم كلام ابن القيم في اشتقاق الأسماء

وهنا نقطة مهمة جدًا يخلط فيها بعض من يتكلم في هذا الباب، فيأتي علىٰ كلامٍ لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**البدائع**) أو في غير هذا الكتاب، فيجد ابن القيم يقول: إن أسماء الله مشتقة، فيقول: ابن القيم يقول: أسماء الله مشتقة، فمعنىٰ ذلك: إن يجوز لنا أن نشتق أسماء لله من صفاته، فنسمىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالنافع والضار، والله هو الذي ينفع ويضر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الذي يخفض ويرفع، فنُسميه بالخافض والرافع، يخفض القسط ويرفعه.

وما أراد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنىٰ، وإنما أراد أن يرد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: هذه أسماء جامدة، لا تتضمن صفات، فهو يريد أن يقول: هذه أسماء مشتقة، يعني تحوي المعاني والصفات الجليلة.

فالصحيح: أن أسماء الله توقيفية، لا يجوز لنا أن نسمي الله باسم لم يرد لا في الكتاب ولا في صحيح السنة.

ولذلك قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "ومن علم هذا الباب" يعني باب الأسماء والصفات، "ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يُتجاوَز فيها التوقيف، ولا يُستَعمَل فيها القياس، فيُلحَق الشيء بنظيره في ظاهر وضع اللغة".

وهذه قاعدة مهمة جدًا، فالقوي الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه: القوي.

"فالقوي لا يُقَاس عليه الجَلد"، مع إن الجلد بمعنىٰ القوي.

"لا يُقَاس عليه الجلد، وإن كانا متقاربين في نعوت الآدميين"، يعني انت ممكن تصف الإنسان بأنه قوي وأنه جلد، صحيح؟

"وإن كانا متقاربين في نعوت الآدميين؛ لأن باب الجلد - أو التجلد - يدخله التكلف

والاجتهاد، ولا يُقاس المطيق علىٰ القادر"، والله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه: القادر، والقادر قريبة المعنىٰ من المُطيق، أنه أطاق الشيء.

"وفي أسمائه العليم، ومن صفاته العلم"، كل الكلام ده كلام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول: "وفي أسمائه العليم، ومن صفاته العلم، ولا يجوز قياسًا عليه أن يُسمىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عارفًا"، المعرفة والعلم، فنُسمي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالعليم، ولا نُسمي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالعارف، "لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يُتوَصَل إلىٰ علم الشيء"، وهذا لا يجوز في حق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ثم قال: "وهذا الباب يجب أن يُراعىٰ، ولا يُغفَل، فإن عائدته عظيمة، والجهل به ضار".

فأسماء الله أسماء توقيفية، لا يجوز لنا أن نسمي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بغير هذه الأسماء، عندنا.

لماذا يذكر المصنف أو المصنفون عمومًا في باب الاعتقاد الأحاديث الضعيفة؟

عندنا مسألة أخرىٰ الآن: لماذا يذكر المصنف أو المصنفون عمومًا في باب الاعتقاد الأحاديث الضعيفة؟ يعني هذه الرواية رواية ضعيفة ومع ذلك يذكرها المصنف !!

- إما أن تكون هذه الأحاديث قد صحت عندهم، يعني غلب علىٰ ظنه أنها صحيحة، وليست بضعيفة، فلم يطلع علىٰ علة لهذا الحديث.

- وإما أنه عرف ضعفها، لكنها تندرج عنده تحت أصل صحيح ثابت، يعني جاء بها كشاهد، وليس كأصل، فأصل الباب صحيح، أن أسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ غير مخلوقة، وجاء بأدلة صحيحة من كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم جاء بشواهد لهذه الأدلة.

- وإما أنهم أسندوها، ومن أسند فقد أحال؛ لأنه ذكرها بالسند، فابحث أنت عن صحة هذه الآثار والأحاديث، وهذا أبعدها.

قال: (فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءُ اللهِ لَمْ تَزَلْ لَهُ كَمَا لم تزَلْ، بِأَيِّهَا دَعْوَتَ فَإِنَّمَا تَدْعُو اللهَ نَفْسَهُ، وَفِي أَسْمَاءِ اللهِ حُجَجٌ وَآثَارٌ مِمَّا ذَكَرْنَا تَرَكْنَاهَا مَخَافَةَ الطَّوِيلِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ بَيَانٌ بَيِّنٌ وَدِلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَىٰ إِلْحَادِ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ، الْمُبْتَدِعِينَ أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يَخْرُصُونَ، وَعَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَمَّا غَمَصُوه).

الغمص: هو الاستصغار، يُقال: غمص فلان النعمة إذا لم يشكرها، وغمصت عليه قولًا قاله أي: عبته.

"ويقال للرجل إذا كان مطعونًا عليه في دينه: إنه لمغموص عليه"، انتهىٰ من الصحاح للجوهري.

(بابٌ في سماع كلام الله ورؤيته).

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، وَهِيَ فِي دَعْوَاهُ).

يعني هذه الحواس.

(اللَّمْسُ وَالشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَالْبَصرِ بِالْعَيْنِ وَالسَّمْعِ، وَاحْتَجَّ لِدَعْوَاهُ بِحَدِيثٍ مُفْتَعَلٍ مَكْذُوبٍ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مَعَهُ شَوَاهِدُ وَدَلَائِلُ كَثِيرَةٌ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ مُفْتَعَلٌ).

فالمعارض نفىٰ كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ونفىٰ أن يرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة، ومعه في ذلك أصلٌ فاسد سيأتي عرضه والرد عليه.

وسماع كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة والإجماع، فربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يتكلم، والكلام صفة ذاتٍ له كما أنه صفة فعل، فهي صفة ذات لا تنفك عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأن ذلك من كمال الرب أن يكون متكلمًا.

ولذلك عاب الأنبياء علىٰ المشركين عبادتهم أصنامًا لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في وصف العجل الذي عبده بنو إسرائيل: ﴿لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[الأعراف:١٤٨]، فلو لم يكن الكلام صفة مدح لما عاب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا المعبود من دون الله بأنه لا يتكلم، وهذا استدلال واضح.

ورؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها، أن يرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة هذه هي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم يومئذٍ محجوبون، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ وعن بابه مطرودون.

وهذه المسألة -أعني رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة- وإن لم تكن تتعلق بصفات الله عَزَّوَجَلَّ بشكلٍ مباشر إلا أن علماءنا ذكروها في كتب الاعتقاد.

هذه الرؤية من فعل العبد أم من فعل الرب؟ من فعل العبد، رؤية المؤمنين ربهم، من الذي سيَرىٰ؟ العبد، فهذه الرؤية من فعل العبد، ومع ذلك يذكرها علماؤنا في كتب الاعتقاد ضمن مبحث الصفات، لماذا؟ هل هذا سهوٌ منهم؟ لا، وإنما يذكرون ذلك عن عمد:

سبب ذكر مسألة الرؤية في أبواب الصفات

- لكون المرئي فيها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهي وإن تعلّقت بالرائي من جهة الذي هو العبد، فإنها تتعلق بالمرئي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جهةٍ أخرىٰ.

- ولاتصال الكلام فيها ببعض الصفات الأخرىٰ، فلا ينفكّ الكلام عن رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة عن الكلام علىٰ العلو، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرىٰ في علو، ويُرىٰ في جهة كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»، والشمس والقمر في علو.

- وتتعلق كذلك بصفة التجلّي، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[الأعراف:١٤٣]، ما

معنىٰ التجلّي؟ الظهور، التجلّي معناه الظهور، أي: ظهر ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للجبل قيد أنملة كما جاء في تفسير الحديث، فلما ظهر ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بهذا المقدار جعله دكًا.

●ويذكرونها كذلك في مبحث الصفات؛ لأن القول بثبوت رؤية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يستلزم القول بثبوت باقي الصفات؛ لأنه لا يُعقل وجود مرئيٍ بلا صفات، فإثبات الرؤية يستلزم إثبات صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

●وكذلك لأن أدلة النفاة في إنكار رؤية الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ المؤمنين ربهم يوم القيامة راجعةٌ إلىٰ أدلتهم التي نفوا بها بقية الصفات، فهم مثلًا ينفون رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة يقولون: لأن ذلك يستلزم الجسمية، فلو أثبتنا الرؤية لأثبتنا الجسم وهذا فيه مشابهة المخلوقين، والله ليس كمثله شيء، يستلزم إثبات الجهة وهذا فيه إثبات التحيُّز، والله منزّهٌ عن ذلك، هذا كلامهم، يستلزم التشبيه.

فكان لا بد من إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، فهي مسألةٌ عظيمةٌ شريفةٌ تزيد في إيمان العبد إذا طالعها في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خاصةً أن أحاديثها متواترة، رواها ثلاثون صحابيًا عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذكرهم من صنّف وتوسّع في كتب الاعتقاد، وأفرد لهذه المسألة بعض علمائنا بعض التصانيف كالدارقطني، فإن له مصنفًا في الرؤية، وكذلك ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ فإنه توسّع في هذه المسألة جدًّا في حادي الأرواح.

فقال الإمام هاهنا: **(وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ)**.

من أين جاء بهذا الأصل الفاسد الذي بنىٰ عليه هذا المُعتقَد؟

جاء به من مناظرة الجهم للسُمَنِيَّة، ونحن نعلم أن الجهم هو الذي وضع أصول الفرق التي انحرفت عن منهاج أهل السنة والجماعة.

فوائد من مناظرة الجهم للسمنية

فمن الأصول التي وضعها واستحسنها: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أو أن الإله لا يُرىٰ له وجهٌ، ولا يُسمع له صوتٌ، ولا يُشم له رائحة، وهو غائبٌ عن الأبصار، ولا يكون في مكانٍ دون مكان، هذه آخر جملة قالها للسُمَنِيَّة وقبلوها منه فظن أنه جاء بأمرٍ عظيم وأنه قد حاجّهم بهذا القول الفاسد.

وهذه المناظرة ذكرها الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد علىٰ الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن وتأوّلته علىٰ غير تأويله.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان الجهم وشيعته كذلك، أي: دعوا الناس إلىٰ المتشابه من القرآن والحديث فضلّوا وأضلّوا بكلامهم بشرًا كثيرًا، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان، من أهل ترمذ -والنسبة إليهم ترمذي ومنهم صاحب الجامع أبو عيسىٰ-، وكان الجهم صاحب خصوماتٍ وكلام".

كان يحب الكلام، والخصومات يُقصد بها الجدال والمناظرة، كحال أهل البدع، يقولون: تعال أناظرك، تسمع هذا كثيرًا من أهل البدع.

"فكان صاحب خصوماتٍ وكلام، وكان أكثر كلامه في الله"، وهذا شيءٌ يُمدح إن كان بحق، فأشرف معلومٍ علىٰ الإطلاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإذا كثُر كلام الرجل عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بحق فهذا كلامٌ يُمدح، لكنه ما كان يصنع ذلك، بل كان يتكلم في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بغير حجةٍ ولا برهانٍ ولا منهجٍ سويٍ سليم، لا يتكلم بمنهج السلف.

"فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم: السُمَنِيَّة"، فلقي هذه الطائفة، "فعرفوا الجهم"، من أين عرفوا الجهم؟ مشهور أنه يحب الكلام والمناظرة، "فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فقبل ذلك".

وانظر -سبحان الله- قارن بين موقف الجهم من هؤلاء الضلّال وموقف السلف الصالح من أمثال ابن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما أنهم ما كانوا يجادلون أهل البدع لعلمهم أنهم يريدون إلقاء المتشابهات، لا يريدون الحق، ما جاء ليسمع الحق، وإنما جاء ليلقي عليك شبهته، حتىٰ إن مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما جاءه رجل وقال له نفس هذه الكلمة، يعني نتجادل فإن ظهرتُ عليك بحجّتي تبعتني، وإن ظهرتَ عليّ بحجتك تبعتك، فقال مالك: ماذا لو ظهر لنا رجلٌ ثالث هو ألحن بحجته؟ قال: تبعناه... وهكذا، فهذا رجلٌ شكّ في دينه، عنده ارتياب وشك، أما من كان صاحب عقيدةٍ سليمةٍ علىٰ يقينٍ من صحة هذه العقيدة فإنه لا يجادل عليها، وإنما يدعو الناس إليها بكتاب الله وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه سلف الأمة.

فكان مما كلّموا به الجهم أن قالوا له: ألستَ تزعم أن لك إلهًا؟ قال: نعم، فقالوا له: فهل رأيتَ إلهك؟ قال: لا، قالوا له: فهل سمعتَ كلامه؟ قالوا: فشممتَ له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدتَ له حسًا؟ قال: لا، فوجدتَ له مجَسًّا؟ يعني الحواس الخمس، قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ ذلك أن هذه الطائفة ما كانت تؤمن إلا بما هو معلومٌ من جهة الحواس الخمس، وما غاب عن هذه الحواس فلا يدخل في نطاق العلم والإيمان، فحالهم كحال الطبيعيين في هذا الزمان، سدنة المعامل وأصحاب المعاطف البيضاء الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس، الملاحدة الذين ينكرون وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه لا يخضع لتجاربهم الحسية، ولا يدخل في معاملهم، لا يؤمنون إلا بكل محسوس، فكذلك هذه الطائفة.

فما كان من الجهم إلا أنه تحيّر، ولم يدرِ مَن يعبد أربعين يومًا، شك في الله وفي وجود الله بسبب هذه الشبهة التي طرحوها عليه ولم يكن عنده أصول أهل السنة والجماعة التي يرد

بها علىٰ هؤلاء، وهذا فيه خطورة مخالطة أهل الأهواء والبدع والمشركين، فبكلمةٍ واحدة من الممكن أن ينقلب المرء من الإيمان إلىٰ الكفر، وفيه خطورة الجهل بالله وبالمعتقد الصحيح؛ لأن الجهم لو كان صاحب عقيدةٍ صحيحة لرد عليهم بأمور ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درء تعارض العقل والنقل.

فمن هذه الأمور: أن العلم لا يقتصر علىٰ المحسوسات، وإلا فأين الإيمان بالرسل الذين جاؤونا بالوحي؟ فإن جاءنا الوحي من قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومن قِبل رسلٍ مُصَدّقين قبلنا ما عندهم، هذا أولًا.

وكذلك من الممكن أن يصدّق المرء شيئًا وأن يعتقد في شيءٍ بناءً علىٰ ما شاهده وعاينه بالحواس الخمس مَن قَبْله، يعني لو قال لك رجلٌ: رأيت خالدًا بالمسجد، هو الذي رآه، أنت ما رأيتَه، أنت تقبل ذلك منه مع أنك لم تر خالدًا؛ لأنه رأىٰ ونقل ذلك عنه، عن حواسه هو، فكذلك الأنبياء والرسل أخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن منهم من كلّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وإلا فإن ذلك يُطعن به في العقل.

حتىٰ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردٍ قاطعٍ علىٰ هؤلاء: "فهؤلاء السُمَنيَّة يكون قولهم أن ما لا يُدرك بالحواس لا يكون له حقيقة، ثم الرجل قد يعلم ذلك بحواسه، وقد يعلم ذلك بإخبار من علم ذلك بحواسه ينقل عن غيره، ويدل علىٰ ذلك أن هؤلاء قومٌ موجودون، فالرجل منهم -يعني من السُمَنيَّة- لا بد أن يقر بوجود أبويه وجده، ولا بد أن يقر بولادته، وحوادث بلده الموجودة قبله، وما يحتاج إليه من أخبار الناس والبلاد، وهذه الأمور كلها لا يعلمها أحدهم إلا بالخبر".

هل رأىٰ ولادته؟ ما رأىٰ ولادته، هل رأىٰ جده وجد جده وأصل عائلته؟ ما رأىٰ هذه الأمور؟ فعلىٰ أصلهم واجبٌ عليه أن ينكر كل هذه الأمور.

قال: "وهذه الأمور كلها لا يعلمها أحدهم إلا بالخبر، ولا يُتصور أن يعيش في العالم أمةٌ يكذّبون بكل ما لم يحسّوه، بل هذا يلزم أن بعضهم لا يزال غير مصدّقٍ لبعض في معاملتهم واجتماعاتهم" وإلا فكل إنسان لو نقل للآخر أنه رأىٰ كذا أو سمع كذا أو شعر أو تعامل بكذا فعلىٰ هذا الأصل لا يُصدّق ولا يُقبل منه "وهذا يخالف طبع الإنسان، فالإنسان مدنيٌّ بالطبع، لا يعيش إلا مع بني جنسه، ومَن لم يقرّ إلا بما أحسّه لم يمكنه الاستعانة ببني جنسه في عامةِ مصالحه"، إذًا هذا مذهبٌ مردودٌ من جهة الحس ومن جهة العقل، وكذلك من جهة النص الشرعي كما سيأتي.

واحتجّ لذلك أيضًا بحديثٍ مكذوبٍ عن عبد الله بن عباس.

(وَمَعَهُ شَوَاهِدُ وَدَلَائِلُ كَثِيرَةٌ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ مُفْتَعَلٌ: فَأَوَّلُ شَوَاهِدِهِ: أَنَّهُ رَوَاهُ الْمُعَارِضُ عَنْ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ الْمُتَّهَمِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، الْمُكَذِّبِ بِصِفَاتِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ رَوَاهُ بِشْرٌ عَنْ قَوْمٍ لَا يُوثَقُ بِهِمْ، وَلَا يُعْرَفُونَ، رَوَاهُ عَنِ الْمَرِيسِيُّ عَنْ أَبِي شِهَابٍ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بن مَيْمُون، عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

فيقال لهذا المعارض: (مَن بشر؟ ومَن أبي شِهَابٍ الْخَوْلَانِيُّ؟ وَمَنْ نُعَيْمُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ؟ فَيُحْكَمُ بِرِوَايَتِهِمْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ رِوَايَةِ قَوْمٍ أَجِلَّةٍ مَشْهُورِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَدْ رَوَوْا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ خِلَافَهُ؟!).

فهذه الروايات المنقولة عن عبد الله بن عباس روايات مكذوبة لا تُقبل، والأصل في الاعتقاد أن يُبنىٰ علىٰ كتاب الله وصحيح سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زد علىٰ ذلك أن هذه الروايات عن عبد الله بن عباس عارضها الصحيح في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فَمِنْ ذَلِكَ: مَا حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بن سَلمَة، عَن عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَابَ الْجَنَّةِ

فَيُفْتَحُ لِي فَأَرَىٰ رَبِّي وَهُوَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ -أَوْ سَرِيرِهِ- فَيَتَجَلَّىٰ لِي، فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا»).

وهذا حديثٌ ضعيف، أخرجه المصنف في الرد علىٰ الجهمية، وأخرجه كذلك الإمام أحمد، لكن في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، فلا يصح هذا الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فَهَذَا أَحَدُ الْحَوَاسِّ وَهُوَ النَّظَرُ بِالْعَيْنِ وَالتَّجَلِّي).

يعني الظهور.

(رَوَاهُ هَؤُلَاءِ المشهورون عَن عبدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَىٰ رَغْمِ بشر).

والشاهد في هذا الحديث قوله: «آتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَابَ الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ لِي فَأَرَىٰ رَبِّي».

هناك روايات متواترة في رؤية المؤمنين ربهم تشهد لهذا الحديث، فهنا في هذا الحديث قال: «فَأَرَىٰ رَبِّي».

«وَهُوَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ -أَوْ سَرِيرِهِ-».

والمقصود بالسرير: العرش، السرير هو العرش، فالعرش سرير الملك.

قال: (ومِن ذَلِك مَا حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شيبَة، عَن جرير بن عبد الحَمِيد، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعُوا لَهُ مِثْلَ سِلْسِلَةِ الْحَدِيدِ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ»).

وهذا أثرٌ ضعيف كذلك، لكنه ثابتٌ من حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند البخاري وغيره، وثابتٌ كذلك من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فالأثر متنه ثابتٌ صحيح، وفيه يقول: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ» وهذا له حكم الرفع، لأنه مما لا يقال بالرأي.



قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعُوا».

أقوال الفرق في كلام الله

وهذا فيه: أن الله يتكلم بصوتٍ وحرف، بدليل أنه قال: سمعوا، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يقولون في صفة الكلام: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم بصوتٍ وحرف، وكلامه صفةٌ ذاتية كما أنها صفةٌ فعلية، فهو قديم النوع حادث الآحاد، ما معنىٰ هذا الكلام؟ صفة الكلام بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ صفةٌ ذاتية لا تنفكّ عنه؛ لأن هذا من تمام كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولذلك أهل الكلام يسمون هذه الصفة بصفات المعاني، بالصفات العقلية، التي لا تحتاج إلىٰ سمع؛ لأنه لا يُتصور ربٌ بدون هذه الصفات السبع التي أثبتوها.

فالله يتكلم وصفة الكلام له صفةٌ ذاتية من جهة، وهي صفةٌ فعليةٌ من جهةٍ أخرىٰ؛ لأنه يتكلم وقتما شاء، وهنا يقول: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ».

وفي الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، متىٰ كلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ لما جاء للميقات، فيتكلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقتما يشاء، فهي صفة فعلٍ من هذه الجهة، ولذلك العلماء يقولون عن هذه الصفة: هي قديمة النوع، هذا باعتبار الأصل، أنها صفةٌ ملازمةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تنفكُّ عنه، حادثة الآحاد، أي: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم مع من شاء من خلقه، من ملائكته ومن رسله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ضير في وصف الصفات بالقدم بخلاف تسمية الله بذلك فتنبه.

وأما المعتزلة فيقولون: الله عَزَّوَجَلَّ لا يتكلم، لا يثبتون الكلام لله، وإنما هو كلامٌ مخلوق، ولذلك يقولون: القرآن مخلوق وليس بكلام الله.

والأشاعرة أرادوا أن يتوسّطوا، فما قالوا بقول أهل السنة والجماعة، وما قالوا بقول

المعتزلة، لكن مآل قولهم كقول المعتزلة، فلم يقولوا كما قال أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بصوتٍ وحرف بكلامٍ يُسمَع، ولم يقولوا صراحةً: إن كلام الله مخلوق، لكن قالوا: الله يتكلم كلامًا نفسيًا، كلامًا في نفسه هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يتكلم بصوت ولا حرف عندهم؛ لأن ذلك يستلزم الجارحة، صوت وحرف هذا يحتاج إلىٰ لسان وإلىٰ لهاة وإلىٰ شفتين، وهذا فيه مماثلة للمخلوق، فنفوا ما أثبته له رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بناءً علىٰ أصلهم الفاسد في قياس الخالق علىٰ المخلوق.

كيف سمع جبريل الكلام؟ وكيف سمع موسىٰ الكلام من ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ يقولون: يخلق الله للعبد إدراكًا يتحصّل به العلم بكلام الله دون حروفٍ ولا أصوات، أي أن ربنا يخلق إدراكًا لجبريل، هذا الإدراك الذي يخلقه الله عَزَّوَجَلَّ لجبريل يستطيع أن يتحصّل به علىٰ الآية، هم يقولون: الله لا يتكلم، لا يسمع جبريل كلامًا لله بصوتٍ وحرف، لكن جبريل يحصل عنده نوعٌ من الإدراك، فكأن الآية تُلقىٰ في روعه فينقلها ويخبر بها نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فمَن الذي تكلم بالقرآن؟ جبريل وليس ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الذي تكلم بالقرآن علىٰ مذهبهم، وهذا باطلٌ مخالفٌ لنصوص الشرع، فنصوص الشرع ترد ذلك كما بيّن علماؤنا.

يعني لو كان الكلام كلامًا نفسيًا لمَ قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾؟ لو كان كلام الله تعالىٰ لموسىٰ مجازيًا لم يتكلم حقيقةً فلمَ قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾؟ والمصدر ينفي المجاز، فمعنىٰ ذلك أنه كلمه كلامًا حقيقيًا، زد علىٰ ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ قال في كتابه عن موسىٰ أيضًا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾، هناك قال: ﴿وَكَلَّمَ﴾، هنا قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾، والنداء يكون بصوت مسموع، قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم:٥٢]، فمرةً يناديه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ومرةً يناجيه، فهذا ينفي الكلام النفسي.

وفي حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهذا حديث صريح في الرد عليهم، الذي يرويه عن رب

العزة تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيه: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»، فهذا تجاوزًا قد نقول: هذا كلامٌ نفسي «ذكرته في» ثم قال تعالىٰ: «ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم»، وهذا صريحٌ في الكلام بالصوت والحرف، فالله عَزَّوَجَلَّ يتكلم كلامًا حقيقيًا.

فقَالَ: «إِذا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعُوا لَهُ مِثْلَ سِلْسِلَةِ الْحَدِيدِ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ».

نوع التشبيه في: سَمِعُوا لَهُ مِثْلَ سِلْسِلَةِ الْحَدِيدِ

هذا التشبيه تشبيه ماذا بماذا؟ يعني صوت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يشبه صوت السلسلة؟

وسماع الملائكة تشبيهه بماذا؟ هنا قال: «سَمِعُوا لَهُ» الضمير في "له" يعود علىٰ ماذا؟

هذا الضمير اختلف فيه أهل العلم بناءً علىٰ اختلاف الروايات، عندنا رواية تقول: «إذا قضىٰ الله الأمر»، الرواية التي في الصحيح: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء»، يعني إذا تكلم بالوحي «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلةٌ علىٰ صفوان».

أعيد الحديث مرةً أخرىٰ، قال: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلةٌ علىٰ صفوان».

فمن العلماء من قال: الضمير يعود علىٰ صوت أجنحة الملائكة؛ لأن الحديث قال: «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه»، يعني صوت الأجنحة «كأنه سلسلةٌ علىٰ صفوان».

ومن العلماء من قال: الضمير هاهنا يعود علىٰ كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكنه ليس من باب تشبيه الصوت بالصوت، فصوت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يشبه صوت المخلوقين، وإنما هو من حيث سماعه، تشبيه الصوت من حيث السماع، فيكون تشبيهًا للسماع بالسماع، فسماع صوت ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عند الملائكة يشبه سماع صوت السلسلة علىٰ الصفوان، فليس تشبيهًا

للصوت بالصوت، لكنه تشبيهٌ للسماع بالسماع، وهذا قاله الشيخ حافظ حكمي في ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة، وكذلك رجّحه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: (وَهذه الْحَاسّة الثَّانِية بِأَسْمَاعِ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ رَغْمِ بِشْرٍ وَرِوَايَةِ بِشْرٍ، فَمَا تُغْنِي عَنْ بِشْرٍ رِوَايَتُهُ عَن هَؤُلَاءِ المغمورين إِذَا مَا كَذَّبَ بِرِوَايَةِ هَؤُلَاءِ الْمَشْهُورِينَ مَعَ تَكْذِيبِ اللهِ إِيَّاهُ قَبْلُ، وَفِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾).

قلنا: هذا المصدر ينفي المجاز.

(وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]).

والاسم الأحسن فاعل، فالقراءة ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ برفع الاسم الأحسن وليس ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهَ﴾ بنصبه.

(وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[البقرة:١٧٤]، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ قَدْ أَسْمَعَ مُوسَىٰ نَفْسَ كَلَامِهِ، وسَمِعَهُ موسَىٰ بِسَمْعِهِ، وَسَيُكَلِّمُ مَنْ يَشَاءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِيَانًا بِأَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ اللّهُ تَعالَىٰ وَقَالَ رَسُوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَيَحُسُّ الْمَلَائِكَةُ بِكَلَامِهِ عِنْدَ نُزُولِ وَحْيِهِ حتىٰ يُصْعَقُوا مِنْ شِدَّةِ صَوْتِهِ).

قال: (كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَتَأَوَّلَا فِيهِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣]).

والمراد بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنهم الفزع، ففُزّع مضاعف فُزِع، والتضعيف هاهنا للإزالة، أحيانًا يأتي التضعيف في الفعل لإزالة معنىٰ الفعل والإتيان بضده.

فتقول مثلًا: قُشِّر العود يعني أزيل قشره، ومُرِّض المريض يعني طُبّب ليزول عنه

المرض، فالتضعيف هاهنا للإزالة كما قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

قال: (فَهَلْ مِنْ حَوَاسٍّ أَقْوَىٰ مِنَ السَّمْعِ وَالنَّظَرِ؟).

قال: (فَمَنْ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ بِشْرٍ وَتَفْسِيرِ بِشْرٍ، وَيَتْرُكُ النَّاطِقَ مِنْ، كِتَابِ اللهِ وَالْمَأْثُورِ مِنْ قَول رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كل مخبولٍ مخذول؟

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يفعل ذلك إلا مخبول لا عقل له مخذول قد وُكِل إلىٰ نفسه نسأل الله السلامة.

ثُمَّ طَعَنَ الْمُعَارِضُ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَرُدَّهُ بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ وَبِقِيَاسِ مُحَالٍ، فَقَالَ: لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ فَتَسْتَوْصِفَهُ).

بِمَ نفىٰ رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، فلم تره عين في الدنيا فتستوصفه؟

قال: (فَنَظَرْنَا إِلَىٰ مَا قَالُوا فِي قَوْلِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، وفِي قَوْلِه اللهِ تَعالَىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، وَرُوِي فِيهِ أَقَاوِيلُ مُسْنَدَةٌ وَغَيْرُ مُسندة، فلابد مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ).

الرد علىٰ تحريف المعتزلة لآية القيامة

هذه الآية الثانية من أظهر الأدلة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، هذه أصرح آيةٍ في كتاب الله في إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة.

حتىٰ قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الطحاوية، قال: "وأما من أبىٰ إلا تحريفها بما يسميه تأويلًا" يعني هذه الآية، "فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها علىٰ أرباب التأويل"، أي صعب جدًا أن تؤوّل هذه الآية، وأسهل عليهم أن يؤوّلوا

ذكر الجنة والنار وما في الجنة والنار من النعيم والعذاب، وهذا ما وقع من المعطلة الغلاة إذ قالوا: هذه تخييلات ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، هكذا يقول أهل التخييل الفلاسفة، ليس لها حقيقة، وإنما ذُكرت في الكتاب لحمل الناس علىٰ العبادة، لكن لن يكون في الآخرة جنة ملموسة ولا نار محسوسة وسيقع النعيم علىٰ الروح فقط، كما يقول ابن سينا وغيره.

فابن أبي العز يقول: "تأويل هذه الآية صعبٌ جدًا"، لماذا هو صعب؟ لأننا لو نظرنا في هذه الآية لوجدنا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أضاف النظر إلىٰ الوجه فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فالتي ستنظر هي الوجوه، ومحل النظر الوجه، فلا يمكن أن تُؤوَّل تأويلًا غير النظر الحقيقي.

ثم إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في هذه الآية عدىٰ النظر بإلىٰ وهذا صريح في نظر العين، بخلاف لو عدّاه بفي فإنها تعني التفكر والتأمل، وبخلاف لو عداه بنفسه فإنه يعني الانتظار، ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[الحديد:١٣]، أي انتظرونا. ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١]، يعني تفكّروا في خلق السماوات والأرض.

فإذا عُدّيت بفي فهي بمعنىٰ التفكر، وإذا لم تُعَدّ بحرف جر فهي بمعنىٰ الانتظار، وأما إذا عُدّيت بإلىٰ فلا تحتمل إلا معنىً واحدًا وهو النظر بالعين.

وكذلك لا توجد قرينةٌ في الكلام هاهنا تدل علىٰ خلاف الحقيقة، وزِد علىٰ ذلك أن كل مفسّري أهل السنة والجماعة قالوا: إن المقصود هاهنا النظر إلىٰ وجه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ رزقنا الله وإياكم ذلك، فتأويلها لعبٌ وتحريف.

قال: (فَيَزْعُمُ الْمُعَارِضُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ رَوَىٰ عَنْ أَبِيهِ).

(عَن أبي حنيفَة: "أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ كَمَا يَشَاءُ أَنْ يَرَوْه"، فَتبَيَّنَ فِي ذَلِكَ).

هذا كله كلام المعارض.

قال: (فَتبيَّنَ فِي ذَلِكَ صِفَاتِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا يحتَملُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ قَالَ: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، يَعْنِي الْمَرِيسِيَّ ونظرائه الَّذِينَ قَالُوا: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنَّ تَفْسِيرَ ذَلِكَ).

ما معنىٰ الرؤية في هذه الآيات عند المعارض وأضرابه من الجهمية المعطلة؟

(أَنَّهُ يُرَىٰ يَوْمَئِذٍ آيَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ فِي خَلْقِهِ).

فيُدخل هؤلاء الجنة ويُدخل هؤلاء النار، أما هو فلا يُرىٰ، هكذا قالوا.

(فَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: رَآهُ بعينِ أَفْعَالِه، وَأُمُورِه وَآيَاتِهِ).

هذا تأويلهم، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي ينظرون آيات الله وفعاله في خلقه يوم القيامة.

(كَمَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ).

وهذا استشهاد منهم بآيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[آل عمران:١٤٣].

فيقول المعارض: (فَالْمَوْتُ لَا يُرَىٰ وَهُوَ مَحْسُوسٌ، وإِنَّمَا يُدْرَكُ عَمَلُ الْمَوْتِ).

فهنا كذلك الرؤيةُ في الآيات إدراكُ فعال الله يوم القيامة.

(فَإِنْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَرَادَ هَذَا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَّا بِاللهِ وَبِمَا أَرَادَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي وَوَكَّلْنَا تَفْسِيرَهَا وَصِفَتَهَا إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ).

إذًا هو أوّل هذه الآيات التي جاءت في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة علىٰ رؤية فعال الله كما أوّل الأشاعرة حديث النزول: نزول الرحمة، نزول الملَك، إلىٰ غير ذلك من

التأويلات، ونفوا نزول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهنا نفوا رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وإنما الذي يُرىٰ ويُدرك فعال الله في خلقه يوم القيامة من الحساب والميزان والجزاء وإدخال الجنة أو النار، أما رؤية الله فهذه لا تكون يوم القيامة علىٰ مذهبهم.

الرد علىٰ تحريف: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ

واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يقولون: لأن الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، والأبصار محل الرؤية، **فمعنىٰ ذلك**: أنه لا يُرىٰ يوم القيامة.

وهذه الآية يُستدل بها عليهم علىٰ الرؤية من وجهٍ لطيف كما قال علماؤنا، فإن المبتدع والمبطل لا يستدل بدليل إلا وكان في نفس الدليل ما ينقض استدلاله، فالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكر هذه الآية في سياق التمدُّح، يمدح نفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والتمدُّح لا يكون إلا بالصفات الثبوتية، إذا تمدّح الله عَزَّوَجَلَّ يتمدّح بالصفات الثبوتية، هذا أولًا.

وذكر الصفات المنفية كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت:٤٦] لا يراد به نفي الظلم عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فقط، وإنما المراد إثبات كمال الضد، وهو كمال العدل، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، إثبات كمال الحياة والقيومية. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٣-٤]، إثبات الصمدية له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والغنىٰ عن المخلوقين.

فإذا تمدّح الله عَزَّوَجَلَّ بالنفي فلا يعني ذلك أنه يتمدّح بالنفي المحض، وإنما يتمدح بما يستلزمه هذا النفي من كمال الضد.

فمعنىٰ الآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يدل علىٰ كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، ولذلك لا يُدرك بحيث يُحاط به؛ لأن الإدراك في لغة العرب بمعنىٰ الإحاطة، والإحاطة

أخص من الرؤية، إذ فيها قدرٌ زائد علىٰ مجرد الرؤية، فأنت ترىٰ السماء لكن هل تحيط بها؟ لا تستطيع أن تحيط بالسماء، وكذلك المؤمنون في الآخرة يرون ربهم ولا يحيطون به تعالىٰ.

وشاهد ذلك من كتاب الله: ما قاله مؤمنو بني إسرائيل لموسىٰ، قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١]، ما معنىٰ ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؟ إنا لمحاطون، سيحيط فرعون ومن معه بنا من كل جانب، هذا معنىٰ الإدراك، فقال موسىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]، متىٰ قال مؤمنو بني إسرائيل ذلك؟ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء:٦١]، فأثبت الرؤية ونفىٰ الإدراك.

فالله عَزَّوَجَلَّ يُرىٰ، لكنه لا يُدرك ولا يُحاط به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإذا كان لا يُحاط بشيءٍ من صفاته ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فكيف يُحاط بذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ فالآية فيها إثباتٌ للرؤية وليس فيها نفي للرؤية.

فتأوّلوا هذه الآيات علىٰ إدراك فعال الله في خلقه يوم القيامة، فبمَ ردّ الإمام الدارمي علىٰ هذا التائه؟

فيقول: **(فَيُقَالُ لِهَذَا التَّائِهِ الَّذِي لا يدْرِي ما يخرج مِنْ رَأْسِهِ وَيَنْقُضُ آخِرُ كَلَامِهِ أَوَّلَهُ: أَلَيْسَ قَدِ ادَّعَيْتَ فِي أَوَّلِ كَلامِكَ أَنَّهُ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ يَقُول: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنَّهُ يُرَىٰ آيَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ؟ فَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: رَآهُ، ثُمَّ قُلْتَ فِي آخِرِ كَلَامِكَ: فَقَدْ وَكَّلْنَا تَفْسِيرَهَا إِلَىٰ اللهِ)**.

يعني كيف تقول أن المراد بالرؤية هاهنا رؤية الآيات والفعل، ثم بعد ذلك تقول: وكلنا تفسيرها إلىٰ الله؟ أنت فسّرتَها ثم تقول بعد ذلك: وكلنا تفسيرها إلىٰ الله!!

(أَفَلَا وَكَّلْتَ التَّفْسِيرَ إِلَىٰ اللهِ قَبْلَ أَنْ تُفَسِّرَهُ؟ وَزَعَمْتَ أَيْضًا فِي أَوَّلِ كلامك أَنه لابد مِنْ

مَعْرِفَةِ ذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعْتَ عَنْ قَوْلِكَ فَقُلْتَ: لَا، بَلْ نَكِلُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَلَوْ كَانَ لَكَ نَاصِحٌ لَحَجَرَ عَلَيْكَ الْكَلَامَ).

يعني لوكان هناك إنسان مشفقٌ عليك لحجر عليك الكلام ومنعك من الكلام؛ لأنك تتكلم كلام السفهاء، لا تدري ما الذي يخرج من رأسك.

قال: (وَالْعَجَبُ مِنْ جَاهِلٍ فَسَّرَ لَهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْسِيرَ الرُّؤْيَةِ مَشْرُوحًا مُخْلَصًا ثُمَّ يَقُولُ: إِنْ كَانَ كَمَا فَسَّرَه أَبُو حَنِيفَةَ فَقَدْ آمَنَّا بِاللهِ).

يا سبحان الله، هذا القول يقال في كل زمان، لكن تختلف البدع ويتحد القول ويكرر ويعاد ولكل قوم وارث. يقولون: إن كان الشيخ فلان قال هذا الكلام أخذنا به، وأما بخلاف ذلك فلا يأخذونه حتىٰ لو قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَلَوْ قُلْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: آمَنَّا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَسَّرَهُ كَانَ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْ أَنْ تَقُولَ: آمَنَّا بِمَا فَسَّرَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَلَا تَدْرِي قَالَ ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ أَوْ لَمْ يَقُلْهُ؟ وَهَلْ تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ الرُّؤْيَةِ لِأَبِي حَنِيفَةَ وَالْمَرِيسِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ مَوْضِعَ تَأْوِيلٍ إِلَّا وَقَدْ فَسَّرَهُ وَأَوْضَحَهُ بِأَسَانِيدَ أَجْوَدَ مِنْ عُمَرَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ؟).

لأن هؤلاء كانت بضاعتهم مزجاة في الحديث، أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ ما روىٰ إلا سبعة عشر حديثًا وأكثرها ضعيف، وكذلك سائر رؤوس الفرق الكلامية وأتباعهم بضاعتهم مزجاة في الحديث حتىٰ إن الواحد منهم كابن فورك قد يضع مؤلفا كاملًا في تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه -كما يقول- وأكثر هذه الأحاديث بين الوضع والضعف والنكارة، وهذا يكفي في ردها، لكنه لا علم له بذلك، فكل ما لمع عندهم ذهب.

قال: (رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ



دُونَهُمَا سَحَابٌ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»).

قال: (وَرَوَاهُ غَيْرُهُ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلنا: أحاديث الرؤية رواها ثلاثون من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي أحاديث متواترة، والتشبيه هنا كما ترون تشبيهٌ للرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي.

وهذا الحديث فيه دليلٌ علىٰ علوّ الله علىٰ خلقه؛ لأن الشمس والقمر في السماء أعلىٰ من المخلوق، وإلا فهل تُعقل رؤيةٌ بلا مقابلة؟

قول الأشعرية في الرؤية لا تقبله العقول

ولذلك من قال بقول الأشاعرة: يُرىٰ لا في جهة فليراجع عقله، وهذا مما أضحك عليهم المعتزلة، الأشاعرة دائمًا يريدون أن يتوسطوا، لكنها وسطية غير مضبوطة ولا محمودة لأنها علىٰ خلاف الحق، ولذلك علماؤنا يسمونهم بمخانيث الجهمية ومخانيث المعتزلة، فالمعتزلة كانوا أشجع منهم في الباطل، وأجرأ منهم في رد الأدلة، ومآل القولين واحد، لكن الأشاعرة جملوا ظاهر قولهم.

الأشاعرة قالوا: الله عَزَّ وَجَلَّ يُرىٰ لكن لا في جهة، وهذا كلام لا يُعقل، سترىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ لكن لا فوق ولا تحت ولا عن شمال ولا عن يمين ولا أمامك ولا خلفك، يُرىٰ لا في جهة، وهذا كلام لا يُقبل ولا يُعقل لأنه يخالف بدهيات العقول فضلًا عن النصوص الشرعية، كل ذلك من أجل ماذا؟ من أجل الفرار من إثبات الجهة لله؛ لأنهم لو أثبتوا الجهة أثبتوا العلو لله، وهم لا يثبتون علو الذات، وتعجب من الذي يحتفل كل عام بالإسراء والمعراج، وينفي علو ذات الله علىٰ عرشه، وإلا فمن الذي صعد إليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكلمه؟! ولماذا

صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ السماء؟ كل عام يحتفلون بالإسراء والمعراج وهم أشاعرة، ومع ذلك يقولون: ليس فوق العرش إله يُعبد، وإنما الله في كل مكان، أو لا جهة له! هذه عقيدتهم، فلا يثبتون جهةً لله، ولذلك يثبتون الرؤية من غير جهة، إذن كيف تكون الرؤية؟ هل تكون بالعين الباصرة؟ لا، وإنما كذلك تكون بحاسةٍ سادسةٍ يخلقها الله في الإنسان يوم القيامة، حاسة الإدراك والعلم، فعاد الأمر عندهم إلىٰ صفة العلم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقول ابن رشد الحفيد كما نقله عن شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية: "وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس فعسر ذلك عليهم ولجؤوا في ذلك إلىٰ حجج سوفسطائية مموهة أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة".

قال: (فَكَيْفَ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَقُولَ: يُحْتَمَلُ).

الضبط الصحيح: يَحتمِل، ومن الخطأ أن يقال: يُحتمَل أن المراد كذا، ما الفرق بين يحتمِل ويُحتمَل؟

أقول: هذا يُحتمَل منك يعني يُغتفَر، يُحتمَل بمعنىٰ يُغتفَر ويُتجاوز عنه، أما يحتمل بالفتح فهو أمرٌ يترجّح بين هذا أو ذاك، فإذا قلت قل: هذا الأمر يَحتمِل كذا أو كذا، ولا تقل: يُحتمل كذا أو كذا.

(فَكَيْفَ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَقُولَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو حنيفَة وَلَا يحْتَمل أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ كَمَا فَسَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ، كَمَا رَوَيْتَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ -إِنْ كَانَ قَالَهُ- وَلَكِنْ قَالَ: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُمَا سَحَابٌ» فَالتَّفْسِيرُ مَقْرُونٌ بِالْحَدِيثِ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ.

قال: فَمَنِ اضْطَرَّ النَّاسَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِالْمُبْهَمِ مِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الَّذِي

رَوَيْتَ عَنْهُ -إِنْ كَانَ قَالَهُ- مَعَ تَرْكِ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنْصُوصِ الْمُفَسَّرِ؟ هَذَا إِذًا ظُلْمٌ عَظِيمٌ وَجَوْرٌ جَسِيمٌ).

فالذي يترك كلام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكلام أحدٍ ممن جاء بعده يظلم نفسه، وهو علىٰ شفا جرف هار يوشك أن ينهار به ويهلك.

قال: (وَأما قولك: وَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ فَتَسْتَوْصِفَهُ).

الفاء هنا فاء السببية، فيقال: تَسْتَوْصِفَهُ لا تَسْتَوْصِفُهُ؛ لأنها سُبقت بنفي.

(وَأما قولك: وَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ فَتَسْتَوْصِفَهُ فَلَوِ احْتَجَّ بِهَذَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَمْ يَزِدْ عَلَىٰ مَا قُلْتَ جَهَالَةً).

أي أن استدلالك هذا لا يدخل في الباب، فلم يرَ الله عَزَّوَجَلَّ أحدٌ من خلقه في هذه الدنيا حتىٰ يصفه، ولن يراه إلا بعد الموت كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن هذا لا علاقة له بما نحن فيه هنا

قال: (أَفَرَأَىٰ أَحدٌ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ).

عالم الغيب مبنيٌ علىٰ السمع، وكل ما جاء في عالم الغيب معلوم من جهة المعنىٰ، وأما الكيف فمجهول، فنثبت المعنىٰ لكننا نكل الكيف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نثبت الرؤية، لكن الكيفية لا نعلمها. هذه قاعدةٌ في كل ما غاب عنك وجاءك الخبر به، ولكن لا تعلم له مثيلًا في عالمنا هذا.

قال: (أَفَرَأَىٰ أَحدٌ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا فِيهِمَا بِعَيْنيه فَتَسْتَوْصِفَهُ؟! وَهَلْ نصِفُهُمَا وَنصِفُ مَا فِيهِمَا إِلَّا بِمَا وَصَفَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ فِي الْجَنَّةِ حُورًا عِينًا وَطَعَامًا وَشَرَابًا وأَنْهَارًا وَنَخيلًا ورمانًا وشجرًا قصورًا مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ، وَلِبَاسًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، وَحريرًا وَمَا أَشْبَهَهَا،

وَكَذَلِكَ النَّارُ فِيهَا أَنْكَالٌ وَقُيُودٌ وَمَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَغْلَالٌ وَسَلَاسِلُ وَحَمِيمٌ وَزَقُّومٌ، أَفَتَصِفُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ عَمَّنْ رَآهما بِعَيْنِهِ أَوْ عَمَّا أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ؟ وَكَذَلِكَ نصِفُ رُؤْيَةَ اللهِ وتفْسيرَها عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَإِنْ لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ تَسْتَوْصِفُهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمُ اللهَ جَهْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، فَأَخَذْنَا هَذَا الْوَصْفَ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ كَمَا أَخَذْنَا صِفَةَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ عَنْهُمَا وَإِنْ لَمْ نَرَ شَيْئًا مِنْهُمَا بِأَعْيُنِنَا، وَلَا أَخْبَرَنَا عَنْهُمَا من رآهما بعينيه، فَتَدَبَّرْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ كَلَامَكَ ثُمَّ تكلم، فلوا احْتَجَّ بِمَا احْتَجَجْتَ بِهِ صَبِيٌّ لم يبلغ الْحِنْث مازاد).

والحنث هو سن البلوغ، والحنث الإثم بالثاء، والمراد لم يبلغ سن التكليف الذي يُكتب فيه الإثم عليه.

قال: (وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَيْتَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ -إِنْ صَدَقَتْ عَنْهُ رِوَايَتُكَ- أَنَّهُ ذَهَبَ فِي الرُّؤْيَةِ إِلَىٰ أَنْ يَرَوْا آيَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ وَأُمُورَهُ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: رَآهُ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُجَجِ الصِّبْيَانِ).

الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض أهل العلم تكلم فيه كلامًا شديدًا، وذكر ذلك عبد الله بن أحمد في كتاب السنة، فنقل كلامًا عن عبد الله بن المبارك وعن سفيان الثوري وغيرهما، لكن علماء المملكة لما طبعوا كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد حذفوا ما جاء فيه من القول في أبي حنيفة، وأحسنوا كما قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه علىٰ كتاب التوحيد علىٰ ما أذكر؛ لأن أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تاب ورجع عن كل ذلك، فمنه ما هو مكذوبٌ عليه لم يقله، ومنه ما قاله لكنه رجع عنه، وهو إمامٌ من أئمة المسلمين أحد الأئمة الأربعة.

ولذلك كان من إنصاف الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في كل كلامٍ ينقله المريسي عن أبي حنيفة يقول: إن قاله.

قال: (**فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: رَآهُ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُجَجِ الصِّبْيَانِ**).

يعني رأىٰ آياته وأفعاله.

(**لِما أَنَّ آيَاتِهِ وَأُمُورَهُ وأفعالَهُ مرئيةٌ مَنْظُورٌ إِلَيْهَا فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ**).

وهذا هو نفس الرد الذي يُرد به علىٰ الأشاعرة في النزول، يعني يقولون: تنزل رحمته، ويقال لهم: رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تنزل في كل وقتٍ وحين!! فلماذا تُقصر علىٰ هذا الوقت من الليل؟ أنتم تقولون: يروا فعاله وآياته، آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفعاله تُرىٰ في كل وق وحين.

ولله في كـــــل تحريكـــــــةٍ	وفي كــل تســكينةٍ شــاهد
وفي كـــل شـــيءٍ لـــه آيـــة	تــدل علــىٰ أنــه واحــدُ

(**فَمَا مَعْنَىٰ تَوْقِيتِهَا وَتَحْدِيدِهَا وَتَفْسِيرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ جهِلَ، وَإِنْ كَانَ كَمَا ادَّعَيْتَ وَرَوَيْتَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ مَا خُصَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ الْأَيَّامِ فَفِي دَعْوَاكَ يَجُوزُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَرَىٰ رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ**).

لأن جميع خلقه يرىٰ آياته ويقر بذلك المؤمن والكافر والبر والفاجر كما قال تعالىٰ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) ﴾.

فليس الأمر مقصورًا علىٰ المؤمنين، بل كل الخلق يرون آيات الله تعالىٰ ويقرون بها.

(لما أَنَّهُمْ يَرَوْنَ كُلَّ سَاعَةٍ وَكُلَّ لَيْلَةٍ وَكُلَّ يَوْمٍ أُمُورَهُ وَآيَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، فَقَدْ بَطُلَ فِي دَعْوَاكَ قَوْله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾).

وهذا حال المبتدعة، أنهم يستدلون بالدليل في موضع وينقضون استدلالهم في موضع آخر.. يلجأون للتأويل في موضع، بل يوجبونه، ويمنعونه في موضع آخر دون ضابط يضبط ذلك؛ فالأشاعرة مثلا إذا ناظروا الفلاسفة والمعتزلة الذين يتأولون نصوص الصفات مطلقا، ردوا عليهم، وأثبتوا لله الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك من صفات الله وإذا ناظروا من يثبت صفات أخرىٰ دل عليها الكتاب والسنة كالمحبة والرضا والغضب والمقت والفرح والضحك ونحو ذلك تأولوها.

قال الإمام: (لِأَنَّ الْأَبْصَارَ كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ تُدْرِكُ أُمُورَهُ وَآيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَنْكَرْتُمْ عَلَيْنَا رُؤْيَتَهُ فِي الْآخِرَةِ وَأَقْرَرْتُمْ بِرُؤْيَةِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، لما أَنَّهُمْ جَمِيعًا لَا يَزَالُونَ يَرَوْنَ آيَاتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فخالفتم بِسُلُوكِ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ، وَرَدَدْتُمْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ إِذِ ادَّعَيْتُمْ أَنَّ رُؤْيَتَهُ يَعْنِي إِدْرَاكَ آيَاتِهِ وَأُمُورِهِ وَأَفْعَالِهِ).

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المتكلمون من الجهمية يعبدون العدم، والمتصوفة من الجهمية يعبدون كل شيء"، وهذه كلمة عظيمة جدًا لو تدبّرت فيها، "المتكلمون من

الجهمية يعبدون العدم"، لماذا يعبدون العدم؟ لأنهم لا يثبتون صفةً لله، ضيّعوا ربهم، والمتصوفة من الجهمية يرون الله في كل آياته وفي كل خلقه، ويجعلون هذا الخلق هو الله.

يقول بعضهم:

ومــا الكلــب والخنزيــر إلا إلهنـا	ومـــا الله إلا راهــــب في كنيســـة
العبـــــد ربٌ والــــرب عبـــدٌ	يـــا ليـــت شـــعري مـــن المكلـــف
إن قلــــت عبـــدٌ فـــذاك ربٌ	أو قلـــتُ ربٌ فـــأنىٰ يُكلـــف

وكان **الحلاج يقول**: ما في الجبة إلا الله، ولذلك قُتل علىٰ الزندقة.

فالمتصوفة من الجهمية، من أتباع الجهم بن صفوان يعبدون كل شيء، والمتكلمة يعني كالأشعرية والمعتزلة والماتريدية وغيرهم يعبدون العدم، وكلٌّ بحسبة فمقل ومستكثر، وسبحان الله! ما من فرقة إلا وللجهم أثر في أصولها.

(وَأَمَّا دَعْوَاكَ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾[آل عمران:١٤٣]).

فسر الـمعارض... ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعني أدركتم الموت، فقال: الرؤية هاهنا الإدراك، وليست الرؤية البصرية، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فقالوا: الرؤية: الإدراك.

(فَلَوْ قَدْ عَقَلْتَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ وَفِيمَ أُنْزِلَتْ لَكَانَ احْتِجَاجُكَ إِقْرَارًا بِرُؤْيَةِ اللهِ عَيَانًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَةَ كَانَتْ رُؤْيَةَ عَيَانٍ).

رؤية الموت في هذه الآية لم تكن إدراكًا وإنما كانت رؤية عيان، وسيفسّر الآية، وهذا يبيّن لنا أن علماء العقيدة كانوا كذلك أئمةً في التفسير، وأئمةً في اللغة، وأئمةً في الفقه.

قال: (وَتفْسِيرُ ذَلِكَ رُؤْيَةُ الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ، فَقَدْ رَأَوْهُ بِأَعْيُنِهِمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَلَمْ يَصْبِرُوا لَهُ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ غَابُوا عَنْ مَشْهَدِ بَدْرٍ فَقَالُوا: "لَئِنْ أَرَانَا اللهُ قِتَالًا لَيَرَيَنَّ مَا نَصْنَعُ، وَلَنُقَاتِلَنَّ"، فَأَرَاهُمُ اللهُ الْقِتَالَ عِيَانًا، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِأَعْيُنِهِمْ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ كَمَا قَالَ اللهُ وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلْقِتَالِ، فَعَفَا اللهُ عَنْهُمْ فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فَكَانَ هَذَا رُؤْيَةَ عِيَانٍ لَا رُؤْيَةَ خَفَاءٍ.

حَدَّثَنَاهُ مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: تَغَيَّبَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ: "تَغَيَّبْتُ عَنْ أَوَّلِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لإن أَرَانِي اللهُ قتالًا لَيَرَيَنَّ اللّهُ مَا أَصْنَعُ").

والحديث في الصحيح، وهذه الرواية علىٰ شرط مسلم.

قال: (وحَدَّثنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّرْسِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾، قَالَ: كَانَ أُنَاسٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَكَانُوا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَرَوْا قِتَالًا فَيُقَاتِلُوا، فَهَذِهِ رُؤْيَةُ عِيَانٍ لَا رُؤْيَةُ خَفَاءٍ.

فأنت ترىٰ أن المبتدعة من أكثر جهلًا بأصول وقواعد التفسير كذلك، وقد يعلمونها لكنهم يعرضون عنها لأن البدعة التي تلبسوا بها وانغمسوا فيها تؤزهم علىٰ ذلك، وهذا حال كل من اعتقد أولا ثم ذهب يعرض اعتقاده علىٰ دلائل الكتاب والسنة.

فَإِنْ أَنْكَرْتَ مَا قُلْنَا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَوْتَ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ»، فقَالَ: «يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوْتٌ»).

والحديث في الصحيحين.

قال: (وَلَوْلَا كَثْرَة مَا تستنكر الْحَقَّ وَتردُّهُ بِالْجَهَالَةِ لَمْ نَشْتَغِلْ بِكُلِّ هَذِهِ الْمُنَازَعَةِ فِي الرُّؤْيَةِ

لما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَّرَها تَفْسِيرًا لَمْ يَدَعْ فِيهِ لِمُتَأَوِّلٍ فِيهَا مَقَالًا، إِلَّا أَنْ يُكَابِرَ رَجُلٌ غَيْرَ الْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: «هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»).

براهين قاطعة تحيل تأويل قول النبي: سترون ربكم

هل هناك سؤالٌ أوضح وأبين من هذا السؤال؟ الصحابي يقول: هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ يخص الرؤية بوقتٍ معين وجاء بلفظ الرؤية، ثم إن النبي ﷺ لما أجابه زاد الأمر وضوحًا وبيانًا بتشبيه الرؤية بالرؤية.

«فَقَالَ: هَلْ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ صَحْوًا؟».

فلو كانت الرؤية يراد بها الإدراك لما شبّه النبي ﷺ هذا التشبيه، وفي أحاديث الرؤية المتواترة الإثبات الصريح للجهة وهذا هو المعروف لغة وشرعًا وعقلًا، أن الرؤية لا تكون إلا في جهة، ولذلك لم يخبرهم النبي برؤية مطلقة بل ذكر رؤية الشمس والقمر وجهتهما العلو، وهما أظهر المرئيات، وقد نفىٰ النبي ﷺ الضير والضيم وهذا لا يتحقق إلا في الرؤية التي في جهة بخلاف ما لم تكن في جهة، فإنها لا يلحقها ضيم ولا ضرر الناتج عن الازدحام أو الكلال، فاعتبر بذلك واحمد الله علىٰ تعظيم السنة.

(«قال: فَكَذَلِكَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَته»، حدّثنَاهُ نعيمٌ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: وحدثناه نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن سعد عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ زيد اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ زَيْد بن أَسْلَم، عَنْ

عَطَاءِ بن يسَار، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَدَّثَنَاهُ أَحْمَدُ بْنُ يُونُس، عَنْ أَبِي شِهَابٍ الْحَنَّاطِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بن أبي حَازِم، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فالحديث كما قلنا: حديثٌ صحيحٌ متواترٌ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَحدثنَا عَليّ بن الْمَدِينِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ، قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: لَا يَكُونُ مِنَ الْإِسْنَادِ شَيْءٌ أَجْوَدَ مِنْ هَذَا، وَقَدْ رَوَيْنَا فِيهِ بَابًا كَبِيرًا فِي الْكتاب الأول بأسانيدها).

يقصد كتاب الرد علىٰ الجهمية.

(فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا وَلَمْ يَرْجُهَا).

يعني لا يرجو الرؤية، رؤية الله يوم القيامة.

(كَانَ مِنَ الْمَحْجُوبِينَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: مَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةٍ لَمْ يَنَلْهَا).

وهذا فيه حديثٌ مرفوع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بلغه عن الله فضيلةٌ فلم يصدّق بها لم ينلها**»، وهو ضعيف، فيه بزيغ أبو الخليل، ضعيف.

وآية المطففين استدل بها الأئمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة من جهة دليل المخالفة، ومن ذلك قول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلىٰ لأوليائه حتىٰ رأوه.

وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قوله: "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" دلالة علىٰ أن أولياء الله يرون الله.

فقال: (لِأَنَّهُ يُقَالُ: "مَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةٍ لَمْ يَنَلْهَا"، وَقَدْ كَذَّبَتِ الْجَهْمِيَّةُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ.

قال: وَكَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، قَالَ: "من نَازع فِي الحَدِيث الرُّؤْيَة ظهر أَنه جهمي").

ونزيد فنقول: إن رؤية الله تعالىٰ صفة كمال لا نقص، وهذا من المسالك التي ذكرها شيخ الإسلام في إثبات الرؤية والرد علىٰ منكريها، حين قال:" إذا كان العبد ينزه نفسه عن شريك أو أنثىٰ فتنزيه ربه أولىٰ وإذا كان العبد عالمًا قادرًا فالله أولىٰ وكذلك هذه فإن حاصلها أنه إذا جاز رؤية الموجود المحدث الممكن فرؤية الموجود الواجب القديم أولىٰ وإذا كان المخلوق الناقص في وجوده يجوز أن يرىٰ ويحس به فالرب الكامل في وجوده أحق بأن يرىٰ فإن كون الشيء بحيث يرىٰ كمال في حقه لا نقص لأن كونه لا يرىٰ ولا يحس به لا يثبت في الشاهد إلا للمعدوم فكل صفة لم نعلمها تثبت إلا لمعدوم لا تكون صفة كمال بخلاف الصفات التي تثبت للموجود دون المعدوم فإنها لا تكون صفة نقص إلا بالنسبة إلىٰ وجود آخر هو أكمل منها وكل صفة لا تثبت للمعدوم ولا يختص بها الناقص فإنها لا تكون إلا صفة كمال وهذه الطريقة في المسألة يتبين بها أن جواز الرؤية من صفات الكمال التي هو الباري أحق بها من المخلوقات".

(بَابُ النُّزُولِ).

الكلام عن نزول الرب تعالىٰ

والنزول: صفة من صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهو من الصفات الفعلية، التي تواترت السنة بها عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فقد رواه أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة يسمع بعضهم بعضًا ويُقررون ذلك دون نكير، يسمعون عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**ينزل ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في الثُلث الأخير من الليل في كل ليلة في السماء الدنيا**»، وهو نزول يليق بجلاله، لا يُشبه نزول المخلوقين.

وحقيقة النزول في اللغة والشرع: مجيء الشيء من العلو إلىٰ السفل، ومنه: الهبوط.

ولذلك جاء في بعض الروايات: «**يهبط ربنا**»، و«**يتدلىٰ ربنا**».

ولا منافاة بين نزوله وفوقيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فنزوله إلىٰ السماء الدنيا لا يعني أن شيئًا فوقه، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

كما لا يوجد تنافي بين علوه وقربه، فهو قريب في علوه وعلي في دنوه، فكذلك لا يوجد تنافٍ بين نزوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وفوقيته.

والنزول تواردت كلمات علماؤنا في كتب الاعتقاد علىٰ إثباته، بأنه صفة ثابتة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأجمع عليها المسلمون.

فقال أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين في عقيدته في أصول السنة قال: "باب في الإيمان بالنزول"، قال: "ومن قول أهل السنة: أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلىٰ سماء الدنيا، ويُؤمنون بذلك"، يعني أهل السنة، "من غير أن يحدوا فيه حدًا"، وسيأتي في الباب الذي بعد ذلك الكلام عن العرش والحد.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله تعالىٰ علىٰ عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا كيف يشاء".

فتواردت كلمات علماؤنا علىٰ إثبات هذه الصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا فِي قَوْلَ النَّبِيِّ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ من دَاعٍ»**.

قال: حدّثنَاهُ الْقَعْنَبِيُّ، وَابْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ الْأَغَرِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَنْزِلُ رَبنَا كل لَيْلَة إِلَىٰ السَّمَاء الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخر فَيَقُول: من يدعوني أستجيب لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»)**.

وهذا الحديث حديث صحيح ثابت عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الصحيح.

قال: **(حَدَّثَنَاه أَبُو عمر الحوضي، عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ -أَوْ شَطْرُ اللَّيْلِ- يَنْزِلُ اللهُ إِلَيّ السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، فَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَهُ؟ مَنْ يَدْعُنِي أَسْتَجِبْ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفجْر»)**.

وهذا كذلك حديث صحيح بهذا اللفظ الذي جاء فيه، قال: **«لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي»**، وغير ذلك من الأحاديث التي جاءت عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حتىٰ قال المصنف: **(وَهَذا بَابٌ طَوِيلٌ قَدْ جَمَعْنَاهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ)**.

ويعني به: كتاب الرد علىٰ الجهمية.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث النزول: قال: "وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة، من أخبار العدول عن أخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

"وهو حديث منقول"، يعني نقلًا ثابتًا صحيحًا من طرق متواترة، والحديث المتواتر: هو الذي بلغ الكثرة حتىٰ أحال ذلك التواطؤ علىٰ الكذب، يعني صار نسبة الكذب إلىٰ هؤلاء الرواة أمرًا مستحيلًا، لماذا؟ لأن هذه الكثرة تنفي تواطؤهم علىٰ الكذب، جاء من طرق كثيرة مختلفة نفت الكذب.

ومستندهم في ذلك: الحس، سمعنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كذا.

وقال الحافظ الذهبي كذلك: "وأحاديث نزول الباري تعالىٰ متواترة، قد سُقت طرقها، وتكلمت عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة"، يعني هذا دين وهذا ما يعتقده، إثبات نزول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نزولًا يليق بجلاله.

قال: **(فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ اللهَ لَا يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ، إِنَّمَا يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ، وَهُوَ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وبِكُلِّ مَكَانٍ، مِنْ غَيْرِ زَوَالٍ؛ لِأَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَالْقَيُّومُ بِزَعْمِهِ مَنْ لَا يَزُولُ)**.

فجاء المعارض بتأويل لهذا الحديث وجاء بشبهة حملته فيما زعم علىٰ صرف ظاهر الحديث عن معناه.

أما تأويله للحديث: فإن ربنا لا ينزل حقيقةً، وإنما الذي ينزل: أمره، الذي ينزل: رحمته.

وأما الشبهة في ذلك: لأن الله الحي القيوم، والقيوم بزعمه: من لا يزول، من لا يزول فسرها: أي: من لا ينتقل، ولا يتحرك، لماذا؟ لأن الانتقال والتحرك تغير، وهذا دليل علىٰ حدوث أو حلول الحوادث بذات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والله منزه عن حلول الحوادث بذاته، لأن



ما لا يخلو من الحوادث، فهو حادث، ولذلك يشبه المخلوقين، وبذلك نفوا كل الصفات الفعلية عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما سيأتي، فهذا تأويله وهذه شبهته.

أقوال الفرق في النزول وشبهاتهم

والمخالفون في صفة النزول انقسموا إلىٰ فريقين:

- منهم من أنكر هذه الصفة وردها، ورد الأحاديث الواردة فيها؛ لأنها خالفت عقله الفاسد، وإذا خالفت هذه الأحاديث التي يزعم أنها من طريق الآحاد إذا خالفت عقله الفاسد فالأصل عنده أن يُقدم عقله علىٰ ما جاء في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ففريق رد هذه الأحاديث، ولتعلموا أن كل من أنكر علو ربنا الذاتي أنكر النزول، فلا يُثبت النزول حقيقة إلا أهل السنة والجماعة، كما أنه لا يُثبت علو الله الذاتي علىٰ خلقه فوق العرش إلا أهل السنة والجماعة، كل الطوائف والفرق المنتسبة إلىٰ الإسلام تنفي علو الله الذاتي علىٰ خلقه، فالله ليس في السماء حقيقة.

وكذلك ينفون نزول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ السماء الدنيا، فمنهم من يُنكر هذه الصفة، وهذا الفريق الأول.

- ومنهم من يتأول هذه الأحاديث، والذين تأولوا هذه الأحاديث رجع تأويلهم إلىٰ أمرين:

إما أن يكون النزول هاهنا نزولًا حسيًا، ولهم قولان في ذلك:

فبعضهم يقول: ينزل ملك من الملائكة، وهذا قول كثير من متأخري الأشاعرة، يقولون: لا ينزل ربنا، وإنما الذي ينزل ملك من الملائكة.

وفريق آخر يقول في النزول الحسي: يقولون: ليس المراد أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي ينزل بذاته، وإنما هو فعل يفعله الله في السماء الدنيا يُقربها إليه، فالله عَزَّوَجَلَّ يفعل فعلًا يُقرِّب السماء الدنيا إليه، وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري، ومتقدمي أصحابه ممن يُثبتون العلو الذاتي؛ لأن أبا الحسن الأشعري يُثبت علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، لكنه ينفي الصفات الفعلية.

ولذلك الصحيح: أن أبا الحسن الأشعري لم يرجع إلىٰ مذهب اهل السنة والجماعة رجوعًا تامًا، الذي قاله في الإبانة إنه علىٰ مذهب الإمام المُبجل أحمد بن حنبل، لكنه كان ينفي الصفات الفعلية، كان يُثبت الصفات الإخبارية، يعني يُثبت أن لله وجهًا، وعينًا، ويدين، يُثبت هذه الصفات، لكن الصفات الفعلية كالفرح، والضحك، والإتيان، والنزول، لا يُثبت هذه الصفات، فينفي هذه الصفات، فهذا هو القول الأول في النزول الحسي، إما أن تنزل الملائكة، أو أن يفعل الله عَزَّوَجَلَّ فعلًا يُقرب به السماء الدنيا إليه، فيكون النزول هنا نزولًا مجازيًا باعتبار قرب السماء إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك كان الأشعري أعلىٰ قدرا ممن تأخر عنه من الأشاعرة، وهم لم يقدروا الأشعري قدره بل جهلوا مقدار كلامه وحججه وكان هو أعظم منهم قدرًا وأعلم بالمعقولات والمنقولات ومذاهب الناس من الأولين والآخرين كما تشهد به كتبه التي بلغتنا دع ما لم يبلغنا فمن رأىٰ ما في كتبه من ذكر المقالات والحجج ورأىٰ ما في كلام هؤلاء رأىٰ بونًا عظيمًا كما يقول شيخ الإسلام.

الفريق الثاني ممن أوَّل هذه الصفة: قال: النزول هاهنا نزول معنوي، والمراد: نزول رحمته، أو نزول أمره، كما قال هذا المُعارض، وبه قال المعتزلة، فالمعتزلة الذين لم يردوا هذه الأحاديث أوَّلوها وقالوا: المراد: نزول رحمته، أو نزول أمره.

وقال بذلك كذلك الماتريدية، نسبة إلىٰ أبي منصور الماتريدي، وهي فرقة قريبة جدًا من

الأشعرية.

وقال به كذلك متأخرو الأشعرية، فإما أن يكون النزول نزولًا حسيًا، فالمراد به: نزول الملَك، أو نزولًا معنويًا، والمراد به: نزول أمر أو رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فرد عليه الإمام الدارمي فقال: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُجَجِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ بَيَانٌ، وَلَا لِمَذْهَبِهِ بُرْهَانٌ؛ لِأَنَّ أَمْرَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ يَنْزِلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ وَأَوَانٍ)**.

رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تنزل في كل وقت وأوان، وكذلك أمره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل يوم هو في شأن سبحانه.

(فَمَا بَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُدُّ لِنُزُولِهِ اللَّيْلَ دُونَ النَّهَارِ؟ وَيُوَقِّتُ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرَهُ أَوِ الْأَسْحَارَ؟).

وسيأتي كذلك من شبهاتهم: اختلاف التوقيت الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي بعض الأحاديث: «**ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل**»، وفي أحاديث أخرىٰ: «**إذا مضىٰ ثلث الليل**»، وفي أحاديث: «**شطر الليل**»، فبعضهم نظر إلىٰ هذه الأحاديث وقال: هذه أحاديث ظاهرها الاضطراب، وهذا معناه أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سيظل صاعدًا نازلًا صاعدًا نازلًا.

وقال بذلك ابن حزم، ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما سيأتي.

قال: **(أَفَأَمْرُه وَرَحْمتُه يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ؟)**.

لأن الحديث يقول: «**من يدعوني أستجب له؟ من يسألني أعطيه**»، ولك أن تقول: «**من يسألني أعطه؟**»، باعتبار نوع مَن، إما أن تجعلها موصولة، فالذي يدعوني أستجيب، فالفعل مرفوع، وإما أن تجعلها جازمة، فلها فعل شرط مجزوم وجواب شرط جازم.

وإن جئت بالفاء فهذه الفاء فاء السببية، تنصب ما بعدها.

فقال: **(أَفأَمْرُه ورحمته يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ؟ أَوْ يُقَدِّرُ الْأَمْرَ وَالرَّحْمَةَ أَنْ يَتَكَلَّمَا دُونَهُ فَيَقُولَا: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأغفر لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَه؟)**.

هذا أمر لا يُعقَل؛ لأن الذي يغفر ويستجيب هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا كذلك لا ينسحب علىٰ الملَك؛ لأن الملَك ليس له في ذلك شيء، فالذي يستجيب والذي يغفر الله عَزَّوَجَلَّ والذي يُعطي هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا ينسحب كذلك علىٰ الأمر والرحمة لأنها صفات لا تنفك عن موصوف ولا تستقل بهذا القول.

بل إن في الحديث الذي مضىٰ قال: «**لا يسأل عن عبادي غيري**»، فهل الملك يقول: عبادي؟! وهذه الرحمة تقول عبادي والأمر يقول عبادي؟! هذا كلام غير مقبول لا في الشرع ولا في لغة العرب.

قال: **(فَإِنْ قَرَّرْتَ مَذْهَبَكَ لَزِمَكَ أَنْ تدعِي أَن الرَّحْمَة وَالْأَمْرَ اللَّذَيْنِ يَدْعُوَانِ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِكَلَامِهِمَا دُونَ اللهِ هَذَا مُحَالٌ عِنْدَ السُّفَهَاءِ)**.

لماذا؟ لأن الرحمة ليست عينًا قائمة بذاتها، بل هي صفة، لا بد أن تقوم بموصوف، وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(وهَذَا مُحَالٌ عِنْدَ السُّفَهَاءِ، فَكَيْفَ عَنْدَ الْفُقَهَاءِ؟ وَقَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَلَكِنْ تُكَابِرُونَ، وَمَا بَالُ رَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ يَنْزِلَانِ مِنْ عِنْدِهِ شَطْرَ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَا يَمْكُثَانِ إِلَّا إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ ثُمَّ يُرْفَعَانِ؛ لِأَنَّ رِفَاعَةَ)**.

وهو أحد رواة الحديث.

(لِأَنَّ رِفَاعَةَ يَرْوِيهِ، يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ: "حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ").

و"حتىٰ" لانتهاء الغاية، أي أن النزول ينتهي بطلوع الفجر، فكيف تُوقَّت الرحمة ويُوقَّت الأمر بهذا الوقت؟!

قال: (**وَقَدْ عَلِمْتُمْ -إِنْ شَاءَ اللهُ- أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ أَبْطَلُ بَاطِلٍ، لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ.**

وَأَمَّا دَعْوَاكَ: أَنَّ تَفْسِيرَ "الْقَيُّومِ" الَّذِي لَا يَزُولُ مِنْ مَكَانِهِ وَلَا يَتَحَرَّكُ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْكَ هَذَا التَّفْسِيرُ إِلَّا بِأَثَرٍ صَحِيحٍ مَأْثُورٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَوْ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، أَوِ التَّابِعِينَ**).

أولا: الذي ينبغي أن يعتقده المسلم أنه لا يجوز له أن يتكلم في الدين بالرأي، فضلًا عن أن يُفسر كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يجوز لإنسان أن يتكلم في القرآن برأيه؛ وإلا وقع في النهي الذي ورد به الشرع وقال علىٰ الله ما لا يعلم، فكيف تفسر أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما لم يرد علىٰ لسان النبي ولا صحبه ولا أحد من القرون المُفضلة كما فعل المعارض هنا؟

وثانيًا: تأمل كيف قلب الإمام عليه الدليل، وما من دليل صحيح يستدل به المبتدع إلا وفي نفس الدليل ما يُرَد به عليه، وهذا سنجده كثيرًا من فعل الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولذلك هناك كتاب هو غاية في النفاسة والأهمية لدارسي علم العقيدة، اسمه (**قلب الأدلة علىٰ الطوائف المُضلة**) في باب توحيد الربوبية والأسماء والصفات، (**قلب الأدلة علىٰ الطوائف المُضلة**. المؤلف جزاه الله خيرًا كأنه فكر في كل كلمة يكتبها في هذا الكتاب، ولعله استوفىٰ كل شبهات الفِرق الضالة وجاء بها وقلبها عليهم، يعني يرد عليهم من نفس الدليل، كما كان يفعل أئمتنا فاحرصوا علىٰ اقتناء هذا الكتاب.

قال: (**لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ، ويهبط ويرتفع إذا شَاءَ، ويقبض وَيَبْسُطُ وَيَقُومُ وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ**).

قوله: "يجلس" هذا باعتبار الأصل في لغة العرب، أن الحي يقوم ويجلس ويذهب

ويجيء، لكن باعتبار هذه صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا يحتاج إلىٰ دليل؛ لأن بعض الناس نظر في بعض كلام أئمتنا وأثبت الجلوس صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإثبات الصفات لا بد فيه من دليل، من كتاب الله أو من سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الألفاظ وإن كان بعضها قد يكون حقًا وقد يكون من لوازم الصفة، إلا أن الأسلم أن نقتصر في صفات ربنا علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة.

يعني مثلًا هو هاهنا في هذه الجملة قال: **(لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَتَحَرَّكُ)**، طب إثبات الحركة كصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ورد في الكتاب؟ ورد في السنة؟ لم يرد، لكنها وردت علىٰ لسان بعض السلف في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومنهم: الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو يستعملها كثيرًا، فما موقفنا من هذه الألفاظ التي جعلها بعضهم صفة لله أنكرها بعض السلف وأجازها بعضهم؟

قال الشيخ محمد حامد الفقي: "هذه الألفاظ لم ترد لا في القرآن ولا في السنة، فنتوقف عن وصف الله تعالىٰ بها".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما لفظ الزوال والانتقال"، يعني نقول: ينتقل ربنا، يزول ربنا بمعنىٰ: يتحرك. **قال**: "فهذا اللفظ مُجمل، ولهذا كان أهل الحديث والسنة فيه علىٰ أقوال".

ليس فيه نقص، اللفظ ليس فيه نقص، الحركة ليس فيها نقص، ولذلك اختلف فيه أهل السنّة، قال: أهل السنة، يعني منهم من أثبتها ومنهم من لم يُثبتها، بخلاف الجسم، فالجسم قد يُوهم النقص والافتقار، ولذلك ما أثبتوا اللفظ، وإنما يستفصلون عن المعنىٰ.

وأما لفظ الحركة فهذا أثبته بعض أهل السنة وتوقف فيه بعضهم أو أنكره، فماذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية؟

قال: "ولهذا كان أهل الحديث والسنة فيه علىٰ أقوال، فعثمان بن سعيد الدارمي" -وكان شيخ الإسلام يُجلُّه جدًا- وغيره أنكروا علىٰ الجهمية قولهم: إنه لا يتحرك، وذكروا أثرًا أنه لا يزول، وفسروا الزوال بالحركة"، يعني الجهمية المعتزلة فسروا الزوال بالحركة، لا يزول يعني لا يتحرك، فهذا فيه نفي النزول، "فبيَّن عثمان بن سعيد أن ذلك الأثر إن كان صحيحًا لم يكن حجة لهم؛ لأنه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الحَيُّ القَيَّوْمُ﴾ قالوا: ذكروا عن ثابت في معنىٰ قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿الحَيُّ القَيَّوْمُ﴾ دائم باق، لا يزول عما يستحقه.

ذكروا عن بعض السلف أنه قال في تفسير اسم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ﴿الحَيُّ القَيَّوْمُ﴾ قال: "دائم"، هو الأول، "باق"، هو الآخر، "لا يزول عما يستحقه، كما قال ابن إسحاق: لا يزول عن مكانته"، لم يقل: عن مكانه، قال: عن مكانته.

فقال شيخ الإسلام: "قلت: والكلبي بنفسه، وهو أحد رجال إسناد بشر.

قال: "والكلبي بنفسه الذي يروي هذا الحديث وهو يقول: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: استقر عليه، ويقول: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩] أي: صعد إلىٰ السماء"، يعني معنىٰ ذلك: أنه يُثبت صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الفعلية.

"وأما الانتقال: فابن حامد -من الحنابلة- وطائفة يقولون: ينزل بحركة وانتقال"، يعني إذا نزل نزل بحركة؛ لأن النزول من علو إلىٰ سفل، قالوا: هذا لا يُعقَل في لغة العرب إلا بحركة، فقالوا: ينزل بحركة.

"وآخرون من أهل السنة كالتميمي من أصحاب أحمد أنكروا هذا، وقالوا: بل ينزل بلا حركة وانتقال".

قال: "وطائفة ثالثة، كابن بطة وغيره، يقفون في هذا".

قال: "وقد ذكر الأقوال الثلاثة القاضي أبو يعلىٰ في كتاب اختلاف الروايتين والوجهين،

ونفىٰ اللفظ بمجمله".

قال: "والأحسن في هذا الباب: مراعاة ألفاظ النصوص، فيُثبَت ما أثبت الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ باللفظ الذي أثبته، ويُنفَىٰ ما نفاه الله ورسوله كما نفاه، وهو أن يُثبَت النزول، والإتيان، والمجيء"، كل هذا ثابت، "ويُنفَىٰ المثل، والسمي، والكفء، والند، وقد صرح طوائف منهم بالحركة، كما صرح بذلك طوائف من أئمة الحديث والسنة، وصرحوا بأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الحركة من لوازم الحياة"، فلا حي إلا بحركة، فكأنهم أثبتوا ذلك من جهة العقل، "هذا مما تستلزمه الحياة"، انتهىٰ كلامه من بيان تلبيس الجهمية.

فالأولىٰ والأسلم -والله أعلم-: أن نُمسك عما لم يرد في الكتاب أو في السنة.

قال: **(لِأَنَّ أَمَارَةُ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ)**.

الذي يفصل بين الحي والميت التحرك.

(فكُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ).

وهذا كما قلنا: فيه قلب الدليل علىٰ المعارض؛ لأن اسم الله الحي واسم الله القيوم لو تدبرنا فيهما لوجدناهما قد دلَّا علىٰ قيام الصفات الفعلية بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فالحي القيوم: يعني الذي يفعل ما يشاء إذا شاء.

قال: **(وَمَنْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ تَفْسِيرِكَ وَتَفْسِيرِ صَاحِبِكَ مَعَ تَفْسِيرِ نَبِي الرَّحْمَة وَرَسُول رب الْعِزَّة! إِذ فَسَّرَ نُزُولَهُ مَشْرُوحًا مَنْصُوصًا، وَوَقَّتَ لنزوله وقتا مَخْصُوصًا، لم يَدَعْ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ فِيهِ لَبْسًا وَلَا عَوِيصًا)**.

الأمر العويص: يعني الغامض.

(ثُمَّ أَجْمَلَ الْمُعَارِضُ جميع مَا يُنْكِرُ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَذَاتِهِ).

إذًا إلىٰ هنا انتهىٰ الكلام عن صفة النزول، وذكر بعد ذلك ما أنكره هذا الجهمي من سائر الصفات الخبرية والفعلية.

لهم شبهات أخرىٰ، المعتزلة والأشاعرة لهم شبهات أخرىٰ في نفي النزول، واللازم واللائق بقدر هذا الكتاب: أن يختلف شرحه عما سبق، وأن نأتي بما لم يُؤت به قبل ذلك، لأن الكتاب في الأصل: هو رد علىٰ شبهات هؤلاء.

الرد علىٰ شبهات الرازي حول النزول

فاحتج الرازي مثلًا في (**أساس التقديس**) هذا الذي ألف في الرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه (بيان تلبيس الجهمية)،أو نقض التقديس.

فالرازي احتج في (**أساس التقديس**) بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[الزمر:٦]، وبقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[الحديد:٢٥]، فاحتج بالنزول هاهنا والإنزال علىٰ نفي النزول الحقيقي، قال: لأن النزول هاهنا لا يُراد به النزول من العلو للسفل، فكذلك الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول الرازي: ظاهر الآية إن الأنعام نزلت من السماء، ثم يقول: الأنعام لم تنزل من السماء، ومع ذلك عبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن ذلك وقال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، فهذا كذلك لم ينزل من السماء، فكيف كان الجواب عليه؟

أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال فيما أجاب به: "لو سُلِّم ذلك"، يعني لو سُلِّم أنه جاء في لغة العرب أن النزول يأتي بغير معناه الحقيقي، فهذا لا ينطبق علىٰ نزول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لماذا؟ لأنه قد جاء في الأحاديث من الألفاظ ما يُحيل حمل النزول علىٰ خلاف النزول الحقيقي، فجاء في بعض الروايات: «**يهبط ربنا**».

وجاء عند أحمد وصححه الشيخ علي الفقيهي في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن منده: «إن الله يتدلىٰ في جوف الليل»، يعني ينزل في جوف الليل، فهناك مفردات أخرىٰ تجعلنا نقول بأن النزول هاهنا نزول حقيقي، هذا أولًا.

الأمر الثاني: لا يُسلَّم لهم بأن أصول هذه الأشياء لم تكن من علو، لا يُسلَّم للرازي ولا لغيره أن أصول هذه الأشياء لم تكن من علو، فالحديد ينزل من أعالي الجبال.

بل نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم قالوا: كلما كان الحديد من جبل أعلىٰ كان أجود، فالحديد ينزل من أعلىٰ إلىٰ أسفل، والأنعام كذلك تنزل من أصلاب آبائها إلىٰ أرحام أمهاتها، وإلا كيف توجد الأنعام؟ تنزل من أصلاب الرجال إلىٰ أرحام النساء أو الإناث، ثم تنزل من البطون إلىٰ الأرض.

بل ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية حتىٰ الأنعام التي تفعل هذا الفعل علىٰ قوائمها الأربع يكون فيها نزول كذلك.

يعني الإنسان قد يفعل ذلك علىٰ فراشه، الأنعام التي تفعل ذلك وهي قائمة يكون فيها كذلك نزول، هذا ثانيًا.

وثالثًا: قال: "ليس هناك ما يمنع من نزول أصولها من السماء، أين الخبر الذي معك الذي يمنع من القول بنزول أصول الأنعام والحديد وسائر الموجودات في الأرض من السماء؟ كما نزل أصل الإنسان من الجنة، وهو آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بل إن الرازي -وهذا يدل علىٰ تناقضه، يذكر في تفسيره مفاتيح الغيب في هذه الآية وجهًا أن الأنعام نزلت من الجنة"، أصول الأنعام نزلت من الجنة، فهذا كله رد عليه.

الرد علىٰ شبهة ابن حزم حول النزول

■كذلك من شبهاتهم التي رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكره ابن حزم، لما عارض أحاديث النزول باختلاف ثلث الليل في أقطار الأرض، فنحن في مصر عندنا مثلًا ثلث الليل بعد خمس ساعات، ثلث الليل الأول بعد ثلاث ساعات، والثاني بعد خمس ساعات، والثالث بعد سبع ساعات، ماذا عن ثلث الليل في السعودية؟ وأمريكا؟ يختلف أكثر، صحيح؟

فمعنىٰ ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ فهمه هو سيظل صاعدًا نازلًا، صاعدًا نازلًا، يُشبهون الله بخلقه، فهم قبل أن يُعطلوا شبّهوا، ولذلك ما من مُعطِّل إلا وقد شبَّه أولًا ومثَّل.

فقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان تلبيس الجهمية قال**: "ومن هنا يظهر الجواب عما ذكره ابن حزم وغيره"، ابن حزم مضطرب في عقيدته، وفي باب الأسماء والصفات خاصة، يعني مرة يكون سلفيًا يُجري الصفات علىٰ ظاهرها، ومرة يُؤول، ومرة يرد، هو مضطرب في هذا الباب، لكن لا تستطيع أن تنسبه صراحة لا إلىٰ المعتزلة، ولا إلىٰ الأشعرية، ولا إلىٰ السلفية.

قال: "ومن هنا يظهر الجواب عما ذكره ابن حزم وغيره من أحاديث النزول، حيث قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يطلع الفجر»**، فقالوا: قد ثبت أن الليل يختلف بالنسبة إلىٰ الناس، فيكون أوله ونصفه وثلثه بالمشرق قبل أوله ونصفه وثلثه بالمغرب، قالوا: فلو كان النزول هو النزول المعروف للزم أن ينزل في جميع أجزاء الليل، إذ لا يزال في الأرض ليل، قالوا: أو لا يزال نازلًا وصاعدًا وهو جمع بين الضدين".

قال: " وهذا إنما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم، وهذا عين

التمثيل، ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم، الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه".

أراد ابن تيمية أن المخلوق أحيانًا لا يستطيع أن يجمع بين فعلين في وقت واحد، إما أن تكون في الدور الثاني أو تكون في الدور الأول، لا تستطيع أن تجمع بين الفعلين، أما الله عَزَّوَجَلَّ فليس كمثله شيء.

فقال: "وهذا إنما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم"، وهذا عين التمثيل، "ثم إنهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم، الذي لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه، وقد جاءت الأحاديث بأنه يُحاسب خلقه يوم القيامة، كل منهم يراه مخليًا به، يتجلىٰ ويُناجيه، لا يرىٰ أنه متخليًا لغيره، ولا مخاطبًا لغيره"، يعني كل واحد سيشعر أن الله عَزَّوَجَلَّ يخاطبه هو فقط، والله عَزَّوَجَلَّ يُحاسب جميع عباده.

قال: "وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: أثنىٰ عليَّ عبدي**»، فكل من الناس يُناجيه والله تعالىٰ يقول لكل منهم ذلك ولا يشغله شأن عن شأن".

فنحن نقيم الصلاة بعد عشر دقائق، غيرنا بعد ربع ساعة، يختلف وقت القراءة، والناس كلهم يقرؤون الفاتحة، ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والله عَزَّوَجَلَّ يُجيب من فوق سبع سماوات، لا يشغله شأن عن شأن سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال: "وذلك كما قيل لابن عباس: كيف يُحاسب الله تعالىٰ الخلق في ساعة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في ساعة واحدة، ثم يُقال لهؤلاء: أنتم تعلمون أن الشمس جسم واحد، وهي متحركة حركة واحدة متناسبة، لا تختلف، ثم إنها بهذه الحركة الواحدة تكون طالعةً علىٰ قوم، وغاربة عن آخرين، وقريبة من قوم، وبعيدة عن آخرين، فيكون عند قوم عنها ليل،

وعند قوم نهار، وعند قوم شتاء، وعند قوم صيف، وعند قوم حر، وعند قوم برد، فإذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين وصيف في وقت واحد لطائفتين".

إذا كان هذا يُتصَور في مخلوق فكيف يمتنع عن خالق كل شيء الواحد القهار؟

"أن يكون نزوله إلىٰ عباده ونداؤه إياهم في ثلث ليلهم وإن كان مختلفًا بالنسبة إليهم، وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ولا يحتاج أن ينزل علىٰ هؤلاء ثم ينزل علىٰ هؤلاء، بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثًا عند هؤلاء وفجرًا عند هؤلاء يكون نزوله إلىٰ سماء هؤلاء الدنيا، وصعوده عن سماء هؤلاء الدنيا، فسبحان الله الواحد القهار! ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]"، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: (ثُمَّ أَجْمَلَ الْمُعَارِضُ جميع مَا يُنْكِرُ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَذَاتِهِ، الْمُسَمَّاةِ فِي كِتَابِهِ، وَفِي آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَدَّ مِنْهَا بضعًا وَثَلَاثِينَ صفة، نسقًا وَاحِدًا، وَيحكم عَلَيْهَا وَيُفَسِّرُهَا بِمَا حَكَمَ الْمَرِيسِيُّ وَفَسَّرَهَا وَتَأَوَّلَهَا حَرْفًا حَرْفًا، خِلَافَ مَا عَنَىٰ اللهُ، وَخِلَافَ مَا تَأَوَّلَهَا الْفُقَهَاءُ الصَّالِحُونَ، لَا يُعْتَمَدُ فِي أَكْثَرِهَا إِلَّا عَلَىٰ الْمَرِيسِيِّ، فَبَدَأَ مِنْهَا بِالْوَجْهِ، ثُمَّ بِالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْغَضَبِ، وَالرِّضَا، وَالْحُبِّ، وَالْبُغْضِ، وَالْفَرَحِ، وَالْكُرْهِ، وَالضَّحِكِ، وَالْعَجَبِ، وَالسَّخَطِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالْأَصَابِعِ، وَالْكَفِّ، وَالْقَدَمَيْنِ، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٣٨]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:١١٥]، و﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، و﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]).

لو نظرتم إلىٰ هذه الصفات لوجدتموها كلها صفات إما أن تكون صفات خبرية أو صفات فعلية، لماذا ينفون الصفات الخبرية؟ لاعتقاد المشابهة، لأن إثبات هذه الصفات

يقتضي التجسيم، ومشابهة المخلوقين، والله مُنزه عن المشابهة، ليس كمثله شيء، فينفون كل الصفات الخبرية.

ولماذا ينفون الصفات الفعلية؟ بسبب الشبهة التي أصَّلها الجهم بن صفوان في مبدأ دعوته، أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، لأن الحوادث التي يسميها الفلاسفة والمتكلمون بالأعراض، أي الصفات، والذات التي تقوم بها هي الجوهر.

فإذا كانت هذه الأعراض متغيرة فإنها لا تحل إلا بذات متغيرة، وبهذا استدلوا علىٰ حدوث العالم؛ لأن العالم ليس علىٰ صورة واحدة، مرة حر، مرة برد، مرة صيف، مرة شتاء، هذه أعراض تتغير، فهذا يدل علىٰ حدوث ما وقع فيه التغير الذي هو العالم، وكذلك كل ما حلت به الحوادث فهو حادث، وسحبوا هذا الأصل علىٰ صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وذات ربنا، وجعلوا كل ذلك تحت قياس شمولي، فنفوا صفاته الفعلية، وبعضهم يوقف حصول الإيمان بالله علىٰ الإقرار بهذا الأصل كجمهور المعتزلة وأبي المعالىٰ من الأشعرية، وفي هذا يقول شيخ الإسلام كما في نقض التأسيس ١/ ٤٤٠:

"والمقصود هنا أن أولئك المتكلمين لما راموا إثبات وجود الصانع وخلق العالم، سلكوا الطريقة التي ابتدعوها من الاستدلال علىٰ حدوث الموصوفات، بحدوث صفاتها أو بحدوث صفاتها وأفعالها، وسموا ذلك أجسامًا أو جواهر، وسموا صفاتها وأفعالها أعراضًا، وبنوا الحجة علىٰ مقدمتين:

إحداهما: أن الموصوفات لا تخلو عن أعراض حادثة، من صفات وأفعال تعتقب عليها.

والثانية: أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث." ثم نقض كلامهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما لا مزيد عليه.

قال: (﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، وَ ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ

أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠] و ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وَقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] وَ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وَ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، وَ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وَ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر:٧]، وَقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران:٢٨]).

والنفس: يعني الذات، الصحيح: أن نفس الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي ذاته، وليست صفة زائدة عن الذات.

قال: (﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[آل عمران:٧٧]، وَ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، وَ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]، وَ ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢].

قال: عَمِدَ الْمُعَارِضُ إِلَىٰ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالْآيَاتِ فَنَسَّقَهَا، وَنَظَّمَ بَعْضَهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا نَظَّمَهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، ثُمَّ فَرَّقَهَا أَبْوَابًا فِي كِتَابِهِ، وَتَلَطَّفَ بِرَدِّهَا بِالتَّأْوِيلِ).

أي التأويل الفاسد المبني علىٰ الشبه العقلية الفاسدة، ليس عليه دليل، وإنما مبناه علىٰ الهوىٰ.

قال: (كَتَلَطُّفِ الْجَهْمِيَّةِ، مُعْتَمِدًا فِيهَا عَلَىٰ تَفَاسِيرِ الزَّائِغِ الْجَهْمِيِّ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، مُسْتَتِرًا عِنْدَ الْجُهَّالِ بِالتَّشْنِيعِ بِهَا عَلَىٰ قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِهَا).

قوله: (مُسْتَتِرًا عِنْدَ الْجُهَّالِ بِالتَّشْنِيعِ بِهَا عَلَىٰ قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَيُصَدِّقُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيهَا، بِغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا بِمِثَالٍ).

وهذه طريقة كل من خالف أهل السنة في سائر الأبواب ينبذونهم بألقاب هم منها أبرياء يشنعون عليهم ليروج كلامهم عند الجهال، وقولهم: لا نُكيِّف ولا نُمثِّل، أرادوا بذلك

التفويض، كأننا عجم، نمرها هكذا دون أن نعلم، لا المعنىٰ ولا الكيف، ننظر إليها ولا نفهم معناها، وقطعًا لم يكن هذا منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا صحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال: **(فَزَعَمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا)**.

يعني أهل السنة.

(يُكَيِّفُونَهَا، وَيُشَبِّهُونَهَا بِذَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ).

ولذلك المعطلة يسمون أهل السنة بالمجسمة، والممثلة، والمشبهة، والنوابت، والحشوية، ألفاظ أرادوا بها تنفير الناس عن أهل السنة، ولهم في كل زمان ومكان ألفاظ يخترعونها من أجل تنفير الناس عن السنة وأهلها.

فقال: **(فَزَعَمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا يُكَيِّفُونَهَا، وَيُشَبِّهُونَهَا بِذَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ بِزَعْمِهِ قَالُوا: لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا اجْتِهَادُ رَأْيٍ لِيُدْرَكَ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ، أَوْ يُشَبَّهُ شَيْءٌ مِنْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِي الْخلق مَوْجُود)**.

كلمة حق أُريد بها باطل، فعلًا العقيدة ليس فيها اجتهاد، لكنه ما أراد ذلك.

(قَالَ: وَهَذَا خَطَأٌ).

يعني الذي يجتهد في صفات ربنا أخطأ.

(لِمَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾).

كل مبطل لا بد أن يُدخل بعض الحق في باطله، كصاحب البدعة، وإلا لم يُقبَل منه الأمر، لا بد أن يُزين كلامه بآية وحديث.

قال: **(فَكَذَلِكَ لَيْسَ كَكَيْفِيَّتِهِ شَيْءٌ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقُلْنَا لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُدَلِّسِ بِالتَّشْنِيعِ)**.

أي أن كلامه فيه تدليس وتلبيس.

(أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَتَشْبِيهَهَا بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخَلْقِ خَطَأٌ فَإِنَّا لَا نَقُولُ: إِنَّهُ خَطَأٌ كَمَا قُلْتَ، بَلْ هُوَ عِنْدَنَا كُفْرٌ، وَنَحْنُ لِكَيْفِيَّتِهَا وَتَشْبِيهِهَا بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخَلْقِ أَشَدُّ أَنَفًا مِنْكُمْ).

فالذي يُشبه الله بخلقه هذا كافر، كما قال نُعيم بن حماد شيخ البخاري: "من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشبيهًا"، فرد بهذه الجملة علىٰ طائفتين، قال: "من شبَّه الله بخلقه فقد كفر"، هذا فيه رد علىٰ الممثلة، الممثلة هؤلاء الذين يقولون: يد الله كيدي، يُكيِّف ويُمثِّل، يجعل صفة الخالق كصفة المخلوق.

بل إن بعضهم كان يقول: أُثبت لله كل شيء -يعني كالمخلوق- إلا الفرج واللحية، يعني يتوقف في الفرج واللحية فقط! نسأل الله العافية يعني، يخوضون في أسماء الله وصفاته بأمور تُشعرك أن هؤلاء ما ذاقوا طعم الإيمان يومًا ما، وما أرادوا إلا هدم الإسلام، فرد في الجملة الأولىٰ علىٰ المُمثلة، وفي الجملة الثانية؟ قال: "ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر"، رد علىٰ المعطلة، الذين يظنون إثبات الصفات تمثيلًا لله بالمخلوق، ولذلك قال في آخر جملة قال: "وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله" يعني ما وصف الرسول به ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ "تشبيهًا".

فقال: نحن لا نقول: هذا خطأ، وإنما نقول: هو كفر.

(غَيْرَ أَنَّا كَمَا لَا نُشَبِّهُهَا، وَلَا نُكَيِّفُهَا).

لا نُشبه صفات الله بخلقه.

(وَلَا نُكَيِّفُهَا، لَا نَكْفُرُ بِهَا).



أي لا نُعطلها ولا نجحدها.

(وَلَا نُكَذِّبُ، وَلَا نُبْطِلُهَا بِتَأْوِيلِ الضَّلَالِ، كَمَا أَبْطَلَهَا إِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ فِي أَمَاكِنَ مِنْ كِتَابِكَ، سَنُبَيِّنُهَا لِمَنْ غَفَلَ عَنْهَا مِمَّنْ حَوَالَيْكَ مِنَ الْأَغْمَار إِنْ شَاءَ اللهُ.

قال: وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ فِي تَكْيِيفِ صِفَاتِ الرَّبِّ، فَإِنَّا لَا نُجِيزُ اجْتِهَادَ الرَّأْيِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا، وَتُسْمَعُ فِي آذَانِنَا).

يعني إذا كان النص صريحًا دل دلالة قطعية علىٰ فرض من الفروض العملية فهذا لا اجتهاد فيه، لا اجتهاد مع النص، لا اجتهاد مع القول بأن الصلوات خمس، بأن الحج فرض، الزكاة فرض، هذا أمر عملي وليس من أمور الاعتقاد، ومع ذلك لا اجتهاد فيه، لماذا؟ لأن هذا الأمر قد جاء النص الصريح في بيان حكمه.

قال: **(فَكَيْفَ فِي صِفَاتِ اللهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا الْعُيُونُ، وَقَصُرَتْ عَنْهَا الظُّنُونُ؟ غَيْرَ أَنَّا لَا نَقُولُ فِيهَا كَمَا قَالَ إِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ).**

وهذا مذهب المعتزلة، هذه الجملة التي ستأتي هي مذهب المعتزلة في صفات ربنا وأسماء ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المريسي يقول: (إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا لِلَّهِ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ السَّمْعُ مِنْهُ غَيْرَ الْبَصَرِ، وَلَا الْوَجْهُ مِنْهُ غَيْرَ الْيَدِ، وَلَا الْيَدُ مِنْهُ غَيْرَ النَّفْسِ، وَأَنَّ الرَّحْمَنَ لَيْسَ يَعْرِفُ بزعمكم لِنَفْسِهِ سَمْعًا مِنْ بَصَرٍ، وَلا بَصَرًا مِنْ سَمْعٍ، وَلَا وَجْهًا مِنْ يَدَيْنِ، وَلَا يَدَيْنِ مِنْ وَجْهٍ، وَهُوَ بِزَعْمِكُمْ سَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَوَجْهٌ، وَأَعْلَىٰ، وَأَسْفَلُ، وَيَدٌ، وَنَفْسٌ، وَعِلْمٌ، وَمَشِيئَةٌ، وَإِرَادَةٌ، مِثْلُ: خَلْقِ الْأَرَضِينَ، وَالسَّمَاءِ، والْجِبَال، وَالتِّلَالِ، وَالْهَوَاءِ، الَّتِي لَا يُعْرَفُ لِشَيْءٍ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالذَّوَاتِ، وَلَا يُوقَفُ لَهَا مِنْهَا عَلَىٰ شَيْءٍ).

فهذا مذهبهم في الصفات، مذهب المعتزلة في الصفات كمذهبهم في الأسماء.

ولذلك قال أحمد بن يحيىٰ بن المرتضي المعتزلي قال: "اجتمعت المعتزلة" -يعني في قولهم وعقيدتهم- "علىٰ أن للعالم مُحدثًا"، يعني أحدثه، وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ "قديمًا، قادرًا، عالمًا، حيًا، لا لمعانٍ"، أي ليس معنىٰ إنه قدير ذو قدرة، عليم ذو علم، بصير ذو بصر! لا، هذه أعلام مجردة، تجردت عن الصفات، فالله عندهم ذات مجردة عن الأسماء والصفات، حقيقة قولهم أنهم جردوا الله من الأسماء والصفات لأن الأسماء ليست لله، كما مضىٰ، الأسماء هذه أسماء مخلوقة، جعلها البشر لربنا بعد خلقهم، وأما قبل الخلق فلم يكن له اسم.

ولذلك يقولون: الاسم غير المُسمىٰ، كما مضىٰ، فيقولون: إن الأسماء المضافة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أعلام محضة، كلها ترجع للعلمية والذات، فأسماء ربنا كلها المراد منها: العلمية فقط، كإسلام هذا، اسمه إسلام لكي نعرف إن اسمه إسلام، خالد لكي نعرف إن ده اسمه خالد، لكن هل فيه صفة الإسلام؟ حسام فيه معنىٰ الحزم؟ كريم فيه معنىٰ الكرم؟ لا يلزم، هي أعلام محضة، وهذا بالنسبة للمخلوق، فعلًا هي أعلام محضة، أما بالنسبة للخالق فهي أعلام وأوصاف.

ولذلك هي أسماء حسنىٰ، تضمنت صفات مُثلىٰ، أما المعتزلة فأسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في اعتقادهم لا تدل إلا علىٰ العلمية، ولذلك تساوت كل الأسماء، وكذلك صفاته بلا معان، لا يُفهَم منها أن الله اتصف بهذه الصفات، لماذا؟ لأننا لو فهمنا -هذا قولهم- لأننا لو فهمنا أن الله اتصف حقًا بهذه الصفات فهذا يعني أن الحوادث قد حلت به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تشبيه الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه، وأنه مركب، ويفتقر لهذه الصفات.

ولذلك يقولون: كان الله وصفاته، ونحن أهل السنة نقول: كان الله بصفاته، فكما كان أزليًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فصفاته كذلك أزلية، فينفون صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأخذوا هذه الشبهة عن الفلاسفة، أكثر من تأثر بالفلاسفة من الفِرَق المعتزلة، لأن المعتزلة في مبدأ أمرهم تعلموا علىٰ يد الفلاسفة ومن كتبهم المترجمة ثم جعلوا غايتهم التصدي لليهود والنصارىٰ والفلاسفة، وليس اليهود والنصارىٰ والفلاسفة ممن يخضع للقرآن والسنة، فكيف نجادلهم؟ بأدلة عقلية، وكان الواجب أن الأدلة العقلية تُؤخَذ كذلك من القرآن والسنة؛ لأن القرآن مليء بالأدلة العقلية الصحيحة المُنضبطة، فما فعلوا ذلك وإنما اخترعوا أدلة عقلية ساروا فيها علىٰ طريقة الفلاسفة ومن يجادلونهم من السُمنية، ومن اليهود، و النصارىٰ. أخذوا هذه الأدلة وقرؤوا في كتبهم، فوجدوا في كتبهم أن هذا الإله ذات بلا صفة.

ولذلك تجد في كتب فلاسفة اليونان أن هذا الإله ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا، نفي محض، فتأثروا بهم، وأُعجبوا بكلامهم، وجعلوا هذا الكلام هو الأصل الذي يُرد إليه في الكتاب والسنة.

أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين قال: ولولا خوف السيف لجحدوا الاسم والصفة، يعني هم يجحدون الاسم، لكنهم خافوا السيف؛ لأن جحد الصفة تكذيب صريح للقرآن؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ سمىٰ نفسه بأسماء في القرآن، فإذا جحدوا الأسماء صراحةً وقالوا: ليس بعليم، ولا قادر، ولا سميع، فهذا يُعرضهم للسيف، والقتل، والتكفير، والاتهام بالزندقة.

فيقول أبو الحسن الأشعري وهو الخبير بمذهبهم... لأن أبا الحسن ظل أربعين سنة في بيئة الاعتزال، والصحيح أن أربعين سنة دي يعني من مبدأ ولادته، وليس إنه عاش علىٰ الاعتزال أربعين سنة، لأنه في سن الأربعين ترك الاعتزال، وكان سبب الاعتزال تأثره بشيخه وزوج أمه أبي علي الجبائي، تأثر به، ثم بعد ذلك ناظره وترك مذهبه، فانتقل إلىٰ مذهب

الكلابية، محمد بن سعيد بن كلاب، ثم بعد ذلك انتقل إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، لكن بقي عنده -كما قلنا- أشياء كنفي الصفات الفعلية، والله يغفر له.

فهم يقولون: إنهم يستندون في ذلك إلىٰ العقل، وما أن يُذكَر المعتزلة عند الظلاميين والتنويريين يقولون: هؤلاء أصحاب العقول، حتىٰ المستشرقون يسمونهم بالـ free thinkers يعني هكذا يقولون المفكرون الأحرار، تركوا لعقلهم الحبل علىٰ الغارب، فهل هم أصحاب عقول؟ دعنا نفكر في كلامهم.

يقولون: الله قادر بلا قدرة، عالم بلا علم، ما معنىٰ ذلك لمن عقل كلامهم؟ معناه: متصف بلا صفة!! موجود بلا وجود، فهذا لا يُقبَل في العقل، فأين العقل والعقلانية الذي يُنسَب إليه المعتزلة؟!

لو فتشت في حال كل عقلاني في هذا الزمان يدعي ضرورة تحكيم العقل ممن تصدروا، أو انتُخبوا لرئاسة الجامعات والكليات للأسف، تجد عندهم هذا المذاهب العقلانية التي تتدخل في كل شيء، يُحاكمون إليها نصوص الشرع بجرأة عجيبة، هذا تجده كثيرًا، يعني حتىٰ في أيسر الخطابات تسمع الواحد من هؤلاء تشعر أنه يهرف بما لا يعرف يقول مرددا مرارا وتكرارًا كان شيطانًا مسَّه: كن عقلانيًا، كن عقلانيًا، كن عقلانيًا، يُردِدها كثيرًا، يريد أن يُعرف أنه رجل عقلاني حتىٰ يبقىٰ في هذا المنصب، أو حتىٰ يُشتَهَر ولو باللعنات، نسأل الله العافية.

(وَأَنَّ الرَّحْمَنَ لَيْسَ يَعْرِفُ بزعمكم لِنَفْسِهِ سَمْعًا مِنْ بَصَرٍ، وَلا بَصَرًا مِنْ سَمْعٍ، وَلَا وَجْهًا مِنْ يَدَيْنِ، وَلَا يَدَيْنِ مِنْ وَجْهٍ، وَهُوَ كله بِزَعْمِكُمْ سَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَوَجْهٌ، وَأَعْلَىٰ، وَأَسْفَلُ، وَيَدٌ، وَنَفْسٌ، وَعِلْمٌ، وَمَشِيئَةٌ، وَإِرَادَةٌ).

كل هذا يدل علىٰ العلمية فقط، علىٰ الذات، بلا صفات وهذا قول المعتزلة، وعرفنا

سبب جنوحهم لهذا القول.

ثم قال بعد ذلك: (فَاللهُ الْمُتَعَالِي عندنَا أَن يكون كَذَٰلِك).

تعالىٰ الله عن قولكم.

(فَقَدْ مَيَّزَ اللهُ فِي كِتَابِهِ السَّمْعَ مِنَ الْبَصَرِ، فَقَالَ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦]).

ولو كانا بمعنىٰ واحد لما عطف الرؤية علىٰ السمع.

(وقال: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:١٥]، وَقَالَ ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:٧٧]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ دُونَ السَّمْعِ، فَقَالَ عِنْدَ السَّمْعِ وَالصَّوْتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَىٰ اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١]، وَ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١]، وَلَمْ يَقُلْ: قَدْ رَأَىٰ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا).

صحيح؟ لأن القول يقتضي الرؤية ولا السمع؟ السمع، فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، صحيح؟

مناظرة تنقض قول المعتزلة برد الصفات لصفة واحدة

وفي ذلك مناظرة بين معتزلين تبين بطلان مذهبهم ذكرها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث. قال ابن قتيبة:

"وَسَأَلَ آخرُ آخرَ عَنِ الْعِلْمِ فَقَالَ لَهُ: أَتَقُولُ إِنَّ سَمِيعًا فِي مَعْنَىٰ عَلِيمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ} هَلْ سَمِعَهُ حِينَ قَالُوهُ؟

قَالَ: نَعَمْ.



قَالَ: فَهَلْ سَمِعَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولُوا؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ عَلِمَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ لَهُ: فَأَرَىٰ فِي "سَمِيعٍ" مَعْنًىٰ غَيْرَ مَعْنَىٰ "عليم" فَلم يُجب.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابن قتيبة:

قُلْتُ لَهُ وَلِلْأَوَّلِ: قَدْ لَزِمَتْكُمَا الْحُجَّةُ، فَلِمَ لَا تَنْتَقِلَانِ عَمَّا تَعْتَقِدَانِ إِلَىٰ مَا أَلْزَمَتْكُمَاهُ الْحُجَّةُ؟

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، لَانْتَقَلْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ حَيْرَةً.

قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ الْحَقُّ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ وَالْحُجَّةِ، وَكُنْتَ لَا تَنْقَادُ لَهُمَا بِالِاتِّبَاعِ، كَمَا تَنْقَادُ بِالِانْقِطَاعِ، فَمَا تَصْنَعُ بِهِمَا؟ التَّقْلِيدُ أَرْبَحُ لَكَ وَالْمُقَامُ عَلَىٰ أَثَرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْلَىٰ بِكَ."

انتهىٰ من تأويل مختلف الحديث (١/ ١١٧) ط. المكتب الإسلامي.

ومن فوائد هذه المناظرة:

▪بطلان مذهب المعتزلة برد الصفات كلها لصفتي العلم والقدرة، وذلك لأصلهم الفاسد أن تعدد الصفات معناه تعدد الذات وهذا ينافي صفة الوحدانية لله تعالىٰ، وهذا القول في أصله قول فلاسفة اليونان.

▪أن الصفات متباينة باعتبار ما تضمنته معانٍ فالعلم غير السمع، مترادفة في دلالتها علىٰ ذات الله تعالىٰ.

▪أن خير ما يُردُّ به الباطل ما جاء في الكتاب والسنة كما قال تعالىٰ:" وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" ولكنه فهم يوتيه الله لمن يشاء من عباده.

▪أن المبتدع قلَّما ينزع عن بدعته، وذلك لرسوخ البدعة في قلبه، وظنه أنها الحق لا غير، ولذلك جاء في الحديث:"إن الله حجز التوبة عن صاحب البدعة."

▪ أن قول المعتزلي:" لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، لَانْتَقَلْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، وَكَفَىٰ بِذَلِكَ حَيْرَةً" ليس بسبب قبوله ما جاء في الشرع، وإنما سببه أن مذهبه الجديد سيكون مبناه كذلك علىٰ الأصول العقلية الفاسدة التي مآلها للحيرة والشك وكثرة التنقل.

أن النجاة من البدع لن تكون إلا بمتابعة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما فهمه عنه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولذلك قال لهما ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: "التَّقْلِيدُ أَرْبَحُ لَكَ وَالْمُقَامُ عَلَىٰ أَثَرِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْلَىٰ بِكَ." ومراده بالتقليد الاتباع والتعبير به أولىٰ.

(وَقَالَ فِي مَوْضِعِ الرُّؤْيَةِ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩]، **وَقَالَ:** ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة:١٠٥]، **وَلَمْ يَقُلْ: يَسْمَعُ اللهُ تَقَلُّبَكَ وَيَسْمَعُ عَمَلَك، فَلَمْ يَذْكُرِ الرُّؤْيَةَ فِيمَا يُسمع، وَلَا السَّمَاعَ فِيمَا يُرَىٰ، لما أَنَّهُمَا عِنْدَهُ خِلَافُ مَا عِنْدَكُمْ، وَكَذَلِكَ قَالَ:** ﴿وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٣-١٤]، **و** ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]).

سيأتي -إن شاء الله- في باب صفة العين: التوفيق بين النصوص التي جاءت بإفراد العين والجمع والتثنية، فلا تعارض بين هذه النصوص، وكله يجري علىٰ كلام العرب، أبو جهل وأبو لهب لم يعترضا علىٰ هذه النصوص، وهم كانوا يعلمون دقائق الألفاظ، ولغة العرب.

فيأتي المُعارض بعد ذلك -كالرازي- غفر الله له، يقول في شبهة نفي الصفات عن الله: تخيل لو أننا أثبتنا الصفات لله، هكذا يقول، نُثبت ذاتًا لله بجنب، وفيها أكثر من يد، ونُثبت وجهًا لله وفيه أعين كثيرة، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، ونُثبت قدمًا واحدًا لله، فهل رأيت مخلوقًا أقبح من ذلك في هذه الصورة؟ نسأل الله العافية، فحتىٰ يُعطل شبَّه أقبح تشبيه وما قدروا الله حق

قدره، وهذا حال كل من انحرف عن جادة الصراط المستقيم.

فقال هاهنا: (**وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:٣٩]، وَلَمْ يَقُلْ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ: عَلَىٰ سَمْعِي، فَكَمَا نَحْنُ لَا نُكَيِّفُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، ولَا نُكَذِّبُ بِهَا كَتَكْذِيبِكُمْ، وَلَا نُفَسِّرُهَا كَبَاطِلِ تفسيركم**).

وهذه الجملة الأخيرة هي المرادة بقول مالك، وابن المبارك، وسفيان: أمروها كما جاءت بلا تفسير؛ لأن المفوضة من الأشعرية استدلوا بقول مالك وابن المبارك وسيفان، قالوا: بلا تفسير، فقالوا: أرادوا تفويض المعنىٰ مع الكيف، فمعنىٰ ذلك: أننا نقرأ هذه الصفات ولا نعقل معناها كما لا نعقل كيفيتها.

لا نعقل كيفيتها صحيح، لأننا لم نرىٰ الله ولم نرىٰ مثيلًا له، ولم يأتنا خبر من معصوم صادق عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ماذا عن المعنىٰ؟ المعنىٰ تكلم فيه الصحابة، وتكلم فيه التابعون، بل تكلم فيه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرأ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨] ماذا صنع؟ قال: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا فعل وضع الإبهام والسبابة علىٰ الإذن والعين أراد إثبات السمع والبصر لله علىٰ الوجه اللائق به سبحانه، ما أراد التشبيه والتمثيل، إنما أراد إثبات المعنىٰ الحقيقي، يعني له سمع وبصر، لكن ليس كمثله شيء.

فقولهم: "بلا تفسير" معناه كتفسير المعتزلة المُحرِّفة، وهذا هو التفويض عند السلف، التفويض عند السلف تفويض الكيف لا تفويض المعنىٰ.

ثم قال: (**باب الحد والعرش**).

والحديث في هذا الباب يدور حول أمرين:

الأمر الأول: وهو الحدُّ، وسيأتي بيان معناه ولماذا أورده المصنف هاهنا.

وأما الأمر الثاني: فهو العرش، فهل يريد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا التبويب أن يبين العلاقة بين الحد والعرش؟ هل أراد أن يثبت أنهما شيءٌ واحد يدلان علىٰ أمرٍ واحد وهو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء؟ أم أراد من ذكر الحد شيئًا آخر؟ هذا ما سيرد في كلامه وفي التعليق عليه.

مسائل حول الإيمان بالعرش وحمَلَتِه

قال: (**بَابُ الْحَدِّ وَالْعَرْشِ**).

أما العرش: فأصل مادته مأخوذٌ من العلو والارتفاع، وهي العين والراء والشين، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[الأعراف:١٣٧]، أي: يرفعون من الأبنية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾[الأنعام:١٤١].

والعرش في اللغة كذلك بمعنىٰ السرير بالنسبة إلىٰ ما فوقه، فهو سرير الملك، وهو السقف بالنسبة إلىٰ ما تحته، ولذلك كان عرش الرحمن سقف المخلوقات.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العرش في اللغة: عبارةٌ عن السرير الذي للملك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل:٢٣]، وليس هو فلكًا ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فالعرش سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة -كما سيأتي في صفته- وهو كالقبة علىٰ العالم"، فعرش ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كالقبة فوق العالم "وهو سقف المخلوقات، ففوقه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأسفل منه الجنة فما دونها من المخلوقات".

وقال كذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد ذهب طائفةٌ من أهل الكلام إلىٰ أن العرش فلكٌ مستدير من جميع جوانبه، محيطٌ بالعالم من كل جهة".

فهؤلاء تصوروا العرش علىٰ أنه فلكٌ مستدير كالكرة يحيط بالعالم من كل جهة، فكأن العالم داخلٌ في هذا العرش، والعرش محيطٌ به.

قال: "ولذلك سمَّوه الفلك التاسع، والفلك الأطلس، والأثير، وهو قول الفلاسفة"، وهذا كله يخالف ما جاء في وصف عرش ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم وتحمله الملائكة، والفلك المستدير لا قوائم له.

قال: "والفلك لا يكون له قوائم، ولا يُحمل، وأيضًا فإنه فوق الجنة، والجنة فوق السماوات، وفيها مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فالبُعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلكٍ إلىٰ فلك".

فعرش ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جاءت له صفاتٌ في الكتاب والسنة، وهو أعظم المخلوقات، وقد نسبه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ نفسه نسبة تشريف؛ لأنه خلقٌ من خلقه وليس صفةً له، وقال عن نفسه إنه ذو العرش الكريم، ذو العرش العظيم، وذو بمعنىٰ صاحب، ولم يقل ذلك في السماوات والأرض، فدلّ ذلك علىٰ أن العرش له خصوصية ليست لغيره من المخلوقات.

ولذلك جاء في القرآن وصفه بالمجيد فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[البروج:١٥]، كما في قراءةٍ سبعية، فهناك قراءة ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، فالمجيد هاهنا هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهناك قراءةٌ أخرىٰ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾، وهي قراءة حمزة، فالمجيد وصفٌ للعرش، فهو مجيدٌ مُمَجّدٌ عظيم.

وجاء وصفه كذلك بأنه عرشٌ عظيم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، وأنه عرشٌ كريم، فقال تعالىٰ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، فوُصف العرش بالكرم.

وهذا فيه ردّ علىٰ من منع ذلك في وصف رمضان؛ لأنه هناك فتوىٰ قد انتشرت بين الناس

أنه لا يجوز لك أن تقول: رمضان كريم، يقولون: لأن الكريم هو الله، فلا يوصف رمضان بأنه كريم، وهذا القول مرجوح؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال عن العرش وهو مخلوق قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، فالكريم هاهنا أي: ذو الصفات الطيبة، وليس هو الذي يكرم غيره، فالكريم وإن كانت صفةً مشبّهة إلا أنها بمعنىٰ المُكرَم أي: الذي أكرمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجعل فيه الصفات الطيبة، فعندما نقول: رمضان كريم أي: هذا شهرٌ أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ وعظّمه، فلا مانع في ذلك.

والعرش أول المخلوقات علىٰ قول جمهور أهل العلم، وهذا القول رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن حجر، فقالوا: إن العرش هو أول المخلوقات فيما نعلمه لحديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «كان الله ولم يكن شيءٌ غيره»، هذا في بدء الخلق، هذا الحديث يُذكر في بدء الخلق، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «كان الله ولم يكن شيءٌ غيره، ثم قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود:٧]»، يعني كان الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه الصفة وكان العرش موجودًا علىٰ الماء، قال: «وكتب في الذكر كل شيء»، وفي رواية: «ثم كتب في الذكر كل شيء»، وثم تفيد التراخي، أن هذا سيتعلق بخلق القلم في القول الثاني، قال: «وخلق السماوات والأرض».

وكذلك حديث عبادة الذي قال فيه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب»، قال: «أول ما خلق الله القلم»، فهنا المقصود بهذا الحديث: ابتداء كتابة المقادير، وليس أن القلم هو أول المخلوقات، فما أنْ خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم إلا و «قال له: اكتب، فقال: ما أكتب؟ فقال: اكتب ما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة».

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في نونيّته قال:

والحــق أن العــرش قبــلُ لأنــه ... عنــد الكتابــة كــان ذا أركــانِ

لما أمر الله عَزَّوَجَلَّ القلم أن يكتب بعد أن خلقه كان العرش ذا أركان، يعني كان موجودًا.

وقال ابن جرير وابن الجوزي: القلم أول المخلوقات، واستدلوا بحديث عبادة: «**أول ما خلق الله القلم**»، لكنهم جعلوا «**أول**» علىٰ الابتداء، فقالوا: إن أول ما خلق الله: القلم، فجعلوا الحديث من جملتين: «**أول ما خلق الله القلم**» ثم «**قال له: اكتب**».

وأما الذي قالوا أن العرش أول المخلوقات قالوا: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**»، فجعلوا أول للظرفية.

وجاء عن عبد الله بن مسعود وطائفةٍ من السلف أن أول المخلوقات هو الماء، وهذا قولٌ قوي، بل لعله يأتي في المرتبة الثانية بعد القول بخلق العرش؛ لأن حديث عمران فيه قال: «**وكان عرشه علىٰ الماء**»، فمن العلماء من قال: الماء أول المخلوقات؛ لأنه جاء عن بعض السلف أن الماء خُلق منه كل شيء، الحي وغير الحي، والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:٣٠].

ومنهم من قال: العرش والماء خُلقا معًا، يعني لم يسبق أحدهما الآخر، لكن القول الذي عليه جمهور أهل العلم هو أن العرش هو أول المخلوقات.

والعرش له حملةٌ يحملونه، والله عَزَّوَجَلَّ يحمل العرش وحملة العرش، فليس معنىٰ أن العرش له حملة أن الله عَزَّوَجَلَّ يحتاج لهؤلاء في حمل العرش، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ يحمل العرش وحملة العرش، لكن الله عَزَّوَجَلَّ جعل لكل شيءٍ سببًا، وربط الأسباب بمسبّباتها، فجعل الملائكة هؤلاء يحملون العرش.

والعرش وما دونه الله عَزَّوَجَلَّ تكفّل به؛ لأنه هو الحي القيوم الغني الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي لا يحتاج إلىٰ أحدٍ من خلقه، لكننا نقول: إن العرش له حملة؛ لأن هذا هو الذي جاء في القرآن، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧]، أي:

يوم القيامة.

وكذلك صحّ عن نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تخيّروا بين الأنبياء، فإن الناس يُصعقون -أي: يوم القيامة- فأكون أول من يفيق، فإذا موسىٰ آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش»، يعني إذا أفاق نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الناس جميعًا وجد موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد أخذ بقائمة من قوائم العرش وتشبّث بها، فيقول نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو لا يدري أفاق موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبله أم أنه جوزي بصعقة الطور؟

الشاهد: أن الحديث فيه أن العرش له قوائم.

وكذلك ما صحّ عن نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أُذن لي أن أحدّث عن ملَكٍ أو ديكٍ من حملة العرش»، ملَك من حملة العرش، في بعض الروايات أن هذا الملك علىٰ صفة أو شكل الديك، وشكل الديك معروف، إنما الكيفية والهيئة لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأن الكيف لا يعلمه إلا الله.

لكن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر لنا شيئًا من صفة هذا الملَك، فجاء في هذا الحديث أنه قال: «رجلاه في الأرض»، هذا الملَك وهذا الديك رجلاه في الأرض، «وعنقه منثنٍ تحت العرش»، عنقه تحت العرش ورجلاه في الأرض، «يقول: سبحانك ما أعظمك! فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ما علم ذلك من حلف بي كذبًا».

وجاء عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أُذن لي أن أحدّث عن ملَكٍ من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه»، هذه المسافة: «مسيرة سبعمائة عام»، وهذا كله يدل علىٰ ماذا؟ علىٰ عِظم خلق حملة العرش، وعِظم الخلق يدل علىٰ عِظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما عن عدد حملة العرش فهذا مما اختلف فيه أهل العلم كذلك، فالذي عليه الجمهور أنهم أربعةٌ الآن، وثمانيةٌ يوم القيامة، حملة العرش الآن أربعة، وأما يوم القيامة فهم ثمانية،

وهذا القول رجّحه ابن كثير وابن الجوزي ونسبه ابن الجوزي إلىٰ الجمهور أي جمهور السلف والخلف.

وهؤلاء الأربعة كما قلنا: إذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، وذلك جمعًا بين آيةٍ وحديث

أما الآية: فهي قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في سورة الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾، ما معنىٰ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؟ أي: يوم القيامة فالتنوين هنا تنوين عوض، ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾، فهذا نصٌّ في أن حملة العرش يوم القيامة يكونون ثمانية.

وأما الحديث: فهو ما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمّا سمع شعر أميّة بن أبي الصلت والذي قال فيه في وصف حملة العرش:

رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للأخرىٰ وليثٌ مُرصَدُ

يقول: "رجلٌ"، فأحد حملة العرش علىٰ صورة الرجل، "وثورٌ"، والآخر ثور، "تحت رجل يمينه * والنسر للأخرىٰ"، ملكٌ علىٰ صورة النسر، "وليثٌ مُرصَدُ"، والآخر علىٰ صورة الليث، وهذا الحديث صحّحه ابن كثير في البداية والنهاية.

فقالوا: جمعًا بين الآية والحديث نقول: الآن حملة العرش أربعة، وبنصّ الآية يكونون يوم القيامة ثمانية، لكن هذا الحديث الراجح أنه لا يصح؛ لأن فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلّس وقد عنعن، لم يصرّح بالتحديث، ولذلك ضعّف الحديث الشيخ الألباني والشيخ الأرناؤوط -رحمهما الله-.

فالذي جاء في الآية هو الثابت، وهو أن حملة العرش ثمانية، هذا يوم القيامة، وأما الآن فهل هم ثمانية أم غير ذلك؟ هذا لم يأت به علمٌ صحيحٌ صريحٌ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهؤلاء الثمانية يوم القيامة قيل: هم ثمانية أملاك، جمع ملَك، وقيل: هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، وهذا مرويٌ عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أما الحدُّ فسيأتي الكلام عنه بعد قليل.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنىٰ عَلَيْهِ جهمٌ جميعَ ضَلَالَاتِهِ وَاشْتَقَّ مِنْهَا أُغْلُوطَاتِهِ).

والأغلوطات كما قال ابن منظور في اللسان: جمع أُغلوطة، أُفعولة، من الغلط، قال: "وقيل: هي ما يُغَلّط به من المسائل"، يعني إنسان يذكر مسألةً مشكلة حتىٰ يغلِّط غيره بها.

وقال الأوزاعي: "هي شِداد المسائل وصعابها" وقال عيسىٰ بن يونس: "والأغلوطات ما لا يُحتاج إليه من كيف وكيف" قال ابن منظور: "وقيل: هي المسائل التي يُغَلَّط بها العلماء ليزلّوا، فينتج بذلك شرٌ وفتنة، وإنما نُهي عنها لكونها غير نافعةٍ في الدين، ولا يكاد أن يكون إلا فيما لا ينفع، وقد ثبت عن جمعٍ من السلف كراهة تكلُّف المسائل التي يستحيل وقوعها عادةً أو يندر وقوعها جدًا لما في ذلك من التنطُّع والقول بالظن الذي لا يخلو صاحبه عن الخطأ"، انتهىٰ من لسان العرب.

فيقول: **(هَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنىٰ عَلَيْهِ جهمٌ جميعَ ضَلَالَاتِهِ)**.

يقولون: الله عَزَّوَجَلَّ ليس له حدٌ ولا غايةٌ ولا نهاية.

قال: **(وَاشْتَقَّ مِنهَا أُغْلُوطَاتِهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّهُ سَبَقَ جَهْمًا إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ)**.

يعني القول بأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس له حد وليس له نهاية وليس له غاية أول من نطق بها الجهم بن صفوان، وتابعه من تابعه من المتكلمين والمعطّلة.

قال: **(فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِمَّنْ يُحَاوِرُه: قَدْ عَلِمْتُ مُرَادَكَ بِهَا أَيُّهَا الأعجمي، وتعني أَنَّ الله لَا**

شَيْءٌ؛ لأنَّ الخَلْق كلُّهم عَلِموا أنَّه ليسَ شيْءٌ يَقعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ).

والله عَزَّوَجَلَّ قد أخبرنا عن نفسه أنه شيء ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾[الأنعام:١٩]، هذا خبرٌ عنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وباب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، والجهم في كتاب المقالات والفرق ينسب إليه عدم جواز إطلاق ذلك علىٰ الله مغالاة في التعطيل والنفي المحض، لتوهمه أن إطلاقه علىٰ المخلوق يقتضي منعه عن الله تعالىٰ.

فيقول: **(لأنَّ الخَلْق كلُّهم عَلِموا أنَّه ليسَ شيْءٌ يَقعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَغَايَةٌ وَصِفَةٌ، وَأَنَّ لا شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ وَلَا صِفَةٌ، فَالشَّيْءُ أَبَدًا مَوْصُوفٌ لا مَحَالَةَ، وَلَا شَيْءٌ يُوصَفُ بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ، وَقَوْلُكَ: لا حَدَّ لَهُ يَعْنِي أَنَّهُ لا شَيْءٌ).**

فهو أراد بقوله: لا حد له أن ينفي صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَاللهُ تَعَالَىٰ لَهُ حَدٌّ لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غيره، وَلَا يجوز لأحدٍ أَن يَتَوَهَّم لحدِّهِ غاية فِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِالْحَدِّ ونَكِلُ علم ذَلِك إِلَىٰ الله، ولِمكانِهِ أَيْضًا حَدٌّ وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ فَهَذَانِ حَدَّانِ).

أي: حدٌ لذاته وصفته، وحدٌ لمكانه، فقال: هذان حدّان.

(وَسُئِلَ عبدُ اللهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. قِيلَ: بِحَدٍّ؟ قَالَ: بِحَدّ، قال: حدّثنَاهُ الْحَسَنُ بْنُ الصّبّاح الْبَزَّارُ، عَنْ عَلِيِّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ).

وهذه الإجابة من هذا العَلَم المبارك عبد الله بن المبارك تناقلها أهل السنة والجماعة، تناقلها كل من جاء بعده من أهل السنة والجماعة بين مُقِرٍّ لها، أو شارحٍ مبيِّنٍ لمعناها، أو رادٍّ علىٰ من نفاها؛ لأننا سنعلم بعد قليل أن هناك من نفىٰ هذه اللفظة، لفظة الحد، وشنّع علىٰ أهل السنة أنهم استعملوها، كما استعملوا لفظ البائن من خلقه، وأن القرآن كلام الله

غير مخلوق، هذه الألفاظ التي لم ترد بعينها في كتاب الله ولا سنة النبي ﷺ.

فأهل السنة تناقلوا هذه اللفظة، أن الله عَزَّوَجَلَّ موجودٌ علىٰ عرشه بحدٍ، عن عبد الله بن المبارك.

ومن هؤلاء الذين نقلوها وشرحوها وبيّنوا مرادها وردّوا علىٰ من نفاها بقيّة السلف ومجدّد علومهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فله تفصيلٌ جيد جدًا في كتاب (**بيان تلبيس الجهمية**) نقرؤه ففيه الكفاية إن شاء الله.

الكلام حول إثبات الحد لله تعالىٰ

أولًا: قبل أن نقرأ الكلام نقول: إن الحدَّ في اللغة يدور معناه حول المنع، وطرف الشيء، فإما أن يرد الحدُّ بمعنىٰ المنع، وإما أن يرد بمعنىٰ طرف الشيء كما قال ابن فارس، ولذلك يقال للبواب: حدّاد لمنعه الناس من الدخول، وأما الأصل الآخر وهو بمعنىٰ طرف الشيء فمنه حدُّ السيف، وحدُّ السكّين أي: حرفه.

وفي هذه اللفظة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلًا عن القاضي أبي يعلىٰ الحنبلي: ثم قال: "وإذا ثبت استواؤه وأنه في جهة"، هذا ثابتٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، ولما سأل النبي ﷺ الجارية: «أين الله؟»، قالت: في السماء، فأشارت إلىٰ جهة السماء، فربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء مستوٍ علىٰ عرشه.

قال أبو يعلىٰ: "فهل يجوز إطلاق الحدِّ عليه؟ قال: قد أطلق أحمد القول بذلك في رواية المروزي، وقد ذُكر له قول ابن المبارك: نعرف الله علىٰ العرش بحد، فقال أحمد: بلغني ذلك، وأعجبه، وقال الأثرم: قلت لأحمد: يُحكىٰ عن ابن المبارك: نعرف ربنا في السماء السابعة علىٰ عرشه بحد، فقال أحمد: هكذا هو عندنا".

قال أبو يعلىٰ: "ورأيت بخط أبي إسحاق قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن نصر الرفاء، قال: سمعتُ أبا بكر ابن أبي داوود" -صاحب الحائية- "قال: سمعتُ أبي - أبو داوود صاحب السنن-، "قال: جاء رجلٌ إلىٰ أحمد بن حنبل فقال: لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حد؟ فقال أحمد: نعم، لا يعلمه إلا هو قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[الزمر:٧٥]، قال: يقول: محدقين، أي يحدقون بالعرش".

قال -يعني أبا يعلىٰ-: "فقد أطلق أحمد القول بإثبات الحد لله تعالىٰ، وقد نفاه في رواية حنبل"، يعني جاءت عنه روايةٌ بإثباته وروايةٌ بنفيه، فقال: "نحن نؤمن بأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدٍ ولا صفةٍ يبلغها واصف أو يحده أحد".

قال: "فقد نفىٰ الحد عنه علىٰ الصفة المذكورة"، لأنه لم يطلق، قال: بلا حدٍ ولا صفةٍ يبلغها واصف قال: "وهو الحد الذي يعلمه خلقه، والموضع الذي أطلقه محمولٌ علىٰ معنيين"، يعني لما سُئل عبد الله بن المبارك: هل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مستوٍ علىٰ عرشه بحد؟ قال: بحد، هذا الإطلاق ما الذي يراد به؟

قال أبو يعلىٰ: "وهذا محمولٌ علىٰ معنيين:

أحدهما: علىٰ معنىٰ أن الله تعالىٰ في جهةٍ مخصوصة"، فهنا يكون الحد يراد به أنه في جهة العلو صحيح "وليس هو ذاهبًا في الجهات الستة"، يعني عبد الله بن المبارك يرد علىٰ الحلولية والجهمية الذين يقولون: الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في كل مكان، فهو داخل العالم، وخارج العالم، وداخل هذا المسجد، وداخل المخلوقات، هكذا يقولون.

فهنا يقول: "أراد بإثبات الحد أن الله تعالىٰ في جهةٍ مخصوصة وهي جهة العلو، وليس هو ذاهبًا في الجهات الستة، بل هو خارج العالم مُمَيّزٌ عن خلقه، منفصلٌ عنهم غير داخلٍ في كل الجهات".

المعنىٰ الثاني للحد: أنه علىٰ صفةٍ يَبِين بها عن غيره ويتميّز، أن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ صفةٍ يبين بها عن غيره ويتميّز، ولهذا يسمّىٰ البواب حدادًا؛ لأنه يمنع غيره من الدخول، فهو تعالىٰ فردٌ واحدٌ ممتنعٌ عن الاشتراك معه في أخصّ صفاته.

قال أبو يعلىٰ: "وقد منعنا من إطلاق القول بالحد في غير موضعٍ من كتابنا، فيجب أن يجوز علىٰ الوجه الذي ذكرنا".

ثم قال: "ويجب أن يُحمل اختلاف كلام أحمد في إثبات الحد علىٰ اختلاف حالتيه، فالموضع الذي قال: إنه علىٰ العرش بحد معناه أن ما حاذىٰ العرش من ذاته هو حدٌ له وجهةٌ له".

فالله عَزَّوَجَلَّ مستوٍ علىٰ العرش، فوق العرش، والعرش وما تحته من المخلوقات منفصلٌ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا حدُّ ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي بان به عن خلقه، فالمعنىٰ هاهنا: أن الله ليس مختلطًا بخلقه.

فقال: "معناه أن ما حاذىٰ العرش من ذاته هو حدٌ له وجهةٌ له، والموضع الذي قال: هو علىٰ العرش بغير حد"، الذي نفىٰ فيه، قال: "معناه ما عدا الجهة المحاذية للعرش وهي الفوق، والخلف، والأمام، واليمنىٰ، واليسرىٰ، وكان الفرق بين جهة التحت المحاذية للعرش وبين غيرها ما ذكرنا أن جهة التحت تحازي العرش بما قد ثبت من الدليل، والعرش محدود، فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حدُّ جهته، وليس كذلك فيما عداه؛ لأنه لا يحاذي ما هو محدود، بل هو مارٌّ في اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلىٰ غير غاية، فلهذا لم يوصف واحدٌ من ذلك بالحد والجهة، وجهة العرش تحاذي ما قابله من جهة الذات، ولم تحاذي جميع الذات؛ لأنه لا نهاية لها".

وجهة العرش تحاذي، أي: تقابل ما حاذاها أو ما قابلها من جهة ذات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالله

عَزَّوَجَلَّ له سمعٌ وبصرٌ ويدٌ، فله ذات موصوفةٌ بصفات، فجهة العرش تقابل ما حاذاها من جهة ذات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ولم تحاذي جميع الذات؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يحيطون بشيء من علمه ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به أحدٌ من خلقه، هذا كلام أبي يعلىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قلتُ: هذا الذي جمع به بين كلامي أحمد وأثبت الحد والجهة من ناحية العرش وتحته دون الجهات الخمس يخالف ما فسّر به كلام أحمد أولًا من التفسير المطابق لصريح ألفاظه، حيث قال: فقد نفىٰ الحد عنه علىٰ الصفة المذكورة، وهو الذي يعلمه خلقه"، يعني حدٌ يعلمه خلقه.

قال: "والموضع الذي أطلقه محمولٌ علىٰ معنيين: أحدهما: يقال علىٰ جهةٍ مخصوصة"، نفس كلام أبي يعلىٰ، "وليس هو ذاهبًا في الجهات، بل هو خارج العالم متميّزٌ عن خلقه، منفصلٌ عنهم، غير داخلٍ في كل الجهات"، وهذا معنىٰ قول أحمد: حدٌ لا يعلمه إلا هو.

"والثاني أنه علىٰ صفةٍ يبين بها عن غيره ويتميّز، فهو تعالىٰ فردٌ واحد ممتنع عن الاشتراك له في أخصّ صفاته"، عاد مرةً أخرىٰ لكلام أبي يعلىٰ، قال: "وقد منعنا من إطلاق القول بالحد في غير موضعٍ من كتابنا، ويجب أن يجوز علىٰ الوجه الذي ذكرناه".

قال: "فهذا القول الوسط من أقوال القاضي الثلاثة هو القول المطابق لكلام أحمد وغيره من الأئمة".

ثم قال: "وقد قال إنه تعالىٰ في جهةٍ مخصوصة وليس هو ذاهبًا في الجهات"، إلىٰ آخر كلامه.

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولو كان مراد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحد من جهة العرش فقط"، يعني أراد أن يثبته فوق العرش فقط، "لكان ذلك معلومًا لعباده، فإنهم قد عرفوا أن

حدّه من هذه الجهة هو العرش، فعُلم أن الحد الذي لا يعلمونه مطلق لا يختص بجهة العرش".

قال: "وروىٰ شيخ الإسلام -يعني الهروي صاحب (**منازل السائلين**)- في ذم الكلام ما ذكره حرب ابن اسماعيل الكرماني في مسائله، قال لإسحاق ابن إبراهيم"، وهو الإمام المشهور المعروف بابن راهويه، "ما تقول في قول الله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾[المجادلة:٧] الآية؟ فقال: حيث ما كنتَ هو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائنٌ من خلقه، قلت لإسحاق: علىٰ العرش بحد؟ قال: نعم بحد، وذكره عن ابن المبارك، قال: هو علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه بحد، وقال حربٌ أيضًا".

قال إسحاق: "لا يجوز الخوض في أمر الله تعالىٰ كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهّم علىٰ الله بصفاته وفعاله بفهم ما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ موصوفًا بالنزول كل ليلة إذا مضىٰ ثلثها إلىٰ سماء الدنيا كما يشاء ولا يُسأل كيف نزوله؛ لأن الخالق يصنع ما يشاء كما يشاء".

قال: "وروىٰ شيخ الإسلام -أي الهروي- عن محمد بن إسحاق الثقفي، قال: سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: دخلتُ يومًا علىٰ طاهر بن عبد الله -الأمير- قال: وأظنه عبد الله بن طاهر، وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور: يا أبا يعقوب"، يخاطب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، "فقال له: يا أبا يعقوب، تقول: إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كل ليلة؟ قال: قلتُ: ونؤمن به إذا أنت لا تؤمن أن لك ربًا في السماء فلا تحتاج أن تسألني عن هذا"، يعني طالما أنك تؤمن أن الله ليس موجودًا في السماء فلماذا تسأل هذا السؤال؟ "فقال ابن طاهر: ألم أنهكَ عن هذا الشيخ؟".

قال: وروىٰ عن محمد بن حاتم، سمعت إسحاق بن راهويه يقول: "قال لي عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي تروونها في النزول ما هي؟ فقال: أيها الأمير، هذه الأحاديث جاءت مجيء الأحكام الحلال والحرام ونقلها العلماء، ولا يجوز أن تُردّ، هي كما جاءت بلا كيف، فقال: عبد الله بن طاهر: صدقت، ما كنت أعرف وجوهها حتىٰ الآن".

يعني هنا يريد أن يقول: الذي روىٰ أحاديث الصفات هو هو الذي روىٰ أحاديث الأحكام، الطهارة والصلاة والصوم، فلماذا تقبلون منهم هذه الأحاديث ولا تقبلون منهم الأحاديث التي جاءت في صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟

ولذلك قال في رواية: "رواها من روىٰ الطهارة، والغسل، والصلاة، والأحكام، وذكر أشياء، فإن يكونوا مع هذه عدولًا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع".

يعني هؤلاء الذين رووا أحاديث الطهارة هل هم عدول؟ لا شك أنهم يعدّلونهم، فاقبلوا منهم كل ما جاؤوا به من الأحاديث، وسوُّوا بين هذه الأحاديث، وإن قلتم: ليسوا عدولًا فقد أبطلتم الأحكام والشرع.

"فقال له عبد الله بن طاهر: شفاك الله كما شفيتَني" أو كما قال.

قال: وروىٰ أيضًا شيخ الإسلام ما ذكره أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في الرد علىٰ الجهمية، قال: حدثنا علي بن الحسن السلمي، سمعتُ أبي يقول: "حبس هشام بن عبيد الله"، وهو الرازي صاحب محمد بن الحسن الشيباني، قال: "حبس رجلًا في التجهُّم، فتاب فجيء به إلىٰ هشام ليمتحنه"، كانوا يحبسون والآن يكرّمون، مفكّر إسلامي وعبقري، و...!!، نسأل الله العافية، "فجيء به ليمتحنه بعد أن أخرجه من السجن، فقال: الحمد لله علىٰ التوبة، أشهد أن الله تعالىٰ علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه"، فقال: أشهد أن الله علىٰ عرشه، يعني كان ينكر علوّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واستواءه علىٰ عرشه قبل ذلك فتاب، "فقيل له: أتشهد أن

الله مستوٍ علىٰ عرشه؟".

والذي يتوب من عقيدة باطلة إما أن يثبت ما كان ينفيه أو ينفي ما كان يثبته، فمن تمام توبته أن يثبت الاستواء، لا يكفي أن يقول: تبت، لكن لا بد أن يبيّن، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾[البقرة:١٦٠] وأن يكشف عن عقيدته أمام الناس ليرجع من انخدع به.

"فقيل له: أتشهد أن الله تعالىٰ علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه؟ قال: أشهد أن الله تعالىٰ علىٰ عرشه ولا أدري ما بائنٌ من خلقه، فقال: ردّوه إلىٰ الحبس فإنه لم يتُب"، فردوه مرة أخرىٰ.

قال شيخ الإسلام لشرح مسألة البينونة في كتاب (**الفاروق**) قال: "بابٌ أغنىٰ عن تكريره هاهنا"، ثم قال شيخ الإسلام: "وسألتُ يحيىٰ بن عمّار عن أبي حاتم بن حبّان البستيّ" صاحب صحيح ابن حبان، "قلتُ: رأيتَه؟ قال: كيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان؟"، يعني هل رأيت هذا الذي قال: أشهد أنه علىٰ عرشه ولا أدري ما بائنٌ من خلقه، يعني قيل له: هل رأيته ورأيت ما حدث معه من عقوبة وغير ذلك؟ قال له: كيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان؟ وكان له علمٌ كثير، ولم يكن له كبيرُ دين، قدم علينا فأنكر الحد لله، فأخرجناه من سجستان.

"قلتُ" يعني ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ "وقد أنكره طائفةٌ من أهل الفقه والحديث"، يعني أنكروا هذه اللفظة، لفظة الحد "ممن يسلك في الإثبات مسلك ابن كلّاب والقلانسي وأبي الحسن -يعني الأشعري- ونحوهم في هذه المعاني، ولا يكاد يتجاوز ما أثبته أمثال هؤلاء مع ما له من معرفةٍ بالفقه والحديث".

فيقول: "وأبي سليمان الخطّابي" الخطّابي صاحب السنن المعروف كان ينكر هذه اللفظة، يقول: إيش حد، وإيش بائن عن خلقه وغير مخلوق؟ من أين أتيتم بهذه الألفاظ؟

قال: "ولهذا يوجد للخطّابي وأمثاله من الكلام ما يُظن أنه متناقض، حيث يتأوّل تارةً

ويتركه أخرىٰ"، يعني كما يفعل الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتأوّل أحيانًا ويترك الصفة علىٰ ظاهرها أحيانًا أخرىٰ.

وقد نقلنا بعضًا من كلامه فيما مضىٰ في مسألة أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفية، وله كلامٌ طيب في هذا الباب، لكنه مرةً يكون مع قول السلف، ومرةً يتأوّل ويخالف قول السلف، لكن لا نستطيع أن نجزم أنه كان أشعريًا، كما لا نجزم أن الحافظ بن حجر كان أشعريًا، لكنه كان من أهل الاجتهاد وكان يخطئ أحيانًا، والله يغفر له.

فقال: "يتأوّل تارةً ويتركه أخرىٰ، وليس بمتناقض، فإن أصله أن يثبت الصفات التي في القرآن والأخبار الموافقة له، أو ما في الأخبار المتواترة دون ما في الأخبار المحضة".

ما معنىٰ المحضة؟ يعني أخبار الآحاد، يثبت الخبر المتواتر، يعني الصفة إذا جاءت من طريقٍ متواتر، أما إن جاءت من خبرٍ آحاد فإنه لا يثبتها، أو دون ما في غير المتواتر.

قال: "وهذه طريقة ابن عقيل من الحنابلة ونحوه، وهي إحدىٰ طريقي أئمة الأشعرية، القاضي الباقلاني، وهم مع هذا يثبتونها بصفاتٍ معنوية"، يعني يقولون: هذه الصفات صفات معنوية.

ماذا قال الخطّابي؟ قال: "قال الخطّابي في الرسالة الناصحة له: ومما يجب أن يُعلم في هذا الباب ويُحكم القول فيه أنه لا يجوز أن يُعتمد في الصفات إلا الأحاديث المشهورة"، لا يجوز أن نعتمد إلا علىٰ الأحاديث المشهورة، "التي قد ثبتت صحة أسانيدها وعدالة ناقليها، فإن قومًا من أهل الحديث قد تعلّقوا منها بألفاظٍ لا تصح من طريق السند، وإنما هي من رواية المفاريد والشواذ، فجعلوها أصلًا في الصفات وأدخلوها في جملتها، كحديث الشفاعة وما رُوي فيه من قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأعود إلىٰ ربي فأجده بمكانه، أو في مكانه»".

وهذا ليس حديث الشفاعة وإنما هو حديث المعراج.

قال: "فزعموا علىٰ هذا المعنىٰ أن لله تعالىٰ مكانًا تعالىٰ الله عن ذلك، وإنما هذه لفظةٌ تفرّد بها في هذه القصة شريك بن عبد الله بن أبي نمِر".

رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمِر في حديث المعراج فيها مفاريد كثيرة جدًا ومخالفات كثيرة جدًا قد وصلت تقريبًا إلىٰ عشرة مخالفات، ذكرها الحافظ بن حجر في فتح الباري.

قال: "وخالفه أصحابه فيها ولم يتابعوه عليها، وسبيل مثل هذه الزيادة أن تُرد ولا تُقبل لاستحالتها، ولأن مخالفة أصحاب الراوي له في روايته كخلاف البينة، وإذا تعارضت البيّنتان سقطتا معًا، وقد تحتمل هذه اللفظة لو كانت صحيحة أن يكون معناها أن يجد ربه عَزَّوَجَلَّ بمكانه الأول من الإجابة"، أنه يجيب، ما زال يجيب، "في الشفاعة والإسعاف بالمسألة، إذ كان مرويًا في الخبر أنه يعود مرارًا فيسأل ربه تعالىٰ في المذنبين من أمته كل ذلك يشفّعه فيهم ويشفّعه بمسألته لهم".

قال الخطابي: "ومن هذا الباب أن قومًا منهم زعموا أن لله حدًّا، وكان أعلىٰ ما احتجوا به في ذلك حكايةً عن ابن المبارك، قال علي بن الحسن بن شقيق: قلتُ لابن المبارك: نعرف ربنا بحدٍ أو نثبته بحد؟ فقال: نعم بحد، قال: فجعلوه أصلًا في هذا الباب" يعني هؤلاء جعلوا هذه اللفظة أصلًا في هذا الباب، من القائل؟ الخطّابي، ينكر علىٰ هؤلاء "وزادوا الحدّ في صفاته"، الخطابي عفا الله عنه توهّم أن أهل السنة يقولون: الحد صفةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسيأتي أنه ليس بصفة، وإنه من باب تمييز الخالق عن المخلوق.

قال: "وزادوا الحدّ في صفاته -تعالىٰ الله عن ذلك- وسبيل هؤلاء القوم"، عافانا الله وإياكم أن يعلموا أن صفات الله تعالىٰ لا تؤخذ إلا من كتابٍ أو من قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دون قول أحدٍ من الناس كائنًا من كان علت درجته أو نزلت، تقدّم زمانه أو تأخّر".

وهذا الكلام الأخير كلام سلفي مُعتبَر، قال: "لأنها لا تُدرك من طريق القياس والاجتهاد، فيكون فيها لقائلٍ مقال، ولناظرٍ مجال، علىٰ أن هذه الحكاية قد رُويت لنا أنه قيل له: أتعرف ربنا بجد؟" بدل بحد، "فقال: نعم، ربنا يُعرف بجد، بالجيم لا بالحاء، وزعم بعضهم أنه جائزٌ أن يقال: إن له تعالىٰ حدًّا لا كالحدود كما نقول: يدٌ لا كالأيدي، فيقال له: إنما أُحْوِجنا إلىٰ أن نقول: يدٌ لا كالأيدي؛ لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز ردها".

فنقول: إنها يدٌ لا تشبه يد المخلوقين، لكن الحد لم يرد لا في كتاب... فلماذا تتأوّل له؟

قال: "لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز ردها، فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتىٰ نقول: حدٌ لا كالحدود كما نقول: يدٌ لا كالأيدي؟ قال: أرأيتَ إن قال جاهل: رأسٌ لا كالرؤوس قياسًا علىٰ قولنا: يدٌ لا كالأيدي هل تكون الحجة عليه إلا نظير ما ذكرناه في الحد من أنه لما جاء ذكر اليد وجب القول به، ولما لم يجئ ذكر الرأس لم يجز القول به؟".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قلتُ: أهل الإثبات المنازعون للخطّابي وذويه يجيبون عن هذا بوجوه:

أحدها: أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجّه لو قالوا: إن له صفةً هي الحد".

يعني إذا قال أهل السنة والجماعة، ابن المبارك وأحمد وغيرهما: إن الحد صفةٌ لله فلك أن تنكر؛ لأن الصفة لا تثبت إلا بالكتاب والسنة.

قال: "كما توهّمه هذا الرادّ عليهم"، يعني الخطّابي، "وهذا لم يقله أحدٌ ولا يقوله عاقل، فإن هذا الكلام لا حقيقة له؛ إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيءٌ من الموصوفات كما يوصف باليد والعلم صفةٌ معيّنةٌ يقال لها: الحد، وإنما الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من

صفته وقدره، كما هو المعروف من لفظ الحد في الموجودات، فيقال: حد الإنسان، وحد كذا، وهي الصفات المميزة له، ويقال: حد الدار وحد البستان وهي جهاته وجوانبه المميزة له، ولفظ الحد في هذا أشهر في اللغة والعرف العام ونحو ذلك".

لماذا اضطُرّ أهل السنة والجماعة إذن لاستخدام هذه اللفظة؟

قال: "ولما كان الجهمية يقولون ما مضمونه إن الخالق لا يتميّز عن الخلق، فيجحدون صفاته التي تميّز بها، ويجحدون قدره حتىٰ تقول المعتزلة إذا عرفوا أنه حيٌ عالمٌ قدير: قد عرفنا حقيقته وماهيته، ويقولون: إنه لا يباين غيره، بل إما أن يصفوه بصفة المعدوم-إذا أرادوا أن يصفوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قالوا: لا داخل العالم ولا خارجه ولا كذا ولا كذا، "وإما أن يجعلوه حالًا في المخلوقات، أو يجعلونه وجود المخلوقات"، أي وحدة الوجود، فالمخلوقات هي عين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والله عَزَّوَجَلَّ حلّ في هذه المخلوقات واتّحد بها.

قال: "فبيّن ابن المبارك أن الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه مباينٌ لخلقه منفصلٌ عنهم"، هذا معنىٰ الحد، "علىٰ عرشه مباينٌ لخلقه منفصلٌ عنهم".

وذكر الحد لأن الجهمية كانوا يقولون: ليس له حد، وما لا حد له لا يباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم؛ لأن ذلك مستلزمٌ للحد، فلما سألوا أمير المؤمنين في كل شيء.

يقول عن عبد الله بن المبارك: "فلما سألوا أمير المؤمنين في كل شيء عبد الله بن المبارك بما نعرفه قال بأنه فوق سماواته علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه، فذكروا له لازم ذلك الذي تنفيه الجهمية، وبنفيهم له ينفون ملزومه الذي هو موجودٌ فوق العرش، ومباينته للمخلوقات، فقالوا له: بحد؟ قال: بحد، وهذا يفهمه كل من عرف ما بين قول المؤمنين أهل السنة والجماعة وبين الجهمية الملاحدة من الفرق".

قال: "والوجه الثاني قوله– أي الخطابي–: سبيل هؤلاء أن يعلموا أن صفات الله تعالىٰ لا تؤخذ إلا من كتاب الله، أو من قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون قول أحدٍ من الخلق، فيقولون له شيخ الإسلام: "لو وفّيتَ أنتَ ومن اتبعته باتباع هذا السبيل لم تحوجنا نحن وأئمتنا إلىٰ نفي بدعكم"، يعني والله ما اضطُررنا إلىٰ استخدام هذه الألفاظ إلا بسبب ما أوقعتمونا فيه أنت ومن سبقك من أئمتك.

قال: "بل تركتم موجَب الكتاب والسنة في النفي والإثبات، أما في النفي فنفيتم عن الله تعالىٰ أشياء لم ينطق بها كتابٌ ولا سنةٌ ولا إمامٌ من أئمة المسلمين، بل والعقل لا يقضي بذلك عند التحقيق، وقلتم: إن العقل نفاها، فخالفتم الشريعة بالبدعة والمناقضة المعنوية، وخالفتم العقول الصريحة، وقلتم: ليس هو بجسمٍ ولا جوهرٍ ولا متحيّزٍ ولا في جهةٍ ولا يُشار إليه بحسٍ ولا يتميّز منه شيءٌ من شيء، وعبّرتم عن ذلك بأنه تعالىٰ ليس بمنقسمٍ ولا مركّبٍ، وأنه لا حدّ له ولا غاية تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حدٌ وقدر، أو يكون له قدرٌ لا يتناهىٰ وأمثال ذلك، ومعلومٌ أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات، فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتابٍ ولا سنة مع اتفاق السلف علىٰ ذم من ابتدع ذلك وتسميتهم إياهم جهمية وذمهم لأهل هذا الكلام؟ وأما في الإثبات فإن الله تعالىٰ وصف نفسه بصفات ووصفه رسوله بصفات، فكنتم أنتم الذين تزعمون أنكم من أهل السنة والحديث دع الجهمية والمعتزلة" ما معنىٰ إلا أماني؟ قراءة بس، يعني تُقرأ ولا يُعلم معناها.

قال: "وهذان مما عاب الله به أهل الكتاب قبلنا، وتارةً تقرّونها إقرارًا تنفون معه ما أثبتته النصوص من أن يكون النصوص نفته، وتاركين من المعاني التي دلت عليه ما لا ريب في دلالته عليه، مع ما في جمعهم بين الأمور المتناقضة من مخالفة صحيح المعقول، فأنت وأئمتك في هذا الذي تقولون إنكم تثبتونه إما أن تثبتوا ما تنفونه فتجمعوا بين النفي

والإثبات، وإما أن تثبتوا ما لا حقيقة له في الخارج ولا في النفس وهذا الكلام تقوله النفاة والمثبتة لهؤلاء كمثل الأشعري والخطابي وأبي يعلىٰ وغيرهم من الطوائف، ويقول هؤلاء المثبتة"،-أي أهل السنة- "كيف سوّغتم لأنفسكم هذه الزيادات في النفي وهذا التقصير في الإثبات"، لأنهم ينفون نفيًا مُفصّلًا، ويثبتون إثباتًا مجمَلًا، "وهذا التقصير في الإثبات علىٰ ما أوجبه الكتاب والسنة، وأنكرتم علىٰ أئمة الدين ردّهم لبدعةٍ ابتدعها الجهمية مضمونها إنكار وجود الرب تعالىٰ وإنكار ثبوت حقيقته، وعبّروا عن ذلك بعبارة، فأثبتوا تلك العبارة ليبيّنوا ثبوت المعنىٰ الذي نفاه أولئك، فأين في الكتاب والسنة أنه يحرم رد الباطل بعبارةٍ مطابقةٍ له؟ فإن هذا اللفظ لم نثبت به صفةً زائدةً علىٰ ما في الكتاب والسنة، بل بيّنّا به ما عطّله المبطلون من وجود الرب تعالىٰ ومباينته لخلقه وثبوت حقيقته".

وهذا الكلام يُسحب علىٰ كل الأخبار التي ذكرها الدارمي فيما سيأتي؛ لأنه سيعقد بابًا في حركة الله، طب هل لفظ الحركة وارد في الكتاب والسنة؟ لم يرد في الكتاب والسنة، فلماذا جاء بهذا اللفظ؟ ليرد علىٰ من ينفون الصفات الفعلية، الذين يقولون أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يأتي يوم القيامة، ولا يجيء، ولا ينزل من علىٰ عرشه، ولا ينزل في الثلث الأخير من الليل، الصفات الفعلية التي يقوم بها ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيأتي بهذا الإخبار وبهذا الكلام من باب الرد لا من باب التقرير.

ولذلك يقولون: وهل مجيءٌ إلا بحركة؟ المجيء يوم القيامة يأتي ربنا، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، هل يكون المجيء إلا بحركة؟ هكذا يقول هؤلاء المثبتون لهذه اللفظة التي دلت علىٰ نفس المعنىٰ.

فيقول: "فإن هذا اللفظ لم نثبت به صفةً لله"، ولذلك لا نقول: إن الحركة صفة لله، وإن الحد صفة لله، "فلم نثبت به صفةً زائدةً علىٰ ما في الكتاب والسنة، بل بيّنّا به ما عطّله

المبطلون من وجود الرب تعالىٰ ومباينته لخلقه وثبوت حقيقته".

ثم قال بعد ذلك: "ولم يقل أحدٌ من أئمة السنة: إن السني هو الذي لا يتكلم إلا بالألفاظ الواردة التي لا يُفهم معناها، بل من فهم معاني النصوص فهو أحق بالسنة ممن لم يفهمها، ومن دفع ما يقوله المبطلون مما يعارض تلك المعاني وبيّن أن معاني النصوص تستلزم نفي تلك الأمور المعارضة لها فهو أحق بالسنة من غيره".

ولذلك أهل السنة والجماعة قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، مع إن غير مخلوق لم ترد في الكتاب والسنة، بائنٌ من خلقه، هو بذاته فوق العرش، فوق العرش بحد، فإذا نفيتَ استخدامهم للفظ الحد فانفِ استخدامهم غير مخلوق، والباب واحد.

أنا ما قرأتُ هذا الكلام علىٰ طوله إلا لنبيّن معنىٰ هذه اللفظة؛ لأن هذه اللفظة أول مرة تأتي معنا في كتب العقيدة، لفظة الحد، وأظن أن الكلام صار واضحًا.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن نقل ما قاله عبد الله بن المبارك، قال: **(فَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ له حَدٌّ فَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنَ، وَادَّعَىٰ أَنَّهُ لَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ وَصَفَ حَدَّ مَكَانِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠]، وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]، فَهَذَا كُلُّهُ وَمَا أَشْبَهَهُ شَوَاهِدُ وَدَلَائِل علىٰ الْحَد، وَمَنْ لَم يَعْتَرِف بِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِتَنْزِيلِ اللهِ وَجَحَدَ آيَاتِ اللهِ.**

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»، وَقَالَ لِلْأَمَةِ السَّوْدَاءِ: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا لَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بِأَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ

لم تكن مُؤمنَة، وَأَنه لايجوز فِي الرَّقَبَة الْمُؤْمِنَة إِلَّا مَنْ يُحِدُّ الله أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا قَالَ اللهُ وَرَسُولُه).

وهذا قول الشافعي، أن الرقبة التي تجزئ هي الرقبة المؤمنة فقط، ولذلك حمل المطلق علىٰ المقيد، فحمل المطلق في آية الظهار علىٰ المقيد في آية القتل الخطأ، وهذا القول هو الراجح.

فقال هاهنا: (وَأَنه لا يجوز فِي الرَّقَبَة الْمُؤْمِنَة إِلَّا مَنْ يُحِدُّ الله أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا قَالَ اللهُ وَرَسُولُه.

فَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ الْبَغْدَادِيُّ الْأَصَمُّ، حدثنَا أَبُو مُعَاوِيَة، عَنْ شبيب ابْن شيبَة، عَنْ الحسَن، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَبِيهِ -أي لأبي عمران-: «يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ سَبْعَةً، ستَّةً فِي الْأَرْض وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ فَأَيُّهُمْ تَعُدُّهُ لِرَغْبَتِكَ وَلِرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاء»).

وهذا الحديث حديث ضعيف مضطرب، قال الترمذي: سألتُ محمدًا عن هذا الحديث -يعني ابن إسماعيل- قال: فلم يعرفه إلا من حديث أبي معاوية، ثم ساق الإسناد عن النبي ﷺ مرسلًا، ولذلك قال الترمذي: هذا حديثٌ غريب، ولكن سبق بيان سبب إيراد الأئمة لمثل هذه الأحاديث، والشاهد في الحديُ أن حصينًا أقرَّ بأن ربه في السماء لا الأرض.

قال: (فَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْكَافِرِ إِذْ عَرَفَ أَنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ فِي السَّمَاءِ).

فهي فطرة.

(كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحُصَيْنٌ الْخُزَاعِيّ كان يومئذٍ فِي كفره أَعْلَمَ بِاللهِ الْجَلِيلِ الْأَجَلِّ مِنَ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ مَعَ مَا يَنْتَحِلُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِذْ مَيَّزَ بَيْنَ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ).

ثم قال: **(وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ، وَحَدُّوهُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَرِيسِيَّ الضَّالَّ وَأَصْحَابَهُ، حَتَّىٰ الصِّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِي شَيْء يرفع يَدَيْهِ إِلَىٰ رَبِّهِ)**.

هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، بل إن الحيوانات كذلك مفطورةٌ علىٰ ذلك، كما ذكر الشيخ ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية بعض الشواهد علىٰ ذلك.

قال: **(إِذَا حَزَبَ الصَّبِي شَيْء يرفع يَدَيْهِ إِلَىٰ رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ)**.

كل أحدٍ أعلم بالله وبأنه فوق العرش مستوٍ علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه إلا الجهمية، عاملهم الله بعدله.

إثبات اليدين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب إثبات اليدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)**.

وإثبات اليدين لله تعالىٰ مما تواتر في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمع عليه سلف الأمة، كما هو مُدون في كتب الاعتقاد.

وقد جاء ذكر اليد مُضافةً إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتواترة، وجاءت موصوفة بصفات تمنع تحريفها كما فعل الجهمية المعطلة.

واليدان من صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذاتية الخبرية.

أما كونها من صفات ربنا الذاتية: لأنها لا تنفك عن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكونها من صفاته الخبرية: لأن مرد ذلك إلىٰ الخبر والسمع، فالصفات الخبرية إنما تُثبَت بناءً علىٰ ما جاء في كتاب الله وصح من سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي صفة ذاتية خبرية.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب إثبات اليدين: ثُمَّ انْتَدَبَ الْمُعَارِضُ لِتِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي أَلَّفَهَا وَعَدَّدَهَا فِي كِتَابِهِ: مِنَ الْوَجْهِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، يَتَأَوَّلُهَا، وَيَحْكُمُ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيهَا حَرْفًا بَعْدَ حَرْفٍ، وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، بحكم بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ، لَا يَعْتَمِدُ فِيهَا علىٰ إِمَام أقدم مِنْهُ، وَلَا أَرْشَدَ مِنْهُ عِنْدَهُ)**.

فبيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المقدمة أن هذا المُعارض الذي لا يذكر اسمه قد ألَّف عددًا من صفات ربنا في كتابه، ما معنىٰ ألَّف وعدَّد في كتابه؟ **التأليف**: هو الجمع والترتيب، فجمع عددًا من صفات ربنا في كتابه، وأخذ يتأولها التأويلات الباطلة.

(وَيَحْكُمُ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيهَا)، وهذه جرأة معتادة من أهل البدع، أنهم يتكلمون في دين الله، وفي الله، وفي رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوء أدب، لا يتورعون عن ذلك، فيقيسون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، فأخذ يحكم علىٰ الله وعلىٰ رسوله فيها حرفًا بعد حرف.

والمراد بالحرف هاهنا: الكلمة، وهذا هو الأصل في إطلاق اللغة الشرع، أن الحرف إذا أُطلق فالمراد به: الكلمة.

وهذا هو المراد الصحيح في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**، **فالمراد**: الكلمة، لا حرف الهجاء، كما رجح ذلك ابن تيمية، وابن كثير، وابن الجزري من القُراء.

فقوله: **(حرفًا بعد حرف)** يعني كلمة بعد كلمة، يتأولها ويحكم فيها بحكم بشر بن غياث المريسي، فهذا إمامه ومقدمه الذي يُقدمه علىٰ غيره.

قال: **(لَا يَعْتَمِدُ فِيهَا علىٰ إِمَام أقدم مِنْهُ)**، يعني علىٰ إمام عنده، وإلا فليس من أهل السنة من يقول هذا الكلام.

ولذلك قال: **(وَلَا أَرْشَدَ مِنْهُ عِنْدَهُ)**.



قال: (**فَاغْتَنَمْنَا ذَلِكَ كله مِنْه، إِذْ صَرَّحَ بِاسْمِهِ**).

يعني باسم بِشر المريسي.

(**وَسَلَّمَ فِيهَا لحُكْمِهِ، لَمَّا أَنَّ الْكَلِمَةَ قَدِ اجْتَمَعَتْ مِنْ عَامَّةِ الْفُقَهَاءِ فِي كُفْرِهِ، وَهُتُوكِ سِتْرِهِ وَافْتِضَاحِهِ فِي مِصْرِهِ وَفِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذِكْرِهِ، فَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ قِرَاءَةً مِنْهُ بِزَعْمِهِ -وَزَعَمَ أَنَّ بشر قَالَ لَهُ: ارْوِهِ عَنِّي-**).

ما أعلاه من سند يتلقىٰ الكلام من فم المريسي، لكنه بئس السند، سمع ذلك مباشرةً من بشر، وأمره بشر أن يروي ذلك عنه، ففرح بذلك، وجاد به، وأسمعه الناس، فبئست البضاعة.

(**أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللهِ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، فَادَّعَىٰ أَنَّ بِشْرًا قَالَ: يَعْنِي اللهَ بِذَلِكَ: أَنِّي وَلِيتُ خَلْقَهُ، وَقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ تَأْكِيدٌ لِلْخَلْقِ، لَا أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدٍ**).

فالإمام الدارمي هاهنا في هذا الباب يسوق الشبهة ويُفندها ويرد عليها.

فأول هذه الشبهات التي ذكرها: أن بشرًا ذكر أن مراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: لما وليت خلقه، وما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُثبت خلق آدم بيده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإنما خلق آدم كغيره من الخلق، قال الله عَزَّوَجَلَّ له: كن فكان، فهو يقول: إن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ أراد تأكيد الخلق، لا تأكيد الخلق باليد.

فقال الإمام الدارمي: (**فَيُقَالُ لِهَذَا الْمَرِيسِيِّ الْجَاهِلِ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ: فَهَلْ عَلِمْتَ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ اللهُ وَلِيَ خَلْقَ ذَلِكَ غَيْرَهُ، حَتَّىٰ خَصَّ آدَمَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَهُ من غير مَسِيس بِيَدِهِ فسمه؟**).

يعني لو علمت أن أحدًا من الخلق لم يتول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلقه فسمه لنا، إذا كنت تقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ أراد هاهنا تأكيد خلق آدم، ما أراد أن يُبين أنه خلقه بيده، فسمِّ لنا خلقًا من خلقه لم يخلقه الله عَزَّوَجَلَّ ولم يلِ خلقه، بل جعل غيره يخلقه، سمِّ لنا واحدًا من هؤلاء.

(وَإِلَّا فَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ اللهَ لَمْ يَلِ خَلْقَ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ فَقَدْ كَفَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ بِأَمْرِهِ، وَقَوْلِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَوَلِيَ خَلْقَ آدَمَ بيد مَسِيسًا).

فهذا هو الفرق بين خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لسائر المخلوقات والأشياء، وخلقه لآدم، أنه خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأما سائر المخلوقات فيصدق عليها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

والمصنف هاهنا قال: (وَوَلِيَ خَلْقَ آدَمَ بيد مَسِيسًا)، أراد بذلك: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باشر خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير واسطة.

والمسيس والمس من الألفاظ التي لم ترد في كتاب الله ولا في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالأولىٰ أن نقول: خلقه بيده، وليس هناك بيان هو أجلىٰ ولا أوضح من هذا البيان، وأن نقتصر علىٰ ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الشيخ محمد حامد الفقي.

والدارمي لما ذكرها ذكرها من باب أن يُؤكد خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لآدم، أنه خلقه بيده وباشر ذلك، ولو أردنا أن نبحث له عما يُعضد قوله فأقول: في أثناء صلاة العشاء جاء في ذهني حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيت ربي الليلة في أحسن صورة»، وفيه: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وضع كفه بين كتفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد برد أصابعه، لكننا نقف علىٰ ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحم الله الإمام الدارمي.

فقال: (وَوَلِيَ خَلْقَ آدَمَ بيد مَسِيسًا لَمْ يَخْلُقْ ذَا رُوحٍ بِيَدَيْهِ غَيْرَهُ).

لأنه سيرِدُ أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق أشياء أخرىٰ بيده، فجنة عدن غرس الله كرامتها بيده، كما في صحيح مسلم، وكتب التوراة بيده، وخلق أشياء أخرىٰ سترد في حديث عبد الله بن عمر خلقها الله عَزَّوَجَلَّ بيده.

قال: (**فَلِذَلِكَ خَصَّهُ به، وَفَضَّلَهُ، وَشَرَّفَ بِذَلِكَ ذِكْرَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ فِي ذَلِكَ علىٰ شيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ كلهم خَلَقَهُمْ بِغَيْرِ مَسِيسٍ فِي دَعْوَاكَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: "تَأْكِيدٌ لِلْخَلْقِ" فَلَعَمْرِي**).

توجيه قول: لعمري

وهو أسلوب من أساليب العرب، ولا يُقصَد به القَسَم مطلقًا، لكن الذي يظهر والله أعلم أنها بحسب مراد المتكلم بها كما قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في معجم المناهي اللفظية: " إن أراد القسم مُنع، وإلا فلا. "

والذي يدل علىٰ ذلك:

- قول الله تعالىٰ " لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون " فجمهور المفسرين - وعلىٰ رأسهم عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا - علىٰ أنه قسم بحياة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.
- ما جاء من قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للرجل:" كُلْ، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق ". وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٠٢٧.

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما أراد هنا القسم، لأنه سيد الموحدين، ويعلم أن الحلف بغير الله شرك، بل هو الذي حمىٰ جناب التوحيد من كل شائبة، فالمراد هنا ما يجري علىٰ لسان العرب ولا يراد حقيقة معناه، ومثله:

- ما ورد في كلام السلف:

كقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الجهم: "فلعمري لقد شبَّه علىٰ الناس بهذا"

وقول عثمان بن سعيد الدارمي في النقض هنا وفي موضع آخر:" فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم "

وقول ابن القيم في الزاد: " فلعمري ما بشارة موسىٰ بعيسىٰ إلا كبشارة عيسىٰ بمحمد عليهم الصلاة والسلام."

وغير ذلك كثير مما هو دارج علىٰ لسان أئمتنا دون نكير، وللشيخ حماد الأنصاري رسالة ضمن مجموع رسائلة نشر المكتبة الوقفية بعنوان " الإعلان بأن لعمري ليست من الأيمان"، والله أعلم

قال: (فَلَعَمْرِي إِنَّهُ لَتَأْكِيدٌ جَهِلْتَ مَعْنَاهُ فَقَلَبْتَهُ).

فالذي سيصنعه الدارمي هاهنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سيرد الدليل عليه.

قال: (إِنَّمَا هُوَ تَأْكِيد الْيَدَيْنِ وتحقيقهما وَتَفْسِيرُهُمَا، حَتَّىٰ يَعْلَمَ الْعِبَادُ أَنَّهَا تَأْكِيدُ مَسِيسٍ بِيَدٍ، لما أَنَّ اللهَ تعالىٰ قَدْ خَلَقَ خَلْقًا كَثِيرًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ آدَمَ وَأَصْغَرَ، وَخَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَكَيْفَ لَمْ يُؤَكِّدْ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْهَا مَا أَكَّدَ فِي آدَمَ).

يعني خلق السماوات والأرض أحق أن يُؤكَّد، ومع ذلك ما أكَّده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿بِيَدِهِ﴾، وإنما ما ذكر ذلك إلا في خلق آدم.

قال: (إِذْ كَانَ أَمْرُ الْمَخْلُوقِينَ فِي مَعْنَىٰ يَدَي اللهِ كَمَعْنَىٰ آدَمَ عِنْدَ الْمَرِيسِيِّ، فَإِنْ يَكُ صَادِقًا فِي دَعْوَاهُ فَلْيُسَمِّ شَيْئًا نَعْرِفُهُ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ الْجَاحِدُ بِآيَاتِ اللهِ الْمُعَطِّلُ لِيَدَي اللهِ.

قال: وَادَّعَىٰ الْجَاهِلُ الْمَرِيسِيُّ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِ التَّأْكِيدِ مِنَ الْمُحَالِ مَا لَا نعلم أن أَحَدًا ادَّعَاهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، فَقَالَ: هَذَا تَأْكِيدٌ لِلْخَلْقِ لَا لِلْيَدِ، كَقَوْلِ اللهِ تعالىٰ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة:١٩٦]).

فقال: إن قول الله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ هو هو كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، فكيف رد عليه الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا التَّائِهِ الَّذِي سَلَبَ الله عقله وَأَكْثر جهله: هُوَ تَأْكِيدٌ لِلْيَدَيْنِ كَمَا قُلْنَا، لَا تَأْكِيدُ للْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ قَوْله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كاملة﴾ تَأْكِيدُ الْعَدَدِ لا تَأْكِيدُ الصِّيَام).

فافهم الدليل، لأنك لو قرأت هذه الآية دون أن تسمع كلام الدارمي لظننت أنها شبهة حقًا، الله يقول: ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، هذه حقًا تأكيد، وتمنع التأويل، لكنها تأكيد لماذا؟ تأكيد للعدد، وليست تأكيدًا للصيام.

كما أن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ هذا تأكيد لخلق آدم بيده وليس تأكيدًا لمطلق الخلق.

فقال: (كَمَا أَنَّ قَوْله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ تَأْكِيدُ الْعَدَدِ لا تَأْكِيدُ الصِّيَامِ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ غَيْرُ الصِّيَامِ، وَيَدَ اللهِ غَيْرُ آدَمَ، فَأَكَّدَ اللهُ لِآدَمَ الْفَضِيلَةَ الَّتِي كَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ بِهَا، وَآثَرَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ، إِذْ كُلُّ عِبَادِهِ، خَلَقَهُمْ بِغَيْرِ مَسِيسٍ بِيَدٍ، وَخَلَقَ آدَمَ بِمَسِيسٍ).

كما قلنا يعني دون واسطة في ذلك.

قال: (فَهَذِهِ عَلَيْكَ لا لَكَ، وَقَدْ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ، مُحْتَجِّينَ بِهَا عَلَيْك، كَالشَّاةِ الَّتِي تَحْمِلُ حَتْفَهَا بِأَظْلَافِهَا).

يعني أخذنا منك الدليل الذي ذكرته ورددناه عليك.

قال: (وَقَدْ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ)، فأنت الذي جئت إلينا بهذا الدليل وصار حجة لنا وحجة عليك.

قال: (مُحْتَجِّينَ بِهَا عَلَيْك، كَالشَّاةِ الَّتِي تَحْمِلُ حَتْفَهَا بِأَظْلَافِهَا).

وهذا مثل تطلقه العرب، وأرادوا بذلك: أن الشاة إذا سمنت ذُبحت، وهي التي تحمل ما عليها من اللحم والدهن، فكان حملها لهذا اللحم ولهذا الدهن سببًا في ذبحها، فهو الذي حمل إلينا الدليل فرددنا عليه الدليل في نحره.

قال: (فَإِنْ أَجَابَ هذا الْمَرِيسِيُّ أَعْلَمْنَاهُ تَأْكِيدِ الْخَلْق، إِذْ كَانَ بِهِ جَاهِلًا).

يعني لو أراد المريسي آيات في تأكيد الخلق، وأعياه البحث عنها، فهذه هي الآيات التي فيها تأكيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمطلق الخلق.

(وَهُو قَوْلُهُ: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل:٨٨]، وَ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْأِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[السجدة:٧-٩]، الآيَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[الحج:٥] الآيَة، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غافر:٦٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾[التين:٤]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:١٢-١٤]، فَهَذَا تَأْكِيدُ الْخَلْقِ وتَفْسِيرُهُ لَا مَا ادَّعَىٰ الْجَاهِلُ).

قال: (وَقَوْلُهُ تعالىٰ لِإِبْلِيسَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾).

طبعًا ﴿لِمَا﴾ ليست نافية، وإنما هي اللام جارة وما موصولة بمعنىٰ: للذي خلقت بيدي.

وليست كذلك استفهامية؛ لأنها لو كانت استفهامية لحُذفت الألف، لأن حرف الجر إذا دخل علىٰ "ما" نُسقط الألف، فتُكتَب لام ميم هكذا: لِمَ كما تقرأ في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[النبأ:١]، هي أصلها: عن ما، فلما أدخلنا عن علىٰ ما أسقطنا الألف، فـ "لم"

هاهنا ما موصولة، نعم.

قال: (وَقَوْلُهُ تعالىٰ لِإِبْلِيسَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ تَأْكِيدُ يَدَيْهِ لَا تَأْكِيدُ خَلْقِ آدَمَ، وَمَا كَانَ حَاجَةُ إِبْلِيسَ إِلَىٰ أَنْ يُؤَكِّدَ اللهُ لَهُ خَلْقَ آدَمَ).

فلو قلنا بقول المريسي: هل يحتاج الله عَزَّوَجَلَّ لأن يؤكد لإبليس أنه خلق آدم؟ وإبليس أعلم الخلق بآدم، فمنذ أن خلقه الله عَزَّوَجَلَّ وما فارق آدم ولا ذرية آدم، وهذا من كون الله وتقديره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فقال: (وَمَا كَانَ حَاجَةُ إِبْلِيسَ إِلَىٰ أَنْ يُؤَكِّدَ اللهُ لَهُ خَلْقَ آدَمَ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِآدَمَ، رَآهُ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ طِينًا مُصَوَّرًا مَطْرُوحًا بِالْأَرْضِ).

فكما عند مسلم: أخذ يطيف به، ولما وجده أجوف لا يتمالك فعلم أنه ضعيف.

وفي بعض الروايات: أنه كان يدخل من فمه ويخرج من دبره قبل أن ينفخ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيه الروح، فكان ينظره، ويتتبع خلقه.

قال: (وَقَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِآدَمَ، رَآهُ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ طِينًا مُصَوَّرًا مَطْرُوحًا بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَمَا نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ كَانَ مَعَه فِي الْجَنَّة، حيت وَسْوَسَ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا، ثُمَّ كَانَ يَرَاهُ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ).

فلما أمر الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة بالسجود لآدم سجدوا أجمعون، إلا إبليس أبىٰ واستكبر، فطرده الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فما كان منه إلا أن وسوس لآدم حتىٰ يأكل من الشجرة التي نهاه الله عَزَّوَجَلَّ عنها فأكل منها وخرج من الجنة.

كيف وسوس له مع أن الله طرده من الجنة؟

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ: "الوسوسة لا تستلزم دخول الجنة"، يعني قد يُوسوس

الشيطان للإنسان ولا يلزم من ذلك أن يكون معه في نفس المكان، الله عَزَّوَجَلَّ أعطىٰ الجن قدرات ليست لبني آدم.

وقال: "قيل: يحتمل الأمر دخوله الجنة دخولًا عارضًا، لا إقامة تامة، فبعد أن كان مُقيمًا في الجنة -هذا علىٰ القول بأنه كان يقيم في الجنة- كان يدخل فيها لكن كان يدخل دخولًا عارضًا"، فلما دخل في هذا الدخول العارض وسوس له بأن يأكل من الشجرة، وهذه فائدة عارضة.

فقال: **(ثُمَّ كَانَ مَعَه فِي الْجنَّة، حيت وَسْوَسَ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا، ثُمَّ كَانَ يَرَاهُ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ، فَإِنَّمَا أَكَّدَ اللهُ لَهُ مِنْ أَمْرِ آدَمَ مَا لَمْ يَرَ، لَا مَا رَأَىٰ، لِأَنَّهُ لَمْ ير يَدي الله وهما تخلقناه، فَلْيَعْلَمِ الْجَاهِلُ الْمَرِيسِيُّ بِأَنَّا مَا ظَنَنَّا أن عِنْدَهُ مِنْ رَثَاثَةِ الْحجَج وَالْبَيَانِ وَقِلَّةِ الْإِصَابَةِ وَالْبُرْهَانِ قَدْرَ مَا كَشَفَ عَنْهُ هَذَا الْإِنْسَانُ، وَالْحَمْد لله الَّذِي أنطق به لِسَانَهُ، وعرف النَّاسَ شَأْنَهُ، لِيَعْرِفُوهُ فيجاوزوا مَكَانَهُ.**

ثُمَّ لَمْ يَرْضَ الْجَاهِلُ المريسي مَعَ سخاقة هَذِهِ الْحُجَج، حَتَّىٰ قَاسَ اللهَ فِي يَدَيْهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَ بِهِمَا آدَمَ أَقْبَحَ الْقِيَاسِ، وَأَسْمَجَهُ، بَعْدَمَا زَعَمَ أَنَّهُ لا يَحِلُّ أَنْ يُقَاسَ اللهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا بشَيْءٍ هُوَ مَوْجُودٌ فِي خلقه، وَلَا يُتَوَهَّمُ ذَلِكَ).

هذه الشبهة الثانية، الشبهة الأولىٰ: قال: **(أراد الله** عَزَّوَجَلَّ **بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، أراد أن يؤكد الخلق لا أن يؤكد خلقه لآدم)**، فرد عليه الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشبهة الثانية: فيها قياس لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ المخلوق، فشبهوا الله بخلقه ثم عطلوا بعد أن شبهوا، أو مثلوا.

فقال المريسي: **(أَلَيْسَ يُقَالُ لِرَجُلٍ مُقطَّعِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمنْكِبَيْنِ إِذْ هُوَ كَفَرَ بِلِسَانِهِ إِنَّ كُفْرَهُ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُفْرُهُ بِيَدَيْهِ؟)**.

فأراد هاهنا الاعتماد علىٰ المجاز، فيُقال لإنسان مُقطع اليدين وقد كفر يُقال: هذا بما كسبت يداه،مع أنه ليس له يدان.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الضَّالِ الْمُضِلّ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ).

وهذا قد نقلناه عنه.

(أَنَّ اللهَ لَا يُشَبَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَتَوَهَّمُ الرَّجُلُ فِي صِفَاتِهِ مَا يَعْقِلُ مِثْلَهُ فِي نَفْسِهِ؟ فَكَيْفَ تُشَبِّهُ اللهَ فِي يَدَيْهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَ بِهِمَا آدَمَ بِأَقْطَعَ مَجْذُومِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمِنْكَبَيْنِ؟ وَتَتَوَهَّمُ فِي قِيَاسِ يَدَيِ اللهِ مَا تعلقه فِي ذَلِكَ الْمَجْذُومِ الْمَقْطُوعِ، وَتَتَوَهَّمُ ذَلِكَ؟ فَقَدْ تَوَهَّمْتَ أَقْبَحَ مَا عِبْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ، إِذِ ادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ لَا يَدَانِ لَهُ كَالْأَقْطَعِ الْمَقْطُوعِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمِنْكَبَيْنِ).

وهذا فيه تناقض أهل الضلال، أنهم يُثبتوم القول في مكان ثم ينقضونه في مكان آخر، يتناقضون دائمًا.

جرأة المبتدعة علىٰ ذكر مثل السوء لله تعالىٰ

وفيه كذلك: سنة أهل البدع، فإنهم لا يتورعون عن ضرب أقبح الأمثلة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تعالىٰ الله عما يقولون.

وقد فعل مثل ذلك الرازي، فإنه لما تكلم عن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وادعىٰ التعارض فيها قال: "فلك أن تتخيل أن إنسانًا له جنب واحد"، لأن الآية تقول: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر:٥٦]، فأثبت الجنب لله وليست صفة وإنما المراد ذاته، فقال: "فلك أن تتخيل أن إنسانًا له جنب واحد، وله ساق واحدة"، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم:٤٢]، "وله أيادٍ كثيرة"، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[يس:٧١]، وله عين واحدة أو له أعين كثيرة، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]، أو ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤].

"فما أقبح هذا الرجل"، فقال: لو أثبتنا الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لصار ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذه الصورة، تعالىٰ الله عما يقول هؤلاء، فتجد عندهم جرأةً علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يتورعون في نسبة النقص إليه ليعطلوه عن صفاته بعد ذلك، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزه عن الشبيه، وعن المثيل؛ لأن القاعدة: أننا نُثبت الصفات لكن الكيفية لا يعلمها إلا الله -تَبَارَكَ.

فقال له الإمام الدارمي: **(وَيْلَكَ! إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَتْ لَهُ يَدَانِ: ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ مَثَلًا مَعْقُولًا، يُقَالُ ذَلِكَ لِلْأَقْطَعِ وَغَيْرِ الْأَقْطَعِ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُضْرَبُ هَذَا الْمَثَلُ وَلَا يُقَال ذَلِك إِلَّا لمن هُوَ من ذَوِي الْأَيْدِي، أَوْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي قَبْلَ أَنْ تُقْطَعَا)**.

فهذا رد الشبهة، المريسي يقول: نحن نقول لمن قُطعت يداه وقد كفر، وقد وقع في المعصية: ذلك بما كسبت يداك وقدمت يداك، فنسبنا الفعل إلىٰ اليدين علىٰ أنه مقطوع اليدين.

والدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: نحن ننسب هذا الفعل له لأنه لا يتم له ذلك إلا وهو ذو يدين، يعني هذا الفعل لا يُنسَب في لغة العرب إلا لذي اليدين.

وهذه القاعدة ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة)**، فإنه لما أورد هذه الشبهة وهي أننا نتأول اليد بمعنىٰ القدرة، أو بمعنىٰ النعمة، والقوة، لأنها تأتي في لغة العرب، تأتي اليد في لغة العرب بمعنىٰ من هذه المعاني.

بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه المعاني لا تُصرف إلا لمن كان له يد حقيقية، يعني لما أقول: لفلان عليَّ يد، يعني إيه لفلان عليَّ يد؟ يعني منة وفضل، ولا يصح أن أقول للجدار هذا عليَّ يد؟ لا يجوز في لغة العرب، لأن الجدار ليس له يدان، فهذا لا يُطلق إلا علىٰ ذوي الأيدي الحقيقية.

فهذه القاعدة أخذها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإمام الدارمي وذكرها في كتاب (**الصواعق المرسلة**)، وهو من أفضل الكتب، إن لم يكن أفضلها في مبحث الأسماء والصفات، كتاب (**الصواعق المرسلة**) و(**مختصر الصواعق المرسلة**)، ولا يستغني طالب العلم عن الكتابين؛ لأن كتاب (**الصواعق المرسلة**) كتاب ناقص، ليست هناك نسخة كاملة، النسخة المطبوعة نسخة ناقصة، و (**مختصر الصواعق المرسلة**) نسخة كاملة، فاختُصرت عن الأصل، ثم ضاع الأصل.

وأفضل طبعاته: طبعة أضواء السلف في أربع مجلدات أعني المختصر، وأما (**الصواعق المرسلة**) فأفضل طبعاته طبعة دار العاصمة.

الطواغيت الأربعة

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب ذكر الطواغيت الأربعة التي هدم بها أهل الباطل معاقل الدين، وانتهكوا بها حرمة القرآن، ومحوا بها رسوم الإيمان، هكذا قال.

وهذه الطواغيت الأربعة هي:

- طاغوت المجاز، فجعلوا كل صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مجازًا لا تُحمَل علىٰ الحقيقة.

- وطاغوت تقديم العقل علىٰ النقل.

- وكذلك الطاغوت الذي قالوا فيه: إن الأخبار الواردة عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُفيد إلا الظن، وترتب علىٰ ذلك: أنهم ردوا كل الأحاديث الواردة في مبحث الصفات؛ لأنها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تُفيد إلا الظن، فخالفت العقل الفاسد عندهم.

- والطاغوت الرابع: وهو أدلة الشرع لفظية، لا تُفيد علمًا ولا يحصل بها يقين.

وهذا الطاغوت هو الذي من أجله ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه (**درء**

تعارض العقل والنقل)، لأن الرازي جعل هذه الطاغوت محاطًا بأمورٍ عشرة تجعل اللفظ لا يُقبَل ولا يدل علىٰ العلم اليقيني، فقال مثلًا: اللفظ الوارد في القرآن، آية وردت في القرآن، هذه الآية وردت بلسان العرب: هذه اللفظة ألا تحتمل الاشتراك؟ تحتمل الاشتراك، تحتمل التأويل؟ تحتمل التأويل، هل الآية مُطلقة أم مُقيدة؟ تحتمل الإطلاق وتحتمل التقييد، تحتمل التخصيص وتحتمل العموم وهكذا.

فقال: إذا كانت اللفظة تحتمل كل ذلك فكيف يُقال إنها تُفيد العلم؟! فهذا يترتب عليه هدم الدين كله، فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**درء تعارض العقل والنقل**)،و(**بيان تلبيس الجهمية**) وهما أعظم كتب شيخ الإسلام وألف تلميذه هذا الكتاب العظيم كتاب (**الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة**)

الشاهد أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذ هذه القاعدة من الإمام الدارمي، وهي: أنه لا تُطلق اليد بمعنىٰ النعمة أو القدرة إلا علىٰ من له يد حقيقية، حتىٰ ولو قُطعت هذه اليد.

فقال له: **(وَاللهُ بِزَعْمِكَ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي)**.

هذا بزعمه، أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكن له يد يومًا ما.

(فَيَسْتَحِيلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَيْسَ بِذِي يَدَيْنِ أَوْ لَمْ يَكُن قَطُّ ذَا يَدَيْنِ: إِنَّ كُفْرَهُ وَعَمَلَهُ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ.

قال: وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بِيَدِ فُلَانٍ أَمْرِي وَمَالِي، وَبِيَدِهِ الطَّلَاقُ، وَالْعِتَاقُ، وَالْأَمْرُ، وَمَا أَشْبَهُهُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مَوْضُوعَةً فِي كَفِّهِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَىٰ يَدِهِ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي).

إذن الشرط: أن تكون هذه الإضافات لمن له يد.

قال: (فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُضَافُ إِلَىٰ يَدِهِ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ يُقَالُ: بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَا وَكَذَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[سبأ:٤٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾[البقرة:٦٦]، وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[البقرة:٣٧]).

أقسام الألفاظ

فالإمام الدارمي هاهنا يُفرِّق بين لفظين:

اللفظ الأول: وهو قولك: بيده.

واللفظ الثاني: وهو قولك: بين يديه.

بين يديه وبين يده، أي: أمامه، يُفرِّق بين هذا اللفظ وبين قولنا: بيده، التي جاءت في وصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في خلق آدم.

فيقول: إن قوله: بيده لا يُطلق إلا علىٰ من كان له يد حقيقية.

وأما قوله: بين يديه أو بين يده، فهذا يُطلق علىٰ من له يد حقيقية ومن ليس له يد حقيقية، لأن الفرق بين قولنا: بين يديه وبيده أو بيديه: أن الأولىٰ قد تكون من المشترك اللفظي، أو من الألفاظ المُشككة.

الألفاظ المُشككة: هو أن يأتي اللفظ الواحد ويصدق معناه علىٰ كثيرين لا علىٰ التساوي، مثل الوجود، والعلم والسمع، فربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سمىٰ نفسه العليم، والسميع، والبصير، وسمىٰ المخلوق: العليم، والسميع، والبصير، هذه الأسماء أسماء ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأسماء المخلوقين تندرج تحت أي قسم من أقسام الألفاظ؟ فعندنا:

- ألفاظ مترادفة.

- وألفاظ مُتباينة.

- وألفاظ مُشتركة.

- وألفاظ متواطئة.

- وألفاظ مُشككة.

دي أقسام الألفاظ في لغة العرب.

وصف نفسه بالحياة، ووصف الإنسان بالحياة، فهذا يندرج تحت القسم المسمىٰ بالألفاظ المُشككة، ما هي الألفاظ المُشككة؟ أن يأتي اللفظ ويصدق معناه علىٰ كثيرين لا علىٰ التساوي في النسبة، فليس علم المخلوق كعلم الخالق، وليس وجود المخلوق كوجود الخالق، وهذا كذلك يصدق في المخلوقين أنفسهم، فليس شجاعة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كشجاعة غيره من الناس.

هذا في قولنا: بين يديه، فنقول: بين يدي الساعة، ونقول: بين يدي الحرب سجال وقتال.

وأما قولنا: بيده فليس كذلك، فإنه لا يُطلق إلا علىٰ من له يد حقيقية.

وهذا الإشكال الذي فكه الإمام الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ وضح لي أمرًا أشكل طرأ عليَّ في الصلاة يومًا ما، هذا الإشكال: هو قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ﴾[الحجرات:١]، فقلت -الحمد لله أنا قرأت كتبًا كثيرة جدًا في الاعتقاد بفضل الله يعني- قلت: أنا ما وجدت هذه الآية استدل بها واحد من أئمتنا علىٰ إثبات اليدين لله، فلعلني فُزت بذلك، ففرحت جدًا، وقلت: كم ترك الأول للآخر!! وسألت بعض إخواننا: من يستطيع أن يأتي بإمام من الأئمة استدل بهذه الآية علىٰ إثبات اليدين لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾، ﴿يَدَيِ اللهِ﴾، أثبت يدين

لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفعلًا فتشنا فما وجدنا واحدًا من الأئمة استدل بها على إثبات اليدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقلت: لعلهم فاتهم ذلك يعني، والحمد لله يعني كم ترك الأول للآخر، وحسبت أني... ثم أجاب الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الإمام في العقيدة واللغة والفضل والمكانة.

والله أنا أحزن عندما أجد من يُقدِّم بعض الدعاة على هؤلاء الأئمة، وقد ينتقصوا هذا الإمام للفظ جاء به أو غير ذلك، وقد لا يقبل كلامه مطلقًا، المهم إن الإمام الدارمي وجدته ماذا قال؟ فرَّق بين "بيده" و "بين يديه"، ليه؟ لأن بين يديه تُطلق على الحي والجماد، كما قال: بين يدي الساعة، وأما "بيده" فلا تُطلق إلا على من له يد حقيقية، ولذلك لم يذكرها أئمتنا في كتب الاعتقاد، فرحم الله أئمتنا.

فقال: (فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُضَافُ إِلَىٰ يَدِهِ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ يُقَالُ: بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[سبأ:٤٦]).

ما إعراب عذاب؟ مضاف إليه، فاليدان هاهنا للعذاب، والعذاب ليس له يد حقيقية.

(وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾[البقرة:٦٦]، وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[البقرة:٩٧]).

إشكال في قول المتنبي: وكم لظلام الليل عندك من يد

إن قيل: قد قال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

من هم المانوية؟ المجوس، أتباع مزدك وماني، الذين يقولون بوجود إلهين: إله للخير،

وإله للشر، إله للنور وإله للظلمة، إله الظلمة كله شر، والليل ظلمة فالمفترض أنه لا يحمل إلا الشر.

فالشاعر يرد علىٰ هؤلاء، يقول: "وكم لظلام الليل عندك من يد"، يريد أن الليل تنام فيه، وترتاح، حتىٰ تقوم نشيطًا، فالليل فيه خير، فهذا فيه رد علىٰ المانوية.

ولذلك قال:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

فالشاعر هاهنا نسب اليد لليل، والليل ليس له يد حقيقية، فمعنىٰ ذلك: أنه يجوز أن ننسب اليد إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإن لم تكن له يد حقيقية؟

الجواب عن هذا البيت:

أولًا: أن البيت للمتنبي، وشعره ليس مما يُحتَج به؛ لأنه من الشعراء المُولَّدين الذين جاءوا بعد عصر الاحتجاج بالشعر. الشعر له عصر احتجاج، بعد هذا العصر لا يجوز لك أن تحتج بالشعر في لغة العرب علىٰ إثبات قاعدة مثلًا تُخالف الأصل، الذي جاء في كلام العرب، فجعلوا عصر الاحتجاج مثلًا منتصف المائة الثانية من الهجرة، هذا آخر عصر الاحتجاج بالشعر، فأنت أنت تحتج في القواعد النحوية بالكتاب، والسنة، وكلام العرب ومنه الشعر.

ولذلك هبَّ العلماء للرد علىٰ طه حسين لما ألف كتاب الشعر الجاهلي؛ لأنه يريد أن ينقض أصلًا من أصول الاحتجاج في لغة العرب التي قام عليها فهم الكتاب والسنة، فالمتنبي ليس من الشعراء الذين يُحتَج بهم، هذا أولًا.

الأمر الثاني: لو سلمنا بالاحتجاج به فلا يلزمنا، لأن يد القدرة والنعمة متىٰ أُضيفت إلىٰ

الحي استلزمت اليد الحقيقية، أما إن أُضيفت إلىٰ غير الحي فأوّلها كما شئت، الكلام في إضافة اليد إلىٰ الحي، لو أُضيفت اليد إلىٰ الحي فهذه تستلزم اليد الحقيقية.

قال: (فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بَيْنَ يَدَيْ كَذَا وَكَذَا لِمَا هُوَ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي وَممن لَيْسَ من ذَوِي الْأَيْدِي، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بِيَدِهِ إِلَّا لِمَنْ هُوَ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ بِيَدِ السَّاعَةِ كَذَا وَكَذَا كَمَا قُلْتَ: بَيْنَ يَدَيْهَا، اسْتَحَالَ).

يعني هذا لا تعرفه العرب، أن تُسوي بين هذا وذاك.

قال: (وَبِيَدِ الْعَذَابِ كذا وَكَذَا، وَبِيَدِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَذَا وَكَذَا، أَوْ بِيَدِ الْقَرْيَةِ الَّتِي جَعَلَهَا نَكَالًا كَذَا وَكَذَا، اسْتَحَالَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَلَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: بَيْنَ يَدَيْكَ؛ لِأَنَّكَ تَعْنِي أَمَامه، وقدامه، وَبَيْنَ يَدَيْهِ، فَلِذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْأَقْطَعِ إِذَا كَفَرَ بِلِسَانِهِ: إِنَّهُ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي قُطِعَتَا أَوْ كَانَتَا مَعَهُ.

قال: وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: بِمَا كَسَبَتْ يَدُ السَّاعَةِ، وَيَدُ الْعَذَابِ، وَيَدُ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَال: بيد شَيْءٌ لشيء إِلَّا وَذَلِكَ الشَّيْءُ مَعْقُولٌ فِي الْقُلُوبِ أَنَّهُ مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَا نَفَيْتَ عَنِ اللهِ يَدَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِذِي يَدَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ لَهُ يَدَانِ، ثُمَّ قُلْتَ: بِيَدِ اللهِ كَذَا وَكَذَا، وَخَلَقْتُ آدَمَ بِيَدَيَّ، وَلَا يَدَانِ لَهُ عِنْدَكَ، فَهَذَا مُحَالٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَا شَكَّ فِيهِ، أَو سَمِّ شَيْئًا يُخَالِفُ دَعْوَانَا).

وهذا فيه جهل المبتدعة بلغة العرب.

قال: (وَكَذَلِكَ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ).

هذه شبهة أخرىٰ.

(وَكَذَلِكَ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ فِيمَا احْتَجَجْتَ بِهِ أَيْضًا فِي نَفْيِ يَدَيِ اللهِ عَنْهُ، أَنَّهُ عِنْدَكَ كَقَوْلِ

النَّاسِ فِي الْأَمْثَالِ: يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ).

الوكاء: هو الحبل الذي يُشَد به فم القربة، الوكاء: الحبل الذي يُربَط به فم القربة، قربة اللبن أو قربة الماء.

ويُقال: أوكىٰ القربة يعني ربط فمها بالوكاء.

وهذا مثل، وهو قولهم: "يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ" يُضرَب لمن يجني علىٰ نفسه فيُوقعها بعمله في التهلكة، كما قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه.

هذا المثل له مورد ومضرب، أيُّ مَثلٍ في لغة العرب له مورد ومضرب، المورد يعني أصله، متىٰ قيل هذا المثل أول مرة؟، والمضرب: الصورة الشبيهة التي نُسقط هذا المثل عليه.

مورد هذا المثل وأصله: أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر، وأراد أن يعبر علىٰ زق، نفخ قِربته أو زقه، ولم يُحسن إحكامه، يعني بعد أن نفخها لم يُحسن ربطها وإحكامها، حتىٰ إذا توسط البحر فُكَّ وثاقه، فغرق، فلما غشيه الموج استغاث برجل، فقال له الرجل: يداك أوكتا وفوك نفخ، أي: أنت من نفخ وأنت من أوثق وربط، أنت الذي جنيت علىٰ نفسك!! فصار مثلًا يُضرب لمن يجني علىٰ نفسه.

فالمريسي يقول فيما احتج به في نفي يد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: إن إثبات اليد لله علىٰ ما جاء في القرآن والسنة **(أَنَّهُ عِنْدَكَ كَقَوْلِ النَّاسِ فِي الْأَمْثَالِ: يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ، وَكَقَوْلِ اللهِ: ﴿بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾**[البقرة:٢٣٧]**، فادعيت أَن العقدة بِعَينهَا لَيست موضوعة فِي كَفِّهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ، فَقُلْتُ لَكَ: أَجَلْ أَيُّهَا الْجَاهِلُ، هَذَا يَجُوزُ، لِمَا أَنَّ الْمَوْصُوفَ بِهِمَا مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي).**

يعني نفس الشبهة بنفس الرد.

(فَلِذَلِكَ جَازَ، وَلَوْلَا ذَلك لم يجز، ولو لَمْ يَكُنِ لِلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَلَا لِلْمُوكِي وَلَا لِلنَّافِخِ يَدَانِ، أَوْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ ذَوِي الْأَيْدِي كَمَعْبُودِكَ فِي نَفْسِكَ).

فالمريسي يعبد ربًا غير ربنا، فربه لا صفة له.

ولذلك قال: (كَمَعْبُودِكَ فِي نَفْسِكَ)، ليس كمعبودنا نحن.

قال: (لم يجز أَنْ يُقَالَ: بِيَدِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ تَعَالَىٰ يَدَانِ بِهِمَا خَلَقَ آدَمَ وَمَسَّهُ بِهِمَا مَسِيسًا كَمَا ادَّعَيْتَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَال: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[آل عمران:٢٦]، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ﴾[الحديد:٢٩]، وَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك:١]، لِلْمَذْهَبِ الَّذِي فَسَّرْنَا، فَإِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ فَسَلْ مَنْ يُحْسِنُهَا ثُمَّ تَكَلَّمْ.

قال: وَقَدْ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ: بَنَيْتُ دَارًا، أو قَتَلْتُ رَجُلًا وَضَرَبْتُ غُلَامًا، وَوَزَنْتُ لِفُلَانٍ مَالًا، وَكَتَبْتُ لَهُ كِتَابًا، وَإِنْ لَمْ يَتَوَلَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِك بِيَدِهِ، بل أَمر البنَّاء بِبِنائِهِ، وَالْكَاتِبَ بِكِتَابِهِ، وَالْقَاتِلَ بِقَتْلِهِ، وَالضَّارِبَ بِضَرْبِهِ، وَالْوَازِنَ بِوَزْنِهِ، فَمِثْلُ هَذَا يَجُوزُ عَلَىٰ الْمَجَازِ الَّذِي يَعْقِلُهُ النَّاسُ بِقُلُوبِهِمْ عَلَىٰ مَجَازِ كَلَامِ الْعَرَبِ.

وَإِذَا قَالَ: كَتَبْتُ بِيَدَيَّ كِتَابًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، أَوْ قَالَ: وَزَنْتُ بِيَدَيَّ، وَقَتَلْتُ بِيَدَيَّ، وَبَنَيْتُ بِيَدَيَّ، وَضَرَبْتُ بِيَدَيَّ).

كما قال الله تعالىٰ: خلقت آدم بيدي.

(كَانَ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِيَدَيْهِ دُونَ يَدَيْ غَيْرِهِ، وَكان ذلك مَعْقُولُ الْمَعْنَىٰ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]).

هذه شبهة أخرىٰ لبشر المريسي.

الكلام عن المجاز

وهذه الشبهة هي: الاعتماد علىٰ المجاز، والمجاز: هو الطاغوت الذي ذكره ابن القيم في (الصواعق المرسلة)، لماذا سماه طاغوتًا؟ لأن المعطلة اعتمدوا عليه في نفي صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فكل ما جاء من الصفات حملوه علىٰ المجاز، لا علىٰ الحقيقة.

لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤] قالوا: أراد الله عَزَّوَجَلَّ الحفظ والعناية، ومجاز عنه،

و لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤] أراد بذلك الكرم والجود، لما قال الله النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها، حتىٰ يضع الجبار رجله عليها فتقول: قط قط، قد امتلأت**»، فقالوا: المراد بالرجل هاهنا: الجماعة من الناس.

فأتوا علىٰ كل صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فأوَّلوها عن طريق ما يسمىٰ بالمجاز.

فهو هاهنا كذلك يقول: ألا يصح أن يقال في لغة العرب: بنيت الدار، طيب، ولم أباشر البناء، إنما البَنَّاء هو الذي باشر البِناء، مع أنك نسبت ذلك إلىٰ نفسك، صحيح؟

ومثله: ضربت الغلام، أنت ما ضربت الغلام، ولكن خادمك هو الذي ضرب الغلام. وزنت لفلان كذا من الطعام، وأنت ما وزنت شيئًا، ولكن أمرت من يزن ذلك، فيكون هذا من المجاز، وهذ معلوم مستعمل في لغة العرب!!

فمنه كذلك: خلْق آدم، فلما قال: خلقه بيده يعني ما باشر الخلق، لكن كان كسائر الخلق، وهذا من المجاز.

فهل هذا الكلام صحيح؟ قطعا هذا الكلام من أبطل الباطل؛ لأننا لو قلنا بوقوع المجاز في لغة العرب ومن لغة العرب القرآن والسنة، كما هو قول بعض العلماء، فلابد من



شرطين:

الشرط الأول: تعذر حمل اللفظ علىٰ الحقيقة، أن يتعذر حمل اللفظ علىٰ الحقيقة، لكن إن لم يتعذر حمل اللفظ علىٰ الحقيقة لا يُقال بالمجاز، بل يجب إجراء اللفظ علىٰ ظاهره.

ولنا أن نسأل: ما المحظور في إثبات الاستواء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ العرش؟ ليس هناك محظور، استواء يليق بجلاله، ما المحظور في إثبات السمع والبصر لله؟ الإتيان، والمجيء، النزول، ليس هناك محظور؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، فليس هناك محظور يمنعنا من حمل هذه الألفاظ علىٰ الحقيقة، مع تفويض الكيفية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنَّ هؤلاء جعلوا في ذلك محظورًا، ما المحظور؟ هذا يقتضي مشابهة الله لخلقه، محظور عقلي فاسد، طالما أن اللفظ لا يستحيل أن نحمله علىٰ الحقيقة لا يجوز لنا أن نصرف هذا اللفظ من الحقيقة إلىٰ المجاز، وهذا هو القيد الأول.

القيد الثاني: وجود القرينة التي تصلح لصرف اللفظ من الحقيقة إلىٰ المجاز، إن لم توجد القرينة صار لعبًا.

القرينة قد تكون قرينة عقلية صحيحة اتفقت العقول علىٰ اعتبارها وقد تكون قرينة لفظية، يعني لما أقول: بنىٰ الأمير القصر، دي قرينة عقلية، لأن يستحيل أن الأمير نفسه هو اللي يُباشر بناء القصر، فهنا نقول بالمجاز، علىٰ مذهب القائلين بالمجاز، ومنهم كثير من أهل السنة والجماعة.

أما إذا لم يتعذر حمل اللفظ علىٰ الحقيقة ولم تكن هناك قرينة معتبرة فلا يجوز لنا أن نصرف اللفظ من الحقيقة إلىٰ المجاز.

ومن هنا: من أثبت المجاز من أهل السنة والجماعة فالخلاف بينه وبين من نفاه خلاف لفظي كما رجح ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونقله عنه صاحب معالم أصول الفقه عند أهل السنة

والجماعة، لأن الذي ينفي المجاز في القرآن والسنة يقول: كل الألفاظ اللي جاءت في القرآن والسنة ألفاظ حقيقية، كيف ذلك؟

عندما تقول: رأيت أسدًا يفترس غزالة، أسد حقيقي، وعندما تقول: رأيت أسدًا يخطب علىٰ المنبر، هذه القرينة "يخطب علىٰ المنبر" وهي قرينة لفظية هي حقيقة في موضعها، فابن القيم وابن تيمية يقولون: هذه حقيقة وتلك حقيقة في وضع العربية.

القائلون بالمجاز، رأيت أسدًا يفترس الغزالة يقولون: هذه حقيقة، أما: رأيت أسدًا يخطب علىٰ المنبر، هذا مجاز معه قرينة وتعذر حمل اللفظ علىٰ ظاهره، فالخلاف في اللفظ فقط، لأنه مع تسمية هذا حقيقة وهذا مجازا اعتبروا الشرطين ولم يجروا ذلك علىٰ صفات الباري تعالىٰ، فهنا الخلاف يكون خلافًا لفظيًا، أما أن نؤول كل صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بسبب هذا الباب -باب المجاز- دون التعذر ودون وجود القرينة فهذا هو المحظور.

ففرَّق الإمام الدارمي بين هذا القول الذي ذكره المريسي من كتبت الكتاب، أو قتلت فلانًا، أو بنيت الدار أو غير ذلك، وبين ما جاء في القرآن؛ لأنك لو قلت: كتبت بيدي كتابًا، فالقرينة هاهنا "بيدي" قرينة لفظية تمنع حمل اللفظ علىٰ غير الكتابة ومباشرة الكتابة باليد، الله عَزَّوَجَلَّ قال في آدم: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾،فهنا اللفظ محمول علىٰ الحقيقة.

قال: كما قال تعالىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

قال: **(فَعَلِمْنَا أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِأَمْرِهِ، وإراته، وَكَلَامه، وَقَوله: ﴿كُنْ﴾، وَبِذَلِكَ كَانَتْ، وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، فَلَمَّا قَالَ: خَلَقْتُ آدَمَ بِيَدَيَّ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ ليديه، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ بِهِمَا مَعَ أَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَاجْتَمَعَ فِي آدَمَ تَخْلِيقُ الْيَدَيْنِ نَصًّا وَالْأَمْرُ وَالْإِرَادَةُ، وَلَمْ يجتمعا فِي خلق غَيره من الروحانين)**.

أي: من ذوي الأرواح، أو يقال: الرُوحانيين.

(لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مَسَّ خَلْقًا ذَا رُوحٍ بيدَيْهِ غَيْرَ آدَمَ، إِذْ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ فِي أَحَدٍ مِمَّنْ سِوَاهُ وَلم يخص بِهِ بشرًا غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

وَلَوْ كَانَ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلْتَ أَنَّهُ أَرَادَ بِيَدَيْهِ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَهُ فَأَكَّدَهُ لَمَا كَانَ عَلَىٰ إِبْلِيسَ إِذًا فِيمَا احْتَجَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْيَدَيْنِ لِآدَمَ فِي ذَلِكَ فَضْلٌ).

لأن الله كما ولي خلق آدم ولي خلق إبليس، وجميع خلقه.

(وَلَا فَخْرٌ، إِذْ وَلِيَ خَلْقَ إِبْلِيسَ فِي دَعْوَاكَ، كَمَا وَلِيَ خَلْقَ آدَمَ سَوَاء، وأكده كَمَا أكده، وَلو كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلْتَ لَحَاجَّ إِبْلِيسُ رَبَّهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا حَاجَّهُ فِي أَنْ قَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[ص:٧٦]).

إبليس كان سيقول: كما وليت خلقه وليت خلق هذا الأبعد.

(وَكَمَا قَالَ: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٣٣]، فَيَقُول: خلقتني أَيْضًا يارب بِيَدَيْكَ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا خَلَقْتَ بِهِ آدَمَ، أَيْ: وُلِّيت خَلْقِي، فأَكَّدْتَهُ فِي دَعْوَاكَ، وَلَكِنْ كَانَ الْكَافِرُ الرَّجِيمُ أَجْوَدَ مَعْرِفَةً بِيَدَيِ اللهِ مِنْكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، بَلْ عَلِمَ عَدُوُّ اللهِ تَعَالَىٰ إِبْلِيسُ أَنْ لَوِ احْتَجَّ بِهَا عَلَىٰ اللهِ كَذبهُ.

قال: وَأَمَّا دَعْوَاكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤] فَزَعَمْتَ تَفْسِيرَهُمَا عندك: رِزْقَاهُ، رِزْقٌ مُوَسَّعٌ وَرِزْقٌ مَقْتُورٌ، وَرِزْقٌ حَلَالٌ وَرِزْقٌ حرَام).

يعني ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ يعني رزقاه.

قال: (فَقَوله: ﴿يَدَاهُ﴾ عِنْدَكَ رِزْقَاهُ، فَقَدْ خَرَجْتَ بِهَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ حَدِّ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا، أو من حَدِّ مَا يَفْقَهُهُ الْفُقَهَاءُ، وَمِنْ جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَمِمَّنْ تَلَقَّفْتَهُ؟ وَعَمَّنْ رَوَيْتَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ؟ فَإِنَّكَ جِئْتَ بمحال، لَا يعقله أعجمي وَلَا عَرَبِيٌّ، وَلَا نَعْلَمُ

أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ سَبَقَكَ إِلَىٰ هَذَا التَّفْسِيرِ).

دخل أبو صفوان الحمام وفيه رجل مع ابنه فأراد أن يَعرِف خالدٌ ما عنده من البيان.

فقال: يا بني ابدأ بيداك ورجلاك! ثم التفت إلىٰ خالد فقال:

يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله.

فقال: هذا كلام لم يخلق الله له أهلا قط.! الشاهد: إن هذا أراد أن يُبين أنه من أهل اللغة العربية فقال: ابدأ برجلاك، والصحيح في لغة العرب: ابدأ برجليك، وأراد أن يمدح نفسه، فقال له: هذا الكلام لم يخلق الله له أهلًا أصلًا، يعني كلام لا يُقبَل مطلقًا، فالمريسي هاهنا كذلك جاء بكلام لم يقل به أحد من أهل العربية مطلقًا، إذ ادعىٰ أن "يداه" أي رزقاه، وحكاية هذا تكفي في رده.

قال: (فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي تَفْسِيرِكَ هَذَا فأثرُهُ عنْ صَاحِبِ عِلْمٍ أَوْ صَاحِبِ عَرَبِيَّةٍ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مَعَ كُفْرِكَ بِهِمَا مِنَ الْمُدَلِّسِينَ، وَإِنْ كَانَ تَفْسِيرُهُمَا عِنْدَكَ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ كَذِبٌ مُحَالٌ، فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا؛ لِأَنَّكَ ادَّعَيْتَ أَنَّ لِلَّهِ رِزْقًا مُوَسَّعًا، وَرِزْقًا مُقَتَّرًا، ثُمَّ قُلْتَ: إِنَّ رِزْقَيْهِ جَمِيعًا مَبْسُوطَانِ، فَكَيْفَ يَكُونَانِ مَبْسُوطَيْنِ، وَالْمَقْتُورُ أَبَدًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ غَيْرُ مَبْسُوطٍ؟).

فكيف قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]؟

(وَكَيْفَ قَالَ اللهُ: إن كلتيهما مبسوطتان وَأنت تزعم أن إِحْدَيهُمَا مَقْتُورَةٌ؟ فَهَذَا أَوَّلُ كَذِبكَ وجهالتك بالتفسير، وَقد كفانا الله ورسوله مُؤْنَةَ تَفْسِيرِكَ هَذَا بِالنَّاطِقِ مِنْ كِتَابِهِ وَبِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّىَٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فَأَمَّا النَّاطِقُ مِنْ كِتَابِهِ فَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، **وَقَوْلُهُ:**

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وَقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران:٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ﴾ [الحديد:٢٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:١]، فَهَلْ يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَأَوَّلَ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ رِزْقَاهُ، فَتَقُولَ بِرِزْقِهِ الْخَيْرُ، وبرزقة الْفضل، وبرزقة الْمُلْكُ، وَلَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ رِزْقِ الله وَرَسُوله؟!

ثم قال: وَأَمَّا الْمَأْثُورُ).

وهذا ما نبدأ به إن شاء الله في الدرس القادم، وهو حديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء فيه ذكر اليدين.

شبهة ورود اليد مفردة ومثناة وجمعا

لكن بقيت شبهة كذلك يُثيرها أهل البدع والمعطلة، ضمن هذه الآيات التي ذكرناها وهي قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فأثبت يدين، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾، فأثبت يدين، وقال: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فأثبت يدًا واحدة، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[يس:٧١]، فهل هي يد واحدة، أم أيادٍ كثيرة، أم يدان؟ وهذا يدل علىٰ أنها ليست يدًا حقيقية، هكذا قالوا، هل هناك تعارض بين هذه الآيات؟ ليس هناك تعارض كما بيَّن أئمتنا، وذلك أن اليد إذا جاءت في بعض النصوص بصيغة الجمع، كما قال: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، فالمراد هاهنا: التعظيم.

ودليل ذلك: مبدأ الآية، قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا﴾، قال: ﴿أَنَّا﴾، يعني نحن، وقال: ﴿خَلَقْنَا﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ أراد هاهنا التعظيم.

وأما إذا جاءت مفردة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، وقال: ﴿بِيَدِكَ

﴿الْخَيْرُ﴾، فقال: ﴿بِيَدِهِ﴾، فهي هاهنا مفرد مضاف، والمفرد المضاف يعم، فيدخل تحته الواحد والاثنان وأكثر من ذلك.

وأما إذا جاء النص علىٰ اليدين فهذا مما لا يحتمل التأويل، فلا يقال: إنه أُريد به التعظيم، ولا يقال: إنه أريد به العموم، فالنص جاء علىٰ إثبات اليدين، لأن التثنية من ألفاظ العدد، وألفاظ العدد خاصة لا تحتمل التأويل.

إذن لو أشكل علينا بالجمع نقول: أراد التعظيم، وبالمفرد نقول: مفرد مضاف فيعم، فيدخل فيه الاثنين، ثم نقول: جاء النص علىٰ الاثنين، قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فدل ذلك علىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له يدان.

والنصوص ستأتي كثيرة جدًا في إثبات اليدين، «وكلتا يديه يمين»، كما جاء عن النبي الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما المأثور من قول رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين»**.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**)**.

أي: بهذا الحديث.

قال: (فَتَفْسِيرُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي تَأْوِيلِكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: أَنَّهُمْ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ رِزْقَيِ الرَّحْمَنِ، وَكِلتا رِزْقَيْهِ يَمِينٌ!)**.

لأنه سبق أن نقل علىٰ لسان المُعارض الذي يحكي كلام المريسي أنه فسر اليدين بالرزق، وفسر اليدين كذلك بالنعمة، وبالقدرة.

فتفسير قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعنىٰ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ هذا التفسير بل

التحريف الباطل أنهم علىٰ منابر من نور عن رزقي الرحمن، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عن يمين الرحمن»، فيكون عن رزقي الرحمن وكلتا رزقيه يمين، وهذا الكلام لا يقول به واحد من العرب، بل لم يخلق الله له أهلًا.

وهنا وصف يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باليمين، بل وصف اليدين باليمين، فقال: «عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين».

ووصْف يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنها يمين ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، فهنا في هذه الآية قال: ﴿وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

وأما سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكثيرة جدًا، ومنها هذه الأحاديث التي سيُوردها الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

لكن هل تُوصَف الأخرىٰ بالشمال؟ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ له يدان، كما جاء في الأحاديث، والإجماع منقول علىٰ ذلك، لكن الأحاديث وردت بذكر اليمين، فهل تُوصَف اليد الأخرىٰ بالشمال؟ هذا مما اختلف فيه أهل السنة والجماعة، فمنهم من قال: إنه إن كانت إحدىٰ يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يمينًا فالأخرىٰ شمالًا، لأنه ورد في بعض الروايات: «واليد الأخرىٰ»، فاليد التي تُقابل اليمين هي الشمال.

ومن قال بذلك: الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وأبو يعلىٰ الفراء من الحنابلة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ صرح في آخر باب من أبواب التوحيد أن اليد الأخرىٰ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تُوصَف بأنها شمال، وصديق حسن خان، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد الله الغُنيمان، وغير هؤلاء قالوا: لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يدان: يد يمين وأخرىٰ شمال.

وحُجتهم في ذلك: ما جاء عند مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا يعني من قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين بشماله، ثم يقول**» الحديث، فقال في الحديث: «**بيده اليمنىٰ**» وقال: «**بشماله**».

وكذلك ما جاء عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمين فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرىٰ فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للتي في يمينه: إلىٰ الجنة ولا أبالي، وقال للتي في يساره: إلىٰ النار ولا أبالي**»، فقابل اليمين باليسار، وهذا رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، وكذلك البزار في مسنده، وقال: إسناده حسن.

هل توصف اليد الأخرىٰ بالشمال

وكذلك قالوا: لما كانت إحدىٰ اليدين تُوصَف بأنها يمين فمقابل اليمين هو الشمال، وهي التي عُبِّر عنها في بعض الأحاديث: «**وبيده الأخرىٰ**».

وأما الفريق الثاني: وهو الذي قال بأن كلتا يدي الرحمن تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يمين لا شمال ولا يسار فيهما: فمنهم الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد، والإمام أحمد، والبيهقي، والألباني، والله أعلم أغلب أهل الحديث علىٰ ذلك؛ لأن الذي سيتكلم في إثبات الشمال من عدمها سينظر إلىٰ ثبوت هذه اللفظة، هل هذه اللفظة ثابتة في حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أم ليست بثابتة؟ والأصل في الأسماء والصفات: التوقيف، فإن ورد ما يُثبت ذلك أثبتناه، وإلا توقفنا في ذلك.

وأدلتهم كثيرة جدًا؛ لأن أكثر الأحاديث -كما قلنا- في إثبات اليمين، وفي قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين**»، فالأحاديث ستأتي معنا.

وأقوالهم كذلك موجودة في كتبهم، يعني من ذلك: قول الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "باب ذكر سُنة ثامنة تُبين وتوضح أن لخالقنا -جَلَّ وَعَلَا- يدين، كلتاهما يمين، لا يسار لخالقنا عَزَّوَجَلَّ إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجل ربنا عن أن يكون له يسار".

وكذلك قال الإمام أحمد، وكذلك الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عن التوفيق بين رواية «**بشماله**» في صحيح مسلم وبين الروايات الأخرى التي تقول: «**وكلتا يديه يمين**»، أثبت اليمين ولم يُثبت الشمال، وسنعلم لماذا لم يُثبت الشمال مع أنها وردت في صحيح مسلم.

حديث مسلم الذي رواه عن عبد الله بن عمر كما قلنا والذي فيه لفظة الشمال تفرد به أحد رواته، تفرد به عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن سالم عن ابن عمر، وعمر بن حمزة ضعيف، ضعيف والإمام مسلم لم يذكر هذا الحديث في أصوله، وإنما ذكره في الشواهد والمتابعات، يعني لم يجعل هذا الحديث أصلًا في الباب، وإنما ذكره في مراتب بعد ذلك.

ولذلك الحديث من رواية عبد الله بن عمر عند البخاري وغيره ليس فيه ذكر الشمال، فهذه اللفظة شاذة.

قال الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات قال: "ذكر الشمال فيه" -يعني في هذا الحديث- "تفرد به عمر بن حمزة، عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع، وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، ولم يذكرا فيه الشمال".

قال: "ورُوي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف ذي مرة، تفرد به فلان".

وقد صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمى كلتا يديه يمينًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما الرواية الأخرى التي جاء فيها: «**وقال للتي في يساره**» فقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

الصحيحة «وقال للذي في كتفه اليسرىٰ إلىٰ النار ولا أبالي»، قال: "فالصحيح أن الضمير يعود إلىٰ آدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا يعود إلىٰ ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ".

طيب، هؤلاء الذين نفوا أن يكون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يد شمال تُوصَف بأنها شمال، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ له يدان، لماذا نفوا ذلك؟

أولًا: لأن هذا لم يثبت، والأصل في ذلك التوقيف، كما قلنا، ولأن صفة الشمال قد تُوهم النقص، فنفوا ذلك تأدبًا مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن لو ثبت اللفظ الوارد في صحيح مسلم وفي غير مسلم "الشمال" فنُثْبت ذلك ونقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

فالصحيح: أننا لا نُثْبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يدًا بأنها شمال أو يسار؛ لأن اللفظ لم يرد ولم يثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

لكن لو أن واحدًا أثبتها وجاء بهذه الحُجج لا نقول أنه خالف في مسألة من مسائل السنة، أو أنه خالف أصلًا من أصول أهل السنة، لماذا؟ لأن الخلاف في ذلك خلاف معتبر، لأن الأصل متفق عليه، ما هو الأصل؟ أن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يدين حقيقيتين له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والذي يخالف في ذلك هم المُعطلة، أما أهل السنة فيُثْبتون ذلك.

قال: (وحَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّمْلِيُّ، حدثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَن ابْن عمر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سماواته وأراضيه بِيَدَيْهِ -وَقَبَضَ كَفَّيْهِ أَوْ قَالَ: يَدَيْهِ- فَجعل يقبضهمَا ويبسطهما ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»، وَيَمِيلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ الْمِنبَرِ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟).

قال الإمام الدارمي: (**فَيَجُوزُ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنْ تَتَأَوَّلَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّهُ يَأْخُذُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ بِرِزْقَيْهِ بموسعه، وَبِمَقْتُورِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؟ مَا أَرَاكَ إِلَّا وَسَتَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ بِالْمُحَالِ، لِتُغَالِطَ بِهَا الْجُهَّالَ، وَتُرَوِّجَ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَ**).

في هذا الحديث يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سماواته وأراضيه بِيَدَيْه**»، فأثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يدين.

قال: «**وَقَبَضَ كَفَّيْهِ**»، من الذي قبض؟ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَقَبَضَ كَفَّيْهِ -أَوْ قَالَ: يَدَيْهِ- فَجعل يقبضهمَا ويبسطهما**»، ما الذي أراده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاهنا؟ أراد أن يُبين أن هذه الصفة صفة حقيقية، لا تُؤوَّل لا بنعمة، ولا بقدرة، ولا برزق، ولا بغير ذلك؛ لأن القبض والبسط من صفات اليدين، كما سيأتي كذلك من صفات اليدين، الكف، والأنامل، والأصابع، فهذا كله يجعل الأدلة التي وردت في إثبات اليد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تجعلنا نقطع أن اليد هاهنا يد حقيقية، فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبين حقيقة الصفة لا التشبيه، يعني لم يُرد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُشبه الخالق بالمخلوق.

ومثله كذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ذكر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرأ أن الله كان سميعًا بصيرًا، فأشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ سمعه وبصره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنع هكذا، وصنع أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك هكذا، ليُبين أن السمع والبصر صفتان حقيقيتان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فكيف يُقال بعد ذلك: إن مذهب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذهب أبي الحسن الأشعري؟

بعض رؤوس الأشاعرة في زماننا هذا يُسأل: هل مذهب الصحابة مذهب الأشعري؟ فقال: نعم، ولا إشكال في ذلك، الصحابة كانوا أشاعرة! كيف والأشعري جاء بعد عصر

الصحابة؟، قال: ما فيش إشكال، هي هي كما نقول: كانت أكثر قراءة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قراءة نافع، فهل معنىٰ ذلك أن النبي أخذ القراءة من نافع؟ لا، فكذلك الصحابة، فنقول: كذبت، لأننا لو نظرنا في هذين الحديثين بالذات فلا سبيل لتأويلهما، وذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يحكي الراوي «وَقَبَضَ كَفَّيْهِ -أَو قَالَ: يَدَيْهِ- فَجعل يقبضهمَا ويبسطهما»، فهذه يد حقيقية، ولا يقول الأشعرية بذلك، بل هذا الفعل عندهم عين التجسيم.

أراد هذا المسئول المتأخرين من الأشعرية، كالجُويني ومن جاء بعده من متأخري الأشاعرة الذين يُؤولون ويُحرفون كل هذه الصفات، ولم يرد أبا الحسن نفسه، لأن أبا الحسن كان آخر أمره إثبات الصفات الخبرية لا الفعلية.

فإذًا نرد علىٰ مثل هؤلاء بهذه الأحاديث، هذا الحديث حديث عبد الله بن عمر، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار وقال: «وَقَبَضَ كَفَّيْهِ -أَو قَالَ: يَدَيْهِ- فَجعل يقبضهمَا ويبسطهما»، ثم قال: «وَيَمِيلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ»، وكذلك حديث أبي هريرة.

قال: **(ومَا أَرَاكَ إِلَّا وَستَعْلَمُ أَنَّكَ تَتكَلَّمُ بِالْمُحَالِ، لِتُغَالط بِهَا الْجُهَّالَ، وَتُرَوِّجَ عَلَيْهِم الضَّلَالَ).**

قال: **وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»).**

هل معنىٰ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»: والذي نفسي بقدرته؟ والذي نفسي برزقه؟ بنعمته؟ ليس معناه ذلك، علىٰ خلاف ما يقوله المعتزلة والأشعرية.

قال: **(«وَنَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ، لَا تدْخلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».**

قال: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثَنَا ابْن الْمُبَارك، أخبرنا يونس، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ

بْنُ الْمسيب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقْبِضُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السماوات بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يقول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟»).

هذه الأحاديث من أعظم السبل لترقيق القلوب، ولبيان عظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا كانت الأرض يوم القيامة أو إذا كانت السماوات علىٰ عِظمها يوم القيامة تُطوىٰ بيمين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه السماوات التي لا نعلم أولها من آخرها تُطوىٰ بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكذلك الأراضون تُطوَىٰ بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ فعِظم الخلق يدل علىٰ عِظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك تجد هؤلاء يجتهدون في تحريف الأحاديث، «**ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل إلىٰ السماء الدنيا**»، ينزل أمره، تنزل رحمته، ينزل الملك! أين أنتم من الأثر الفعلي لهذه الأحاديث؟! وهو القيام في هذا الوقت الشريف؟ يعني قال بذلك بعض من كان يقول بقول الأشاعرة وعاد إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، قال: هؤلاء يجتهدون في تحريف هذه الأحاديث وقلما تجد واحدًا منهم يُناجي ربه في تلك الساعة، وهذه نتيجة طبيعية جدًا، لماذا يقوم ويُناجي وهو لا يُثبت ربًا ينزل إلىٰ السماء الدنيا! فينام حتىٰ يُصبح، وأما أهل السنة والجماعة لما كانوا يُثبتون مثل هذه الأحاديث فإنهم يتحيَّنون مثل هذه الأوقات، حتىٰ يدعوا فيها ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (أَفَيَجُوزُ أَنْ يقول: يَطْوِيَ اللهُ السَّمَاءَ بِأَحَدِ رِزْقَيْهِ؟ فَأَيُّهُمَا الْمُوَسَّعُ عِنْدَكَ مِنَ الْمَقْتُورِ؟ وَأَيُّهُمَا الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ؟ لِأَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»).

والأصل في لغة العرب: أن اليد إذا أُطلقت فالذي تعرفه العرب من لسانها: اليد الحقيقية، اليد إذا أُطلقت بلا قرينة فالذي تعرفه العرب من لسانها: أن هذه هي اليد الحقيقية، الصفة الذاتية للموصوف، فلا يُنتقَل عنها إلا بقرينة.

يعني لما أقول: لفلان عليَّ يد، معناها له فضل ونعمة، لكن هذا لا ينفي إثبات اليد، لأنه لا يُقال مثل ذلك إلا فيمن عنده يد حقيقية، فلا يصح أن أقول:

للجدار عليَّ يد، هذا لا يقال إلا فيمن كان عنده يد حقيقية، فهنا قرينة تجعلنا نقول: إن المقصود باليد هاهنا: النعمة، لكن إذا انتفت هذه القرينة فالأصل: إثبات اليد التي هي صفة ذاتية للموصوف.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّاد بن سَلمَة، أخبرنا مُحَمَّد بن عَمْرو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقِيَ آدَمَ مُوسَىٰ»).

"موسىٰ" فاعل، لقي آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(«فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي خلقك الله بِيَدِهِ» الحديث).

وهذا الحديث رواه الشيخان، وعقد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد قال: باب قول الله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، وذكر الحديث.

فقال: «فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي خلقك الله بِيَدِهِ» موسىٰ لما قابل آدم -عليهما الصلاة والسلام- كل منهما ذكر ما شرفه الله به، يعني أنت الذي خلقك الله بيده، وأسجد لك، ونفخ فيك من روحه، هذا الذي قاله موسىٰ لآدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مواضع التشريف.

فالمصنف هاهنا يريد أن يقول: لو لم يكن خلق آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما كان ذكره يصلح في موضع التشريف، لأن سجود الملائكة لآدم هذا تشريف، ونفخ الروح في آدم هذا تشريف، وكذلك خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا تشريف واختصاص.

كيف رد عليه آدم؟ «**أنت الذي كلمك الله وكتب لك التوراة بيده**»، فذكر كذلك مواضع التشريف والاختصاص.

فالشاهد: أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهذه عقيدة جميع الأنبياء، وليس موسىٰ وحده، يعلمون ويقرون ويعتقدون أن آدم مخلوق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من تراب، طبعًا هذا في حق المسلم، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧]، يعني الذي يسمع هذه الأحاديث يقطع أن هذا نقض لعقيدة التطور عند الجهمية المعاصرة، الذين يقولون: هم والقردة من سلف مشترك common ancestor كما يتشدقون، وإن آدم ليس أول البشر!!

متىٰ كان لُقيا آدم بموسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ ليس هناك خبر صحيح يُثبت ذلك ويقطع به.

لكن قالوا: ربما كان ذلك في زمان موسىٰ، الحافظ بن حجر ينقل هذه الأقوال، طلب موسىٰ من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُحيي آدم فأحياه له فسأل هذا السؤال، وهذا جائز.

وقالوا: ربما كان ذلك في البرزخ بعد أن قُبض موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقي آدم في البرزخ، التقت الأرواح، وبه جزم ابن عبد البر، لكن هذا كذلك ليس عليه دليل.

أو قالوا: إن ذلك سيقع في الآخرة.

لماذا عبَّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ «لقي آدم موسىٰ»؟ هذا من باب التحقق، أن هذا لا بد أن يقع، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:١]، وهذه من مُلح العلم.

لكن الشأن في ذلك: أن نُسلِّم أن آدم لقي موسىٰ أو أنه سيلقاه طالما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بذلك.

قال: (أَفَيَجُوزُ).

في هذا الحديث الذي مضىٰ.

(أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنْ تَتَأَوَّلَ قَوْلَ مُوسَىٰ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِه بِأَحَدِ رِزْقَيْهِ بِحَلَالِهِ أَمْ حَرَامِهِ؟).

هذا لا يجوز لا في اللغة ولا الشرع.

قال: (حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيُّ، وَأَبُو عَمْرو بْنُ الْحَوْضِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بن مرّة، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَار، وبيسط يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تطلع الشمسس مِنْ مَغْرِبِهَا»، أَفَيَجُوزُ أَنْ يقال: يَبْسُطَ حَلَالَهُ بِاللَّيْلِ وَحَرَامَهُ بِالنَّهَارِ).

لأنه قال: رزقيه، والرزق حلال وحرام، وهذا يبين لنا جهل المبتدعة بلغة العرب، فالمبتدع أحد رجلين: إما أنه جاهل بلغة العرب، أو عالم بلغة العرب لكنه يُوظفها في نصرة بدعته، كما كان يصنع الزمخشري وغفر الله له-.

قال: (يَبْسُطَ حَلَالَهُ بِاللَّيْلِ وَحَرَامَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ الْمُسِيئَانِ؟).

وممن وقع كذلك في تحريف هذا الحديث الشيخ شعيب الأرناؤوط أحد أئمة التحقيق في الشام رَحِمَهُ اللهُ لكن هذا قبل أن يرجع إلىٰ عقيدة السلف قبل مماته، فإنه تبرأ مما كان منه قبل ذلك، مما سطره في كتبه مما يُخالف عقيدة السلف في الأسماء والصفات.

علَّق الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللهُ علىٰ رياض الصالحين بقوله: "يقبل التوبة من التائبين ليلا ونهارا"، أي إن الله يبسط يده يعني يقبل التوبة، ففسر الصفة بأثرها، كما يصنع المعتزلة والأشاعرة «إن الله قد غضب اليوم غضبًا» يعني أراد الانتقام، فيفسرون الغضب بإرادة الانتقام، والفرح بإرادة الإثابة، الرضا بإرادة الإثابة، فهذا صرف للصفة عن حقيقتها.

قال: (حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا عَنْبَسَةُ بن سعيد، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٦٧]، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ»).

وهذا حديث صحيح.

قال: (**أَفَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا رِزْقُ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِرِزْقِهِ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَمُوَسَّعِهِ وَمُقَتَّرِهِ؟ لَقَدْ عَلِمَ الْخَلْقُ إِلَّا مَنْ جَهِلَ اسْتِحَالَةَ هَذَا التَّأْوِيلِ، فَلَوْ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ مُعَانَدَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُخَالَفَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ احْتَجَجْتَ بِكَلَامٍ أَسْتَرَ عَوْرَةً**).

لو أراد أحد أن يُعاند الله ورسوله وأن يُخالف فلا أقل من يأتي بكلام مقبول ليروج علىٰ الناس، وليس هذا الكلام الذي لا يقبله أي أحد.

قال: (**لو احْتَجَجْتَ بِكَلَامٍ أَسْتَرَ عَوْرَةً، وَأَقَلَّ اسْتِحَالَةً مِنْ هَذَا، كَانَ أَنْجَعَ لَكَ فِي قُلُوبِ الْجُهَّالِ**).

يُقال: نجع الطعام ينجَع وينجِع نجوعًا أي: هنأ آكله، ونجع في الدابة العلف، أي: بخل، يعني كان هذا أولىٰ بالقبول.

قال: (**مِنْ أَنْ تَأْتِيَ بِشَيْءٍ لَا يَشُكُّ عَاقِلٌ وَلَا جَاهِلٌ فِي بُطُولِهِ**).

يعني بُطلانه.

(**وَاسْتِحَالَتِهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بن صَالح، حَدثنا اللَّيْث، حَدَّثَنِي ابْنُ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**).

وهذا حديث صحيح.

والوارد في الصحيح: «**إِنَّ اللهَ حِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»، فالرواية الصحيحة التي هي أعلىٰ إسنادًا وأصح من هذا الإسناد ليست فيها إثبات اليد.

وهذا الحديث فيه تفاضل صفات الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالله عَزَّوَجَلَّ صفاته ليست علىٰ درجة واحدة، فهي تتفاضل، ولذلك قال: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

ومن تفاضل صفاته: تفاضل كلامه، فسورة الإخلاص ليست كسورة ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾[المسد:١] في المعاني التي تحملها، ليست كآية الدين، وقد سبق بيان ذلك.

قال: (فَهَلْ مِنْ بَيَانٍ أَشْفَىٰ مِنْ هَذَا أَنَّهُ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي؟ أَفَيَجُوزُ لِهَذَا الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقُولَ: كَتَبَ بِرِزْقِهِ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ علىٰ نفسه؟

قال: وَفِي هَذَا الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، تَرَكْنَاهَا مَخَافَةَ التَّطْوِيلِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ بَيَانٌ بَيِّنٌ وَدِلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي تَثْبِيتِ يَدَيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُمَا عَلَىٰ خِلَافِ مَا تَأَوَّلَهُ هَذَا الْمَرِيسِيُّ الضَّالُّ الَّذِي خَرَجَ بِتَأْوِيلِهِ هَذَا مِنْ جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَرَبِ والعجم، فليعرض هَذِهِ الأثار رجل علىٰ عقله، فَهَل يجوز لعربي أَو عجمي أَنْ يَتَأَوَّلَ أَنَّهَا أَرْزَاقُهُ، وَحَلَالُهُ، وَحَرَامُهُ؟ وَمَا أَحْسَبُ هَذَا الْمَرِيسِيَّ إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهَا تَأْوِيلُ ضَلَالٍ، وَدَعْوَىٰ مُحَالٍ، غَيْرَ أَنَّهُ مُكَذِّبٌ الْأَصْلَ متطلف لِتَكْذِيبِهِ بِمُحَالِ التَّأْوِيلِ كَيْلَا يَفْطِنَ لِتَكْذِيبِهِ أَهْلُ الْجَهْلِ).

وهذا حال بعض أهل البدع، يعلم يقينًا أنه علىٰ ضلال، لكنه يُزيِّن ضلاله لنفسه ولغيره، وصدق الله: ﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾

قال: (وَلَئِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِي غَلَطٍ مِنْ أَمْرِهِ).

إن راج علىٰ أهل الجهل أمره، وحسبوه علىٰ شيء من الدين والعلم، ككثير من العوام، الذين يتبعون المبتدعة ويحسبونهم أنهم علىٰ شيء من العلم، هذا يروج علىٰ العوام، يقولون: هو عالم، الشيخ فلان يصعد المنبر، يفعل كذا، معه شهادات كذا.

يقول: (وَلَئِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِي غَلَطٍ مِنْ أَمْرِهِ إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُ لَعَلَىٰ يَقِينٍ).

فأمره لا يروج علىٰ أهل العلم ممن خبروا حال المبتدعة وعرفوا طرقهم ومسالكهم وعرضوها علىٰ ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والمقصود بأهل العلم في هذا الباب خاصة: أهل السنة والجماعة.

(فَلَا يَظُنَّ الْمُنْسَلِخُ مِنْ دِينِ اللهِ أَنَّهُ يُغَالِطُ بِتَأْوِيلِهِ هَذَا إِلَّا مَنْ قَدْ أَضَلَّهُ اللهُ، وَجعَلَ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ غِشَاوَةً، ثُمَّ إِنَّا ما عَرَفْنَا لِآدَمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ابْنًا أَعَقَّ وَلَا أَحْسَدَ مِنْهُ).

مِن مَن؟ بشر المريسي، هذه الجُمل تُكتب بماء الذهب، حتىٰ إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سطرها في بيتين كما سيأتي.

يقول الدارمي: كلٌّ منا يبحث عن منقبة لأبيه يفتخر بها بين الناس، وبشر المريسي جعل همه الأكبر أن ينكر منقبة أبيه آدم ويجحدها!

فيقول: (إِنَّا ما عَرَفْنَا لِآدَمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ابْنًا أَعَقَّ وَلَا أَحْسَدَ مِنْه، إِذْ يَنْفِي عَنْهُ أَفْضَلَ فَضَائِلِه، وَأَشْرَفَ مَنَاقِبِه، فَيُسَوِّيهِ فِي ذَلِكَ بِأَخَسِّ خلق الله).

يعني إبليس.

(لِأَنَّهُ لَيْسَ لآدَمَ فضيلة أفضل من أن الله خلقه بِيَدِهِ من بَيْنِ خَلَائِقِهِ، فَفَضَّلَهُ بِهَا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ، أَلَا تَرَوْنَ مُوسَىٰ).

عادة أهل السنة والجماعة أنهم يذكرون أدلتهم للبرهنة علىٰ صدق كلامهم.

يقول: (أَلَا تَرَوْنَ مُوسَىٰ حِينَ الْتَقَىٰ مَعَ آدَمَ فِي الْمُحَاوَرَةِ احْتَجَّ عَلَيْهِ بِأَشْرَفِ مَنَاقِبِهِ فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ؟ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ مَخْصُوصَةً لِآدَمَ دُونَ من سواه مَا كَانَ يَخُصُّهُ بِهَا فَضِيلَةً دُونَ نَفْسِهِ، إِذْ هُوَ وَآدَمُ فِي خَلْقِ يَدَيِ اللهِ سَوَاءٌ فِي دَعْوَىٰ الْمَرِيسِيِّ).

المريسي فسَّر خلق اليد بـ كن، قدرة، فساوىٰ إبليس بأبيه آدم، مع إن إبليس نفسه قال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[الإسراء:٦٢]كرمه في الخلق وكرمه في أن جعله يسجد له، ومع ذلك المريسي ينفي هذه المنقبة.

قال: (وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِآدَمَ ابْنٌ أَعَقُّ مِنْهُ، إِذْ يَنْفِي عَنْهُ مَا فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ).

قلت: ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية، قال:

ولـــد عقــــوق عــــق والــــده ولــم يُثبــت بــذا فضــلًا علــىٰ

يقصد المريسي.

فكلاهمــا تــأثير قدرتــه وتــأثير المشـــيئة لـــيس ثـــم يـــدان

"فكلاهما" يعني آدم وإبليس، وهذا علىٰ قول المريسي.

قال: (وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ: حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرو بن الْعَاصِ).

والصحيح والذي عليه جمهور المحدثين أن يقال: عبد الله بن عمرو بن العاصي، بإثبات الياء وليس ابن العاص، كما ذكر ذلك شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي عن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حدثني اللَّيْث، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: "لَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، مِنَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَمِنَّا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنَّا الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ اللهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، لَا نسأم وَلَا نفتر، خلقت بني آدَمَ، فَجَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ، فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادوا فاجتهدوا

الْمَسْأَلَة، فَقَالُوا مثل ذَلِك، فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة بِمثل ذَلِكَ، فَقَالَ: لَنْ أَجْعَلَ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلت لَهُ: كن فَكَانَ).

وهذا الأثر موقوف علىٰ عبد الله بن عمر، وهو مختلف فيه، في قبوله ورده، فمن أهل العلم من أثبته، وأقوىٰ إسناد له هذا الإسناد، إسناد الدارمي، كما ذكر ذلك الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصححه في تخريجه علىٰ الطحاوية.

وكذلك ابن كثير قبله، ذكر أن هذا الإسناد إسناد صحيح، لكن ضعَّفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فحتىٰ وإن صح فالراجح أنه من الإسرائيليات، فهذا مما لا يُقال بالرأي.

والمعروف عن عبد الله بن عمرو أنه ممن أكثر الأخذ عن بني إسرائيل، لما وجد زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحدِّث مما فيهما، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، لا تُصدقوهم ولا تُكذبوهم، طالما أن ما جاء عنهم لا يُخالف ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل الملائكة يفضلون البشر أم لا؟ مسألة سلفية أثرية

وهذه المسألة التي وردت في هذا الأثر وهي التفاضل بين جنس البشر وجنس الملائكة أيهما أفضل؟ يعني هل الملائكة يفضلون البشر أم أن البشر يفضلون الملائكة؟

هذه المسألة ذكرها الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، فذكر أن هذه المسألة أكثر ما توجد في كتب المتكلمين، يعني هذه المسألة يذكرها المتكلمون في كتبهم.

ولذلك أمسك عنها شيخ الإسلام ابن تيمية مدة؛ لأنه ظن أنها من المسائل المُحدَثة، يعني التي لم يتكلم بها السلف.

ثم قال بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**مجموع الفتاوىٰ**) قال: "حتىٰ رأيتها أثرية سلفية صحابية"،

يعني وقف علىٰ ما يُبين أن هذه المسألة الكلام فيها قديم تكلم بها أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: "فانبعثت الهمة إلىٰ تحقيق القول فيها، فقلنا حينئذ بما قاله السلف، وذكر أقوال السلف من الصحابة وغيرهم في ذلك"، ذكر آثارًا عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل وغيره من الصحابة.

وأول الخلاف الذي كان في هذه المسألة: خلاف دار في مجلس عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُاللَّهُ.

قال: "ما أحد أكرم علىٰ الله من كريم بن آدم"، هذا الذي قاله عمر بن عبد العزيز.

"واستدل بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة:٧]، ووافقه علىٰ ذلك أمية بن عمرو بن سعيد وكان حاضرًا عنده -ابن سعيد بن العاص- فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم علىٰ الله من ملائكته، هم خدم داريه -يعني الدنيا والآخرة- وهم رسله إلىٰ أنبيائه، واستدل بقول الله تعالىٰ: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[الأعراف:٢٠]، فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد كرم الله آدم فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وجعل من ذريته الأنبياء والرسل، ومن يزوره الملائكة"، يعني جعل من الأنبياء والرسل من يزوره الملائكة.

قال: "فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم، واستدل بغير دليله، ثم تناقشوا في هذه المسألة".

فهذه المسألة قديمة من أيام أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولذلك بسط القول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُاللَّهُ وذكر ثلاث عشرة دليلًا في

تفضيل بني آدم علىٰ الملائكة، إما باعتبار أصل الخِلقة، فالملائكة خُلقوا بـ كن، وأما أصل البشر وأبوهم آدم فخُلق بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإما باعتبار النهايات، لماذا؟ لأن الملائكة ستكون خدمًا لبني آدم في الجنة.

وبعضهم فرَّق بين حال الدنيا وحال الآخرة، فحال الدنيا الملائكة أفضل، لماذا؟ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، والإنسان يعصي، صحيح؟ لأنهم في الملأ الأعلىٰ، أشرف ملأ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلاف أهل الدنيا، وأما في الآخرة فمن البشر من يكونون علىٰ يمين الرحمن، علىٰ منابر من نور في الفردوس الأعلىٰ، يخدمهم الولدان المخلدون، تخدمهم الملائكة.

لكن هل يترتب علىٰ هذه المسألة ثمرة وأصل من الأصول؟ لا يترتب عليها أصل من الأصول، لكن يستدلوا بها في الرد علىٰ الملاحدة؛ لأن الملاحدة لما قيل لهم: إن الكتب السماوية تقول: إن آدم هو أول البشر، وإن الله عَزَّوَجَلَّ سخر ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه لكي يستطيع بنو آدم أن يعبدوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالملاحدة شغلهم الشاغل أن يُثبتوا أن البشر كغيرهم من المخلوقات، ليس لهم فضل علىٰ غيرهم، بل يقولون: هم أخس المخلوقات، يعني تخيل إنسان يقول عن نفسه هذا الكلام، يُحاول أن يُثبت أنه من نسل القرود، وأنه من أخس المخلوقات.

بل بعضهم صرح بأن الحشرات أوفر حظًا من بني آدم، يقولون: أنت تقول إن ربنا خلق السماوات والأرض وبسطها من أجل أن يستعمرها الإنسان ويعبد ربه، مع أن الحشرات تعيش بأماكن عدة علىٰ الأرض أضعاف أضعاف ما يعيش فيه الإنسان وتنتفع بالكون أكثر منك، فهي أسعد حظا من الإنسان، فكيف يقال بعد ذلك: الإنسان أفضل المخلوقات؟ أهم حاجة إنه يثبت الواحد من هؤلاء الملاحدة خسة أصله وأنه ليس كريمًا، نسأل الله السلامة والعافية.

فهذا يُستدل به كذلك في الرد علىٰ هؤلاء، يأبون إلا الخِسة، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: (أَوَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ كَيْفَ ميز بَين آدم فِي خلقته بِيَدَي اللهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَلْقِ؟ وَلَوْ كَانَ تَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا ادَّعَيْتَ لَاحْتَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ رَبهَا إِذ احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِيَدَيْهِ فِي آدَمَ، أَنْ يَقُولُوا: يَا رَبَّنَا، نَحْنُ وَآدَمُ فِي مَعْنَىٰ خَلْقِهِ بِيَدَيْك سَوَاءٌ).

المعنىٰ هاهنا: كن، فخُلقنا بـ كن كما خُلق آدم.

قال: (وَلَكِنْ عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ مَا عَمِيَ عَنْهُ الضَّالُّ الْمَرِيسِيُّ، وَاللهِ مَا رَضِيَ اللهُ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ حَتَّىٰ أَثْبَتَ لَهُمْ بِذَلِك عِنْدَهُ مَنْقَبَةَ آدَمَ، إِذْ خَلَقَ أَبَاهُمْ بِيَدِهِ خُصُوصًا مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ، حَتَّىٰ احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَفَضَّلَ وَلَدَهُ بِذَلِك عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ آدَمُ نَفْسه؟

لَقَدْ حَسَدْتَ أَبَاكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، كَمَا حَسَدَهُ إِبْلِيسُ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف:١٢]، وَأَيُّ عُقُوقٍ لِآدَمَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَقُولَ اللهُ: خَلَقْتُ أَبَاكَ آدَمَ بِيَدَيَّ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْخَلَائِقِ فتقول: لَا، وَلَكِنْ خَلَقْتَهُ بِإِرَادَتِكَ دون يديك، كَمَا خَلَقْتَ الْقِرَدَةَ، والخنازير، وَالْكلاب، والخنافس، العقارب، سَوَاء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِمَّا يَزِيدُكَ بَيَانًا لِاسْتِحَالَةِ دَعْوَاكَ: قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ: "خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ".

حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حدثنَا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ -وَهُوَ الْمُكْتِبُ- حدثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: "خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كن فَكَانَ").

وهذا الأثر أثر صحيح ثابت عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو مما لا يُقال بالرأي، فله حكم الرفع، خاصةً أن عبد الله بن عمر لم يُعرَف بأخذه عن بني إسرائيل، فلو كان هذا الصحابي معروفًا بالأخذ عن بني إسرائيل لقلنا: هذا مما أخذه عن بني إسرائيل، فلا يُصدَّق



ولا يُكذَّب، لكن عبد الله بن عمر ليس كذلك.

فقال في هذا الأثر: "خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: الْعَرْشَ"، وهو سرير الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي استوى عليه، وذكر ذلك في آيات سبعة في كتابه.

"وَالْقَلَمُ": الذي كتب به المقادير، فإنه لما خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «**قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، فجرى القلم بما قدره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

"وَعَدْنٌ": هي الجنة التي غرسها الله عَزَّوَجَلَّ بيده، لأعلى الناس منزلة في الجنة، كما سيأتي في حديث مسلم.

"وَآدَمُ " عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أبو الأنبياء وأبو البشر، والذي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الكرامة له في كتابه.

"ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كن فَكَانَ"، فسائر الخلق خلقها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: كن، ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[يس:٨٢]، فيكون أمره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كن، أي: بعد الكاف والنون، وليس بين الكاف والنون كما هو دارج على ألسنة العامة، يقولون: يا من أمره بين الكاف والنون، وهذا خطأ، إنما أمره يقع بعد الكاف والنون، أي بعد قوله: كن.

قال: (أَفَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ كَيْفَ مَيَّزَ ابْنُ عُمَرَ وَفَرَّقَ بَيْنَ آدَمَ وَسَائِرِ الْخَلْقِ فِي خَلْقِهِ بالْيَدِ؟! أَفَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنِ ابْنِ عُمَرَ تأويل الْقُرْآنِ وَقَدْ شَهِدَ التَّنْزِيلَ وَعَايَنَ التَّأْوِيلَ وَكَانَ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ غَيْرَ جهول؟!).

وهذا فيه ما فضل الله عَزَّوَجَلَّ به أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على من دونهم، أنهم شهدوا التنزيل، فكان الوحي ينزل بينهم، وعاينوا التأويل، والتأويل هو التفسير، فعاينوا تفسير النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهذه الآيات، لأن الصحيح: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فسر القرآن الكريم كاملًا، ففسره بقوله، وفعله، وإقراره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما لم يُفسره إنما تركه لعدم الحاجة

لذلك؛ لأن العرب تعرف ذلك من لسانها.

فلم يُفسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المراد بالشمس، ولا القمر، ولا الأرض، ولا السماء؛ لأن العرب تعرف حقيقة هذه الأشياء.

وأما ما جاء في كتاب ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مما يتعلق بالشرعيات فهذا فسره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]، بيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا هو المراد، وهو الشرك، من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، ففسر بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ [البقرة:٤٣]، فسرها بفعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك الحج، وهكذا سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسرت القرآن كله.

ونقل الصحابة ذلك وعاينوه، ولذلك كان فهمهم وتفسيرهم للقرآن حجة، يُقدَّم علىٰ قول من سواهم.

قال: (وَكَانَ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ غَيْرَ جهول؟!).

وسمة أهل البدع أنهم جُهَّال بلغة العرب، ولذلك تجدهم يقعون في أمور لا يقع فيها الصغير ممن يعرف اللغة العربية، وذلك لجهلهم بلغة العرب، إما أن يكون جاهلًا، وإما أن يكون قد بلغ مبلغًا عظيمًا في لغة العرب، لكنه يُوظف ذلك لخدمة بدعته.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مَيْسَرَةَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَمَسَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ ثَلَاثٍ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكتب التوارة بِيَدِهِ، وغرس جنَّة بِيَدِهِ).

وهذا أثر ضعيف؛ لأن عطاء بن السائب وإن كان ثقة إلا أنه اختلط، والراوي عنه وهو أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري سمع منه قبل الاختلاط وبعد الاختلاط، فلا يُقبَل منه ذلك، بخلاف من سمع منه قبل الاختلاط.

لكن الذي جاء في هذا الأثر ثابت في أحاديث وآثار أخرى، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ كتب التوراة لموسى بيده، وهذا ثابت في الصحيح، وكذلك ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة، فأخبره ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أدنى أهل الجنة منزلة، وهو الذي يُعطيه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كذا وكذا من الجنة ويقول له: هل رضيت؟ يقول: رضيت يا رب، رضيت يا رب، يقول: لك مثله وزيادة، أو لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فلما سمع موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذلك قال: يا رب، فما أعلاهم منزلة؟ فقال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي - وهي جنة عدن- وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا هذه المنزلة.

قال: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ، حدثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حدثَنَا سَعِيدُ بن أبي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "لَمْ يَخْلُقِ اللهُ غَيْرَ ثَلَاثٍ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، قَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ").

وهذا الإسناد عند الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح، وإن كان هذا الأثر ورد بأسانيد ضعيفة في مواضع أخرى عند عبد الرزاق في التفسير، والآجري في الشريعة، والبيهقي في البعث والنشور، وعند غير هؤلاء، لكن هذا الإسناد قال عنه المحقق: إنه إسناد صحيح.

لكن كعب الأحبار معروف بالأخذ عن أهل الكتاب، فهذا مأخوذ عن أهل الكتاب.

قال: (وَلَوْ كَانَ كَمَا ادَّعَى الْمَرِيسِيُّ لَكَانَ مَعْنَى هَذا الحديث: أَنَّ اللهَ لَمْ يَلِ خَلْقَ شَيْءٍ غير هَذِه الثَّلَاث، وهَذَا كُفْرٌ بِاللهِ).

لأن الله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦]، وهذا الأثر يقول: لم

يخلق الله بيده غير ثلاث، وعلىٰ تفسير المريسي: لم يلِ خلق شيء غير هذه الثلاث، فمن الذي خلق باقي خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! ولذلك قال: (وهَذَا كُفْرٌ باللهِ).

قال: (وَمَنْ يُحْصِي مَا فِي تَثْبِيتِ يَدِ اللهِ مِنَ الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ؟).

يعني من أراد أن يقف علىٰ الآيات والأحاديث والآثار التي وردت في صفة اليد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ربما لن يستطيع أن يقف علىٰ ذلك من كثرتها.

قال: (غَيْرَ أَنَّا أَحْبَبْنَا أَنْ نَأْتِيَ مِنْهَا بِأَلْفَاظٍ إِذَا فَكَّرَ فِيهَا الْعَاقِلُ اسْتَدَلَّ عَلَىٰ ضَلَالِ هَذَا الْجَاهِلِ).

جاء بألفاظ مختلفة، فجاء بذكر اليد، والكف، والأصابع، والأنامل، والقبض، والبسط، فهذه الأوصاف لا تكون إلا في اليد الحقيقية.

قال: (حَدَّثنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، أخبرنا حَمَّادُ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بن زيد عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧]، قَالَ: "كُلهنَّ بِيَمِينِهِ").

قال: (وَحدثنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حدثنَا إِسْرَائِيلُ، عَن أَبي يحيىٰ، عَن مُجَاهِد، قَال: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧]، وَكِلْتَا يَدَيِ الرَّحْمَنِ يَمِينٌ، قَالَ: فَأَيْنَ النَّاس يؤمئذ؟ قَالَ: عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ).

بعض الأسانيد الضعيفة، لكن المتن قد ورد من طرق صحيحة ولا نكارة فيه، فوصف كلتا يدي ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنها يمين هذا ثابت في صحيح سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ فِطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ عبد الرَّحْمَن بن سابط، عَن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَكَانُوا فِي قَبْضَتِهِ، فَقَالَ لِمَنْ فِي

يَمِينِهِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِمَنْ فِي الْأُخْرَىٰ: ادخلو النَّار وَلَا أُبَالِي، فَذهبت إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة").

"فَذهبت إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة" أي: فرغ الله من قضائه، هؤلاء إلىٰ الجنة بسلام، وهؤلاء إلىٰ النار ولا أبالي، وهذا إسناده ضعيف، لكن معناه صحيح، وثابت في أحاديث كثيرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأحاديث التي تُزيل الإشكال في هذا الحديث: حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار ببقيع الغرقد، فجلسوا حول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما منكم أحد إلا وقد عُلم مقعده في الجنة ومقعده في النار**»، فهؤلاء إلىٰ الجنة وهؤلاء إلىٰ النار، فقال الصحابة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفلا نتكل؟ أي ما قضاء الله وسابق علمه في الخلق؟.

وفي رواية: قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ففيمَ العمل يا رسول الله؟ يعني فيما مضىٰ أم فيما يُستأنف؟، كما جاء في بعض الروايات، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل فيما مضىٰ، يعني أنت تعمل علىٰ مقتضىٰ ما قدره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الأزل، لكن قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعملوا، فكلٌ مُيسر لما خُلق له**»، فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العمل في هذه الحياة الدنيا دليل طريق السعادة أو طريق الشقاوة.

ولذلك قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾[الليل:٥-٦]، هذا هو العمل، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٧]، والله عَزَّ وَجَلَّ حكم عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

فلا يُتصور من الحكم العدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة أن يعمل المرء طيلة حياته الأعمال الصالحة يبتغي بها وجه الله ولا يُرائي بها الناس ثم يُدخله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

بعد ذلك النار، يُيسره للعسرىٰ، هذا لا يكون، بل هذا لا يُقبَل من آحاد الخلق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

قال تعالىٰ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل:٨-١٠]، فربط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليسرىٰ والعسرىٰ بماذا؟ بالعمل، وما تركك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتكل علىٰ ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ وقضاه في الأزل؛ لأن هذا الأزل غيبٌ، لم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وتجد بعض الناس يتكل علىٰ قضاء الله وقدره في الشرعيات ولا يتكل علىٰ ذلك في الأمور الكونية، وفي أمور الحياة، فتجده مثلًا يجِدّ في العمل، وفي البحث عن الرزق، والمال، والزوجة الصالحة، والولد، وغير ذلك، ويذهب لهذا الطبيب، فإذا لم يُفلح هذا الطبيب ذهب لطبيب آخر من أجل الولد، ثم هو يحتج بالقضاء والقدر علىٰ هداية الله له، فلو قيل له: صلِ أو صم، أو زكِّ، أو افعل الخيرات، يقول: لو أراد الله ذلك لهداني.

فيكون جبريًا في الشرعيات، قدريًا في المعاصي والأمور الدنيوية، وهذا لا يجوز، «لكن اعملوا فكلٌ مُيسر لما خُلق له»، كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، أخبرنا خَالِدٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ العَبْدَ إِذا تَصَدَّقَ بِالتَّمْرَةِ»).**

والمرء يتصدق بأعلىٰ من ذلك، لكن أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبين أن الصدقة وإن كانت قليلة جدًا إلا أنها لا تضيع، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ كل شيء علىٰ العبد، يتصدق العبد اليوم وينساه، وما كان ربك نسيًا.

ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذا تَصَدَّقَ بِالتَّمْرَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ فَيَضَعُهَا فِي حَقِّهَا، فَيَقْبَلُهَا اللهُ بِيَمِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ يُرْبِيهَا».

والضمير يعود علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

«فَمَا يَبْرَحُ يُرْبِيهَا كَمَا يُربي أحد فِلُوَّهُ».

والفلو: هو المُهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحافر، ويقال له: الضبيس، صغير المهر.

فقال: يُربي ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ويُنمي هذه الصدقة التي ينساها العبد «كَمَا يُربي أحد فِلُوَّهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الجَبَلِ».

والأصل في كلام النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه محمول علىٰ ظاهره، تأتي الصدقة يوم القيامة أعظم من الجبل، وتُوضع في ميزان العبد يوم القيامة، فما أثقلَها من صدقة!

ولذلك الإنسان لا يشح بالصدقة ولو كانت قليلة.

قال: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ -يَعْنِي الْقَطَّانَ-).

الشاهد في الحديث الماضي: أنه قال: «فَيَقْبَلُهَا اللهُ بِيَمِينِه»، واليمين صفة لليد.

قال: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ -يَعْنِي الْقَطَّانَ- عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ -رَجُلًا مِنْ مُحَارِبٍ- قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ إِلَّا وَقَعَتْ فِي يَدَي اللهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدَي السَّائِلِ، وَقَرَأَ ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[التوبة:١٠٤]).

فالشاهد في هذا الأثر: أنه قال: "إِلَّا وَقَعَتْ فِي يَدَيِ اللهِ".

وثبت عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نفس هذا المعنىٰ، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إلا وقعت في كف الرحمن»، هذا ثابت في صحيح الترغيب والترهيب، «إلا وقعت في كف الرحمن»، والكف لا يكون إلا لليد الحقيقية.

قال: (وحدثنا مُحَمَّد بن كثير، حدثنَا سُفْيَان، عَن سُلَيْمَان التَّيْمِيّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَلْمَانَ أَوْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

الشك من الراوي عنهما.

(قَالَ: "إِنَّ اللهَ خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَخَرَجَ فِي يَمِينِهِ كُلُّ طَيِّبٍ، وَخَرَجَ فِي الْأُخْرَىٰ كُلُّ خَبِيثٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾[الأنعام:٩٥]، قَالَ: يُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَيخرج الْكَافِر من الْمُؤمن").

وهذا أثر صحيح، لكن هو من جراب أهل الكتاب، والله أعلم.

فيه قال سلمان الفارسي أو عبد الله بن مسعود، قال: "إِنَّ اللهَ خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا"، وهذا يُفسر لنا الألفاظ التي وردت في كتاب الله وقد يُظن منها التعارض؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر أنه خلق آدم من تراب، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[آل عمران:٥٩]، وذكر أنه خلقه من طين صلصال من حمأ مسنون، صحيح؟ فهل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلقه من تراب؟ أم خلقه من طين؟ أم خلقه من صلصال من حمأ مسنون؟ خلقه الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الأمور، لكنها كانت مراحل، ولذلك في هذا الأثر قال: "خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً"، ولو أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يخلقه بأمر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لفعل، وهو القادر علىٰ كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:٥٧]، وآدم أبو الناس، لكن أراد ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يكون خلق آدم علىٰ هذه الصورة.

قال: "ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا"، يعني أشار الصحابي الجليل.

قال: "فَخَرَجَ فِي يَمِينِهِ كُلُّ طَيِّبٍ"، يعني كل نفس مؤمنة، كما فسره في آخر الأثر.

"وَخَرَجَ فِي الْأُخْرَىٰ كُلُّ خَبِيثٍ"، يعني كل نفس كافرة.

"ثُمَّ قَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾[الأنعام:٩٥]".

قال: (حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو تَوْبَةَ، حدثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ، عن زيد بن سلام، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ قَالَ: حدثنا عَامِرُ بْنُ زَيْدٍ الْبِكَالِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السّلمِيّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، يُحْثِي بِكَفِّهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ»، فَكَبَّرَ عمر).

قال الحافظ بن كثير في هذا الحديث في تفسيره: قال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه (**صفة الجنة**): "لا أعلم لهذا الإسناد علة وهو حديث حسن بشواهده، ثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»، فهذه كرامة لأمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، يُحْثِي بِكَفِّهِ»، يحثي ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أي: يأخذ بكفه، «ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ».

وهذا لا يعلم قدره إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولذلك كبَّر عمر، لماذا؟ لأن هذا يعني أن كثيرًا من أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا منهم.

الشاهد: أنه قال: «يُحْثِي بِكَفِّهِ»، فأثبت الكف لربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأنت تلاحظ أن الصحابة كانوا يروون هذه الأحاديث يُمرونها كما جاءت، معناها علىٰ حقيقته في لغة العرب دون أن يُؤولوها أو يُفوضوها أو يُعطلوها، فكيف يقال إن مذهب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مذهب الأشعري ومن جاء بعده من أتباع الأشعري؟! هذا غاية التلبيس.

قال: (وَحَدَّثنَا الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو تَوْبَةَ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ، أَنَّهُ سَمِعَ

أَبَا سَلَّامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ، أَنَّ قيسا الْكِنْدِيّ حدث الْوَلِيد أَن أَبَا سعيد الْخَيْر الْأَنْمَارِيَّ حدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَبِّيَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، وَيَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ يُحْثِي لِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ بِكَفِّهِ»، قَالَ قَيْسٌ: فَأَخَذْتُ بِتَلَابِيبِ أبي سعيد فجذبته، فَقلت: هَذِه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِأُذُنِي، ووعاه قلبِي).

وهذا حديث حسن بشواهده كذلك.

قال: (وَهُوَ قَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِنْدِيُّ).

يعني قيسًا الكندي المذكور في الحديث.

قال: (حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ، حدثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدِ بن أبي سُوَيْدٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَاوَضَ الْحَجَرَ فَإِنَّمَا يُفَاوِضُ كَفَّ الرَّحْمَنِ»، يَعْنِي استلام الْحجر الْأسود).

هل تأول أحمد ثلاثة أحاديث؟

وهذا الحديث لا يصح، حديث مُنكَر، وهو أحد الأحاديث الثلاثة التي زعم من زعم أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب فيها إلىٰ التأويل، وهو أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب الإحياء، فإنه كان علىٰ مذهب الأشاعرة، بل كان من أئمة الأشاعرة، وادعىٰ أن الإمام أحمد قد أوَّل ثلاثة أحاديث، من هذه الأحاديث هذا الحديث.

وهذا ذكره الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح (**القواعد المُثلىٰ**) في الفصل الرابع، تحت عنوان: شبهات والجواب عنها.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أن بعض أهل التأويل أورد علىٰ أهل السنة شبهة في نصوص من

الكتاب والسنة في الصفات، وادعىٰ أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها؛ ليُلزم أهل السنة بالموافقة علىٰ التأويل أو المداهنة فيه".

وقال: "كيف تُنكرون علينا تأويل ما أوَّلناه مع ارتكابكم لمثله فيما أوَّلتوه؟".

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأمثلة التي ذكروها، فقال: "ولنُمثل بالأمثلة التالية، فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي قال: إن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، وإني أجد نفَس الرحمن من قِبل اليمن".

قال: "نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الخامس من مجموع الفتاوىٰ، وقال: هذه الحكاية كذب علىٰ أحمد".

هذا أول رد، أن هذه الحكاية كذب علىٰ الإمام أحمد.

ثم قال: "المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، قال: الجواب عنه: أنه حديث باطل"، وجاء هنا برواية "من فاوض الحجر فإنما يُفاوض كف الرحمن".

فقال: "هذا حديث باطل، لا يثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية: "هذا حديث لا يصح".

وقال ابن العربي: "هذا حديث باطل، فلا يُلتَفَت إليه".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "رُوي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسناد لا يثبت، وعلىٰ هذا فلا حاجة للخوض فيه".

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: "والمشهور يعني في هذا الأثر إنما هو عن ابن عباس، قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبَّله فكأنما صافح الله وقبَّل

يمينه".

فقال شيخ الإسلام: "ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: يمين الله في الأرض، ولم يُطلق"، يعني ما قال: الحجر الأسود يمين الله، فجعل الحجر الأسود يمين الله وكفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يقل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وإنما قيَّد، قال: يمين الله في الأرض.

قال: "وحكم اللفظ المُقيد يُخالف حكم المطلق".

ثم قال: "فمن صافحه وقبَّله فكأنما صافح الله وقبَّل يمينه"، ما قال: فمن صافحه وقبَّله صافح الله، إنما قال: "فكأنما صافح الله".

قال: "وهذا صريح في أن المُصافِح لم يُصافح يمين الله أصلًا، ولكن شُبِّه بمن يُصافح الله، فأول الحديث وآخره يُبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالىٰ، كما هو معلوم عند كل عاقل".

ثم ذكر المثال الثاني، وهو: «**قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن**»، فقال: "الجواب عن هذا الحديث: صحيح، رواه مسلم"، ثم ساق الحديث، ثم قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك**».

قال: "وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث، وقالوا: إن لله تعالىٰ أصابع حقيقية، نُثبتها له كما أثبتها له رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يلزم من كون قلوب العباد بين إصبعين لا يلزم من ذلك المماسة حتىٰ يقال: إن الحديث مُوهم للحلول، فيجب صرفه عن ظاهره، كما يقول هؤلاء".

ثم ضرب المثال، قال: "فهذا السحاب مُسخر بين السماء والأرض، وهو لا يمس السماء ولا يمس الأرض، ويقال: بدر-أراد المكان الذي حارب فيه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المشركين- بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينهما، فقلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول".

أما الأثر الثالث: "إني لأجد نَفَس الرحمن من قِبل اليمن".

قال: "هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند"، لأن هذا الحديث يُوهم إثبات النَفَس لله، غير النفْس، النفْس ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران:٢٨]، والمقصود بالنفْس الذات، لكن النَفَس هذا يُوهم إثبات النَفَس لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

"هذا الحديث رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ألا إن الإيمان يمان، والحكمة ثمانية، وأجد نفَس ربكم من قِبل اليمن»".

قال: "قال في مجمع الزوائد: رجاله صحيح غير شبيب وهو ثقة، قال: قلت: وكذا قال في التقرير عن شبيب ثقة من الثالثة، وقد روىٰ البخاري نحوه في التاريخ الكبير".

قال: "وهذا الحديث علىٰ ظاهره"، يعني هذا الحديث لا نؤوله، "لأن النَفَس فيه اسم مصدر، يقال: نفَّس يُنفِّس تنفيسًا"، هذا هو المصدر، نفَّس يُنفِّس تنفيسًا، واسم المصدر نفَسًا.

الفرق بين المصدر واسم المصدر أن اسم المصدر يُعطي نفس معنىٰ المصدر، لكنه يختلف عنه في تركيبه وصياغته.

﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، ﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدر، واسم المصدر كلامًا، والكلام هو التكليم، فيُعطي نفس المعنىٰ لكن الصياغة مختلفة.

فمعنىٰ الحديث: إني لأجد تنفيس الرحمن من قِبل اليمن، التنفيس المقصود به: التفريج، وإزالة الكرب، فليس في الحديث إثبات التنفس أو النَفَس كصفة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

لكن المصنف ذكر هذا الحديث كما قلنا وهو مُنكَر من أجل قوله: "فإنما يُفاوض كف الرحمن"، لإثبات الكف، لكن هل يثبت الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا يثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعت أَن إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ: سَمِعْت رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمِيزَانُ بِيَدَيِ الرَّحْمَنِ، يرفع أقوامًا وَيُخْفِضُ آخَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»).

«الْمِيزَانُ بِيَدَيِ الرَّحْمَنِ»، وهذا حديث صحيح، هذا فيه إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «يرفع أقوامًا وَيُخْفِضُ آخَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قال: (وَإِنَّمَا جِئْتُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ كُلِّهَا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْقَوْمَ مُخَالِفُونَ لما قَالَ الله وسوله، وَمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَجَّةِ الصَّادِقِينَ).

إذًا الحجة في الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، هذا القيد ليس بدعة، فهم سلف الأمة، لأن بعض الناس يقول: يكفينا ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الحج:٧٨]، فلا داعي لأن نقول: سلفي، ولا إخواني، ولا تبليغي، وما أراد قائل ذلك الحق، إنما أراد أن يُلبِّس علىٰ الناس، لأنك لو قلت: هو إخواني، أو تبليغي، أو جهادي أو كذا أو كذا أردت أن تُبين بدعته، وأن منهجه قائم علىٰ التحزب لهؤلاء، والتعصب لهم، يُخالف الكتاب والسنة وقول سلف الأمة، ونحن كل يوم في فتنة جديدة تكشف حال هؤلاء، فتجدهم يأتون بالكثير من المُنكرات، وينسبون ذلك إلىٰ الشرع، وما هذه الفتنة الأخيرة -فتنة ثورات الخريف العربي-عنا ببعيد، وما رأينا فيها من العجائب، وكيف طاشت فيها عقول كثير من الشباب،

نسأل الله السلامة والعافية.

حتىٰ جعل بعض الناس مَن مات فيها في منزلة الصديقين والشهداء والصالحين، بل جعله بعضهم في منزلة الأنبياء، نسأل الله السلامة والعافية.

فالميزان كما قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْقَوْمَ مُخَالِفُونَ لما قَالَ الله وسوله، وَمَا مَضَىٰ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ**).

فهذا هو القيد، قيد موافقة أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

قال: (**وَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَجَّةِ الصَّادِقِينَ**).

ففهم سلف الأمة حجة يُحتكَم إليه، لا يُحاكَم هذا المنهج أو هذا الفهم إلىٰ غيره.

قال: (**وَقَدِ ادَّعَىٰ الْمَرِيسِيُّ أَيْضًا وَأَصْحَابُهُ أَنَّ يَدَ اللهِ نِعْمَتُهُ**).

قال: (**قُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: إِذًا يَسْتَحِيلُ فِي دَعْوَاكُمْ**).

إذًا هو أوَّل اليد بالقدرة، والرزق، والنعمة، كل ذلك من أجل ألا يُثبت لله يدًا.

قال: (**قُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: إِذًا يَسْتَحِيلُ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِنِعْمَتِهِ، أم قَوْله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾**[المائدة:٦٤] **أنعمتان مِنْ أَنْعُمِهِ قَطُّ مَبْسُوطَتَانِ؟ فَإِنَّ أَنْعُمَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ، أَفَلَمْ يَبْسُطْ مِنْهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ إِلَّا ثِنْتَيْنِ، وَقبض عَنْهُم من مَا سِوَاهُمَا فِي دَعْوَاكُمْ؟ فَحِينَ رَأَيْنَا كَثْرَةَ نِعَمِ اللهِ الْمَبْسُوطَاتِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، عَلِمْنَا أَنَّهَا بِخِلَافِ مَا ادَّعَيْتُمْ، وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْعِلْمِ مِمَّنْ مَضَىٰ يَتَأَوَّلُونَهَا خِلَافَ مَا تَأَوَّلْتُمْ، وَمَحَجَّتُهُمْ أَرْضَىٰ، وَقَوْلُهُمْ أَشْفَىٰ**.

حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَن يزِيد النَّحْوِيّ،

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قَالَ: يَعْنِي الْيَدَيْنِ).

قال: (حَدثنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ الْجُمَحِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ يَدِ اللهِ أَوَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ؟ قَالَ: بل اثْنَتَانِ).

وقد سبق بيان وجه الجمع فيما ورد من الإفراد والتثنية والجمع في صفة اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قلنا: الجمع يقتضي التعظيم، ولا يُنافي الإفراد والتثنية، والإفراد جاء مُضافًا، فيشمل الواحد، والاثنين، وما زاد علىٰ ذلك، والاثنان نصٌّ في المسألة؛ لأنها من ألفاظ الأعداء، فلا يحتمل التأويل، وعلىٰ هذا قام إجماع أهل السنة والجماعة.

قال: (وَحدثنَا هدبة بن خَالِد، حدثَنَا سَلَّامُ بْنُ مِسْكِينٍ، عَنْ عَاصِمٍ الْجَحْدَرِيِّ، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥] قَالَ: بِيَدَيْهِ.

قال: فَمَنْ يَلْتَفِتُ بَعْدَ هَذَا إِلَىٰ تَأْوِيلِ هَذَا الْمَرِيسِيِّ وَيَدَعُ تَأْوِيلَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؟).

(أَرَأَيْتُمْ إِذْ تَأَوَّلْتُم أَنَّ يَدَ اللهِ نِعْمَتُهُ أَفَيَحْسُنُ أَنْ تَقُولُوا فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يطوي الله السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَنَّهُ يطويها بنعمته؟ أَمْ قَوْلُهُ: «الْمُقْسِطُونَ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ» وَكِلْتَا نِعْمَتَي الرَّحْمَنِ نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ؟ هَذَا أَقْبَحُ مُحَالٍ وَأَسْمَجُ ضَلَالٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَحِكَةٌ وَسُخْرِيَةٌ مَا سَبَقَكُمْ إِلَىٰ مِثْلِهَا أَعْجَمِيٌّ أو عربي.

أَمْ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدَيِ اللهِ قَبْلَ يَدَيِ السَّائِلِ» أَنَّهَا تَقَعُ فِي نِعْمَتَيِ اللهِ؟

أَمْ قَوْلُ أَبِي بكر الصّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَكَانُوا فِي قَبْضَتِهِ" أَيْ: نِعْمَتِهِ؟ قَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْيُمْنَىٰ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ وَقَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْأُخْرَىٰ: ادْخُلُوا النَّارَ؟!

أَمْ قَول ابْن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **"خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ: كُنْ فَكَانَ" أَفَيَجُوزُ أَنْ تَقُولُوا: خَلَقَ الله أَرْبَعَة أَشْيَاء بنعمته ورزقه ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُونُوا بِلَا نِعْمَةٍ وَلَا رِزْقٍ فَكَانُوا؟!**

قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ هَذِهِ تَفَاسِيرُ مَقْلُوبَةٌ، خَارِجَةٌ مِنْ كل مَعْقُول لَا يقبله إلا كُلُّ جَهُولٍ، فَإِذَا ادَّعَيْتَ أَنَّ الْيَدَ عُرِفَتْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّهَا نِعْمَةٌ وقوة).

وهذا صحيح، وردت اليد في كلام العرب تعني النعمة والقوة.

قال: (قُلْنَا لَكَ: أَجَلْ، وَلَسْنَا بِتَفْسِيرِهَا مِنْكَ أَجْهَلَ، غَيْرَ أَن تفسير ذَلِكَ يَسْتَبِينُ فِي سِيَاقِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ).

قواعد في فهم الشرع وكلام العرب

إذًا لا بد من النظر إلىٰ السياق، فالكلام لا يأتي إلا في تركيب، جملة تتكون من مبتدأ وخبر، وأخرىٰ من فعل وفاعل. لا تأتي الكلمة واللفظة مفردة هكذا، هذا لا يُعرَف في لغة العرب، هذا يأتي في الذهن، أما في الواقع فلا بد من مسند ومسند إليه، ولذلك لا بد من النظر إلىٰ السياق.

ولذلك أهل السنة والجماعة وضعوا بعض القواعد التي تضبط باب فهم كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فمن ذلك قالوا مثلًا: لا بد من معرفة حدود ألفاظ الشارع، والوقوف عند هذا الحد، حتىٰ لا يدخل فيه غير موضوعه، ولا يخرج منه شيء من موضوعه، يعني الشرع وردت فيه لفظة الخمر، الخمر لها حد، حد معروف في الشرع، إيه هو الخمر في الشرع، كل ما غطىٰ العقل وأسكر، اختلفت الألفاظ لكن المعنىٰ موجود، سموها شامبانيا، سموها ويسكي، سموها

كيفما سماها هؤلاء، لكن الحد معروف.

الربا حده معروف، حده يدًا بيد، مثلًا بمثل، وظهرت علة الربا الفضل والنسيئة كما بينها العلماء، يسمونها فائدة، شهادات استثمار، تجارة، سموها كما شئتم، لكن لها حد لا تخرج عنه.

ولا يدخل في هذا الحد غيره؛ لأن ممكن تجد بعض الإخوة يُسأل عن معاملة، يقول: حرام، ويظن أنها تندرج تحت حد الربا مثلًا، ولو نظر عالم مجتهد في تفاصيل هذه المعاملة لوجدها لا تدخل تحت حد الربا.

إذًا هذا الحد لا بد أن يدخل تحته موضوعه، وألا نُدخل فيه ما ليس منه، ألا نُخرج منه ما ليس منه، وألا نُدخل فيه ما ليس منه، هذه قاعدة.

القاعدة الثانية: مراعاة السياق، ومقتضىٰ الحال، والنظر في قرائن الكلام اللفظية والحالية عند تفسير ألفاظ الشارع، وضم النظير إلىٰ النظير.

مراعاة السياق الذي وردت في الكلمة، فالكلمة وردت في هذا السياق تعنىٰ النعمة، وتعني القدرة، لكنها وردت في سياق آخر لا تحتمل إلا معنىٰ اليد، فلا بد من مراعاة السياق، ومقتضىٰ الحال.

يعني لما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الجملة وهذه اللفظة ما الذي أراده النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هذا أيضًا يتعلق بسياق الكلام، والنظر في قرائن الكلام اللفظية والحالية عند تفسير الألفاظ، وضم النظير إلىٰ النظير، يعني لفظة الاستواء وردت في القرآن الكريم سبع مرات، ومع ذلك ما جاءت في لفظة "استولىٰ"، فلو كان الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء لجاء في خمسة استوىٰ وفي مرتين استولىٰ، لكن الأمر علىٰ خلاف ذلك، هذا لا أقول: يجعل ظاهر المعنىٰ الحقيقي، لكن أقول كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: هذا يجعله نصًا في المعنىٰ.

ومعنىٰ ذلك: أن آيات الصفات عندما نقول: نحملها علىٰ ظاهرها، ليس المقصود هنا المعنىٰ الراجح في مقابل المعنىٰ المرجوح، لأن ذلك يتأتىٰ لو جاءث في موضع من المواضع بمعنىٰ النعمة، أو القدرة، أو غير ذلك، لكن في كل المواضع اضطرد استعمالها بمعنىٰ اليد، بمعنىٰ السمع، بمعنىٰ البصر، صحيح؟ فصارت نصًا في المعنىٰ، لا تحتمل غيره.

القاعدة الثالثة: حمل ألفاظ الشارع -المقصود بالشارع: هذا إخبار عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾[الشورىٰ:١٣]، فنحمل ألفاظ الشارع علىٰ ما كان متعارفًا عليه زمن نزول الوحي، لا علىٰ الأعراف الحادثة بعد ذلك، فللغة عرف استعمالي وقت نزول الوحي لابد من مراعاته كما قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموافقات

فهنا قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَسْنَا بِتَفْسِيرِهَا مِنْكَ أَجْهَلَ)**.

أي: نحن نعلم أن كلمة اليد ترد في لغة العرب بمعنىٰ النعمة أو القوة، نحن نعلم ذلك، نعلم ذلك أكثر منك.

(غَيْرَ أَن تفسير ذَلِكَ يَسْتَبِينُ فِي سِيَاقِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ حَتَّىٰ لَا يَحْتَاجَ لَهُ مِثْلِكَ إِلَىٰ تَفْسِيرٍ، إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: لِفُلَانٍ عِنْدِي يَدٌ أُكَافِئُهُ عَلَيْهَا).

هذا هو السياق الذي وردت فيه كلمة "اليد".

قال: **(عَلِمَ كُلُّ عَالِمٍ بِالْكَلَامِ أَنَّ يَدَ فُلَانٍ لَيْسَتْ بِبَائِنَةٍ مِنْهُ مَوْضُوعَةً عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ)**.

(وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا النِّعْمَةُ الَّتِي يُشْكَرُ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ إِذْ قَالَ: فُلَانٌ لِي يَدٌ وَعَضُدٌ وَنَاصِرٌ).

(عَلِمْنَا أَنَّ فُلَانًا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ نَفْسَ يَدِهِ عُضْوَهُ، وَلَا عَضُدَهُ، فَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ النُّصْرَة والمعونة وَالتَّقوية، فَإِذَا قَالَ: ضَرَبَنِي فُلَانٌ بِيَدِهِ).

(وَكَتَبَ لِي بِيَدِهِ، اسْتَحَالَ أَنْ يُقَالَ: ضَرَبَنِي بنعمته، وعلم كُلُّ عَالِمٍ بِالْكَلَامِ أَنَّهَا الْيَدُ الَّتِي بِهَا يَضْرِبُ، وَبِهَا يَكْتُبُ، وَبِهَا يُعْطِي، لَا النِّعْمَة، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[ص:٤٥]، أَيْ: أُولِي الْبَصَرِ وَالْعُقُولِ بِدِينِ اللهِ).

إشكال: قال تعالىٰ ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ لماذا لم نقل إن المقصود بها هنا: الأبصار الحقيقية والأيدي الحقيقية؟ لأن كل الناس لهم أيدي وأبصار، فهذه اللفظة ليست موضعًا للتشريف والثناء، فما أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يُثبت العضو الذي هو عضو للإنسان، إنما أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقول: أولي القوة والبصر بدين الله، مع ما فيها من إثبات اليد والبصر.

(لِأَنَّ كُلَّ النَّاسِ أُولِي أَيْدِي وَأَبْصَارٍ، فلَمَا خَصَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ بِهَا عَلِمَ كُلُّ عَالِمٍ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِالْأَيْدِي الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا وَيُكْتَبُ بها، لما أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أُولُوا أَيْدِي وَأَبْصَارٍ، الَّتِي هِيَ الْجَوَارِح).

إذن: هذه قاعدة مهمة جدًا في السياق ومعرفة معنىٰ المفردة واللفظة من خلال السياق، أي من خلال التركيب التي وردت فيه.

قال الإمام: (ولَا يَجُوزُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنْ تَنْفِيَ الْيَدَ الَّتِي هِيَ الْيَدُ لَمَّا أَنَّهُ وَجَدَ فِي فَرْطِ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْيَدَ قَدْ تَكُونُ نِعْمَةً وَقُوَّةً، وَلَكِنَّ هَذَا فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ مَعْقُولٌ، فَلَمَّا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥] اسْتَحَالَ فِيهِمَا كُلُّ مَعْنًىٰ إِلَّا الْيَدَيْنِ، كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ حَكَيْنَا عَنْهُمْ.

فَلَيْسَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَيْدِي شَيْءٌ إِلَّا وذلك فِي سياق الكلام معقول، وَالشَّاهِدُ بِتَفْسِيرِهَا يَنْطِقُ فِي نَفْسِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِنْ صَرَفْتَ مِنْهُ مَعْنًىٰ مَفْهُومًا إِلَىٰ غَيْرِ مَفْهُومٍ اسْتَحَالَ، وَإِنْ صَرَفْتَ عَامًّا إِلَىٰ خَاصٍّ اسْتَحَالَ، وَإِنْ صَرَفْتَ خَاصًّا مِنْهُ إِلَىٰ عَامٍّ اسْتَحَالَ، أَوْ بَطَلَ مَعْنَاهُ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَ مِنَ الْجَهْلِ بِمَعَانِي الْكَلَامِ كُلُّ مَا لَا يُعْقَلُ مَا قُلْنَا).

بقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا أعلم من حالك أنك تعلم بعض الكلام الذي قلناه، لستَ جاهلًا تمامًا، لكن ما الذي يحمله علىٰ ذلك؟

(وَلَكِنَّكَ فِيهِ كَالْغَرِيقِ).

وهذا حال كل صاحب بدعة ؛ يبحث عن أي شبهة يتعلق بها، وهو يعلم أنها ليست بشبهة، لكنها قد تروج علىٰ بعض الجُهَّال.

قال: (**وَلَكِنَّكَ فِيهِ كَالْغَرِيقِ، تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ عُودٍ، وَقَدْ قُلْنَا: يَكْفِينَا فِي مَسِّ اللهِ آدَمَ بِيَدِهِ بِأَقَلَّ مِمَّا ذَكَرْنَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّا لَا نَسْمَعُ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلَا عَلَىٰ لِسَانِ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَن الله خلق نوحًا بِيَدِهِ، وهودًا، وصالحًا، أَو إِبْرَاهِيم، أَو إسماعيل، أَو إِسْحَاق، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَمُحَمَّدًا -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجمعين- لَكَان كَافِيًا**).

(**وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَلَىٰ مَا ادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ بِالْيَدَيْنِ تَأْكِيدَ الْخَلْقِ لَا تَأْكِيدَ الْيَدِ**).

وهذه شبهة مضت، واستدل عليها بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة:١٩٦]، فقال: هذا تأكيد الصيام، فقال هاهنا لما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ هذا تأكيد الخلق، فالشيخ رد عليه هناك وقال: هذا تأكيد للعدد، وليس تأكيد للصيام.

وكذلك قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ هذا تأكيد للصفة التي خلق الله عَزَّوَجَلَّ بها آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا تأكيد نفس الخلق.

قال: (**لَأَكَّدَ أَيْضًا فِي خَلْقِ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ، كَمَا أَكَّدَ فِي خَلْقِ آدَمَ فِي دَعْوَاكَ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَعْرِفُونَ لِآدَمَ تِلْكَ الْفَضِيلَةَ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: اذْهَبُوا بِنَا إِلَىٰ آدَمَ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**).

والله لا أدري كيف يقرأ الأشاعرة والمعتزلة هذه الأحاديث، أستاذ الحديث في كلية أصول الدين أو في كلية الشريعة، يقرأ مثل هذه الأحاديث ومع ذلك يعتقد أن الله ليس له يدان! كيف ذلك؟ لا أدري.

يقول الناس لآدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَيّ رَبك".

قال: (حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ أنس، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قال: (يأتون آدم، ثُمَّ يَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَلَا يَقُولُونَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، كَمَا قَالُوا لِآدَمَ، بَلْ يَقُولُونَ لِإِبْرَاهِيمَ: اتَّخَذَكَ اللهُ خَلِيلًا).

(وَلِمُوسَىٰ: كَلَّمَكَ اللهُ تَكْلِيمًا، وَلِعِيسَىٰ: كُنْتَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَقُولُونَ لِآدَمَ مِنْ بَيْنِهِمْ: خَلَقَكَ اللهُ تعالىٰ بِيَدِهِ، لما أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِهِمْ، كَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ من هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مَخْصُوصٌ بِمَنْقَبَتِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ دُونَ صَاحِبِهِ، فَأَيُّ ضَلَالٍ أَبْيَنُ مِنْ ضَلَالِ رَجُلٍ خَالَفَهُ فِي دَعْوَاهُ أَهْلُ الدُّنْيَا وَأَهْلُ الْآخِرَةِ؟).

استنباطات عجيبة والله! لأن هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام هؤلاء هم أهل الآخرة، وقد ذكر له الإمام الدارمي الأحاديث الكثيرة من كلام أهل الدنيا، فيريد أن يقول: هذا رجل خالفه أهل الدنيا وأهل الآخرة، ومع ذلك يُصر علىٰ هذه الضلالة التي هو عليها.

قال: (وَلَكِنْ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾[الزمر ٣٦-٣٧]، فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ عَنِ الْمَرِيسِيِّ).

أي نقل عن المريسي، فرؤوس المبتدعة يوحي إليهم شياطينهم بالبدع، وأتباعهم يقومون بترويجها بين الناس، كحال كثير منهم في هذا الزمان.

قال: (فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ عَنِ الْمَرِيسِيِّ).

(فِي إبطال أن الله خلق آدَمَ بِيَدِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩]).

فهنا قال عن آدم وعيسىٰ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، و ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

(فَقَالَ: جَعَلَهُ مِثْلَ عِيسَىٰ، وَعِيسَىٰ لَمْ يَخْلُقْهُ بِيَدِهِ).

هذه الشبهة.

قال: (فَقُلْنَا لِهَذَا الْمُحْتَجِّ: غَلِطْتَ فِي التَّأْوِيلِ، وَضَلَلْتَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عِيسَىٰ مِثْلَ آدَمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَهَذَا أَنَّهُ كَانَ بِأَمْرِ اللهِ وَكَلِمَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ).

هذا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(كَمَا أَنَّ آدَمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ، ثُمَّ هُوَ فِي سَائِرِ أَمْرِهِ مُخَالِفٌ لِآدَمَ، أَوَّلُهُ: خَلَقَ اللهُ إِيَّاهُ بِيَدَيْهِ).

هذا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعيسىٰ ليس كذلك.

(وَالثَّانِي: أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِتَمَامِهِ مِنْ طِينٍ، لَمْ يَكُنْ صَغِيرًا فَيَكْبُرَ، وَلَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ بَطْنٌ وَلَا رَحِمٌ، وَلَمْ يَرْضَعْ بِلَبَنٍ صَغِيرًا فِي الْمَهْدِ، فَكَمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مُخَالِفٌ لِآدَمَ فَهُوَ لَهُ مُخَالِفٌ فِي خَلْقِ يَدَيِ اللهِ تَعَالَىٰ له، وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَلَيْسَ كَيَدِهِ يَدٌ، فَافْهَمْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّكَ تَأَوَّلْتَ فِي يَدَيِ اللهِ أَفْحَشَ مِمَّا تَأَوَّلَتِ الْيَهُودُ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ).

لو تذكرون في أول درس ذكرنا أثر عبد الله بن المبارك الذي قال فيه: إني لأذكر كلام اليهود والنصارىٰ ولا أستطيع أن أذكر كلام الجهمية، وسبب ذلك أن كلام الجهمية أكفر من كلام اليهود والنصارىٰ. اليهود والنصارىٰ أثبتوا لله يدين، أما الجهمية جعلوا يد الله

مخلوقة، جعلوها النعمة، جعلوها الرزق.

فقال هاهنا: (فَافْهَمْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّكَ تَأَوَّلْتَ فِي يَدَيِ اللهِ أَفْحَشَ مِمَّا تَأَوَّلَتِ الْيَهُودُ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ).

يعني يريد أن يقول: أثبتوا يدًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فمع أنهم جاءوا بقول قبيح ونسبوا النقص إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لكنهم أثبتوا الصفات له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَادَّعَيْتَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، ولما أَنَّكَ تَأَوَّلْتَهَا النِّعَمَ وَالْأَرْزَاقَ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، فَمَاذَا لَقِيَ اللهُ مِنْ عَمَايَتِكُمْ هَذِهِ؟ تَدَّعُونَ أَنَّ يَدَيِ الله مخلوقتان، إذ أنهما عِنْدَكُمْ رِزْقَاهُ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَمَوْسُوعُهُ وَمَقْتُورُهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ).

نسأل الله السلامة والعافية.

الكلام عن إثبات السمع والبصر

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذلك قال: (باب إثبات السمع والبصر والعينين).**

والسمع والبصر صفتان ذاتيّتان موصوفٌ بهما ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وقد جاء ذلك في كتابه وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأجمع علىٰ ذلك سلف الأمة.

والمراد بسمع الله عَزَّوَجَلَّ: إدراكه الأصوات، فما من صوتٍ إلا ويسمعه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مهما دقّ، ويُراد كذلك بسمعه إجابة الداعي كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم: ٣٩]، وكما نقول في دعائنا أو في رفعنا من الركوع: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب دعاءه.

وأما بصره فالمراد به: إدراك جميع المُبصَرات، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرىٰ كل شيء وإن خفي، فهو الذي يرىٰ ويسمع دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة



الظلماء.

عقد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب في إثبات هاتين الصفتين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ردًا علىٰ من عطّلهما من المعتزلة وغيرهم من المعطّلة فقال: **(وَادَّعَىٰ الْمَرِيسِيُّ أَيْضًا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[الحج:١٥]، وفي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:١٥] أَنَّهُ يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ، وَيَعْرِفُ الْأَلْوَانَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ)**.

ذلك أن المعتزلة يقولون: سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، فهي أسماءٌ مجرّدة، لا تتضمن صفاتٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنعلم سبب ذلك.

وادّعىٰ كذلك **(أَنَّ قَوْله: ﴿بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:١٥] يَعْنِي: عَالِمٌ بِهِمْ، لَا أَنَّهُ يُبْصِرُهُمْ بِبَصَرٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنٍ، فَقَدْ يُقَالُ لِأَعْمَىٰ: مَا أَبْصَرَهُ أَيْ: مَا أَعْلَمَهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يُبْصِرُ بِعَيْنٍ)**.

هذا الذي نحا إليه بِشرٌ المريسيّ، فأوّل صفة السمع والبصر بالعلم، والمعتزلة يؤوّلون معظم صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعلم، فيردّون السمع والبصر وما ثبت لربنا من صفاتٍ إلىٰ صفة العلم، فيسمع يعني يعلم المسموعات، يبصر يعلم المُبصرات، فلا يثبتون له سمعًا ولا بصرًا حقيقيًا.

شبهة المعتزلة والرد عليها

وحجتهم في ذلك أو شبهتهم في ذلك: أننا لو أثبتنا لله سمعًا وبصرًا فإما أن يكون السمع والبصر حادثتين، يعني كانتا لله بعد أن لم تكونا، كان الله بلا سمعٍ ولا بصر فأثبتنا له سمعًا وبصرًا، هم يقولون: هذا السمع والبصر إما أن يكون لله حادثًا، أي: كان بعد أن لم يكن، وهذا لا يجوز؛ لأن هذا يجعل الله محلًا للحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

وإن كانا قديمين، يعني وإن كان السمع والبصر قديمين فكيف يسمع صوتًا معدومًا وكيف يرىٰ العالم في الأزل والعالم معدومٌ والمعدوم لا يُرىٰ؟ وهذا تحسينٌ وتقبيحٌ عقلي، يقولون: لو كان السمع والبصر قديمين فهذا معناه أن الله كان له سمعٌ وبصر في الأزل قبل أن يخلق هذا العالم، كان العالم معدومًا؛ لأن الله كان ولم يكن شيءٌ معه كما جاء في حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فما فائدة السمع والبصر حينئذٍ؟ أي: في هذا الوقت؛ لأن العالم في هذا الوقت كان معدومًا فكيف يُقال أنه رأىٰ المعدوم وسمع المعدوم؟ وهذا كما قلنا: تحسينٌ وتقبيحٌ عقليٌ محض؛ لأنهم يقولون: لا يحسُن وجود صفةٍ بلا عمل.

والرد عليهم بأن يُقال: إن المقدمة باطلة، هذه المقدمة التي بنوا عليها وفرّعوا عليها هذه مقدمةٌ باطلة، ونحن لا نسلّم بالمقدّمات حتىٰ لا نُلزَم بالنتائج؛ لأننا لو سلّمنا بهذه المقدمة ألزمونا بالنتائج، لكننا لا نسلّم بهذه المقدمة حتىٰ لا نُلزَم بالنتائج؛ لأن هذه المقدمة بُنيت علىٰ باطل وهو قانونهم، هذا الطاغوت الذي عطّلوا به ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته، وهو قانون: ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، هذا القانون الذي جعلوه في مبدأ أمرهم لإثبات حدوث العالم، فقالوا: إن هذا العالم ما هو إلا جواهر وأعراض، ما هو إلا أمورٌ تقوم بذاتها، وأمورٌ لا تقوم بذاتها، أجسامٌ وصفات، وهذه الأعراض تتغير، وتغيُّرها دليلٌ علىٰ الحدوث، فكل ما أفاد تغيّرًا فهذا دليلٌ علىٰ الحدوث.

وسحبوا هذه القاعدة الباطلة علىٰ أسماء الله وصفاته، فإذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن لم يكن متكلمًا قالوا: لا نثبت لله الكلام؛ لأننا لو أثبتنا الكلام لأثبتنا حلول الحوادث به، ولو فرح ربنا أو غضب لسببٍ ما أوّلوا الغضب والفرح بسبب هذا القانون، فجعلوا صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من جنس صفات المخلوقين؛ لأنهم قاسوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ صفات المخلوقين، هذا أولًا.

ويُرد عليهم كذلك: بالاستناد إلىٰ صفة العلم التي أثبتوها؛ لأنهم أوّلوا السمع والبصر بماذا؟ بالعلم، إذًا هم يثبتون العلم لربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فنقول لهم: إن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر كما هو معلوم، لماذا فرّقتم بين صفةٍ وصفةٍ أخرىٰ؟ فطالما أنكم أثبتّم صفة العلم وأنتم تسلّمون بذلك، تسلّمون بأن الله يعلم الأمور الحادثة التي تقع بعد أن لم تكن واقعة، يقال لهم: كيف تعلّق علم الله الأزلي القديم بالعالم الحادث؟

علم الله عَزَّوَجَلَّ علمٌ قديم، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو موصوفٌ بالعلم أبدًا وأزلًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ معنىٰ ذلك أنه موصوفٌ بالعلم قبل أن يخلق هذا العالم، وموصوفٌ بصفة الخلق قبل أن يخلق هذا العالم، لكننا نجادلهم بصفة العلم التي أثبتوها، أنتم تثبتون صفة العلم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذه الصفة تتعلّق كذلك بالعالم الحادث الذي وُجد بعد أن لم يكن موجودًا، فلماذا أثبتم صفة العلم ولم تثبتوا صفة السمع والبصر؟ لأن هذه الموجودات المُبصَرات والمسموعات وُجدت كذلك بعد أن لم تكن موجودة، فعلىٰ قانونكم يجب عليكم أن تنفوا صفة العلم كما نفيتم صفة السمع والبصر، فكذلك سمعه وبصره القديمان.

ويجوز وصف الصفة بالقِدم ولا يجوز تسمية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالقديم؛ لأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند دخوله المسجد كان يستعيذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويتوسل إليه، كان يتوسل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بسلطانه القديم، يقول: وبسلطانك القديم، ما المقصود بالسلطان القديم؟ يعني العلم، السلطان القديم: العلم، فكل سلطانٍ ورد في كتاب الله فالمقصود به العلم والحجة، فيجوز وصف الصفة بالقِدم بخلاف تسمية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالقديم فهذا لا يجوز، وإنما يُسمىٰ الأول، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فسمعه وبصره القديمان تعلُّقهما بالحوادث لا يلزم منه الحدوث، ووجود الحوادث

بعدهما لا يلزم منه القبح العقلي؛ لأننا كما قلنا نفرّق بين صفات الباري وصفات المخلوق، فقد يقبُح الشيء في المخلوق ولا يقبُح بالنسبة للباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله عَزَّوَجَلَّ من كماله أنه المتكبر، موصوفٌ بالكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والجبروت والقهر، وهذا مما يقبُح في حق المخلوق، فلا يُسوَّىٰ بين الخالق والمخلوق.

زِد علىٰ ذلك أن الشرع جاء بإثبات السمع والبصر، فهم محجوجون من جهة النظر ومن جهة السمع كذلك، ومن جهة أصولهم التي بنوا عليها هذا الضلال، فأوّلوا السمع والبصر بالعلم.

فقال الإمام الدارمي: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمَرِيسِيِّ الضَّالِّ: الْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ هَذَا الإِلَه عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ)**.

قال الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في هذه الجملة جفاء، كان أولىٰ غيرها، فإن فيها نبُوًّا"، يعني لو استعمل جملةً هي أفضل من هذه الجملة لكان أولىٰ.

قال: **(لِأَنَّ الْحِمَارَ يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ بِسَمْعٍ، وَيَرَىٰ الْأَلْوَانَ بِعَيْنٍ، وَإِلَهُكَ بِزَعْمِكَ)**.

ليس إلهنا، وإنما إلهه هو هذا الذي عطّله عن صفاته.

(وَإِلَهُكَ بِزَعْمِكَ أَعْمَىٰ أَصَمُّ، لَا يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَلَا يُبْصِرُ بِبَصَرٍ، وَلَكِنْ يُدْرِكُ الصَّوْتَ كَمَا يُدْرِكُ الْحِيطَانُ وَالْجِبَالُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا سمعٌ، وَيَرَىٰ الْأَلْوَانَ بِالْمُشَاهَدَةِ، لَا يُبْصِرُ فِي دَعْوَاكَ.

فَقَدْ جَمَعْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي دَعْوَاكَ هَذِهِ جهلًا وَكفرًا، أما الْكُفْرُ فَتَشْبِيهُكَ اللهَ تَعَالَىٰ بِالْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا يُبْصِرُ وَلَا يَرَىٰ، وَأَمَّا الْجَهْلُ فَمَعْرِفَةُ النَّاسِ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَال لشَيْءٍ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، إِلَّا وَذَلِكَ الشَّيْءُ مَوْصُوفٌ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنْ ذَوِي الْأَعْيُنِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، وَالْأَعْمَىٰ مِنْ ذَوِي الْأَعْيُنِ وَإِنْ كَانَ قَدْ حُجِبَ).

وهنا احتجّ عليه كذلك بكلام العرب، وهذا الكتاب كما قلنا: فيه مادةٌ غزيرةٌ جدًا للتدليل علىٰ جهل المبتدعة بلغة العرب، وأن هذا الجهل كان سببًا رئيسًا في ضلالهم.

قال: **(فَإِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا قُلْنَا فَسَمِّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ، فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ وَنَحْنُ نَقُولُ: اللهُ سَمِيعٌ بَصِير، ثُمَّ نَفَيْتَ عَنْهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ اللَّذَيْنِ هُمَا السَّمْعُ وَالْبَصَر)**.

يعني لا يُؤوّلان لا بعلمٍ ولا بغيره.

(ونفيت عَنهُ الْعين، وكَمَا يَسْتَحِيلُ هَذَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارٌ فَهُوَ فِي الله السّمِيعِ الْبَصِيرِ أَشَدُّ اسْتِحَالَةً، وَكَيْفَ اسْتَجَزْتَ أَنْ تُسَمِّيَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ اللهِ الْمُقَدَّسَةِ: مُشَبِّهَةً).

كما هي عادة أهل البدع، ينعتون أهل السنة والجماعة بكل النعوت القبيحة، وهم منها برآء، فلإثباتهم صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسمونهم مجسّمة، ممثّلة، مشبّهة.

(وَذَلكَ أنّهم وَصَفُوا اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا مَوْجُودَةٌ فِي صِفَاتِ بني آدم بِلا تَكْيِيفٍ، وَأَنْتَ قَدْ شَبَّهْتَ إِلَهَكَ فِي يَدَيْهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِأَعْمَىٰ وَأَقْطَعَ، وَتَوَهَّمْتَ فِي مَعْبُودِكَ مَا تَوَهَّمْتَ فِي الْأَعْمَىٰ وَالْأَقْطَعِ، فَمَعْبُودُكَ فِي دَعْوَاك مُجَدَّعٌ مَنْقُوصٌ أَعْمَىٰ لا بَصَرَ لَهُ، وَأَبْكَمُ لا كَلامَ لَهُ، وَأَصَمُّ لا سَمْعَ لَهُ، وَأَجْذَمُ لا يَدَانِ لَهُ، وَمُقْعَدٌ لا حِرَاكَ بِهِ، وَلَيْسَ هَذِه بِصِفَةِ إِلَهِ الْمُصَلِّين).

لأنهم ينفون عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اليدين، والعين، والكلام، والسمع، والقدم، ينفون عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القدم، ولذلك إلهه هو مُقعدٌ لا حراك به؛ لأنه ليس ذا قدم، ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء، كل هذا نفوه عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأنت لو نظرت لهذا الذي قام به المريسي وأتباعه لوجدت أن القاعدة المطردة عنده

وعند غيره من المعطّلة: أنهم ما عطّلوا حتىٰ شبّهوا ومثّلوا قبل ذلك، يعني لما أرادوا التنزيه في زعمهم شبّهوا الخالق بالمخلوق، وترتّب علىٰ ذلك أنهم ما زعموه نقصًا بالنسبة للمخلوق زعموه نقصًا بالنسبة للخالق، فنفوا صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عنه.

قال: **(أفأنت أَوْحَشُ مَذْهَبًا فِي تَشْبِيهِكَ إِلَهَكَ بِهَؤُلَاءِ الْعِمْيَانِ وَالْمَقْطُوعِينَ، أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ مُشَبِّهَةً إِذْ وَصَفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِلَا تَشْبِيهٍ؟)**.

ولذلك نحن نصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بلا تمثيلٍ ولا تكييف، ولا تعطيلٍ ولا تحريف.

(فلولا أنّها كَلِمَةٌ هِيَ مِحْنَةُ الْجَهْمِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَنْبِزُونَ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَمَّيْنَا مُشَبِّهًا غَيْرَكَ لِسَمَاجَةِ مَا شَبَّهْتَ وَمَثَّلْتَ).

فالمعطّل أحق وأجدر بأن يقال عنه بأنه مشبّه وليس أهل السنة هم المشبّهة.

قال: **(وَيْلَكَ! إِنَّمَا نَصِفُهُ بالأسماء لَا بالتَكْييف وَلَا بِالتَّشْبِيهِ)**.

يعني نثبت لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته بلا تكييفٍ ولا تمثيل؛ لأن الله عزّ وجل- قال: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، فكما أنه نفىٰ عن نفسه المثلية أثبت لنفسه الصفات فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

قال: **(كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ مَلِكٌ، كَرِيمٌ، عَلِيمٌ، حَكِيمٌ، حَلِيمٌ، رَحِيمٌ، لَطِيفٌ، مُؤْمِنٌ، عَزِيزٌ، جَبَّارٌ، مُتَكَبِّرٌ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ الْبَشَرُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لِصِفَاتِهِمْ، فَالْأَسْمَاءُ فِيهَا مُتَّفِقَةٌ، وَالتَّشْبِيهُ وَالْكَيْفِيَّةُ مُفْتَرِقَةٌ)**.

يعني قد يُسمّىٰ البشر ببعض هذه الأسماء، فيُسمىٰ بعضهم كريمًا، ملكًا، حكيمًا، رحيمًا، عزيزًا، لكنها أعلامٌ محضة، أعلامٌ مجرّدة تليق بالمخلوق، يعني الذي سمّىٰ ولده بهذا

الاسم لم يلحظ الصفة وقت تسميته، وإنما قد يرجو أن يُربّىٰ علىٰ هذه الصفة.

هذا بخلاف أسماء الله وصفاته، فأسماء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أعلامٌ وأوصاف، أعلامٌ تدل علىٰ ذات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتضمنت أوصافًا، ولذلك هي مترادفة من جهة ومتباينة من جهةٍ أخرىٰ، مترادفة؛ لأنها تدل علىٰ ذاتٍ واحدة، ومتباينة؛ لأن كل اسمٍ من هذه الأسماء يتضمن صفةً تفارق الصفة الأخرىٰ، فلا يعني الاشتراك في الاسم الاشتراك في المسمىٰ؛ لأن الفرق بين الاسم والاسم كالفرق بين الخالق والمخلوق، فالقاعدة مطّردةٌ في ذلك.

(وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ الْبَشَرُ بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مُخَالِفَةً لِصِفَاتِهِمْ).

تجد الواحد قد سمّىٰ ولده كريمًا وهو من أبخل الناس، شجاعًا وهو من أجبن خلق الله، فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة، رجلان كل واحدٍ منهما اسمه كريم، لكن هذا كريم حقًا وهذا بخيل، فيتفقان في الاسم، ويختلفان في التشبيه والكيفية، وهذا حال الدنيا وحال أهل الدنيا.

ودلّل علىٰ ذلك بقول عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءَ، يَعْنِي فِي الشَّبَهِ وَالطَّعْمِ وَالذَّوْقِ، وَالْمَنْظَرِ، وَاللَّوْنِ).

فهل معنىٰ أن الآخرة شابهت الدنيا في الأسماء أن ننفي أسماء وصفات الآخرة عنها؟ هذا لا يلزم؛ لأن التشبيه والقدر المشترك إنما هو في مجرد الاسم، وأما الصفة فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن حال الجنة: «فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر».

قال: (فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاللهُ أَبْعَدُ مِنَ الشَّبَهِ وَأَبْعَدُ، فَإِنْ كُنَّا مُشَبِّهَةً عِنْدَكَ أَنْ وَحَّدْنَا اللهَ إِلَهًا وَاحِدًا بِصِفَاتٍ أَخَذْنَاهَا عَنْهُ مِنْ كِتَابِهِ فَوَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَاللهُ فِي دَعْوَاكُمْ أَوَّلُ الْمُشَبِّهِينَ بِنَفسِهِ).

لأنه هو الذي سمّىٰ نفسه بهذه الأسماء، ووصف نفسه بهذه الصفات.

(ثمَّ رَسُوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَنْبَأَنَا ذَلِكَ عَنْهُ، فَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تُكَابِرُوا الْعِلْمَ إِذْ جَهِلْتُمُوهُ، فَإِنَّ التَّسْمِيَةَ مِنَ التَّشْبِيه بعيدَة إِذَا لزم الاشْتِراكُ فِي الْأَسْماءِ ما يلْزَمُ الاتّحادَ في الذَّاتِ القديمَة والذَّاتِ الْمُحْدَثَة فيمَا تقدَّمَ فانْتفىٰ القِياس).

كما قلنا: لا يلزم من الاشتراك في الاسم الاتحاد في المُسمّىٰ والذات، ودلّلنا علىٰ ذلك بقول ابن عباس وبقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَأَمَّا مَا ادَّعَيْتَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨] أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَىٰ بذلِكَ: عَالِمًا بِالْأَصْوَاتِ عَالما بالألْوانِ، لا يسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَلَا يُبْصِرُ بِبَصَرٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَمْ يجِئ خبَرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ: أَنَّهُ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، ويُبْصِرُ بِبَصَر، ولكِنَّكُم قَضَيْتُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعالىٰ بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي وَجَدْتُمُوهُ فِي أَنْفُسِكُمْ.

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: أَمَّا دَعْوَاكَ عَلَيْنَا أَنَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ بِالْمَعْنَىٰ الَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي أَنْفُسِنَا فَهَذَا لا يَقْضِي بِهِ إِلَّا مَنْ هُوَ ضالٌ مِثْلُك، غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعالَىٰ اسْمُهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ، وَاتَّصَلَتْ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَارٌ مُتَّصِلَةٌ، فَإِنْ حَرَمَكَ اللهُ مَعْرِفَتَهَا فَمَا ذَنْبُنَا؟ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]، وَقَالَ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر: ١٣]).

الألواح معروفة، ما الدُسُر؟ المسامير، نعم.

قال: (﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤]، وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[هود:٣٧]).

شبهة مجيء العين مفردة ومثناة وجمعًا

فجاءت العين مفردة وجاءت مجموعة، وفي الحديث الذي سيرد بعد ذلك عن الدجال

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور».

والأعور عند العرب: ضد البصير، والبصر يكون بالعينين، فأثبت لله عينين، وأثبت له عينًا، وأثبت له عيونًا، فهل هناك تضادٌ بين هذه الإثباتات؟ ليس هناك تضاد، والذي فهم ما قلناه في صفة اليد سيفهم ما يُقال في صفة العين، ذلك أن العين المفردة جاءت مضافة، قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، المفرد المضاف يعم، فيشمل الواحد والاثنين والثلاثة وما زاد علىٰ ذلك، فلا ينفي الاثنين.

وأما الجمع الذي جاء في قوله تعالىٰ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وفي قوله: ﴿واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فجاء هنا جمع، والجمع في لغة العرب يؤتىٰ به للتعظيم، كما قال ف صفة اليد ﴿أَوَلَم يَرَوا أَنَّا خَلَقنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[يس: ٧١]، فقال: ﴿خَلَقنَا﴾، وقال: ﴿أَيْدِيْنَا﴾، وهذا تعظيم، وكذلك قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ هذا تعظيم، وهذا معروفٌ في لغة العرب، فيحتمل المفرد، ويحتمل المثنىٰ، ويحتمل الجمع.

فلما جاء حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن الدجال أعور، وأن ربنا ليس بأعور، والعور فقد أحد العينين، دلّ ذلك علىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له عينان، والمثنىٰ من ألفاظ الأعداد، وهو نصٌ في المسألة.

قال: (ثمَّ ذكر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، وَالْعَوَرُ عِنْدَ النَّاسِ ضِدُّ الْبَصَرِ، وَالْأَعْوَرُ عِنْدَهُمْ ضِدُّ الْبَصِيرِ والْعَيْنَيْنِ.

وَرَوَيْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَجًّا لِمَذْهَبِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ أَصْحَابَهُ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا»).

قلنا: أصمَّ، ولا يقال: أصمًّا؛ لأنها ممنوعة من الصرف، أفعل التي مؤنثها فعلاء، أصم:

صمّاء، أعور: عوراء، فقال: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» بخلاف، غائبًا.

قال: (فَالصَّمَمُ ضِدُّ السَّمْعِ الَّذِي هُوَ السَّمْعُ عِنْدَ النَّاسِ. وَهَذَا مِمَّا رَوَيْتَهُ وَثَبَّتَّهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صَحِيحًا فِي نَقْضِ دَعْوَاكَ بِهِ).

يعني هذا جاء في بعض روايات الحديث مرويًا عن بشر المريسي، فهذا أنت ترويه وهو حجةٌ عليك.

قال: (فَفِيمَا ذَكَرْنَا عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ بَيَانٌ أَنَّ السَّمْعَ غَيْرُ الْبَصَرِ).

فلا يُؤوّل السمع والبصر بالعلم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ فرّق بينهم، وقد سبق ذكر المناظرة التي جرت بين معتزليين في التفريق بينهما بدلالة صدر سورة المجادلة.

(وَأَنَّ الْبَصَرَ غَيْرُ السَّمْعِ، وَأَنَّهُ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ، غَيْرَ مُكَيَّفٍ وَلَا مُمَثَّلٍ، وَمِمَّا يَزِيدُكَ بَيَانًا: قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيه الصّلاةُ والسّلام- خَلِيلِ اللهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[مريم:٤٢]، يَعْنِي إِبْرَاهِيمُ أَنَّ إِلَهَهُ بِخِلَافِ الصَّنَمِ، يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ، وَلَوْ كَانَ عَلَىٰ مَا تَأَوَّلْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ لَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ: فَإِلَهُكَ أَيْضًا لَا يَسْمَعُ بِسَمْعٍ وَلَا يُبْصِرُ بِبَصَرٍ).

لأنه أوّل السمع وحرّفه فجعله كالعلم، أي: لو لم يكن المراد بذلك السمع والبصر الحقيقيين.

(وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي أَصْنَامِ الْعَرَبِ: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[الأعراف:١٩٥]، يَعْنِي أَنَّ اللهَ بِخِلَافِهِمْ، لَهُ يَدٌ يبْطِشُ بِهَا، وَعينٌ يُبْصِر بِهَا، وَسَمْعٌ يَسْمَعُ بِهِ).

وهذا فيه دليلٌ علىٰ أن المشركين كانوا يثبتون صفات الله، أين الدليل؟ لأنه خاطبهم بما

تقر به نفوسهم. فقارن بين المعبودات الباطلة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش، بل لا تدفع الضر عن نفسها وبيّن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وربهم الذي يقرّون به ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]، لأن المشركين في الجملة

كانوا يثبتون لله توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، في الجملة، ولا أقول: إثباتًا تامًا، كان عندهم خلل في ذلك، لكنهم كانوا يثبتون الربوبية والأسماء والصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الجملة، لأنهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان: ٦٠]، فجاء في بعض التفاسير أنهم كانوا ينكرون هذا الاسم، ينكرون تسمية الله عَزَّوَجَلَّ بالرحمن، فعندهم خللٌ في الأسماء والصفات، لكنهم كانوا يثبتونها في الجملة، وأما بِشرٌ المريسي فلم يثبت لله لا اسمًا ولا صفة، فكانوا أفضل حالًا منه، فهذا مما يُستفاد من هذه الآيات.

ويُستدل كذلك بهذه الآيات علىٰ قياس الأولىٰ، كيف ذلك؟ لأن المخلوق يُنزّه عن مثل هذه الصفات؛ لأن هذه الصفات نقص، الذي لا يسمع ولا يبصر هذه صفات نقص.

ولذلك عاب إبراهيم الأصنام الباطلة والآلهة الباطلة بها، فكما أن المخلوق يُنزّه عنها فالخالق من باب أولىٰ، وهذا معنىٰ قياس الأولىٰ.

قال: **(وَادَّعَيْتَ أَيْضًا أَنَّا إِنْ قُلْنَا: إِنَّ اللهَ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ، فَقَدِ ادَّعَيْنَا أَنَّ بَعْضَهُ عَاجِزٌ وَبَعضه قوي، وَبَعضه تَامّ، وبَعْضه نَاقِصٌ، وَبَعْضَهُ مُضْطَرٌّ)**.

قاس الخالق علىٰ المخلوق؛ إذ الإنسان يحتاج إلىٰ السمع، ويحتاج إلىٰ البصر، فالسمع والبصر كمالٌ بالنسبة للإنسان، وهو يحتاج إليهما في حياته، فقياسًا علىٰ المخلوق إذا أثبتنا لله السمع والبصر جعلناه محتاجًا إليهما عاجزًا ضعيفًا، تعالىٰ الله عما يقولون، وهذا قياس باطل؛ لأنه قياسٌ مع الفارق؛ لأن صفات المخلوق استمدّها من غيره كما يقول شيخ

الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، صفات المخلوق استمدّها من الله عَزَّوَجَلَّ وأما صفات الخالق تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فهي له صفاتٌ ذاتية لم يستمدها من غيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولذلك نقول: كان الله بصفاته.

قال: (فَإِنْ قُلْتُمْ: هُوَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ لَا يُجوِّزُ هَذَا الْقِيَاسُ فِي صِفَةِ كَلْبٍ مِنَ الْكِلَابِ فَكَيْفَ فِي صِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ بَلْ هو حَرَامٌ عَلَىٰ السَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ مِثْلِ هَذَا، وَحَرَامٌ عَلَىٰ الْمُجِيبِ أَنْ يُجِيبَ فِيهِ، وَالْعَجَبُ مِنْ قَائِلِهِ).

العجب من بشر المريسي.

(كَيْفَ لَمْ يَخْسِفِ اللهُ بِهِ؟ غَيْرَ أَنَّ اللهَ حَلِيمٌ).

يتعجب الإمام الدارمي كيف أمهله الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ كل هذه الضلالات ولم يخسف به الأرض؟ لكن الله لا يعجل بعجلة أحد، وله حكمة في فعاله سبحانه.

قال: (غَيْرَ أَنَّ اللهَ حَلِيمٌ، ذُو أَنَاةٍ، وحِلْمٍ عَمَّن قَالَ: ﴿اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، وَعَمَّنْ قَالَ: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾[البقرة:١١٦]، وَعَمَّنْ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]، وَعمَّنْ قَالَ: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤]، وَكَذِلَكَ حَلُمَ عَنْ هَذَا الْمَرِيسِيِّ، إِذْ لَمْ يَخْسِفْ بِهِ وَلَمْ يُعْجِزْهُ هَرَبًا.

وَيْلَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ! إِنَّا لَا نَدَّعِي فِيهِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ الَّتِي احْتَجَجْتَ بِهَا مِمَّا لَيْسَ لِمِثْلِهَا جَوَابٌ، وَنُجِلُّهُ أَنْ نَلْفِظَ فِي صِفَاتِهِ بِهَذِهِ الْخُرَافَاتِ غَيْرَ أَنَّا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١]، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦]).

لو تدبّرنا في كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لوجدنا أن صفة السمع قد عُبّر عنها في الآيات بكل صيغ الاشتقاق، فجاء ﴿قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّتي تُجادِلُكَ في زَوجِها﴾[المجادلة: ١]، وجاء ﴿وَاللهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُما﴾، مضارع، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقال: ﴿أَسمِع بِهِم

﴿وَأَبصِر﴾[مريم: ٣٨]، ووصف نفسه بأنه يسمع ويبصر، وسمّىٰ نفسه بالسميع البصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي كل ذلك يفرّق بين السمع والبصر.

قال: (فَفَرَّقَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، فَأَخَذْنَا عن اللهِ وَرَدَدْنَا عَلَيْكَ جَهْلَكَ وَخُرَافَاتِكَ.

أَوَ لَمْ تَقُلْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَوَهَّمَ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ فِي نَفْسِهِ؟ فَكَيْفَ نَسَبْتَ اللهَ إِلَىٰ الْعَجْزِ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي تَعْرِفُهُ فِي نَفْسِكَ؟ ثُمَّ قُلْتَ: فَكَمَا أَنَّكَ بِأَحَدِهِمَا مُضْطَرٌّ إِلَىٰ الْآخَرِ كَذَلِكَ اللهُ -فِيمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْنَا- مُضْطَرٌّ إِلَىٰ الْآخَرِ فَشَبَّهْتَ اللهَ فِي مَذْهَبِكَ بِالْإِنْسَانِ الْمُجَدّعِ الْمَنْقوص).

فهنا قاس الخالق علىٰ المخلوق، وهذا لا يجوز كما قلنا، لا يجوز أن ندخل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا في قياس شمول ولا في قياس تمثيل، وإنما القياس الذي يجوز في حق الله فقط هو قياس الأولىٰ، ويأتي دائمًا في باب الرد لا التأسيس فتنبه.

قياس الشمول يعني: فيه قاعدة كلية تجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتساوىٰ مع المخلوق في الاندراج تحت هذه القاعدة، فتقول مثلًا: كل ما حلّت به الحوادث فهو حادث. هذه كلية، ثم تدرج الله مع المخلوق تحت هذه القاعدة، هذا لا يجوز.

وقياس التمثيل هو القياس المُستعمَل في أصول الفقه، إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكم لعلةٍ جامعةٍ بينهما، فهذا كذلك لا يجوز، وإنما الذي يجوز في حق الله قياس الأولىٰ، وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق من غير نقص فالله أولىٰ به، وكل نقصٍ ثبت للمخلوق من غير وجه كمال فالخالق أولىٰ أن يُنزّه عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومجاله الرد لا التأسيس كما مر.

ولذلك السمع والبصر والكلام والعلو، هذه صفات عقلية بتسمية الأشاعرة وبتسمية أهل الكلام، صفات عقلية، لأنها لا تتوقف علىٰ ورود السمع، لازمةٌ كصفةٍ للإله، كونه إلهًا فهذا أمرٌ لازمٌ له، أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا عليمًا قديرًا، هذه صفات لازمة. ولذلك

اتّصف الله عَزَّوَجَلَّ بها أزلًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تنفكُّ عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (أَو لم تَسْمَعْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟ وَكَمَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلَيْسَ كَسَمْعِهِ سَمْعٌ، وَلَا كَبَصَرِهِ بَصَرٌ، وَلَا لَهُمَا عِنْدَ الْخَلْقِ قِيَاسٌ وَلَا مِثَالٌ وَلَا شَبِيهٌ، فَكَيْفَ تَقِيسُهُمَا أَنْتَ بِشَبَهِ مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ عِبْتَهُ عَلَىٰ غَيْرِك؟

وَأَمَّا دَعْوَاكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أَنَّهُ يُدْرِكُ الْأَصْوَاتَ وَيَعْلَمُ الْأَلْوَانَ فَقَدْ فَهِمْنَا بِحَمْدِ اللهِ مَعْنَىٰ كُفْرِ مَا تَقْصِدُهُ بِهِ إِلَيْهِ، فَلَا يَجُوزُ لَكَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ أُغْلُوطَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، يَعْنِي أَنَّ إِلَهَكَ).

إلهك أنت أيها المريسي ما صفته؟

(مُهْمِلٌ، شَبَحٌ، هَوَاءٌ، قَائِمٌ، داخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يُوصَفُ بِسَمْعٍ، وَلَا بَصَرٍ، وَلَا عِلْمٍ، وَلَا كَلَامٍ، وَلَا وَجْهٍ، وَلَا يَدٍ، وَلَا نَفْسٍ، وَلَا حَدٍّ، فَالسَّمْعُ عِنْدَكَ مِنْهُ بَصَرٌ، وَالْبَصَرُ مِنْهُ سَمْعٌ، وَالْوَجْهُ ظَهْرٌ، وَالْأَعْلَىٰ مِنْهُ أَسْفَلُ، وَالْأَسْفَلُ مِنْهُ أَعْلَىٰ، يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ بِزَعْمِكَ أَنَّهُ يَبْلُغُهُ الصَّوْتُ وَلَا يَفْهَمُهُ، كَمَا يَبْلُغُ الْجِبَالَ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا أَسْمَاعٌ وَلَا تَفْقَهُهُ، وَيَعْرِفُ الْأَلْوَانَ بِالتَّرَائِي وَالْمُشَاهَدَةِ، لَا أَنَّ لَهُ سَمْعًا يَسْمَعُ بِهِ فَيَفْقَهُهُ، وَلَا لَهُ بَصَرٌ يُبْصِرُ بِهِ فَيَرَاهُ وَيَعْرِفُهُ، كَمَا يُقَالُ لِلدُّورِ وَالْقُصُورِ: يَرَىٰ بَعْضُهَا بَعْضًا).

هذا معروف في لغة العرب، يقال عن الدور: يرىٰ بعضها بعضًا.

(أَيْ: تَتَرَاءَىٰ وَلَيْسَتْ لَهَا أَبْصَارٌ، وَالْجِبَالُ: يَنْظُرُ بَعْضهَا إِلَىٰ بَعْضًا بِلَا بصر).

هذا جائزٌ في لغة العرب، لكن هل جاء في لغة العرب أن الدور تُسمىٰ بالسميع؟ أن الدور تُسمىٰ بالبصير؟ فهذا مما يمنع هذا التحريف الذي حرّفه بشر المريسي كما سيأتي في كلام الإمام الدارمي.

قال: (فَكَمَا يُقَال: ذهب فُلَانٌ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا).

هذا كلام واردٌ في لغة العرب، هذا كلام المريسي، يقول:

(كَمَا يُقَال: ذهب فُلَانٌ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْأَرْضِ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ هُوَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، فَوَصَفْتَ رَبَّكَ بِمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْأَصْنَامَ، مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:١٩٨]، وكَمَا قَالَ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[فاطر:١٤]، وَلَوْ كَانَ مَعْنَىٰ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ: إِدْرَاكَ الْأَصْوَاتِ وَتَرَائِيَ الْأَجْسَامِ لَكَانَ ذَلِكَ تُدْرِكُ الْأَصْنَامُ كَمَا يُدْرِكُ اللهُ دَعْوَاكُمْ، وَلَكِنَّ مَا وَصَفْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ صِفَةُ الْأَصْنَامِ لَا صِفَةُ اللهِ تَعَالَىٰ).

ما هنا موصولة بمعنىٰ الذي، فالذي وصفتَ أيها المريسي ليس صفةً للإله، وإنما هي صفةٌ للأصنام.

(فَإِلَىٰ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَىٰ تَقْصِدُ فِي سَمْعِ اللهِ وَبَصَرِهِ، وَقَدْ سَمِعْنَاه مِنْ بَعْضِ خُطَبَائِكُمْ يُغَالِطُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُجَجِ أَنْبَاطَ كُوثَىٰ).

وأنباط كوثىٰ: كوثىٰ هذه مدينة يقال لها: كوثىٰ العراق، وهي قريةٌ في العراق.

قال: (أَوْ أَنْبَاطَا).

وهذا كذلك مكان.

(أَوْ يَهُودَ الْحِيرَةِ، أهل مِلَّة أَبِيك وجيرانه، فَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا هِشَامٍ الرِّفَاعِيَّ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا نُعَيْمٍ يَقُولُ: إِنَّهُ رَأَىٰ أَبَاكَ يَهُودِيًّا صَبّاغًا بِالْحِيرَةِ).

فكان أبو بشر المريسي يهوديًا، قال أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي في معرفة الثقات: "رأيت بشر المريسي -عليه لعنة الله- مرةً واحدة" يعني رآه مرةً واحدة، قال: "رأيته شيخًا

قصيرًا، دميم المنظر، وسِخ الثياب، وافر الرأس، أشبه شيءٍ باليهود، وكان أبوه يهوديًا صَبّاغًا بالكوفة في سوق المراضع" ثم قال: لا ي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلقد كان فاسقًا.

يقول: (**وَأَمَّا دَعْوَاكَ: أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِالسَّمْعِ الَّذِي هُوَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ الَّذِي هُوَ الْبَصَر وميّز بَيْنَهُمَا فَقَدْ نَسَبَهُ إِلَىٰ الْعَجْزِ، فَمَا ظَنَنَّا أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ يشك أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَنَّ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ الْمُضْطَرَ الْمُحْتَاجَ الَّذِي لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ حَتَّىٰ ادَّعَيْتَ أَنْتَ عَلَىٰ جَهْلٍ مِنْكَ، وَمَا يَدْعُوكَ إِلَىٰ ذِكْرِ الْعَجْزِ وَالْقُوَّةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ خُرَافَاتِكَ**).

ولذلك المعطّلة يخوضون في أسماء الله وصفاته بعقولهم وفهومهم الفاسدة، ويتكلمون بكلامٍ تقشعرّ منه الأبدان، ولوازم كلامهم لوازم كفريّة، لو أننا أخذناهم بلوازمهم لكفّرناهم، كما سيأتي في كلام الإمام الدارمي.

يقول للمعارض: "لو كنت تفهم هذا الكلام الذي تنقله عن بشر المريسي لعاملناك معاملته"، أي: لكفّرناك كما كفّرناه، هذا يلزم منه لوازم باطلة ولوازم كفرية، فانظر إلىٰ هذا الذي يخوض في أسماء الله وصفاته بهذه الصورة التي يلزم منها أن يصف الله بالضعف، والعجز، والحاجة، والاضطرار، ونفي الصفات وغير ذلك، وكل ذلك ليس بلازم.

ولذلك خوّفه ثم نصحه، فقال: (**صِفْهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ**).

ما الذي وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه؟

قال: (**إِنَّهُ الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْغَنِيُّ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ**).

قال: (**الْغَنِيُّ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ**)، هذه الجملة فيها ردٌ علىٰ ما ذكره من لزوم العجز عند إثبات صفات ربنا؛ لأنه قال: الغني بجميع صفاته، فكان الله بصفاته، فصفاته ليست غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لم يأخذ هذه الصفات من غيره، بل هي له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكيف يقال: إنه مفتقرٌ لهذه الصفات؟ فهو الغني بجميع صفاته، فكما أن لله تعالىٰ الأسماء الحسنىٰ،

فكذلك له الصفات المثلىٰ.

قال: **(وَجَمِيعِ الذَّوَاتِ، وَعَلَىٰ كُلِّ الْحَالَاتِ، وَهُوَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُتَعَالِي عَمَّا نَسَبْتَهُ إِلَيْهِ، قَاتَلَكَ اللهُ مَا أَكْفَرَكَ بِهِ!**

وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِكُفْرِكَ قَدِيمًا، وَحُكِيَ لِي بَعْضُهُ عَنْكَ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَعْتَقِدُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ كُلَّ مَا رَوَىٰ عَنْكَ الْمُعَارِضُ).

فالذي دعىٰ بِشرًا المريسي لهذا القول أصوله الفاسدة التي ردّ بها الشرع، وعطّل بها الإله عن أسمائه وصفاته، والبدعة ولّادةٌ كما قال أهل العلم، فبدعتهم، بدعة المعتزلة لم تقتصر علىٰ باب الأسماء والصفات، فلهم بدعٌ كذلك تتعلق بالأمر والنهي، الخروج علىٰ أئمة الجور، ولهم بدعٌ كذلك تتعلق بباب القضاء والقدر، فهم قدريّة، ينفون خلق الله لفعل العبد، ولهم بدعٌ تتعلّق بباب النبوات، وكل ذلك من أجل الأصول الفاسدة.

ولذلك من كانت أصوله صحيحة قائمًا علىٰ منهج السلف الصالح لا تجد عنده خللًا في باقي الأمور التي بُنيت علىٰ هذه الأصول، فأهل السنة والجماعة لمّا كانت عندهم الأصول ثابتة ومشربهم واحد، كتابٌ وسنة بفهم سلف الأمة، لا تجد عندهم خللًا في المعتقد في سائر الأبواب، لا في باب الأسماء ولا في الصفات، ولا الربوبية، ولا الألوهية، ولا النبوّات ولا... لأن الأصل عندهم متين، أصلهم ثابت وفرعه في السماء، شجرة طيبة، بخلاف المتكلمين، ما يثبته إمام منهم ينقضه إمام أخر، ولذلك تتطور مذاهبهم كثيرا ودائمًا للأسوأ، وخير شاهد علىٰ ذلك مذهب الأشعرية، فإنه يكاد يطابق في مرحلته الأخيرة مذهب أهل الاعتزال.

قال: **(قُلْنَا: وَمَا إِخَالُه)**.

ما معنىٰ ما إخاله؟ أي: ما أظنه.

(**يعقل معَاني كَلَامِكَ**).

الضمير في إخاله يعود إلىٰ المعارض، يعني ما أظن المعارض يعقل معاني كلامك أيها المريسي.

(**وَمَا يُؤَدِّيك إِلَىٰ صَرِيحِ الْكُفْرِ، فَإِنْ هُوَ عَقِلَهُ وَأعْتَقَدَهُ فَهُوَ مِثْلُكَ، إِذْ يَعْتَقِدُهُ ثُمَّ يَبُثُّهُ وَيَنْشُرُهُ لِلْعَوَامِّ، إِذْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ تَجْتَرِئُ أَنْ تَنْشُرَهُ فِي بَلَدِكَ لِلْأَنَامِ إِلَّا مُنَاجَاةً بَيْنَك وَبَين جهلة طغام**).

وهي كلمةٌ تقال لأوغاد الناس كما قال ابن فارس في مقاييس اللغة.

قال: (**وَأَمَّا مَا ادَّعَيْتَ أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ خَبَرٌ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ، فَسَنَرْوِي لَكَ فِيهِ مَا قَدْ غَضِبْتَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ**).

والملاحَظ أن طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية هي هي طريقة الإمام الدارمي، الإمام الدارمي أثّر تأثيرًا بالغًا فيمن جاء بعده من أئمة السنة، وعلىٰ رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ما هي طريقته؟ أنه يهدم، يهدم، يهدم، ثم يبني بعد ذلك، هذه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية.

وجه مشابهة طريق ابن تيمية للدارمي في الردود

ولذلك لو قرأت في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المطوَّلة في مبدأ بحثه للمسألة قد تمر عليك أمورٌ كثيرة ولا تفهمها، لأنه يهدم أصول المبتدعة بأصولهم، يجادلهم بكلامهم، وكلامهم عربي الحروف لكنه أشبه بكلام الأعاجم غير المفهوم ؛ لأن الكلام كله كلامٌ جدلي قائمٌ علىٰ فلسفات وعلىٰ أصولٍ فاسدة فيبين شيخ الإسلام عوار هذه الأصول ولا يقرها، وما أن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: زد علىٰ ذلك أن الله قد قال وأن ابن عباس قد قال تبدأ تأخذ نفَسك وتفهم كل ما يقول، فهو يهدم أولًا، فكأنه ينظر إلىٰ من أمامه، وبعد أن

يهدم له أصوله يقول له كالظمآن يطلب الماء: فما الجواب الحق؟ فيأتي له بالجواب الحق، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه طريقة الإمام الدارمي كما نلحظها في هذا الكتاب، أنه بعد أن هدم شُبَهه جاء بالدليل، يعني ما صدّر الباب بـ قال الله، وقال رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إنما جاء بما عنده من الشبهات فهدمه ثم بعد ذلك بيّن له القول الحق، وهذا لأن الكتاب موضوعٌ في الرد علىٰ هؤلاء، بخلاف كتاب العقيدة الواسطية مثلًا لا تجد فيه هذا الجدال؛ لأنه كتاب ما وُضع إلا لعقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك لا تجد فيه لا رأيًا للأشاعرة، ولا للمعتزلة، ولا لغيرهما، خُلِّص لعقيدة أهل السنة والجماعة.

قال: (**وَأَمَّا مَا ادَّعَيْتَ أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ خَبَرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ. فَسَنَرْوِي لَكَ فِيهِ مَا قَدْ غَضِبْتَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَىٰ**.

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ تَمِيمِ بن سَلَمَةَ، عَن عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ كُلَّهَا، إِنَّ خَوْلَةَ جَاءَتْ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَيَخْفَىٰ عَلَيَّ أَحيانًا بَعْضُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالَىٰ ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَىٰ اللهِ﴾[المجادلة:١]).

هذا القول من عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا هو في صفةٍ واحدةٍ من صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يبيّن لنا الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، وهذا يُقاس عليه كل صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فرقٌ بين صفة الخالق وصفة المخلوق، صحيح، فقالت في صفة السمع: «**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات كلها**»، فلا يخفىٰ عليه شيء، وهذا لا يُقال في صفة المخلوق، ما يقال في علم الله لا يقال في علم المخلوق، ما يقال في حياة الله لا يقال في حياة المخلوق، فمن عرف ربه بهذه الطريقة لا يمكن له أن يلحد لا في ذات الله، ولا في وجوده، ولا في أسمائه، ولا صفاته،

وهكذا كان أصحاب النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات كلها»، فربنا له الحمد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وله الكمال المطلق من كل وجه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وتقديره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (وَحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَنَّ جَرِيرَ بْنَ حَازِمٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا يَزِيدَ الْمُزَنِيَّ قَالَ: لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ يُقَالُ لَهَا خَوْلَةُ ابنت ثَعْلَبَة، فَقَالَ عُمَرُ: هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ).

وهذا الأثر لا يصح، أثرٌ ضعيف علىٰ شهرته بين الناس، الشاهد فيه أن عمر قال: "هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ".

قال: (حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حدثَنَا أبوعبد الرَّحْمَن المقرئ، حدثَنَا حَرْمَلَة بن عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «قَرَأَ رَسُولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا﴾[النساء:٥٨]، فَوضع أُصْبُعه الدعاء علىٰ عَيْنَيْهِ وإبهامه علىٰ أُذُنَيْهِ»).

أصبع الدعاء اللي هي المُسبِّحة، يقال لها: السبّاحة، والسبّابة، وأصبع الدعاء.

قال: «فَوضع أُصْبُعه الدعاء علىٰ عَيْنَيْهِ وإبهامه علىٰ أُذُنَيْهِ».

وهذا الفعل من الصحابي يرد علىٰ من قال: إن الصحابة علىٰ المذهب الأشعري، كما قلنا في المحاضرات الماضية إن الصحابي لما أراد أن يبيّن صفة السمع والبصر قال: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا﴾، يعني أثبت لله سمعًا وبصرًا حقيقيًا، لا يُؤوّل لا بحفظٍ ولا رعايةٍ ولا كلاءة ولا غير ذلك، هذا من آثار الصفة، وإنما يُحمل علىٰ حقيقته، مع الفارق بين الخالق والمخلوق ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١] سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثنَا ابنُ الْمُبَارك، أخبرنا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ

النَّهْدِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شُرُفًا، ولَا نَعْلُوا شُرُفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، فَدَنَا مِنَّا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»).

فنفىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصمم والغياب، قال: «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»، يراكم، ويعلم حركاتكم وسكناتكم، يسمع كل شيء، فلماذا ترفعون أصواتكم؟

وجاء في بعض روايات هذا الحديث قال: «**إن الذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته**»، فالله عَزَّ وَجَلَّ قريبٌ في علوّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليٌّ في دنوِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإذا دنا من عباده في ثلث الليل الآخر فهو العليّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإذا علا فوق سماواته فهو قريبٌ يسمع دعاء الداعين كما قال: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾[البقرة: ١٨٦].

قال: (أَفَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الْأَصَمَّ وَالسَّمِيعَ وَهُمَا مُتَضَادَّانِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بِخِلَافِ الْأَصَمِّ؟)

ثم قال: (حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن كثير، أنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَمُسْتَتِرٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ إِذْ جَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: ثَقَفِيٌّ، وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيل فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَتَحَدَّثُوا الْحَدِيثَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَىٰ اللهَ يَسْمَعُ مَا قُلْنَا؟ فَقَالَ أحدُهم: يَسْمَعُ إِذَا رَفَعْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِذَا خَفَضْنَا).

يعني إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا خفضنا أصواتنا لا يسمع.

(فَقَالَ الْآخَرُ: إِذَا كَانَ يَسْمَعُ إِذَا رَفَعْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا خَفَضْنَا).

لأنهم يثبتون إلهًا فوق العرش، فلا يضره إن رفعنا أو خفضنا؛ لأنه يسمع من فوق العرش

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا كان يسمع من فوق العرش فيسمع من يرفع صوته ومن يخفض صوته.

(فَقالَ: إِذَا كَانَ يَسْمَعُ إِذَا رَفَعْنَا فإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا خفضْنَا، قال: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَىٰ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[فصلت:٢٢-٢٣]).

فهذا الحديث فيه أن الكفار كانوا يثبتون صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنهم أثبتوا السمع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلاف بشر المريسي.

وفيه كذلك عقوبة من عطّل الله عن صفاته؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ توعّد هؤلاء في آخر الآية، قال: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فلا يسمعكم ولا يراكم، ولكنكم أوّلتم ذلك، وصرفتموه عن حقيقته، ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾، فظننتم به كل نقيصة، قال: ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، أَنَّ يَحْيَىٰ بْنَ أَيُّوبَ الْمِصْرِيَّ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ دَرَّاجٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ).

وهذه السلسلة سلسلة ضعيفة، درّاج بن أبي السّمح، عن أبي هيثم، عن أبي سعيد الخدري.

قال: (وَعَنِ ابْنِ حُجَيْرَةَ الْأَكْبَر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَو أحدهمَا، عَن رَسُول الله -صلىٰ عَلَيْهِ وَسلم- قَالَ: «إِذْ كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ أَلْقَىٰ اللهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَىٰ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللهُ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَنِي مِنْ حَرِّكِ فَإِنِّي أُشْهِدُكِ فَقَدْ أَجَرْتُهُ مِنْكِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ أَلْقَىٰ اللهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا

الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللهُ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِي اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهَرِيرِكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، قَالُوا: وَمَا زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بَيْتٌ يُلْقَىٰ فِيهِ الْكُفَّارُ يَتَمَيَّزُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ بَعْضُهُ مِنْ بعض»).

وهذا حديثٌ ضعيف لا يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قُلْتُ لِأَبِي الْيَمَانِ: أَخْبَرَكَ شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ؟ قَالَ: قَالَ سَالِمٌ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاس، فَأَثْنىٰ على الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعَلَمُنَّ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»).

وهذه الصفة لم يقلها نبيٌ لقومه، مع أن كل نبيٍ كان ينتظر خروج الدجال في قومه، لكن هذه الصفة ما قالها إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه، وهي أن الدجال أعور، وإن ربكم ليس بأعور، فله عينان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَأَخْبَرَنِي أَبُو الْيَمَانِ أَنَّ شُعَيْبًا أَخْبَرَهُ بِهِ، فَفِي تَأْوِيل رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» بَيَانٌ أَنَّهُ بَصِيرٌ ذُو عَيْنَيْنِ خلاف الْأَعْوَر.

حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنَّ الدَّجَّالَ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»).

وهذه التسمية الصحيحة، ولا يُسمىٰ بالمسيخ، وإنما يُفرَّق بين عيسىٰ مسيح الهُدىٰ ومسيح الضلالة الأعور الدجال.

قال: «أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّ عينه عنبة طافية».

العنبة إذا فقأتَها صارت طافية، وهكذا تكون عين الدجال.

قال: (حَدَّثنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ثنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «أَعور جَعْدٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

حَدثنَا عَلِيّ بن الْجَعْد، أخبرنا شريك عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَىٰ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَول الله ﴿الٓمٓر﴾[الرعد:١] قَالَ: "أَنا الله أرىٰ").

وذكرنا القول في الحروف المقطّعة فيما مضىٰ.

قال: (حَدَّثَنَا الزَّهْرَانِيُّ أَبُو الرَّبِيعِ، حدثنَا أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ، عَنْ سَعِيدٍ -وَهُوَ الْمَقْبُرِيُّ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، حَتَّىٰ نُوحٍ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْهُ بِشَيْءٍ مَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيٌّ كَانَ قَبْلِي: إِنَّه كَانَ أَعور، وَإِن اللهَ لَيْسَ بِأَعْور، وكَذَلِكَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»).

وهذا حديثٌ صحيحٌ، وإسناده ضعيف.

قال: (حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ -فِيمَا قَرَأَ عَلَىٰ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ- عَنْ نَافِعٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، كُلُّهُمْ يُحَدِّثُهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ إِزَاره خُيَلَاء»).

ولا يُؤوّل ذلك بـ لا يعلم الله يوم القيامة من جرّ ثوبه خيلاء، لا يُحمل إلا علىٰ نظر العين.

قال: (حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ فِيمَا قَرَأَ عَلَىٰ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عنِ النَبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «جَرَّ، إِزَارَهُ بطرًا»).

أي: خيلاء.

قال: (حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله).

قال: (حَدَّثنَا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ، حدثنَا عَبْدُ السَّلَامِ أَبُو الْخلِيلِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَةَ الْهُجَيمِيَّ يُحدِّثُ عَنْ أبي جري عن جابر، قَالَ: أَتيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَبِسَ بُرْدَيْنِ لَهُ فَتَبَخْتَرَ فِيهِمَا فَنَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ فَمَقَتَهُ، فَأَمَرَ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ بَيْنَ الْأَرَاضِين، فاحْذَروا وَقَائع اللَّهُ»).

وهو حديثٌ ضعيف، ولبعضه شواهد في الصحيح، يعني ما جاء بأن رجلًا لبس بردين فتبختر فيهما فمقته الله عَزَّوَجَلَّ فهو يتجلجل بين الأرضين، كل ذلك ثابتٌ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والشاهد فيه: أنه قال: «فَنَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ».

قال: (فَهاكَ خُذْهَا أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، قَدْ جِئْنَاكَ بِهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْثُورَةً صَحِيحَةً، بَعْدَمَا ادَّعَيْتَ بِجَهْلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُول الله -صلىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا عَنْ غَيْرِه، وَمَا تَصْنَعُ فِيهِ بِأَثَرٍ بَعْدَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لِشَيْءٍ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ إِلَّا لِمَنْ هُوَ مِنْ ذَوِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ).

قال: (وَقَدْ يُقَالُ فِي مَجَازِ الْكَلَامِ).

والمقصود بالمجاز هاهنا: أي ما يجوز في كلام العرب، لا يعني ذلك أن اللغة لها وضعان، وضعٌ حقيقي ووضعٌ مجازي، وإنما الذي أراده المتقدمون كأبي عبيد معمر بن المثنىٰ من لفظة المجاز أنه اللفظ الذي يجوز في كلام العرب، وبهذا سمَّىٰ أبو عبيدة كتابه" مجاز القرآن" يريد المعاني والتفاسير لا المعنىٰ المتأخر، ولذلك قال في قوله تعالىٰ ﴿الرحمن علىٰ العرش استوىٰ﴾ مجازه علا وارتفع ولم يقل: استولىٰ فتنبه.

قال: (وَقَدْ يُقَالُ فِي مَجَازِ الْكَلَامِ: الْجِبَالُ وَالْقُصُورُ تَتَرَاءَىٰ وَتَسْمَعُ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّهَا يُقَابِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَبْلُغُهَا الْأَصْوَاتُ وَلَا تفقه، وَلَا يُقَال: جَبَلٌ سَمِيعٌ وبَصِيرٌ، وَقَصْرٌ سَمِيعٌ وبَصِيرٌ؛ لِأَنَّه سَمِيعٌ مُسْتَحِيلٌ ذَلِك إِلَّا لِمَنْ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، وَيُبْصِرُ بِبَصَرٍ.

فَإِنْ أَنْكَرَ أَصْحَابُ الْمَرِيسِيِّ مَا قُلْنَا فَلْيُسَمُّوا شَيْئًا لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ أَجَازَتِ الْعَرَبُ أَنْ يَقُولُوا: هُوَ سيمع بَصِيرٌ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لَهُ ذَلِكَ).

ثم قال: (باب إتيان الله عَزَّوَجَلَّ)،

ثنّىٰ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد الكلام عن الصفات الخبرية الذاتية بالكلام عن بعض صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الفعلية، فصفات الله عَزَّوَجَلَّ لها تقسيماتٌ مختلفة باعتبارات مختلفة، فهي تنقسم إلىٰ صفاتٍ ثبوتية، وصفاتٍ منفية **باعتبار الوجود والعدم**، فالسمع والبصر والقدرة والعلم هذه صفاتٌ ثبوتيةٌ ثابتةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والظلم والنسيان والغفلة والولد والعيّ والضعف هذه صفاتٌ منفيةٌ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذه قسمة.

وتنقسم باعتبار علاقتها أو تعلقها بذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ صفاتٍ ذاتية، وصفاتٍ فعلية، فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفكُّ عن ذات الله أبدًا، لا يزال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوفًا بها، كالسمع والبصر والقدرة، والصفات الفعلية: هي التي أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه والتي تسمىٰ بالصفات الاختيارية أو الأفعال الاختيارية، وهي التي تقع علىٰ حسب مشيئته وإرادته وتتعلق بأسبابها، فتقع عند وجود السبب، كالغضب، والضحك، والإتيان، والمجيء، والفرح، وغير ذلك، فهذه صفاتٌ فعلية.

وهناك قسمٌ ثالث: وهي الصفات الذاتية الفعلية، فهي ذاتيةٌ باعتبار، فعليةٌ باعتبارٍ آخر، ذاتيةٌ باعتبار نوعها، كصفة الكلام هي صفةٌ ذاتية، لا يزال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متّصفًا بها، وهي فعليةٌ باعتبار آحادها، وكصفة الخلق كذلك، وصفة الإرادة، وهذه هي التي يقول عنها العلماء: صفاتٌ قديمة النوع حادثة الآحاد، فهذا تقسيمٌ باعتبار علاقة الصفة بذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهناك تقسيمٌ آخر، وهو باعتبار علمنا بهذه الصفة، فهناك صفاتٌ سمعيةٌ خبرية، لا سبيل

للعلم بها إلا عن طريق الخبر، الآية والحديث، كالاستواء والنزول، فلو لم يرد الدليل ما عرفنا هذه الصفة، العلو ثابتٌ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أما استواؤه فلا سبيل للعلم به إلا بالدليل ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وكذلك النزول.

وهناك صفاتٌ خبريةٌ عقلية، هي خبريةٌ؛ لأن الخبر جاء بها، وهي عقلية؛ لأنها لازمة للبارئ الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكونه خالقًا بارئًا لا بد أن يكون قادرًا عالمًا حكيمًا، فهذه يثبتها الخبر ويثبتها العقل كذلك.

بعد أن انتهىٰ المصنف، أو بعد أن ذكر بعض الصفات الخبرية ثنّىٰ ببعض الصفات الفعلية، **ومنها**: صفة إتيان ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يوم القيامة للفصل بين العباد.

باب إتيان الله

فإتيان الله ومجيئه يوم القيامة من جنس الأفعال الاختيارية التي أثبتها لنفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا فردٌ من هذه الأفعال، فهو سبحانه ﴿فعّالٌ لما يريد﴾، يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فعّال صيغة مبالغة، لا يزال يفعل، وإن كان أصل فعله قديمًا، يأتي يوم القيامة، ويجيء، ويفرح، ويضحك، ويغضب، وينزل فىٰ الثلث الأخير من الليل، أو في عشيّة عرفة، أو في النصف من شعبان، إلىٰ غير ذلك مما هو ثابتٌ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وواقعٌ بمشيئته وعلىٰ مقتضىٰ حكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

لماذا ذكر المصنف هذه الصفات، الصفات الفعلية؟ لأن المعطّلة لا يثبتونها، كل الفرق لا تثبت هذه الصفات إلا أهل السنة، يعني الصفات الخبرية كالسمع والبصر واليد والعينين هذه تثبتها بعض الفرق مع أهل السنة والجماعة كمتقدّمي الأشعرية، فالأشعري يثبت هذه الصفات، وأما الصفات الفعلية فلا يثبتها إلا أهل السنة والجماعة، حتىٰ الأشعري بعد أن عاد إلىٰ مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ ما كان يثبت هذه الصفات.

سبب نفي المعطلة للصفات الفعلية

لماذا نفىٰ المعطّلة الصفات الفعلية؟ لأمورٍ ثلاثة:

الأمر الأول: أنهم ظنّوا في إثباتها مشابهة الخالق للمخلوق، ظنوا أننا لو أثبتنا هذه الصفات لشبّهنا الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالمخلوق، فلو أثبتنا الضحك مثلًا يقولون: الضحك يقتضي وجود أسنان ولهاة وفم، وهذا فعل الإنسان، ولو أثبتنا الغضب فهذا يقتضي التغيّر في الإنسان؛ لأن الغضب عبارة عن فوران الدم في جسد الإنسان، هناك تغيُّر، فهذا يقتضي مشابهة الإنسان.

وإثبات هذه الصفات لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يلزم منه مشابهة المخلوق؛ لأن القاعدة العامة عندنا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، فكذلك ليست صفته كصفة المخلوق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فلا يعلم كيفية صفاته إلا هو، لكن: هل لصفات الله كيفية؟ نعم، الكيفية لا يعلمها إلا صاحبها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يعلم هذه الكيفية، أما نحن فلا نعلم كيفية صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وعندنا في ذلك قاعدةٌ مستمرةٌ مطّردة، وهي قاعدة الإمام مالك التي جعلناها أصلًا يندرج تحته كل صفات ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فالصفة معلومة المعنىٰ، مجهولة الكيف، الإيمان بها وبكيفيتها واجب، الإيمان بالمعنىٰ والكيف واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، هذه قاعدةٌ تندرج تحتها كل الصفات.

وشيخ الإسلام وغيره من أهل العلم ضربوا أمثلةً كثيرةً في الفرق بين صفة مخلوقٍ ومخلوق، يعني رجل الفيل، ورجل النملة، ورجل الحصان، هذا له رِجل، وهذا له رجل، بس علىٰ حسب الإضافة، هذه الأرجل تختلف بحسب الإضافة، صحيح؟ لأننا لا نجد الصفة المفردة هكذا دون إضافتها إلا في الذهن لا الخارج، فيُفهم المعنىٰ من خلال الإضافة، وتكون الكيفية علىٰ حسب الإضافة، فإذا كان الخلاف واقعًا في المخلوقين فكيف

لا تكون صفة الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلافًا لصفة المخلوق؟

الأمر الثاني: كذلك نفوا هذه الصفات فقالوا: لو كانت الأفعال الاختيارية كمالًا وجب أن يتصف الله بها أبدًا؛ لأن الكمال يتصف الله عَزَّوَجَلَّ به أبدًا، لكننا لم نجد الله يتصف بها أبدًا، كما قلنا: لأنها تقع لحكمته ومشيئته لوجود السبب، فإذا وُجد السبب وُجدت الصفة، إذا وُجد ما يقتضي الفرح فرح ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ما يقتضي الغضب غضب ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فهذه الصفة لا توجد أبدًا، وإن كانت نقصًا لزم أن يُنزَّه ربنا عنها، وهذا ما نفعله، هكذا يقولون، لمَّا لم يتصف ربنا بها أبدًا دلّ ذلك علىٰ أنها ليست صفة كمال، وإنما صفة نقص، ولذلك نزّهنا ربنا عنها، حجج عقلية.

والجواب: أنها صفة كمالٍ في محلها، هي صفة كمالٍ في محلها، وحكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تقتضيها غير محلها، فلو جاءت هذه الصفة في غير محلها لكانت نقصًا، وهذا يُتصوّر في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ فلو أساء ولدك فضربته فضربك إياه في هذا الوقت كمال، لكنك لو ضربته وهو مطيع فهذا نقص.

وأفعال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مُعَلّلة وقائمةٌ علىٰ حِكَمٍ وغاياتٍ عظيمة جليلة، ومع أن الأصل في هذا الباب قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]، لكن الله عَزَّوَجَلَّ وصف نفسه بالحكمة، وسمّىٰ نفسه الحكيم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فهو الذي يضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، فكانت هذه الصفات علىٰ مقتضىٰ حكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولذلك نقطع أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعذّب المطيع الذي قضىٰ كل حياته في طاعته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا لا يُتصوّر أن يدخله الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ النار إذا كان متابعًا مخلصًا، لأن حكمة الله عَزَّوَجَلَّ تنافي ذلك، كما أننا نقطع أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يثيب الكافر، ولا يدخله الجنة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه الحكيم، فهذه الصفات الفعلية قائمةٌ علىٰ حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وهذا لا ينافي قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم**»، لأن المعطلة يستدلون بهذا الحديث علىٰ نفي الحكمة، وهو عمدة عندهم في تعطيل تعليل أفعال الله، مع أن الحديث في نظرهم حديث آحاد، لكن هم يأخذون ما يؤيّد بدعتهم، يقولون: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال- دون ذكر حكمة-، لو أراد الله أن يعذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم، مع أن أهل السماوات فيهم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وأهل الأرض فيهم الأنبياء والمرسلون، ومع ذلك قال: «**لعذّبهم وهو غير ظالمٍ لهم**»، وهذا هم غير صحيح. لا بد أن نفهم الحديث علىٰ قاعدة أهل السنة والجماعة، وهذه القاعدة هي المقايسة بين نعمة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العبد وشكر العبد لهذه النعمة، فلو وضعنا شكر العبد لهذه النعمة في مقابل النعمة لما استوىٰ الشكر مع نعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلو عذّبهم عذّبهم بعدله؛ لأنهم لم يشكروه الشكر المساوي لنعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولذلك لا يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله وفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، جعلنا الله وإياكم من أهل رحمته، ودار كرامته.

فهذه الصفات كما قلنا: هي كمالٌ في محلها، وليس معنىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتصف بها أبدًا أنها صفات نقص.

الأمر الثالث: وهي الشبهة العمدة في هذا الباب: أن قيام الأفعال الاختيارية بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستلزم حلول الحوادث والتغيُّر، يتكلم بعد أن لم يكن متكلمًا يعني حدث شيء بعد أن لم يكن، يغضب بعد أن لم يكن غاضبًا، يفرح بعد أن لم يكن فرحًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو بعد أن لم يكن يفرح، فهذا يقتضي حدوث شيءٍ جديد بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقالوا: هذا معناه حلول الحوادث بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

والرد علىٰ هذه الشبهة: أن هذا الأصل أصلٌ فاسدٌ شرعًا وعقلًا، هذا أصلٌ فاسدٌ شرعًا



وعقلًا لا نسلّم به.

أما من جهة الشرع فلأنه علىٰ خلاف الدليل، من قيام الصفات الفعلية به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَو يَأْتِيَ رَبُّكَ أَو يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قط»، وقال: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة أحدكم»، فهذه كلها صفات فعلية جاء الدليل بإثباتها، وسمعها الصحابة من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمرّوها كما جاءت، أثبتوا المعنىٰ، أما الكيف فوكلوه إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا من جهة الشرع.

كما أنه يلزم منه أن الله عَزَّوَجَلَّ جمادٌ أو ميّت، يلزم من نفي الصفات الفعلية أن هذا الإله إما أن يكون جمادًا أو يكون ميّتًا، لماذا؟ لأن الذي هذه صفته لا يتأتّىٰ منه فعل، وليس هو بإله.

ويلزم منه كذلك نفي الخلق والتدبير والتصرّف في هذا الكون؛ لأنك نفيت صفات ربنا الفعلية كلها، فكيف يصرّف الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذا الكون؟ وكيف يدبّره؟ كيف يأمر؟ ﴿كُلَّ يومٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾[الرحمن: ٢٩]، سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يرزق هذا، والرزق قديم النوع حادث الآحاد، فلو نفيت الأفعال الاختيارية التي تقوم بذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فكيف تثبت وتتعلم الناس أيها المعطل أن الله يرزق العباد؟!

ثم هي دعوىٰ لم ترد في الكتاب والسنة، هذا لفظٌ مُبتدَع، ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، هذه قاعدة مُبتدعة ليس عليها دليلٌ لا من كتاب الله ولا من سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن هنا عقد المصنف هذا الباب.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّك﴾[الأنعام:١٥٨]، **وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠]، **فَادَّعَيْتَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْهُ بِإِتْيَانٍ لِما أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَرِكٍّ عنْدك)**.

سيأتي الدليل علىٰ زعمهم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتحرك.

(فَادَّعَيْت أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْهُ بِإِتْيَانٍ لِما أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَرِكٍّ عنْدك، وَلَكِنْ يَأْتِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِزَعْمِك).

يبقىٰ يوم القيامة في هذا النسخة فاعل، يعني الذي يأتي هو يوم القيامة، في بعض النسخ ولعلها أصح **(ولكن يأتي بيوم القيامة، أو يأتي بالقيامة)**، لعل هذا أصح؛ لأن الآية فيها نسبة فعل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهم قدّروا محذوفًا، يعني ﴿هَلْ يَنْظُرُون إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّك﴾، بيوم القيامة.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠]**)**.

يأتي الله بأمره في ظللٍ من الغمام، يعني كذلك قدّر محذوفًا، فهو من مجاز الحذف، هكذا زعموا.

(وَلَا يَأْتِي هُوَ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ زَعَمْتَ أَنَّ مَعْنَاهُ كَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦]، **وَكقَوْلِهِ تعَالَىٰ:** ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر:٢]، **فيُقَالُ لِهَذَا الْمَرِيسِيُّ: قَاتَلَكَ اللهُ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ كِتَابِهِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بَصَرٍ: أَنْبَأَكَ اللهُ أَنَّهُ إِتْيَانٌ، وَتَقُولُ لَيْسَ إتيانًا، إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ:** ﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾**؟!)**.

فالمريسي هاهنا ماذا صنع؟ جمع بين ما فرّق الله، فالله عَزَّوَجَلَّ فرّق بين إتيانين: أحدهما هو إتيان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والثاني مُقيّدٌ بإتيان الله بالعذاب أو الهلاك أو غير ذلك، أحدهما يختص بالآخرة، والآخر يختص بالدنيا، فجمع بين ما فرّق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن عجيب أمرهم كذلك: أنهم قالوا في نفي هذه الصفة، صفة الإتيان في مثل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢] قالوا: "﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ فلعله - يعني ﴿رَبُّكَ﴾ هذا- لعله ملَكٌ أرسله الله عَزَّوَجَلَّ ليربي النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي يوم القيامة فيقول: يا محمد، هذا الملك الذي ربّاك قد جاء"، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني الذي ربّاك يا محمد من الملائكة!!، قال الرازي هذا في أساس التقديس؛ لأنه ينفي الإتيان والمجيء وهذا من الكذب في دين الله، وهو كذبٌ وافتراءٌ علىٰ الله ورسوله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقال الإمام الدارمي: (لقد مَيَّزْتَ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللهُ، وَجَمَعْتَ بَيْنَ مَا مَيَّزَ اللهُ، وَلَا يجمع بَين هذَيْن فِي التَّأْوِيلِ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ تأوِيلَ كُل وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْرُونٌ بِهِ فِي سِيَاقِ الْقِرَاءَةِ).

إذًا عندنا قاعدة يدندن حولها الإمام الدارمي وهي: اعتبار السياق، سياق الكلام مهم جدًا، لا بد من النظر فيه، لا يجوز لك أن تنظر إلىٰ الكلمة بمفردها.

(لِأَنَّ تأوِيلَ كُل وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْرُونٌ بِهِ فِي سِيَاقِ الْقِرَاءَةِ، لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مِثْلُكَ، وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِعُقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَشُكُّوا أَنَّهُ يَنْزِلُ يَوْمِ الْقِيَامَة لِيَفْصِل بَيْنَ عِبَادِهِ، وَيُحَاسِبُهُمْ).

أو يحاسبَهم- علىٰ النصب-، عطفًا علىٰ ليفصل.

(وَيُثِيبَهُمْ، وَتَتشقَّقُ السَّمَوَاتُ يَوْمَئِذٍ لِنُزُولِهِ، وَنُزِّل الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ثَمَانِيَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَشُكَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَنْزِلُ إِلَىٰ الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا علمُوا يَقِينًا أَنَّ مَا يَأْتِي النَّاسَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ إِنَّمَا هُوَ مِن أَمْرِهِ وَعَذَابِه).

لو سألت أي أحد: هل سينزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ هذه الأرض قبل يوم القيامة؟ الجواب النفي، لن ينزل الله عَزَّوَجَلَّ وإنما هو نزولٌ واحدٌ إلىٰ هذه الأرض وهو النزول يوم القيامة، ﴿وَيَومَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنزِيْلًا﴾[الفرقان: ٢٥]، نزول الملائكة يسبق نزول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا النزول سيكون يوم القيامة، ثم يأتي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، يكونون صفوفًا حول الناس، يحيطون بالناس في أرض المحشر، فهذا هو النزول الذي سيكون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا هو الإتيان الذي سيكون إلىٰ الأرض له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما كل إتيانٍ يخالف هذا الإتيان في القرآن والسنة فهو إما إتيان أمره أو إتيان عذابه جمعًا بين الآيات.

قال: (فَقَوْلُهُ: ﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾).

ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية قال: ﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾، هذه الجملة مقيَّدة أم مطلقة؟ الإتيان هاهنا مقيَّد أم مطلق؟ إتيان مقيّد، وأتىٰ هاهنا متعدية أم لازمة، متعدية بخلاف أتىٰ تعنىٰ المجيء، مجيء ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعضُ آياتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]، فالإتيان هنا لازم، أما إتيان الله بالأمر، بالعذاب، فهذا مقيّد، ويتعدّىٰ إلىٰ غيره، فجمع المريسي بين ما فرّق الله عَزَّوَجَلَّ وما فرّقت اللغة كذلك.

قال: (﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦]، يَعْنِي أَتَىٰ مَكْرُهُ مِنْ قِبَلِ قَوَاعِدِ بُنْيَانِهِمْ ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، فَتَفْسِيرُ هَذَا الْإِتْيَانِ خُرُورُ السَّقْفِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، مَكَرَ بِهِمْ فَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وهم بَنو النضِير).

قال: (فَتَفْسِيرُ الْإِتْيَانِ مَقْرُونٌ بِهِمَا خُرُورُ السَّقْفِ وَالرُّعْبُ).

يعني في الآيتين.

(وَتَفْسِيرُ إِتْيَانِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْصُوصٌ فِي الْكِتَابِ مُفَسَّرٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:١٣-٢٩]، فَقَدْ فَسَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَعْنَيَيْنِ تَفْسِيرًا لَا لَبْسَ فِيهِ، وَلَا يُشْتَبَهُ عَلَىٰ ذِي عَقْلٍ، فَقَالَ فِيمَا يُصِيبُ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ فِي الدُّنْيَا: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤]، فحين قَالَ: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ عَلِمَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ أَمْرَهُ يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥]، وقَالَ كذلِك: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]).

وقوله ﴿يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ أي: مع ظللٍ من الغمام، ففي هنا لا تعني أن الله عَزَّوَجَلَّ يكون داخل الغمام، وإنما هذا الغمام يكون مصاحبًا لربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه علىٰ الواسطية، أو علىٰ ظللٍ من الغمام، يعني يكون أسفل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ظللٌ من الغمام.

قال: (﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[البقرة:٢١٠]، وقال: ﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، مِنْ هذِهِ الآيَاتِ عُلِمَ بِمَا قَصَّ اللهُ مِنَ الدَّلِيلِ، وَبِمَا حَدَّ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَئِذٍ أَنَّ هَذَا إِتْيَانُ اللهِ بِنَفْسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَلِيَ مُحَاسَبَةَ حلقه بِنَفْسِهِ، لَا

يَلِي ذَلِكَ أَحَدٌ غيره، وأَن مَعْنَاهُ مُخَالِفٌ لِمَعْنَىٰ إِتْيَانِ الْقَوَاعِدِ، لاخْتِلَاف القضيتين.

أَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ قَال: ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾، وَلَمْ يَذْكُرْ عِنْدَهَا نَفْخَ الصُّورِ، وَلَا تَشَقُّقَ السَّمَاءِ، وَلَا تَنَزُّلَ الْمَلَائِكَةِ وَلَا حَمْلَ الْعَرْشِ، ولَا إِتْيَان المَلَكِ صفًّا صفًّا، وَلَا يَوْمَ الْعَرْضِ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النحل:٢٦]، فَرَدَّ الْإِتْيَانَ إِلَىٰ الْعَذَابِ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ مَا قَرَن بيْنهمَا مِنَ الدَّلَائِلِ وَالتَّفْسِيرِ).

أي أن الذي فرّق بين المعنيين هو ما جاء بين الآيتين من الدلائل والتفسير.

قال: (وَإِنَّمَا يَصْرِفُ كل معنىٰ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُهُ فِي سِيَاقِ الْقَوْلِ).

هذا هو الأصل في التفسير وفهم المعنىٰ فاعتبره.

(إِلَّا أَنْ يَجِدَ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ فِي الْفَرْطِ يَجُوزُ فِي الْمَجَازِ بِأَقَلِّ الْمَعَانِي وَأَبْعَدِهَا عَنِ الْعُقُولِ، فَيَعْمِدُ إِلَىٰ أَكثر مَعَانِي الْأَشْيَاء وَأَغْلَبِه، فَيَصْرِفُ الْمَشْهُورَاتِ مِنْهَا إِلَىٰ الْمَغْمُورَاتِ الْمُسْتَحِيلَاتِ، يُغَالِطُ بِهَا الْجُهَّالَ، وَيُرَوِّجُ عَلَيْهِمْ بِهِ الضَّلَالَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا مِنْهُ عَلَىٰ الظِّنَّةِ وَالرِّيبَةِ، وَمُخَالَفَةِ الْعَامَّةِ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، تُصْرَفُ مَعَانِيهِ إِلَىٰ أَشْهَرِ مَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي لُغَاتِهَا، وَأَعَمِّهَا عِنْدَهُمْ).

حِيَل الجهمية وأذنابهم في التعطيل

الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحكي طريقة أهل البدع، فيقول: هناك معنىً مشهور لهذه اللفظة في سياقها، هذا المعنىٰ مطّردٌ في الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة، فهو-أي المعطل- يصرف معنىٰ هذه اللفظة من المعنىٰ المشهور المعروف عند العرب إلىٰ معنىً مهجور أو مغمور كما سمّاه الإمام هاهنا، وهذه طريقة أهل البدع في التعامل مع النصوص والألفاظ،

فإما أن يعمد كما قلنا إلىٰ معنىٰ مهجور يجعله الأصل في تفسير الآية أو الحديث، يعني ﴿اسْتَوَىٰ﴾ في كل الآيات التي وردت فيها بمعنىٰ علا وارتفع. هل تعرف العرب معنىٰ استولىٰ لكلمة استوىٰ؟ هذا لا تعرفه العرب، قال داود بن علي: كنَّا عند ابن الأعرابي - وهو من أئمة اللغة، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿الرَّحْمَنُ علىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ قال: هو علىٰ عرشه كما أخبر. فقال الرجل: ليس كذاك إنما معناه استولي. فقال: اسكت، ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولىٰ علىٰ الشيء حتىٰ يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل استولىٰ، والله تعالىٰ لا مضاد له وهو علىٰ عرشه كما أخبر.

فيترك هؤلاء المعنىٰ المشهور ويذهب إلىٰ معنىً إما مجهول، أو مغمور، أو لا يصح.

اليد إذا وردت في الكتاب والسنة فالأصل فيها أنها يد الله تعالىٰ لأننا نفسر القرآن والسنة بالشرعيّات، وإن عدمنا الشرعيّات، انتقلنا إلىٰ العُرف، ثم بعد ذلك اللغة، كما هو معروف في الحقائق الثلاثة في أصول الفقه. هؤلاء يتركون تفسير اليد باليد وهذا ما يقتضيه ما جاء عن الصحابة وتقتضيه اللغة كذلك ويحملونها علىٰ القدرة، علىٰ النعمة، علىٰ الرزق تذرعًا بالمجاز والشبه العقلية الفاسدة، كما سبق.

الواحد من هؤلاء يقرأ وصف ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بأنه يضع قدمه، يضع رجله علىٰ النار فتقول: قطٍ قط، أو قطْ قطْ، قد امتلأت، وينزوي بعضها الىٰ بعض، فهذا فيه أن الله عَزَّوَجَلَّ له رجل، وله قدم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيقول: الرِّجل أي المجموعة من الناس، وهكذا، وتأويلهم لا زمام له ولا خطام.

أو أن يعمد المبتدع إلىٰ قراءةٍ شاذّة لا تصح، يترك القراءات السبعة المتواترة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويعمد إلىٰ قراءةٍ شاذة ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، ﴿وَكَلَّمَ اللهُ﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ هو المتكلم، فيذهب عمرو بن عبيد إلىٰ أبي عمرو بن العلاء ويريد منه أن

يقرأ "وكلم اللهَ موسىٰ"، فيجعل "موسىٰ" هو الفاعل، والمتكلَّم إليه هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أو المستمع الذي يستمع للمتكلم هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فقال له أبو عمرو: فماذا تفعل في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمّا جاءَ مُوسَىٰ لِمِيْقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف: ١٤٣]؟ ماذا تصنع في هذه الآية والضمير يتصل بالفعل؟ لن تستطيع أن تؤوّلها.

تجد بعض المعتزلة... في قول ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿عَذابِي أُصِيْبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦] الآية بتقول ﴿ أُصِيْبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ﴾، وفيها ما يخالف وينقض عقيدة المعتزلة. فيها إثبات مشيئة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في العصاة في الآخرة، إن شاء عذّبهم بعدله وإن شاء غفر لهم بفضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيقرؤها المعتزلي: عذابي أصيب به من أساء، لماذا؟ لأنه يعتقد أن العاصي إن مات علىٰ ذلك فهو خالدٌ مخلدٌ في النار، لأصلهم في الوعد والوعيد.

أو أنهم يجعلون ما جاء من الصفات بالنسبة لصفات الله عَزَّوَجَلَّ أو صفات الآخرة من باب التخييل كما يفعل الفلاسفة ومن نحا نحوهم، ليس هناك جنة حقيقية، ولا نار، ولا بعث جسماني، إنما هو بعث الأرواح كما قال ابن سينا وغيره ممن ينكرون البعث الجسماني، وهي إحدىٰ المسائل الثلاثة التي كفره لأجلها الغزالي في تهافت الفلاسفة.

ولهم حججٌ في ذلك عليلة ذكرها ابن سينا في الرسالة الأضحوية له، فيقول إن هذا كله كان من باب التخييل، ففاكهة الجنة، والحيات والثعابين، والفراش فينار... كل هذا من باب التخييل، ليس حقيقةً، ولن يكون محسوسًا في الآخرة، وإنما هو من باب التخييل لحمل الناس علىٰ عبادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

المسائل الثلاثة التي كفَّر بها الغزالي الفلاسفة

ولذلك الغزّالي كفّره كما قلنا في (**تهافت الفلاسفة**)، سمّاه تهافت الفلاسفة ليس تهافت

الفلسفة؛ لأن الغزالي كان فيلسوفًا، فسمّاه تهافت الفلاسفة أراد أن هؤلاء الفلاسفة المشّاؤون أخطؤوا في هذه المسائل، ذكر لهم عشرين مسألة، كفّرهم في ثلاث منها:

- أنهم يقولون بقِدم العالم، إن هذا العالم قديم غير مخلوق.

- أنهم يقولون بعلم الله بالكلّيّات دون الجزئيات، فربنا لا يعلم التفاصيل التي تقع في هذا العالم، فمثلًا يقولون: ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم إن سيكون هناك أنبياء، وملائكة علىٰ الجملة، أمّا نبي اسمه محمد فعل كذا وكذا وبُعث كذا في سنة كذا وكذا وكذا، هذا تعرفه العقول العشرة بناء علىٰ نظرية عندهم اسمها نظرية الفيض والصدور، فعزلوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إن صح التعبير- عن هذا العالم الذي خلقه حتىٰ لا يتصل الكامل بالناقص ولا يحل به الحوادث التي هي جزئيات المعلومات!!، والذي يدبّر هذا العالم، الأقمار، والأفلاك، فيقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم الكليّات فقط دون الجزئيات، إذن كيف سيحاسب الخلائق يوم القيامة ويحصي أعمالهم ويعدّ هذه الأعمال عليهم عدًّا؟ فكفّرهم الغزالي بسبب هذه المسألة.

- **المسألة الثالثة التي كفّرهم من أجلها**: هي مسألة إنكار البعث الجسماني، أنهم ينكرون بعث الله للأجساد، فيقولون: هذا خلاف الحكمة، أو إن هذا شيء لا يُتصوّر في العقل، أو غير ذلك، فكفّرهم بسبب هذه المسائل.

فهكذا تعامل أهل البدع مع النصوص الواردة في أمور الغيب، سواء كانت صفات ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو أمور الآخرة.

أغلب الألفاظ التي استخدمها المبتدعة غيّروا معانيها عن العربية

فهنا بيّن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هؤلاء ينزعون ويذهبون إلىٰ المعاني المغمورة، ويتركون المعاني المشهورة، ولذلك بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن أغلب الألفاظ التي

استخدمها المبتدعة غيّروا معانيها عن العربية، والواجب أن نسأل المتكلم من هؤلاء المعطلة: ماذا تقصد بهذا اللفظ؟ ولو نظرنا في حال الملاحدة الموجودين حاليًا تجد أنهم ورثوا هذا العفن عن أسلافهم، ولذلك يقال له: ماذا تقصد بهذا اللفظ؟ يقول لك: هات لي دليل علىٰ وجود الله، قل له: ماذا تقصد بالدليل؟ ما هو حد الدليل عندك؟ ستجد إن حد الدليل عنده غير حد الدليل عند المسلمين، فالدليل ممن الممكن أن يكون دليل الفطرة، ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[الروم: ٣٠]«كل مولودٍ يولد علىٰ الفطرة» أي الإسلام، فلا يقبل هذا الدليل، تقول له: الحسيّات، أمور محسوسة في الكون تراها صباح مساء دليل علىٰ وجود الله، هذا ليس دليلا عنده كذلك، العقليّات، الأمور البدهية التي اتفقت عليه العقول السليمة، ليس دليلا!!،!!إذن ماذا تريد؟ دليلًا في المعمل، دليلا تجريبيا، دليل خرج به من يلبس المعطف الأبيض، هذا هو الدليل المعتبر عند كثير من ملاحدة الزمان!! فلابد في كل لفظ ومسألة يتكلم بها هؤلاء أن تسألهم: ماذا تقصد بذلك؟

قال: **(فَإِنْ تَأَوَّلَ مُتَأَوِّلٌ مِثْلُكَ جَاهِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْهُ خُصُوصًا)**.

أي خصّ الدليل بغير مخصِّص، تأوّله فخصّه بغير مخصِّص.

(أَوْ صَرَفَهُ إِلَىٰ مَعْنًىٰ بَعِيدٍ عَنِ الْعُمُومِ بِلَا أَثَرٍ، فَعَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ فِي دَعْوَاهُ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَىٰ الْعُمُومِ أَبَدًا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَقَدْ كَفَانَا رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تَفْسِيرَ هَذَا الْإِتْيَانِ، حَتَّىٰ لَا يُحْتَاج لَهُ مِنْكَ إِلَىٰ تَفْسِيرٍ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِيهِ أَثَرٌ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ تَفْسِيرِكَ لِمَا أَنَّكَ فِيهِ ظَنِينٌ غَيْرُ أَمِينٍ).

الظنين هو الرجل المتهم، والظنّة التهمة، يقول له: لست من أهل العلم ؛ فلا يُقبل منك الكلام.

(حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدّثَنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يعبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ»).

هنا أثبت الإتيان والمجيء.

قال: «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبنَا فيتبعونه» الحديث.

(حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدّثَنَا حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ قَالَ: "يَنْزِلُ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَمِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْأَرْضِ: أَفِيكُمْ رَبُّنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، وَسَيَأْتِي، ثُمَّ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ الثَّانِيَةُ - وَسَاقه إِلَىٰ السَّمَاء السَّابِعَةِ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: أَفِيكُم رَبُّنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَسَيَأْتِي، ثُمَّ يَأْتِي الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْكُرُوبِيِّينَ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض").

وهذا الأثر ضعّفه بعض أهل العلم، وحكم بعضهم عليه بالنكارة، قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "مداره علىٰ علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف، وفي سياقاته غالبًا نكارةٌ شديدة، وقوّاه الإمام الذهبي.

وقوله: في الكروبيين، الكروبيون هم خيرة الملائكة، وهم الملائكة المقرّبون، ولا تثبت هذه التسمية في حقهم. يقال لكل حيوانٍ وثيق المفاصل: إنه لمُكرَب الخلق إذا كان شديد القوىٰ.

الشاهد في هذا الحديث: أنهم قالوا: أفيكم ربنا؟ فتقول الملائكة: لا، وسيأتي، وفيه قال: «ثم يأتي الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ، حدّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[إبراهيم:٤٨] قَالَ: يُبَدِّلُهَا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْضٍ مِنْ فِضَّةٍ لَمْ تُعْمَلْ عَلَيْهَا الْخَطَايَا، ويَنْزِلُ عَلَيْهَا الْجَبَّارُ»).

وهذا كذلك أثرٌ فيه ضعف، الشاهد فيه أنه قال: «ينزل عليها الجبار» والنزول إتيان، ففيه إثبات إتيان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (حَدثنَا أَحْمد بن يونُس، حدّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَب، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ»).

والأديم: باطن الجلد الذي يلي اللحم، وأما ظاهره فيسمىٰ بالبشرة.

(«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ قُبِضَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَهْلِهَا فَنُثِرُوا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِذَا أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا رَآهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ فَزِعُوا، وَقَالُوا: أَفِيكُمْ رَبُّنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَيْسَ فِينَا وَهُوَ آتٍ، قَالَ: ثُمَّ يُقْبَضُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، قَالَ ابنُ عبّاس: فَلَأَهْلُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَحْدَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ سِتِّ سَمَوَاتٍ وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالضِّعْفِ، قَالَ: «وَيَجِيءُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ، وَالْأُمَمُ جثًا صُفُوفٌ»).

يقال: جثا يجثو إذا جلس علىٰ ركبتيه، أو إذا قام علىٰ أطراف أصابعه، كما في قواميس اللغة، فالناس يوم القيامة إما أن يكونوا علىٰ ركبهم، وإما أن يقفوا علىٰ أطراف أصابعهم، وهذه شدةٌ ما بعدها شدة، ومنه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[الجاثية: ٢٨]، وقال: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُم حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[مريم: ٦٨].

قال: "وَالْأُمَمُ جثًا صُفُوفٌ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ: سَتَعْلَمُونَ الْيَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الْكَرَمِ".

وهذا الأثر موقوفٌ علىٰ ابن عباس، وحسّن إسناده الحافظ بن حجر في المطالب العالية، فإن ثبت فهو مما لا يقال بالرأي.

قال: (وَمَنْ يَلْتَفِتُ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ إِلَىٰ تَفْسِيرِكَ الْمُحَالِ فِي إِتْيَانِ اللهِ تَعالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَدَعُ تَفْسِيرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ مَجْنُونٍ، خَاسِرٍ مَفْتُونٍ، لما أَنَّكَ مَغْبُونٌ فِي الدِّينِ مَأْبُونٌ).

مَأْبُونٌ يعني متّهم، يقال: أَبَن الرجل يأْبُنُه أي: اتّهمه وعابه.

قال: (لما أَنَّكَ مَغْبُونٌ فِي الدِّينِ مَأْبُونٌ، وَعَلَىٰ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ تَعالَىٰ غَيْرُ مَأْمُونٍ، وَيْلَكَ! أَيَأْتِي اللهُ بِالْقِيَامَةِ وَيَتَغَيَّبُ هُوَ بِنَفْسِه؟ فَمَنْ يُحَاسِبُ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَكَ هَذَا وَأَسْتَيْقِنُ أَنَّهُ لا يُؤمن بِيَوْمِ الْحساب).

فعلًا، إذا أتىٰ الله بيوم القيامة فمن يحاسب الناس يوم القيامة؟

قال: (وَادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَادَّعَيْتَ أَنَّ تَفْسِيرَ الْقَيُّومِ عِنْدَكَ: الَّذِي لا يَزُولُ، يَعْنِي الَّذِي لا يَنْزِلُ وَلا يَتَحَرَّكُ، وَلا يَقْبِضُ وَلا يَبْسُطُ، وَأَسْنَدْتَ ذَلِكَ).

فادّعىٰ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ففسّر ﴿القَيّوْمُ﴾ بقوله: لا يزول، فسّرها: لا يتحرك، و معناها لا يفنىٰ ولا يبيد، ففسّرها بخلاف تفسير العرب، لينفي صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الفعلية.

قال: (وَأَسْنَدْتَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِكَ، غَيْرَ مُسَمًّىٰ عَن الْكَلْبِيّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "الْقَيُّومُ: الَّذِي لا يَزُولُ").

طب ده وارد عن بعض السلف، إنهم فسّروا القيوم: الذي لا يزول، لكن ما معنىٰ لا

يزول؟ لا يفنىٰ ولا يبيد، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الحي القيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَمَعَ رِوَايَتِكَ هَذِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ أَنها بَاطِلٌ).

يعني هذا الذي أسندتَه فيه كثير من الشواهد علىٰ بطلانه، **وأول هذه الشواهد:**

(إِحْدَاهَا: أَنَّك أَنْت رَوَيْتَهَا وَأَنْتَ الْمُتَّهَمُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ).

وهذا يكفىٰ فلست ممن يؤخذ عنهم العلم؛ إذ هذا العلم دين، لا يؤخذ عن كل أحد، فكيف بالمتهمين في توحيد الله؟.

(وَالثَّانِيَةُ: أَنَّكَ رَوَيْتَهُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِكَ غَيْرَ مُسَمًّىٰ، وَأَصْحَابُكَ مثلك فِي الظنة والتهمة.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ عَنِ الْكَلْبِيِّ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَثَرِ عَلَىٰ أَنْ لَا يَحْتَجُّوا بِالْكَلْبِيِّ فِي أَدْنَىٰ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، فَكَيْفَ فِي تَفْسِيرِ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَفْسِيرِ كِتَابِهِ؟ وَكَذَلِكَ أَبُو صَالِحٍ).

أي أن السند هالك مردودٌ عليك.

(وَلَوْ قَدْ صَحَّتْ رِوَايَتُكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

هب أن هذا التفسير ثابت عن عبد الله بن عباس، ومنقول عن كثير من السلف.

(وَلَوْ قَدْ صَحَّتْ رِوَايَتُكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "الْقَيُّومُ: الَّذِي لَا يَزُول" لَنْ نستنْكِرْه وَكَانَ مَعْنَاهُ مَفْهُومًا وَاضِحًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ أَنه مَعْنَىٰ "لَا يَزُولُ" لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ، لَا أَنَّهُ لَا يَتَحَرَّكُ، وَلَا يَزُولُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ إِذَا شَاءَ، كَمَا كَانَ يُقَالُ لِلشَّيْءِ الْفَانِي: هُوَ زَائِلٌ، كَمَا قَالَ لَبِيدُ بْنُ ربيعَة -رضِي اللّٰهُ عَنْهُ-).

وهو أحد أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشاعر العرب، فلما أسلم كفّ عن قول الشعر،

وانشغل بالقرآن.

قال: (كَمَا قَالَ لَبِيدُ بْنُ ربيعة: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا محَالة زائلُ).

جاءت الرواية أن عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع منه هذا البيت قال له: كذبت، أي أخطأت، نعيم الجنة لا يزول.

(يَعْنِي فانٍ، لَا أَنَّهُ مُتَحَرِّكٌ، فَإِنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكُ، وَمَا لَا يَتَحَرَّكُ فَهُوَ مَيِّتٌ لَا يُوصَفُ بِحَيَاةٍ، كَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَصْنَامَ الْمَيِّتَةَ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢٠-٢١]، فَالله الْحَيّ الْقَيُّومُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، يَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ، وَيَنْزِلُ إِذَا شَاءَ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، بِخِلَافِ الْأَصْنَامِ الْمَيِّتَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ حَتَّىٰ تُزَالَ).

لماذا أثبت من أثبت من السلف لفظ الحركة؟

فالإمام الدارمي هاهنا يثبت الحركة لله، جاء بها بعد صفة الإتيان؛ لأنه يعتبر الحركة من لوازم الإتيان، الذي يأتي لا بد أن يتحرك، وهذه اللفظة اختلف فيها أهل السنة والجماعة، هذه اللفظة، لفظة الحركة اختلف فيها أهل السنة والجماعة، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فذكر عن حربٍ الكرماني صاحب الإمام أحمد وله عقيدة، وعن عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما أنهم صرّحوا بلفظ الحركة، إثبات الحركة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين.

وذكر حربٌ الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل، يعني أثبت هذا القول لأحمد، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن الزبير الحميدي شيخ البخاري، وسعيد بن منصور.

قال عثمان بن سعيد وغيره: "إن الحركة من لوازم الحياة، فكل حيٍ متحرك، وجعلوا النفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة علىٰ تضليلهم وتبديعهم"، "وطائفةٌ أخرىٰ من السلفية كنعيم بن حمّادٍ الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والبخاري صاحب الصحيح، وأبي بكر بن خزيمة، وغيرهم كابن عبد البر وأمثاله"، يثبتون المعنىٰ الذي يثبته هؤلاء ولا يسمونه حركة، وإنما يسمونه فعلًا، لماذا؟ لأن هذا اللفظ لم يرد فيه لا الكتاب ولا السنة، يعني يثبتون المعنىٰ ويتوقفون في اللفظة.

قال: "ومن هؤلاء من يمتنع عن إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور".

والذي يجب أن نقطع به: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس كمثله شيء في جميع الصفات -كما يقول العثيمين-فمن مثّله بالمخلوقين في شيءٍ من صفاته فهو مخطئ، كأن يقول: ينزل، ويتحرك، وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلىٰ أسفل الدار، هذا خطأ، هذا تمثيل، هذا باطل، لكن إن كانت النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنزول إلىٰ السماء الدنيا تستلزم الحركة لله"، يعني النزول المعروف في لغة العرب يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل... هذا يستلزم الحركة، الإتيان يستلزم الحركة، فلا نضلّل من أثبتها؛ لأن الذي أثبت هذه اللفظة كثير من أئمة السلف، وهم أعرف الناس بعقيدة أهل السنة والجماعة ولغة العرب.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن كانت النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنزول إلىٰ السماء الدنيا تستلزم الحركة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالحركة له حقٌّ ثابتٌ بمقتضىٰ هذه النصوص ولازمها، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة، وإن كانت لا تستلزم الحركة لله تعالىٰ"، يعني هذه الصفات لا تستلزم الحركة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ فعاله تخالف فعال المخلوق، فإن قلنا: هذا ما تستلزمه فعالنا فلا يلزم من ذلك أن تستلزم صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفعاله

الحركة وغيرها.

قال: "وإن كانت لا تستلزم الحركة لله تعالىٰ لم يكن لنا إثبات الحركة له بهذه النصوص ولا أن ننفيها"، يعني لا نثبت ولا ننفي كذلك؛ لأن صفات الله توقيفية، فحينئذٍ يكون القول بإثبات أو نفي الحركة قولًا علىٰ الله تعالىٰ بغير علم، والأسلم أن نتوقف مع النصوص والألفاظ التي وردت في الشرع، نثبت المجيء، نثبت النزول، نثبت ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه ونقتصر علىٰ ذلك، لكن لا نضلّل من أثبت هذه الصفات، أنه جعلها من لازم الصفات الفعلية، وغلب علىٰ ظنه أن عدم الإثبات يقتضي النقص بالنسبة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأنه قال: إن الذي لا يوصف بذلك إما أن يكون جمادًا، أو ميّتًا، أو لا يتصرف في هذا الكون، إلىٰ غير ما قالوه.

قال: **(وَاحْتَجَجْتَ أَيْضًا أَيُّهَا المريسي فِي نفي التحريك عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالزَّوَالِ بِحُجَجِ الصِّبْيَانِ، فَزَعَمْتَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِينَ رَأَىٰ كَوْكَبًا وَشَمْسًا وَقَمَرًا ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[الأنعام:٧٦]، ثُمَّ قُلْتَ: فَنَفَىٰ إِبْرَاهِيمُ الْمَحَبَّةَ من كل إِلَهٍ زائل)**.

سبق أن معنىٰ زائل في لغة العرب يفنىٰ ويبيد، والمريسي يقول: زائل يعني متحرك؛ لأن المريسي يقول: **(فَنَفَىٰ إِبْرَاهِيمُ الْمَحَبَّةَ من كل إِلَهٍ زائل، يَعْنِي أَنَّ اللهَ إِذَا نَزَلَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ أَوْ نَزَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمُحَاسَبَةِ الْعِبَادِ فَقَدْ أفل وزال كَمَا أَفَلَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، فَتَنَصَّلَ مِنْ رُبُوبِيَّتِهِمَا إِبْرَاهِيمُ، فَلَوْ قَاسَ هَذَا الْقِيَاسَ)**.

يقول الدارمي **(فَلَوْ قَاسَ هَذَا الْقِيَاسَ تُرْكِيٌّ طُمْطُمَانِيٌّ)**.

والطُمْطُمَانِيُّ هو الأعجمي، ورجلٌ طمطمٌ أي: في لسانه عجمة، لا يفصح.

يقول: **(فَلَوْ قَاسَ هَذَا الْقِيَاسَ تُرْكِيٌّ طُمْطُمَانِيٌّ، أَوْ رُومِيٌّ أَعْجَمِيٌّ مَا زَادَ عَلَىٰ مَا قست قبحًا وسماجة، وَيْلَكَ! وَمَنْ قَالَ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا نَزَلَ أَوْ تَحَرَّكَ، أَوْ نَزَلَ**

لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَفَلَ فِي شَيْءٍ كَمَا تَأْفُلُ الشَّمْسُ فِي عين حمئة؟ إن الله لا يَأْفُلُ فِي شيءٍ سِوَاهُ، إِذَا نَزَلَ أَوِ ارْتَفَعَ كَمَا تَأْفُلُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوَاكِبُ، بَلْ هُوَ اللّٰهُ تعالىٰ الْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، الْمُحِيطُ بِكُل شَيْء فِي جميعِ أَحْوَالِهِ مِنْ نُزُولِهِ وَارْتِفَاعِهِ، وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَأْفُلُ فِي شَيْءٍ، بَلِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَخْشَعُ لَهُ وَتتواضعُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوَاكِبُ خَلَائِقُ مَخْلُوقَةٌ، إِذَا أَفَلَتْ أَفَلَتْ فِي مَخْلُوقٍ، فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تعالىٰ، وَاللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلّ، لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ شَيْءٌ).

بطلان الاستدلال بقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ علىٰ نفي الصفات الفعلية

فهؤلاء فسّروا الأفول الوارد في هذه الآية ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ بالزوال أي لما تحرّك وتغير قال: ﴿لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾، ولنا وقفات مع هذا التفسير لأنه عمدة عندهم في نفي الصفات الفعلية القائمة بالله تعالىٰ:

فتكاد تتفق كلمة الفلاسفة والمتكلمين علىٰ الاستدلال بقول الله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ للتدليل علىٰ وجود الباري- سبحانه-، بل وجعله الطريقة التي استخدمها الخليل إبراهيم -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في إثبات وجود الرب المستحق للعبادة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالمتكلمون كالزمخشري المعتزلي في كشافه يفسرها:" لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حالٍ إلىٰ حال، المتنقلين من مكانٍ إلىٰ مكان، المحتجبين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام!!" ومثله الرازي الأشعري في محصل أفكاره وفي تفسيره بل ويجعله قول أهل التحقيق، والغزالي في قسطاسه، وأبو منصور الماتريدي في تأويلات أهل السنة!(تفسيره) وابن حزم في الفصل، وغير هؤلاء كثير كلهم يفسرها علىٰ قانونهم المبتدع: ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ويفسرون الأفول بالحركة والتغير، ثم يبنون علىٰ ذلك

أن المتحرك حادث لأن الحركة حدثت بعد أن لم تكن، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ومن هنا كانت النتيجة المترتبة علىٰ الاستدلال بهذه الآية: نفي كل صفات الأفعال الواجبة للرب تعالىٰ كالاستواء والنزول والكلام والفرح والغضب والرضا والمجيء وتعطيلها أو تحريفها تحت غطاء التأويل الحادث المبتدع المبني علىٰ القرينة العقلية الفاسدة لأننا لو أثبتناها جعلنا الله تعالىٰ محلا للحوادث.

وأما الفلاسفة فيستدلون بالآية علىٰ طريقتهم في إثبات وجود الرب وهي طريقة الوجوب والإمكان ؛ ويفسرون الأفول بالإمكان أي طالما أنه حدث بعد أن لم يكن وتغير وأفل فهذا دليل علىٰ إمكان وجوده لا وجوبه ؛ والممكن لابد أن ينتهي وجوده إلىٰ واجب الوجود كما يقول ابن سينا في النجاة، ويقول في إشاراته: "إن كلَّ من هوىٰ في حظيرة الإمكان فقد أفل."

وبيان انحراف هذا الاستدلال يتضح بالنظر في النقاط التالية:

■ أن تفسير الأفول بالحركة أو التغير أو الإمكان لا يُعرف في لغة العرب البتة، وهو تفسير حمل الهوىٰ أصحابه علىٰ القول به حتىٰ إنك لتعجب من أمثال الزمخشري وهو من المبرزين في اللغة يحمله اعتزاله علىٰ تقديم معاني أهل اليونان علىٰ معاني لغة العرب التي نزل بها القرآن، فلا يسمىٰ في اللغة كل متحرك أو متغير آفلًا، ولا أنه أفل، لا يقال للمصلي أو الماشي إنه آفل، ولا يقال للتغير الذي هو استحالة، كالمرض واصفرار الشمس: إنه أفول، لا يقال للشمس إذا اصفرت: إنها أفلت، وإنما يقال أفلت إذا غابت واحتجبت، وهذا من المتواتر المعلوم بالاضطرار من لغة العرب: أن آفلًا بمعني غائب، وقد أفلت الشمس تأفل وتأفل أفولًا: أي غابتكما يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درء التعارض.

■ أنه وإن كان استدلال المتكلمين فاسدًا وذلك أن الكوكب يتحرك منذ بزوغه ولم يقل



إبراهيم " لا أحب الآفلين" منذ بدء حركته وتغيره كما يفسرون الأفول، فأشد فسادًا منه استدلال الفلاسفة كابن سينا بها للتدليل علىٰ التفريق بين الواجب والممكن ؛ وذلك أن قانونهم جعل كل ما سوىٰ الله الذي يسمونه واجب الوجود ممكنا، فجعلوا الأفول صفة كل مخلوق بناءً علىٰ هذه الآية، والعرب لا تسمي كل مخلوق آفلًا ولا كل ممكن آفلًا، فهذا جهل بلغة العرب. أضف إلىٰ ذلك أن الآية حجة عليهم لا لهم؛ وذلك أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما رأىٰ القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، وهكذا في الشمس، فتبين أن هذه الأجرام أفلت بعد أن لم تكن آفلة، فصار الأفول وصفًا طارئًا كما هو واضح وابن سينا يجعل الأفول الذي هو الإمكان وصفًا لازما للمخلوق، فكيف يستدل بقول الخليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ أن وجود الله تعالىٰ تقره وتفزع إليه الفطر السليمة المضطرة للإقرار بالرب الخالق، وهذا الدليل مما لا يأبه به الفلاسفة والمتكلمون مع أن هذه المعرفة الفطرية مركوزة في كل نفس مؤمنة وكافرة كما قال تعالىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾،وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كل مولود يولد علىٰ الفطرة" وما في الكون من آيات يُذِّكر وينبه تلك الفِطر علىٰ أن ذلك الإله الذي تقرون له بكمال صفات ربوبيته وتشاهدونها هو المستحق للعبادة دون من سواه، ولذلك لما سمع جبير بن مطعم قوله تعالىٰ: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ نُبهت فطرته، وزال ما عليها من الران فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كاد قلبي أن يطير، فليست الآية واردة في سياق الاستدلال الكلامي المبتدع بل لتذكير النفوس علىٰ ما هو مركوز في فطرتها وأقرت به في عالم الذر فتنبه. والشاهد أن الأنبياء لم يأتوا للتدليل عل ربوبية الله ووجوده كما زعم المتكلمون والفلاسفة في كلام الخليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصرفوا كل عنايتهم واستدلالهم لتقرير هذا الأصل، وإنما انطلقوا من إقرار النفوس بوجوده للتدليل علىٰ استحقاقه للعبادة وحده.

والشاهد مما سبق أن جل اعتقاد الفلاسفة المنتسبين للإسلام والمتكلمين الجهمية لم يُبن علىٰ ما كان عليه أنبياء الله ورسله وما كان عليه أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما بُني علىٰ مقالة الجعد بن درهم والجهم وبشر المريسي وغيرهم من رؤوس البدع ممن ينتهي إسناد دينهم إلىٰ الصابئة المشركين واليهود والنصارىٰ والسمنية الهنود وفلاسفة اليونان نسأل الله السلامة والعافية.

مسائل في رؤية الله

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب رؤية الله)**.

ومسألة رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما قلنا من أشرف مسائل الدين، بل إن المُشمرين ما شمروا وما جدوا في عبادتهم وفي طاعتهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا من أجل هذا الأمر، من أجل أن ينظروا إلىٰ وجه الله الكريم، لينالوا هذه النُضرة التي قال الله فيها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ انْتَدَبَ الْمَرِيسِيُّ الضَّالُّ لِرَدِّ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّؤْيَةِ فِي قَوْلِهِ: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ كَمَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، فَأَقَرَّ الْجَاهِلُ بِالْحَدِيثِ وَصَحَّحَهُ، وَثَبَّتَ رِوَايَتَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**.

قلت: أحاديث الرؤية أحاديث متواترة عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواها جمع من الصحابة يستحيل تواطؤهم علىٰ الكذب في هذه الرواية، ومُستندهم في ذلك الحِس، فكلهم يُخبر أنه سمع ذلك من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلم يستطع المريسي أن يرد هذا الحديث، فثبَّته عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه حرف

معناه كما سيُبين المصنف، وهذه طريقة المعطلة في التعامل مع النصوص: إما الرد، أو التحريف تحت ستار التأويل.

فقال: (ثُمَّ تَلَطَّفَ لِرَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ بِأَقْبَحِ تَأْوِيلٍ، وَأَسْمَجِ تَفْسِيرٍ، وَلَوْ قَدْ رَدَّ الْحَدِيثَ أَصْلًا كَانَ أَعْذَرَ لَهُ مِنْ تَفَاسِيرِهِ هَذِهِ الْمَقْلُوبَةِ، الَّتِي لَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، فَادَّعَىٰ الْجَاهِلُ أَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» تَعْلَمُونَ أَنَّ لَكُمْ رَبًّا لَا تَشُكُّونَ فِيهِ).

ففسر الرؤية بماذا؟ بالعلم.

قال: (كَمَا أَنَّكُمْ لَا تَشُكُّونَ فِي الْقَمَرِ أَنَّهُ قَمَرٌ، لَا عَلَىٰ أَنَّ أَبْصَارَ الْمُؤْمِنِينَ تُدْرِكُهُ جَهْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ نَفَىٰ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]).

فنفىٰ رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، بسبب هذه الآية زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، ففسر الإدراك بالرؤية، فجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينفي رؤيته في الدنيا والآخرة.

(قَالَ: وَلَيْسَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ قَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ).

يعني لا نفسر الحديث كما يُفسره المُشبهة، ويعني بالمشبهة: أهل السنة والجماعة.

(فَقَوْلُهُ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ»: تَعْلَمُونَ أَنَّ لَكُمْ رَبًّا لَا يَعْتَرِيكُمْ فِيهِ الشكوك والريب، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَعْمَىٰ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَا أَبْصَرَهُ، أَيْ: مَا أَعْلَمَهُ، وَهُوَ لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: قد نَظَرْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَلَيْسَ لِلْمَسْأَلَةِ جِسْمٌ يُنْظَرُ إِلَيْهِ، فَقَوْلُهُ: نَظَرْتُ فِيهَا، رَأَيْتُ فِيهَا، فَتَوَهَّمَتِ الْمُشَبِّهَةُ الرُّؤْيَةَ جَهْرَةً، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْعَيَانِ).

هذه هي الشبهة التي ساقها المريسي في هذه المسألة، فلم يرد حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما حرَّفه وفسَّره بالعلم، كما هي عادة المعتزلة، فالمعتزلة- كما مضىٰ- يُؤوِّلون معظم

صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويصرفون معناها إلىٰ العلم، وبيَّنا سبب ذلك ورددنا علىٰ الشبهات التي ذكروها.

فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: أَقْرَرْتَ بِالْحَدِيثِ وَثَبّته عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ الْحَدِيثُ بِحَلْقِكَ، لما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَرَنَ التَّفْسِيرَ بِالْحَدِيثِ، فَأَوْضَحَهُ وَلَخَّصَهُ، يَجْمَعُهَا جَمِيعًا إِسْنَادٌ وَاحِدٌ، حَتَّىٰ لَمْ يَدَعْ لِمُتَأَوِّلٍ فِيهِ مَقَالًا)**.

إذًا لما قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم سترون ربكم**» فسر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الرؤية، ولم يدع تفسيرها لأحد، فقال: «**كما ترون الشمس والقمر**»، فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كما ترون القمر ليس دونه سحاب، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب، وهذا لا يكون بالعلم أبدًا؛ لأننا نعلم أن الشمس موجودة، وأن القمر موجود، لكن كيف نعلم دون الإبصار أن الشمس موجودة الآن ليس دونها سحاب؟ وأن القمر موجود الآن ليس دونه سحاب؟ لا نستطيع أن نجزم بذلك وأن نُخبر بذلك إلا عن طريق الرؤية البصرية.

ثم هو كذلك محجوج من جهة اللغة، ومن جهة تفسير النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما اللغة؛ فلأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل كاف التشبيه علىٰ "ما" المصدرية، فقال: «**كما ترون**»، فهي وما بعدها في تأويل مصدر، فهي كأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ترون ربكم كرؤيتكم الشمس والقمر، ومعلوم أن الرؤية بالأبصار من فوقنا، رؤية الشمس والقمر إنما تكون بالأبصار من فوقنا، فيجب أن تكون رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كذلك بالأبصار من فوقنا.

ثم هم محجوجون بإجماع أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أحسن الناس عقولًا وفهومًا؛ لأنهم شاهدوا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاينوا الوحي والتنزيل، فأجمع أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مجيء هؤلاء المبتدعة علىٰ أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة، وقد نقل هذا الإجماع أكثر من واحد من أهل العلم من أشهرهم من المنتسبين إلىٰ الأشعرية

البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (**الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد**)، فهم يجعلونه منهم، وإن كانت طريقته طريقة أهل الحديث لكنه يخطئ في بعض الأمور، فيُؤوِّل الصفات علىٰ طريقة الأشعرية.

صحيح أن هناك رؤية تُخالف رؤية الأبصار، يعني الرؤية رؤيتان، رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رؤيتان:

- رؤية تكون في الآخرة، وهذه الرؤية تكون بالأبصار، وهذه الرؤية هي التي نُفيت عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الدنيا ليلة الإسراء والمعراج، لما سُئل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ يعني هل رأيته ببصرك؟ فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**نورٌ أنىٰ أراه**»، أو قال: «**رأيتُ نورًا**»، يعني بذلك نور الحجاب، فليس أحد يرىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الدنيا حتىٰ يموت، كما أخبر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

هذه الرؤية تكون في الآخرة، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة.

- **وأما الرؤية الثانية**: فهي رؤية القلب، ورؤية المنام، كما رأىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ربه في أحسن صورة، كما في حديث معاذ بن جبل في صلاة الصبح.

فرؤية الله عَزَّوَجَلَّ في المنام مُمكنة، يراها المرء علىٰ حالته، وأما الرؤية البصرية فهذه لا تكون إلا في الآخرة.

يقول هاهنا: «**ترون ربكم**»، يعني تعلمون أن لكم ربًا لا يعتريكم فيه الشكوك، فنقول: حقًا، الرؤية قد تكون رؤية قلبية، بمعنىٰ العلم.

ولذلك علماء اللغة العربية يُفرقون بين الفعل "رأىٰ" في حالتين: فمرة يعني الرؤية البصرية، ومرة يعني الرؤية القلبية التي هي العلم.

فعندما تقول: رأيت الحق واضحًا، "رأيت": فعل وفاعل، "الحق": مفعول به أول، "واضحًا": مفعول به ثان، فإذا نصبت "رأىٰ" مفعولين فهي بمعنىٰ علم.

لكن لا بد لذلك من قرينة، ولا بد أن يدل السياق علىٰ ذلك، ولا قرينة للعلم في حديث رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلم يبق إلا الرؤية البصرية؛ لأن "رأىٰ" إذا عُدي إلىٰ مفعول واحد فلا يعني إلا الرؤية، والنبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ترون ربكم**»، ترون "أنتم" الفاعل، ربكم، فالاسم الحسن هو المفعول، ولا مفعول آخر يأتي بعد هذا المفعول.

قال: (**فَأَخْبَرَ النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**).

يعني في هذا الحديث.

(**أَنَّهُ رُؤْيَةُ الْعِيَانِ نَصًّا، كَمَا تَوَهَّمَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُسَمِّيهِمْ بِجَهْلِكَ مُشَبِّهَةً، فَالتَّفْسِيرُ فِيهِ مَأْثُورٌ مَعَ الْحَدِيثِ، وَأَنْتَ تُفَسِّرُهُ بِخِلَافِ مَا فَسَّرَ الرَّسُولُ مِنْ غَيْرِ أَثَرٍ تَأْثِرُهُ عَمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَأَيُّ شَقِيٍّ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ، وَأَيُّ غَوِيٍّ مِنَ الْأَغْوِيَاءِ، يَتْرُكُ تَفْسِيرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْمَقْرُونَ بِحَدِيثِهِ، الْمَعْقُولَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، الَّذِي يُصَدِّقُهُ نَاطِقُ الْكِتَابِ؟**).

فلا شك أن الشقي هو من يفعل فعل المريسي.

(**ثُمَّ يَقْبَلُ تَفْسِيرَكَ الْمُحَالَ الَّذِي لَا تَأْثِرُهُ إِلَّا عَمَّنْ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ وَأَضَلُّ؟ أَلَيْسَ قَدْ أَقْرَرْتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ لَا تُضَامُونَ فِيهِ كَمَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ»؟**).

يعني معاينةً.

(**قلت: وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَشُكُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ**).

فهذا تحريف آخر، «**تَرَوْنَ رَبَّكُم**» يعني لا تشكون في كونه ربًا يوم القيامة، كيف رد عليه

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

قال: (وَهَذَا التَّفْسِيرُ).

يعني التحريف -تحريف المريسي-.

(مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُعَانَدَةِ الرَّسُولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُحَالٌ باطلٌ خَارِجٌ عَنِ الْمَعْقُولِ).

لماذا هو خارج عن المعقول؟

قال: (لِأَنَّ الشَّكَّ فِي رُبُوبِيَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ زَائِلٌ عَنِ الْمُؤمن والكافر يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وهذا رد مُفحم؛ لأنه فسر قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ترون ربكم يوم القيامة» يعني لا تشكون في ربوبيته، يعني لن تقول: فلان هذا ربنا، تقولون: هذا ربنا، لا تشكون في ربوبيته يوم القيامة، والخطاب لأصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمؤمنين، قال: هذا تأويل باطل، لماذا هو تأويل باطل؟

قال: (لِأَنَّ الشَّكَّ فِي رُبُوبِيَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ زَائِلٌ عَنِ الْمُؤمن والكافر يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ يَوْمَئِذٍ يعلم أنه ربهم، لا يعتريهم فِي ذَلِك شَكٌّ، فَيَقْبَلُ اللهُ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَقْبَلُهُ من الْكَافرين).

لأنه لا ينفعهم إيمانهم يوم القيامة، بل لا ينفع الكافر إيمانه بعد أن تخرج الشمس من مغربها، كما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨]، ﴿قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ولا مجال للجحد والإنكار يومئذ.

قال: (ولا يعذرهم يَوْمَئِذٍ بِمَعْرِفَتِهِمْ وَيَقِينِهِمْ بِهِ، فَمَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ عَلَىٰ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَكَ فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ؟ إِذْ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ لَا يَعْتَرِيهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ شَكٌّ.

أَوَمَا عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ فِي حَيَاتِهِ، حَتَّىٰ يَعْرِفَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ كَافِرًا وَمَصِيرُهُ إِلَىٰ النار أَبَدًا؟ وَلَنْ يَنْفَعَهُ اللهُ بالإيمان يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا يَرَىٰ مِنْ آيَاتِهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَبْلُ، فَمَا مَوْضِعُ بُشْرَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ بِرُؤْيَةِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ إِذْ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ فِي الرُّؤْيَةِ يَوْمَئِذٍ سَوَاءٌ عِنْدَكَ، إِذْ كُلٌّ لَا يَعْتَرِيهِ فِيهِ شَكٌّ وَلَا رِيبَةٌ).

والحديث خرج مخرج البشرىٰ للمؤمنين.

(أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة:١٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾[الأنعام:٣٠]؟ فقد أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ بِهِ يَوْمَئِذٍ مُوقِنُونَ، فَكَيْفَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ سَأَلُوهُ: هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا؟ وَقَدْ عَلِمُوا قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوهُ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ، لَا يَعْتَرِيهِمْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ.

أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨]؟ يُقَالُ فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا).

وهذا تفسير النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها»، يعني مَن علىٰ هذه البسيطة، فتلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

قال: (يُقَالُ فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا لَمْ ينفع الرجل إيمانه عِنْدَ الْآيَاتِ الَّتِي فِي الدُّنْيَا فَكَيْفَ يَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! فَيَسْتَحِقُّ بِهَا النَّظَرَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؟ فَاعْقِلْ

أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ مَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ كَلَامُكَ مِنَ الْحُجَجِ الْآخِذَةِ بِحَلْقِكَ).

شبهة المعطلة في نفي الرؤية

فالذي حمل المعتزلة كما قلنا علىٰ تأويل الرؤية بالعلم أنهم قالوا: إن ذلك يستلزم الجهة والتحيز، يعني لو أننا أثبتنا الرؤية، الرؤية لا تكون إلا في جهة، إما أن تكون فوق، أو عن يمين، شمال، أمام، خلف، وهذا يستلزم التحيز، أن يكون في مكان ما، والله عَزَّوَجَلَّ لا يحويه مكان، فلو جعلناه كذلك لجعلناه شبيهًا بالمخلوق، وليس كمثله شيء، فننفي الرؤية عن الله، فشبَّهوا قبل أن يُعطِّلوا.

وقالوا كذلك: إن ذلك يلزم منه الجسمية، فلا يُرىٰ إلا الجسم، فأنا أراكم لأنكم أجسام، وأرىٰ هذه السارية، وأرىٰ الباب لأن هذه أجسام، فلا يُرىٰ إلا الجسم، فلو أثبتنا الرؤية لله لجعلناه جسم له جوارح وأعضاء، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزه عن ذلك.

وهم محجوجون بما أثبتوا من الصفات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فما يتصف به الله من صفة يُثبتها هؤلاء إلا ويلزم منها ما يُسمونه تجسيمًا، فهل يُوصَف بالعلم إلا الجسم؟! وهل يُوصَف بالقدرة إلا الجسم؟! وهل يُوصَف بالحياة إلا الجسم؟! وهم يُثبتون هذه الصفات، فلماذا أثبتوا هذه الصفات ونفوا غيرها من الصفات؟ فلا يلزم من إثبات هذه الصفات أن يُماثل الله عَزَّوَجَلَّ المخلوقين، فهم مضطربون في هذا الباب.

قال: (**وَأَمَّا إِدْخَالُكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا حَقَّقَ مِنْ رُؤْيَةِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْلَهُ تعالىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، فَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَىٰ مَنْ عَلَيْهِ نَزَلَ، وَقَدْ عَرَفَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ وَعَقِلَ، فَأَوْضَحَهُ تَفْسِيرًا، وَعَبَّرَهُ تَعْبِيرًا، فَفَسَّرَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا تَفْسِيرًا شَافِيًا كَافِيًا، سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ -يَعْنِي فِي الدُّنْيَا-؟**).

ليلة الإسراء والمعراج، وكان ذلك قبل هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»).

قال: حَدَّثَنَا الْحَوْضِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عبد الله بن شَقِيق، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وجاء في رواية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**رأيت نورًا**»، ففي الحديث قال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟**»، فنفىٰ رؤيته، وهنا قال: «**رأيت نورًا**»، ولا تعارض بين الحديثين؛ لأن الحديث الأول الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟**» فالله عَزَّوَجَلَّ نور، ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[النور:٣٥]، ولا يستطيع أحد أن يرىٰ نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، لماذا؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمقصود بالسُبحات: موضع السجود عند بني آدم، كما فسره أهل اللغة.

فلن يستطيع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرىٰ نور ربه، ولذلك قال: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟**»، كيف أراه؟

أما «**رأيت نورًا**»؟ رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نور الحجاب، فالنور المُثبت يخالف النور المنفي.

قال: (فَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣] فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَحِينَ سُئِلَ عَنْ رُؤْيَتِهِ فِي الْمَعَادِ قَالَ: «نَعَمْ، جَهْرَةً كَمَا تَرَىٰ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»).

قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣]، هل نفي الإدراك يستلزم منه نفي الرؤية؟ لا يستلزم ذلك، لماذا لا يستلزم

ذلك؟ لأن الإدراك بمعنىٰ الإحاطة، بخلاف الرؤية، فالرؤية أخص من الإدراك.

ولذلك لما رأىٰ أصحاب موسىٰ فرعون وجنوده قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، أي: لمُحاطٌ بنا من جميع الجهات، فقال موسىٰ: ﴿كَلَّا﴾، فنفىٰ موسىٰ الإدراك، مع أنهم أثبتوا الرؤية، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١]، فالآية أثبتت الرؤية ونفت الإدراك، وكذلك أنت تنظر إلىٰ السماء، تراها ولا تستطيع أن تُدركها، أن تُحيط بجوانبها، أنت تنظر إلىٰ الشمس ولا تستطيع أن تُدركها. فهناك فرق بين الإدراك والرؤية.

فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لا يعني ذلك نفي الرؤية.

قال: **(فَفَسَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْمَعْنَيَيْنِ عَلَىٰ خِلَافِ مَا ادَّعَيْتَ.**

وَالْعَجِيبُ مِنْ جَهْلِكَ بِظَاهِرِ لَفْظِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذْ تَتَوَهَّمُ فِي رُؤْيَةِ اللهِ جَهْرَةً أنها كَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثُمَّ تَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ تَوَهُّمِ مَنْ سَمَّيْتَهُمْ بِجَهْلِكَ مُشَبِّهَةً، فَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي دعواك أَوِ الْمُشَبِّهِينَ، إِذْ شَبَّهَ رُؤْيَتَهُ بِرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَمَا شبهه هَؤُلَاءِ الْمُشَبِّهُونَ فِي دَعْوَاكَ).

فأهل السنة والجماعة تابعوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما قال، فأثبتوا المعنىٰ، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وسبق أن قلنا: إن التشبيه هاهنا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي، لأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء، فليس الله هو القمر، وليس الله هو الشمس، لكن التشبيه تشبيه الرؤية في وضوحها.

قال: **(وَأَمَّا أُغْلُوطَتُكَ الَّتِي غَالَطْتَ بِهَا جُهَّالَ أَصْحَابك فِي رُؤْيَةِ الله تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقُلْتَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّ قَوْمَ مُوسَىٰ حِينَ قَالُوا:** ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[النساء:١٥٣] **أَخَذَتْهُمُ**

الصَّاعِقَةُ؟ وَقَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥] فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ؟ وَقَالُوا: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان:٢١]، فَادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَعَابَهُمْ بِسُؤَالِهِمُ الرُّؤْيَةَ).

وهذا الذي سأله قوم موسىٰ هو ما يسأله ملاحدة الزمان، فتسمع الواحد من هؤلاء يقول: لا أجد دليلًا علىٰ وجود الله، أعطني دليلًا ماديًا واحدًا علىٰ وجود الله، هل رأيته؟ هل سمعته؟ قولهم كقول هؤلاء ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً﴾، وكذبوا في دعواهم، ألا يوجد دليل علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! كل ما في هذا الكون بدءًا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وانتهاءً بكل ما في هذا الكون من آيات وعلامات يدل علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنهم ما أرادوا ذلك، وإنما أرادوا دليلًا من داخل معاملهم، من أصحاب المعاطف البيضاء، دليلًا يخضع للتجريب، فجعلوا الله كسائر الأشياء فرضيةً تخضع للتجريب، وتخضع لمعاملهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحالهم كحال من قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤]، وقال الله هاهنا: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

قال: **(فَادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَعَابَهُمْ بِسُؤَالِهِمُ الرُّؤْيَةَ.**

فَيُقَالَ لِهَذَا، الْمَرِيسِيِّ: تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ وَقَلْبُكَ غَافِلٌ عَمَّا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ؟! أَلَا تَرَىٰ أَنَّ أَصْحَابَ مُوسَىٰ سَأَلُوا مُوسَىٰ رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا إِلْحَافًا، فَقَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥]؟ ولم يَقُولُوا: حَتَّىٰ نَرَىٰ اللهَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ فِي الدُّنْيَا).

هم أرادوا رؤية الله في الدنيا، ما تكلموا عن رؤية الله في الآخرة، فكيف تستدل بذلك علىٰ نفي الرؤية في الآخرة؟!

قال: **(وَقَدْ سبق من الله الْقَوْلُ بِأَنَّهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، أَبْصَارُ أَهْلِ**

الدُّنْيَا، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ عَمَّا حَظَرَهُ اللهُ علىٰ أهل الدُّنْيَا، وَلَوْ قَدْ سَأَلُوهُ رُؤْيَتَهُ فِي الْآخِرَةِ كَما سَأَلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ محمدًا ﷺ لَمْ تُصِبْهُمْ تِلْكَ الصَّاعِقَةُ، وَلَمْ يقل لَهُم إِلَّا مَا قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِأَصْحَابِهِ إِذْ سَأَلُوهُ: هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، فَلَمْ يَعِبْهُمُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ بِسُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ حَسَّنَهُ لَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ بِهِ بُشْرَىٰ جَمِيلَةً، كَمَا رَوَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَنْهُ، وَقَدْ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا قَبْلَهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، وَقَالَ لِلْكُفَّارِ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]).

المعتزلة في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] حرَّفوا هذه الآية من جهتين:

الجهة الأولىٰ: من تحريف حرف الجر "إلىٰ".

والجهة الثانية: من تحريف قوله: ﴿نَاظِرَةٌ﴾.

فقالوا: "إلىٰ" ليست حرف جر، وإنما "إلىٰ" مفرد آلاء، نعمة، و﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنىٰ منتظرة، يعني حال كونها منتظرة نعمة ربها، هذا تجده في تفسيرهم، ما قال بذلك لا واحد من أصحاب النبي ﷺ ولا واحد من أهل اللغة، لماذا؟ لأن ﴿نَاظِرَةٌ﴾ هذا الفعل لا يتعدىٰ بنفسه إلا وهو يعني الانتظار، صحيح؟ ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[الحديد:١٣]، ما معنىٰ ﴿انْظُرُونَا﴾؟ انتظرونا، عُدِّي بنفسه، أما إذا تعدىٰ بحرف الجر "إلىٰ" فلا يعني إلا النظر بالعينين، فمعنىٰ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي تنظر بعينيها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية:١٧]، ينظر إلىٰ الإبل يعني يُشاهدها ويراها، ﴿وَإِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَىٰ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية:١٨-٢٠]، فكل ذلك بمعنىٰ الرؤية البصرية.

لكن إذا عُدِّي هذا الفعل بحرف الجر "في" فيعني التأمل والتفكر، يعني نظرت في الأمر فبان لي كذا، يعني تفكرت فيه وتأملت، فالكلمة هاهنا عُدِّيت بحرف الجر "إلىٰ"، فلا تعني إلا نظر العين، فحرَّفوا كلام الله كما حرَّفوا كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فقوم مُوسَىٰ سألو نَبِيَّهُمْ مَا قَدْ حَظَرَهُ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وَسَأَلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّهُمْ مَا أَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُ سَيُعْطِيهِمْ وَيُثِيبُهُمْ بِهِ، فَصُعِقَ قَوْمُ مُوسَىٰ بِسُؤَالِهِمْ مَا لَا يَكُونُ، وَسَلِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِهِمْ مَا يَكُونُ.

وَمَتَىٰ عَابَ اللهُ عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ سُؤَالَ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ فَتَفْتَرِي بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ؟).

أي: أين وجدت أن الله عاب علىٰ أصحاب موسىٰ أنهم سألوا رؤية الله في الآخرة؟ إنما سألوا رؤية الله في الدنيا، يعني افتريت علىٰ أصحاب محمد ثم افتريت بعد ذلك علىٰ أصحاب موسىٰ -عليهما الصلاة والسلام-.

(تَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْكَاذِبِينَ! وَقَدْ فَسَّرْنَا أَمْرَ الرُّؤْيَةِ، وَرَوَيْنَا مَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْآثَارِ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، الَّذِي أَمْلَيْنَاهُ فِي الْجَهْمِيَّةِ).

الشيخ له كتابان عظيمان: الكتاب الأول أصغر من هذا الكتاب وهو: (**الرد علىٰ الجهمية**)، وهذا الكتاب هو الكتاب العمدة في هذا الباب وهو الذي أثنىٰ عليه كثير من أهل العلم، وهو (**نقض عثمان بن سعيد الدارمي علىٰ بشر المريسي**)، فمن قرأ هذا الكتاب حري به أن يقرأ الكتاب الآخر (**الرد علىٰ الجهمية**) وهو أصغر من هذا الكتاب، لتكتمل عنده مادة هذا الباب.

قال: (وَرَوَيْنَا مِنْهَا صَدْرًا فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ أَيْضًا، فَالْتَمِسُوهَا هُنَالِكَ، وَاعْرِضُوا أَلْفَاظَهَا عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَعُقُولِكُمْ، تَتَكَشَّفْ لَكُمْ عَوْرَةَ كَلَامِ هَذَا الْمَرِيسِيِّ، وَضَلَالِ تَأْوِيلِهِ،

وَدُحُوضِ حُجَّتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ بِهِ الْكِتَابُ لَأَعَدْتُ الْبَابَ بِطُولِهِ هاهنا وَأَسَانِيده).

إذًا خلصنا من هذا الباب أن المعتزلة ينفون رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآخرة، فماذا عن الأشعرية والكُلَّابية؟

الأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري، والكُلابية أتباع محمد بن سعيد الكُلابي، وهو شيخ الأشعري، فالأشعري أخذ مذهبه من الكُلابي بن كُلَّاب. كان الأشعري أول أمره معتزليًا، علىٰ مذهب زوج أمه أبي علي الجبائي، ثم ترك الاعتزال ودخل في الكُلابية، ثم ترك الكُلابية ومال إلىٰ مذهب أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكن بقي عنده أمر، ما هو هذا الأمر؟ أنه ينفي صفات الله الفعلية الاختيارية، فلا يُثبت لله صفة، كالفرح، ولا الغضب، ولا المجيء، ولا التأويل، فبقيت عنده بعض شوائب الكُلابية.

انتهىٰ أمره إلىٰ أن يكون علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، كما ذكر في كتاب الإبانة، لكنه لم يُثبت صفات الله الفعلية، بسبب شبهة حلول الحوادث، وما يخلو من الحوادث فهو حادث، هذا الأصل الذي ما استطاع أن يتخلص منه.

المعتزلة ينفون رؤية الله في الآخرة، وذكرنا شُبههم، ماذا عن الأشعرية والكُلابية؟ الأشعرية والكُلابية غالبًا يتبنون مذهبًا وسطًا، لا أعني بالوسطية أنه المذهب الحق، لكنهم أخذوا من المعتزلة وأخذوا من أهل السنة والجماعة، فما مالوا إلىٰ المعتزلة كلية، وما قالوا بقول أهل السنة والجماعة كلية، فهم وسط بين المذهبين، فعندهم حق وضلال، ولذلك تناقضوا، وأضحكوا عليهم المعتزلة.

فماذا قال هؤلاء؟ أثبتوا رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، الله يُرَىٰ في الآخرة، لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ترون ربكم» لكن لا إلىٰ جهة، لأنهم لا يثبتون علو الذات، يعني ترىٰ

الله لا إلىٰ جهة، فمآل أمرهم إلىٰ نفي الرؤية؛ لأن هذه ليست رؤية، وهذا القول انفردوا به عن طوائف بني آدم، وخالفوا به ضرورات العقل، فكل مرئي كما أثبتوا لا بد أن يكون في جهة، هات لي شيئًا مرئيا ليس في جهة، أمر يخالف العقل، ولذلك سخر منهم المعتزلة وتسلطوا عليهم.

وحُق لهم أن يسخروا من هؤلاء، فإما أن يُثبتوا علو الله فيكونوا مع أهل السنة، وهذا الذي يُسمونه جهة، وإما أن ينفوا الرؤية، فيكونوا مع المعتزلة، وأما هذا المذهب فهو مذهب متناقض.

فقالوا: الله يُرىٰ في الآخرة، لكن لا يُرىٰ بالبصر، إنما يُرىٰ بحاسة يخلقها الله في المؤمنين يومئذ، وكلامهم ليس عليه دليل لا يقبل عقلا ولا نقلا.

مسائل في إثبات أصابع الرحمن

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك في الباب الذي بوَّب عليه المحقق، وكذلك هو في نسخة الشيخ الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(باب إثبات أصابع الرحمن)**.

وإثبات الأصابع لله يُذكَر في إثبات اليدين، هذا الأمر يُذكَر في إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لبيان أنها يد حقيقية، ذات أصابع، وكف، وقبض، وبسط، وأنامل، كل ذلك ثابت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكل ذلك يُحيل تفسير اليد بالنعمة، والقدرة، والرزق، وغير ذلك.

«**قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن**»، الصدقة تقع في كف الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «**فوضع ربي يده بين كتفي فوجدت برد أنامله**»، «**يا محمد، إن الله يضع السماوات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع**»، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾[الأنبياء:١٠٤]، «**يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل**»، فالقبض والبسط

ليد الله تعالىٰ، الله هو القابض الباسط، كل هذا يدل علىٰ أن هذه اليد يد حقيقية، ومع ذلك أوَّلها هؤلاء.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَرَوَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»، فَأَقْرَرْتَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ، ثُمَّ رَدَدْتَهُ بِأَقْبَحِ مُحَالٍ، وَأَوْحَشِ ضَلَالٍ، وَلَوْ قَدْ دَفَعْتَ الْحَدِيثَ أَصْلًا لَكَانَ أَعْذَرَ لَكَ مِنْ أَنْ تُقِرَّ بِهِ، ثُمَّ تَرُدَّهُ)**.

(ثُمَّ تَرُدَّهُ)، منصوبة لأنها معطوفة علىٰ أن.

(ثُمَّ تَرُدَّهُ بِمُحَالٍ مِنَ الْحُجَجِ، وَبِالَّتِي هِيَ أَعْوَجُ، فَزَعَمْتَ أَنَّ أُصْبُعِي الله قدرتاه).

لعل ذلك هو الأصح، في النسخة عندي: قدرتيه، وإنما هي: **(فَزَعَمْتَ أَنَّ أُصْبُعِي الله قدرتاه)**، خبر أن.

قلت: **(وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٦٧]، أَيْ فِي مُلْكِهِ، فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمُعْجَبُ بِجَهَالَتِهِ: فِي أَيِّ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ أَنَّ أُصْبُعَيْهِ قدرتاه؟ فَأَنْبِئْنَا بِهَا، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَاهَا خَارِجَة من جَمِيع لغاتهم، إِنَّمَا هِيَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ، قَدْ كَفَتِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا وَمَلَأَتْهَا وَاسْتَنْطَقَتْهَا)**.

فالله عَزَّ وَجَلَّ ليس له إلا قدرة واحدة، قدرة كاملة شاملة، هو علىٰ كل شيء قدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له قدرتان، ولا ثلاثة، ولا أربعة، ولا خمسة، صحيح؟

قال: **(فَكَيْفَ صَارَتْ لِلْقُلُوبِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ قُدْرَتَانِ؟ وَكَمْ تَعُدُّهَا قُدْرَةً؟ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ»، وَفِي دَعْوَاكَ: هِيَ أَكْثَرُ مِنْ قُدْرَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ، وَحَكَمْتَ فِيهَا لِلْقُلُوبِ قدرتين وَسَائِرُهَا لِمَا سِوَاهَا، فَفِي دَعْوَاكَ هَذَا أَقْبَحُ مُحَالٍ، وَأَبْيَنُ ضَلَالٍ، فَكَيْفَ ادَّعَيْتَ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ أَنَّهَا صَارَتْ**

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ملكه؟ كَأَنَّهُمَا كَانَتَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِ غيره، خَارِجَة عَن مكله، فَكَانَ مَغْلُوبًا عَلَيْهَا فِي دَعْوَاكَ، حَتَّىٰ صَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِهِ! وَمَا بَالُهَا تَصِيرُ فِي مُلْكِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَطْوِيَّاتٍ وَلَا تكون فِي مكله منشورات؟ وَمَا أراك إِلَّا سَتَدْرِي أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ نَاقِضٌ لِتَأْوِيلِكَ).

المريسي في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: ﴿قَبْضَتُهُ﴾ أي: في ملكه يوم القيامة، فكيف كانت في الدنيا؟ في ملك من؟! ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧]، أي: في ملكه، أكانت في ملك غيره في الدنيا! فهذا تفسير عجيب باطل.

(وَمِمَّا يَزِيدُهُ نَقْضًا: قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَة بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ».

فَفِي قَوْلِ اللهِ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ وَحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيَانٌ وَمَعْنًىٰ مُخَالِفٌ لقولك لا شَكَّ فِيهِ.

وَكَيْفَ أَقررت بِالْحَدِيثِ فِي الأصبعين مِنْ أَصَابِعِ اللهِ وَفَسَّرْتَهُمَا قُدْرَتَيْنِ وَكَذَّبْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي خَمْسِ أَصَابِعَ، وَهُوَ أَجْوَدُ إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْأُصْبُعَيْنِ؟).

وهذا إلزام ما بعده إلزام، لأنه فسر الإصبع بالقدرة، «القلوب بين أصبعين» وفي حديث ابن مسعود الذي أن الأصابع خمسة، فهل القدرة قدرتان أم خمس قدرات؟

قال: (فَأَمَّا تَكْذِيبُكَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إصبع، وَالْجِبَالَ عَلَىٰ إصبع، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إصبع، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إصبع، وَالْخَلَائِقَ عَلَىٰ إصبع، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؟، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا

قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧]).

فالنبي ضحك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابي بيَّن سبب هذا الضحك، قال: تصديقًا لقول الحبر.

قال: (فَادَّعَيْتَ أَنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، ثُمَّ قُلْتَ: أفتحتجون بقول الْيَهُود؟).

سبحان الله! مع أن الصحابي الذي رأىٰ ما وقع من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: تصديقًا لقول الحبر.

قال: (فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: قَلَّمَا رَأينَا مُفسرًا ومتكلمًا أَشد مناقضًا لِكَلَامِهِ مِنْكَ).

وهذه حال أهل البدع، سمة أهل البدع التناقض، يذكرون القول في مكان ويُقررونه وينقضونه في مكان آخر، يُقررونه في موضع وينقضونه في موضع آخر.

قال: (وَلَوْ قَدْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَرُوَاتِهِ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْأَثَرَ قَدْ جَاءَ بِهِ تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ، لَا تَكْذِيبًا لَهُ كَمَا ادَّعَيْتَ.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ضَحِكَ مِنْ قَوْلِ الْحَبْرِ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ وَتَصْدِيقًا لَهُ).

وهذا من أقوىٰ أنواع الإقرار، لأن الإقرار علىٰ درجات: إما أن يسمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسكت، يراه ويسكت، أمَّا أن يسمع ويرىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويضحك ويتكلم هذا أقوىٰ أنواع الإقرار، كما بيَّن علماء الأصول، أن يسمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القول، أو أن يرىٰ الفعل، ويضحك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتكلم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقرًا لهذا الكلام.

قال: (فَعَمَّنْ رَوَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ قَالَ تَكْذِيبًا لَهُ، فَأَنْبِئْنَا بِهِ وَإِلَّا فَإِنَّك من الْكَاذِبين.

وَأَمَّا تَشْنِيعُكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُقِرِّينَ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا قَالَ اللهُ أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا جَوَارِحَ وَأَعْضَاءً، فَقَدِ ادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ زُورًا وبَاطِلًا، وَأَنت من أعلم النَّاس بِمَ يُرِيدُونَ بِهَا، إِنَّمَا يُثْبِتُونَ مِنْهَا مَا أَنْتَ لَهُ مُعَطِّل وَبِهِ مُكَذِّبٌ).

أهل السنة والجماعة يُثبتون من الصفات المعنىٰ، ويُفوضون الكيف إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يُثبتون من هذه الصفات الجوارح والأعضاء التي هي للمخلوقين.

كلام متين للعلامة الشنقيطي رداً علىٰ المعطلة

ولذلك قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ في الرد علىٰ هؤلاء علىٰ من ادعىٰ أن ظواهر الصفات التشبيه بجارحة الإنسان وأعضائه، وأنه يجب صرفها عن ظاهرها، قال: "إن هذا القول كله افتراء علىٰ الله وعلىٰ رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ كتابه"، أن يقال: إن هذا يلزم منه الأعضاء والتجسيم ولا بد من تأويلها، هذا افتراء عظيم علىٰ الله وعلىٰ رسوله وعلىٰ كتابه.

"وصاحبه بسببه من أعظم المُشبهين والمُجسمين، وقد جره شؤم هذا التشبيه إلىٰ ورطة التعطيل، فما عطَّل إلا وقد شبَّه قبل ذلك، فنفىٰ الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه، بدعوىٰ أنه لا يليق به، وأوَّله بمعنىٰ آخر من تلقاء نفسه".

فليته جاء بهذا المعنىٰ من قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإنما هو معنىٰ جاء به من تلقاء نفسه، بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ: "كيف لإنسان يتحكم يقول: هذا الذي وصفت به

نفسك"، كأنه يُخاطب ربه، "هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند، لا منك ولا من رسولك ﷺ وآتيك بدله بالوصف اللائق بك، فاليد مثلًا التي جاءت في كتابك لا تليق بك؛ لأنها تعني الجارحة، فأنا أصرف معناها إلىٰ النعمة والقدرة وغير ذلك، والرجل التي أثبتها لك رسولك ﷺ وهو أعلم الخلق بك لا أُثبتها لك، وإنما أُؤولها بكذا، والعين التي أثبتّها لنفسك هذه لا تليق بك؛ لأنها يلزم منها الجارحة"، فيُنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كتابه وكأنه ما كان كتاب هداية للناس، لكن كتاب ضلالة، ويموت رسول الله ﷺ وما يُبين حرفًا واحدًا مما يقوله هذا المُعطل، وكأن النبي ﷺ مات وقد خان هذه الأمة وتركها في ضلال مبين حتىٰ خرج هؤلاء ليُخرجوا الناس من الضلال الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ إلىٰ الهداية التي زعموها.

ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نهاية كلامه: "سبحانك، هذا بهتان عظيم"، والله هذا بهتان عظيم، الذي يتكلم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعن كتابه بهذه الطريقة هذا مفترٍ علىٰ الله، لا يقل جرمه عن جرم المشركين والمكذبين بما جاء به النبي الأمين ﷺ.

قال: **(وَلَا يَتَوَهَّمُونَ)**.

يعني أهل السنة والجماعة.

(وَلَا يَتَوَهَّمُون فِيهَا إِلَّا مَا عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ وَلَا يدعونَ جوارح وَلَا أعضاء).

ما رأينا في كتاب من كتب أئمة السنة واحدًا قال: العين يعني الجارحة، ما رأينا واحدًا تكلم بذلك، ولا نُقل عنه ذلك.

(كَمَا تَقَوَّلْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَأْلُو فِي التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ بِالْكَذِبِ).

وهذه حال أهل البدع علىٰ أهل السنة في كل زمان، يُشنعون عليهم بأقوال هم منها بُرءاء،

في شتىٰ أبواب العقيدة.

قال: **(لَيَكُونن أَرْوَجَ لِضَلَالَتِكَ عِنْدَ الْجُهَّالِ)**.

وحقًا هذا يروج عند الجهال.

قال: **(وَلَئِنْ جَزِعْتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الْحَبْرِ، مَالَكَ رَاحَةٌ فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ)**.

لا يتركه الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو كالذي يلاحق من مسه الشيطان وصرعه بالآية تلو الآية حتىٰ ينزع عنه، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خيرًا. وجود مثل هؤلاء الأئمة رحمهم الله من الأسباب التي قيضها الله تعالىٰ لحفظ دينه.

(وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا يُحَقِّقُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُثْبِتُ رِوَايَتَهُ).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بن إِسْمَاعِيل أَبُو سَلَمَةَ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرحمن، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَبَهُ»)**.

وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

قال: **(وَحَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثنَا ابْنُ الْمُبَارك، أخبرناه حَيْوَة بن شُرَيْح، أَخْبرنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عبد الرَّحْمَن الْحُبُلِّيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِن قُلُوب بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن كقلب وَاحِد، يُصرف كَيفَ شَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»)**.

قال: **حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدثنَا ابْنُ الْمُبَارك، أخبرنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ،**

قَالَ: سَمِعْتُ بسر بْنَ عبيد اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ).

قال: (سَمِعْتُ بسر بْنَ عبيد اللهِ)، قال في النسخ الخطية: "بشر"، وهو تحريف.

قال: (سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَين أصبيعن مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ»، وَكَانَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبت قُلُوبنَا علىٰ دينك».

قال: وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَيَّاش بن أبي مهْرَان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّمَا قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ».

قال: وحَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْحِمْصِيُّ، حدثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَن عتبَة ابْن أَبِي حَكِيمٍ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا -وأومأ بيده- وَإِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا -وأومأ بيده- وَإِذَا شَاءَ ثبته»).

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُثبت قلوبنا علىٰ دينه، وهذا حديث حسن، وإن كان إسناده ضعيف.

قال: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ بِهْرَامٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ بَشَرٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أزاغه»).

قال: فَهَذِهِ أَلْفَاظُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْتُهُ وَثَبَّتُّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَفِي أَيِّ لُغَاتٍ وَجَدْتَ أَنَّهَا قُدْرَتَانِ مِنَ الْقُدَرِ؟ وَهَلْ من شَيْء لَيْسَ قُدْرَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَخُصَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُلُوبَ مِنْ بَيْنِهَا بِقُدْرَتَيْنِ؟ فَلَمْ تَدَّعِ مَا إِذَا رَجَعْتَ فِيهِ إِلَىٰ نَفْسِكَ عَلِمْتَ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ وضحكة وسخرية، مَعَ أَنَّ الْمُعَارِضَ

لَمْ يَقْنَعْ بِتَفْسِيرِ إِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ حَتَّىٰ اخْتَرَقَ لِنَفْسِهِ فِيهِ مَذْهَبًا خِلَافَ مَا قَالَه إِمَامه، وخلاف مَا يُوجد فِي لُغَات العرب وَالْعَجَمِ، فَقَالَ: أُصْبُعَاهُ: نِعْمَتَاهُ).

كأن المعارض قال: لستُ أقلَّ من شيخي المريسي في الاستنباط والتأليف، فضرب بسهمه هو الآخر في تلقي وحي الشيطان.

(قَالَ: وَهَذَا جَائِزٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ).

أتباعُه لا يُفتشون خلفه!!

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: فِي أَيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ إِجَازَتَهُ؟ وَعَنْ أَيِّ فَقِيهٍ أَخَذْتَهُ؟ فأسنده إِلَيْهِ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الْمُفْتَرِينَ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَلَوْ كُنْتَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ أَوِ الْأَصْمَعِيَّ مَا قُبِلَ ذَلِكَ مِنْكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ).

فكفىٰ خيبة وخسارة برجل يُضاد قوله قول رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُكذِّب دعواه ويُرجّح تنزيهه علىٰ تنزيه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرازي في هذا الحديث: «قلوب العباد بين أصبعين» قال: هذا لا يُتصور، لأنه ما شعر الواحد منا أن قلبه بين أصبعي الرحمن، ثم إن هذا يلزم منه المماسة، والله عَزَّوَجَلَّ منزه عن ذلك، فلا بد من رد الحديث، فهو خبر آحاد، أو تحريفه، الذي يُسمونه تأويلًا، فرد عليه أهل السنة والجماعة وقالوا: إن ذلك لا يلزم منه المماسة.

القمر بين السماء والأرض، فهل يمس القمر السماء؟ هل يمس الأرض؟

هذا المصباح بين السقف والأرض، هل المصباح يمس السقف؟ يمس الأرض؟، فلا يلزم ذلك، فما علينا ألا أن نُثبت الصفات الفعلية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا صحيح الاعتقاد، وأن يرزقنا العمل به حتىٰ نلقاه، إنه ولي ذلك

والقادر عليه.

مسائل في إثبات الصورة للرحمن

"باب ما جاء في إثبات الصورة للرحمن".

وإثبات الصورة لله تعالىٰ مما صحت به الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلقاها أئمة أهل السنة والجماعة بالقبول، فهي صفة ثابتة بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة»، وحديث: «خلق الله آدم علىٰ صورته».

ولم يكن هناك خلاف بين السلف في القرون الثلاثة الأولىٰ أن الضمير في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خلق الله آدم علىٰ صورته» يعود إلىٰ الله تعالىٰ.

ولذلك جاء في بعض الروايات: «خلق الله آدم علىٰ صورة الرحمن»، لكن لما انتشرت الجهمية أتباع الجهم بن صفوان في المائة الثالثة جعلوا الضمير عائدًا علىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فمرةً يقولون: هو عائد علىٰ المضروب، المخلوق، أي: خلق الله آدم علىٰ صورة هذا المضروب، ومرةً يقولون: المراد بالصورة هاهنا: الصورة التي صوَّرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أي: الخلق الذي خلقه الله عَزَّوَجَلَّ فصورة الرحمن أي: خلق الرحمن.

وممن قال بذلك: الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه ظن أن إثباتها يُوهم التشبيه، كما جاء عنه في كتاب (**التوحيد**)، ظن أن إثبات الصورة لله يُوهم التشبيه، لكن العلماء غلَّطوه.

فقال أبو القاسم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو المعروف بقوام السنة قال: "أخطأ محمد بن خُزيمة في حديث الصورة، ولا يُطعَن عليه بذلك، بل لا يُؤخَذ عنه هذا فحسب"، يعني لا يقال عنه إنه جهمي، لكن هو خطأ.

وليس بلازم أننا لو أثبتنا لله صورة أن ذلك يقتضي التشبيه؛ لأننا نُلزم من يقول بذلك بأن يجعل هذه القاعدة مضطردة في كل الصفات التي يُثبتها، فلو أثبت لله العلم، والحياة، والقدرة، والكلام، وغير ذلك، فهذه علىٰ قاعدته تستلزم التشبيه، لأن المخلوق كذلك عليم، قدير، سميع، بصير، له صورة، فليس بلازم.

أقوال الناس في الصورة الواردة في حديث الشفاعة وخطأ الإمام الدارمي في تأويلها من سبعة أوجه

من الأحاديث التي تتعلق بإثبات الصورة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حديث الباب، فالمصنف ذكر حديثًا وجعل مدار الباب عليه هذا الحديث: «إِنَّ اللهَ يَتَرَاءَىٰ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثُمَّ يَتَرَاءَىٰ فِي صورته الَّتِي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه».

وهو حديث الشفاعة الطويل، حديث أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما، وهو حديث متواتر عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستأتي روايته.

لكن الناس اختلفوا في إثبات الصورة في حديث الباب، ما المراد بالصورة في هذا الحديث؟ ذكرنا خلافهم في حديث «خلق الله آدم علىٰ صورته».

وأما هذا الحديث فاختلفوا كذلك، فمنهم من قال: نُثبت الصورة في هذا الحديث أيضًا، فالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعلم الخلق بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أثبت لله صورة، فنُثبت الصورة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمراد بقوله: «فِي صورته الَّتِي يعرفونها» أي: العلامة التي تكون يوم القيامة وهي كشف الساق، لأن الحديث في «ثُمَّ يَتَرَاءَىٰ فِي صورته الَّتِي يعرفونها»، يأتيهم الله في صورة لا

يعرفونه بها، فيُسألون يقولون: ننتظر ربنا، بم تعرفون ربكم؟ نعرفه بالعلامة، ما هذه العلامة؟ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم:٤٢]، يكشف الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن ساقه، فإذا جاء بالصورة التي يعرفونها وهي كشف الساق سجدوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يسجد إلا المؤمنون، وأما المنافقون فلا يستطيعون السجود، وهذا هو القول الراجح، وهو قول أهل السنة والجماعة أن المراد بالصورة التي يعرفونها العلامة التي يكون الله عَزَّوَجَلَّ بها معلومًا للمؤمنين، وهي كشف الساق.

ومنهم من قال: المراد بالصورة: الإحسان، يأتيهم الله عَزَّوَجَلَّ في صورة أي: في إحسان وإنعام، أي: يأتي ربنا بإحسانه يوم القيامة، وهذا تأويل الرازي في أساس التقديس، لأنه لا يُثبت الصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: المراد بالصورة: الإحسان، أي: يأتي الله بإحسانه.

ومنهم من قال: المراد بإتيان الصورة يوم القيامة: إتيان الله في صورة أي: إتيان ملك من الملائكة، يأتي ملك من الملائكة، وهذا كذلك ذكره الرازي؛ لأنه يقول: "وذكر الصورة هاهنا يحتمل أن يكون المراد به: الإحسان، ويحتمل أن يكون المراد به: الملك، ويحتمل أن يكون المراد به: الصفة، وهذا جائز في اللغة، ألم ترىٰ إلىٰ قولهم كذا وكذا".

غاية الأمر في كل هذه التأويلات: ألا يُثبت صورة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يُثبت صفة لا فعلية ولا خبرية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتأويل الصورة بالملك تأويل باطل مردود، لأن هذا الذي يأتيهم يقول: أنا ربكم كما في الحديث، فهل يكذب الملك؟

ومنهم من أثبت الصورة في الحديث، هذا هو القول الرابع، منهم من أثبت الصورة في الحديث.

لكن قال: قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَتَرَاءَىٰ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ» أي: يُري نفسه في أعينهم في صورة غير ما عرَّفهم الله صفاتها في الدنيا للامتحان،

يعني هو أمر يجعله الله عَزَّوَجَلَّ في أعين المؤمنين، فيتخيلون صورة غير صورة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا كله من أجل الابتلاء والامتحان، وهذا قول الدارمي، وقول ابن أبي عاصم من أهل السنة، وهو قول مرجوح، كما سنرىٰ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شيخ الإسلام ابن تيمية لما أراد أن يتكلم عن هذه الصفة الواردة في هذا الحديث - حديث الشفاعة- جمع روايات هذا الحديث كلها، ومن خلال هذه الروايات رد كل هذه التأويلات، ورد كلام الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع أنه يُعظمه ويُجلُّه، لكنه رد كلامه وبيَّن أنه كلام مرجوح، وهذا يبين لنا أهمية جمع الأحاديث في الباب الواحد، وهذا فقه عظيم.

ومن أحسن الناس فقهًا في هذا الباب في الزمن المعاصر: الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن الشيخ الألباني عالم حديث وفقيه يجمع روايات الحديث والحديث يُفسر بعضه بعضًا، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يذكر الحديث في موضع ويذكره في موضع آخر يُفسر الرواية المجملة أو المبهمة التي ذكرها في هذا الموضع، أو يسمع بعض الرواة من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما لا يسمعه الآخر.

ولذلك جمع روايات الحديث تُعينك علىٰ الفهم الصحيح في الحديث المختلف في معناه.

أضرب مثالًا: النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال في الحديث المعروف قال: «**من غسَّل واغتسل، وبكَّر وابتكر**»، الحديث المعروف في فضل الغسل والذهاب مبكرًا إلىٰ صلاة الجمعة، ما معنىٰ «**غسَّل واغتسل**»؟ خلاف بين أهل العلم، «**غسَّل واغتسل**» يعني هو اغتسل غسل الجمعة، وحمل غيره علىٰ الغسل كزوجته، أتاها فحملها علىٰ أن تغتسل.

«**غسَّل واغتسل**» يعني بالغ في الغسل، ولذلك قال «**وبكَّر وابتكر**» وهذا قول آخر.

قول ثالث: «**غسَّل واغتسل**» أي: غسل جسمه وبالغ في غسل شعره، وهذا المعنىٰ

الصحيح للحديث، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت عنه روايات تُفصل هذا المُجمل، جمعها الشيخ الأثيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ وبيَّن أن المراد من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من غسَّل واغتسل» يعني غسل جسمه وبالغ في غسل شعره، لأن الصحابة علىٰ عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُطيلون شعورهم، فكان الشعر يحتاج إلىٰ مزيد عناية في غسل الجمعة، فجمع الأحاديث في الباب الواحد أمر مهم جدًا.

هذه أقوال الناس في الصورة، إذًا الصحيح من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَتَرَاءَىٰ فِي صورته الَّتِي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه» أنها صورة الله عَزَّوَجَلَّ لكن المراد بالصورة المعروفة كشف الساق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا إِنْكَارُكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَتَرَاءَىٰ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثُمَّ يَتَرَاءَىٰ فِي صورته الَّتِي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه»، فَزَعَمْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ.

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتُمْ رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ جَهِلْتُمُوهُ عِنْدَ الْعِيَانِ وَشَكَكْتُمْ فِيهِ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ أنه قال: حَدَّثَنَاه نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّكَ تَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقوله من جودة إسناده).

لأن إسناده أئمة، فكأنك تسمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ريب فيه.

قال: (فَاحْذَرْ أن يَكُونَ قَذْفُكَ بِالشِّرْكِ أَنْ يَقَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

لأن الذي أخبرنا بهذا الحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَمَا ذَنْبُنَا إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ سَلَبَ عَقْلَكَ حَتَّىٰ جَهِلْتَ مَعْنَاهُ؟ وَيْلَكَ! إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَكٍّ وَارْتِيَابٍ مِنْهُمْ).

يعني الذي يُثبت الصورة لله عَزَّوَجَلَّ هذا ليس شاكًا ولا مرتابًا.

(وَلَوْ أَنَّ اللهَ تَجَلَّىٰ لَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي صُورَتِهِ الَّتِي عَرَّفَهُمْ صفاتها فِي الدُّنْيَا لَاعْتَرَفُوا بِمَا عرفوا، وَلم يَنْفِرُوا، وَلَكِنَّهُ).

هذا هو تأويل الدارمي الذي رده شيخ الإسلام ابن تيمية لما جمع روايات الحديث.

قال: (وَلَكِنَّهُ يُرِي نَفْسَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ فِي صُورَة غير ما عرفهم الله صفاتها فِي الدُّنْيَا، لِيَمْتَحِنَ بِذَلِكَ إِيمَانَهُمْ ثَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ، كَمَا امْتَحَنَ فِي الدُّنْيَا لِيُثْبِتَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا لِلْمَعْبُودِ الَّذِي عَرَفُوهُ فِي الدُّنْيَا بِصِفَاتِهِ، الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَاسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُهُمْ حَتَّىٰ مَاتُوا عَلَىٰ ذَلِكَ.

فَإِذَا مُثِّلَ فِي أَعْيُنِهِمْ غَيْرُ مَا عَرَفُوا مِنَ الصِّفَةِ نَفَرُوا وَأَنْكَرُوا، إِيمَانًا مِنْهُمْ بِصِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ الَّتِي امْتَحَنَ قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الذي امْتَحَنَ اللهُ به قُلُوبَهُمْ تَجَلَّىٰ لَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي عَرَّفَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا، وَمَاتُوا، وَنُشِرُوا عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَ اللهُ مِنْ صُورَةٍ إِلَىٰ صُورَةٍ، وَلَكِنْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ فِي أَعْيُنِهِمْ بِقُدْرَتِهِ.

فَلَيْسَ هَذَا أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ بِشَكٍّ مِنْهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ، بَلْ هُوَ زِيَادَةُ يَقِينٍ وَإِيمَانٌ بِهِ مَرَّتَيْنِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:- "أَنَّهُ قَالَ لَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَتَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ").

فإذا ظهر لنا عرفناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعلامة التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (يَقُولُونَ: لَا نُقِرُّ بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا لِمَنِ اسْتَشْعَرَتْهُ قُلُوبُنَا بِصِفَاتِهِ الَّتِي أَنْبَأَنَا بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَحِينَئِذٍ يَتَجَلَّىٰ لَهُمْ فِي صُورَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَهُمْ، فَيَزْدَادُونَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ إِيمَانًا وَيَقِينًا، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ اغْتِبَاطًا وَطُمَأْنِينَةً، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الشَّكِّ عَلَىٰ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ يَقِينٌ بَعْدَ يَقِينٍ، وَإِيمَانٌ بَعْدَ إِيمَان).

وطبعًا هذا الكلام كما قلنا كلامٌ ردَّه شيخ الإسلام ابن تيمية.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية قال: "وأقرب ما يكون عليه إتيان الله في صورة بعد صورة، وإن كان تأويلًا باطلًا أيضًا ما ذكره بعض أهل الحديث، مثل: أبي عاصم النبيل"، أنا قلت ابن أبي عاصم؟ هو أبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد، شيخ البخاري.

"مثل: أبي عاصم النبيل، وعثمان بن سعيد الدارمي، فإنه يُروىٰ عن أبي عاصم النبيل أنه كان يقول: ذلك تغير يقع في عيون الرائين، كنحو ما يُخيَّل إلىٰ الإنسان الشيء بخلاف ما هو عليه، فيتوهم الشيء علىٰ الحقيقة"، وسيأتي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال: (وَلَكِنِ الشَّك والربوبية كُلَّهَا مَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي تَفْسِيرِ الرُّؤْيَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، فَادَّعَيْتَ أَنَّ رُؤْيَتَهُمْ تِلْكَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ لَهُمْ رَبًّا لَا يَعْتَرِيهِمْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ، كَأَنَّهُمْ فِي دَعْوَاكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ لَمْ يَعْلَمُوا فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ رَبُّهُمْ، حَتَّىٰ يَسْتَيْقِنُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

فَهَذَا التَّفْسِيرُ إِلَىٰ الشَّكِّ أَقْرَبُ مِمَّا ادَّعَيْتَ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّكِّ وَالشِّرْكِ، لَا، بَلْ هُوَ الْكُفْرُ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مؤمنهم وكافرهم يَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ، لَا يَعْتَرِيهِمْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢]؟ فَالشَّكُّ فِي اللهِ هذا الَّذِي تَأَوَّلْتَهُ أَنْتَ فِي الرُّؤْيَةِ لَا مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيْلَكَ! إِنَّ اللهَ لَا تَتَغَيَّرُ صُورَتُهُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَلَكِنْ يُمَثَّلُ فِي أَعْيُنِهِمْ يَوْمَئِذٍ، أَوَلَمْ تَقْرَأْ كِتَابَ اللهِ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٤]).

يعني جعل هذه الصورة كتلك، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ أرىٰ المشركين المؤمنين قلة فكذلك يُري الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ المؤمنين يوم القيامة صورة علىٰ خلاف صورته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (**وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، كَمَا مثّل جِبْرِيلُ**).

هذا هو المثال الثاني.

(**كَمَا مثّل جِبْرِيلُ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **مَعَ مُعظم صُورَتِهِ وَجَلَالَةِ خَلْقِهِ فِي عَيْن رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **صُورَةَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ**).

يعني كأن جبريل جاء كما هو، لكن الله عَزَّوَجَلَّ مثَّله في عين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صورة دحية الكلبي الصحابي.

قال: (**وَكَمَا مثله لِمَرْيَم بشرًا سَوِيًّا**).

شيخ الإسلام سيرد هذه الاستدلالات كلها بحلم وعلم رَحِمَهُٱللَّهُ.

قال: (**وَكَمَا مثله لِمَرْيَم بشرًا سَوِيًّا، وَهُوَ مَلَكٌ كَرِيمٌ فِي صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَمَا شَبَّهَ فِي أَعْيُنِ الْيَهُودِ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾، فَقَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾**[النساء:١٥٧].

وَمَا علملك أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْكَ آثَارٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أخذت بحلقك، وَنَقَضْتَ عَلَيْكَ مَذْهَبَكَ، فَالْتَمَسْتَ الرَّاحَةَ مِنْهَا بِهَذَا الْمَغَالِيطِ وَالْأَضَالِيلِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَأَنْتَ مِنْهَا فِي شُغُلٍ، كلما**

غَالَطْتَ بِشَيْءٍ أَخَذَ بِحَلْقِكَ شَيْءٌ آخر، فَخَنَقَكَ حَتَّىٰ تَلْتَمِسَ لَهُ أُغْلُوطَةً أُخْرَىٰ.

وَلِئِنْ جَزِعْتَ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ فَدَفَعْتَهَا بِالْمَغَالِيطِ مَا لَكَ رَاحَةٌ فِيمَا يُصَدِّقُهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الَّذِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِهِ.

وَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَىٰ دفع هَذِهِ الْآثَارِ وَقَدْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَلْفَاظُهَا بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، ناقضة لمذاهبك وتفاسيرك، وَقد تَدَاوَلَتْهَا أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وَتَنَاسَخُوهَا، يُؤَدِّيهَا الْأَوَّلُ إِلَىٰ الْآخِرِ وَالشَّاهِدُ إِلَىٰ الْغَائِبِ، إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ليقرعوا بهَا رُؤُوس الْجَهْمِيَّةِ، وَيُهَشِّمُوا بِهَا أُنُوفَهُمْ، وَيَنْبِذوا تَأْوِيلَكَ فِي حَشِّ أَبِيكِ، وَيُكْسَرُ فِي حلقك كما كُسِرَ فِي حُلُوقِ مَنْ كَانَ فَوْقَكَ مِنَ الْوُلَاةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ فَوْقِكَ، مِثْلَ ابْنِ أبي دؤاد، وَعبد الرَّحْمَن، وَشُعَيْبٍ بَعْدَهُ، وَغَسَّانَ، وَابْنِ رَبَاحٍ الْمُفْتَرِي عَلَىٰ الْقُرْآنِ).

كل هؤلاء من أئمة المعتزلة، فالإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما رد علىٰ المريسي رد عليه بأكثر من وجه:

الوجه الأول: أن هذه الأحاديث صحت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بألفاظها، وأنها جاءت بلسان عربي مبين، ومن نزل عليهم القرآن وتلقوا هذه العربية هم عرب أقحاح، يعلمون معاني الألفاظ، ومع ذلك لم يستشكلها واحد منهم، فكيف تستشكلها أنت وتؤولها؟!

الأمر الثاني: أن هذه الأحاديث تداولتها أيدي المؤمنين وتناسخوها دون نكير، يُؤديها الأول إلىٰ الآخر، والشاهد إلىٰ الغائب، دون أن يتعرضوا لها بتأويل، ولا صرفها عن معناها الذي أراده النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولو كان لها تأويل آخر عن المعنىٰ الظاهر لها الذي جاءت به علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لبيَّنها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلما سكت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه عن صرف المعنىٰ إلىٰ غير هذا المعنىٰ الظاهر من الأحاديث دل

ذلك علىٰ أن هذا المعنىٰ هو المعنىٰ المراد.

قال: (فَإِنْ كُنْتَ تَدْفَعُ هَذِهِ الْآثَارَ بِجَهْلِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِي الْقُرْآنِ؟).

لأنه ذكر له أدلة من القرآن، في سورة الأنفال وكذلك في سورة مريم.

(وَكَيْفَ تَحْتَالُ لَهُ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ، نَاقِضٌ لِمَذْهَبِكَ، وَمُكَذِّبٌ لِدَعْوَاكَ؟

حَتَّىٰ بَلَغَنِي عَنْكَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ الْمُعَارِضِ أَنَّكَ قُلْتَ: مَا شَيْءٌ أَنْقَضُ لِدَعْوَانَا مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِدَفْعِهِ إِلَّا مُكَابَرَةً بالتأويل).

إذًا المُعطلة إن كان الأمر يتعلق بالسنة فإما أن يردوه وإما أن يُحرفوه ويطعنوا في رواته، وإن كان الدلالة تتعلق بالقرآن فإما أن يُحرفوها، ويُؤولوها التأويلات الباطلة، أو أن يدعوا عدم معرفة المعنىٰ، أي يفوضون المعنىٰ؛ لأنهم لو ردوا القرآن صراحةً لافتُضحوا، وكُفِّروا.

هذا التأويل هو الذي ذهب إليه الإمام الدارمي، أن المراد بالصورة هاهنا: ما يجعل الله عَزَّوَجَلَّ في أعين المؤمنين، والله عَزَّوَجَلَّ علىٰ كل شيء قدير، ماذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

لكن ينبغي أن نعلم ابتداءً أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية تقريبًا استبطن في كتبه هذا الكتاب بأكمله، من أوله إلىٰ آخره، ينقل فصولًا كاملة من كلام الإمام الدارمي، ولعلني لم أقف علىٰ استدراك لشيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ الإمام الدامي إلا في هذا الموضع فقط، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا أيضًا باطل من وجوه: أحدها".

"**أحدها**: أن في حديث أبي سعيد المتفق عليه"

"قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة**»، وفي **لفظ**: «**في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها**»، وهذا تفسير قوله في حديث أبي هريرة". إذن فسر

حديث أبي هريرة بحديث أبي سعيد الخدري.

"«فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»، ويُبين أن تلك المعرفة كانت لرؤية منهم متقدمة في صورة غير الصورة التي أنكروه فيها".

والإمام الدارمي قال: هذه المعرفة تتعلق بمعرفة في الدنيا، معرفة صفاته، ونحن لا نعرف من صفات الله في الدنيا إلا المعنىٰ فقط، فهذا المعنىٰ مرجوح، وإلا فهل رأىٰ الواحد منا ربه في الدنيا، حتىٰ يُنكر رؤيته في الآخرة ويقول: ليست هذه صورة ربنا؟!

إذن المعرفة هذه تكون بعد الرؤية الأولىٰ التي جاءت في حديث أبي هريرة.

قال: "وفي هذا التفسير -أي: تفسير بعض أهل الحديث، كأبي عاصم والدارمي- قد جعل صورته التي يعرفون هي التي عرَّفهم صفاتها في الدنيا، وليس الأمر كذلك؛ لأنه أخبر أنها الصورة التي رأوه فيها أول مرة لا أنهم عرفوها بالنعت في الدنيا، ولفظ الرؤية".

رأوا، وليس علموا.

"ولفظ الرؤية صريح في ذلك، وقد بيَّنا أنه في غير حديث مما يبين أنهم رأوه قبل هذه المرة".

أي: بيَّنا أن الصورة التي رأوه فيها أول مرة هي الصورة التي يعرفون، وثبت ذلك في غير حديث، هذا الوجه الأول.

"الثاني: أنهم لا يعرفون في الدنيا لله صورة، ولم يروه في الدنيا في صورة، فإن ما وصف الله تعالىٰ به نفسه ووصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُوجب لهم صورة يعرفونها، ولهذا جاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فلو كانوا أرادوا الصفات المخبَر بها في الدنيا لذكروا ذلك، فعُلم أنهم لم يطيقوا وصف الصورة التي رأوه فيها أول مرة، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سدرة

المنتهىٰ: «**فغشيها من أمر الله ما غشيها، حتىٰ لا يستطيع أحد أن ينعتها من حسنها**»، فالله أعظم من أن يستطيع أحد أن ينعت صورته، وهو سبحانه وصف نفسه لعباده بقدر ما تحتمله أفهامهم.

ومعلوم أن قدرتهم علىٰ معرفة الجنة بالصفات أيسر، ومع هذا فقد قال: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»، فالخالق أولىٰ أن يكون يطيقون معرفة صفاته كلها.

الوجه الثالث: أن في حديث أبي سعيد: «**فيرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة**»، فقوله: لا يتحول من صورة إلىٰ صورة ولكن يُمثل ذلك في أعينهم مُخالف لهذا النص"، لأن النص قال صراحة: وقد تحول، وأبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عثمان بن سعيد الدارمي يقول بخلاف ذلك.

"**الوجه الرابع**: أن في حديث ابن مسعود، وأبي هريرة، من طريق العلاء: «**أنه يُمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون**»، ثم قال: ويبقىٰ محمد وأمته، فيتمثل لهم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيأتيهم".

إذًا من الذي يأتيهم؟ الله عَزَّوَجَلَّ.

"«**فيتمثل لهم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد**»، فقد أخبر أن الله تعالىٰ هو الذي يتمثل لهم، ولم يقل مُثِّل لهم".

يعني في أعينهم، لكن هو الذي جاءهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: "كما قال في معبودات المشركين وأهل الكتاب.

الوجه الخامس: أن في عدة أحاديث، كحديث أبي سعيد، وابن مسعود: «**قال: هل بينكم**

وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه، فيسجدون له»".

هذه هي الصورة التي يعرفون ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بها.

قال: "وهذا بيِّن أنهم لم يعرفوه بالصفة التي وُصفت لهم في الدنيا، بل بآية وعلامة عرفوها في الموقف، وكذلك في حديث جابر: «قال: فيتجلىٰ لنا ضاحكًا»".

إذن العلامة: ضحك ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكشف الساق.

"ومعلوم أنه وإن وُصف بالدنيا بالضحك فذلك لا يُعرف صورته بغير المعاينة".

ماذا عن هذا التمثيل الذي ذكره الإمام الدارمي من قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾[الأنفال:٤٤]، وكذلك ما جاء في أمر جبريل مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومع مريم؟

قال: "أما تمثيل ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾، وبقوله: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾"، لا يُناسب مجيئه بمجيء جبريل في صورة دحية والبشر.

"لأن اليهود غلطوا في الذي رأوه"، فلم يكن هو المسيح، يعني الذي رأوه ليس المسيح، لكن الذي رآه المؤمنون يوم القيامة هو ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: "ولكن ألقىٰ شبهه عليه، وكذا الذي رأته مريم، ومحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو جبريل نفسه في صورة آدمي، فكيف يُقاس ما رُئي هو نفسه في صورة علىٰ ما لم يُر، وإنما أُلقي شبهه علىٰ غيره؟!

قال: "وأما التقليل والتكثير في أعينهم بالمقدار فليس في نفس المرئي، ولكن في صفته.

الوجه السابع: أن هذا المعنىٰ -أي: التمثيل- إذا قُصد كان مقيدًا بالرائي، لا بالمرئي، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾، فقيد ذلك بأعين الرائين، يقال:

كان هذا في عين فلان رجلًا، فظهر امرأة، وكان كبيرًا فظهر صغيرًا، ونحو ذلك.

ولا يُقال: جاء فلان في صورة كذا، ثم تحول في صورة كذا، ويكون التصوير في عين الرائي فقط".

هذا لا يُقال في مثل هذا أصلًا، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فيأتيهم ربهم في صورة كذا، ما قال: يُمثَّل في أعينهم، فهذه الأوجه هي التي ذكرها شيخ الإسلام في رد هذا التأويل، وفيها جلالة قدر ابن تيمية ومبلغ علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذلك**: **(ثُمَّ أَنْشَأْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ تَطْعَنُ فِي حَدِيثِ الرَّسُولِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بَعْدَمَا صَدَّقْتَ بِهِ، وَعَرَفْتَ أَنَّهُ قَدْ قَالَهُ، ثُمَّ فَسَّرْتَهُ تَفْسِيرًا مُخَالِفًا لِتَفَاسِيرِ أَهْلِ الصلاة)**.

يعني أهل القبلة.

(وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ فتزوي، فتقول: قطّ قطّ»)**.

«فتزوي»، وكذلك جاء في رواية: **«فتنزوي»**، وكلاهما ورد به النص.

«فتقول: قطّ قطّ»، قط معناها: حسبي، كما صُرِّح به عند الإمام أحمد.

إذًا هذا الأمر عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإثبات صفة القدم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله عَزَّوَجَلَّ له قدم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، لا تُماثل قدم المخلوق.

الكلام عن صفة القدمين

وإثبات القدم صفة خبرية لله تعالىٰ، ثابتة بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالإجماع، الإجماع لا بد له من مُستند، وهو سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله عَزَّوَجَلَّ يضع قدمه علىٰ جهنم، كما سيأتي، كما يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا نُمثِّل، ولا نُشبِّه، ولا نُعطِّل، ولا نُحرِّف، ولا نُكيِّف، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ماذا قال المريسي في إثبات القدم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟

قال: (ثُمَّ أَنْشَأْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ تَطْعَنُ فِي حَدِيثِ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، وذكر الحديث.

قال: (وَادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ الْحَدِيثَ حَقٌّ، وَمَعْنَاهُ عِنْدَكَ: أَنَّهَا لَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ الْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِيهَا).

لكن ما المراد بالقدم عند المعطلة؟

(فَقُلْتَ: مَعْنَىٰ "قدمه" أَهْلُ الشِّقْوَةِ).

جماعة من الكفار من أهل الشقوة.

(الَّذِينَ سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِبَاطِلِ زَعْمِكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢] قَالَ: مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِهِم).

إذًا القدم المقصود في الحديث: جماعة من أهل الشقوة من أهل النار.

قال: (فَقَدْ رَوَيْنَا أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ عَنِ الثِّقَاتِ الْأَئِمَّةِ الْمَشْهُورِينَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ الْقَدَمِ خِلَافَ مَا ادَّعَيْتَ من تأويلك هَذَا.

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَيَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيرٍ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يقدر قدره إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ").

آية الكرسي التي في سورة البقرة ﴿اللهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الحَيُّ القَيّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، سُميت

هذه الآية بهذا الاسم لأنه قد جاء فيها: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾، وهي أعظم آية في كتاب الله كما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنها خُلِّصت للكلام عن صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن الكرسي: "موضع القدمين"، الكرسي يضع الله عَزَّوَجَلَّ عليه قدميه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والعرش سرير الرحمن.

قال: "وَالْعَرْشُ لَا يقدر قدره إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ".

هذا الأثر أثر حسن عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا الأثر فيه إثبات القدمين لله عَزَّوَجَلَّ هذا أولًا، ومثله لا يُقال بالرأي؛ لأن هذا من الغيب، الصحابي قد يجتهد في أمر فقهي، يعني يقول: صلاة الجماعة واجبة، غيره يقول: سنة مؤكدة، غسل الجمعة كذا، هذا أمر فقهي، لكن الأمور التي تتعلق بالغيب، بصفات الله، بالجنة والنار، فهذه لا يخوض فيها الصحابي برأيه.

وابن عباس كان ينهىٰ عن الأخذ عن أهل الكتاب، فمن الصحابة من كان يُحدِّث عن أهل الكتاب؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، ابن عباس ما كان يفعل ذلك، بل كان ينهىٰ الصحابة عن الأخذ عن أهل الكتاب.

فمثل هذا لا يُقال بالرأي، ففيه إثبات القدمين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(فَهَذَا الَّذِي عَرَفْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ صَحِيحًا مَشْهُورًا، فَمَا بَالُكَ تَحِيدُ عَنِ الْمَشْهُورِ الْمَنْصُوصِ مِنْ قَوْله وتتعلق بالمغمور مِنْهُ المتلبس الَّذِي يتَحَمَّل الْمعَانِي! وَكَيف تَدعِي أَنَّهَا لَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يُلْقِيَ اللهُ فِيهَا الْأَشْقِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ قَدَمُ الْجَبَّارِ عِنْدَكَ، فَتَمْتَلِئَ بِهِمْ فِي دَعْوَاكَ؟ وَهل استزادت أيها التائب إلا بعد مصير الأشقياء إليها، وإلقاء الله إياهم فيها، فاستزادت بعد ذلك؟!)**.

يريد أن النار ما طلبت المزيد إلا بعد أن أُلقي الأشقياء.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق:٣٠]، متىٰ قالت جهنم النار هل من مزيد؟ لما أُلقي فيها الأشقياء، والمريسي يقول: النار قالت: قط قط، حسبي، لما أُلقي فيها الأشقياء!

قال: **(أَفَيُلْقِيهُمْ فِيهَا ثَانِيَةً، وَقَدْ أَلْقَاهُمْ فِيهَا قَبْلُ، فَلَمْ تَمْتَلِئْ؟ كَأَنَّهُ فِي دَعْوَاكَ حَبَسَ عَنْهَا الْأَشْقِيَاءَ، وَأَلْقَىٰ فِيهَا السُّعَدَاءَ).**

كأنه ما ألقىٰ فيها ابتداءً إلا السعداء، فلما قالت النار: هل من مزيد ألقىٰ فيها الأشقياء.

قال: **(فَلَمَّا اسْتَزَادَتْ أَلْقَىٰ فِيهَا الْأَشْقِيَاءَ بَعْدُ، حَتَّىٰ مَلَأَهَا، ولَوِ ادَّعَىٰ هَذَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا زَادَ، ثُمَّ رَدَدْتَ الْحَدِيثَ بَعْدَمَا أَقْرَرْتَ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ فَقُلْتَ: يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشَبِّهَةِ).**

إذًا لماذا رد صفة القدم؟ لأن ذلك يستلزم التشبيه والتمثيل، كعادتهم في رد صفات ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يشبهون أولًا ثم يعطلون.

قال: **(يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشَبِّهَةِ: أَلَيْسَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الله يخلف وعده كَافِرٍ؟).**

هذا تلبيس آخر.

(أَلَيْسَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الله يخلف وعده كَافِرٍ؟ فَإِنْ قَالُوا: نعم، فقل لَهُمْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ جَهَنَّمَ تَمْتَلِئُ مِنْ غَيْرِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فَقَدْ كَفَرَ).

يعني أنتم تقولون: الله عَزَّوَجَلَّ يضع قدمه فيها، والذي جاء في القرآن: أن مِلأها يكون من الجنة والناس، وأن الداخلين فيها هم من الجِنة والناس، ومن زعم غير ذلك فقد كفر.

قال: **(لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قال:** ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود:١١٩]**).**

هذه شبهة المريسي.

فقال الدارمي: (وَيْلَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ! إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَة مَنْ أَنْزَلَ فِي "ق": ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:٣٠]).

يعني القرآن لا يتعارض، الذي أنزل هذه الآية هو الذي أنزل هذه الآية.

قال: (وَيَجُوزُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ لِمُمْتَلِئٍ: اسْتَزَادَ، كَمَا يَمْتَلِئُ الرَّجُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَيَقُولُ: قَدِ امْتَلَأْتُ وَشَبِعْتُ وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَزْدَادَ، كَمَا يُقَالُ: امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ مِنَ النَّاسِ، وَفِيهِ فَضْلٌ وَسَعَةٌ لِلرِّجَالِ بَعْدُ، وَامْتَلَأَ الْوَادِي مَاءً وَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِأَكْثَرَ مِنْهُ.

وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»، وَفِي الْأَرْضِ سَعَةٌ بَعْدُ لِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الظُّلْمِ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْقِسْطِ، فَتَمْتَلِئُ جَهَنَّمُ بِمَا يلقي الله

فِيهَا مِمَّا وَعَدَهَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ لِفَضْلٍ فِيهَا غَضَبًا لِلَّهِ عَلَىٰ الْكُفَّار، حَتَّىٰ يفعل بِهَا مَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ- وَسَلَّمَ كَمَا شَاءَ، وَكَمَا عَنَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحِينَئِذٍ تَقُولُ: حَسْبِي، حَسْبِي.

قال: وَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ مَا وَصَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَضْعِ الْقَدَمِ فِي جَهَنَّمَ؟).

هذا إلزام، ولو سألت الجهمية هؤلاء: أين الله؟ يقولون: في كل مكان، وهل النار مكان أم لا؟ أنت بتقول: لا يجوز أن يضع الله عَزَّوَجَلَّ قدمه في النار، لأن هذا يستلزم التحيز، إن تكون صفة من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متحيزة موجودة في مكان، داخل مخلوق، وهذا يستلزم الجسمية، أنت تقول أن الله في كل مكان، لا يُثبت ربًا فوق العرش، فالله داخل المسجد، أستغفر الله، داخل الحش، وفي أفواه الخنازير، كما كان بعض السلف يقول: هذا يلزمهم.

فالدارمي يقول: (وَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ مَا وَصَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَضْعِ الْقَدَمِ فِي جَهَنَّمَ؟ وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ بِكَمَالِهِ فِي جَهَنَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمْلَأَهَا، وَبَعْدَمَا مَلَأَهَا؛ لِأَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، فَجَهَنَّمُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْكِنَةِ، فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَ بِالْآيَةِ، إِذْ تَدَّعِي أَنَّ جَهَنَّمَ مُمْتَلِئَةٌ مِنَ الْجَبَّارِ -تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ وعَزَّ وَجَلَّ- عَنْ وَصْفِكَ به).

رحم الله الدارمي فهذا إلزام لا يستطيع الفكاك منه، إلا إذا صرح بما يُبطله، أنه لا يُثبت ربًا، لأنه يعبد العدم،

ولا يُثبت صفة لهذا الرب الذي يعبده.

ولذلك قال أئمتنا: المُعطل يعبد عدمًا، لا يعبد شيئًا، المعطلة ضيعوا إلههم، يعني ربنا لا هو فوق السماء، ولا داخل الأرض، ولا خارج الأرض، ليس له سمع، ولا بصر، ولا قدم، ولا يد، ليس له صفة، فمن يعبدون، وكيف يَرِدون علىٰ خالقهم يوم القيامة، وقد ردوا ما وصف به نفسه ووصفه به أعلم الخلق به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قال: (ثُمَّ ادَّعَيْتَ أَنَّ مَنْ تَأَوَّلَ فِي هَذَا قَدَمَ الْجَبَّارِ فَقَدْ جَعَلَ اللهَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، ومن تَبِعَ إِبْلِيسَ، إِذْ رعم أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ).

(فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلْتَهُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ).

لأنه جعله في كل مكان.

(ومن تَبِعَ إِبْلِيسَ).

نسأل الله العافية.

(إِذْ تزْعم أَنَّهُ لَا تَخْلُو مِنْهُ جَهَنَّمُ وَلا شَيْءٌ مِنَ الْأَمْكِنَةِ، أَفَبَعْضٌ أوحش من بعض؟).

الأماكن عندك كلها سواء، فلماذا هذا الورع الكاذب؟!

(وَيْلَكَ! إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَلَهَا خَزَنَةٌ يَدْخُلُونَهَا، مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ).

أين تكون ملائكة النار؟ في النار نفسها.

(غَيْرُ مُعَذَّبِينَ بِهَا، وَفِيهَا كِلَابٌ وَحَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّف عَنَّا يَومًا مِنَ العَذَابِ﴾[غافر: ٤٩].

(وَقَالَ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[المدثر:٣٠-٣١]، فَلَا يدْفع هَذِه الْآيَات قَوْلُهُ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، كَمَا لَا يَدْفَعُ هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضَعُ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ»، فَإِذَا كَانَت جَهَنَّمُ لَا تَضُرُّ الْخَزَنَةَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا وَيَقُومُونَ عَلَيْهَا، فَكيف تضر الَّذِي سخرها لهم؟!).

لكنهم لما شبهوا الخالق بالمخلوق ووقعوا في القياس الفاسد، وهم مُشبهة الأفعال والصفات، جعلوا ما يجري علىٰ المخلوق يجري علىٰ الخالق، وهذا من سوء أدبهم مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال: (فَإِنْ أَنْتَ أَقْرَرْتَ بِالْخَزَنَةِ وَمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ وَمَا فِيهَا مِنْ غَيْرِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ كَفَرْتَ فِي دَعْوَاكَ؛ لِأَنَّكَ زَعَمْتَ أَنَّ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ جَهَنَّمَ تَمْتَلِئُ مِنْ غَيْرِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فَقَدْ كَفَرَ، وَهَذِهِ الْآثَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ الْقَدَمِ مِمَّا أَنْتَ مُصَدِّقٌ مُحَقِّقٌ.

قال: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ الْبَصْرِيُّ، حدثنَا أَبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فَيُدْلِي فِيهَا رَبُّ العزة قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بعض، فتقول: قطّ بعزتك، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللهُ خَلْقًا

فَيُسْكِنَهُمْ فِيهَا»).

هذا لا يفعله الله عَزَّوَجَلَّ في جهنم، ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، يعني إذا بقي في جهنم فضل مكان لا يُنشئ الله عَزَّوَجَلَّ أقوامًا لا ذنب لهم ليُدخلهم النار، ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾ ولذلك خطأ العلماء شريك بن عبد الله بن أبي نمر في روايته، لكن يضع قدمه عليها فينزوي بعضها -ينضم بعضها- إلىٰ بعض علىٰ أهل النار، نسأل الله السلامة والعافية.

أما أهل الجنة فكلٌ منهم يأخذ ما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ له من النعيم المقيم، ومع ذلك يبقىٰ في الجنة فضل مكان لم يأخذه أحد، وهذا يُبين لنا سعة جنة ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيُنشئ الله عَزَّوَجَلَّ بفضله أقوامًا يُدخلهم الجنة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلىٰ.

قال: (**حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادُ -وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ- عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «افْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يارب يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُلُوكُ، وَالْأَشْرَافُ»**).

أي العصاة من الملوك والأشراف، وإلا لو كان الملك والشريف مطيعًا لله عَزَّوَجَلَّ فلا يدخل النار.

«وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي الْفُقَرَاءُ، وَالضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي وَسِعْتِ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَيُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّىٰ يأيتها فَيَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، وَتَقُولُ: قَدِي قدي ثَلَاثًا».

وفي بعض الروايات: «**قدني**» بالنون -نون الوقاية- وهذه اللفظة جاء فيها خمس روايات، ذكرها شيخنا العصيمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

يعني جاء في رواية في الصحيحين: «**قط قط، قد امتلأت**».

وجاء عند البخاري: «قد» بالدال.

وجاء في بعض نسخ رواية أبي ذر الهروي للبخاري: «قطني» بالطاء.

وجاء عند أحمد: «قدني قدني»، وكلها بمعنىٰ واحد.

قال: (وَقَرَأْتُ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ الْهَيْثَمِ الْمُؤَذِّنِ أَنَّ عَوْفَ بْنَ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيَّ حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَقَالَت النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجنَّةُ: مَالِي لَا يدخلني إِلَّا سفلَة النَّاسِ وَسِقَاطُهُمْ؟ -أَوْ كَمَا قَالَتْ- فَقَالَ لَهُمَا: قَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أُسْكِنُكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ خَلْقِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، وَأَمَّا جَهَنَّمُ فَإِنَّهَا لَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ اللهُ قَدَمَهُ فِيهَا فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وتقول: قَدِ قَدِ قَدِ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ الله يُنشئ لَهَا مَن شاء من خلقه».

قال: فَأَخْبرني عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَنَّ عَوْفًا حَدَّثَهُ بِذَلِكَ كَمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ.

وقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَالِحٍ حَدَّثَهُ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَطْوِي الْمَظَالِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجْعَلُهَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَجْرِ الْأَجِيرِ، وَعَقْرِ الْبَهِيمَةِ، وَفَضِّ خَاتَمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»، يُرِيدُ افْتِضَاضَ الْأَبْكَارَ.

قال: فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي أَلْفَاظِ مَا رَوَيْتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والَّذِي أَقْرَرْتَ بِأَنَّهُ قَالَهُ هَلْ تَحْتَمِلُ أَلْفَاظُهُ التَّأْوِيلَ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ أنت؟).

ما جاء في العرش والكرسي

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما جاء في العرش والكرسي: (ثُمَّ انْتَدَبْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ مُكَذِّبًا بِعَرْشِ اللهِ وَكُرْسِيِّهِ، مُطْنِبًا فِي التَّكْذِيبِ بِجَهْلِكَ، مُتَأَوِّلًا فِي تَكْذِيبِهِ بِخِلَافِ مَا تَعْقِلُهُ

العقلاء والْعُلَمَاءُ).

هذا الكلام والذي يأتي بعده هو في بيان ما جاء في عرش الرحمن وكرسيه، وقد سبق شيء مما يتعلق بالعرش في بداية هذا الكتاب، وسيأتي مزيد بيان للأمور التي تتعلق بالعرش.

وأما الكرسي فهو الذي بدأ به الكلام هاهنا.

والكرسي ورد ذكره في القرآن في سورة البقرة في أعظم آية، كما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهناك أعظم آية، وأعظم سورة، وهي سورة الفاتحة.

وآية الكرسي سُميت بذلك: لأنه قد ورد فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ﴿كُرسِيُّهُ﴾: فاعل، ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: المفعول، ﴿وَالأَرْضَ﴾: معطوف عليه، فالذي له هذه السعة هو الكرسي.

الخلاف في المراد بالكرسي

ولم يختلف الناس في وجود الكرسي، لكنهم اختلفوا في المراد بالكرسي في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ﴾ علىٰ أقوال ثلاثة:

فمنهم من قال: الكرسي: موضع قدمي الرحمن، فالعرش سريره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي استوىٰ عليه، وجاء ذلك في سبع آيات في كتابه، والكرسي: موضع قدمي الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاءت السنة بذلك، فهو كرسي مخلوق يضع الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدميه عليه.

وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو مذكور عن ابن عباس، وأبي موسىٰ الأشعري، وأهل السنة والجماعة.

والقول الثاني: وهو أن الكرسي هو العرش، لا فرق بينهما، فإذا جاء ذكر الكرسي



فالمقصود به: العرش.

وهذا القول منسوب إلىٰ أبي الحسن البصري، كما في كتب التفسير، وسيأتي ما ينقض هذا القول ويُضعِّفه.

والقول الثالث: هو أن الكرسي: العلم، فقوله: ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ﴾ أي: وسع علمه السماوات والأرض.

وهذا منسوب لابن عباس، وسعيد بن جبير، ورجّحه الطبري فيما يظهر من كلامه، وهو قول الجهمية، ومنهم المريسي.

وهذا قول مردود، ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تضعيفه من أكثر من وجه.

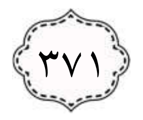
فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في بيان تلبيس الجهمية قال: "تفسير الكرسي بالعلم لا يُعرَف في اللغة البتة"، يعني حتىٰ مادة الكرسي اللغوية لا تُعين علىٰ تفسير الكرسي بالعلم.

فلو قلنا مثلًا -هكذا يقول في معنىٰ كلامه-: إن الكرسي في أصله اللغوي يرجع إلىٰ الكاف، والراء، والسين، التي تعني الجمع والضم، فلو تنزّلنا معهم فهذا قد يعود لمعنىٰ اللوح المحفوظ، والكتاب، لا يعود إلىٰ معنىٰ العلم، وهذا كذلك لا يصح.

فتفسير الكرسي بالعلم لا يُعرَف في اللغة البتة، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أحاط بكل شيء علمًا، فلا يختص علمه بالسماوات والأرض، فهو بكل شيء عليم، يعلم ما كان وما يكون.

إذًا علمه لا يختص بشيء من خلقه، وإنما كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا﴾[غافر: ٧].

وجاء إطلاق العلم في الكتاب والسنة، فالله عَزَّوَجَلَّ بكل شيء محيط، وبكل شيء عليم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَيَعلَمُ ما فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَما تَسقُطُ مِن



وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأَرضِ وَلا رَطبٍ وَلا يابِسٍ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾[الأنعام: ٥٩]، ﴿وَهُوَ الَّذي يَتَوَفّاكُم بِاللَّيلِ وَيَعلَمُ ما جَرَحتُم بِالنَّهارِ﴾[الأنعام: ٦٠]، فجَعْلُ علمِه مقيدًا بالسماوات والأرض فقط هذا فيه ذم، لا مدح؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا خارج السماوات والأرض سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: "فليس في تخصيص علمه بالسماوات والأرض مدح، ولا لهذا نظير في القرآن"، وهذا هو الترجيح الثاني أو الثالث.

"ثم إن الثابت عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خلاف ذلك"، الذي يثبت عن عبد الله بن عباس خلاف ذلك، كما سيأتي، أن الرواية التي فيها تفسير الكرسي بالعلم رواية ضعيفة لا تصح، وإنما الرواية الصحيحة التي فيها تفسير الكرسي بموضع قدم الرحمن سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ثم إن قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آية الكرسي: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، ما معنىٰ ﴿يَئُودُهُ﴾؟ يعني يُثقله، ويُعجزه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ طيب.

لا يُثقله حفظ السماوات والأرض، هذا متعلق بالعلم أم بالقدرة؟ متعلق بالقدرة وهذا مما يُرجح عدم تفسير الكرسي بالعلم.

ولذلك قال: "وهذا يُناسب القدرة لا العلم".

قال: **(ثُمَّ انْتَدَبْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ مُكَذِّبًا بِعَرْشِ اللهِ وَكُرْسِيِّهِ، مُطْنِبًا فِي التَّكْذِيبِ بِجَهْلِكَ، مُتَأَوِّلًا فِي تَكْذِيبِهِ بِخِلَافِ مَا تَعْقِلُهُ العقلاء والْعُلَمَاءُ، فَرَوَيْتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: علمه.**

قُلْتَ: فَمَعْنَىٰ الْكُرْسِيِّ: الْعِلْمُ، فَمَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ غَيْرِ الْعِلْمِ أَكْذَبَهُ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمَرِيسِيِّ: أَمَّا مَا رَوَيْتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَإِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ جَعْفَرٍ الْأَحْمَرِ، وَلَيْسَ

جَعْفَرٌ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَىٰ رِوَايَتِهِ).

فكان الدارمي إمامًا في الاعتقاد وإمامًا في الحديث رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإمامًا في اللغة كذلك.

قال: (وَلَيْسَ جَعْفَرٌ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَىٰ رِوَايَتِهِ، إِذْ قَدْ خَالَفَتْهُ الرُّوَاةُ الثِّقَاتُ الْمُتْقِنُونَ).

وهذا الأثر الذي ذكره عن عبد الله بن عباس من قوله: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه ذكره الحافظ الذهبي في كتاب (العلو)، وقال في جعفر: هو لين.

وقال ابن الأنبار: إنما يُروىٰ هذا بإسناد مطعون فيه.

وقال الحافظ بن حجر في جعفر: صدوق يتشيَّع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الفتوىٰ الحموية قال: "وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية".

إذًا تفسيره بالعلم هذا تفسير مرجوح، لا تصح نسبته لابن عباس ولا لسعيد بن جبير، وإنما رجحه الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يظهر من كلامه، استنادًا لهذا الأثر الذي ذكرناه وهو أثر لا يصح، ولبعض شواهد اللغة التي ظن رجوع أصل الكرسي إليها.

قال: (وَقَدْ رَوَىٰ مُسْلِمٌ الْبَطِينُ، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْكُرْسِيِّ خِلَافَ مَا ادَّعَيْتَ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قال: حَدثنَا يَحْيَىٰ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، والْعَرْش لَا يقدر قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ").

وسبق هذا الأثر، وقلنا: هذا مما لا يُقال بالرأي؛ لأن هذا من أمور الغيب، فهو مرفوع حكمًا.



وابن عباس غير معروف بالأخذ عن أهل الكتاب، بل كان ينهىٰ عن ذلك، فهو لا شك سمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ممن سمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هو مذهب سعيد ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفيه كذلك رد علىٰ من قال: إن الكرسي هو العرش؛ لأنه في الأثر فرَّق بينهما، فقال: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، والْعَرْش لَا يقدر قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ"، فليس الكرسي هو العرش.

قال: (فَأَقَرَّ الْمَرِيسِيُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَصَحَّحَهُ).

يعني هذا الذي ثبت عن عبد الله بن عباس، وهو أثر حسن.

(وَزَعَمَ أَنَّ وَكِيعًا رَوَاهُ، إِلَّا أَنَّ تَفْسِيرَ الْقَدَمَيْنِ هَاهُنَا فِي دَعْوَاهُ: الثَّقَلَيْنِ).

سبحان الله: إما أن يرد الحديث أصالةً، وإما أن يُحرِّف معناه بما لا يُعرَف في لغة العرب، فقال في قوله: الكرسي: موضع القدمين، قال: القدمين: الثقلين.

(قَالَ: يَضَعُ اللهُ عِلْمَهُ وَقَضَاءَهُ لِلثَّقَلَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْكُمُ بِهِ فِيهِمْ، فَهَلْ سَمِعَ سَامِعٌ مِنَ الْعَالَمِينَ بِمِثْلِ مَا ادّعىٰ هَذَا المريسي؟ وَيْلَكَ! عَمَّنْ أَخَذْتَهُ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْطَانٍ تَلَقَّيْتَهُ؟).

وحقًا، إن الشياطين ليُوحون إلىٰ أهل البدع ليُجادلوا أهل السنة، فالشياطين أعوان أهل البدع، كما أن الملائكة أعوان أهل السنة، كما بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هجاء حسان بن ثابت للمشركين، فقد كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ معه، وكذلك الملائكة تُناصر أهل السنة في ردهم علىٰ المبتدعة.

قال: (وَمِنْ أَيِّ شَيْطَانٍ تَلَقَّيْتَهُ؟ فَإِنَّهُ مَا سَبَقَكَ إِلَيْهَا آدَمِيٌّ نَعْلَمُهُ، أَيَحْتَاجُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَضَعَ مُحَاسَبَةَ الْعِبَادِ عَلَىٰ كِتَابِ عِلْمِهِ وَأَقْضِيَتِهِ يَحْكُمُ بِمَا فِيهِ بَيْنَهُمْ؟ وَلَا أَرَاكَ مَعَ كَثْرَةِ جَهْلِكَ إِلَّا وَسَتَعْلَمُ أَنَّكَ احْتَجَجْتَ بِبَاطِلٍ، جَعَلْتَهُ أُغْلُوطَةً تُغَالِطُ بِهَا أَغْمَارَ النَّاسِ وَجُهَّالَهُمْ).

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَقْرَعُهُ، فَيُفْتَحُ لِي، فَأَرَىٰ رَبِّي وَهُوَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، فَيَتَجَلَّىٰ لِي، فَأَخِرُّ له سَاجِدًا»).

وهذا الحديث ضعيف، لا يصح، لكن فيه إثبات كرسي الرحمن، وهذا ثابت في الكتاب والسنة.

قال: (فَهَلْ يَجُوزُ لَكَ فِي تَأْوِيلِكَ أَنَّهُ يَأْتِي رَبَّهُ وَهُوَ عَلَىٰ عِلْمِهِ؟).

لأن الحديث قال: «وَهُوَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ».

(إِذْ ادَّعَيْتَ أَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْكُرْسِيَّ غَيْرُ الْعِلْمِ أَكْذَبَهُ الْقُرْآنُ بِمَا رَوَيْتَ فِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَهَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَعَنْ نَفْسِهِ خِلَافَ مَا رَوَيْتَ فِيهِ، فَكَيْفَ تَحِيدُ عَنْ هَذَا الْمَشْهُورِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَىٰ الْمَغْمُورِ عَنْهُ إِلَّا مِنْ ظِنَّةٍ وَرِيبَةٍ؟

وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَنْ ذَهَبَ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَىٰ غَيْرِ الْعِلْمِ أَكْذَبَهُ كِتَابُ اللهِ، وَيْلَكَ! وَأَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تُكَذِّبُهُ؟ أَأَنْزَلَ عَلَىٰ غِيَاثٍ الْيَهُودِيِّ فِي تَكْذِيبِهِ آيَةً لَمْ تَنْزِلْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!).

مَن غياث؟ أبو بشر، يعني يقول له: هل نزل علىٰ أبيك قرآن بعد محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ينسخ ما نزل علىٰ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟

(وَيْلَكَ! وَهَلْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ إِلَّا وَقَدْ عَقِلَ أَمْرَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَآمَنَ بِهِمَا إِلَّا أَنْتَ وَرَهَطُكَ؟).

لماذا ذكر النساء والصبيان؟ لأن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فيعرفه النساء والصبيان فضلًا عن الشيوخ والرجال، ومع ذلك يجهله أمثال بشر المريسي.

ساق الذهبي في العلو بإسناده إلىٰ أسماء بنت عميس أن جعفرا جاءها إذ هم بالحبشة

يبكي فقالت: ما شأنك؟ قال رأيت فتىٰ مترفا من الحبشة شابا جسيما مرَّ علىٰ امرأةٍ فطرح دقيقا كان معها فنسفته الريح فقالت: (وهذا هو الشاهد علىٰ كلام الدارمي) أَكِلُك إلىٰ يومٍ يجلس الملك علىٰ الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم." وسيأتي إسناده عند الدارمي.

قال: (وَلَيْسَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُسْنَدَ فِي تَثْبِيتِهِمَا الْآثَارُ وَيُؤَلَّفُ فِيهِمَا الْأَخْبَارُ، لَوْلَا أغلوطاتك هَذِه، لما أَن عِلْمَهُمَا وَالْإِيمَانَ بِهِمَا خَلُصَ إِلَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ).

لأنه ثابت بصورة قطعية في الكتاب، العرش ورد في آيات كثيرة، وكذلك كرسيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورد في القرآن والسنة.

قال: (لما أَن عِلْمَهُمَا وَالْإِيمَانَ بِهِمَا خَلُصَ إِلَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ إِلَّا إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَصْحَابِكَ، طَهَّرَ اللهُ مِنْكُمْ بِلَادَهُ وأراح مِنْكُم عباده.

والعجب مِنِ اسْتِطَالَتِكَ بِجَهَالَتِكَ هَذِهِ وَأُغْلُوطَاتِكَ، إِذْ تقول لمن هُوَ أَعْلَمُ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ مِنْكَ: إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا تَفْسِيرَ مَا قُلْنَا وَإِلَّا فَسَلُوا الْعلمَاء، ولاتعجلوا بِالْقَضَاءِ).

يعني المريسي يقول: اسألوا العلماء، فسيقولون بقولنا! سبحان الله.

قال: (وَيْلَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، قَدْ سَأَلْنَا الْعُلَمَاءَ، وَجَالَسْنَا الْفُقَهَاءَ، فَوَجَدْنَاهُمْ كُلَّهُمْ عَلَىٰ خِلَافِ مَذْهَبِكَ، فَسَمِّ عَالِمًا مِمَّنْ مَضَىٰ وَمِمَّنْ غَبَرَ يحْتَج بِمثل هَذِه العمايات، ويتكَلَّم بها، حتىٰ نَعْرِفَهُ فَنَسْأَلَهُ، فَإِنَّا مَا رَأَيْنَا مُتَكَلِّمًا يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ أَظْهَرَ كُفْرًا وَأَسْمَجَ كَلَامًا وَأَقَلَّ إِصَابَةً فِي التَّأْوِيلِ مِنْكَ).

وهذا فيه رد بذكر إجماع أهل العلم، فإن هذا الكلام الذي يقوله غير معروف البتة عن واحد من أهل العلم.

قال: (وَقَدْ عَرَضْنَا كَلَامَكَ عَلَىٰ كَلَامِ مَنْ مَضَىٰ وَمَنْ غبر من الْعلمَاء، فَمَا فَوَجَدنَا أَحَدًا

عَلَىٰ مَذْهَبِك، وَعَرَضْنَاهُ عَلَىٰ لُغَات الْعَرَب والعجم، فَلم يحْتَمِلْ شَيْءٌ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ كَلَامِك، وَلَوْ كَانَ عِنْدَكَ مَنْ يَنْصَحُكَ لَحجرَ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، فَضْلًا أَنْ يَفْتَخِرَ بِحُسْنِ الْكَلَامِ، وَسَنَذْكُرُ لَكَ آثَارًا مِمَّا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فِي الْكُرْسِيِّ، لِتَنْظُرَ فِي أَلْفَاظِهَا هَلْ تَدُلُّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أُغْلُوطَاتِك هَذِهِ؟).

إذًا هذه طريقة الدارمي، ينقض أولًا ثم بعد ذلك يُؤسس ويبني، ينقض شبهات الخصم ثم يذكر القول الصحيح مع دليله.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدثنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَعْبَدٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أَسْمَاءُ بنت عُمَيْسٍ، أَنَّ جَعْفَرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا جاءَهَا إِذْ هُمْ بِالْحَبَشَةِ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَتْ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ فَتًى مُتْرَفًا مِنَ الْحَبَشَةِ شَابًّا جَسِيمًا مَرَّ عَلَىٰ امْرَأَةٍ، فَطَرَحَ دَقِيقًا كَانَ مَعَهَا، فَنَسَفَتْهُ الرِّيحُ، فَقَالَت: أَكِلُكَ إِلَىٰ يَوْمٍ يَجْلِسُ الْمَلِكُ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ فَيَأْخُذ للمظلوم من الظَّالِم.

وقال: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، حدثنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لما قدم جَعْفَر من الْحَبَشَةِ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْت بِالْحَبَشَةِ؟»، قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً عَلَىٰ رَأْسِهَا مِكْتَلٌ فِيهِ طَعَام).

عندي: مَا أَعْجَبَ، اجعلوها (ما أعجبُ) لأن ما هنا استفهامية، وليست تعجبية.

(قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ بِالْحَبَشَةِ؟»، قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً عَلَىٰ رَأْسِهَا مِكْتَلٌ فِيهِ طَعَام، فجاء فَارس فأذراه، فجسلت تَجْمَعُهُ ثُمَّ الْتَفَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: وَيحك! كَيفَ تصنع لَوْ قَدْ وَضَعَ الْمَلِكُ كُرْسِيَّهُ فَأَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؟ فَضَحِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: «مَا قَدَّسَ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهَا مِنْ شَدِيدِهَا غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»).

وهذا الحديث صححه الألباني في مختصر العلو للذهبي.

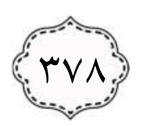
هذا فيه أن الإيمان بالعرش والكرسي من العقيدة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، هل استوىٰ الله علىٰ عرشه بعد بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ حتىٰ يختص العلم به بأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا، بل «كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه علىٰ الماء»، يعني لا سماوات ولا أرض.

قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود: ٧]، والعرش أول المخلوقات، فاستوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العرش قبل ذلك، فهذا من عقيدة الأنبياء والرسل، وليست من عقيدة محمد وحده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا الأثر تذكره أسماء بنت عميس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وهي من السابقات إلىٰ الإسلام، جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها هجرتين، لما قال لها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "سبقناكم بالهجرة إلىٰ المدينة إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، لأن عمر كان من أوائل من هاجر إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنكرت عليه أسماء ذلك، وقالت إنها هاجرت قبل أن يهاجر عمر، هاجرت بالسفينة إلىٰ الحبشة، وقد كانوا في مكة معهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن معهم أحد بالحبشة، فلما ذهبت إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي مُغضبة وأخبرته بما قال لها عمر قال لها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل أنتم أصحاب هجرتين»، فجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها هجرتين ومن كان معها.

هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثم لما مات جعفر بن أبي طالب لما استُشهد في سبيل الله تزوجها أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثم لما مات الصديق تزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهي من فُضليات الصحابة.

كيف تعامل الصحابة مع نصوص الصفات علما وعملا؟



تحكي أسماء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن جعفر بن أبي طالب جاءها وهم بالحبشة عند النجاشي، وجاء يبكي، فقالت: ما شأنك؟ فقال: "رَأَيْتُ فَتًىٰ مُتْرَفًا مِنَ الْحَبَشَةِ شَابًّا جَسِيمًا مَرَّ عَلَىٰ امْرَأَةٍ، فَطَرَحَ دَقِيقًا كَانَ مَعَهَا"، ظلمها، "فَنَسَفَتْهُ الرِّيحُ، فَقَالَت: أَكِلُكَ"، هذا هو الشاهد، وهذه هي الجملة التي أبكت جعفر بن أبي طالب، وهذا يُبين لنا حال أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع الأسماء والصفات، ما كانوا يبحثون لها عن تأويل، وتحريف، وهذا لا يجوز، ولا يليق في حق الله، هذا يقتضي المُشابهة، حتىٰ صار هؤلاء يعبدون عدمًا، وإنما انظروا ماذا كان يفعل الصحابة إذا سمعوا صفة من صفة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سمعوا عن صفة أو اسم من أسماء الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فلما سمع جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ هذه المرأة تقول: "أَكِلك -يعني أدَعُك- إِلَىٰ يَوْمٍ يَجْلِسُ الْمَلِكُ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ" ومن هنا قال بعض أهل العلم: إن الكرسي هو العرش؛ لأنه قال: يجلس الملك علىٰ الكرسي، لكن التفريق هو الصحيح.

"فَيَأْخُذ للمظلوم من الظَّالِم"، فهذه صفة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يستوي علىٰ عرشه، وينزل للفصل بين العباد، ويستوي كذلك علىٰ كرسيه، كما يستوي علىٰ عرشه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال في الرواية الأخرىٰ أو في حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: قالت: "كَيفَ تصنع لَوْ قَدْ وَضَعَ الْمَلِكُ كُرْسِيَّهُ فَأَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؟" فبكىٰ جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وهذه كما قلنا تبين لنا كيف كان الصحابة يتعاملون مع الأسماء والصفات، ويتعبدون لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بها، فهذا باب عظيم للتعبد.

الصحابي يسأل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أيضحك ربنا؟ فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أجل**»، ما قال الصحابي: كيف يضحك؟ وهذا يشبه المخلوق، ما يجوز أن نصف الله بالضحك، وهذا ما تجده في ترهات المعطلة الجُهال، الذين أساؤوا الأدب مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إنما قال الصحابي لأنه يسمع هذا الكلام من الصادق المصدوق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أعلم الخلق بربه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لن نعدم من ضحك ربنا خيرًا"، طالما أن الله يضحك فأبشر، فهكذا ينبغي أن يكون المرء مع صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين الرغبة، والرهبة، والمحبة، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا الفقه في هذا الباب.

قال: (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُور، أخبرنا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَوْلَىٰ غفرة، قَالَ: سعمت أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلىٰ الله عليه وَسَلَّمَ-: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ»).

"كان" هاهنا تامة، يعني إذا جاء يوم الجمعة: إذا وُجد يوم الجمعة، اكتفت بفاعلها، فليست ناقصة.

قال: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ من أَيَّامِ الْآخِرَةِ هَبَطَ الرَّبُّ مِنْ عَرْشِهِ إِلَىٰ كُرْسِيِّهِ، وحف الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ».

«والمقسطون علىٰ منابر من نور علىٰ يمين الرحمن»، «وكلتا يديه يمين»، كما جاء في الصحيح.

«فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا النَّبِيُّونَ، وحف الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا الصديقون وَالشُّهَدَاء».

لكن هذا الحديث إسناده ضعيف، لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشاهد فيه ذكر العرش.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادُ -وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ- عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسمِائَة عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَىٰ الْمَاءِ خَمْسمِائَة عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ").

وهذا أثر صحيح عند عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومثله كذلك لا يُقال بالرأي، قال: "بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ".

الأثر له رواية أكثر تفصيلًا من ذلك ذكرها الدارمي في الرد علىٰ الجهمية، "مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَىٰ الْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»".

قال: "وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ".

وهذا مما يجعل القلوب تخشىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتُراقبه.

ولذلك لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوجِهَا﴾[المجادلة: ١] أثَّر ذلك في عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- وهذا هو كما قلنا حال الصحابة مع أسماء الله وصفاته.

عائشة لما سمعت الآية ما أشكلت علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كيف ذلك؟ وإنما قالت: "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها"، ثم ذكرت حالها في حجرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: **(حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ قَالَا: حدثنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، عَنْ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يقدر قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ")**.

وهذا أثر حسن.

قال: **(وحَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ، حدثَنَا الْحَكَمُ بْنُ ظُهَيْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِر، عَن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: "مَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ حَلقَة بِأَرْض فلاة")**.

إسناد هذا أثر ضعيف جدًا، لكن صح عن النبي مرفوعًا، وهو أولىٰ بالذكر، أنه قال: «ما

السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»، السماوات علىٰ الأرض كالقبة، هي أعظم من الأرض، ومع ذلك السماوات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة، كالجنيه إذا ألقيته من طائرة في الصحراء، هذا هو حجم السماوات بالنسبة للكرسي.

وعِظَم المخلوق يدل علىٰ عِظَم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة**»، قال: «**وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة**»، السماوات بالنسبة للكرسي كالحلقة في الصحراء،والعرش بالنسبة للكرسي كهذه الصحراء بالنسبة للحلقة.... قال: «**كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة"**

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "وذلك مما يُبطل أيضًا تأويل الكرسي بالعلم"، في تعليقه علىٰ متن الطحاوية، يعني هذا الحديث مما يُبطل تفسير الكرسي بالعلم، نعم.

قال: **(وحَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ، حدثَنَا الْحَكَمُ بْنُ ظُهَيْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زر، عَن عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: "مَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ حَلقَة بِأَرْض فلاة")**.

قال: **(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاءٍ، أنبأنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلِيفَةَ، قَالَ: "أَتَتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَتْ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَعَظَّمَ الرَّبَ)**.

يعني عظَّم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرب، أثنىٰ عليه بما هو أهله.

ثم قال: «**إِنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَمَا يَفْضَلُ مِنْهُ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، وَمَدَّ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ، وَإِن لَهُ أطيطًا كأطيط الرحل الْجَدِيد إِذا رَكبه من يُثقله**».

وهذا حديث مرسل وإسناده مضطرب، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسناده مضطرب جدًا، وعبد الله بن خليفة ليس من الصحابة"، قال: **(عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلِيفَةَ، قَالَ: "أَتَتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ)**، فهو حديث مرسل.

قال: "ليس من الصحابة، فيكون الحديث الأول مرسلًا، وتارة يرويه ابن خليفة عن عمر عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وتارة يقفه علىٰ عمر، وتارة يُوقَف علىٰ ابن خليفة، وكل هذا تخليط من الراوي، فلا يُعوَّل عليه".

ثم إن الحديث فيه نكارة من قوله: «**فَمَا يَفْضَلُ مِنْهُ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِع**»، وكذلك من قوله: «**وَإِن لَهُ أطيطًا**»، الأطيط صفة الكرسي.

قال: «**وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ عَلَيْه**»، فهي صفة للكرسي أو العرش لا للرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ والحديث لا يصح.

إنما في حديث صحيح: «**أطَّت السماء وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيها ملك ساجد وقائم**»، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فالأطيط صفة للسماوات وليس صفة لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال بعد أن سرد هذه الآثار قال: (**فَهَاكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ**).

هاك اسم فعل أمر يعني: خذها.

(**خُذْهَا مَشْهُورَةً مَأْثُورَةً، فَصُرها، وَضَعْهَا بِجَنْبِ تَأْوِيلِكَ**).

"صُرها" يعني: اجمعها، وضُمها، نعم، أو صُرّها، نعم، وممكن صُرها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ**﴾[البقرة: ٢٦٠]، ﴿**فَصُرْهُنَّ**﴾ يعني: اجمعهن، واضممهن إليك، كما قال ابن جرير.

قال: (**فَصُرها، وَضَعْهَا بِجَنْبِ تَأْوِيلِكَ، الَّذِي خالفت فِيهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **ثُمَّ أَنْشَأْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ وَاعِظًا لِمَنِ اتَّعَظَ قَبْلَكَ بِمَوَاعِظِ اللهِ، وَقَبِلَهَا عَنِ اللهِ، وَصَدَّقَ فِيهَا رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **وَانْتَهَىٰ فِيهَا إِلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ، فَانْزَجَرَ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ، فَقُلْتَ لَهُمْ**).

قال: (**فَقُلْت لَهُم: لَا تَعْتَقِدُوا فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لِلَّه شَبَهًا أَوْ مِثْلًا، أَوْ عدلا**).

هذاكلام مفروغ منه، وهذا ما نطق به القرآن، لكنه يدس السم في العسل.

قال: (**أو يُدرك بِحَاسَّةٍ**).

يعني لا تعتقدوا في أنفسكم أن لله شبهًا، أو مثلًا، أو عدلًا، هذا مما ورد به القرآن.

ثم قال: (**أو يُدرك بِحَاسَّةٍ**)، هذا مما رده الشرع، لأن الله يُدرك بالحواس في الدنيا والآخرة كما سبق، كلم الله موسىٰ فسمعه، فكلامه يُدرَك بالحواس، وكلَّم نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، ويُدرَك، بالآخرة كما قال النبي:سترون ربكم، فرؤيته تُدرَك بالحواس، كما يقول أهل السنة والجماعة، لا كما يقول المعتزلة والأشعرية.

قال: (**أو يُدرك بِحَاسَّةٍ، وَانْفُوا عَنِ اللهِ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، فَإِنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ شَبَهًا وَعَدْلًا فَهُوَ كَافِرٌ، قال: فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ**).

المبتدع قد يذكر كلامًا صحيحًا ويُضمّنه كلامًا فاسدًا

هذه الجملة يُؤخَذ منها: أن المبتدع قد يذكر كلامًا صحيحًا ويُضمّنه كلامًا فاسدًا، فيروج الكلام الفاسد من خلال هذا الكلام الصحيح، تجد هذا في سائر البدع، يذكرون كلامًا صحيحًا ويُضمنونه كلامًا فاسدًا، ولولا ذلك ما راجت بدعتهم علىٰ أحد، وإلا لماذا يقبل الناس البدع؟ كما قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاعتصام: لأن البدعة بها وجه حق وصواب، وهذا هو الذي يَحرِف المبتدع ويجعله يتمسك ببدعته.

إذا نفي الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، هذا هو وجه الصواب في الاستدلال، ولكن أين ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]؟ لا يذكره، الذب بذكر ربه بقوله: يا لطيف يا لطيف يا لطيف إذا أردت أن تنكر عليه يقول لك: هذا ذكر، والله عَزَّوَجَلَّ

قال: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤١-٤٢]، هذا وجه الصواب، لكن الطريقة ليست طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا وجه الضلال والابتداع.

فالذي يصنعه المريسي أنه يذكر جملتين أو ثلاثة حق، ثم يذكر الباطل ضمن هذه الجمل، لكن هذا لا يروج علىٰ أهل العلم، هذا قد يروج علىٰ العامة والدهماء.

قال: (فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ الْمُدَّعِي فِي الظَّاهِرِ: لِمَا أَنْتَ لَهُ مُنْتَفٍ فِي الْبَاطِنِ: قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ كَمَا قَرَأْتَ، وَعَقِلْنَا عَنِ اللهِ أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَدْ نَفَيْنَا عَنِ اللهِ مَا نَفَاه عَنْ نَفْسِهِ، وَوَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، فَلَمْ نَعْدُهُ، وَأَبَيْتَ أَنْ تَصِفَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

فنفيت عنه ما وصف به نفسه.

(وَوَصَفْتَهُ بِخِلَافِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

قال: (أَخْبَرَنَا اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ ذُو سَمْعٍ، وَبَصَرٍ، وَيَدَيْنِ، وَوَجْهٍ، وَنَفْسٍ، وَعِلْمٍ، وَكَلَامٍ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، فَآمَنَّا بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَمَا وَصفه بِلَا تكييف، وَنَفَيْتَهَا أَنْتَ عَنْهُ كُلَّهَا أَجْمَعَ بِعَمَايَاتٍ مِنَ الْحُجَجِ وَتَكْيِيفٍ).

لأن المُعطل قبل أن يُعطِّل لا بد أن يُكيّف ويُشبه.

قال: (فَادَّعَيْتَ أَنَّ وَجْهَهُ كُلُّهُ).

يسألك المؤول المعطل: ما المقصود بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]؟ فإذا قلت: أنا أُثبت في هذه الآية الوجه، يقول لك: هل الوجه يبقىٰ وحده؟! إذًا لا بد من التأويل!! لابد من تأويل الوجه بالثواب، وإذن تكون أوّلت وخالفت مذهبك الذي تحارب من أجل نصرته ليل نهار. فمعنىٰ قوله تعالىٰ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي تبقىٰ الذات التي من صفاتها الوجه.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه: ٣٩]، ما معنىٰ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيني﴾ أي لتُصنَع وتُربَّىٰ تحت سمعي وبصري، فتُثبت الصفة وتُثبت الأثر المترتب علىٰ الصفة، لكن هؤلاء ينفون الصفة ويُفسرونها بأثرها، فالرضىٰ يعني الثواب، والغضب يعني العقاب، أو إرادة العقاب.

(فَادَّعَيْتَ أَنَّ وَجْهَهُ كُلُّهُ وَأَنَّهُ لا يُوصَفُ بِنَفْسٍ).

النفس أي الذات.

(وَأَنَّ سَمْعَهُ: إِدْرَاكُ الصَّوْتِ إِيَّاهُ، وَأَنَّ بَصَرَهُ: مُشَاهَدَةُ الْأَلْوَانِ، كَالْجِبَالِ، وَالْحِجَارَةِ، وَالْأَصْنَامِ الَّتِي تَنْظُرُ إِلَيْكِ بِعُيُونٍ لَا تُبْصِرُ، وَأَنَّ يَدَيْهِ: رِزْقَاهُ، مُوَسَّعُهُ وَمَقْتُورُهُ، وَأَنَّ عِلْمَهُ وَكَلَامَهُ مَخْلُوقَانِ مُحْدَثَانِ، وَأَن أسماءه مُسْتَعَارَةٌ مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ، وَأَنَّ فَوْقَ عَرْشِهِ مِنْهُ مِثْلَ مَا هُوَ أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَأَنَّهُ فِي صِفَاتِهِ كَقَوْل النَّاس فِي كَذَا وكَقَوْل الْعرب فِي كَذَا، تَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ تَشْبِيهًا بِغَيْرِ شَكْلِهَا، وَتَمْثِيلًا بِغَيْرِ مثلها).

هذا حال المُعطلة المُبتدعة، وهؤلاء المتكلمون المعطلة بفعلهم هذا هم الذين فتحوا الباب علىٰ مصراعيه، بل كسروه للفلاسفة الملاحدة ابن سينا ومن علىٰ شاكلته.

إذا أراد المتكلمة المعطلون أن يردوا علىٰ الفلاسفة في إنكارهم حشر الأجساد مثلًا فيكون جواب هؤلاء الفلاسفة: أوَّلنا كما أوَّلتم، فما ادعيتم ضرورة تأويله وصرفه عن ظاهره لا يختلف عما أولناه وصرفناه عن ظاهره كذلك ولذلك فتحوا الباب للزنادقة وللفلاسفة علىٰ مصراعيه، فلا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا.

قال: (فَأَيُّ تَكْيِيفٍ بِأَوْحَشَ مِنْ هَذَا إِذْ نَفَيْتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَغَيْرَهَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ وَالضَّلَالَاتِ الْمُضِلَّاتِ؟ وَادَّعَيْتَ فِي تَأْوِيلِكَ أَنَّ مَعْبُودَكَ أَصَمُ لَا يَسْمَعُ).

ممنوعة من الصرف.

(أَبْكَمُ لَا يَتَكَلَّمُ، أَعْمَىٰ لَا يُبْصِرُ، أَجْذَمُ لَا يَدَ لَهُ، مُقْعَدٌ لَا يَقُومُ وَلَا يَتَحَرَّكُ، جَاهِلٌ لَا يَعْلَمُ، مُضْمَحِلٌّ ذَاهِبٌ لَا يُوصَفُ بِحَدٍّ وَلَا بِنَفْسٍ، وَلَا يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ فِي دَعْوَاكَ، وَهَذَا خِلَافُ صِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ولذلك هؤلاء كما قلنا ضيعوا ربهم، لا يعبدون شيئًا.

قال: (فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِ، وطبع علىٰ قَلْبك بجهالته، ولَو قد قَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَعَقِلْتَ عَنِ اللهِ مَعْنَاهُ لَعَلِمْتَ يَقِينًا أَنَّهُ يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ بَيِّنَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

من أين أخذ المريسي الجهمي أن الله لا يُدرَك بحاسة؟ من يذكر؟ ما الأصل الذي استند إليه؟

من مناظرة الجهم بن صفوان للسمنية، قال: أرأيت هذا الهواء؟ لا تجد له رائحة، ولا مسًا، ولا مجسًا، إلىٰ غير ذلك، فجعلوا هذا الأصل عمدتهم في نفي الصفات.

قال: (فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِ، وطبع علىٰ قَلْبك بجهالته، ولَو قد قَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَعَقِلْتَ عَنِ اللهِ مَعْنَاهُ لَعَلِمْتَ يَقِينًا أَنَّهُ يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ بَيِّنَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَدْرَكَ مِنْهُ مُوسَىٰ فِي الدُّنْيَا الصَّوْتَ وَالْكَلَامَ).

فالله يتكلم بحرف وصوت، وهذا ما دلت عليه سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فعند الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" وهذا فيه إثبات الحرف.

وعند البخاري معلقًا من حديث عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان."

وهذا فيه إثبات الصوت لله تعالىٰ.

قال: (**وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْحَوَاسِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾**[النساء:١٦٤]، **وَتُدْرَكُ مِنْهُ فِي الْمَعَادِ الرُّؤْيَةُ، وَالْكَلَامُ، وَالنَّظَرُ عِيَانًا، كَمَا قَالَ رَسُولِ اللهِ** ﷺ **عَلَىٰ رَغْمِكَ، وَإِنْ كَرِهْتَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[القيامة:٢٢-٢٣]، **وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾**[آل عمران:٧٧].

قال: **فَهَلْ مِنْ حَوَاسٍّ أَعْظَمَ مِنَ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ؟ غَيْرَ أَنَّكُمْ جَعَلْتُمُ الْحَوَاسَّ كَلِمَةً أُغْلُوطَةً تُغَالِطُونَ بِهَا الصِّبْيَانَ وَالْعُمْيَانَ؛ لِأَنَّ قَوْلَكُمْ: لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ مَعْنَاهُ عِنْدَكُمْ: أَنَّهُ لَا شَيْءٌ**).

انتبه لذلك: المبتدعة والمعطلة والملاحدة يُطلقون ألفاظًا قد تظن أن لها نفس المعنىٰ عندك لكنها تحمل عندهم معنىٰ يُخالف المعنىٰ الذي عندك الذي فهمته من لغة العرب، فهم قالوا: لا تُدركه الحواس، ماذا أرادوا بقولهم: لا تُدركه الحواس؟

قال: (**لِأَنَّ قَوْلَكُمْ: لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ مَعْنَاهُ عِنْدَكُمْ: أَنَّهُ لَا شَيْءٌ، لِمَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَجَمِيعُ الْعَالَمِينَ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يقع عَلَيْهِ اسْم الشيء لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يُدْرَكَ بكل الْحَوَاسِّ أَوْ بِبَعْضِهَا**).

فطالما أنه شيء فلا بد أن يُدرَك بأحد الحواس، الذي لا يُدرَك بأي حاسة هذا عدم؛ لأن الشيء إما أن يُرىٰ، أو يُشم، أو يُمس، أو يُحَس، أو يُسمَع، لا بد أن يُدرَك بحاسة من الحواس، إما بكل الحواس أو ببعضها.

قال: (**وَأَنَّ لَا شَيْءَ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، فَجَعَلْتُمُوهُ لَا شَيْءَ، وَقَدْ كذبكم الله تَعَالَىٰ بذلك فِي كتابه فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**[القصص:٨٨]).

هذا استثناء تام مُثبت غير منفي، وأركانه مكتملة، حرف الاستثناء، والمستثنىٰ،

والمستثنىٰ منه كذلك موجود، فالوجه مستثنىٰ من شيء الذي هو خبر عن الله تعالىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[الأنعام: ١٩]هذا كذلك خبر عن الله بأنه شيء.

(فَجعَلَ نَفْسَهُ أَعْظَمَ الْأَشْياءِ، وَأَكْبَرَ الْأَشْياءِ، وَخَالِقَ الْأَشْياءِ).

فالله شيء وهذا من باب الإخبار عن الله، نُخبر عن الله أنه شيء، ليس من باب التسمية، لا يُسمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما سمَّىٰ به نفسه، وإنما هذا من باب الأخبار.

قال: **(فَإِنْ أَنْكَرْتَ مَا قُلْنَا وَلم تعقله بِقَلْبِكَ).**

هذا إلزام.

(فَسَمِّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْياءِ -شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا- يَقَعُ عيله اسْمُ الشَّيْءِ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، غَيْرَ مَا ادَّعَيْتُم عَلَىٰ الْأَكْبَرِ الْأَكْبَرِ، وَالْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، وَالْأَوْحدِ الْأَوْحَدِ، الَّذِي لَمْ يزل وَلَا يزال، فَجَعَلْتُمُ الْخَلْقَ الْفَانِيَ مَوْجُودًا، وَالْقَيِّمَ الدَّائِمَ الْبَاقِيَ غَيْرَ مَوْجُودٍ).

جعلوا الكمال للمخلوق، والنقص للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعالىٰ الله عما يقولون.

قال: **(وَلَا يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَادَّعَيْتُم عَلَىٰ غَيْرِكُمْ مِمَّنْ لَا يكيف التَّكْيِيفَ).**

يعني سبحان الله! هم الذين مثلوا قبل أن يُعطلوا، ثم يسمون أهل السنة حشوية، ومُمثلة، مُجسمة.

قال: **(وَعَلىٰ مَنْ لَا يُشَبِّهُ التَّشْبِيه، وَأَنْتُم دَائِبُونَ تُكَيِّفُونَ، وَتُشَبِّهُونَ بِأَقْبَحِ الْأَشْيَاءِ، وَأَبْطَلِ الْأَمْثَالِ، فَمَرَّةً تُكَيِّفُهُ فَتُشَبِّهُهُ بِأَعْمَىٰ).**

لأنه لا يُثبت له بصرًا، ولا عينًا، ويصف مرةً بأنه أقطع لا يُثبت له يدين، ولا قدمين.

قال: **(فَكَانَ وَعْظُكَ هَذَا لِهَؤُلَاءِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: كَلِمَةُ حق يُبْتَغَىٰ بِهَا بَاطِلٌ.**

قال: وَالْعَجَبُ مِنْ إعجابك بِهَذِهِ المقلوبات من تفاسيرك، وَالْمُحَالَاتِ مِنْ شَرْحِكَ وَتَعْبِيرِكَ، حَتَّىٰ رَوَيْتَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: لِلْحَدِيثِ جَهَابِذَةٌ كَجَهَابِذَةِ الْوَرِقِ).

قال: (وَصَدَقْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، وَمَا أَنْتَ وَاللهِ مِنْهُمْ ولَا مِنْ رِجَالِهِمْ).

يعني هذه كلمة حق، للحديث جهابذة، وهذه الكلمة ثابتة عن يحيىٰ بن معين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في دلائل النبوة، قال يحيىٰ: "لولا الجهابذة لكثرت السُّتُّوقة"، بسين مشددة وتاء مشددة، السُّتُّوقة: هي الدراهم الزيف، البهرج، التي لا خير فيها، كما جاء في تاج العروس مادة "ستق".

فيحيىٰ بن معين يقول: "لولا الجهابذة"، يعني أئمة الحديث والسنة، "لكثرت السُّتُّوقة والزيوف"، والزيوف: هي الدراهم المطلية بالزئبق، وزيَّفتها تزييفًا: أظهرت زيفها.

قال: "لكثرت السُّتُّوقة والزيوف في رواية الشريعة، فمتىٰ أحببت فهلم"، يعني ائتِ بما سمعت، "حتىٰ أعزل لك منه نقض بيت المال" هذا كلام ابن معين.

فقال: (وَصَدَقْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، وَمَا أَنْتَ وَاللهِ مِنْهُمْ ولَا مِنْ رِجَالِهِ، وَلَا مِنْ رُوَاتِهِ، وَلَا مِنْ جَهَابِذَتِهِ، فَقَدْ وَجَدْنَا الزُّيُوفَ عِنْدَكَ جَائِزَةً نَقَّادَةً، وَالنَّقَادَةَ نَفَايَةً).

النفاية: ما نفيته من الشيء لرداءته.

(فَكَيْفَ تَسْتَطِيلُ بمعرفتها، وَأَنت المنسلخ منها؟

قال: ثُمَّ ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّهُ انْتَهَىٰ إِلَىٰ هَاهُنَا السَّمَاعُ مِنْ بِشْرٍ).

فليته كفَّ بهذا، يعني هذه الشبهات التي مضت نقلها المعارض عن بشر المريسي، وسينتقل من بشر إلىٰ محمد بن شجاع الثلجي، الكذاب الوضَّاع، الممثل، الذي مثّل الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه، ونفىٰ عنه صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كصفة الكلام، وجعله مخلوقًا.

فقال: (**ثُمَّ ابْتَدَأْنَا بِعَوْنِ اللهِ فِي حِكَايَاتِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ**).

إن شاء الله نبدأ في الدرس القادم بترجمة مختصرة لابن الثلجي، نقف فيها علىٰ بعض الفوائد والعِبر؛ لأن ابن الثلجي مات ساجدًا في صلاة العصر، مع أنه كان كذابًا وضَّاعًا، يضع الحديث علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومثل هؤلاء يكونون فتنةً للعامة، والدهماء، يكون من أهل البدع ومع ذلك يموت في السجن، يموت وهو ساجد، يموت في مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُدفَن في البقيع، فتُسطَّر فيه الحكايات، وتكون له الرؤىٰ والمنامات، رأيناه مع كذا، ويسبح في كذا وكذا، وهذا:

- إما أنه قد تاب قبل أن يموت، ولكن كلامه وبدعته ما زالت موجودة، فتستحق الرد،
- وإما أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل ذلك فتنةً للعباد، ليرىٰ هل يُحكِّمون عاطفتهم وأهواءهم؟ أم ما جاء به الشرع؟ فإن شاء الله نبدأ الدرس القادم بترجمة يسيرة لنقف علىٰ حال الثلجي هذا.

بعد أن انتهىٰ المصنف من ذكر الشبهات التي ذكرها المعارض علىٰ لسان بشر المريسي انتقل بعد ذلك في الجزء الثاني من الكتاب، لنقض الشبهات التي ذكرها المعارض علىٰ لسان ابن الثلجي.

وهذا الكتاب أقسامه ثلاثة:

- فمنه قسم للرد علىٰ شبهات المريسي.
- **والقسم الثاني**: للرد علىٰ الشبهات التي ذكرها محمد بن شجاع الثلجي.
- **والقسم الثالث**: في الدفاع عن أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكنا قد وعدنا في الدرس الماضي أن نذكر شيئًا من ترجمة محمد بن شجاع الثلجي، هذا المبتدع الذي جاء علىٰ لسانه هذه الشبهات ونُقلت عنه، لنأخذ منها العبرة، فقد كان وضَّاعًا، يضع الحديث ويكذب علىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يضع الحديث في التشبيه، والتمثيل، ثم ينسبه إلىٰ أصحاب الحديث ليسلبهم به، يعني لتُصيبهم المنقصة ويقال: هؤلاء أصحاب الحديث، يقولون كذا وكذا في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فشُهر بذلك أنه كان من الوضّاعين.

وكان يُنكر أن يكون الكلام -أعني كلام الله- صفة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنما هو كلام مخلوق، كعقيدة المعتزلة.

وكان يُبغض أهل السنة عامة، وأصحاب الحديث خاصةً وعلىٰ رأسهم أصحاب أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان يقول: أصحاب أحمد بن حنبل يحتاجون أن يُذبَحوا.

وقال أحمد بن حنبل مرة: "قال لي حسن بن البزاز: قال لي عبد السلام القاضي: سمعت

ابن الثلجي -يعني محمد بن شجاع الثلجي- يقول: عند أحمد بن حنبل كتب الزندقة"، فهو يعتبر كتب أهل السنة والجماعة كتب الحديث المسندة كتب الزندقة، لماذا؟ لأنه يرىٰ أن ظاهر هذه الأحاديث الكفر، الذي يجب أن يُرَد أو يُؤوَّل.

فطعن في سنة النبي ﷺ ومع ذلك مات ساجدًا في صلاة العصر، فكان ذا تلاوة، وعبادة، وخشوع، ومات ساجدًا في صلاة العصر.

لماذا قد يموت المبتدع علىٰ هيئة حسنة؟

وهذا نأخذ منه فائدة عظيمة: أن الإنسان لا يغتر بعبادة شخص، قد يكون المرء مبتدعًا مخالفًا لسنة النبي ﷺ مخالفًا في هدي النبي ﷺ ومع ذلك يجتهد في العبادة جدًا، فلا يترك صلاة في المسجد، ولا يضع المصحف من يده، ولا يترك قيام الليل، ولا صيام النهار، ومع ذلك هو مبتدع.

وقد ذكر النبي ﷺ صنفًا من ذلك، وهم الخوارج، حتىٰ إن النبي ﷺ قال في حالهم، يقول ذلك للصحابة: «**يحقر أحدكم**»، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من خيرة الصحابة، وكلهم علىٰ ذلك. يقول لهم النبي ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته إلىٰ صلاتهم، وصيامه إلىٰ صيامهم**»، وهذا من شدة الاجتهاد في العبادة.

حتىٰ إن ابن عباس رضي الله عنهما لما ذهب ليُناظرهم تعجب من حالهم، من تغير لون وجوههم، ومما أصاب رُكبهم من كثرة السجود، وجباههم كذلك من كثرة العبادة، ومع ذلك قال النبي ﷺ في هؤلاء: «**شر الخلق والخليقة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود**».

فهذا نأخذ منه فائدة: أن الإنسان لا يغتر بظاهر المرء، ما لم يكن مستقيمًا علىٰ سنة النبي ﷺ ونهج أصحاب النبي ﷺ. لا تغتر بطول لحيته، ولا بقصر ثيابه، ولا بكثرة ذكره، هذه أمور فاضلة، وأمور طيبة، لكن لا بد أن يكون ذلك علىٰ سبيل وسنة، علىٰ هدي النبي ﷺ.

والأمر الثاني: أن هذا الإنسان -وهو ابن الثلجي- مات ساجدًا، وهذا في ظاهره حسن خاتمة، لكن هذا لا يمنعنا من بيان ضلاله؛ لأننا قد نجد المرء علىٰ بدع عظيمة ومع ذلك تكون خاتمته حسنة، الظاهر للناس أنها حسنة، كأن يجدونه مبتسمًا وهم يُغسلونه- ولعلها ليست من علامات حسن الخاتمة-، مات وهو ساجد، مات في مسجد رسول الله ﷺ دُفن في البقيع، قتله السلطان، كالحلّاج، وغيره، فهذا إما أن يكون إكرامًا لهذا المرء لأنه تاب فيما بينه وبين الله، يعني هذا أدركته رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فتاب قبل موته، ولم يطلع علىٰ هذه التوبة أحد، وهذا لا يمنع من بيان ضلاله.

ربما يكون هو قد حط رحله في الجنة، وغفر الله عَزَّوَجَلَّ له، لكن من يأتي بعده قد يُفتَن بأقواله، وبما سطَّر هذه الأقوال وخلَّدها، فهذا لا يمنع من بيان ما تركه من بدع وانحرافات.

وربما لم يتب، وأراد الله عَزَّوَجَلَّ كونًا وقدرًا الفتنة ببعض الناس، لأن بعض الناس قد يرىٰ هذه الحالة، فيقول: هذا الذي تقولون: فيه بدع وفيه كذا وكذا وكذا، قد مات ساجدًا، أو مات علىٰ هيئة حسنة، أو رأيناه كذا، أو شممنا منه كذا، فيكون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أراد الابتلاء بالعباد؛ ليرىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هل يُحكِّموا في هذا الإنسان الشرع أم يُحكِّموا فيه الأهواء والعاطفة؟ فلا يغتر المرء بمثل هذه الأمور.

وسنرىٰ ما جاء به ابن الثلجي هذا، ويكفي أن تعلم أنه وضع حديثًا ليكون مثلبةً علىٰ أهل السنة، وساق هذا الحديث عن حبان بن هلال، وحبان ثقة، عن حماد بن سلمة، وهو إمام

من أئمة أهل السنة والجماعة، إلىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: إن الله خلق الفرس، فأجراها، فعرقت، ثم خلق نفسه منها، أعوذ بالله! يذكر هذا ويضعه، ويكذبه، ثم ينسبه لأهل السنة والجماعة، لتكون المثلبة عليهم، أو ليكون الطعن فيهم.

فجاء المعارض بهذه الشبهات التي ذكرها عن ابن الثلجي هذا.

فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُعْجَبِ بِضَلَالَاتِ هَذَيْنِ الضَّالَّيْنِ)**.

يعني المريسي وابن الثلجي.

(فَرَغْتَ مِنْ كَلَامِ بِشْرٍ بِسَخَطِ الرَّحْمَنِ، وَابْتَدَأْتَ فِي كَلَامِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ بِعَوْنِ الشَّيْطَانِ، وَمِثْلُ فَرَاغِكَ مِنْ كَلَامِ بِشْرٍ وَشُرُوعِكَ فِي كَلَامِ ابْنِ الثَّلْجِي كَمِثْلِ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ.

قال: فَرَغْتَ مِنَ احْتِجَاجِ كَافِرٍ إِلَىٰ احْتِجَاجِ جَهْمِيٍّ خَاسِرٍ، فَعَلَىٰ أَيِّ جَنْبَيْكَ وَقَعْتَ مِنْهُمَا لَمْ تَنْجَبِرْ، وَبِأَيِّهِمَا اسْتَعَنْتَ لَمْ تَظْفَرْ، وَبِأَيِّهِمَا اسْتَنْصَرْتَ لَمْ تُنْصَرْ.

وَكَذَلِكَ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ لِبَعْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ إِذَا انْتَقَلُوا مِنْ رَأْيٍ إِلَىٰ رَأْيٍ: إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ عَنْ بِدْعَةٍ إِلَّا تَعَلَّقْتُمْ بِأُخْرَىٰ هِيَ أَضَرُّ عَلَيْكُمْ مِنْهَا).

صاحب البدعة ينتقل من بدعة إلىٰ أخرىٰ

فصاحب البدعة ينتقل من بدعة إلىٰ أخرىٰ، ينتقل من الأشعرية، إلىٰ الاعتزال إلىٰ الخروج، إلىٰ... لا يترك البدعة أبدًا، ينتقل من بدعة الأفعال إلىٰ بدع الأقوال، وهكذا؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب مثالًا لذلك، وهم الخوارج، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يمرقون من الدين**»، يعني يخرجون من الدين، «**كما يمرق السهم من الرمية**»، أرأيت السهم كيف يخرج من الرمية من قوسه؟ قال: «**ثم لا يعودون إليه**»، وكذلك أهل البدعة، يمرقون

ويحيدون، ينحرفون عن الإسلام، ثم لا يعودون إلىٰ الصراط المستقيم، تبقىٰ معهم البدع، إلا أن يشاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يتوب علىٰ الواحد من هؤلاء.

وهذا هو معنىٰ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله احتجر التوبة علىٰ صاحب البدعة»، ما معنىٰ الحديث؟ معناه: أن صاحب البدعة لا يُوفَّق للتوبة، ليس معناه أن الله منع عليه التوبة كونًا وقدرًا، لكن هو لا يسعىٰ إلىٰ التوبة، لماذا لا يسعىٰ إلىٰ التوبة؟ لأنه يظن أنه علىٰ الحق.

ولذلك لو قلت لصاحب البدعة: تب، يقول لك: مما أتب؟ بل أنت الذي يجب عليك أن تتوب، نحن في ذكر، وعبادة، وقراءة للقرآن، وأنت تلهو وتقتصر علىٰ صلاة الفريضة والسنن التي شرعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحن نذكر الله ألف مرة، ونُسبح الله ألف مرة، ونقول: يا لطيف ألف مرة، ونتقرب إلىٰ الله بالموالد، والطواف حول القبور، نجعلهم وسائط بيننا وبين الله، فيرىٰ أنه هو الذي يواظب علىٰ الطاعة وعلىٰ العبادة وأنت المُقصر، فلا يتوب أبدًا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال الأوزاعي قال: "إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ عَنْ بِدْعَةٍ إِلَّا تَعَلَّقْتُمْ بِأُخْرَىٰ هِيَ أَضَرُّ عَلَيْكُمْ مِنْهَا".

واعتبر بحال هذه الثورات، من الناس من كان يُنكر الثورات في بادئ أمره، ثم بعد ذلك وقع فيها، وصار يُشارك فيها، وصار يتكلم بلسان الثُوار، والخارجين، ثم بعد ذلك انضم إلىٰ حزب، أو أسس حزبًا، وشارك في البرلمان، ثم بعد ذلك لعن من دخل البرلمان، وكفّر من دخله، فانتقل إلىٰ التكفير، ثم التفجير فهو يتقلب في البدع أبدًا، ينتقل من بدعة إلىٰ بدعة أخرىٰ.

وأما صاحب السنة صاحب منهاج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا ينتقل عن سنته وعن طريق



النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبدًا.

حتىٰ إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن العامي من أهل السنة لا يتزحزح عن مذهبه، بخلاف العالم من هؤلاء الذين جعلوا الكلام دينًا لهم، تجد الواحد منهم في حيرة، وشك، ينتقل من مذهب إلىٰ مذهب، يكون في بادئ أمره معتزليًا، ثم بعد ذلك علىٰ طريقة ابن كُلاب، فعلىٰ الأشعرية، يأتي في آخر حياته وتُصيبه الحيرة، ويُصيبه الشك، ويرىٰ أنه ما حصّل شيئًا، لماذا؟ لأنه ما سلك الطريق المستقيم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُثبتنا علىٰ هذا الطريق.

فهذا المعارض ترك طريقة المريسي وشُبه المريسي وانتقل إلىٰ شُبه ابن الثلجي.

قال: **(وَكَذَلِكَ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ لِبَعْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ إِذَا انْتَقَلُوا مِنْ رَأْيٍ إِلَىٰ رَأْيٍ: إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ عَنْ بِدْعَةٍ إِلَّا تَعَلَّقْتُمْ بِأُخْرَىٰ هِيَ أَضَرُّ عَلَيْكُمْ مِنْهَا.**

قال: **حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ الْهِقْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قال: وَسَنَنْقُضُ عَلَىٰ الثَّلْجِيِّ مِنْ ضَلَالَاتِهِ، كَمَا نَقَضْنَا مِنْ ضَلَالَاتِ الْمَرِيسِيِّ إِنْ شَاءَ اللهُ، بعون الله وتوفيقه.**

قال: **حكيت أيها المريسي عَنِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ أَنَّهُ قَالَ: نَاظَرْتُ بِشْرًا الْمَرِيسِيَّ فِي الْعَرْشِ أَنَّ اللهَ فَوْقَهُ، فَقَالَ لِي بِشْرٌ: لَا أَقُولُ إِنَّهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ، كَمَخْلُوقٍ عَلَىٰ مَخْلُوقٍ.**

فَيُقَالُ لِهَذَا الثَّلْجِيِّ الْغَوِيِّ: أَوَّلُ غِوَايَتِكَ سُؤَالُكَ الْمَرِيسِيَّ عَنْ تَفْسِيرِ الْعَرْشِ).

يعني ما وجد أحدًا يسأله عن معنىٰ العرش وتفسير العرش إلا المريسي، سبحان الله!

قال: **(إِذْ عَقِلَ أَمْرَهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وَيْلَكَ! أَمَا وَجَدْتَ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ أَدْرَكْتَ أَجْوَدَ إِيمَانًا بِالْعَرْشِ مِنْ بِشْرٍ، وَأَحْسَنَ مَعْرِفَةً لَهُ، حَتَّىٰ تُنَاظِرَهُ فِيهِ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ ثم تَسْتَحْسِنُ تَفْسِيرَهُ وَتَرْوِيهِ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، فِيمَا يَعْتَقِدُونَهُ دِينًا، وَكَانَ أَكْفَرَ أَهْلِ**

زِمَانِهِ بِالْعَرْشِ).

يعني المريسي.

(وَأَشَدَهُمْ لَهُ إِنْكَارًا مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ، فكفىٰ بِهَذَا مِنْكَ دَلِيلًا وَظَنَّةً عَلَىٰ الرِّيبَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَارُ عِنْدَكَ من جميع الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ الْعَرْشِ بِشْرَ بن غياث المريسي.

أَو مَا سَمِعْتَ بِشْرًا وَسُوءَ مَذْهَبِهِ، وَافْتِضَاحَهُ فِي بَلَدِهِ، وَأَهْلِ مِصْرِهِ، وَأَنْتَ لَهُ جَارٌ قَرِيبٌ؟ وَلَكِنْ يَعْتَبِرُ بِالْإِمَامِ الْمَأْمُوم، والصاحب بالصاحب.

أَو لم يَكْفِكَ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ مَا قَصَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ وَتَفْسِيرِهِ، وَمَا رُوِيَ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ تَقْنَعْ بِهِمَا حَتَّىٰ اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ مُنَاظَرَةِ الْمَرِيسِيِّ؟).

يعني سبحان الله! ترك كل الآيات التي وردت في العرش وكل أحاديث النبي ﷺ وما جاء عن أصحاب النبي ﷺ وما وجد إلا المريسي ليسأله.

قال: (وَالْمُنَاظَرَةُ فِي الْعَرْشِ رِيبَةٌ لا شَكَّ فِيهِ).

الذي يُجادل في العرش هذا معناه: أنه أصابه شك وريبة في العرش، لماذا؟

(لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِ قَدْ خَلُصَ إِلَىٰ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ الَّذِينَ لا فِقْهَ لَهُمْ وَلا عِلْمَ، فكَيْفَ إِلَىٰ مَنْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْعِلْمِ؟

فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ إِلَّا مُنَاظَرَتَهُ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ، لا يُقَالُ: إِنَّ اللهَ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَخْلُوقٍ عَلَىٰ مَخْلُوقٍ).

الذي جاء في الكتاب والسنة: أن الله علىٰ عرشه، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، والله فوق العرش ولا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم، هذا الذي صح في الشرع، أما أن يقال: لا يقال إن الله علىٰ عرشه كمخلوق علىٰ مخلوق، من الذي أضاف هذه الإضافة وهذا

القيد؟ كمخلوق علىٰ مخلوق؟ إلا هؤلاء الضُلال المُعطلة، ما أرادوا بذلك إلا أن ينفوا استواء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ عرشه.

(لَا يُقَالُ: إِنَّ اللهَ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَمَخْلُوقٍ عَلَىٰ مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ مَلِكٌ كَرِيمٌ خَالِقٌ غَيْرُ مَخْلُوق، وَعَلَىٰ عَرْشٍ عَظِيمٍ مَخْلُوقٍ جَسِيمٍ -يعني العرش- عَلَىٰ رَغْمِكَ وَأَنْتَ مَلُومٌ، فَمَنْ لمن يُؤْمِنْ به أَنَّهُ كَذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَجَحَدَ آيَاتِ اللهِ، وَرَدَّ أَخْبَارَ الرَّسُولِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُكَ: كَكَذَا وكَذَا، وَكَمَخْلُوقٍ عَلَىٰ مَخْلُوقٍ، تَشْبِيهٌ وَدِلْسَةٌ).

والقاعدة عندنا التي سبرناها علىٰ هؤلاء ووجدناها دائمًا عندهم: أنهم ما عطلوا إلا وقد مثلوا وشبهوا قبل ذلك؛ لأن النفي هذا لا يأتي إلا بعد التمثيل والتشبيه، لو أثبتنا كذا لمثلناه بخلقه، لشبهناه بخلقه، فلا بد أن ننفي وأن نُعطل.

قال: (وَقَوْلُكَ: كَكَذَا وكَذَا، وَكَمَخْلُوقٍ عَلَىٰ مَخْلُوقٍ، تَشْبِيهٌ وَدِلْسَةٌ، وَكُلْفَةٌ لَمْ نُكَلَّفْ ذَلِكَ فِي دِينِنَا، وَلَكِنْ نَقُولُ كَمَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وَكَمَا قَالَ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْأَعْلَىٰ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ الْعُلَىٰ»، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ، مَنِ انْتَهَىٰ إِلَيْهَا اكْتَفَىٰ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ اعْتَدَىٰ.

ثُمَّ انْتَدَبَ الْمُعَارِضُ مُتَكَلِّمًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ فِي الْعَرْشِ، مُتَأَوِّلًا فِي تَفْسِيرِهِ وَمَعْنَاهُ، خِلَافَ مَا تَأَوَّلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالله وَكتابه وآياته، فَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، لَيْسَ لَهُ تَأْوِيلٌ إِلَّا عَلَىٰ أَوْجُهٍ نَصِفُهَا، وَنَكِلُ عِلْمَهَا إِلَىٰ اللهِ، فقال بعضهم).

يعني هذا تأويل هذا المارق، يقول: معنىٰ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾: العرش أعلىٰ الخلق.

(وَاللهُ عَلَيْه، وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِكُلِّ مَكَانٍ، غَيْرَ مَحْوِيٍّ وَلَا مُلَازِقٍ، وَلَا مُمَازِجٍ، وَلَا بَائِنٍ بِاعْتِزَالٍ وَبِفُرْجَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، لَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ كَجِسْمٍ عَلَىٰ جِسْمٍ).

ضابط مهم في التعامل مع كلام المبتدعة

سبحان الله! هذه الألفاظ كلها هل تجدونها في كتاب الله؟ في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وإنما هي ألفاظ مُحدثة، ومقدمات باطلة، وقد تعلمنا أننا لا نُسلم بهذه المقدمات الباطلة حتىٰ لا نُلزَم بالنتائج.

ولذلك هؤلاء وضعوا هذه المقدمات المبنية علىٰ الألفاظ المُحدَثة، وبنوا عليها نتائج باطلة، ومجادلة هؤلاء لا بد فيها من معرفة هذه الألفاظ وهذه المقدمات، مجادلة هؤلاء لا بد فيها من طريقة معينة، بيَّنها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ لا تُلزَم بقولهم، وهذا لا يختص بالمبتدعة أيام الدارمي، لكن في كل وقت، يُبين لك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماذا تصنع مع هؤلاء.

أولًا: هذه الألفاظ التي ذكروها، وهي أنه غير محوي، ولا ملازق، ولا ممازج، وليس بجسم، ولا عرض، ولا متحيز، ولا جوهر، ولا غير ذلك، هذه الألفاظ يقول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (**درء تعارض العقل والنقل**) قال: "ولكن هؤلاء عمدوا إلىٰ ألفاظ مجملة، مشتبهة، تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة".

فهذه الألفاظ ليست ألفاظ الشرع، لكن هذه الألفاظ أخذوها من أمثال أرسطو، والفارابي، وابن سينا، والكندي، ومن الترجمة، ترجمة الكتب اليونانية، فأخذوا هذه الألفاظ، وهذه الألفاظ في لغة الأعاجم لها معانٍ عدة، فجعلوا هذه المعاني تساوي المعاني العربية، ما معنىٰ ذلك؟ يعني هذه الألفاظ ألفاظ عربية أم غير عربية؟ الجسم لفظ عربي أم غير عربي؟ لفظ عربي، الحيز، المكان، الجهة، ألفاظ عربية. لها معان معروفة في لغة العرب أم ليست بمعروفة؟ هل هذه المعاني المعروفة هي التي قصدها المبتدعة؟ ليست هي المعاني التي قصدها المبتدعة.



يعني مثلًا: الاستواء، في لغة العرب بمعنىٰ: العلو، والارتفاع، والظهور، والقصد، هذا معنىٰ كلمة الاستواء، بحسب عُدِّي به الفعل.

نسأل الآن: هل الاستواء له معنىٰ من هذه المعاني عند المبتدعة؟ لا، استولىٰ، الاستواء عندهم بمعنىٰ: استولىٰ. ماذا عن الجسم؟ ذات لها صفات، هذا في لغة العرب، ماذا يعنون بالجسم؟ أبعاض وأجزاء يفتقر بعضها إلىٰ بعض، هذا ليس من لغة العرب في شيء.

ولذلك يقولون: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بجسم؛ لأننا لو أثبتنا له الجسمية فهذا معناه: أننا أثبتنا أبعاضًا وأجزاء لله يفتقر بعضها إلىٰ بعض.

هل هذا المعنىٰ أخذوه من لغة العرب؟ لم يأخذوه من لغة العرب.

ولذلك سيُبين لنا شيخ الإسلام ابن تيمية كيف تُناظر هؤلاء، وكيف تتكلم مع هؤلاء، يضع لنا قاعدة عريضة في مجادلة هؤلاء في كل زمان ومكان.

فهذه الألفاظ ألفاظ مجملة، تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة، صاروا يُدخلون فيها من المعاني ما ليس مفهومًا منها في لغات الأمم، ثم ركّبوها، فيضعون المقدمات: هذا العالم حادث، كان بعد أن لم يكن، ودليل حدوثه: أنه مشتمل علىٰ جواهر وأعراض، والأعراض أي الصفات، تفتقر إلىٰ الجواهر؛ لأننا لم نر صفةً، كالحر، والبرد، والمرض، تقوم بنفسها، وإنما تفتقر إلىٰ الجواهر، يعني الأجسام، والمفتقر حادث بعد أن لم يكن.

هذه الأعراض متغيرة، ولذلك تجد الجو مرة باردًا، ومرة حارًا، تجد المرء مرة مريضًا، وأخرىٰ صحيحًا، والتغير دليل الحدوث أنه كان بعد أن لم يكن،وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فهذه مقدمة وصلوا بها إلىٰ نتيجة.

هذه المقدمة جعلوها كلية مطلقة، وقانونًا عامًا.

الذي جاء به الشرع أن ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتصف بالكلام، يتكلم وقتما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يفرح وقتما شاء، يغضب وقتما شاء، لكنهم قالوا تطبيقًا لهذا الطاغوت الذي وضعوه: لا يجوز أن نصف الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الصفات؛ لأنها تعني حلول الحوادث به تكون بعد أن لم تكن، فهنا شابه الحوادث، فننفي كل الصفات الفعلية عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فالذي يُسلِّم بهذه المقدمات يُلزَم بالنتائج.

"فتجد الواحد من هؤلاء يُركّب هذه الألفاظ، ويُؤلفها تأليفًا طويلًا، بنوا بعضه علىٰ بعض، وعظّموا قولهم، وهوّلوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضًا لما فيه من الألفاظ المشتركة، والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته -كلام لا تقبله الفِطَر- ولا يستوي مع العقول السليمة، فإذا نفرت الفطرة عن هذا الكلام وأخذ يعترض عليهم ويقول: هذا لا أجد له مثالًا في كتاب الله ولا سنة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالوا له: أنت لا تفهم هذا"، انت حافظ مش فاهم، عقلك لا يصل إلىٰ هذا الكلام العقلي!! "وهذا لا يصلح لك" ماذا يصنع، وقد يتهمه الناس بقلة الفهم!!

قال: "فيبقىٰ ما في النفوس من الأنفة والحمية"، يخشىٰ من تهمة الناس له بعدم الفهم، فذلك يحمل تلك النفوس الضعيفة المهزومة "يحملها علىٰ أن تُسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عندهم، وعلىٰ ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلىٰ نقص العلم والعقل"، فلو تكلم وصفوه بالجهل، وأنه لا يفهم طريقتهم، ولو سكت كان معهم في باطلهم.

قال: "ونقل الناس في مخاطبتهم درجات"، يعني يتدرجون مع الناس حتىٰ يصلوا بهم إلىٰ باطلهم، كحال الباطنية، وكل فرقة مبتدعة فيها من الخفاء والسرية ما يشبه حال الباطنية. ماذا نصنع مع هؤلاء الضُلال في كل زمان ومكان؟

قال: "ولهذا يجب علىٰ من يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم: ألا يُوافقهم علىٰ لفظ

مُجمل حتىٰ يتبين معناه، ويعرف مقصوده"، كل لفظ يتكلم به المبتدع يتكلم به الملحد، قل له: ماذا تعني بهذا اللفظ؟ بيِّن الإجمال الوارد فيه. الجسم، العَرَض، الحيز، ماذا تقصد بهذا اللفظ؟ لا بد أن يبين المراد، فإذا بيَّن مراده قلت له: هذا المراد غير معروف في لغة العرب، هذا المراد يخالف صريح سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخالف صريح منهج أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لن يستطيع أن يتكلم؛ لأنك هدمت قاعدته بلغة العرب التي يتكلم بها وبحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الآن تجد هذا علىٰ لسان كثير من الملاحدة العرب، يقول: أعطني دليلًا واحدًا علىٰ وجود الله، قول متكرر علىٰ لسان الجهلة من ملاحدة العرب، وهم جهلة، جهلهم جهل مركب.

كما نصحنا شيخ الإسلام ابن تيمية ماذا نقول له؟ لو بدأت بقولك: كل ما في هذا العالم دليل علىٰ وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: أنا لا أُسلِّم بذلك، لكن تبدأ معه: ماذا تقصد بكلمة دليل؟ فتجده ينتهي إلىٰ أنه يريد دليلًا تجريبيًا حسيًا، وهذا اختزال لا تقبله ابتداء. هو لا يقنع إلا بنتائج المعمل، تجربة عينية تمت أمامه فرأىٰ نتيجتها، هذا الذي يقبله فقط، لا يأخذ العلم إلا من مثل هذه التجارب، ماذا عن العقل؟ يقول لك: العقل يُصيب ويُخطئ، ماذا عما نُقل لنا بالتواتر؟ لا يُسلِّم به، يقول: ربما أصابه الكذب، تواطئوا علىٰ الكذب!!

ماذا عن الحس؟ الحس قد يُخطئ، فينتهي بك إلىٰ أن الدليل المراد هو الدليل التجريبي، فهذا كلام باطل، الذي يُسلِّم له منذ البداية يقع في الشك، فلا بد أولًا أن تنقض هذه القاعدة، أن كون المراد بالدليل التجريبي فقط هذا كلام لم يقله واحد من العقلاء، ثم هذا لا يقبله اللسان العربي، صحيح؟ لأن الدليل: هو ما وصّل إلىٰ المطلوب، سواءً كان هذا الدليل أفاد العلم اليقيني أو الظن الراجح، هذا هو الدليل في لغة العرب.

ثم إنك أيها الملحد تخالف هذه القاعدة، وإلا فهل كل تجربة في المعمل مبناها علىٰ مقدمات هو نفسه اختبرها أم أخذها ممن كان قبله؟ أخذها ممن كان قبله، وهكذا كلٌّ يأخذ ممن كان قبله ويبني عليه. هل هو رأىٰ ذلك بعينه؟ أم قرأه في كتاب وبنىٰ عليه؟

ثم إن هذا طعن في الضروريات والبديهيات، مآل كلامه إن يطعن في ناتج ١+١=٢، لأن هذا يحتاج لتجريب، حتىٰ يُثبت صحة ذلك، وطعنٌ في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بل طعن في نسبه هو، هو كان موجود لما وُلِد؟ فكيف عرف إنه ابن أبيه وأمه؟ من شهادة ميلاده؟ ألا يمكن أن تكون الشهادة مزورة؟ فحاصل هذا المذهب أنه يؤدي إلىٰ التشكيك، وإلىٰ الاختزال، وإلىٰ الحيرة، وإلىٰ السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، لأن كل دليل سمعي ستأتي -يعني من الكتاب والسنة- يرده، وكل دليل عقلي تأتي به يجادل فيه جدالًا عقيمًا لا فائدة فيه، فلا تُسلِّم بكل لفظ يقوله أهل البدع.

ولذلك هاهنا لما ذكر هذه الأمور وهي أننا نقول: **(إن العرش أعلىٰ الخلق، وَاللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِكُلِّ مَكَانٍ، غَيْرَ مَحْوِيٍّ وَلَا مُلَازِقٍ، وَلَا مُمَازِجٍ، وَلَا بَائِنٍ بِاعْتِزَالٍ وَبِفُرْجَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، لَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ كَجِسْمٍ عَلَىٰ جِسْمٍ)**.

فقال الإمام الدارمي: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: مَا تَرَكْتَ أَنْتَ وَلَا إِمَامُكَ هَذَا مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْعَرْشِ غَايَةً، وَلَا مِنَ الِافْتِرَاءِ عَلَىٰ اللهِ فِيهِ نِهَايَةً، أَوله: أنك قلت وَحَكَيْتَ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ، وَاللهُ مُكَذِّبُكَ فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ﴾[هود: ٧]، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ وَكَانَ الْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ قَبْلَ الْخَلْقِ، إِذْ لَا أَرْضَ وَلَا سَمَاءَ، وَلَا خَلْقَ غَيْرُ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ؟)**.

هذا الكلام قد يبدو غير واضح عند بعض الناس، أليس العرش أعلىٰ الخلق؟ إذن لماذا

رد الإمام الدارمي هذا الكلام هاهنا؟ العرش سقف المخلوقات.

يعني أضرب لكم مثالًا لأبين مراد الإمام الدارمي، أين السقف؟ هذا هو السقف. هذا السقف موضوع علىٰ الجدار، فالذي أراده الجهمي: أن العرش هو آخر هذا الجدار، فالمخلوقات مُثِّل لها بهذا الجدار، والعرش هو آخر الجدار، لا يريد أن العرش هو سقف المخلوقات، واضح؟

يعني أراد أن يجعل العرش من المخلوقات، الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه فرق بين المخلوقات، بين السماء والأرض والعرش، هو يريد أن يجعل العرش من السماء، التي هي أعلىٰ المخلوقات، لا يريد أن يجعل العرش مخلوقًا منفصلًا، بل هو عنده سقف المخلوقات.

ولذلك لما قال: إن العرش أعلىٰ الخلق قال الدارمي: **(وَاللهُ مُكَذِّبُكَ فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾**[هود: ٧]**، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ وَكَانَ الْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ قَبْلَ الْخَلْقِ)**، ماذا أراد بالخلق لما فرق بين العرش والخلق؟ يعني خلق السماوات والأرض، صحيح؟ كان العرش موجودًا قبل خلق السماوات والأرض، فليس هو واحدًا من هذه المخلوقات، نعم.

قال: **(إِذْ لَا أَرْضَ وَلَا سَمَاءَ، وَلَا خَلْقَ غَيْرُ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ؟**

قال: وَمِمَّا يَزِيدُكَ تَكْذِيبًا قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥]**، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** [غافر:٧]**، أَفَتَحْمِلُ الْمَلَائِكَةُ فِي دَعْوَاكَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ، أَوْ أَسْفَلَهُ، أَوْ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ؟ وَقَالَ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**[الحاقة:١٧]**، أَيَحْمِلُونَ يَوْمَئِذٍ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ وَيَتْرُكُونَ أَسْفَلَهُ؟ أَمِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ؛ لِأَنَّهَا أعلىٰ الْخَلْقِ؟ فَهَلْ سَمِعَ سَامِعٌ بِمُحَالٍ مِنَ الْحُجَجِ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا؟ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْعَرْشِ نَصًّا وَدَفْعِهُ رَأْسًا؛**

لِأَنَّهُ إِنْ يَكُنِ الْعَرْشُ فِي دَعْوَاهُ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ فَقَدْ بَطَلَ الْعَرْشُ الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ الخلق؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْخَلْقِ، إِذْ كَانَ مَخْلُوقًا عَلَىٰ الْمَاءِ قَبْلَ الْخَلْقِ).

العرش غير الخلق، ويعني بالخلق: ما سوىٰ العرش.

قال: (فَفِي أَيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ هَذَا أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ؟ فَبَيِّنْهُ لَنَا، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الْمُبْطِلِينَ، وَاللهُ مُكَذِّبُكَ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[المؤمنون:٨٦]، فَمَيَّزَ اللهُ بَيْنَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ وَبَيْنَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ السَّمَوَاتِ السَّبع فَمَا دونها، وَمِمَّا يَزِيدُكَ تَكْذِيبًا قَوْلُهُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[البروج:١٥]، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون:١١٦]، وَأَيُّ مَجْدٍ وَكَرَمٍ لِأَعْلَىٰ الْخَلْقِ مَا لَيْسَ لِأَوْسَطِهِ وَأَسْفَلِهِ؟ فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ تَأْوِيلَكَ هَذَا تَكْذِيبٌ بالعرش صراحًا وإنكاره نصًّا.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ اللهَ غَيْرُ مَحْوِيٍّ وَلَا مُلَازِقٍ وَلَا مُمَازِجٍ، فَهُوَ كَمَا ادعيت).

وهذا فيه: أن قول الحق يُقبَل من أي أحد، كائنًا من كان، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يحويه شيء من خلقه، فليس داخلًا في شيء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَأَمَّا قَوْلُكَ: غَيْرُ بَائِنٍ بِاعْتِزَالٍ، وَلَا بِفُرْجَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ).

سبحان الله! يعني تشعر كأنه يتحدث عن أدنىٰ الخلق، لا يتحدث عن رب الخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تجد في قلوبهم تعظيمًا للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَقَدْ كَذَبْتَ فِيهِ وَضَلَلْتَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، بَلْ هُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، بِفُرْجَةٍ بَيِّنَةٍ وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَا هُمْ عَامِلُونَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ كَمَا أَنْبَأَنَا اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُوله وَأَصْحَاب رَسُولُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: كَجِسْمٍ عَلَىٰ جِسْمٍ، فَإِنَّا لا نَقُولُ: إِنَّهُ كَجِسْمٍ عَلَىٰ جِسْمٍ، لَكِنَّا نَقُولُ: رَبٌّ عَظِيمٌ، وَمَلِكٌ كَبِيرٌ، نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلَىٰ عَرْشٍ مَخْلُوقٍ عَظِيمٍ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَة، دون مَا سواهَا مِنَ الْأَمَاكِنِ، مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِذَلِكَ كَانَ كَافِرًا بِهِ وَبِعَرْشِهِ).

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بعتق الجارية لما عرفت أن الله في السماء، فجعل علامة إيمانها إقرارها بأن الله في السماء، أين الله؟ قالت: في السماء، من أنا؟ أنت رسول الله، «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

فالذي لا يعرف أن الله في السماء هذا كافر مُكذب صراحةً بالقرآن، وما فُطِرت عليه النفوس السوية.

قال: (وَالْأَنْوَارُ الْمَخْلُوقَةُ لَيْسَ مِنْهَا نُورٌ إِلَّا وَلَهُ ضَوْءٌ سَاطِعٌ، وَمَنْظَرٌ رائع، فيكف النَّورُ الْأَعْظَمُ خَالِقُ الْأَنْوَارِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؟!

وَزَعَمْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ أَنَّهُ بِمَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ، وَلَكِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَتَأَوَّلْتَ فِي ذَلِكَ بِمَا تَأَوَّلَ بِهِ جَهْمٌ قَبْلَكَ، فَقُلْتَ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[المجادلة:٧]).

فاستدل بهذه الآية علىٰ أن الله في كل مكان، والآية حجة عليه لا له، لأن هذه الآية تسمىٰ بآية... اقرأ الآية من أولها، ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ مَا يَكونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُم وَلا أَدنىٰ مِن ذلِكَ وَلا أَكثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُم أَينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[المجادلة: ٧]، ما الذي لحِظتَه في هذه الآية؟ أن الآية ابتدأت بالعلم وخُتمت بالعلم.

ولذلك أهل السنة والجماعة يُسمون هذه الآية بآية العلم، الآية تتحدث عن علم الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا عن كونه فوق العرش، لأن الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ﴾، وفي آخر الآية قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ فبدأها بالعلم وختمها بالعلم، فالمراد هنا: العلم، ليس المراد أن الله في كل مكان، وهذا يبين لنا أهمية السياق.

(ثُمَّ رَوَيْتَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَقَدْ رَفَعُوا الصَّوْتَ بِالتَّكْبِيرِ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّه أقرب إِلَيْكُم من رُؤوْس رَوَاحِلِكُمْ»).

المراد بقرب الله من عباده

فظن هذا الجاهل الجهل المركب أن المراد بقرب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القرب العام، أنه معنا في كل مكان، وأنه في هذه الأرض أقرب إلينا من أعناق رواحلنا، وهذا ليس هو المراد من الحديث، وليس هو المراد من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، ومن قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنْكُم وَلكِنْ لَا تُبصِرُوْنَ﴾[الواقعة: ٨٥]، لا يُراد هاهنا قرب الله الذاتي، وإنما الذي يُراد هاهنا قرب ملائكته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾ قال: "يعني ملائكته تعالىٰ"، أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه.

قال: "ومن تأوله علىٰ العلم فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالىٰ الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، فاللفظ لا يساعد الذي تأول الآية علىٰ العلم والإجماع يرد عليه"، لماذا اللفظ لا يقتضيه؟ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَنَحْنُ﴾، ما قال: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾.

كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِنْكُم وَلكِنْ لَا تُبصِرُوْنَ﴾ يعني ملائكته، وكما

قال تعالىٰ: ﴿إِنّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾[الحجر: ٩]، فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكذلك الملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله لهم علىٰ ذلك.

وكذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ ردًا علىٰ من فسَّر القرب بالعلم، يعني فسَّر قرب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالعلم، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَد خَلَقنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفسُهُ وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾[ق: ١٦] الآيات، قال: فالمراد به: قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف، قالوا: ملك الموت أدنىٰ إليه من أهله، ﴿وَلكِنْ لَا تُبصِرُوْنَ﴾ يعني لا تُبصرون الملائكة، وقد قال طائفة: ﴿وَنَحْنُ أَقرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: بالعلم، **وقال بعضهم**: بالعلم والقدرة، ولفظ بعضهم: بالقدرة والرؤية، وهذه الأقوال ضعيفة، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، حتىٰ يحتاج أن يقولوا بالعلم".

عندنا المعية: معية خاصة ومعية عامة، القرب ليس فيه قرب خاص وقرب عام، وإنما القرب خاص فقط، إما أن يكون قرب الملائكة، كما في مثل هذه الآيات، أو أن يكون قرب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من المؤمنين، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]، فالقرب لا يكون إلا للمؤمنين، يعني ليس في القرب قرب إحاطة، ونصرة، وتأييد كالعلم، وقرب مراقبة ومحاسبة، لا، هذا لا يكون في القرب، فالقرب قرب الملائكة أو قرب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من عباده المؤمنين فقط، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: «من أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذرعًا تقربت منه باعًا».

وقد يقرب من خلقه في أوقات مخصوصة كما في نزوله للفصل بين العباد يوم القيامة،

ومجيئه في ذلك اليوم، فذلك قربٌ مخصوص في وقت مخصوص، ليس كالعلم في كل وقت وحين، فقربه تعالىٰ قرب صفاتٍ لأنه من صفاته الخبرية الفعلية، وقرب ذات كما دل علىٰ ذلك النصوص، يقرب من عباده المؤمنين عشية عرفه، ووقت نزوله كل ليلة، وليلة النصف من شعبان كما صح الخبر بذلك، وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما يسهل عليك إدراك ذلك واعتقاده معرفة عظمة الله تعالىٰ وكمال قدرته، فالسماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، يقبض السماوات ويطويهن والأرض بيده الأخرىٰ ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

وفي الصحيح: عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «جاء جبريل إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يا محمد إن الله يضع السماء علىٰ إصبع والأرض علىٰ إصبع والجبال علىٰ إصبع والشجر والأنهار علىٰ إصبع وسائر الخلق علىٰ إصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ "وفي رواية «والماء والثرىٰ علىٰ إصبع وسائر الخلق علىٰ إصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتىٰ بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية

فهنا المعارض هذا المُلبِّس الجهمي فسَّر قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنه أقرب إليكم من رؤوس رواحلكم**» فسَّره بقرب الذات، وأنه في كل مكان.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضُ: هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ الرَّسُولُ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ كُلِّ ذِي نَجْوَىٰ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَأَقْرَبُ مِنْهَا بِعِلْمٍ وَمَنْظَرٍ وَمَسْمَعٍ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَلَا يَحْجُبُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، عِلْمُهُ بِهِمْ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ مُحِيطٌ، وَبَصَرُهُ فِيهِمْ نَافِذ، وَهُوَ بِكَمَالِهِ فَوق عَرْشِهِ وَالسَّمَوَاتُ، وَمَسَافَةُ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ

خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ، فَهُوَ كَذَلِكَ مَعَهُمْ رَابِعُهُمْ وَخَامِسُهُمْ وَسَادِسُهُمْ، يَعْلَمُ مَا عَمِلُوا مِنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُثِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عَمِلُوا).

وكذلك الآية فيها رد عليهم من جهة اللغة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو ثالثهم أم رابعهم؟ رابعهم، يعني معنىٰ ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ غير مختلط بهم، وليس معهم بذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأنه لو كان معهم بذاته لقال: ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو ثالثهم. أين شاهد ذلك من القرآن؟ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة أم رابع ثلاثة؟ ثالث ثلاثة، فجعلوا الله ذاتًا كذواتهم، وإنما في هذه الآية قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، واضح؟ فلا تُساعدهم اللغة كذلك في باطلهم.

قال: (وَكَذَلِكَ هُوَ مَعَ كُلِّ ذِي نَجْوَىٰ، لَا كَمَا ادعيتم أَنه مَعَ كل بائل وَمُحْدِثٍ وَمُجَامِعٍ فِي كَنَفِهِمْ وَحُشُوشِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ).

طبعًا هذا من لازم قولهم، يقولون: الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان، فلا يُنزّهونه عن مكان دون مكان.

قال: (وَإِنَّمَا يُعْرَفُ فَضْلُ الرُّبُوبِيَّةِ).

حتىٰ كلام أهل السنة كلام رقيق، يُرقق القلوب، أما كلام هؤلاء كلام جاف، لا يزيد القلوب إلا قسوة، ونفرة، وجهلًا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولذلك آل أمرهم إلىٰ الحيرة والشك.

الرازي وضع كتبًا صارت لها الركبان من أهل البدع وغيرهم، كالتأسيس، ونهاية العقول والتفسير، والمحصول وغير ذلك، يقول في آخر حياته كلها:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذىٰ ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

هذا الذي جمعه طول حياته، هذا ما يشعر به، وحشة، وضيق صدر، وقسوة، وريبة، وشك.

ولذلك بعضهم يتمنىٰ أن يموت علىٰ دين العجائز، عجائز نيسابور، علىٰ دين جدتك وأمك التي لا تقرأ ولا تكتب، هي تعرف ربًا في السماء له الصلاة والزكاة والعبادة، لا تزيد علىٰ ذلك، يرجو أن يموت علىٰ عقيدة هذه العجوز، وما حصّل شيئًا من هذه العلوم.

الإمام الدارمي يقول: **(وَإِنَّمَا يُعْرَفُ فَضْلُ الرُّبُوبِيَّةِ وَعِظَمُ الْقُدْرَةِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، وَبَعْدَ مَسَافَةِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَعْلَمُ مَا فِي السماوات الْأَرْضِ وما بينهما وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذِي نَجْوَىٰ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[الأنعام:١٣]، وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ كَمَا ادَّعَيْتُمْ بِجَنْبِ كُلِّ ذِي نَجْوَىٰ مَا كَانَ بِعَجَبٍ أَنْ يُنَبِّئَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**.

ما أدق استنباطات الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ! هذا ليس بعجيب كما قال؛ لأنه معك، فلو أن إنسانًا يقف بجوارك، يسمع كلامك، لو أخبرك بما قلت بعد ذلك هل تعجب من ذلك؟ مما تعجب! كان يسمعك، أما أن الله عَزَّوَجَلَّ فوق العرش من فوق سبع سماوات يُخبرك بما تقول، بل بما يدور في صدرك؟ هذا من أعجب العجب، وهو مما يحمل المرء علىٰ الخشية والمراقبة، وهذا هو الذي جاء به الكتاب والسنة.

قال: **(فَلَوْ كُنَّا نحن بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ مِنْهُمْ لَنَبَّأْنَا كُلَّ عَامِلٍ مِنْهُمْ بِمَا عَمِلَ وَقَالَ، وَنَاجَىٰ بِهِ أَصْحَابَهُ، فَمَا فَضْلُ عَلَّامِ الْغُيُوبِ عَلَىٰ الْمَخْلُوقِ الَّذِي لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي دَعْوَاكَ؟**

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ، فَإِنْ كُنْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِمَّنْ يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ وَيَفْهَمُ شَيْئًا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ عَلِمْتَ أَنَّكَ كَاذِبٌ عَلَىٰ اللهِ فِي دَعْوَاكَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ وَمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وذَكَرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ

السَّمَوَاتِ، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَكَيْفَ مِنَ الرِّجَالِ؟!

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، **وقال:** ﴿أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦]، **وقال:** ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:١٨]، **وقال:** ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠]، **وقال:** ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، **وقال:** ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٣-٤]، **مِنَ الْأَرْضِ السَّافِلَةِ، وَقَالَ:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]، **وَلَمْ يَقُلْ: يَنْزِلُ به إِلَيْهِ تَحْتَ الْأَرْضِ.**

قال: فَهَذِهِ الْآيُ كُلُّهَا تُنَبِّئُكَ عَنِ اللهِ أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ، قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَآمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَ اللهَ بِمَا فِيهِ. فَلِمَ تَحْكُمُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَيُّهَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ بِمَا هُوَ مُكَذِّبُكَ فِي كِتَابِهِ؟ وَيُكَذِّبُكَ به الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أراد رَحِمَهُ اللهُ الآيات التي ذكرها في علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، وأنه فوق العرش، يعلو علىٰ خلقه علوًا يليق بجلاله، قد استوىٰ، وعلا، وظهر، وارتفع، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:١٨]، وقال: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٣-٤]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠].

(فَهَذِهِ الْآيُ كُلُّهَا تُنَبِّئُكَ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**)**.

هو أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بنفسه من غيره.

(أَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ).

فهو في السماء دون الأرض.

(وَأَنَّهُ عَلَىٰ السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ، قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَآمَنَ بِهِ، وَصَدَّقَ اللهَ بِمَا فِيهِ).

ثم خاطب المريسي قائلًا: **(فَلِمَ تَحْكُمُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَيُّهَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ بِمَا هُوَ مُكَذِّبُكَ فِي كِتَابِهِ وَيُكَذِّبُكَ به الرَّسُولُ ﷺ؟)**.

الكلام حول حديث الجارية

الرسول ﷺ كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءه معاوية، وقد لطم جاريته، كانت له جارية ترعىٰ الغنم، فجاء الذئب فعدىٰ علىٰ الغنم، فلطمها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم إنه أراد أن يُكفِّر عن ذلك، فذهب إلىٰ النبي ﷺ فقال: «**ايتني بها**»، فجاء هذا الصحابي الجليل بهذه الجارية الأمة السوداء إلىٰ النبي ﷺ فقال لها النبي ﷺ: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، فقال ﷺ: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

ففي هذا الحديث بيان أن الذي لا يعرف ربه في السماء ليس بمؤمن؛ لأن النبي ﷺ قطع لها بالإيمان لمعرفتها بربها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكذلك لإيمانها بالنبي ﷺ.

هذه الجارية ما جلست عند أحد، ولا تعلمت، ولا قرأت الكتب، ولكنها تُخبر عما هو مركوزٌ في فطرتها، فالله عَزَّ وَجَلَّ كونه عاليًا علىٰ خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا أمر قد فُطر عليه الخلق أجمعون، فعلُّوه ثابت بالكتب المنزلة، وبسنن الأنبياء، وبالإجماع، وبالمعقول، وبما ركزه

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في فِطَر بني آدم.

فقال: (**أَو لم يَبْلُغْكَ حَدِيثُ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ لِلْأَمَةِ السَّوْدَاءِ**: «**أَيْنَ اللهُ؟**» **فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ**: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»).

وقول الجارية: "فِي السَّمَاءِ" له توجيهان صحيحان في لغة العرب:

- إما أن تكون "في" بمعنىٰ علىٰ، علىٰ قول الكوفيين في أن حروف المعاني ينوب بعضها عن بعض، فتأتي "في" بمعنىٰ علىٰ، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[الأنعام: ١١] أي: علىٰ الأرض، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه: ٧١]، أي: علىٰ جذوع النخل، فـ"في" هاهنا بمعنىٰ: علىٰ، هذا قول.

- أو أن تكون "في" علىٰ ظاهرها.

والسماء يُقصَد بها هاهنا: العلو، فكل ما علاك فهو سماء، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[الأنعام: ٩٩]، والماء لا ينزل من السماء، الماء ينزل من السحاب، فالسماء بمعنىٰ: العلو، فلما قالت: الله في السماء أي: في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: من في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الحديث اتفقت كلمة أهل السنة علىٰ تصحيحه، ما طعن فيه عالم من علماء أهل السنة والجماعة، والحديث رواه مسلم في صحيحه، ما طعن فيه إلا متأخرو المبتدعة، أما متقدموهم فقد قبلوا هذا الحديث، لكنهم تأوَّلوه، وأما المتأخرون فإنهم طعنوا فيه، من أمثال محمد زاهد الكوثري، والغماري المغربي، مع أن الحديث في أعلىٰ درجات الصحة، فهو في أحد الصحيحين في صحيح مسلم.

التفريق بين المكان الوجودي والعدمي

والذي حملهم علىٰ ذلك: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للجارية: «**أين الله؟**»، فقالوا: إن "أين" يُسأل بها عن المكان، والمكان مخلوق، والله مُنزه عن المكان، عن أن يُحيط به شيء، فهذا غلط من الراوي، ولم يقل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الكلام، وهذا غلط من الجهمية المُعطلة؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأل بـ "أين" هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعلم الخلق بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك سؤال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ أين لا يستلزم إثبات المكان الوجودي، فعندنا المكان مكانان، هناك مكان وجودي مخلوق، ومكان عدمي، مكان وجودي مخلوق، كهذا المكان، هذا المكان وُجد بعد أن لم يكن، المسجد وُجد بعد أن لم يكن، ولذلك هو محيط بنا، نحن فيه، بداخله، فهذا مكان وجودي مخلوق.

وهناك مكان عدمي، والجهمية لم يفهموا من معنىٰ المكان إلا الأول، لم يفهموا إلا الشيء المخلوق الذي خُلق بعد أن لم يكن، وهذا باطل؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما هو معلوم عقلًا ونقلًا لا يُحيط به شيء من خلقه، وإنما هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل شيء محيط.

وقد أخبر عن بعض خلقه أنه يحيط بالسماوات والأرض، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، «**ما السماوات السبع والأراضين في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة**»، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما من أراد بالمكان الشيء العدمي -أعني ما فوق هذا العالم- يعني هذا العالم المخلوق، ما الذي فوقه؟ ليس ثمة مخلوق، أعلىٰ المخلوقات وآخر المخلوقات هو العرش، طيب، ماذا فوق العرش؟ ليس هناك مخلوق فوق العرش، وليس هناك جهات، وإنما هو العلو المطلق، والله عَزَّ وَجَلَّ في هذا العلو، فهذا من أعظم الكمال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يُثبته الشرع والفطرة والعقل، لأن هذه الأرض التي نحن نحيا عليها داخل السماوات،

وهذه السماوات فوقها الكرسي، وفوق الكرسي عرش الرحمن، كالقبة، كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله فوق العرش في هذا العلو المطلق، في هذا المكان العدمي، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فسؤال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ "أين" لا يستلزم إثبات ماذا؟ المكان الوجودي، المخلوق، الذي هو حيز للخالق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحاشاه وكلا-.

فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أين الله؟»، فقالت الجارية بفطرتها: "الله في السماء"، قال: «من أنا؟»، قالت: "أنت رسول الله" صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا أمر كما قلنا هذا أمر موجود في الفِطَر.

ولذلك مهما حاول المرء أن يصرفه عن غيره من البشر فلن يستطيع، تستطيع أن تُحاججه بأدنىٰ الحُجج، كما حدث مع أبي المعالي الجُويني لما دخل عليه أبو جعفر الهمداني، دخل علىٰ أبو المعالي ونحن نعلم أن أبا المعالي من كبار الأشعرية، فدخل عليه في مجلسه، يجلس طلابه أمامه، وهو يُقرر عقيدة الأشعرية في نفي علو الله الذاتي واستوائه علىٰ خلقه، الأشعرية لا يُثبتون الله فوق العرش، ولا يُثبتونه في جهة، بل يقولون: الله لا في جهة، ومعنىٰ استوىٰ علىٰ العرش أي: استولىٰ عليه، كأن هناك مغالبة حدثت بين الله وغيره من المخلوقين حتىٰ أخذ منه العرش -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك-.

فأبو المعالي الجويني ماذا كان يصنع؟ يجلس طلابه أمامه ويُقرر ذلك بالكليات الفلسفية، والنظريات التي أخذها فلاسفة اليونان، والمتكلمين، والفلاسفة المشَّائين، فدخل عليه أبو جعفر الهمداني، وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن علىٰ ما كان، كان الله ولا عرش، يعني قبل أن يخلق الله العرش كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الآن علىٰ ما كان، ماذا تفهم من هذه الجملة؟ ما الذي يُريد أن يُقرره؟ أي: أنه كان بلا عرش، وهو الآن بلا عرش،

لم يستوِ علىٰ عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا نُثبت له شيئًا بعد أن خلق العرش، يريد بذلك نفي العلو والاستواء.

فقال له أبو جعفر: يا شيخ، دعنا من ذكر العرش، ودعنا من هذه التقرير، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فسِّر لنا ما نجده في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا ووجد في قلبه ضرورة لطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة.فماذا فعل أبو المعالي؟ ضرب علىٰ رأسه وقال: حيّرني الهمداني، ولذلك تاب أبو المعالي في آخر حياته، وتمنىٰ أن يموت علىٰ دين العجائز، لكنه ظن أن مذهب السلف تفويض المعنىٰ.

سبحان الله! يترك كل ما قرره من القواعد الفلسفية ويريد أن يموت علىٰ دين جده وجدته، التي لم تتعلم ولم يتعلم شيئًا قط.

قال: (فَهَذَا يُنبئك).

يعني هذا الحديث.

(أنه فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ تَتْرُكُ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتختار عَلَيْهَا فِي ذَلِكَ قَوْلَ بِشْرٍ وَالثَّلْجِيِّ ونظرائمها مِنَ الْجَهْمِيَّةِ؟

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ غَيْرُ مَحْوِيٍّ وَلَا مُحَاطٍ بِهِ، فَكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَنَا).

لأننا لم نُثبت المكان الوجودي المخلوق.

(وَفِي مَذْهَبِنَا، لَمَّا أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي هَوَاءِ الْآخِرَةِ، حَيْثُ لَا خَلْقَ مَعَهُ هُنَاكَ غَيْرُهُ وَلَا فَوْقَهُ سَمَاءٌ.

قال: وَفِي قِيَاسِ مَذْهَبِكَ وَمَذَاهِبِ أَصْحَابِكَ مَحْوِيٌّ مُحَاطٌ بِهِ، مُلَازِقٌ، مُمَاس).

يعني علىٰ عقيدتك أنت ربك الذي تعبده وإلهك الذي تُثبته محوي مُحاط به؛ لأنه يقول:

الله في كل مكان، إذًا هو داخل العالم علىٰ مذهبه، فالمخلوق مُحيط بالخالق.

قال: **(قَدِ اعْتَرَفْتَ بِذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ؛ لِأَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالسَّمَوَاتُ فَوْقَ بَعْضِهِ، وَأَنَّهُ فِي كُلِّ بَيْتٍ مُغْلَقٍ، وَفِي كُلِّ صُنْدُوقٍ مُقْفَلٍ، فَهُوَ فِي دَعْوَاكُمْ مُحَاطٌ بِهِ مُمَاسٌّ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَّا وَذَلِكَ**

الشَّيْءُ مُماس بالْأَمْكِنَةِ، قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي دَعْوَاكُمْ وَالسَّمَاءُ، وَحِيطَانُ الْبُيُوتِ، وَالْأَغْلَاقُ وَالْأَقْفَالُ، فإذا كان في كُلٍ يلزم هذا الجاهل علىٰ ما ادعاه).

يعني إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ في كل هذه الأشياء فالتنوين هنا عِوض عن كلمات، فالتنوين قد يأتي عِوضًا عن حرف، وعِوضًا عن كلمة، وعِوضًا عن جملة، فلما قال: (فإذا كان الله في كلٍّ) يعني في كل من السماوات، والأرض، والبيوت المغلقة، والصناديق المقفلة، وحيطان البيوت، وغير ذلك، فهذا عِوض عن هذه الكلمات التي سبقت.

قال: **(فإذا كان في كُلٍ يلزم هذا الجاهل علىٰ ما ادعاه ان تكون ذاته ملء الخلاء بأسره، فيلزمه أن يكون ظُرقًا لحوادثه، وتعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا، أن يكون ظُرقًا لحوادثه، أو تكون حوادثه ظُرقًا له؛ لأنه تعالىٰ محيط بالأشياء لا مُحاط به، فبطل ما قاله وظهر فساد ما ادعاه.**

وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ نَصِفَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، بَلْ هُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَوْقَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، فِي أَعْلَىٰ مَكَانٍ وَأَطْهَرِ مَكَانٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:١٨]، **يَعْلَمُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، يُدَبَّر مِنْهُ الْأَمر، ويعرج إِلَيْهِ فِي كل يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، كَمَا قَالَ، لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حَائِطٌ، وَلَا سَقْفُ بَيْتٍ، وَلَا تُقِلُّهُ أَرْضٌ، وَلَا تُظِلُّهُ سَمَاءٌ، كَمَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَلَىٰ).**

لماذا فصَّل المصنف في النفي هاهنا؟ إنما ينقل هذا النفي المفصل الذي جاء به هذا

الجهمي، المعطل، والجهمية يُفصِّلون في النفي ولا يُثبتون كمال الضد، وأهل السنة والجماعة إذا فصّلوا في النفي أحيانًا أثبتوا كمال الضد.

يعني إذا قالوا كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٣-٤]، فهذا يستلزم إثبات كمال الحياة والقيّومية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكمال الصمدية.

قال: (وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: عِلْمُ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ ذَاتِهِ، وَهُوَ فِي الْأَرْضِ بَائِنٌ مِنْهُ، فَإِنَّا لَا نَقُولُ كَمَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ ذَاتِهِ فِي الْأَرْضِ مَنْزُوعٌ مُجَسَّمٌ بَائِنا مِنْهُ).

هل علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منه؟ أجل، لأنه صفة من صفاته، كسائر الصفات له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن هل هذه الصفات بائنة منه منزوعة عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ ليست كذلك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ كان بصفاته، وصفاته غير بائنة عنه.

قال: (وَلَكنَّا نقُول: علمه وَكَلَامه مَعَهُ كَمَا لَمْ يَزَلْ، غَيْرُ بَائِنٍ مِنْهُ، فَهُوَ بِعِلْمِهِ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِ عَالِمٌ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ بِكُلِّ ذِي نَجْوَىٰ، أَيْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْهُ بِمَنْظَرٍ وَمَسْمَعٍ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الوريد، لَا يخفي عيله مِنْ جسدهم ظَاهِرًا وَبَاطِنًا قِيسَ خردلة).

يعني قيد خردلة، قدر خردلة، يقال: قيس، ويقال: قيد.

(من مخ، أو عظم، أو لحم، أَوْ عِرْقٍ، دَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة:٨٥]، أَيْ نَحْنُ نَعْلَمُ مِنْهُ مَا ظهر وَمَا بطن، ومَا غيبَ مِنْهُ الْجُلُودُ، وَوَارَاهُ الْجَوْفُ، وأخفته الصُّدُور، وَأَنْتُم لَا تبصرون، فَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ بِالْعِلْمِ بِذَلِكَ، لَا بِأَنَّ عِلْمَهُ مَنْزُوعٌ مِنْهُ بَائِنٌ مُجَسَّمٌ فِي الْأَرْضِ، كَمَا ادَّعَيْتَ بِجَهْلِكَ).



مثال بديع يبين معنىٰ معية الله للخلق

ولله المثل الأعلىٰ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هل يلزم حتىٰ يعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما الخلق عاملون أن يكون داخل العالم؟ لا يلزم ذلك، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضرب مثالًا علىٰ ذلك، قال: الواحد منا يبني دارًا ثم يكون خارجها، ليس فيها شيء منه، ومع ذلك يعلم كل ما فيها، وأنت خارج الدار، ألا تعلم كل صغيرة وكبيرة في دارك؟ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق وهو بائن عنهم، ويعلم كل ما يدور من الخلق في هذه الدار، التي خلقها الله عَزَّوَجَلَّ لهم، فله المثل الأعلىٰ، لكن هؤلاء كما أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما قدروا الله حق قدره، وانظر إلىٰ بقية الآية، قال: ﴿وَمَا قَدَرُوْا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيْعًا﴾[الزمر: ٦٧] يعني الأراضين السبع، ﴿قَبضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾، الأراضون السبع في قبضته فقط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَالسَّمَاواتُ مَطوِيّاتٌ بِيَمِيْنِهِ﴾، فهذه السماوات والأرض، فكيف يُقال وكيف يُتصور أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كل مكان من خلقه؟ لكن هؤلاء لما جهلوا القرآن ومعانيه وصفوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل نقيصة.

قال: (**فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ نَدَّعِي أَنَّ عِلْمَهُ فِي الْأَرْضِ، لا مَا ادَّعَيْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْبَاطِلِ**).

ولذلك قرأ بعضهم صدر سورة الأنعام هكذا: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]، ﴿وَهُوَ اللهُ فِيْ السَّمَاوَاتِ﴾ أي: بذاته، ﴿وَفِيْ الأَرضِ يَعلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُوْنَ﴾[الأنعام: ٣]، وقف بعضهم عند قوله: ﴿فِيْ السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿وَهُوَ اللهُ فِيْ السَّمَاوَاتِ﴾، طيب، ﴿وَفِيْ الأَرضِ يَعلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُوْنَ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾[الزخرف: ٨٤]، يعني مألوه، معبود له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ نَدَّعِي أَنَّ عِلْمَهُ فِي الْأَرْضِ، لا مَا ادَّعَيْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَكَيْفَ**

يَتَوَجَّهُ لِحُجَّةِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يَتَوَجَّهُ لِحُجَّةِ نَفْسِهِ وَلَا يَدْرِي مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ؟ وَقَلَّ مَا رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مُتَكَلِّمًا فِي الْعَرْشِ أَكْثَرَ لَجَاجَةً فِي إِبْطَالِهِ، وَإِدْخَالِ الْحَشْوِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْحُجَجِ الدَّاحِضَةِ فِيهِ مِنْ هَذَا الْمُعَارِضِ، وَكُلَّمَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَانَ أَدْحَضَ لِحُجَّتِهِ وَأَكْشَفَ لِعَوْرَتِهِ).

وهذا نأخذ منه قاعدة: أن من كثر كلامه بالباطل كثر خطؤه، ومن جاوز الحد المأذون به في ذات الله وأسماءه وصفاته ولج في الباطل كذلك، فلك حد أنت مأذون لك في أن تتكلم به، في أسماء الله، وصفاته، في ربوبيته، في ألوهيته، في أحوال الدار الآخرة، في معاني ذلك، إن جاوزت ذلك جاوزت الشرع، جاء الأبعد بالباطل.

قال: (فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، فَإِنَّ الْعَرْشَ لَا يُعَطَّلُ بِإِكْثَارِ حَشْوِكَ، وَخُرَافَاتِ كَلَامِكَ، وَكَلَامِ الْمَرِيسِيِّ، وَالثَّلْجِيِّ، إِذْ عَقِلَ أَمْرَهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ فَكَيْفَ الرِّجَالُ؟

وَيحك! هَذَا الْمَذْهَب أَنْزَهُ لِلَّهِ مِنَ السُّوءِ أَمْ مَذْهَبُ مَنْ يَقُولُ: فَهُوَ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَبَهَائِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوق سمواته، وَفَوق جَمِيع الْخَلَائِقِ فِي أَعْلَىٰ مَكَانٍ، وَأَطْهَرِ مَكَانٍ، حَيْثُ لَا خَلْقَ هُنَاكَ مِنْ إِنْسٍ وَلَا جَانٍّ، فتفكر أَي الحزبين أعلم بِاللَّه وبمكانه وَأَشد لَهُ تَعْظِيمًا وإجلالًا؟).

وقد فصلنا القول في إثبات المكان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا نُثبت له المكان الوجودي المخلوق المحيط به، وإنما نُثبت له المكان العدمي.

قال: (وَأَمَّا مَا رَوَيْتَ عَنِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ مِنْهُ من حَيْثُ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥] قَالَ: "ارْتَفَعَ ذِكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ"، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "اسْتَوَىٰ لَهُ أَمْرُهُ وَقُدْرَتُهُ فَوق بريته".

عَنِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جُوَيْبِرٍ، وعَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي

قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ قُلْتُ: ثُمَّ قَطَعَ الْكَلَامَ فَقَالَ: "اسْتَوَىٰ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض"، يَنْفِي عَنِ اللهِ الِاسْتِوَاءَ، وَيَجْعَلُهُ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

فَيُقَالُ لَك أَيهَا الْمعَارض: لَو سَمِعْتَ هَذَا مِنَ ابْنِ الثَّلْجِيِّ).

هذا الكلام بهذا الإسناد المنقول عن ابن الثلجي لا يصح، والإسناد هالك كذلك، ويكفي أن فيه محمد بن شجاع الثلجي الكذاب المتروك، فيه جويبر، وهو ضعيف جدًا، وفيه محمد بن السائب الكلبي، متهم بالكذب، وهو رافضي، فهذا الإسناد ظلمات بعضها فوق بعض.

فقال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَيُقَالُ لَك أَيهَا الْمعَارض: لَو سَمِعْتَ هَذَا مِنَ ابْنِ الثَّلْجِيِّ لما قَامَتْ لَكَ بِهِ حُجَّةٌ فِي قِيسِ تَمْرَةٍ، وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا لَا تُسَاوِي بَعْرَةً، وَمَا يَحْتَجُّ بِهَا فِي تَكْذِيبِ الْعَرْشِ إِلَّا الْفَجَرَةُ.**

وَأَوَّلُ مَا فِيهِ مِنَ الرِّيبَةِ: أَنَّكَ تَرْوِيهِ عَنِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ الْمَأْبُونِ الْمُتَّهَمِ فِي دِينِ اللهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَنِ الْكَلْبِيِّ، وهُوَ ابن عم ابن الثَّلْجِي، وَعَنْ جُوَيْبِرٍ، وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَجُوَيْبِرٍ مِنْ رِوَايَةِ سُفْيَان وَشعْبَة وَحَمَّاد ابْن زَيْدٍ لَمْ يُكْتَرَثْ بِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا مَغْمُوزَانِ فِي الرِّوَايَةِ، لَا تَقُومُ بِهِمَا الْحُجَّةُ).

لا يعني بالغمز سفيان وشعبة وحماد، لكن يعني ابن الثلجي وجويبر.

فقال في هذين: (لَا تَقُومُ بِهِمَا الْحُجَّةُ فِي أَدْنَىٰ فَرِيضَةٍ، فَكَيْفَ فِي إِبْطَالِ الْعَرْشِ وَالتَّوْحِيدِ؟ وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَرَاهُ إِلَّا مَكْذُوبًا عَلَىٰ جُوَيْبِرٍ وَالْكَلْبِيِّ وَلَكِنْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْدِلَ عَنِ الْمَحَجَّةِ يَحْتَجُّ لِمَذْهَبِهِ بِمَا لَا تقوم بِهِ الْحجَّة).

الذي يريد أن يعدل عن الطريق الصحيح يحتج بكل شيء إلا القول الصحيح.

قال: **(وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْفَعُ مَا رَوَىٰ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أسلم، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَسَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، وَثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، مِنْ رِوَايَةِ مَعْمَرٍ، وَسُفْيَانَ، وَشُعْبَةَ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَحَمَّاد بن زَيْدٍ، وَنُظَرَائِهِمْ مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَعَلَّقُ، بِرِوَايَةِ الثَّلْجِيِّ وَالْمَرِيسِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الظِّنَّةِ فِي دِينِ اللهِ، إِذَا وَجَدَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَدْنَىٰ مُتَعَلِّقٍ يَدْخُلُ بِهَا دِلْسَةً عَلَىٰ الْجُهَّالِ، وَسَنُبَيِّنُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا دلس إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.**

ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَن بعض النَّاسِ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ قَالَ: استولىٰ).

الاستدلال علىٰ نفي الاستواء ببيت شعر

وحجتهم في ذلك: بيت لرجل نصراني، وهو الأخطل، **وقيل**: إن البيت مجهول النسبة، لا يُعرف قائله، يتركون عشرات الآيات والأحاديث التي تُثبت علو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه ويتشبثون ببيت مجهول النسبة.

قـد اسـتوىٰ بشـر علـىٰ العـراق　　　مـن غيـر سـيف أو دم مهـراق

هذا البيت تجده في كل كتب الأشاعرة، يستدلون به ويُعظمونه، يريدون بذلك: نفي استواء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه.

فقالوا: إن ﴿اسْتَوَىٰ﴾ في الآية بمعنىٰ استولىٰ، طيب، ما الحجة في ذلك؟ قول صحابي؟ آية أخرىٰ تُفسر ذلك؟ حديث عن رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ ولو كان ضعيفًا؟ لا: بيت مجهول النسبة!!

قال: **(وقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ، أَيْ: هُوَ عَالٍ عَلَيْهِ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: عَلَا علىٰ الشَّيْءَ أَيْ مَلَكَهُ وَصَارَ فِي سُلْطَانِهِ، كَمَا يُقَالُ: غَلَبَ فُلَانٌ عَلَىٰ مَدِينَةِ كَذَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ أَمْرِهَا، يُرِيدُ**



اسْتَوْلَىٰ وَلَا يُرِيدُ الْجُلُوسَ، وَهَذِهِ تَأْوِيلَاتٌ مُحْتَمَلَةٌ).

هذا قوله، سبحان الله! يُدندنون حول هذا الكلام وشيخهم يرد هذا الكلام، الأشعري نفسه أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الإبانة قال: "وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ إنه استولىٰ، وملك وقهر، وأن الله تعالىٰ في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ مستوٍ علىٰ عرشه"، يقول عن أتباعه: جحدوا أن يكون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مستوٍ علىٰ عرشه، "كما قال أهل الحق"، يعني أهل السنة والجماعة، لكن الأشعرية المتأخرين يطعنون في الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ويقولون: هذه منحولة منسوبة إليه، وليست من كلامه.

قال: "وذهبوا في الاستواء إلىٰ القدرة"، فأين الأشعرية من هذا الكلام؟ وهل قدرته تتعلق بالعرش فقط؟

قال: **(وقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ).**

وذكر ما هو محتمل في كلام العرب من ذلك.

هذا الكلام الذي نقله قال: **(وقَالَ بَعْضُهُمْ)** هذا له قصة، هذه القصة ذكرها البيهقي في الصفات، فروىٰ بسنده من طريق صالح بن محمد جزرة، قال: "سمعت أبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي -صاحب النحو- قال: يقول: قال لي أحمد بن أبي دؤاد"، القاضي المعتزلي الذي ناظر الإمام أحمد، يقول لابن الأعرابي: "يا أبا عبد الله، يصح هذا في اللغة ومخرج الكلام؟"، كما قال عمرو بن عبيد لأبي عمرو بن العلاء، صاحب القراءة المشهورة، لما أراد منه أن يقرأ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: "وكلم اللهَ موسىٰ تكليمًا"، يريد أن ينفي الكلام عن الله، "فجاء ابن أبي دؤاد إلىٰ ابن الأعرابي"، كانه يقول له: ابحث لي في اللغة

الكلام عن صحة ذلك.

الله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾[طه: ٥-٦] في سورة طه، كيف يريد أن يقرأها ابن أبي دؤاد؟ قال: يصح في اللغة أن نقول: الرحمن علا، من الفعل يعلو، فليست حرف جر، الرحمن علا، العرشُ استوىٰ، فـ"الرحمن علا" هذه جملة، "العرشُ استوىٰ" أي: تم وكمل، يصح ذلك في لغة العرب؟

فقال ابن الأعرابي: "قلت: يجوز علىٰ معنىٰ ولا يجوز علىٰ معنىٰ، إذا قلت: الرحمن علا من العلو فقد تم الكلام، ثم قلت: العرشُ استوىٰ يجوز إن رفعت العرش لأنه فاعل، ولكن إذا قلت: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فقد كفرت"، لأنه قال: الرحمن علا، ثم استأنف: العرشُ استوىٰ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**، هل العرش له ما في السماوات وما في الأرض؟ قال له: إن قلت ذلك فقد كفرت.

وقال أبو بكر البيهقي: "وفيما روىٰ أبو الحسن ابن مهدي الطبري، عن أبي عبد الله نفطويه، قال: أخبرني أبو سليمان -يعني داود- قال: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل، وقال: يا أبا عبد الله، ما معنىٰ قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾؟ فقال: إنه مستوٍ علىٰ عرشه كما أخبر، فقال الرجل: إنما معنىٰ ﴿اسْتَوَىٰ﴾ أي: استولىٰ، فقال له ابن الأعرابي: ما يُدريك؟ العرب لا تقول استولىٰ علىٰ العرش فلان حتىٰ يكون له فيه مُضاد، فأيهما غلب قيل: قد استولىٰ عليه، والله تعالىٰ لا مُضاد له فهو علىٰ عرشه كما أخبر".

إذًا هم جُهال بكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبلغة العرب.

فقال الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْعَامِهِ)**.

من العمىٰ.

(التَّائِهِ الْمَأْبُونِ).

أي: المعيب، المُخنَّث، وهو نعتٌ سيئ للرجل السيئ.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْعَامِه التَّائِهِ الْمَأْبُونِ، الَّذِي يَهْذِي وَلَا يَدْرِي: هَذِهِ تَأْوِيلَاتٌ مُحْتَمَلَةٌ لِمَعَانٍ هِيَ أقبح الضلال، وأفحش الْمحَال، وَلَا يَتَأَوَّلُهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْجُهَّالُ، وَكُلُّ رَاسِخٍ فِي الضَّلَالِ.

وَيحك! وَهل مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَسْتَوْلِ اللهُ عَلَيْهِ فِي دَعْوَاكَ وَلَمْ يعله حَتَّىٰ خَصَّ الْعَرْشَ بِهِ مِنْ بَيْنِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ؟).

لماذا خص العرش بالاستيلاء؟ مع أن الله عَزَّوَجَلَّ مستولٍ علىٰ كل شيء، فله كل شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (وَهَلْ نَعْرِفُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْض لَيْسَ الله مَالِكه، ولا هو فِي سلطاته، حَتَّىٰ خَصَّ الْعَرْشَ بِالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ من بَين الْأَشْيَاء؟).

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾[سبأ:٢٢]، ليس لهم ملك، ولكن قد يكون لهم شركة فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ قد يكون هناك من يُعينون، فقال: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، فكل شيء يملكه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهو في سلطانه، ثم نفىٰ نفع الشفاعة بغير إذنه، ولابن القيم كلام بديع في هذه الآية يقول فيه:

" وَقَدْ قَطَعَ اللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا، قَطْعًا يَعْلَمُ مَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا، أَوْ شَفِيعًا، فَهُوَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ

الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

فَالْمُشْرِكُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ:

١ ـ إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُهُ عِبَادُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا.

٢ ـ كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ.

٣ ـ كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا.

٤ ـ كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ.

فَنَفَىٰ سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُتَرَتِّبًا، مُتَنَقِّلًا مِنَ الْأَعْلَىٰ إِلَىٰ مَا دُونَهُ، فَنَفَىٰ الْمِلْكَ، وَالشِّرْكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ، الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُ، وَأَثْبَتَ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ.

فَكَفَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ نُورًا، وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقَطْعًا لِأُصُولِ الشِّرْكِ وَمُوَدَّاهُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ" انتهىٰ من المدارج.

قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهل نازع الله من خلقه أحد؟ أو غالبه علىٰ عرشه فغلبه الله؟

ثم يستوي (علىٰ ما غالبه عليه مُغَالَبَةً ومنازعة، وَمَعَ أَنَّكَ قَدْ صَرَّحْتَ بِمَا قُلْنَا، إِذْ قِسْتَهُ فِي عَرْشِهِ بِمُتَغَلِّبٍ غلب عَلَىٰ مَدِينَةٍ فَاسْتَوَىٰ عَلَيْهَا بِغَلَبَةٍ؟

فَفِي دَعْوَاكَ لَمْ يَأْمَنِ اللهُ أَنْ يُغْلَبَ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ الْمُسْتَوْلِيَ رُبَّمَا غَلَبَ وَرُبَّمَا غُلب، فَهَلْ سَمِعَ سَامِعٌ بِجَاهِلٍ أَجْهَلَ بِاللهِ مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّ اللهَ اسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ عَرْشِهِ مُغَالَبَةً، ثُمَّ يَقِيسُهُ فِي ذَلِكَ بِمُتَغَلِّبٍ، فَيَقُولُ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ).

قاسوا الخالق علىٰ المخلوق، وشبهوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه ومثَّلوا قبل أن يُعطِّلوا.

فقال هذا المعطل الجهمي: (أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ غَلَبَ عَلَىٰ مَدِينَةٍ وَاسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهَا؟ وَأَيْنَ مَا انْتَحَلْتَ أَنَّهُ لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُشَبِّهَ اللهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ).

المبتدع يؤصل أصولًا وينساها، ويقول كلامًا وينقضه. قال قبل ذلك: (لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُشَبِّهَ اللهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ)، أراد بذلك أن ينفي وأن يُعطل كل صفات الباري؛ لأنه زعم أن إثباتها يستلزم مشابهة الله لخلقه، ثم هو يُشبه الله بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك يذكره الدارمي بقوله (أَنَّهُ لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُشَبِّهَ اللهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِه، أَوْ يَتَوَهَّمَ فِيهِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْخلق، وَقد شبهته بمتغلب غلب عَلَىٰ مَدِينَةٍ بِغَلَبَةٍ فَاسْتَوْلَىٰ عَلَيْهَا؟ والله لَو وَلَدَتْكَ أُمُّكَ أَصَمَّ أَخْرَسَ كَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ تَتَأَوَّلَ هَذَا، وَمَا أَشْبَهَهُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ وَفِي عَرْشِهِ).

كما نقول بالعامية المصرية: لو أن أمك كانت جابت جوز بط كان أحسن!!

قال: (فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ الضَّعِيفُ، فَإِنَّكَ لَنْ تَدْفَعَ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ بِمِثْلِ هَذَا الْحَشْوِ وَالْخُرَافَاتِ وَالْعَمَايَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِهِمَا قَدْ خَلُصَ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ عَرَفَ اللهَ مِنْ عَالِمٍ أَوْ جَاهِلٍ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ: قِيَاسُكَ اللهَ بِمِقْيَاسِ الْعَرْشِ، وَمِقْدَارِهِ، وَزنه، من أَصْغَر أَوْ كِبَرٍ، وَزَعَمْتَ كَالصِّبْيَانِ الْعِمْيَانِ إِنْ كَانَ اللهُ تعالىٰ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ).

سبحان الله! يعني قوم قد خلا قلبُهم فعلًا من تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقيسون أقيسةً عجيبة! يضعون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحت قياس شمولي، وقياس تمثيلي، ويُشبهونه بخلقه، ينسبون إليه كل نقيصة، ثم هم يزعمون بعد ذلك أنهم يُنزِّهون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويُجلونه.

(وَزَعَمْتَ كَالصِّبْيَانِ الْعِمْيَانِ إِنْ كَانَ اللهُ تعالىٰ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ).

ما لك وهذه الأمور الغيبية! لا نعلم كيفيتها، نُثبت ما أثبت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنفسه. إنما تتجرأ أنت أيها المعطل لما خلا قلبك من تعظيم الباري تعالىٰ وتقول:

(إِنْ كَانَ اللهُ تعالىٰ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْش، أَوْ أَصْغَرَ مِنْهُ، أَوْ مِثْلَهُ، فَإِنْ كَانَ اللهُ أَصْغَرَ فَقَدْ صَيَّرْتُمُ الْعَرْشَ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ فَقَدِ ادَّعَيْتُمْ فِيهِ فَضْلًا عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُ فَإِنَّهُ إِذَا ضُم إِلَىٰ الْعَرْشِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ أَكْبَرَ مَعَ خُرَافَاتٍ تتكلم بهَا، وترهات تعلب بهَا، وضلالات تَضِلُّ بِهَا، لَوْ كَانَ مَنْ يعْمل عَلَيْهِ لِلَّهِ لَقَطَعَ ثَمَرَةَ لِسَانِهِ، وَالْخَيْبَةُ لِقَوْمٍ هَذَا فَقِيهُهُمْ، وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ مَعَ هَذَا التَّمْيِيزِ كُلِّهِ، وَهَذَا الْبَصَرِ، وَكُلِّ هَذِهِ الْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ).

فالخيبة لقوم كان هذا مُقدَّمهم، وفقيههم، كما نرىٰ في المبتدعة، تجد رأسهم والغًا في الضلالة، وفي التنظير لهم، وهم يُتابعونه كالخراف، يقولون: سمعنا وأطعنا، تعجب من استدلالاته، ومع ذلك يرفعون هذه الاستدلالات ويجعلونها فوق ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْبَقْبَاقِ النَّفَّاجِ).

"الْبَقْبَاقِ: الكثير الكلام، أخطأ أو أصاب"، وأما النَّفَّاخِ: فالذي يتمدح بما ليس فيه من

الانتفاخ، وهو الارتفاع، يقال: رجل نفاج، أي: دون فج، يقول بما لا يفعل، ويفخر بما ليس له ولا فيه، كما جاء في (**تاج العروس**).

(فَيُقَالُ لِهَذَا الْبَقْبَاقِ النَّفَّاجِ: إِنَّ اللهَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ، وَلَمْ يَحْتَمِلْهُ الْعَرْشُ عِظَمًا وَلَا قُوَّةً، وَلَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ احْتَمَلُوهُ بِقُوَّتِهِمْ، وَلَا اسْتَقَلُّوا بِعَرْشِهِ بِشِدَّةِ أَسْرِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ حَمَلُوهُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وتأييده، لَوْلَا ذَلِكَ مَا أطاقوا حمله.

وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ حِينَ حَمَلُوا الْعَرْشَ وَفَوْقَهُ الْجَبَّارُ فِي عِزَّتِهِ وَبَهَائِهِ، ضَعُفُوا عَنْ حَمْلِهِ وَاسْتَكَانُوا، وَجَثَوْا).

جثىٰ يجثوا.

(وَجَثَوْا عَلَىٰ رُكَبِهِمْ، حَتَّىٰ لُقِّنُوا "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ"، فَاسْتَقَلُّوا بِهِ بِقُدْرَةِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا اسْتَقَلَّ بِهِ الْعَرْشُ، وَلَا الْحَمَلَةُ، وَلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَلَا مَنْ فِيهِنَّ، وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَىٰ ظَهْرِ بَعُوضَةٍ فَاسْتَقَلَّتْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَكَيْفَ عَلَىٰ عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ؟!

وَكَيْفَ يُنْكِرُ أَيُّهَا النفاج أن عَرْشه يقلهُ والعرش أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ؟ وَلَوْ كَانَ الْعَرْشُ فِي السَّمَوَات وَالْأَرضين مَا وسعته، ولكنه فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُ هَذَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَفِي جَمِيعِ أَمْكِنَتِهَا، وَالْأَرْضُ دُونَ الْعَرْشِ فِي الْعَظَمَةِ وَالسَّعَةِ؟ فَكَيْفَ تُقِلُّهُ الْأَرْضُ فِي دَعْوَاكَ وَلَا يُقِلُّهُ الْعَرْشُ الَّذِي أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَوْسَعُ؟).

فهذا أولىٰ بالإنكار عليهم.

قال: (وَأَدْخِلْ هَذَا الْقِيَاس الَّذِي أَدْخَلْتَ عَلَيْنَا فِي عِظَمِ الْعَرْشِ وَصِغَرِهِ وَكِبَرِهِ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَعَلَىٰ أَصْحَابِكَ فِي الْأَرْضِ وَصِغَرِهَا، حَتَّىٰ تَسْتَدِلَّ عَلَىٰ جَهْلِكَ، وَتَفْطِنَ لِمَا تُورِدُ عَلَيْكَ حَصَائِدُ لِسَانِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحْتَجُّ بِشَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَآخِذٌ بِحَلْقِكَ.

وَقَدْ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّهُ قَالَ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاء حَمَلَة عَرْشه، فَقَالُوا: رَبنَا لما خَلَقْتَنَا؟ فَقَالَ: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي، قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ حمل عرشك، وعليه عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنِّي خَلَقْتُكُمْ لِذَلِكَ، قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيهِ عظمتك وَوَقَارُكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي، قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ مِرَارًا، قَالَ: فَقَالَ قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَحْمِلَكُمْ وَالْعَرْشَ قُوَّةُ اللهِ").

فـ "قوة" فاعل، "فَيَحْمِلَكُمْ وَالْعَرْشَ قُوَّةُ اللهِ"، وهذا الأثر أثر ضعيف، في سنده عبد الله بن صالح، وهو سيئ الحفظ.

قال: (أَفَلَا تَدْرِي أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لَمْ يَحْمِلُوا الْعَرْشَ وَمَنْ عَلَيْهِ بِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّةِ أَسْرِهِمْ إِلَّا بِقُوَّةِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ؟

وَقَدْ بَيَّنَّا لَكَ مَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِ الْعَرْشِ بِشَوَاهِدِهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَشَوَاهِدِهِ مِنْ مَعْقُولِ الْكَلَامِ، وَمِمَّا مَضَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، وَسَنَقُصُّ عَلَيْكَ فِيهِ من آثَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَأْثُورَةَ، وَأَخْبَارُهُ الْمَشْهُورَةَ، مَا لَوْ عَرَضْتَهَا عَلَىٰ قَلْبِكَ وَتَدَبَّرْتَ أَلْفَاظُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا عَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ مَا تَأَوَّلْتَهُ فِي تَفْسِيرِ الْعَرْشِ بَاطِلٌ.

حَدَّثَنَا مَحْبُوبُ بْنُ مُوسَىٰ الْأَنْطَاكِيُّ، أنبأنا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ مِحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالُوا: أَتَيْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، كَيْفَ كَانَ؟).

يعنون أمر السماوات والأرض، هذا الخلق، العالم المشاهد.

(كَيْفَ كَانَ؟، فقَالَ: «كَانَ اللهُ لم يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»).

وفي رواية رجّحها شيخ الإسلام ابن تيمية: «كَانَ اللهُ لم يَكُنْ شَيْء قبله».

(«وَكَانَ عَرْشُهُ علَىٰ الْمَاءِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»).

إلىٰ هنا انتهىٰ حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حديث ثابت في الصحيح، يزيد المُعطلة زيادة إلحادية، كما يُسميها شيخ الإسلام ابن تيمية، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ الله لم يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»، فيزيد المعطلة: **وهو الآن علىٰ ما كان عليه**، يريدون بذلك نفي الاستواء، والنزول، وغير ذلك من صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَهَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَرْشَهُ كَانَ عَلَىٰ الْمَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ، فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكْذِيبٌ لِدَعْوَاكَ وَإِبْطَالٌ لِتَأْوِيلِكَ.

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ، حدثنَا بِشْرُ بْنُ نمير، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَقَضَىٰ الْقَضِيَّةَ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ، وَعَرْشُهُ علىٰ المَاء»).

قبل أن ننتقل لهذا الحديث ذكر الجهمي الذي ناظر الإمام أحمد هذا الحديث، يحتج به علىٰ خلق القرآن، فحرَّفه، فذكر الحديث هكذا: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه علىٰ الماء، ثم خلق الذكر، قال: ثم خلق الذكر، الذكر يعني أراد بذلك القرآن، فرد عليه الإمام أحمد ذلك، وبيَّن أن هذا غلط، وإنما الذي قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكتب في الذكر كل شيء»، يعني اللوح المحفوظ.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ السَّهْمِيُّ، حدثنَا بِشْرُ بْنُ نمير، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، وَقَضَىٰ الْقَضِيَّةَ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ، وَعَرْشُهُ علىٰ المَاء»).

وهذا حديث ضعيف جدًا، في سنده بشر بن نُمير، وهو منكر الحديث، متروك، لا يُتابَع.

قال: **(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الْعَبْدِيُّ، أخبرنا سُفْيَان الثَّوْرِيّ، حدثَنَا أَبُو هَاشم، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "إِنَّ الله كَانَ علىٰ عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا")**.

وهذا أثر صحيح، "إِنَّ الله كَانَ علىٰ عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا".

وهذا فيه دلالة صريحة علىٰ أن العرش أول المخلوقات؛ لأنه قال: "قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا"، وله حكم الرفع؛ لأنه لا يُقال بالرأي.

قال: **(فَهَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ أَنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ، وَادَّعَيْتَ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ، تَكْذِيبًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَصْحَابِهِ)**.

المقطوع به عند أهل السنة والجماعة: أن أعلىٰ المخلوقات هو العرش، والدارمي يرد هاهنا علىٰ الجهمي المعطل قوله أن العرش أعلىٰ المخلوقات، كيف نجمع بينهما؟ جمعنا بينهما في الدرس الماضي، من يذكر؟ أهل السنة والجماعة متفقون علىٰ أن العرش سقف المخلوقات، هذا ما جاء في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ومنه تفجر أنهار الجنة»، صحيح؟

والدارمي هاهنا يرد علىٰ الجهمي المعطل أنه قال: إن العرش أعلىٰ المخلوقات، فكيف نجمع بين النفي والإثبات؟

قلنا: الذي أراده الجهمي المعطل من هذا القول: نفي كون العرش خلقًا مستقلًا فوق السماوات، بل هو آخر السماوات، العرش من السماء، وليس خلقًا مستقلًا استوىٰ الله عليه، فقال: إن العرش أعلىٰ المخلوقات أي: آخر السماوات، فهو جزء من السماوات، فقال: هذا كذب، وذكر الأدلة التي تبين التفريق بين السماوات وبين العرش، صحيح؟

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾[طه: ٥-٦]، ففرَّق بين السماوات وبين العرش.

في الدعاء كان يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم»، ففرَّق بين العرش وبين السماوات، إذًا العرش خلق مستقل عن خلق السماوات.

قال: (وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: "بَدْءُ الْخَلْقِ الْعَرْش".

قال: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "بَدْءُ الْخَلْقِ الْعَرْشُ وَالْمَاءُ".

قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدثنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمنْهَال، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ﴾[هود:٧]، **قَالَ: عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: على متن الرّيح).**

وهذا أثر صحيح، أي: كان الماء علىٰ متن الريح والعرش علىٰ الماء، كما جاء عند الذهبي في العرش، كان الماء علىٰ متن الريح، علىٰ ظهر الريح، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ولا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم.

قال: (**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ، حدثنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حدثنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عتبَة، وَجبير بن محمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ فَوْقَ أَرْضِهِ مِثْلُ الْقُبَّةِ -وَأَشَارَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِثْلَ الْقُبَّةِ- وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بالراكب**»).

وهذا حديث مُنكر لا يصح، وللإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ كلام في هذا الحديث ننقله للفائدة العقدية والحديثية.

قال الذهبي: "هذا حديث غريب جدًا، وابن إسحاق حجة في المغازي، إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أم لا، وأما الله عَزَّ وَجَلَّ فليس كمثله شيء، جل جلاله، وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره، والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذلك صفة للرحل والعرش، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عَزَّ وَجَلَّ ثم لفظ الأطيط لم يأتِ به نص ثابت، وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها وبما اتفق السلف علىٰ إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال واختلف العلماء في قبوله وتأويله فإنا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله، وهذا الحديث إنما سُقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالىٰ فوق عرشه، مما يُوافق آيات الكتاب".

وهذا يُبين لنا لماذا يذكر أهل السنة والجماعة بعض الأحاديث الضعيفة وقد تكون مُنكرة الإسناد وفي المتن بعض نكار في كتب الاعتقاد، لأن فيها ما هو صحيح من جهة المعنىٰ مما يؤيده الكتاب والسنة، ولذلك جاءوا بهذه الأحاديث.

ففي هذا الحديث قال: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ فَوْقَ أَرْضِهِ مِثْلُ الْقُبَّة»، كل هذا ثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما قوله: "وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بالراكب" هذا لا يثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يثبت صفةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال الحافظ بن كثير قال: "وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءًا في الرد علىٰ هذا الحديث، سماه (**بيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط**)"، واستفرغ وسعه في الطعن علىٰ محمد بن إسحاق بن يسار راويه، وذكر كلام الناس فيه." انتهىٰ من البداية والنهاية.

قال: (**وَهَذَا أَيُّهَا الْمُعَارِضُ نَاقِضٌ لِتَأْوِيلك أَنَّ الْعَرْشَ إِنَّمَا هُوَ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ، يَعْنِي السَّمَوَاتِ فَمَا دُونَهَا مِنَ السُّقُوفِ وَالْعُرُشِ وَأَعَالِي الْخَلَائِق، وَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**

يَقُول: أنه فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ، فَكَفَىٰ خَيْبَةً وخسارة بِرَجُل أَن يُضاد قَوْله قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُكذِّبَ دَعْوَاهُ.

قال: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسمِائَة عَام، وَبَين كل سمائين مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيّ خَمْسمِائَة عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ").

وهذا أثر صحيح ثابت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَفَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ ابْن مَسْعُود كَيفَ ميز بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَبَيْنَ السَّمَوَاتِ فَمَا دُونَهَا الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ الْخَلَائِقِ فِي دَعْوَاكَ وَسَمَّيْتَهَا عَرْشًا دون عرش الرَّحْمَن هُوَ الْعَرْشُ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْعَالَمِينَ.

قال: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حدثنا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ وَهُوَ الْمُكْتِبُ، حدثنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خلق أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ).

أما سائر الخلائق قال لها: كن فكانت.

(الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ كُنْ فَكَانَ).

وهذا تشريف لهذه المخلوقات.

قال: وفي قول ابن عمر خلق الله العرش بيده ثم قال لسائر الخلق: كن فكان، (تَكْذِيبًا لِمَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، إِذْ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ خُصُوصًا ثُمَّ قَالَ لِمَا هُوَ أَعْلَىٰ الْخَلَائِقِ عِنْدَكَ: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾[فصلت:١١]، وَإِذَا كَانَ الْعَرْشُ فِي دَعْوَاكَ إِمَامِكَ: السَّمَوَاتِ، فَمَا بَالُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَا يُصْنَعُ بِهِمْ فِي رَفْعِ السَّمَوَاتِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ

السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد:٢]؟).

قال: (﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد:٢]، فَفِي مَعْرِفَةِ النَّاسِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ واستفاضته فيهم وعلىٰ ألستنهم تَكْذِيبُ دَعْوَاكَ وَدَعْوَىٰ صَاحِبِكَ، ثُمَّ مَا ورىٰ فِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ سَنَذْكُرُ مِنْهَا بَعْضَ مَا حَضَرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ).

ذكر المصنف بعد ذلك الأحاديث والآثار الواردة في ذلك عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال المصنف: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسمِائَةِ عَامٍ، وَبَين كل سمائين مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيّ خَمْسمِائَة عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ").

والشاهد في هذا الأثر: أنه أثبت عرش الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأن الله مُستوٍ عليه فوقه.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَفَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ ابْن مَسْعُود كَيفَ ميز بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَبَيْنَ السَّمَوَاتِ فَمَا دُونَهَا الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ الْخَلَائِقِ فِي دَعْوَاكَ وَسَمَّيْتَهَا عَرْشًا، وعرش الرَّحْمَن الذي هُوَ الْعَرْشُ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْعَالَمِينَ).

وقد ذكرنا قبل ذلك أن أهل العلم اختلفوا في معنىٰ الكرسي، فمنهم من ذهب إلىٰ أن الكرسي هو العرش، وهذا قول ضعيف؛ لتفريق النصوص بينهما.

ومنهم من ذهب إلىٰ أن الكرسي بمعنىٰ: العلم، وهذا قول كذلك وإن كان قال به بعض أهل السنة إلا أنه قول ضعيف، لا يثبت لا من جهة اللغة ولا من جهة الأثر عن النبي وصحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والصحيح: التمييز بين الكرسي والعرش، فليس الكرسي هو العرش، وليس العرش كذلك أعلىٰ المخلوقات بالمعنىٰ الذي يُريده الجهمي، يُريد أنه آخر السماوات، ليس خلقًا مستقلًا عن خلق السماوات، والذي جاءت به النصوص: أنه خلق مستقل، له أركان، وتحمله الملائكة، وقد استوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، وهو سقف المخلوقات، وأعلىٰ المخلوقات، كل ذلك جاءت به النصوص.

قال: (**حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حدثنا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ وَهُوَ الْمُكْتِبُ، حدثنا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بن عمر: "خلق أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ كُنْ فَكَانَ"**).

أما خلق آدم فقد جاء ذلك في القرآن، ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، وكذلك جنة عدن، جاء ذكرها في حديث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأل موسىٰ ربه عن أعلىٰ أهل الجنة منزلة، فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**».

أما القلم والعرش: فجاء ذكرهما في هذا الأثر عن عبد الله بن عمر، ومثله لا يُقال بالرأي، فإن كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا من الآخذين عن أهل الكتاب فيُقال: إن هذا مما أُخذ عن أهل الكتاب، وإن لم يكن كذلك فهو في حكم المرفوع، أو المرفوع حكمًا.

وأما سائر الخلائق: فقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لها: كن فكانت.

قال: وفي قول ابن عمر: خلق الله العرش بيده ثم قال لسائر الخلق كن فكان قال: (**تَكْذِيب لِمَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، إِذْ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ خُصُوصًا، ثُمَّ قَالَ لِمَا هُوَ أَعْلَىٰ الْخَلَائِقِ عِنْدَكَ: ﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾**[فصلت:١١]).

والله عَزَّوَجَلَّ قال ذلك وأجابته السموات والأرض حقا، وهذا مما يصرفه المتكلمون

للمجاز كذلك كما في تفسير الكشاف ومفاتيح الغيب. فالحديث هاهنا كذلك أو الأثر ذكر العرش مستقلًا عن خلق السماوات.

ثم إن هذا الأثر فيه رد علىٰ من أوَّل اليد بمعنىٰ القدرة، أو النعمة، أو غير ذلك، لأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق كل الأشياء بقدرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فلماذا خص هذه الأشياء في هذا الأثر؟ ففيه الرد علىٰ الأشعرية، والمعتزلة، والذين حرفوا معنىٰ اليد.

قال: (وَإِذَا كَانَ الْعَرْشُ فِي دَعْوَاكَ ودعوىٰ إِمَامِكَ السَّمَوَاتِ).

فالمريسي يجعل العرش جزءًا من السموات!

(فَمَا بَالُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَا يُصْنَعُ بِهِمْ فِي رَفْعِ السَّمَوَاتِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد:٢]).

قال: وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وهذا من بديع جمع المصنف للآيات للرد علىٰ المريسي.

قال: (فَفِي مَعْرِفَةِ النَّاسِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ واستفاضته فيهم وعَلىٰ ألستنهم تَكْذِيبُ دَعْوَاكَ وَدَعْوَىٰ صَاحِبِكَ، ثُمَّ مَا ورىٰ فِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ سَنَذْكُرُ مِنْهَا بَعْضَ مَا حَضَرَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ).

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حدثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْعَبَّاس بن عبد الْمطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ -يعني جماعة- فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السَّمَوَاتِ، حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، قَالَ: وَفَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ).



الأوعال: مفردها: وعل، وهو تيس الجبل.

قال: (مَا بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ السَّمَاءِ).

الظلف: هو الحافر.

قال: (وَعَلَىٰ ظُهُورِهِمْ الْعَرْش، أَسْفَله وَأَعلاهُ ما بين السَّمَاءِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ اللهُ فَوق ذَلِك).

وهذا هو الشاهد في الحديث، وفيه قوله كذلك: "وَعَلَىٰ ظُهُورِهِمْ الْعَرْش"، فيه إثبات العرش.

وهذا الحديث اختلف أهل العلم في تصحيحه وتضعيفه، فممن صححه: ابن تيمية وابن القيم، وممن ضعَّفه: ابن الجوزي وابن عدي والعقيلي، وآخرهم العلامة الألباني في أكثر من موضع، ولعل الراجح أن الحديث ضعيف لا يصح، لكن سبق قول الإمام الذهبي في العلة التي من أجلها يأتي المُحدثون وكذلك المُصنفون في كتب الاعتقاد بمثل هذه الأحاديث بأسانيدها.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثَنَا حَمَّادُ -وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ- عَنْ أَبِي عَبْدِ السَّلَامِ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْفِهْرِيِّ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهارٌ، نُورُ السَّمَوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ، وَإِن مِقْدَارَ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ عِنْدَهُ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ بِالْأَمْسِ أَوَّلَ النَّهَارِ الْيَوْمَ، فَيَنْظُرُ فِيهَا ثَلَاثَ سَاعَاتٍ، فَيَطَّلِعُ فِيهَا عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ، فيُغضبه ذَلِكَ، فَأَوَّلُ مَنْ يَعْلَمُ بِغَضَبِهِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَجِدُونَهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ -يعني العرش- فَيُسَبِّحُهُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَسُرَادِقَاتُ الْعَرْشِ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَسَائِرُ الْمَلَائِكَةِ").

وهذا أثر حكم عليه المحقق بالنكارة، فقال: هذا أثر مُنكر، لا يصح، لكن فيه ما يشهد له

الأحاديث والآثار الصحيحة، ففيه إثبات العرش، وفيه إثبات حملة العرش، وفيه إثبات الصفات الفعلية، كالغضب، لأنه جاء فيه: قال: "فَيَطَّلِعُ فِيهَا عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ، فيُغضبه ذَلِكَ"، فالغضب: صفة فعلية تتعلق بسبب ومشيئة.

قال: **(حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بن زيد، عَن يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ قُرُونٌ لَهَا كُعُوبٌ ككعوب القنا)**.

القنا: الرمح.

(ما بين أَخْمَصِ أَحَدِهِمْ إِلَىٰ كَعْبِهِ مَسِيرَةُ خَمْسمِائَة عَامٍ، وَمِنْ كَعْبِهِ إِلَىٰ رُكْبَتِهِ مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَمِنْ رُكْبَتِهِ إِلَىٰ أَرْنَبَتِهِ مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَمِنْ أَرْنَبَتِهِ إِلَىٰ تُرْقُوَتِهِ مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَمِنْ تُرْقُوَتِهِ إِلَىٰ مَوْضِعِ القرط خَمْسمِائَة عَام).

وهذا أثر ضعيف، قال المحقق في الحاشية قال: "فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف"، وفي سياقاته نكارة شديدة، كما قال الحافظ بن كثير.

قال: **(ويُغني عنه)**.

أي عن هذا الأثر.

(ما أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش، والبيهقي في الصفات، من طريق يزيد بن الأصم، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلىٰ أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، وزعموا أن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب، وهذا إسناده علىٰ شرط مسلم).

هذا الأثر من قول عبد الله بن عباس، وقد كان ينهىٰ عن الأخذ عن أهل الكتاب، يقول فيه: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلىٰ أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، وزعموا أن



خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب.

هو صحيح الإسناد إلىٰ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال: (**حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنا حَمَّادٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: "حَمَلَةُ الْعَرْشِ مِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ النِّسْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الثَّوْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْأَسَدِ"**).

وهذا أثر صحيح إلىٰ عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان أمية بن أبي الصلت يقول في أبيات مشهورة عنه، جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُرددها، لكنهم اختلفوا في صحة وضعف المرفوع إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقًا يُردد هذه الأبيات أم أن الإسناد لا يصح؟ فكان أمية يقول في حملة العرش يقول:

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر الأخرىٰ وليث مُرصد

"رجل وثور"، وفي هذا الأثر يقول: "حَمَلَةُ الْعَرْشِ مِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ النِّسْرِ"، وفي بيت الشعر قال: "والنسر الأخرىٰ".

قال: "وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الثَّوْرِ"، البيت يقول: "رجل وثور".

قال: "وَمِنْهُمْ مَنْ صُورَتُهُ عَلَىٰ صُورَةِ الْأَسَدِ"، قال: "وليث مُرصد"، لكنه كما قلنا: صحيح إلىٰ عروة.

قال الشيخ محمد بن خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الأثر: قال: "لم يرد في هذا حديث صحيح"، ولعل هشامًا أخذه من كعب الأحبار أو غيره من مسلمة أهل الكتاب.

لكن الشاهد فيه: إثبات العرش، وإثبات حملة العرش.

قال: (**حَدَّثنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، حدثنَا إِسْحَاق بن مَنْصُور السَّلُولي، عن إسرائيل، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ إِسْحَاقَ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: **رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ السفلىٰ، وَالْعَرْشُ عَلَىٰ مِنْكَبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ أَنْتَ**»).

«**أَيْنَ أَنْتَ**» بمعنىٰ: حيث أنت، أين هنا بمعنىٰ: حيث، وليست للاستفهام.

قال: «**أَوْ حَيْثُ تَكُونُ**».

وهذا حديث صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ**»، يعني من حملة العرش، «**قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ السفلىٰ**».

وجاء في بعض الروايات: «**إن الله أذن لي أن أُحدِّث عن ديك قد مرقت رجلاه في الأرض، وعنقه مُنثنية تحت العرش**»، يعني رجلاه في الأرض وعنقه تحت العرش، وهذا خلق من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «**وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، قال: فيرد عليه ربنا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يقول: لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا**»، وهذا كذلك حديث ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجه الحاكم في مستدركه.

الشاهد فيه أنه قال: «**وَالْعَرْشُ عَلَىٰ مِنْكَبِهِ**»، ففيه: إثبات العرش، وفيه عظم خلق الملائكة، وأنهم ليسوا علىٰ صورة واحدة، وفيه كذلك عظم ذنب الحلف كاذبًا، وأن من وقع في ذلك فلعدم تعظيمه لله تعالىٰ كما ينبغي له.

قال: (**حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّقِّيُّ أَبُو الْحسن السكري، حدثنَا شَرِيكٌ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧] **قَالَ: ثَمَانِيَةُ أَمْلَاكٍ**



عَلَىٰ صُورَةِ الأوعال).

وهذا حديث ضعيف، لكن هذا الكلام جاء في تفسير هذه الآية عن جمع من المفسرين.

قال: (حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَىٰ الْبَغْدَادِيُّ، حدثنا الْهِقْلُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ، أَقْدَامُهُمْ فِي الْأَرْض ورؤوسهم قَدْ جَاوَزَتِ السَّمَاءَ، وَقُرُونُهُمْ مِثْلُ طولهم، عَلَيْهَا الْعَرْش).

وهذا أثر صحيح إلىٰ حسان بن عطية التابعي الجليل.

لكن اختلف العلماء في حملة العرش، هو قال: حملة العرش ثمانية، هل هم ثمانية الآن وثمانية كذلك يوم القيامة؟ أم أنهم أربعة الآن وثمانية يوم القيامة؟ لأن الآية في سورة الحاقة قالت: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة.

وجاء في كلام بعض التابعين كعروة وفي الحديث الذي صححه بعض أهل العلم عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن حملة العرش أربعة، فالجمهور علىٰ أنهم أربعة الآن وثمانية يوم القيامة، وأما من لم يُصحح الحديث إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: هم ثمانية كما جاء في القرآن.

قال: (حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْحَرَّانِيُّ، حدثنا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ رَجُلٍ سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفَعَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَعلَىٰ غرفَة من جَنَّاتِ النَّعِيم، لَيْسَ فَوْقِي إِلَّا حَمَلَةُ الْعَرْشِ»).

وهذا حديث ضعيف، فيه عبد الله بن لهيعة وهو سيئ الحفظ، وفيه كذلك رجل مبهم، والشاهد فيه ذكر العرش وحملته.

قال: (وَفِي الْعَرْشِ وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ

وَالتَّابِعِينَ، اخْتَصَرْنَا مِنْهَا هَذِهِ الْأَحَادِيث، لِيَعْلَمَ مَنْ نَظَرَ فِيهَا مخالفتكم رَسُول الله وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُؤْمِنْ بِهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، فَقَدْ آمَنَ بِهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَطْيَبُ، وَاعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ أَلزم لَهُمْ وَأَصَحُّ عِنْدَ اللهِ).

أي أنَّ من آمن بالعرش وحملة العرش، وبالآثار الواردة في ذلك، هذا ألزم لهم وأسلم له عند الله.

(مِمَّا يَرْوِي الْمَرِيسِيُّ وَابْنُ الثَّلْجِيِّ مِنْ خُرَافَاتِهِمْ وَتُرَّهَاتِهِمُ، الَّتِي لَا تَنْقَاسُ فِي كِتَابٍ، وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا فِي شَيْءٍ من لُغَات الْعَرَب والعجم.

ثم قال: وَادَّعَيْتَ أَيْضًا عَلَىٰ قَوْمٍ أَعْلَمَ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْكَ وَمِنْ أَصْحَابِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: عِلْمُ اللهِ غَيْرُهُ، وَالْعِلْمُ بِمَعْزِلٍ مِنْهُ، الْعَالِمُ فِي السَّمَاء وَالْعلم فِي الأربض مِنْهُ بِمَعْزِلٍ).

ادعىٰ أن جماعة من أهل السنة يقولون: علم الله غيره، صفات الله غير الله، بائنة منفصلة عن الله، فالعالم -هكذا يحكي عن أهل السنة ويكذب عليهم- فالعالم في السماء، وأما علمه فبائن منفصل عنه في الأرض.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْبَاهِتِ: مِثْلُ هَذَا لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا جَاهِلٌ مِثْلُكَ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَهُ عَلَىٰ مَعْنًىٰ لَا يَتَوَجَّهُ لَهُ أَمْثَالُكَ).

(يَقُولُونَ: الْعَالِمُ بِكَمَالِهِ وبجميع علمه فَوق عَرْشه).

فالله عَزَّوَجَلَّ بذاته، بصفاته، فوق العرش سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَعَمله غَيْرُ بَائِنٍ مِنْهُ).

لماذا؟ لأن العلم كسائر الصفات، والصفات لا يُتصوَر أن تقوم بنفسها، وإنما تقوم

بالموصوف بها، لا تفك عن ذات الموصوف، فالله عَزَّوَجَلَّ موصوف بصفات الكمال، وهو متصف بهذه الصفات، وهي غير بائنة عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال: (الْعَالِمُ بِكَمَالِهِ وبجميع علمه فَوق عَرْشه، وَعَمله غَيْرُ بَائِنٍ مِنْهُ، يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ الَّذِي فِي نَفْسِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، عَلَىٰ بُعْدِ مَسَافَةِ مَا بَيْنَهُنَّ، فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ: إِنَّ عِلْمَهُ فِي الْأَرْضِ عَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ، لا عَلَىٰ مَا ادَّعَيْتَ).

هذا معنىٰ قول أهل السنة إن علمه في الأرض، هو فوق العرش بعلمه ويعلم ما في السماوات وما في الأرض.

قال: (لَا عَلَىٰ مَا ادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الزُّورِ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَنْزُوعٌ مِنْهُ مُجَسَّمٌ فِي الْأَرْضِ، إِذ هُمْ فِي الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ مِثْلُكَ، وَمِثْلُ أَئِمَّتِكَ الْمَرِيسِيِّ وَابْنِ الثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ.

وَادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ مِنْ صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ، وَالْكَلَامُ هُوَ الْفِعْلُ بِزَعْمِكَ، وَزَعْمِ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ مِنَ الذَّاتِ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا مَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَلِكَ فَسَنُبَيِّنُهُ لَكَ، وَإِنْ جَهِلْتَ غَيْرَ أَنَّكَ تَرَدَّدْتَ وَرَاوَغْتَ وَوَالَسْتَ وَدَالَسْتَ).

ووالست من الولس، وهو الخيانة والفضيحة.

(وَدَالَسْتَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَىٰ، كَيْفَ تُصَرِّحُ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؟ فَلَمْ تَزَلْ عندك وَدُونَكَ تُلَجْلِجُ بِهَا فِي صَدْرِكَ حَتَّىٰ صَرَّحْتَ، بِهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِعْلٌ، وَالْفِعْلُ عِنْدَكَ مَخْلُوقٌ وَلَا شَكَّ فِيهِ.

وَأَمَّا دَعْوَاكَ عَلَيْنَا أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ مِنْ صِفَاتِهِ، فَإِنَّا نَقُولُ عَلَانِيَةً غَيْرَ سِرٍّ، وَهُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ مَخْلُوقًا، وَكُلُّ كَلَامٍ صِفَةُ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ بِهِ، خَالِقٍ أَوْ مَخْلُوقٍ).

قوله (وَكُلُّ كَلَامٍ صِفَةُ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ بِهِ)أي لو أن الله تكلم فالكلام صفته، فالخالق غير مخلوق، فكذلك صفته غير مخلوقة.

أما إذا تكلم حسام أو أحمد بهذا الكلام، فكلام حسام المنسوب إليه صفته، فإذا كان حسام مخلوقًا فصفته وكلامه كذلك مخلوق.

(غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ مِنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ سَائِرُ الصِّفَاتِ).

لأن الفرق بين الصفة والصفة كالفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق، نعم.

قال: (مِنَ الْيَدِ، وَالْوَجْهِ، وَالنَّفْسِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي إِذَا بَانَتْ مِنَ الْمَوْصُوفِ وَاسْتَبَانَ مَكَانُهَا مِنْهُ قَامَ الْبَائِنُ مِنْهُ بِعَيْنِهِ فِي مَكَانٍ آخَرَ؛ لِأَنَّكَ تَرَىٰ الْمُتَكَلِّمَ مِنَ النَّاسِ يَتَكَلَّمُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ، وَكَلَامُهُ يَخْرُجُ مِنْهُ وَصْفًا، لَا يَنْقُصُ مِنْ كَلَامِهِ شَيْءٌ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ، كأنه مَتَىٰ شَاءَ عَادَ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا الْكَلَامُ يَقُومُ بِعَيْنِهِ جِسْمًا يُرَىٰ).

أي ليس بائنًا عنه.

(وَيُنْظَرُ إِلَيْهِ دُونَهُ، وَيُنْشَرُ كَلَامُهُ فِي الآفَاقِ عَلَىٰ لِسَانِ غَيْرِهِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، كَمَا يُنسِبُ الْيَوْمَ أَشْعَارَ الشُّعَرَاءِ فَيُقَالُ: شعر لبيد، والأعشىٰ، وَلَوْ قَطَعْتَ يَدَهُ لَاسْتَبَانَ مَوْضِعُ قطعه مِنْهُ، واستبان المقطوع فِي مَكَانٍ آخَرَ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْكَلَامَ لَهُ حَالٌ خِلَافُ حَالِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْأُخَرِ، لَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا يُشَكُّ فِيهَا أَنَّهَا صِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُ خَرَجَ).

ولذلك أهل السنة يقولون في عقيدتهم عن الكلام: أنه منه بدأ وإليه يعود، يعني خرج من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكان بدء الكلام من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وبلغه جبريل إلىٰ محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد أن سمعه من الله، وليس كما يقول أصحاب الكلام النفساني ممن يؤول قولهم للقول بخلق القرآن، بل بعض الأشعرية صرَّح ألا فرق بين مذهبهم ومذهب المعتزلة في مسألة الكلام.

قال: (**وَأَمَّا قَوْلُكَ: كَلَامُ اللهِ فِعْلُهُ، فَقَدْ صَرَّحْتَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَادَّعَيْتَ أَنَّ أَفَاعِيلَ اللهِ زَائِلَةٌ عَنْهُ مَخْلُوقَةٌ، وَالْكَلَامُ أَحَدُ أفاعيله عِنْدَكَ، فَقُلْتَ فِيهِ قَوْلًا أَفْحَشَ مِمَّا قَالَ إِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ**).

الجهمية يجعلون الفعل (المصدر المضاف لله تعالىٰ) هو المفعول

أي أثر ذلك الفعل فلا يُثبتون لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ صفة الخلق، ولا صفة الكلام، ولا كل الصفات الفعلية التي هي قديمة النوع حادثة الآحاد، لا يجعلون هذه الصفات تقوم بذات الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يجعلون الصفات الفعلية الاختيارية تقوم بذات الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للقاعدة عندهم: أن هذا يُفيد الحدوث والتغير، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، مع أنك لو تأملت هذه الجملة في اتصاف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بما يُسمونه بالحوادث لوجدت أن ذلك من لوازم الألوهية والربوبية، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، لأن ذلك يعني أنه فعال لما يريد، يخلق خلقًا بعد خلق، ويتكلم، وله تخصيص في إراداته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩].

هذا من لوازم الربوبية ومن لوازم الألوهية، فالدليل الذي استدلوا به يُرد به عليه، لكنهم لما جعلوا هذا الدليل أصلًا في إثبات حدوث العالم وعدم قِدمه سحبوا هذه القاعدة وهو دليل باطل، سحبوا هذه القاعدة حتىٰ جعلوا ذلك سبيلًا وطريقًا لنفي صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فهم يقولون: إن الفعل هو المفعول، أي أن الله عَزَّوَجَلَّ ليس من صفاته الخلق، وليس من صفاته الكلام.

ولذلك لما ناظر عبد العزيز الكناني بشرًا المريسي أمام المأمون، قال له بشر المريسي: لا تُناظرني لا بكتاب ولا بسنة، ولكن ناظرني بالقياسات وبالكلام، وبالمعقول، وأهل السنة كانوا أذكياء، وما زالوا إن شاء الله فقال له: أفعَل، تسأل أم أسأل؟ فقال له المريسي: سل أنت، يظن أنه يُحرجه بذلك، وأن كل سؤال يسأله عبد العزيز الكناني عنده إجابة له، فهم

أهل المعقولات كما يقولون.

فقال له عبد العزيز الكناني: تزعم أن كلام الله مخلوق، طيب، هل هذا المخلوق خلقه الله في ذاته؟ أم خلقه في غيره؟ أم خلقه بائنًا مستقلًا عن غيره؟ هذه القسمة لا رابع لها. هذا الكلام المخلوق خلقه الله في ذاته أم خلقه في غيره كما يقولون: إن الشجرة هي التي قالت: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِيْ﴾[طه: ١٤]؟ أم خلقه بائنًا مستقلًا؟ فسكت المريسي، فقال له: أجل، قال: أقول: إنه مخلوق.

قال له المأمون: أجل، يقول المريسي: قد أجبتك، قال المأمون: أنت ما أجبته، ما اخترت واحدة من الثلاث التي قالها، ولم يستطع، لأنه لو قال: خلقه في ذاته كفر، كيف يجعل المخلوق حالًا في ذات الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ! ولو قال: خلقه بائنًا مستقلًا فهذا لا يقبله العقل، كيف لصفة كصفة الكلام تقوم بذاتها؟! ولو قال: خلقه في غيره لصار هذا الكلام كلام غيره وليس كلام الله، كما قال هاهنا الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال في هذه الجملة التي سألتكم عن فهمها "وكلُّ كلامٍ صفةُ كل متكلم به خالق أو مخلوق."

فقال: "ولو قال: خلقه في غيره لكان هذا الكلام صفة غيره، ولكان كل كلام في الكون كلام الله، ومنه الفحش، والبذاءة، ولمَاَ خطَّأ وكفَّر ربُنا فرعونَ لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾[النازعات: ٢٤]" لأن هذا كلام خلقه الله في غيره، فلماذا يكفر فرعون فلم يستطع أن يُجيب.

ونفس القسمة موجودة في﴿أَمْ خُلِقُوْا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُوْنَ﴾[الطور: ٣٥]، وهذا فيه رد علىٰ من يقول إن القرآن ليس فيه براهين عقلية، وإن أهل السنة كانوا جاهلين بالعقليات.

فالشاهد: أنهم يقولون: إن القرآن مخلوق، مخلوق أي مفعول، ومجعول، ليس فعلًا لله،

يعني لم يتكلم الله به، لا يُثبتون صفة الخلق كصفة متجددة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديمة النوع حادثة في الآحاد، لأن ذلك يترتب عليه القول بحوادث تتجدد وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فهؤلاء يجعلون الفعل المنسوب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في القرآن هو المفعول.

يعني مثلًا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر: ٥٧]، ما المراد بقوله: خلق؟ الإضافة إضافة تشريف عندهم، كل إضافة للفعل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن ليست إضافة خلق كصفة، ولكنها إضافة تشريف، ليه؟ لأنه لو أثبت خلق للسماوات بعد أن لم يكن فهذا فيه تجدد الفعل وتجدد الحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

ولذلك قال هاهنا: **(وَأَمَّا قَوْلُكَ: كَلَامُ اللهِ فِعْلُهُ)**، نحن نعلم إن كلام الله فعل، لأن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم، يعني يفعل، لكن المريسي ما أراد ذلك، إنما أراد أنه منسوب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومُضاف إليه إضافة تشريف، فيجعل الفعل بمعنىٰ المفعول، وهو المخلوق.

قال: **(فَقَدْ صَرَّحْتَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَادَّعَيْتَ أَنَّ أَفَاعِيلَ اللهِ زَائِلَةٌ عَنْهُ مَخْلُوقَةٌ)**.

يعني زائلة عنه يعني ليست صفة من صفاته، لكن بائنة.

(وَالْكَلَامُ أَحَدُ أفاعيله عِنْدَكَ، فَقُلْتَ فِيهِ قَوْلًا أَفْحَشَ مِمَّا قَالَ إِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ).

أهل السنة والجماعة يقولون: إن الخلق كصفة فعل قائم بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيْمُ القَدِيْرُ﴾[الروم: ٥٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مثله مثل الرزق كذلك، يرزق ما يشاء ومن يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإحياء، الإماتة، والمخلوق: هو الفعل المنفصل عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(وزَعَمَ المريسي أنه مجعول)**.

ستأتي شبهات المعتزلة كلها عن القرآن بعد هذا الباب، لأنه سيعود بعد هذا الكلام إلىٰ الكلام عن الكرسي والعرش مرة أخرىٰ.

قال: (وزَعَمَ المريسي أنه مجعول، وكل مجعُولٍ مَخْلُوقٌ، وَزَعَمْتَ أَنْتَ أَنَّهُ مَفْعُولٌ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مَفْعُولٌ، وَأَنْتُمَا وَإِنِ اخْتَلَفَتْ مِنْكُمَا الْأَلْفَاظُ فَإِنَّ الْمَعْنَىٰ فِيهِ مِنْكُمَا مُتَّفِقٌ، كَمَا اتَّفَقَ الْقَوْلُ مِنْ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُشْرِكِ الْمَخْزُومِيِّ أَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥]، وَكَذَا الَّذِي قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾[ص:٧]، فَزَعَمَ إِمَامُكَ أَنَّهُ مَجْعُولٌ، وَزَعَمْتَ أنت أَنَّهُ مَفْعُولٌ، فَاتَّفَقَتِ الْمَعَانِي، وَاخْتَلَفَتِ الْأَلْفَاظُ مِنْكُمَا جَمِيعًا، وَلَئِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَهْلِ مِنْ مُرَادِكُمْ فِي شكّ إِن أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْكُمْ لَعَلَىٰ يَقِينٍ، فَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللهِ لِمَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْكَ أَنْ صَرَّحْتَ بِالْمَخْلُوقِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ وَانْقِبَاضٍ مِنْهُ، مَخَافَةَ الْفَضِيحَةِ، حَتَّىٰ صَرَّحْتَ بِهَا، فَاسْتَدَلُّوا عَلَىٰ مَذْهَبِكَ لِيَحْذَرُوا مِثْلَهَا مِنْ زلاتك ويجتنبوا أَخَوَاتِهَا مِنْ سَقَطَاتِكَ، ثُمَّ صَرَّحْتَ بِهَا ثَانِيَةً فِي آخِرِ كِتَابِكَ، فَادَّعَيْتَ أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَقَدْ جَاءَ بِالْكُفْرِ عيَانًا، أَو لم تَزْعُمْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ هَذَا أَنَّ مَنْ قَالَ القرآن مخلوق فهو كافر).

أراد هنا ذكر قول الجهمي: من زاد علىٰ وصف القرآن علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، هو في بداية الكلام قال: من زاد فهو مبتدع، وهنا يقول: من قال: القرآن غير مخلوق فقد جاء بالكفر.

قال: (أَنَّ مَنْ قَالَ القرآن مخلوق فهو كافر، فَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَافِرًا عِنْدَكَ، إِنَّ الَّذِي يَقُولُ: مَخْلُوق مُؤمن مرفق، فلم تنسبه إلىٰ البدعة وهو في دعواك موفق مصيب؟ وَلَكِنَّكَ مَوَّهْتَ بِالْأَوَّلِ لِئَلَّا يَفْطِنَ الْجُهَّالُ مِنْكَ الْأُخْرَىٰ، وَقَدْ صَرَّحْتَ وَأَوْضَحْتَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ حَتَّىٰ لَمْ تَدَعْ لِمُتَأَوِّلٍ عَلَيْكَ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ.

وَصَرَّحْتَ أَيْضًا بِمَذْهَبٍ كَبِيرٍ فَاحِشٍ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، فَقُلْتَ: إِذَا قَالُوا لَنَا: أَيْنَ اللهُ؟ فَإِنَّا لَا نَقُولُ بِالْأَيْنِيَّةِ بِحُلُولِ الْمَكَانِ، إذا قِيلَ: أَيْنَ هُوَ؟ قِيلَ: عَلَىٰ الْعَرْشِ وَفِي السَّمَاءِ.

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: مَا أَبْقَيْتَ غَايَةً فِي نفي استواء الله علىٰ الْعَرْشِ وَاسْتِوَائِهِ إِلَىٰ

السَّمَاءِ، إِذْ قُلْتَ: لَا نَقُولُ: إِنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَفِي السَّمَاءِ بِالْأَيْنِيَّةِ).

أي لا نُثبت هذه اللفظة "أين" التي قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الدارمي: (وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ إِلَهَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، فَإِنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ، وَيَقْصِدُ بِعِبَادَتِهِ إِلَىٰ إِلَهٍ فِي الْأَرْضِ، وَمَنْ قَصَدَ بِعِبَادَتِهِ إِلَىٰ إِلَهٍ فِي الْأَرْضِ كَانَ كَعَابِدِ وَثَنٍ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَالْأَوْثَانُ فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ لِجِبْرِيلَ: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير:٢٠-٢١] فَفِي قَوْلِهِ "ثَمَّ").

ما معنىٰ "ثَمَّ"؟ ظرف مكان بمعنىٰ: هناك، قال: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، يعني هناك عند العرش.

قال: (فَفِي قَوْلِهِ "ثَمَّ" دَلِيلٌ عَلَىٰ الْبَيْنُونَةِ وَالْحَدِّ).

لأنها تدل علىٰ المكان. يا لدقة الدارمي في الاستنباط رَحِمَهُ اللَّهُ.

(بِقَوْلِهِ: "ثَمَّ" لَا هَاهُنَا فِي الْكُنُفِ وَالْمَرَاحِيضِ كَمَا ادَّعَيْتُمْ.

وَإِنْ أَبَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنْ تُؤَيِّنَ اللهَ تَعَالَىٰ وَتُقِرَّ بِهِ أَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَلَا ضَيْرَ عَلَىٰ مَنْ أَيَّنَهُ، إِذْ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ- قَدْ أَيَّنَهُ فَقَالَ لِلْأَمَةِ السَّوْدَاءِ: «أَيْنَ اللهُ؟»).

ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كيف رد المتكلمون حديث الجارية

المتكلمون الذين يُثبتون هذا الحديث ماذا يقولون؟ يقولون: إنما خاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جارية، لا تفقه شيئًا في هذه المعقولات، فقال لها: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، -واللهِ يقولون هذا الكلام، ويلقن لمن يدرسون المذهب الأشعري في معاهده

وجامعاته-، بعض طلاب الجامعات قالوا: كان الدكاترة يقولون لنا هذا الكلام، يعني النبي ﷺ لم يرد عليها ولم يُحاججها ولم يُجادلها لأنها جارية لا تفقه شيئًا، قال: «أين الله؟» قالت: في السماء، طيب هي سمعت كلمة "الله" يتعلم أن هناك إلها، خلاص عديها، مش مشكلة. هكذا يظنون بالنبي ﷺ؛ ما يُحسن سؤالها؟!

وهناك رواية أنها كانت بكماء لا تتكلم وأشارت، لكن هذه رواية ضعيفة عن أبي هريرة، إنما حديث الحكم السلمي هذا في صحيح مسلم.

فمثل هذه الجارية كما في كلام الجويني، و الغزالي، وابن رشد وكلام الفلاسفة لا يصلح لها إلا الإقرار علىٰ ظاهر الشرع وإن لم يكن الحق فيه!!، يقولون: إن هذه البراهين التي جاءت في القرآن تصلح للعوام، والعوام في كتبهم في كتب الفلاسفة، والمتكلمين يُسمونهم بالجمهور، لا تُفسَّر لهم، ويتركون هكذا، يعتقدون ما يعتقدون، وإن اعتقدوا التجسيم، هكذا يقولون، ففي كتبهم، أن العامي الذي يعتقد أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له يدٌ وسمع وبصر وقدم هذا مجسم وقع في التجسيم، لكن اتركوه حتىٰ لا تفتنوه، لكن نحن أهل التحقيق؛ المُفوِّضة والجهمية والمُعطلة هؤلاء هم أهل التحقيق!

ولذلك صرح بعضهم بلسانه، وبعضهم بحاله، أن الأنبياء رسل العوام، وأن الحكماء رسل الخاصة من أهل التحقيق. مَنْ الحكماء؟ الحكماء بالنسبة للغزالي: الصوفية، أهل الذوق، وبالنسبة لابن رشد: الفلاسفة والمحققون، وابن سينا، ومن كان علىٰ شاكلتهم، إن هؤلاء أنبياء العقلاء، فالأنبياء عندهم رسلٌ للعوام، وأما الفلاسفة فهم رسل أهل التحقيق.

ولذلك بعض الناس يُفتَن أحيانًا فإذا ذكرت له أنَّ المتكلمين أعطوا ظهورهم للسمع للكتاب والسنة، يقول: أين؟ سآتي لك بكلام للغزالي يقول فيه إن العقيدة لا تُستقَىٰ إلا من الكتاب والسنة، والجواب: إن هذا الكلام يُدرَّس للعوام، وأما التحقيق والتأويل فليس

لهم... هل تعلمون أن ما في كلام الغزالي ما يوحي أنه يقول بالتجهيل و التخييل، بينما ابن رشد يصرح بذلك. ما معنىٰ تخييل؟ أي كل النصوص التي وردت في الآخرة من الجنة، والنار، وبعث الأجساد، كل هذا ليس علىٰ حقيقته، العذاب والنعيم في الآخرة لن يكون إلا علىٰ الروح فقط، ليس هناك جنة مخلوقة في الآخرة وتأكل، وتقابل، وترىٰ، وغير ذلك، ولا نار وعذاب علىٰ الجسد، هذا الكلام لا حقيقة له، هكذا يقولون.

فإذا سألت: لماذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأمور في كتابه؟ يقولون: ذكرها ليحمل العباد علىٰ عبادته، لكن لا حقيقة لها.

لكن من الذي فتح الباب لهؤلاء الفلاسفة؟ المتكلمون.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عن هؤلاء المتكلمين: إنهم لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، لكن فتحوا الباب علىٰ مصراعيه لهدم هذا الدين والطعن فيه.

قال: (وَإِنْ أَبَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنْ تُؤَيِّنَ اللهَ تَعَالَىٰ وَتُقِرَّ بِهِ أَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَلَا ضَيْرَ عَلَىٰ مَنْ أَيَّنَهُ، إِذْ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ- قَدْ أَيَّنَهُ، فَقَالَ لِلْأَمَةِ السَّوْدَاءِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وَكَذَلِكَ أَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ الرِّفَاعِيُّ، حدثنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حدثنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِد أعبدك»).

لكن هذا حديث مُنكر، لا يصح، فيه قاضي المدائن محمد بن زيد بن محمد بن كثير بن رفاعة، وهو ضعيف، وفيه كذلك أبو جعفر الرازي سيئ الحفظ، وفيه إسحاق بن سليمان،

وهو ثقة، لكن فيه ضعيفان كما قلنا.

الشاهد: أنه قال: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ"، السماء يعني العلو، أو في السماء بمعنىٰ: علىٰ السماء، كما ذكرنا.

قال: (وحَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ يَزِيدَ الْعَطَّارِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي ميمونة، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلأمة السَّوْدَاء: «أَيْنَ الله؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»).

قال: فَمَا نَصْنَعُ بِقَوْلِكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ وَقَوْلِ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ مَعَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ- إِلَّا أَنْ يُنْبَذَ فِي الْحُشِّ).

(وَالْقُرْآنُ يُصَدِّقُ مَا قَالَا وَيُحَقِّقُهُ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ، إِذْ يَقُولُ: ﴿أَأَمِنتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] وَ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، و ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٣-٤]، وَ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨]، وَ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْقُرْآنِ.

قال: وَزَعَمْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّكَ لَا تَصِفُ اللهَ بِحُلُولٍ فِي الْأَمَاكِنِ، فَلَوْ شَعُرْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّكَ وَصَفْتَهُ بأقبح حُلُول فِي الْأَمَاكِن أفحش مِمَّا عِبْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ؛ لِأَنَّا قد أَيَّنَا لَهُ مَكَانا وَاحِدًا، أَعْلَىٰ مَكَانٍ).

سبق التفريق بين المكان الوجودي والمكان العدمي.

(وَأَطْهَرَ مَكَانٍ، وَأَشْرَفَ مَكَانٍ، عَلَىٰ عَرْشِهِ الْعَظِيمِ الْمُقَدَّسِ الْمَجِيدِ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، حَيْثُ لَيْسَ مَعَهُ هُنَاكَ إِنْسٌ وَلَا جَان، وَلَا بجنبيه حُشٌّ وَلَا مِرْحَاضٌ وَلَا شَيْطَانٌ.

وَزَعَمْتَ أَنْتَ وَالْمُضِلُّونَ مِنْ زُعَمَائِكَ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حُشٍّ وَمِرْحَاضٍ، وَبِجَنْبِ كُلِّ إِنْسِيٍّ وَجَانٍّ، أَفَأَنْتُمْ تُشَبِّهُونَهُ بِالْحُلُولِ فِي الْأَمَاكِنِ، أَمْ نَحْنُ؟ هَذَا وَاضِحٌ بَيْنَ مَذْهَبِكُمْ وَدَعْوَاكُمْ، صَرَّحْتَ به أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِكَ، وَلَكِنَّكَ تَقُولُ الشَّيْءَ فَتَنْسَاهُ، ثُمَّ تَنْقُضُهُ عَلَىٰ نَفسك وَأَنت لا تَشْعُرُ بِهِ حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِحَلْقِكَ، والْحَمد لِلَّهِ الَّذِي أَعَاننَا عَلَيْكَ بِالنِّسْيَانِ، وكثيرة الهذيان.

ثمَّ ذهبت تنكر النزول وَتَدْفَعُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ مِنْ كَلَامِ الْمَرِيسِيِّ وَابْنِ الثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ خَبَرٍ، كَأَنَّكَ تَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ، وَقَلَّ حَدِيثٌ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنقض لدعواكم من أن اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ حَدِيثِ النُّزُولِ).

فأعظم حديث يُرَد به علىٰ الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان حديث النزول: «ينزل إلىٰ السماء الدنيا»، والنزول يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل، فكيف يقولون: هو في كل مكان!

قال: (لما أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: لا يَخْلُو مِنْهُ فَكَيْفَ يَنْزِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ مَنْ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟! فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ حُجَجِ الْمُعَارِضِ لِدَفْعِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي النُّزُولِ حِكَايَةٌ حَكَاهَا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ لَعَلَّهَا مَكْذُوبَةٌ عَلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: نُزُولُهُ: أَمْرُهُ، وَسُلْطَانُهُ، وَمَلَائِكَتُهُ، وَرَحْمَتُهُ، وَمَا أَشْبَهَهَا).

سبق الرد علىٰ كل هذه التأويلات.

(فَقُلْنَا لَهُ: أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، أَمَّا لَفْظُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَنْقُضُ مَا حَكَيْتَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، فَإِنْ قَالَهُ فَالْحَدِيثُ يُكَذِّبُهُ وَيُبْطِلُ دَعْوَاهُ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ: «إِذَا مَضَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ - أَوْ شَطْرُ اللَّيْلِ- نَزَلَ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيب له؟ هَل من مُسْتَغْفِر

فأغفر لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ»).

المفروض إن الفاء هذه فاء السببية، فتنصب ما بعدها، عندي "فأجيبُ".

قال: (وَقَدْ جِئْنَا بِالْحَدِيثِ بِإِسْنَادِهِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَلَوْ كَانَ عَلَىٰ مَا حَكَيْتَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ وَادَّعَيْتَهُ أَنْتَ أَيْضًا أَنَّهُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسُلْطَانُهُ، مَا كَانَ أَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ يَتَكَلَّمُ بِمِثْلِ هَذَا، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَىٰ اسْتِغْفَارِهِ وَسُؤَالِهِ دُونَ اللهِ، وَلَا الْمَلَائِكَةَ يدعونَ النَّاسَ إِلَىٰ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَإِلَىٰ الْمَغْفِرَةِ مِنْهَا لَهُمْ، وَإِلَىٰ إِعْطَاءِ السُّؤَالِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَلِيَ ذَلِكَ دُونَ سِوَاهُ.

وَأُخْرَىٰ أَنَّ أَمْرَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَسُلْطَانَهُ دَائِبًا يُنَزَّلُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ لَا يَفْتُرُ وَلَا يَنْقَطِعُ، فَمَا بَالُ ثُلُثِ اللَّيْلِ خُصَّ بِنُزُولِهِ وَرَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ بَيْنِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟ حَتَّىٰ وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِذَلِكَ وَقْتًا آخَرَ، فَقَالَ: «إِلَىٰ أَنْ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

فَفِي دَعْوَاكَ: تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ، فَإِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ رُفِعَتْ فِي دَعْوَاكَ، هَذَا وَاللهِ تَفْسِيرٌ مُحَالٌ، وَتَأْوِيلُ ضَلَالٍ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِ الْحَدِيثِ بِالْإِبْطَالِ.

وَأَمَّا مَا رَوَيْتَ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ عَنِ الْمَرِيسِيِّ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ مَكَانٍ ما رويته عَن ابْن عُيَيْنَة عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: "لَا تَقُلْ: اللهُ حَيْثُ كَانَ، فَإِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ").

لفظ عبد الرزاق أن ابن عمر كان يكره أن يقول الرجل: والله حيث كان، يعني يُقسم يقول: والله حيث كان.

قال: (وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق جرير عن مغيرة عن إبراهيم، قال: كان يكره أن يقول: وإني سآتيك والله حيث كان، فإن الله بكل مكان).

هذا ذكره المريسي عن عبد الله بن عمر.

قال المحقق: "وهو أثر صحيح عن عبد الله بن عمر"، لكن نريد أن نعلم تأويله.

قال: (عن ابن عمر أنه قال لرجل: لا تقل: الله حيث كان، فإنه بكل مكان).

قال: (وَعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ مِثْلَهُ، فَتَأْوِيلُ هَذَا أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَلَىٰ مَا فَسَّرْنَا: أَنَّهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ بِالْعِلْمِ بِهِ، وَمَعَ كُلِّ صَاحِبِ نَجْوَىٰ، وَأَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، لا عَلَىٰ أَنَّه بنَفْسَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ).

لكن من أين لكم أن تحملوا قول ابن عمر علىٰ هذا التفسير؟ سيذكر الأحاديث التي رواها ابن عمر في إثبات علو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، فإذا احتججت بقول ابن عمر فسأذكر لك الأحاديث التي رواها ابن عمر عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في إثبات علوه علىٰ خلقه، وبهذا يُفهَم كلام ابن عمر.

قال: (كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ، لا عَلَىٰ أَنَّه بنَفْسَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِمَّا بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ وَالْأَمْكِنَةِ، وَبِجَنْبِ كُلِّ مُصَلٍّ وَقَائِمٍ وَقَاعِدٍ، فَهُوَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَعَ مَنْ بِالْمَشْرِقِ، كَمَا هُوَ مَعَ مَنْ بِالْمَغْرِبِ، وَمَعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، كَمَا هُوَ مَعَ مَنْ هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَلَا يَبْعُدُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ).

تفهم هذا الكلام في ضمن قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر: ٦٧]، إذا كانت الأرض قبضته يوم القيامة فكيف يخفىٰ عليه شيء من هذه الأرض؟! وكيف يقال إنه في كل مكان؟! أي: داخل هذه الأرض التي هي في قبضته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟!

قال: (وَالْعَجَبُ مِنْكَ وَمِنْ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ، إِذْ يَحْتَجُّ فِي ضَلَالِهِ بِالتَّمْوِيهِ).

لأنه لما وجد هذا الأثر عن عبد الله بن عمر، امسك، فأحتج عليكم بقول صحابي.

قال: (إِذْ يَحْتَجُّ فِي ضَلَالِهِ بِالتَّمْوِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَعَنِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، وَيَدَعُ الْمَنْصُوصَ الْمُفَسَّرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي الرُّؤْيَةِ وَالْعَرْشِ، خِلَافَ مَا مَوَّهَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَرِوَايَةِ بِضْعٍ وَعِشْرِينَ

رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النُّزُولِ، وَفِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فِي السَّمَاءِ دون الأَرْض.

الْمُصِيبَ يَتَعَلَّقُ من الْآثَار بكل وَاضِحٍ مَشْهُورٍ، وَالْمُرِيبَ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مُتَشَابِهٍ مَغْمُور

قال: هذا إلىٰ الِابْتِدَاعِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَىٰ الِاتِّبَاعِ، وَإِلَىٰ الْجَهْلِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَىٰ الْعَدْلِ، غَيْرَ أَنَّ الْمُصِيبَ يَتعَلَّقُ من الْآثَار وَاضِحٍ مَشْهُورٍ، وَالْمُرِيبَ يَتعَلَّقُ بِكُلِّ مُتَشَابِهٍ مَغْمُورٍ).

ثم ذكر بعد ذلك الكلام عن القرآن، وأنه كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير مخلوق، والشبهات التي تعلق بها بشر المريسي وأتباعه في ادعائه أنه مخلوق

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ **بعد أن نقل عن المريسي فقال: (وَالْعَجَبُ مِنْكَ وَمِنْ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ، إِذْ يَحْتَجُّ فِي ضَلَالِهِ بِالتَّمْوِيهِ، إِذْ يَحْتَجُّ فِي ضَلَالِهِ بِالتَّمْوِيه عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَعَنِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، وَيَدَعُ الْمَنْصُوصَ الْمُفَسَّرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي الرُّؤْيَةِ وَالْعَرْشِ، خِلَافَ مَا مَوَّهَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَرِوَايَةِ بِضْعٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النُّزُولِ، وَفِي أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فِي السَّمَاءِ دون الأَرْض.**

قال: هذا إلىٰ الِابْتِدَاعِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَىٰ الِاتِّبَاعِ، وَإِلَىٰ الْجَهْلِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَىٰ الْعَدْلِ، غَيْرَ أَنَّ الْمُصِيبَ يَتَعَلَّقُ من الْآثَار بكل وَاضِحٍ مَشْهُورٍ، وَالْمُرِيبَ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مُتَشَابِهٍ مَغْمُورٍ).

فالمريسي تعلق بأثر جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وظن بسبب سوء فهمه أن ابن عمر علىٰ مذهبه الفاسد، وأخطأ فهم الأثر، وترك في مقابل ذلك عشرات الأحاديث التي تُثبت علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، والتي تُثبت نزوله في الثلث الأخير من الليل في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا.

فكانت القاعدة التي أعطانا إياها الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن المُصيب يتعلق من الآثار بكل

واضح مشهور، ويعني بالمصيب هاهنا: أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة تجد دائمًا علىٰ اعتقادهم نورًا، تجدهم يُدللون علىٰ هذا الاعتقاد بآيات من كتاب الله، وأحاديث صحيحة من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما تواتر عن سلف هذه الأمة، فيتعلقون في كل مسألة اعتقادية بكل واضح مشهور، وأما أهل البدع فيتعلقون بكل متشابه مغمور، يتركون عشرات الأحاديث ويتعلقون بحديث ضعيف، أو بحديث أخطأوا فهمه.

ثم ذكر شبهة أخرىٰ من شبهات المريسي، قال: **(وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَ عَلَىٰ أَبِي مُعَاوِيَةَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا النُّزُولِ، ثُمَّ قُلْتَ: وَيُحْتَمَلُ مَا قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: إِنَّ نُزُولَهُ أَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ كَمَا تروون «إن الْقُرْآنَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا مُشَفَّعًا، وَمَاحِلًا مُصَدِّقًا»)**.

وهذا حديث ثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله شواهد، منها ما جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«القرآن شافع مُشفَّع، وماحلٌ مُصدق»**.

والمراد بالماحل: المجادل عن صاحبه.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن: **«القرآن شافع مُشفَّع، وماحلٌ مُصدق، من جعله أمامه قاده إلىٰ الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلىٰ النار»**.

ومثله كذلك في نفس هذا المعنىٰ وهذا الباب، هذا الحديث جوَّد الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ إسناده في السلسلة

«إن الْقُرْآنَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا مُشَفَّعًا، وَمَاحِلًا مُصَدِّقًا».

فظاهر الحديث: أن الذي يجيء يوم القيامة هو القرآن.

وفي حديث بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن القرآن يلقىٰ صاحبه كالرجل**

الشاحب»، «**إن القرآن يلقىٰ صاحبه**»، أي: حين ينشق عنه قبره يوم القيامة، «**إن القرآن يلقىٰ صاحبه كالرجل الشاحب**»، وهذا الوصف للقرآن، «**فيقول: ألا تعرفني؟ فيقول: لا، من أنت؟ فيقول: أنا صاحبك الذي أسهرتُ ليلك، وأظمأت نهارك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيُعطىٰ الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويُلبَس والداه تاج الكرامة، فيقولان: بم كُسينا ذلك؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكم للقرآن**»، وهذا حديث كذلك ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيه: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن القرآن يلقىٰ صاحبه كالرجل الشاحب**».

ومثله كذلك في نفس الباب: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي قال فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجيء القرآن يوم القيامة يُجادل عن صاحبه فيقول: يارب حله**»، أي: ألبسه الحُلل، «**فيُلبسه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحُلل، يقول: يارب زده، يارب ارض عنه، فيرضىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه ويقال له: اقرأ وارقَ ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها**».

وكذلك من نفس الباب حديث الصحيح، الذي قال فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقرؤوا الزهراوين**»، يعني البقرة وآل عمران، «**فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان**»، أو «**غيايتان، تُحاجان عن صاحبها**».

فكل هذه الأحاديث تندرج تحت باب واحد سنعلم ما هو هذا الباب.

الشاهد: أن المريسي جاء بهذا الحديث، وهو حديث صحيح، «**إن الْقُرْآنَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فماذا قال؟

قال: **(مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ ثَوَابُهُ يأتي يوم القيامة)**.

أنتم يا أهل السنة تقولون: إن القرآن لا يجيء، وإنما الذي سيجيء ثواب القرآن، العمل الصالح هو الذي سيأتي يوم القيامة يُجادل عن صاحبه، وهو الذي يشفع لصاحبه، يأتي

كغمامتين، كغيايتين، كالطير، كما ذكر النبي ﷺ فأنتم تؤولون وتقولون: القرآن لا يجيء، وإنما الذي يأتي ثوابه.

(فَإِنْ جَازَ لَهُمْ هَذَا التَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ جَازَ لَنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ نُزُولَهُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ).

أي: لماذا أجزتم لأنفسكم التأويل ولا تُجيزون التأويل لنا؟ فانظر كيف رد عليه هذا العَلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَقَدْ قِسْتَ بِغَيْرِ أَصْلٍ وَلَا مِثَالٍ).

يعني هذا القياس الذي قسته قياس مع الفارق، لا يمكن في هذا القياس أن يُلحَق الفرع بالأصل؛ لأن الفرع لا يُشابه الأصل، كما سنرىٰ.

قال: (لَقَدْ قِسْتَ بِغَيْرِ أَصْلٍ وَلَا مِثَالٍ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامٌ، وَالْكَلَامُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ شَيْئًا قَائِمًا).

لا تجد كلامًا يقوم بنفسه هكذا في الهواء، لأنه صفة لابد أن تقوم بموصوفها.

(حَتَّىٰ تُقِيمَهُ الْأَلْسُنُ، وَيَسْتَلِينَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهُ بِنَفْسِهِ لَا يقدر عَلَىٰ الْمَجِيءِ).

ولذلك الكلام النفسي لا يُقال عنه كلام نفسي إلا بهذا القيد، متىٰ يقال هذا كلام علىٰ الإطلاق هكذا دون تقييد؟ عندما تتكلم به بصوت وحرف، ولذلك رد أهل السنة والجماعة علىٰ الأشعرية لما نسبوا الكلام النفسي إلىٰ الله، قالوا: لأن صريح القرآن والسنة أن الله يتكلم بصوت وحرف.

(وَالْكَلَامُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ شَيْئًا قَائِمًا حَتَّىٰ تُقِيمَهُ الْأَلْسُنُ، وَيَسْتَلِينَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهُ بِنَفْسِهِ لَا يقدر عَلَىٰ الْمَجِيءِ ولا يقدر علىٰ النزول بِغَيْرِ مُنزل وَلَا مُحرك، إِلَّا أَن يُؤْتَىٰ بِهِ وَيُنْزَلَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ حَيٌّ قَيُّومٌ، مَلِكٌ عَظِيمٌ، قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، فِي عزه وبهائه يفعل ما يشاء كَمَا يَشَاءُ، وَيَنْزِلُ بِلَا مُنْزِلٍ).

يعني ينزل إلىٰ السماء الدنيا.

(ويرتفع بِلَا رَافع، وَيفْعل ما يشاء بِغَيْر استعانة بِأحد، وَلَا حَاجَةَ فِيمَا يَفْعَلُ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يُقَاس الْحَيّ القيوم والفعال لِمَا يَشَاءُ).

(وَلَا يُقَاس الْحَيّ القيوم والفعال لِمَا يَشَاءُ بِالْكَلَامِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ قَائِمٌ حَتَّىٰ تُقِيمَهُ الْأَلْسُنُ، وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، وَلَا يَسْتَبِينُ إِلَّا بِقِرَاءَةِ الْقُرَّاءِ).

إذن هذا وجه الغلط في القياس، لا مُشابهة بين الأصل والفرع، فلا يمكن أن نقيس هذا علىٰ ذاك. لا يمكن أن نقيس مالا يقوم بنفسه علىٰ ما هو قائم بنفسه.

إذًا هو رد القياس أولًا.

ثم قال له: (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ نُزُولُهُ: أَمْرُهُ وَرَحْمَتَهُ، فَمَا بَالُ أَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ لا يَنْزِلُ إِلَّا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ وَمَا بَالُ أَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي دَعْوَاكَ لَا يَنْزِلُ إِلَىٰ الْأَرْضِ حَيْثُ مُسْتَقَرُّ الْعِبَادِ، مِمَّنْ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَيُجِيبَ وَيُعْطِيَ، فَمَا بَالُهَا -أي: الرحمة- تَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ لَا تَجُوزُهَا؟ وَمَا بَالُ رَحْمَتِهِ تَبْقَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ إِلَىٰ انْفِجَارِ الْفَجْرِ، ثُمَّ تَرْجِعُ مِنْ حَيْثُ جَاءَتْ بِزَعْمِكَ؟ وَمَا باله إِذْ اللهُ بِزَعْمِكَ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا استرحمه عباده واستغفروه وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ بَعَّدَ عَنْهُمْ رَحْمَتَهُ إِلَىٰ السَّمَاء الدُّنْيَا خَمْسِمِائَة عَامٍ، وَلَا يُغَشِّيهِمْ إِيَّاهَا).

هذا رد بليغ جدًا، أنتم تزعمون أن الله في كل مكان، إذًا الله علىٰ مذهبكم في الأرض، فإذا سأله عباده عن رحمته بَعَّدَ هذه الرحمة حتىٰ بلغت إلىٰ السماء الدنيا؟ لماذا لا يجعلها بين العباد وأنتم تزعمون أنه في كل مكان؟

قال: (وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِزَعْمِكَ؟ إِذْ زَعَمْتَ أَنَّ نُزُولَهُ تَقْرِيبُ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، كَقَوْلِهِ فِي الحديث الْآخَرِ: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهَا

باعًا»، فقلت: هَذَا التَّقْرِيب بِالرَّحْمَةِ.

فَفِي دَعْوَاكَ فِي تَفْسِيرِ النُّزُولِ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شِبْرًا تَبَاعَدَ هُوَ عَنْهُ مَسِيرَةَ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ).

لأنه جعل الرحمة في السماء الدنيا.

(وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعِبَادُ إِلَىٰ اللهِ اقْتِرَابًا تَبَاعَدَ هُوَ بِرَحْمَتِهِ عَنْهُمْ بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِزَعْمِكَ.

لَقَدْ علمت أَيهَا الجاهل أَنَّ هَذَا تَفْسِيرٌ مُحَالٌ يَدْعُو إِلَىٰ ضَلَالٍ، وَالْحَدِيثُ نَفْسُهُ يُبْطِلُ هَذَا التَّفْسِيرَ وَيُكَذِّبُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ أَغْيَظُ حَدِيثٍ لِلْجَهْمِيَّةِ).

أي حديث؟ حديث النزول، هذا الحديث أغيظ حديث للجهمية.

(وَأَنْقَضُ شَيْءٍ لِدَعْوَاهُمْ؛ لِأَنَّهُم لَا يُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، فَكَيْفَ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ تَحْتَهَا فِي الْأَرْضِ وَجَمِيعُ الْأَمَاكِنِ مِنْهَا؟ ولفظ الْحَدِيثِ نَاقِضٌ لِدَعْوَاهُمْ وَقَاطِعٌ لحججهم.

قال: وَأُخْرَىٰ: أَنَّهُ قَدْ عَقِلَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَرَأْيٍ أَنَّ الْقَوْلَ لَا يتحَوَّل صُورَة، لَه لِسَانٌ وَفَمٌ، يَنْطِقُ وَيَشْفَعُ، فَحِينَ اتَّفَقَتِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ ثَوَابٌ).

فهذه الأحاديث التي ذكرتها كلها محمولة عند أهل السنة والجماعة علىٰ أن الذي يأتي هو الثواب، ثواب العمل.

(فَيُصَوِّرُهُ اللهُ بِقُدْرَتِهِ صُورَةَ رَجُلٍ يُبَشِّرُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْقُرْآنُ صُورَةً كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَتَشَعَّبْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ صُورَةٍ، فَيَأْتِيَ أكثر من ألف ألف شافعًا وماحلًا؛ لِأَنَّ الصُّورَةَ الْوَاحِدَةَ إِذَا هِيَ أَتَت وَاحِد زَالَتْ عَنْ غَيْرِهِ، فَهَذَا مَعْقُولٌ لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا كُلُّ جهُولٍ).

لأنه قرآن واحد، وأما الأعمال فكثيرة، تتعدد بتعدد أفرادها الذين عملوها.

قال: (وَهَذَا كَحَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ زَاذَان، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ تَأْتِيهِ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ»).

هذا كلام صريح جدًا، وبيان واضح جدًا من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الذي يأتي العمل، وثواب العمل، هذا هو الذي يأتي إلىٰ الإنسان، والله قادر علىٰ كل شيء سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ تَأْتِيهِ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ فِي صُورَة رجل، فِي أَحْسَنَ هَيْئَةٍ، وَأَحْسَنَ لِبَاسٍ، وَأَطْيَبَ رِيحٍ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كَانَ حَسَنًا، فَكَذَلِكَ تَرَانِي حَسَنًا، وَكَانَ طَيِّبًا، فَكَذَلِكَ تَرَانِي طَيِّبًا، وَكَذَلِكَ الْعَمَل السيء يَأْتِي صَاحِبَهُ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِك، ويبشره بِعَذَاب الله».

وهذا حديث حسن أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ.

قال: (وَإِنَّمَا عملهما الصَّلَاة وَالصِّيَامُ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ).

هذا عمله الصالح، الرجل الصالح، يأتي في صورة رجل صالح، طيب الرائحة، طيب الثياب، يبقىٰ معه إلىٰ أن يشاء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ولذلك يقول: "ربي، أقم الساعة"، لأنه يعلم أن ما عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من نعيم الجنة أعظم من ذلك.

(وَعَمَلُ الْآخَرِ الزِّنَا وَالرِّبَا وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْمَعَاصِي، قَدِ اضْمَحَلَّتْ وَذَهَبَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيُصَوِّرُ اللهُ بِقُدْرَتِهِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْفَاجِرِ ثَوَابَهَا وَعِقَابَهَا، يُبَشِّرُ بِهِمَا إِكْرَامًا لِلْمُؤْمِنِ وَحَسْرَةً عَلَىٰ الْكَافِرِ).

ولذلك جاء في حديث البراء بن عازب كما قلنا أنه يقول: «من أنت؟ فوجهك الذي لا يأتي بخير، فيقول: أنا عملك السيئ»، فيُعذبه، ويُنغص عليه حياته البرزخية، ومع ذلك

يقول: رب لا تُقم الساعة، يُعذَّب في قبره ويُضيَّق عليه ومع ذلك يقول: رب لا تُقم الساعة، لأنه يعلم أن ما عند الله من عذاب الآخرة أشد من ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: **(وَهَذَا الْمَعْنَىٰ أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ، وقَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، ولَكِنْ تُغَالِطُونَ وَتُدَلِّسُونَ، وَعَلَيْكُمْ أَوْزَارُكُمْ وَأَوْزَارُ مَنْ تُضلون).**

الفرق بين الاقتداء بسيئة المبتدع وسيئة العاصي

فالمُبتدع أوزار من يُضلهم عليه كاملًا، لا ينقص من أوزارهم شيء، بخلاف المعصية، فرِّق بين المعصية والبدعة، وهذه هي خطورة البدعة، أن المبتدع كل من اقتدىٰ به فالإثم يقع عليه كاملًا، هذا كلام النبي ﷺ قال: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»، يعني معنىٰ ذلك أن الذي ينشر سنة بين الناس يأخذ الأجر كاملًا، أجر العلم وأجر العمل، كأنه هو الذي عملها.

أما المعصية، فقد قال النبي ﷺ في ابن آدم الأول الذي قتل أنه أول من سنَّ القتل، والقتل معصية، «**فعليه كِفل من هذا الوزر**»، ما معنىٰ كِفل؟ نصيب، لأنه سنَّ، يبقىٰ عليه نصيب ووزر العمل بهذه المعصية، لا يأخذ من سن القتل ابن آدم وزر معصية غيره كاملا، يعني العلم والعمل، إنما البدعة العلم والعمل.

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُمسِّكنا بالسنة، وأن يُجنبنا البدعة.

قال: **(ثُمَّ أَكَّدَ الْمُعَارِضُ دَعْوَاهُ فِي أَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِقِيَاسٍ ضَلَّ بِهِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيل.**

فَقَالَ: أَلا ترىٰ أَن مَنْ صَعَدَ الْجَبَلَ لَا يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ؟).

سبحان الله أول الأمر يكونون تلامذة لإبليس، ثم ما يلبس إبليس أن يكون تلميذًا من تلامذتهم، يأتون بشبهات لا تخطر علىٰ بال أحد، أمور عجيبة وشبهات غريبة.

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقىٰ... بي الدهر حتىٰ صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

(فَقَالَ: أَلا ترىٰ أَن مَنْ صَعَدَ الْجَبَلَ لَا يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ؟ فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُدَّعِي مَا لَا عِلْمَ لَهُ به: مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ لَيْسَ بِأَقْرَبَ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ مِنْ أَسْفَلِهِ؟).

من قال هذا الكلام؟

(لِأَنَّهُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سماواته عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ أَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَأَنَّ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ أَقْرَبُ إِلَىٰ عَرْشِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ السَّادِسَةِ، وَالسَّادِسَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَامِسَةِ، ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَىٰ الْأَرْضِ).

يعني أيهما أقرب إلىٰ عرش الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي استوىٰ عليه؟ الأرض أم السماء السابعة؟ السماء السابعة.

قال: (كَذَلِكَ رَوَىٰ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: "رَأْسُ الْمَنَارَةِ أَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ أَسْفَلِها"، وَصَدَقَ ابْنُ الْمُبَارَكِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ إِلَىٰ السَّمَاءِ أَقْرَبُ كَانَ إِلَىٰ اللهِ أَقْرَبَ، وَقُرْبُ اللهِ إِلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ أَقْصَاهُم وأدناهم وَاحِد).

هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعزب عن علمه شيء، ولا يخرج عن قبضته وسلطانه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (لَا يَبْعُدُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَبَعْضُ الْخَلْقِ أَقْرَبُ إليه مِنْ بَعْضٍ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا فَسَّرْنَا مِنْ أَمْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قال: وَكَذَلِكَ قُرْبُ الْمَلَائِكَةِ مِنَ اللهِ، فَحَمَلَةُ الْعَرْشِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ كلها، وَالْعَرْشُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَقُرْبُ اللهِ إِلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ

وَاحِدٌ، هَذَا مَعْقُولٌ مَفْهُومٌ إِلَّا عِنْدَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بأَنَّ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَهًا، وَلِذَلِكَ سَمَّىٰ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ).

(قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٦]).

ماذا تُفيد هذه العندية؟ الظرفية، فهم أقرب إلىٰ عرش الله وإلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الملائكة الذين هم في السماء الأولىٰ أو في الأرض.

(فَلَوْ كَانَ اللهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا ادعيت الْجَهْمِيَّةُ مَا كَانَ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مَعْنًىٰ، إِذْ كُلُّ الْخَلْقِ عِنْدَهُ وَمَعَهُ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَمُطِيعُهُمْ وَعَاصِيهِمْ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ لَا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَا يَسْجُدُ لَهُ.

قال: وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَعَ كل أحد لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْآيَةِ مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا يَسْجُدُ لَهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَأَيُّ منقبة إِذًا فِيهِ لِلْمَلَائِكَةِ، إِذْ كُلُّ الْخَلْقِ عِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ فِي مَعْنَاهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ.

قال: ثُمَّ فَسَّرَ الْمُعَارِضُ هَذَا الْمَذْهَب تَفْسِيرًا أشنع من هَذا، دَفْعًا بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ، فَيُقَال: يُحْتَمَلُ التَّأْوِيلُ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاء علىٰ أَنَّهُ مُدَبِّرُهَا).

يعني لما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦] يعني مُدبر السماء، يعني مُتقن السماء، خالق السماء.

لما سأل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجارية وقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، أرادت أنه هو مُدبر السماء، ما أرادت إلهًا فوق العرش، استوىٰ علىٰ العرش استواء يليق بجلاله.

ثم قاس كذلك، فقال: (كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: هُوَ فِي صَلَاتِهِ، وَعَمَلِهِ، وَتَدْبِيرِ معيشته، وليس

هُوَ فِي نَفْسِهَا وَفِي جَوْفِهَا، وَفِي نَفْسِ الْمَعِيشَةِ بِالْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ بِالْمَجَازِ عَلَىٰ دَعْوَاهُ.

قال: فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ قُلْنَا لَكَ: إِنَّكَ تَهْذِي وَلَا تَدْرِي، تَتَكَلَّمُ بِالشَّيْءِ ثُمَّ تَنْقُضُهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فِي السَّمَاءِ، وَفِي الْأَرْضِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ بِنَفْسِهِ؟ فَكَيْفَ تَدَّعِي فِي هَاهُنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْهُ إِلَّا تَدْبِيرُهُ وَإِتْقَانُهُ).

ها هو يوحي له شيطانه مرة أخرىٰ ففسر "في السماء" بمعنىٰ: التدبير والإتقان، يعني نفىٰ أن يكون الله في السماء، مع أنه يقول: إن الله في كل مكان.

ثم قست وقلت: (كَتَدْبِيرِ الرَّجُلِ فِي مَعِيشَتِهِ، وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِيهَا؟ وَمَا أَوْلَاكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنْ تَعُضَّ عَلَىٰ لِسَانِكَ، وَلَا تَحْتَجَّ بِشَيْءٍ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَقُودَهُ، أَوْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ تَنْقُضَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِنَفْسِ كَلَامِكَ، وَلَوْ كَانَ لَكَ نَاصِحٌ لَحَجَرَ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، وَلَوْلَا أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَيْكَ بَعْضُ النَّاسِ بِبَعْضِ النظرة من الْعِلْمِ مَا اشْتَغَلْنَا بِالرَّدِّ عَلَىٰ مثلك؛ لِسَخَافَةِ كَلَامِكَ، وَرَثَاثَةِ حُجَجِكَ، وَلَكِنَّا تَخَوَّفْنَا مِنْ جَهَالَتِكَ ضَرَرًا عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ ظَهْرَيْكَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ عَوْرَةَ كَلَامِكَ وَضَعْفَ احْتِجَاجِكَ، كَيْ يَحْذَرُوا مِثْلَهَا مِنْ رَأْيِكَ، وَقَدْ فَضَحْنَاكَ فِي ذَلِكَ).

وهذا فيه قاعدة من قواعد الردود. مَن كان مغمورًا في بدعته لا يُلتَفَت إليه ولا يعرفه أحد، فهذا الواجب السكوت عنه، لا يُرَد عليه، حتىٰ لا يُشتَهَر بذلك.

فلا تأتي علىٰ مبتدع يقرر بدعة بين اثنين أو ثلاثه، وترد عليه وتشهر ذلك بين الناس، لأنه يحب ذلك وهذا يجعله مشهورًا بين الناس يُلتفت إليه.. لكن متىٰ يُرَد عليه؟ إن صار رأسًا في البدعة، إن صار كلامه يُردد بين الناس، فهنا يُرَد عليه.

ولهذا بيَّن الإمام الدارمي لماذا رد علىٰ بشر المريسي.

يقول: (وَلَوْلَا أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَيْكَ بَعْضُ النَّاسِ بِبَعْضِ النظرة من الْعِلْمِ

قال: لولا ذلك (**مَا اشْتَغَلْنَا بِالرَّدِّ عَلَىٰ مثلك؛ لِسَخَافَةِ كَلَامِكَ، وَرَثَاثَةِ حُجَجِكَ، وَلَكِنَّا تَخَوَّفْنَا مِنْ جَهَالَتِكَ ضَرَرًا عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ ظَهْرَيْكَ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ عَوْرَةَ كَلَامِكَ**).

ولعل هذا يكون وجهًا في إباء محمد بن سيرين في الرد علىٰ المبتدع الذي جاءه فوضع أصبعه في أذنيه، قال: أقرأ عليك آية قال: ولا نصف آية، لأنه إن رد ابن سيرين عليه قال: رددت علىٰ محمد بن سيرين، فيقال له: في أي شيء؟ ومن هنا تنتشر بدعته بين الناس.

قال: (**وَلَوِ اسْتَقْصَيْنَا**).

إذًا لا يُرَد علىٰ المجاهيل المغمورين؛ لأنه بالسكوت عنهم تموت البدعة.

قال: (**وَلَوِ اسْتَقْصَيْنَا عَلَيْكَ فِي الِاحْتِجَاجِ لطال به الكلام، غَيْرَ أَنَّا أَحْبَبْنَا أَنْ نُفَسِّرَ مِنْهَا قَلِيلًا يَدُلُّ عَلَىٰ كثير، وَلَو أَنَّكَ بَدَأْتَنَا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَفِي إِذَاعَةِ كَلَامِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، الْمُلْحِدِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ، الْمُعَطِّلِ لصفات الله، المفتري علىٰ الله لم نُعَرِّض لشيء من هذا، وما أشبهها؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ بَيَانٍ أَوْ بُرْهَانٍ يكون ببلدة ينتشر فِيهَا كَلَامُ الْمَرِيسِيِّ فِي التَّوْحِيدِ ثُمَّ لَا ينقضه**).

وهذه **قاعدة كذلك**، لا يحل لمسلم يكون عنده شيء من التوحيد ومن سنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستطيع أن يُقيم الحجة علىٰ خلقه، يسمع كلامًا مبتدعًا يُنشَر في بلدته سواء كانت هذه البدعة، تتعلق بالعبادة، أو بالمعتقد، أو المنهج، ثم يسكت عن هذه البدعة، لا بد أن يردها، طالما أنها انتشرت بين الناس.

قال: (**ثُمَّ عَادَ الْمُعَارِضُ إِلَىٰ مَذْهَبِهِ الْأَوَّلِ نَاقِضًا عَلَىٰ نَفْسِهِ فِيمَا تَأَوَّلَ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَىٰ، فَاحْتَجَّ بِبَعْضِ كَلَامِ جَهْمٍ وَالْمَرِيسِيِّ، فَقَالَ: إِنْ قَالُوا لَكَ: أَيْنَ اللهُ؟**).

سبحان الله! الذي سأل هو النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(إِنْ قَالُوا لَكَ: أَيْنَ اللهُ؟ فَالْجَوَابُ لَهُمْ: إِنْ أَرَدْتُمْ حُلُولًا فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَفِي مَكَانٍ يَعْقِلُهُ الْمَخْلُوقُونَ فَهُوَ الْمُتَعَالِي عَن ذَلِك؛ لِأَنَّهُ علىٰ العرش وبكل مكان لا يُوصَف بـ "أين".

قال: فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا قَوْلُكَ: كَالْمَخْلُوقِ فَهَذِهِ كذبة مِنْكَ، وَتَلْبِيسٌ لا يَقُولُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنَّهُ بِمَكَانٍ يَعْقِلُهُ الْمَخْلُوقُونَ الْمُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ، وَهُوَ عَلَىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، دُونَ مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَمْكِنَةِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَبِمَنْ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ، وَلَمْ يَدْرِ مَنْ يَعْبُدُ، وَمَنْ يُوَحِّدُ، مَعَ أَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَقْرَرْتَ بِأَنَّكَ تَعْقِلُ مَكَانَهُ؛ لِأَنَّكَ ادَّعَيْتَ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ سَمَاءٍ وَمن أَرض).

كيف غلا المتكلمون في تأويل حديث الجارية؟

إذًا الذي لا يعرف أن الله في السماء هذا لا يعرف إلهه الذي يعبده؛ لأن القرآن جاء صريحًا بذلك.

قال: (وأمَا اشْتِرَاطُكَ عَلَىٰ مَنْ سَأَلَكَ: أَيْنَ اللهُ؟ فَتَقُولُ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ كذ وَكَذَا، فَهَذَا شَرْطٌ بَاطِلٌ).

لماذا هو شرط باطل؟ لأن النبي لما سأل الجارية: «أين الله؟» ما قالت له: إن كنت تريد كذا فالمراد كذا، وإن كنت تريد كذا فالمراد كذا.

قال: (فَهَذَا شَرْطٌ بَاطِلٌ، لَمْ يشترط ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الأئمة عَلَىٰ أَحَدٍ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِين سَأَلَ الْأمة السوداء «أَيْنَ اللهُ؟» لَمْ تَشْتَرِطْ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَمَا اشْتَرَطْتَ أَنْتَ).

فلم تقل الجارية للنبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إن كنت تريد حلولًا كحلول كذا وكذا، ولكن

الجارية قالت: "في السماء"، فاكتفىٰ منها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولم يقل لها كيف كينونته في السماء؟ كيف حلوله فيها؟

طبعًا هؤلاء الجهمية ومنهم كثير من الأزهرية يقولون: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر الجارية لأنها جارية، فعلىٰ مذهبهم الباطل: أقر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الجارية علىٰ باطل، فما كانت رسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدىٰ ولا رحمة، وإنما كانت ضلالًا وتضليلًا لمن آمن به، هذا صريح مذهبهم.

السنوسي من رؤوس الأشعرية، له كتاب في العقيدة الأشعرية اسمه (**أم البراهين**)، قال: أصول الكفر ستة، الأصل السادس: الأخذ بظواهر الكتاب والسنة، في مثل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠] وفي مثل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أين الله؟» فقالت الجارية: في السماء، يعني الذي يأخذ هذه النصوص علىٰ ظاهرها وقع في الكفر الصريح.

ومعنىٰ ذلك: أن القرآن الذي جاء فيه ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ * هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٣] علىٰ هذا الأصل ليس كتاب هدىٰ للمتقين، فعدم الرسالة كان أولىٰ وتُرك الناس لعقولهم ومعقولاتهم الفاسدة، هذا كان أولىٰ، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: (**وَأَمَّا قَوْلُكَ: لَا يُوصَفُ بِأَيْنَ فَهَذَا أَصْلُ الْكَلَامِ جَهْمٍ، وَهُوَ خِلَافُ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ**: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦]، **وَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ**: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، **وَقَالَ**: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]).

يا أخي لما تأتي يوم القيامة ويقال لك: من أين جئت بهذه العقيدة أن الله في السماء؟ أن الله مستو علىٰ العرش؟ تقول: القرآن قال الله ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ

الطَّيِّبُ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، هكذا قرأها النبي ﷺ وأصحابه، وأمروها كما جاءت، فلا يُقال لك إلا سلمتَ، وجئتَ بالمعتقد الصحيح.

لكن إذا جئت يوم القيامة وقيل لك: من أين جئت بهذه العقيدة التي تقول إن الله في كل مكان؟ أو لا هو خارج العالم، ولا داخل العالم، ولا فوق، ولا تحت، ولا شمال، ولا يمين، ولا في جهة، ولا يُشار إليه، ولا أي حاجة، أو أنه ليس له سمع، ولا بصر، ولا يد، ولا قدم، ولا أي شيء، تقول: يارب، هذا لا يجوز في حقك، لأن هذا فيه تشبيه بالمخلوقين، وتجسيم، وأنت مُنزه عن الجسم، أنت مُنزه عن الافتقار، فيقال لك: أنت أعلم بالله من الله؟! هو أخبر بذلك عن نفسه، أنت أعلم بالله من رسوله ﷺ الذي أرسله وجعله أمنة لهذه الأمة؟! أنت أعلم بالله من أصحاب النبي ﷺ الذين شاهدوا التنزيل، وعاينوه، وسمعوا تأويله من النبي ﷺ؟! إذن كيف المخرج في مثل هذا الأمر؟

قال: (فقد أخبرنَا اللهُ الْعِبَادَ أَيْنَ اللهُ، وَأَيْنَ مَكَانُهُ، وَأَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ).

ما معنىٰ أَيَّنَهُ؟ يعني أثبت له الأينية، قال: «أين الله؟».

قال: (وَأَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، فَقَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَرْحَمْهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حدثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَن أبي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»، فَلَوْ لَمْ يُوصَفْ بِأَيْنَ كَمَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللهُ»، فَيُغَالِطُهَا فِي شَيْءٍ لا يُؤَيَّنُ، وَحِينَ قَالَتْ: "هُوَ فِي السَّمَاءِ" لَوْ قَدْ أَخْطَأَتْ فِيهِ لَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا وَعَلَّمَهَا).

أي لرد عليها وَعَلَّمَهَا؛ لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، هذا لازم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لازم للأنبياء والمرسلين، وهذه القاعدة قد تتخلف في حق واحد من الناس، في حق العلماء، فالعالم إن خشي علىٰ نفسه القتل، يجوز له أن يترك قول الحق، وأن ينطق حتىٰ بكلمة الكفر، طالما أن قلبه مطمئن بالإيمان، كما فعل عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عادوا فعُد»، لكن هل هذا يجوز في حق نبي؟ لا يجوز في حق نبي؛ لأن الله تعالىٰ قال في حق النبي: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، لا يجوز تأخير البيان في حق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف يسمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجارية الباطل ويُقرها علىٰ ذلك؟

بل إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استدل علىٰ إيمانها بمعرفتها أن الله في السماء، لأنها لما قالت: "في السماء" قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعتقها فإنها مؤمنة».

قال: (وَكَذَلِكَ رُوِيَ لَنَا عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَاه الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حدثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الشَّقِيقِيُّ، قَالَ: "قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: بِأَيِّ شَيْءٍ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قُلْتُ: بِحَدٍّ؟ قَالَ: بِحَدٍّ"، فَهَذَا الْقُرْآنُ يَنْطِقُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُوصَفُ بِأَيْنَ، وَهَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ وَصَفَهُ، وَعَلَيْهِ دَرَجَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ -غَيْرَ الْمَرِيسِيِّ وأصحابه- أَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِأَيْنَ؟ فَأَخْبِرْنَا بِهِ، وَإِلَّا فَأَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَىٰ اللهِ، الْجَاهِلِ بِهِ وبمكانه).

قال: (الْجَاهِلِ بِهِ وبمكانه)، قلنا: نحن نُثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المكان العدمي، ولا نُثبت له المكان الوجودي المخلوق، الذي يُفيد تحيزًا من المخلوق فيه، فالله عَزَّ وَجَلَّ لا يُحيط به شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلقه.

وهذه الألفاظ -كما قلنا- كالمكان، والحيز، والجهة، وغير ذلك، والجسم، والعَرَض،

كل هذه الألفاظ ألفاظ مُجملة، تحتمل حقًا وباطلًا، ولذلك يُستفصَل من قائلها ماذا أراد من المعاني.

وهناك رسالة ماجستير قيمة جدًا في مجلدين اسمها: "موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم من الألفاظ المُجملة"، رسالة ماجستير للباحث/ عبد السميع بن عبد الأول الأفغاني، والمشرف عليها: الشيخ/ محمد بن خليفة التميمي، وهو من علماء العقيدة الكبار في المملكة العربية السعودية، وإذا وجدت رسالة يشرف عليها الشيخ محمد بن خليفة التميمي اقتن هذه الرسالة.

قال: (ثمَّ نفضت عَلَىٰ نَفْسِكَ دَعْوَاكَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهُ مُدَبِّرُهَا، كَمَا يَكُونُ الرَّجُلُ فِي عِمَارَةِ دَارِهِ خَارِجًا مِنْهَا، وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِيهَا، فَتَرَكْتَ الْمَذْهَبَ الْأَوَّلَ، ثُمَّ ادَّعَيْتَ أَخِيرًا فَقُلْتَ: هُوَ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، تَحْتَجُّ بِالشَّيْءِ ثُمَّ تَنْسَاهُ حَتَّىٰ تَنْقُضَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ؟!

قال: وَسَنَذْكُرُ فِي إِبْطَالِ حُجَجِكَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَخْبَارًا صَحِيحَةً يَسْتَدِلُّ بِهَا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ إِلْحَادِكَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حدثنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو -وَهُوَ ابْنُ دِينَارٍ- عَنْ أَبِي قَابُوسَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»).

وهو الحديث مشهور بحديث الأوَّلية.

قال: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَم الْمِصْرِيّ، أخبرنا اللَّيْثُ، عَنْ زِيَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اشْتَكَىٰ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوِ اشْتَكَىٰ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ،

تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ شِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ، وَرَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأَ»).

وهذا حديث مُنكَر، في إسناده زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري: منكر الحديث.

لكن الشاهد فيه: أنه قال: «ربنا الله الذي في السماء».

قال: (أَفَلَا تَرَىٰ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَيْفَ حَدَّهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ بِقَوْلِهِ: «رَبُّنَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ»؟).

قد يقول قائل: كيف حديث مُنكر ويقول الإمام الدارمي: أفلا ترىٰ رسول الله ﷺ كيف حده وذكر جملة في الحديث؟

فنقول: قد يكون الحديث صحيحًا عند الإمام الدارمي، يعني لم يقف علىٰ علة رواته، وضعفه، فثبَّته وصححه علىٰ ما عنده من العلم، وإن كان غيره قد وقف علىٰ علة ضعف الحديث.

قال: (وَكَذَلِكَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنُوخِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: "وَيْلٌ لِدَيَّانِ الْأَرْضِ مِنْ دَيَّانِ السَّمَاءِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ").

"وَيْلٌ لِدَيَّانِ الْأَرْض" أي: الذي يجازي العباد من القضاة والأمراء، فيوم الدين هو يوم الجزاء، فمن معاني "الدين" الجزاء، فالديَّان: الذي يُجازي، فالقاضي، والأمير إن لم يقضِ بالعدل قال عمر رضي الله عنه: "وَيْلٌ لِدَيَّانِ الْأَرْض" يعني الذي يُداين العباد ويُجازيهم ويحكم

عليهم بالباطل في الأرض "مِنْ دَيَّانِ السَّمَاءِ" الذي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ "يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ".

في رواية عند ابن عساكر، أو عند أبي بكر بن أبي شيبة فيها زيادة، قال: "إلا من أمّ العدل"، ما معنىٰ "أمّ"؟ يعني قصد، "إلا من أمّ العدل، وقضىٰ بالحق، ولم يقضِ لهوىٰ ولا قرابة، ولا لرغبة، ولا لرهبة، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه"، وهذا لفظ ابن أبي شيبة، وهو أثر صحيح، طيب.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عقيل، عَن ابْن شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ كَعْبًا -يعني كعب الأحبار- قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَيْلٌ لسلطان الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِ السَّمَاءِ"، قَالَ عُمَرُ: "إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ").

لأن عمر كان أمير المؤمنين، وهذا الأثر مُخيف.

فقال: ("إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ"، قَالَ كَعْبٌ: "إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ"، فَكَبَّرَ عُمَرُ وَخَرَّ سَاجِدًا).

وهذا كذلك أثر صحيح.

قال: (فَفِي هَذَا بَيَانٌ بَيِّنٌ لِلْحَدِّ، وَأَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ).

لأن الله ديان السماوات والأرض جميعًا وسلطانهما.

(وَأَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ؛ لِأَن هُنَاكَ عَلَىٰ الْعَرْشِ دُونَ مَا سواهُ من الْأَمْكِنَة.

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حدثنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حدثنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ وَجُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله فَوْقَ عَرْشِهِ، وعرشه فَوْقَ سماواته، فَوْقَ أَرْضِهِ مِثْلُ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»).

ومضىٰ أن هذا حديث منكر، لكن الشاهد فيه: أنه قال: «إِنَّ الله فَوْقَ عَرْشِهِ، وعرشه فَوْقَ سماواته».

وقال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدثنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ إِلَهَكُمُ الَّذِي تَعْبُدُونَ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَإِنْ كَانَ إِلَهُكُمُ اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَمْ يَمُتْ"، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤]، حَتَّىٰ خَتَمَ الْآيَةَ).

وهذا أثر حسن، الشاهد فيه: أن أبا بكر ماذا قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ "وَإِنْ كَانَ إِلَهُكُمُ اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَمْ يَمُتْ".

ومثل هذه الآثار نافعة جدًا في الاحتجاج علىٰ أهل البدع، ؛ لأنها تُفيد أن الصحابة أجمعوا علىٰ هذا الفهم الصحيح للعقيدة، أمَّروها كما جاءت، ما أطلقوا عليها يد التأويل، ولا التعطيل، ولا التحريف، ولا التجسيم، ولا التفويض، لأن المبتدعة يقولون أمرّوها كما جاءت، يعني لا نفهم معانيها، إنما الصحيح أننا نفهم المعنىٰ ونُفوض الكيف، لأنه تعالىٰ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مسيرَة خَمْسمِائَة عَام، وَبين كل سمائين مسيرَة خَمْسمِائَة عَام، وَبَين السَّمَاء السَّابِعَة وَبَين الْكُرْسِيّ مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَىٰ الْمَاءِ مسيرَة خَمْسمِائَة عَامٍ، وَالْعَرْش عَلَىٰ الْمَاءِ وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ").

مضىٰ هذا الأثر، وهو أثر حسن، الشاهد فيه: أنه قال: "وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ".

قال: **(حَدَّثنَا النُّفَيْلِيُّ، حدثنَا زُهَيْرٌ -وَهُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ- حدثنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، حدثنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، بْنِ أَبِي مَلِيكَةَ، أَنه حَدثهُ ذَكْوَانُ، حَاجِبُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ تَمُوتُ، فَقَالَ لَهَا: كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا)**.

يريد بذلك تبرئتها من حادثة الإفك التي برأها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منها.

قال: **(وَأَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، جَاءَ بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللهِ إِلَّا وَهِيَ تتلىٰ فِيهِ آناء الليل وَآنَاءَ النَّهَارِ)**.

وهذا حديث صحيح وإسناده حسن، وأصله عند البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن أبي مليكة، قال: "أستأذن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قبل موتها علىٰ عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشىٰ أن يُثني علي، فقيل لها: ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينكِ؟ قالت: بخير إن اتقيت"، شوف تقوىٰ زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"كيف تجدينكِ؟ قالت: بخير إن اتقيت"، سبحان الله يعني، الأثر قال: وهي مغلوبة، ما معنىٰ مغلوبة؟ أي: في سياقة الموت.

قال: "فأنتِ بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم ينكح بكرًا غيركِ، ونزل عذركِ من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه -يعني بعده- فقالت: دخل ابن عباس فأثنىٰ علي ووددت أني كنت نسيًا منسيًا".

فهذه عائشة، وهذه مكانتها، وهذه فضلها، والروافض -عليهم لعنة الله- يطعنون فيها وفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتهمونه في فراشه، يقذفونها، فأبىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا أن يُقيموا حد

القذف علىٰ أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة، ولذلك يوم عاشوراء ماذا يفعلون؟ يضربون ظهورهم ورؤوسهم بالسكاكين، والأشواك، والجنازير، والسلاسل، وغير ذلك مما يسمونه تطبيرًا، يجلدون أنفسهم حد القذف في الدنيا قبل الآخرة، وهذا انتقام من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من هؤلاء المُكذبين لكتاب الله، الطاعنين في رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي أزواج رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك لهم دين ولنا دين، الروافض ليسوا مسلمين، بل هم كاليهود والنصارىٰ، إن ماتوا علىٰ ذلك فهم في الدرك الأسفل من النار، يُعلنونها صراحةً، الطعن في حفصة وعائشة، وفي أبي بكر وعمر، وفي فراش النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يقطع ألسنتهم.

ثم يأتي واحد بعد ذلك ويسعىٰ للتقريب بين المسلمين وبين الروافض، ويقول: لا نختلف معهم إلا في الفروع، لا يُخالفوننا في أصل من الأصول، والله يكفي هذا الأصل، ليخرجوا من دين الله، ويُفارقوا أهل السنة، ولذلك ألد أعدائهم أهل السنة والجماعة.

قال: (حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّاد، حدثَنَا ابْنُ الْمُبَارك -شيخ البخاري- أخبرنا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ البنابي، قَالَ: حدثَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ يَتْبَعُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَيَسْمَعُ مِنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَهُ، فَلَقِيَ نَوْفًا).

قال: (فَلَقِيَ نَوْفًا، فَقَالَ نَوْفٌ: ذُكِرَ لَنَا أَن الله قَالَ للْمَلَائكَة: «ادعوا لي عبَادي، قَالُوا: يارب، فَكَيْفَ وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ دُونَهُمْ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فقد اسْتَجَابُوا»).

وهذا حديث كذلك صحيح، وله رواية أخرىٰ أوضح عند الإمام أحمد، وإسنادها صحيح، وفيها: أن نوفًا البكالي وعبد الله بن عمرو بن العاصي اجتمعا، فقال نوف: «**لو أن السماوات والأرض وما فيهما وُضعن في كفة الميزان، ووُضعت لا إله إلا الله في الكفة**

الأخرىٰ لرجحت بهن، ولو أن السماوات والأرض وما فيهن كن طبقًا من حديد»، يعني لا منفذ فيه، «**فقال رجل: لا إله إلا الله، لخرقتهن، حتىٰ تنتهي إلىٰ الله** عَزَّوَجَلَّ»، فقال عبد الله بن عمرو: "صلينا مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المغرب فذكره"، يعني هذا مرفوع إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ -أَبُو سَلَمَةَ- حدثنَا أَبُو هِلَالٍ، حدثنا قَتَادَةُ قَالَ: "قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: يا رب، أَنْتَ فِي السَّمَاءِ، وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ رِضَاكَ وَغَضَبَكَ؟ قَالَ: «إِذَا رَضِيتُ عَنْكُمُ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ، وَإِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكُمُ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُم»).

هذه سنة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في خلقه، ليست في أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقط، كما تكونوا يُولَّىٰ عليكم، أعمالكم عُمَّالكم، عمالكم من طينتكم، فإذا كان الناس صالحين كان عليهم أمثال أبي بكر وعمر، وإن كانوا غير ذلك فتأبىٰ حكمة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يُولي عليهم أمثال أبو بكر وعمر، كما يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في **(مفتاح دار السعادة)**، لكن الناس لا يفهمون، متىٰ يفهمون؟ بعد خراب ملطة، كما يقولون، والواقع خير مصدق لذلك.

فقالت بنو إسرائيل: (يا رب، أَنْتَ فِي السَّمَاءِ، وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ رِضَاكَ وَغَضَبَكَ؟ قَالَ: «إِذَا رَضِيتُ عَنْكُمُ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ، وَإِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكُمُ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُم»).

ثم قال الإمام الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ: **(فَهَذَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **وَصَاحِبَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا **وَخِيَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **وَالتَّابِعِينَ، حَتَّىٰ بَنُو إِسْرَائِيلَ، كُلُّهُمْ قَدْ قَالُوا بِخِلَافِ مذهبك فِي أَن الله فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَذَا بَابٌ طَوِيلٌ وَالْآثَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ يَكْفِي الْعَاقِلِ من ذكرنَا من ذَلِك).**

فقول أهل الجهم والتعطيل مما خالفه كل مؤمن علىٰ وجه هذه البسيطة منذ أن أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل. كلهم علىٰ أن الله في السماء مستوٍ علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

انتقل المصنف بعد ذلك للحديث عن القرآن الكريم. فالقرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكلم به حقيقة بصوت وحرف، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبلَّغه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ ذلك شواهد كثيرة من كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن المبتدعة قد خالفوا في هذا الأصل، فزعموا أن الله لا يتكلم بصوت وحرف، وإنما هو كلام نفسي، وزعموا أن القرآن مخلوق، كسائر المخلوقات.

وجاءوا في ذلك بشُبه لهم، فقام أئمة الإسلام وصنفوا في الرد علىٰ هؤلاء، يذكرون المعتقد الصحيح الذي عليه نور من الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، ثم بعد ذلك يذكرون هذه الشبهات ويُبينون أنها لا تعدو أن تكون من وحي الشيطان.

وهذا ما قام به المصنف هاهنا رَحِمَهُ اللَّهُ في نقضه علىٰ المريسي، فقال فيما جاء في أن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق:

قال: (ثُمَّ رَأَيْنَاكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ بَعْدَمَا فَرَغْتَ مِنْ إِظْهَارِ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ مِنْ كَلَامِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ وَنُظَرَائِهِ، تَقَلَّدْتَ كَلَامَ ابْنِ الثَّلْجِيِّ).

وقد سبقت ترجمة ابن الثلجي، وأنه كان كذّابًا، يكذب في الحديث، وينسبه إلىٰ أهل السنة والجماعة، يريد بذلك أن يُشوه مذهبهم، وأن يُبين أنهم مُمثلة أساءوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكن أهل السنة والجماعة قاموا علىٰ هذه الأحاديث وبينوا عوارها، وأنها من وضعه، فتقلد هذا المعارض كلام ابن الثلجي.

(الَّذِي كَانَ يَسْتَتِرُ بِهِ مِنَ التَّجَهُّمِ، بَعْدَمَا لَمْ تَدَعْ لِلْجَهْمِيَّةِ مِنْ كَبِيرِ حُجَّةٍ إِلَّا قُمْتَ بِهَا،

وَأَظْهَرْتَهَا، وَزَيَّنْتَهَا فِي أَعْيُنِ الْجُهَّالِ، وَدَعَوْتَهُمْ إِلَيْهَا، وَبَعْدَمَا صَرَّحْتَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِكَ هَذَا، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ عِنْدَكَ كَافِرٌ، وَأَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِزَعْمِكَ.

قال: ثُمَّ أَنْشَأْتَ طَاعِنًا عَلَىٰ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَسَطَّرْتَ فِيهِ الْأَسَاطِيرَ، وَأَكْثَرْتَ مِنَ الْمَنَاكِيرِ، وغلطت فِي كَثِيرٍ، فَادَّعَيْتَ أَنَّ قَوْلَ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ إِنَّهُ غير مَخْلُوقٍ بِدْعَةٌ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُخَاضُ فِيهِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وأنهم كَانُوا يَكْرَهُونَ الْخَوْضَ فِي الْقُرْآنِ، فَحَكَمْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِالْبِدْعَةِ، وَشَهِدْتَ بِهَا علىٰ نَفْسِكَ، لما أَنَّكَ صَرَّحْتَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ قَوْلُكَ: كَلَامُ اللهِ غَيْرُ اللهِ، وَهُوَ مِنْ أَفَاعِيلِهِ، وَالْأَفَاعِيلُ بِزَعْمِكَ زَائِلَةٌ عَنْهُ ومَخْلُوقَةٌ).

وقد سبق بيان أن الجهمية لا يُفرقون بين الفعل والمفعول، فلا يُثبتون فعلًا هو صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يُثبتون الكلام كفعل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقوم به، ولا يُثبتون الخلق، ولا الرزق، صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإنما هي إضافات إلىٰ الله من باب إضافة المخلوق الزائل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فهي إضافة تشريف، أو إضافة بينونة، أما أن تُضاف كصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يُضيفون هذه الصفات والأفعال لله؛ لأنهم يقولون: إن إضافة هذه الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دليل علىٰ الحدوث، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُنزه عن الحدوث؛ لأن الله يتكلم حيث شاء، وقتما شاء، ومعنىٰ ذلك: أنه يتكلم بعد أن لم يكن مُتكلمًا، يرزق من يشاء من عباده، يخلق وقتما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا علىٰ مقتضىٰ اصطلاحاتهم هذا تغير، وهذا حدوث بعد أن لم يكن حادثًا، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

فنفوا الصفات الفعلية عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجعلوا كل ما يُنسَب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويُوصَف به من الرزق، والخلق، والكلام، وغير ذلك، إنما هو من إضافة المخلوق، وليس



من إضافة الصفة، فلا يُفرقون بين الفعل والمفعول.

قال: (فحكمت علىٰ نَفسك بِمَا تخولت عَلَىٰ غَيْرِكَ، فَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْخَوْضَ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ صَدَقْتَ).

وحقًا السلف كانوا يكرهون الخوض في القرآن، ويكرهون الخوض في الصفات، ويكرهون الخوض في القدر، ويكرهون الخوض في سائر أمور العقيدة، ولهذا تواتر عنهم قولهم: "أمرّوها كما جاءت"، لكن متىٰ خاض السلف في هذه الأمور وفصّلوا فيها؟ لما ظهرت البدع، ما تكلموا فيها بهذا التفصيل إلا لما ردوا ما جاء به أهل الزيغ والضلال من البدع.

ولذلك قال: (فَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْخَوْضَ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ صَدَقْتَ، وَأَنْتَ الْمُخَالِفُ لَهُمْ لما أَنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِيهِ الْخَوْضَ، وَجَمَعْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ كثير مِنَ النَّقْضِ، فَمِثْلُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْخَوْضِ فِيهِ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْخَوَارِجِ حِينَ قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ: "كَلِمَةُ حَقٍّ يُبْتَغَىٰ بِهَا بَاطِلٌ").

ولذلك لما يُقال لأهل السنة مثلًا: ليس لكم هم إلا الكلام في الخروج؟ إلا في ذكر الأحاديث التي تُحذر من الخروج علىٰ ولي الأمر؟ فنرد عليهم ونقول: لما أكثرتم أكثرنا، ولو سكتم لسكتنا، لكن لما تكلمتم كان الواجب علينا أن نتكلم وأن نبين المذهب الحق في هذه المسألة وفي كل أمر من أمور العقيدة خالفتم فيه نهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فَقَدْ خُضْتَ فِيهَا أَيُّهَا الْمُعَارِضُ بِأَقْبَحِ خَوْضٍ، وَضَرَبْتَ لَهُ أَمْثَالَ السُّوءِ، وَصَرَّحْتَ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ -يعني القرآن- كَمَا قَالَ إِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ: مَجْعُولٌ وَكُلُّ مفعول عِنْدَكَ مَخْلُوقٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

قال: وَيْحَكَ! إِنَّمَا كَرِهَ السَّلَفُ الْخَوْضَ فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ يَتَأَوَّلَ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ وَأَغْمَارُ

الْجُهَّالِ مَا تَأَوَّلْتَ فِيهِ أَنْتَ وَإِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ، فَحِينَ تَأَوَّلْتُمْ فِيهِ خِلَافَ مَا أَرَادَ اللهُ، وَعَطَّلْتُمْ صِفَاتِ اللهِ، وَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ عِنْدَهُ بَيَانٌ أَنْ يَنْقُضَ عَلَيْكُمْ دَعْوَاكُمْ فِيهِ، وَلَمْ يَكْرَهِ السَّلَفُ الْخَوْضَ فِي الْقُرْآنِ جَهَالَةً بِأَنَّ كَلَامَ الْخَالِقِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا جَهَالَةً أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، حَتَّىٰ لَوْ قَدِ ادَّعَىٰ مُدَّعٍ فِي زَمَانِهِمْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَا كَانَ سَبيله عِنْدَهُمْ إِلَّا الْقَتْلَ، كَمَا هَمَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصُبَيْغٍ أَنْ يَقْتُلَهُ، إِذْ تَعَمَّقَ فِي السُّؤَالِ عَنِ الْقُرْآنِ، فِيمَا كَانَ أَيْسَرَ مِنْ كَلَامِكُمْ هَذَا).

البدعة إذا كانت خامدة غير مذكورة فإنها لا تُرَد

أن السلف ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكذلك عمر بن عبد العزيز الخليفة رَحِمَهُ اللَّهُ ما كانوا يسكتون علىٰ أهل البدعة، وإنما كانوا يزجرونهم، ويُبينون لهم القول الحق، ولو كان في ذلك بعض الشدة، بل كان بعضهم يقتل المبتدع، لما يجد جرمه، ويجد أثره في الناس، ويجد أن شره لن ينقطع إلا بالقتل، فيقتله تعزيرًا وإن لم يُكفّره، كما فعلوا مع غيلان الدمشقي، لما صلبوه بفتوىٰ أبي عمرو الأوزاعي، صلبوه قطعًا لشره، لأنه كان يخوض في القدر ويفتن الناس. كان داعية إليه.

وكذلك ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع صبيغ بن عسل، وكذلك ما فعله الولاة مع والجعد بن درهم، نعم، والجهم بن صفوان، كل هؤلاء قُتلوا.

قصة صبيغ ذكرها الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في الشريعة، وابن بطة كذلك في الإبانة، من طريق السائب بن يزيد الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "أُوتي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن"، يعني لا يسأل عن تفسير القرآن ومعانيه، لكن يأتي بالمتشابهات، يسأل بأمور لم يكن السلف يسألون عنها، يضرب نصوص القرآن بعضها ببعض، فقال عمر: "اللهم أمكنِّي منه".

قال: "فبينما عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذات يوم يُغدي الناس، إذ جاءه رجل عليه ثياب وعمامة يتغدىٰ، حتىٰ إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾[الذاريات: ١-٢]، يسأل عن أمور وتأويلات لم تكن علىٰ طريقة السلف، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنت هو؟ فقام إليه فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتىٰ سقطت عمامته، فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك"، لأن هذا كان سمة الخوارج، هم الذين كانوا يحلقون رؤوسهم علىٰ الدوام، لا يتقيدون بنُسك، فكانت سمة الخوارج في هذا الوقت، أما سمة الخوارج في عصرنا الحاضر أنهم يُطلقون شعورهم، فتجدوا أكثر هؤلاء يخرجون في فيديو مصور بجواره السلاح وقد أطلق شعره،كأنه يريد أن يخالف سنة أجداده كي لا يُعرف، فكان سمة الخوارج في هذا الوقت أنهم مُحلقين، يحلقون رؤوسهم.

فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحتملوه علىٰ قتب"، يعني علىٰ بعير، "ثم أخرجوه حتىٰ تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب، ثم ليقل: إن صبيغًا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعًا في قومه حتىٰ هلك، وكان سيد قومه".

وفي رواية: أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أمر الناس أن يعتزلوه، فضل سنة كالبعير الأجرب، لا يُكلمه أحد، ولا يجلس معه أحد، حتىٰ أرسل من أرسل، أظن أنه أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ أمير المؤمنين أنه قد تاب وحسنت توبته، فأمر الناس بتكليمه، فعاد الناس لتكليمه مرة أخرىٰ، ولما خرجت الخوارج وطلبوا منه أن يخرج معهم أبىٰ، وذكر أن ضرب عمر الذي ضربه إياه نفعه، فلم يعد علىٰ طريقة الخوارج.

قال: (فَلَمَّا لَمْ يَجْتَرِئْ كَافِرٌ أَوْ مُتَعَوِّذٌ بِالْإِسْلَامِ أَنْ يُظْهِرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي

عَصْرِهِمْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لِنَقْضِ كُفْرٍ لَمْ يحدث بَين أظهرهم، فيكون سَبَبًا لِإِظْهَارِهِ).

وهذه قاعدة في الردود، وفيها: بيان طريقة السلف في الردود، أن البدعة إذا كانت خامدة غير مذكورة فإنها لا تُرَد؛ لأن ردها ينشرها بين الناس، متىٰ تُرَد؟ إذا انتشرت بين الناس.

قال: (فَلَمَّا لَمْ يَجْتَرِئْ كَافِرٌ أَوْ مُتَعَوِّذٌ بِالْإِسْلَامِ أَنْ يُظْهِرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي عَصْرِهِمْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لِنَقْضِ كُفْرٍ لَمْ يحدث بَين أظهرهم، فيكون سَبَبًا لِإِظْهَارِه، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ كَلِمَةَ كُفْرٍ تَكَلَّمَ بِهَا بَدْءًا كُفَّارُ قُرَيْشٍ).

يعني القول بخلق القرآن.

(مِنْهُمُ الْوَحِيدُ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، فَقَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]).

فرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه.

(وَمِنْهُمُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالَ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١]).

فرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كذلك عليه.

قال: (كَمَا قَالَ جَهْمٌ وَالْمَرِيسِيُّ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَ الْبَشَرِ مَخْلُوقٌ لَا شكّ فِيهِ، وَكَذَلِكَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣١]، كَمَا قَالَ جَهْمٌ وَالْمَرِيسِيُّ سَوَاءً، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّفْظِ، وَالْمَعْنَىٰ: إِنْ هَذَا إِلَّا مَخْلُوقٌ، فَأنْكر عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، فَقَالَ لِلْوَحِيدِ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:٢٦]، لَمَّا قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥]، وَقَالَ لِلَّذِي قَالَ: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣١]: ﴿فَأْتُوا

بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:٢٣].

قال: ثُمَّ لَمْ يَزَلْ هَذَا الْكُفْرُ بَعْدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ دَارِسًا طَامِسًا).

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يتكلم أحد بخلق القرآن بعد كفار قريش، بعد أن آمن الناس، ظل الناس طيلة حياة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، علىٰ القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

(ثُمَّ لَمْ يَزَلْ هَذَا الْكُفْرُ بَعْدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ دَارِسًا طَامِسًا؛ لما قَدْ طَمَسَهُ اللهُ بِتَنْزِيلِهِ، حَتَّىٰ مَضَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ وَالتَّابِعُونَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ في الإسلام الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ بِالْبَصْرَةِ، وَجَهْمٌ بِخُرَاسَانَ، فَقَتَلَهُمَا اللهُ بِشَرِّ قِتْلَةٍ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ذلك: "وأول من أظهر في الإسلام التجهم، وهذا المذهب الذي نصره الرازي، وأبو معشر، ونحوهما هو الجعد بن درهم، فضحّىٰ به خالد بن عبد الله القصري، وخطب الناس يوم النحر، فقال: ضحوا يا أيها الناس، تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسىٰ تكليمًا، تعالىٰ الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا، ثم نزل فذبحه، قال: فهذا أول الجهمية نفاة الصفات في هذه الأمة، هو مُكذب بحقيقة ما خص الله به إمام الحنفاء المُخلصين، الذين يعبدون الله لا يُشركون به شيئًا، وكليم الله"؛ لأنه نفىٰ الخُلة لإبراهيم، ونفىٰ التكليم لموسىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ "الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه".

فشكر العلماء لخالد بن عبد الله القصري هذا الصنيع، وذكروه في مناقبه،

ولأجل ذا ضحىٰ بجعد خالد الـ	ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسىٰ الكليم الداني

هكذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته الكافية

فهذا مُبتدع قُتل علىٰ الزندقة، فمن أئمة الإسلام وأمراء الإسلام من كان يضرب، يجلد، كما كان يفعل عمر، ومنهم من كان يحبس، كما فعل عمر أيضًا، ومنهم من كان يقتل، ومنهم من كان ينفي، فهذه سنة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي شرَّعها علىٰ لسان الخلفاء ومن جاء بعدهم من أئمة الإسلام في التعامل مع هؤلاء، إن لم ينزجروا بالحجة، يعني أُقيمت عليهم الحجة ولم يرجع الواحد منهم عن قوله وعن بث هذا القول بين الناس، فللأمير أن يفعل فيه ما يشاء مما يراه مصلحة، بشرط أن يكون ذلك بعدل، لا بظلم وجور يُجاوز الحد.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ في الإسلام الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ بِالْبَصْرَةِ، وَجَهْمٌ بِخُرَاسَانَ، فَقَتَلَهُمَا اللهُ بِشَرِّ قِتْلَةٍ، وَفَطِنَ النَّاسُ لِكُفْرِهِمَا، حَتَّىٰ كَانَ سَبِيل من أظهر ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ الْقَتْلَ صَبْرًا، حَتَّىٰ كَانُوا يُسَمُّونَهُمْ بِذَلِكَ الزَّنَادِقَةَ)**.

والزنديق: هو الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، والكلمة في أصلها فارسية.

قال: (ثُمَّ لَمْ يَزَلْ طَامِسًا دَارِسًا).

أي بعد أن قُتل الجعد والجهم درس الأمر مرة أخرىٰ، وانتشر بين الناس القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

(حَتَّىٰ دَرَس الْعُلَمَاءُ، وَقَلَّتِ الْفُقَهَاءُ، وَنَشَأَ نَشْءٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، مِثْلُ: بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ).

كان أبوه يهوديًا كما مضىٰ.

(وَنُظَرَائِهِ، فَخَاضُوا فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَأَظْهَرُوا طَرَفًا مِنْهُ، وَجَانَبَهُمْ أَهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ حَتَّىٰ هَمَّ بِهِمْ وَبِعُقُوبَتِهِمْ قَاضِي الْقُضَاةِ يَوْمَئِذٍ أَبُو يُوسُفَ).

تلميذ أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان المريسي يجلس في حلقته.

(حَتَّىٰ فَرَّ، مِنْهُ الْمَرِيسِيُّ إِمَامُكَ وَلَحِقَ بِالْبَصْرَةِ، بزعمك، وبرواياتك عنهُ، فَلم يزالو أَذِلَّةً مَقْمُوعِينَ، لا يُقْبَلُ لَهُمْ قَوْلٌ وَلَا يُلْتَفَتُ لَهُمْ إِلَىٰ رَأْيٍ، حَتَّىٰ رَكَنُوا إِلَىٰ بَعْضِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَمْ يُجَالِسُوا الْعُلَمَاءَ، وَلَمْ يُزَاحِمُوا الْفُقَهَاءَ، فَاخْتَدَعُوهُمْ بِهَذِهِ المحنة الملعونة، حَتَّىٰ أَكْرَهُوا النَّاسَ عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَالسِّيَاطِ).

وكان ذلك في دولة بني العباس، بدءًا من الخليفة المأمون، عفا الله عنه. أدخلوا عليهم الشبهة حتىٰ ظنوا أن إظهار القول بخلق القرآن من الدين الذي ينبغي اعتقاده ولا يجوز كتمانه بحال، فامتحنوا الناس وكانت فتنة عظيمة.

قال: (فَلَمْ تَزَلِ الْجَهْمِيَّةُ سَنَوَاتٍ يَرْكَبُونَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِقُوَّةِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْمُحَادِّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، حَتَّىٰ اسْتُخْلِفَ الْمُتَوَكِّلُ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- فَطَمَسَ اللهُ بِهِ آثَارَهُمْ، وَقَمَعَ بِهِ أَنْصَارَهُمْ، حَتَّىٰ اسْتَقَامَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَىٰ السُّنَّةِ الْأُولَىٰ، وَالْمِنْهَاجِ الْأَوَّلِ.

قال: وَاحْتَالَ رِجَالٌ مِمَّنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاعْتِقَادِ التَّجَهُّمِ حِيلَةً لِتَرْوِيجِ ضَلَالَتِهِمْ فِي النَّاسِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْإِفْصَاحُ بِهِ مَخَافَةَ الْقَتْلِ وَالْفَضِيحَةِ وَالْعُقُوبَةِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُنكر لذَلِك، فاستتروا بِالْوَقْفِ مِنْ مَحْضِ التَّجَهُّمِ، إِذْ لم يكن يَجُوزُ مِنْ إِظْهَارِهِ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ ما كان يَجُوزُ لَهُمْ مَعَ مَنْ قَبْلَهُ، فَانْتَدَبُوا طَاعِنِينَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ التجهم ودان بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَانْتَدَبَ هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ مُنَافِحِينَ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ، مُحْتَجِّينَ لِمَذَاهِبِهِمْ بِالتَّمْوِيهِ وَالتَّدْلِيسِ، مُنتفين فِي الظَّاهِرِ مِنْ بَعْضِ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ، مُتَابِعِينَ لَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبَاطِنِ، مُمَوِّهِينَ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَالسُّفَهَاءِ بِمَا حَكَيْتَ عَنْهُمْ أَيها الْمُعَارِضُ أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ وَأَبَا مُعَاوِيَةَ وَبَعْضَ نُظَرَائِهِم كَرِهُوا الْخَوْضَ فِي الْمَخْلُوقِ وَغَيْرِ الْمَخْلُوقِ).

هذا موجود في إتباع كل فرقة وطائفة ممن يتعاطفون معهم ويميلون بميلهم تراه يقول:

لستُ إخوانيا ولكن...لا أحب الظلم، هو هو لستُ جهميا لكن ينبغي أن نسكت عن هذا الكلام، وهؤلاء هم الواقفة، الذين يقولون: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وكلُّ وجهته إلىٰ الذين يقولون بخلق القرآن، كما أن الذي يقول لست إخوانيا، كل منافحته ووجهته للإخوان وهو حرب علىٰ أهل السنة أكثر ممن هو إخوانيٌّ صليبة. وهذا لا يخفىٰ علىٰ أهل السنة.

فهذا الذي ظهر من البدع ويظهر ترىٰ في كل بدعة من يُخفف هذه البدعة، ويريد أن يُهون من شأنها، فتراه يأتي بقول جديد، بعد أن كانوا يقولون: القرآن مخلوق، وقام عليهم أئمة السنة، قالوا: لا، لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، تظهر بدعة أخرىٰ، لا نقول لفظي بالقرآن مخلوق، والبدع ولَّادة، طالما أن الإنسان حاد عن طريقة السلف لا بد أن ينغمس في هذه البدع، شاء أو أبىٰ، فهكذا فعل هؤلاء.

(فَانْتَدَبَ هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ).

ما معنىٰ الواقفة؟ أي الذين وقفوا في القرآن، يقولون: لا نقول: هو مخلوق، ولا غير مخلوق، نقول كما نطق به الكتاب والسنة، القرآن كلام الله، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[التوبة: ٦]، ونحن نقول: هذا كان يصلح قبل الفتنة، لكن بعد أن وقعت الفتنة لا بد أن تُصرح بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

(فَانْتَدَبَ هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ مُنَافِحِينَ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ، مُحْتَجِّينَ لِمَذَاهِبِهِمْ بِالتَّمْوِيهِ وَالتَّدْلِيسِ، مُنتفين فِي الظَّاهِرِ مِنْ بَعْضِ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ، مُتَابِعِينَ لَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبَاطِنِ، مُمَوِّهِينَ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَالسُّفَهَاءِ بِمَا حَكَيْتَ عَنْهُمْ أيها الْمُعَارِضُ أَنَّ أَبَا أُسَامَةَ وَأَبَا مُعَاوِيَةَ وَبَعْضَ نُظَرَائِهِمْ كَرِهُوا الْخَوْضَ فِي الْمَخْلُوقِ وَغَيْرِ الْمَخْلُوقِ.

فَقُلْنَا لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: إِنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الْخَوْضَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَشَايِخِ -إِنْ صَحَّتْ عنهم

رِوَايَتُكَ- لما أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخُوضُ فِيهِ إِلَّا شِرْذِمَةٌ أَذِلَّةٌ سِرًّا بِمُنَاجَاةٍ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا الْعَامَّةُ مُتَمَسِّكُونَ مِنْهُمْ بالسنن الأولىٰ والأمر الْأَوَّلِ، فَكَرِهَ الْقَوْمُ الْخَوْضَ فِيهِ، إِذْ لم يكن يخاض فِيهَا عَلَانِيَةً، وَقَدْ أَصَابُوا فِي تَرْكِ الْخَوْضِ فِيهِ، إِذْ لَمْ يُعْلَن، فَلَمَّا أَعْلَنُوهُ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ، وَدَعَوُا الْعَامَّةَ إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَالسِّيَاطِ، وَادَّعَوْا أَن كَلَام الله مَخْلُوق، وَأنكر ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَنْ غَبَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَبَقِيَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَكَذَّبُوهُمْ، وَكَفَّرُوهُمْ، وَحَذَّرُوا النَّاسَ أَمْرَهُمْ، وَفَسَّرُوا مُرَادَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ خَوْضًا فِيمَا نهوا عَنهُ، وَمن أَصْحَابنَا إِنْكَار للكفر الْبَيِن وَمُنَافَحَةً عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَيْلَا يُسَبَّ، وَتُعَطَّلَ صِفَاتُهُ، وَذَبًّا عَنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، كَيْلَا يَضِلُّوا بِمِحْنَتِهِمْ هَذِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفُوا ضِدَّهَا مِنَ الْحُجَجِ الَّتِي تَنْقُضُ دَعْوَاهُمْ وَتُبْطِلُ حُجَجَهُمْ).

فلو لم يقم أهل السنة بواجب رد هذا العدوان علىٰ صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لترتب علىٰ ذلك ضياع الدين، وانتشار هذه البدع بين الناس، فلم يكن في الناس إلا قائل بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يتكلم، وأن الله لا يتصف بصفة فعلية، فلا يقوم به لا خلق، ولا رزق، ولا كلام، ولا غضب، ولا فرح، ولا غير ذلك، وهذا كله مُناقض لكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما قامت هذه البقية من علماء السلف في وجه المعتزلة بقيت هذه الثلة المؤمنة التي هي علىٰ الاعتقاد السليم إلىٰ الآن، فما بقيت هذه الطائفة المنصورة إلا بفضل هؤلاء، والله عَزَّوَجَلَّ يحفظ هذا الدين ويحفظ معانيه.

القرآن محفوظ لفظًا ومعنىٰ

لما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾[الحجر: ٩] لا تظنوا أن الحفظ المقصود هاهنا حفظ اللفظ فقط، لكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تكفل لهذه الأمة كذلك بحفظ المعنىٰ.

الأمم التي كانت قبلنا حرَّفوا اللفظ والمعنىٰ، فالتوراة والإنجيل مُحرفتان من جهة

اللفظ، فأُضيف إليها ونُزع منها، وهي كذلك مُحرفة من جهة المعنىٰ بالتأويل الذي يذكرون أن فيلون اليهودي السكندري كان مبدأه متأثرا بمدرسة اليونان، وكذلك الإنجيل حرف وحرفت معانيه.

وأما القرآن فقد حفظه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكذلك سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفظها كذلك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا بالنسبة للفظ.

ومن جهة المعنىٰ: أبقىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا كتب التفسير، التي حوت كلام الأئمة المُفسرين، وأبقىٰ لنا كتب شُرّاح الحديث، الذين شرحوا لنا أحاديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا جاء جاءٍ بقول جديد في الآية أو الحديث رددنا هذا القول بما كان عليه أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك بما قاله الأئمة؛ وذلك لأن هذه الأمة الخاتمة، وأن القرآن هو آخر الكتب، وسنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر ما يُبين ما جاء في القرآن، فلو تركه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دون حفظ لضاع هذا الدين، وقد تكفل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن تبقىٰ طائفة من هذه الأمة ظاهرة علىٰ الحق تُبين للناس دين الحق إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فظهر أئمة الإسلام منافحة عن الله كيلا يُسَب، وما أشرفها من وظيفة، أن تُنافح عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعن سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك السلفي يسمع ما يسمع من السب، والشتائم، والتهم، عملاء السلاطين، وعبيد البيادة، وتفعلون ذلك من أجل الفتات الذي يُلقَىٰ إليكم من السلاطين، ومن الأمراء، ومن الوزراء، والله ما نرىٰ شيئًا، وما نأخذ شيئًا، وما نراه أن أهل السنة هم أفقر الناس، أكثرهم لا يجد وظيفة يعمل فيها، يعمل في الأعمال اليدوية، لا يتطلب الواحد منهم منصبًا، ولا يشتهي أن يتقرب إلىٰ هؤلاء، ما يفعل ذلك إلا من أجل نصرة سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يفعل ذلك خوفًا من السلاطين، لأننا لو كنا نفعل ذلك خوفًا من السلاطين لسكتنا وقت أن

ركب الإخوان الموجة كما يقال، فكانت الكلمة لهم، ومع ذلك كان أهل السنة والجماعة يُبينون الحق في مثل هذه الأمور، فيُبينون سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يخشون في ذلك لومة لائم.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستعملنا في طاعته ونصرة دينه، وأن يُثبتنا علىٰ ذلك حتىٰ نلقاه.

قال: (كَيْلَا يُسَبَّ، وَتُعَطَّلَ صِفَاتُهُ، وَذَبًّا عَنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، كَيْلَا يَضِلُّوا بِمِحْنَتِهِمْ هَذِهِ).

يكفي أن تأتي يوم القيامة وقد نجا فلان من الناس بسبب مقالتك، بسبب تحذيرك له، لولا الكلمة التي ألقيتها في أذنه لخاض في الدماء، ولوقع فيما وقع فيه أهل البدع، لكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نجاه بفضل هذه الكلمة التي ألقيتها إليه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من هؤلاء.

فقال: (كَيْلَا يُسَبَّ، وَتُعَطَّلَ صِفَاتُهُ، وَذَبًّا عَنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ، كَيْلَا يَضِلُّوا بِمِحْنَتِهِمْ هَذِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفُوا ضِدَّهَا مِنَ الْحُجَجِ الَّتِي تَنْقُضُ دَعْوَاهُمْ وَتُبْطِلُ حُجَجَهُمْ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ أَنَّهُ سَمِعَ عِيسَىٰ بْنَ يُونُسَ يَقُول: "لَا تجالسوا الجهيمة، وَبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ").

لا تجالسوا الإخوان، وبينوا للناس أمرهم، وافضحوهم وبينوا كذبهم، لا تجالسوا أهل التبليغ، لا تجالسوا أهل التكفير، لا تجالسوا المبتدعة، الذين يُصرون علىٰ بدعتهم، ويُنافحون من أجلها، وبينوا للناس ضلالهم، فقولكم أظهر من قولهم؛ لأن قولكم عليه نور من كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما غاية قولهم فإنها شبهات، ألقاها إليهم الشيطان، أو هي من كلام الفلاسفة اليونان، أو الفلاسفة المشائين، الذين عطلوا بها صفات رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فانظر كيف قال عيسىٰ بن يونس، قال: "لَا تجالسوا الجهيمة"، فنحن لا نُجالس أهل البدع، حتىٰ لا نفتن الناس؛ لأن الناس إذا وجدوك مع أهل البدع ظنوا أنك علىٰ طريقتهم،

وحتىٰ لا تُفتَن أنت، فإنك لا تأمن أن يُلقي إليك شبهة لا تخرج من قلبك.

ثم قال: (وَبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ).

فلا نُجالسهم ولا نسكت عليهم، لكن نُبين أمرهم للناس، ونفضحهم.

قال: (كَيْ يَعْرِفُوهُمْ فَيَحْذَرُوهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "لَأَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ").

وهذا الأثر ذكره في صدر الكتاب، أول أثر ذكره في الكتاب هذا الأثر، أتدري لماذا قال عبد الله بن المبارك هذا القول؟ من يذكر لماذا قال عبد الله بن المبارك هذا القول؟ لماذا قال: "لَأَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ"؟

لأن كلام الجهمية أقبح من كلام اليهود والنصارىٰ. الجهمية جعلوا الله عَزَّوَجَلَّ عدمًا.

أما اليهود والنصار يُثبتون إلهًا له صفات، صحيح اليهود ينسبون النقص إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تعب واستراح في اليوم السابع، وأنه صارع يعقوب، ويعقوب أبىٰ أن يتركه إلا بعد أن يُباركه، وأنه فعل كذا وكذا وكذا، لكنهم يُثبتون صفات الله، فتجد في التوراة وإن كانت مُحرفة إثبات العين، وإثبات اليد، وإثبات المجيء، وتكليم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لموسىٰ علىٰ جبل الطور، بل عشاء موسىٰ مع الله، وبحضور هارون، وغير ذلك، تجد هذا في كتبهم.

فهذه الأمور وإن كان فيها تحريف إلا أنهم يُثبتون إلهًا له صفات، وأما الجهمية فإنهم لا يُثبتون إلهًا، فقولهم أقبح من كلام اليهود والنصارىٰ.

قال: **(فَحِينَ خَاضَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَأَظْهَرُوهُ وَادَّعَوْا أَنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ، أَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوق، وأن مَنْ قَالَ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّآ أَنَا﴾**[طه: ١٤]

مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

قال: حَدَّثَنِيهِ يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَكَرِهَ ابْنُ الْمُبَارَكِ حِكَايَةَ كَلَامِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُعْلِنُوهُ، فَلَمَّا أَعْلَنُوهُ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَعَابَهُمْ علىٰ ذَلِكَ.

قال: وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ: "كُنَّا نَرَىٰ السُّكُوتَ عَنْ هَذَا قبل أَن يَخُوض فِيهِ هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا أظهروه لم نَجِدْ بُدًّا مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِم").

ولذلك أنجع طريقة وأفضل طريقة في الرد علىٰ المبتدعة: أن تحتج عليهم بكلام الأولين.

يعني الذي يطعن في السلفية ويقول: هؤلاء مداخلة، ورسلانيون، ألبانيون، عثيميون، بازيون، ويأتي بكلام هؤلاء العلماء، لا تستشهد بكلام واحد من هؤلاء، عليك أن تأتي بكلام من سبقهم من الأئمة فيما يتعلق بهذا الباب، سواء كان في الصفات، كان في فهم سلف الأمة، كان في الخروج، كان في أي شيء من المعتقد، فلن يستطيع أن يرد، وإلا طعن في هؤلاء الأئمة.

فقال أحمد: "كُنَّا نَرَىٰ السُّكُوتَ عَنْ هَذَا قبل أَن يَخُوض فِيهِ هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا أظهروه لم نَجِدْ بُدًّا مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِم".

قال: (لَمْ يَقُلْ أَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ: إنه مَتَىٰ مَا أَظْهَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِحْنَتَهُمْ، وَأَذَاعُوا كُفْرَهُمْ، وَدَعَوُا النَّاسَ إِلَيْهَا، فَأَمْسِكُوا عَنِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ يَسْتَمِرَّ فِي النَّاسِ كُفْرُهُمْ، وَتَدْرُسَ سنن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه).

ما قال: الأئمة كذلك، لكن قالوا: إن أعلَنوا أعلِنوا، وردوا عليهم.

(وَلَكِنْ قَالُوا: أَمْسِكُوا عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ مَا لَمْ يُنَصِّبِ الْقَوْمُ الْكُفْرَ إِمَامًا، فَإِذَا نصبوه إِمَامًا

فَمَنْ يَعْقِلُ تَدْلِيسَهُمْ وَتَمْوِيهَهُمْ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِبَعْضِ مَنْ نَاقَضَهُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَضَلَالَهُمْ.

قال: فَالْمُبْتَدِعُ الضَّالُّ مِنَ الْحِزْبَيْنِ مَنْ نصب رَأْيَ جهم إِمَامًا وأذاعه فِي النَّاسِ بَدْءًا، وَالْمُتَّبِعُ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَنَاقَضَهُ، فَمَنْ أَجْرَىٰ النَّاقِضَ للبدعة والراد لِلْكُفْرِ مَجْرَىٰ مَنْ شَرَعَهَا فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ مَا فَرَّقَ اللهُ، وَفَرَّقَ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللهُ، وَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسْمَعَ مِنْهُ وَيقبل، أوطمعتم مَعْشَرَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْوَاقِفَةِ).

والله كأني أرىٰ الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقف علىٰ المنبر ويخطب في الناس، من غيرته علىٰ سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولذلك كما قلنا: شيخ الإسلام كان يُعظِّم هذا الكتاب جدًا.

ولا أبالغ إن قلت: ما ترك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ منه موضعًا إلا ووضعه في كتبه، يعني ينقل عن غيره من الأئمة السطر، والسطرين ونصف الصفحة، وإذا نقل عن الإمام الدارمي قلّب الصفحات، ينقل خمس صفحات، أو ست صفحات عن الإمام الدارمي، يتركه يتحدث ويقرر ويرد بعلم وهدىٰ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ و رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول: (أوطمعتم مَعْشَرَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْوَاقِفَةِ أَنْ تُنَصِّبُوا الْكفْر للنَّاس إِمَامًا تَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ، وَيَسْكُتُوا أَهْلُ السُّنَّةِ عَنِ الْإِنْكَارِ عَلَيْكُمْ، حَتَّىٰ يَتروَّجَ عَلَىٰ النَّاسِ ضَلَالُكُمْ بِمَا حَكَيْتُمْ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَأَبِي أُسَامَةَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ -إِنْ صَدَقَتْ دَعْوَاكُمْ- حَتَّىٰ تَضْمَحِلَّ مَذَاهِبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَسْتَفِيضَ مَذَاهِبُ الْجَهْمِيَّةِ من الْعَامَّةِ؟ لَقَدْ أَسَأْتُمْ بِأَهْلِ السُّنَّةِ الظَّنَّ، وَنَسَبْتُمُوهُمْ إِلَىٰ الْعَجْزِ وَالْوَهَنِ.

وَإِنْ يَكُ أَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو بَكْرٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ جَبُنُوا عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُخَاضُ فِيهِ فِي عَصْرِهِمْ، فَقَدْ جَسَرَ عَلَىٰ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ مِثْلَ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَعِيسَىٰ بْنِ يُونُسَ،

وَغَيْرِهِمْ.

قال: وَأَمَّا مَا ادَّعَيْتَ عَلَىٰ أَبِي يُوسُفَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ لَمْ يَقُمْ لَكَ بِهِ حُجَّةٌ فَكَيْفَ إِذَا لَمْ نَسْمَعْهُ؛ لِأَنَّهُ الْمَعْرُوف فِي دينه، الْمَأْبُونُ فِي رِوَايَتِهِ، فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ بِذَلِك فَسَمِّ رَجُلًا صَالِحًا رَضِيَ بِالثَّلْجِيِّ فِي الْفُتْيَا وَالرِّوَايَةِ إِمَامًا، أَوْ رَضِيَ بِهِ فِي السُّنَّةِ نِظَامًا، أَوْ رَوَىٰ عَنْهُ شَيْئًا، أَوْ حَمِدَ لَهُ مَذْهَبًا، فَإِنْ كُنْتَ مُحْتَجًّا بِحَقٍّ فَعَلَيْكَ بِغَيْرِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِ كَمَنْ رَوَيْنَا عَنْهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ وَأَئِمَّتِهِمْ، وَلَكِنَّ الْغَرِقَ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ عُودٍ.

وَأَمَّا أَبُو يُوسُفَ فَإِنْ صَحَّ فِيهِ مَا رَوَىٰ ابْنُ الثَّلْجِيِّ فَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَا مِنْ أَجِلَّةِ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، فيُنصَب إِمَامًا يُقْتَدَىٰ بِهِ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفَ مَنْ يُنَاقِضُ الْجَهْمِيَّةَ، وَيَرُدُّ الْمُحْدَثَاتِ مِنْ كُفْرِهِمْ، وَيَزْعُمُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غير مَخْلُوق، فَبِجَهْلِ أَبِي يُوسُفَ أَنْ يُقِيمَ حَدِيثَهُ فِي الْعُلَمَاءِ حَتَّىٰ يَتَفَرَّغَ لِلنَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ).

لعلها الأصح: فبجهل، يعني إن فعل ذلك فهو جاهل، أن ينهىٰ الناس عن الصلاة خلف من يقول: إن كلام الله غير مخلوق، هذا جهل منه، فلعل هذا هو الأصح والأضبط.

قال: (وَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِأَبِي يُوسُفَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفَ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا تَحْتَجُّ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِيمَا رَوَيْتَ عَنِ المريسي من ضَلَالَاتِهِ؟ وَقَدْ رَوَيْتَ عَنْ أَبِي يُوسُف أَنه هُوَ بِعُقُوبَتِهِ وَأَخْذِهِ فِيهَا حَتَّىٰ فَرَّ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَإِنْ كُنْتَ مُحْتَجًّا عَلَيْنَا بِأَبِي يُوسُفَ فَهُوَ عَلَيْكَ أَحَجُّ، لما أَنَّكَ بِهِ أعجب، وبإمامته أَرْضىٰ، ممن يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَيْقِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لَمْ يُؤْمِنْ بَعْدُ بِأَنَّهُ نَفْسُ كَلَامِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِأَنَّهُ نَفْسُ كَلَامِ الله لعلم يَقِينًا أَن كَلَام صِفَةُ الْمُتَكَلِّم، وَاللهُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

فَإِنْ طَلَبْتُمْ مِنَّا فِيهِ آثَارًا مَأْثُورَةً مُسْنَدَةً مَنْصُوصَةً فِيهِ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، فقد أخبرناكم أَنَّهُ كُفْرٌ لَمْ يَحْدُثْ فِي عَصْرِهِمْ، فَيُرْوَىٰ عَنْهُمْ فِيهِ غَيْرَ أَنَّهُ كُفْرٌ مَعْقُولٌ، تَكَلَّمَ بِهِ مشركو قُرَيْشٍ عِنْدَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

يعني بعثته.

(فَقَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥]، فَأَنْكَرَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ طُمِسَ، حَتَّىٰ ظَهَرَ فِي الْعَصْرِ الَّذِي أَنْبَأْنَاكُمْ بِهِ فِي عَصْرِ جَهْمٍ، وَالْجَعْدِ، ثُمَّ الْمَرِيسِيِّ، وَنُظَرَائِهِمْ، فَرَوَيْنَا لَكُمْ عَمَّنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفَهُمْ فِيهِ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، مِثْلِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَعِيسَىٰ بْنِ يُونُسَ، وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَالْمُعَافَىٰ بْنِ عِمْرَانَ، وَبَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ، وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا كُفْرٌ مَعْقُولٌ، لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَىٰ أَثَرٍ وَلَا خَبَرٍ).

فلو قال لك الجهمي: إيتني بقول واحد للصحابة أو للتابعين قالوا فيه: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنت الذي تقول: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بآثار من سلف، فمن سلفك في هذا القيد؟ غير مخلوق، الشيخ هنا كيف رد؟ قال: هذا معقول، هذا لم يُنقَل عمن سبق؛ لأن البدعة لم تكن ظهرت، لكن هذا معقول، معقول من جهة ماذا؟ أننا لو قلنا: إن القرآن مخلوق كفرنا -عياذاً بالله- لماذا؟ لأننا نجعل الله محلًا للمخلوقات، وهذا كفر، ثم هو تكذيب لصريح القرآن، الذي أثبت الكلام صفةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم إن هذه البدعة ظهرت في مبدأ بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، فرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم.

قال: **(كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا ادَّعَىٰ أَنَّ مُلْكَ اللهِ وَسُلْطَانَهُ وَقُدْرَتَهُ، وَعِلْمَهُ، وَمَشِيئَتَهُ، وَإِرَادَتَهُ، وَوَجْهَهُ، وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَيَدَيْهِ، أَنَّ شَيْئًا مِنْهَا مَخْلُوقٌ.**

قِيلَ لَهُ: كَفَرْتَ وَكَذَبْتَ، بَلْ كُلُّهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَإِنْ طَلَبْتَ مِنَّا فِي كل شَيْءٍ مِنْهُ أَثَرًا مَنْصُوصًا بِتَسْمِيَةِ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ، قُلْنَا لك: أَنْتَ مُرِيبٌ كَافِرٌ، وَمَنْ يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ هَذَا، وَمَا أَشْبَهَهُ حَتَّىٰ يَطْلُبَ فِيهَا الْآثَارَ؟!).

الكلام واضح؟ نعم هذا لا يحتاج إلىٰ نص كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو واحد من الصحابة أو التابعين؛ لأن هذا معلوم، هذه صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فكيف يُقال إن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخلوقة، هذه لا تحتاج الىٰ تنصيص من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَكَذَلِكَ كَلَامُ اللهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ سَوَاءً، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَا يشْتَبه إِلَّا علىٰ مَنْ لَا فَهْمَ لَهُ وَلَا عَقْلَ.

قال: وَأُخْرَىٰ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مُحْدَثٍ).

لعلها مُحدثٌ، قال: **(وَأُخْرَىٰ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مُحْدَثٍ)**، خبر أن، عندكم مُحْدَثٍ؟ طيب.

قال: (وَأُخْرَىٰ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مُحْدَثٌ لَا شَكَّ فِيهِ).

المخلوق محدث، حدث بعد أن لم يكن.

قال: (فَاللهُ بِزَعْمِكُمْ كَانَ بِلَا كَلَامٍ، حَتَّىٰ خَلَقَ لِنَفْسِهِ كَلَامًا، ثُمَّ انْتَحَلَهُ اضْطِرَارًا إِلَىٰ كَلَامِ غَيْرِهِ، فَتَمَّتْ بِهِ رُبُوبِيَّتُهُ، وَوَحْدَانِيَّتُهُ، وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ بِزَعْمِكُمْ، فَمَنْ يَحْتَاجُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْقُول إِلَىٰ أَثَرٍ؟!

قال: وَأُخْرَىٰ: أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ شَيْئًا).

يرد الشيخ هاهنا بالمعقول، فأهل السنة أعلم الخلق بالمعقول والمنقول، و تجد تهمة أهل السنة من قِبل هؤلاء المبتدعة: انت حافظ مش فاهم!!

فلو تكلمنا عن بدعة هذا الزمان؛ بدعة الخروج، لما تحتج علىٰ كثير من هؤلاء بالأحاديث التي وردت في النهي عن الخروج وتقييد الخروج بالكفر الصريح البيّن والقدرة، يقول لك: انت حافظ مش فاهم، تُدلل له بالمعقول والمنقول، لا يقبل منك، فهنا الإمام الدارمي جمع بين المنقول والمعقول.

قال: (وَأُخْرَىٰ: أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ شَيْئًا يُرَىٰ ويحس، إِلَّا بِلِسَانِ مُتَكَلِّمٍ بِهِ، فَالْكَلَامُ مِنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ صِفَتُهُمَا، فَالْخَالِقُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْمَخْلُوقُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ مَخْلُوقٌ، وَلَا شَكَّ فِيهِ).

وانظر إلىٰ احتراز الإمام، وهو إمام، قال: فالخالق وجميع صفاته أم بجميع صفاته؟ بجميع صفاته، وهناك فرق بين بجميع وجميع، لأن الصفة لا تنفك عن ذات الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَالْمَخْلُوقُ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ مَخْلُوقٌ)، لأن صفته كذلك لا تنفك عنه، قال: (وَلَا شَكَّ فِيهِ).

قال: (فَلْيَنْظُر هَذَا الشَّاكُّ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنْ كان اللهُ الْمُتَكَلِّمَ بِهِ عِنْدَهُ).

يعني بالقرآن.

قال: (فَلَا يَشُكَّنَّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَخْلُوقٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَمْ يضطر إِلَىٰ شَيْء مَخْلُوق، وَلَمْ يُضْطَرَّ إِلَىٰ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ قَطُّ مِنَ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ حَاجَة، وَإِن كان ابتدعه مَخْلُوق وَأَضَافَهُ إِلَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ فَلَا يَشُكَّنَّ هَذَا الشَّاكُّ فِي صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَكَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ كُلَّهَا، وَأَنَّ مُبْتَدِعَهَا وَالْمُتَكَلِّمَ بِهَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ كَافِرٌ، إِذْ يَقُولُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ﴾ [القصص:٣٠]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، و ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّك﴾ [طه:١٢]، قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ غَيْرَ اللهِ كَافِرٌ، مِثْلُ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]).

يعني لو كان كل كلام في هذا الكون كلام الله فلماذا كفر فرعون؟ ابن عربي يقول في بيت شعر له:

وكــل كــلام في الوجــود كلامــه ســـواء علينـــا نثـــره ونظامـــه

يعني سواء كان هذا الكلام نثرًا أم شعرًا، يقول: كل كلام في هذا الوجود كلام الله، ولذلك لا يُكفِّر فرعون، ولا يُكفِّر إبليس، ويجعل هارون في منزلة أعلىٰ من موسىٰ.

يعني لما قال موسىٰ لهارون: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[طه: ٩٢-٩٤] قال: هارون كان أفقه من موسىٰ؛ لأن هارون رأي إن الله عَزَّوَجَلَّ يُعبَد من خلال العجل، فلم يُنكر عليه، لكن موسىٰ ما فهم هذه الحقيقة، فجعل كل المعبودات هي الله، حاشاه وكلا، هذا موجود في فصوص الحِكم، والفتوحات المكية، إن لم يكن ما فيهما كفرًا فليس في الدنيا كفر، وبعد ذلك يأتي غلاة الصوفية ويقولون لك: أنتم لا تفهمون كلام ابن عربي.

حتىٰ قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن لم يكن هذا الكلام كفرًا فليس في الدنيا كفر"، فكذلك هؤلاء الذين يقولون: إن الكلام المنسوب إلىٰ الله مخلوق وليس كلام الله.

إذن، لماذا كفَّر الله عَزَّوَجَلَّ فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾؟ وهذا الكلام مذكور في القرآن، ففرعون لم يقل إلا كلام الله، فلماذا كفَّره؟

فقال: (**قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ غَيْرَ اللهِ كَافِرٌ، مِثْلُ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ**: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤])، و ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[القصص:٣٨].

قال: وَادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ هُوَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ اللهِ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَدْ جَهِلَ وَكَفَرَ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَمْ تَدَعْ مِنْ صَرِيحِ الْمَخْلُوقِ شَيْئًا، إِذْ زَعَمْتَ أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ غَيْرُ اللهِ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ قَالَ: غير مَخْلُوق فقد جَهِلَ، لما أَنَّ كُلَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ اللهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِأَنَهُّ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ اللهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

قال: وَلَا يُقَالُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ اللهُ).

ولذلك لا نقول: إن القرآن هو الله ولا غير الله، لا يُقال إن صفة الله هي الله ولا غير الله، لكن كان الله بصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: (وَلَا يُقَالُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ اللهُ، فَيَسْتَحِيلَ أولًا، وَلَا هُوَ غَيْرُ اللهِ فَيُلْزِمَ الْقَائِلَ به أَنَّهُ مَخْلُوق، وَلَكِن يُقَال: كلَام الله عِلْمٌ مِنْ عِلْمِهِ).

ولذلك الإمام الشافعي ماذا كان يقول؟ ناظروهم بالعلم، أحمد في مناظرته لابن أبي دؤاد في الرد علىٰ الجهمية والزنادقة، لما قال ابن أبي دؤاد له: القرآن مخلوق؟ قال له أحمد أمام الخليفة العباسي: علم الله مخلوق؟ لو قال: علم الله مخلوق كفر صراحةً، والقرآن من علم الله، فالشافعي يقول: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به وإلا كفروا.

فهاهنا كذلك الإمام الدارمي يقول: (وَلَكِن يُقَال: كلَام الله عِلْمٌ مِنْ عِلْمِهِ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاته، وَأَن الله بجميع صِفَاتِهِ إِلَهٌ وَاحِدٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَا شَكَّ فِيهِ، فَافْهَمْ.

قال: وَمَا أَرَاكَ تَفْهَمُهُ وتعقله؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: لَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: هُوَ اللهُ، أَوْ غَيْرُ اللهِ، فَإِنْ قَالَ رَجُلٌ: هُوَ اللهُ أَكْفَرْتَهُ، وَإِنْ قَالَ: غَيْرُ اللهِ قُلْتَ لَهُ: أَقْرَرْتَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ وَصَوَّبْتَ مَذْهَبِي؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ اللهِ مَخْلُوقٌ.

فَيُقَالُ لَكَ: أَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ، وَغَلِطْتَ فِي التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: الْقُرْآنُ هُوَ اللهُ أَوْ غَيْرُ اللهِ، كَمَا لَا يُقَالُ: عِلْمُ اللهِ هُوَ اللهُ، وَقُدْرَةُ اللهِ هِيَ اللهُ، وَكَذَلِكَ عِزَّتُهُ، وَمُلْكُهُ، وَسُلْطَانُهُ، وَقُدْرَتُهُ، لَا يُقَالُ لِشَيْءٍ مِنْهَا: هُوَ اللهُ بِعَيْنِهِ وَكَمَالِهِ، وَلَا غَيْرُ اللهِ، وَلَكِنَّهَا صِفَاتٌ مِنْ صِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقة،



وَكَذَٰلِكَ الْكَلَامُ، فَافْهَمْ).

اعترض الجهمي بشبهة أخرىٰ مفادها أن إضافة الكلام إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كإضافة روح الله، وبيت الله، وخلق الله، يعني إضافة تشريف.

كلام الله بحرف وصوت

وعقيدة المسلمين كما تكرر وتقرر عندنا: أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يتكلم بصوت وحرف، كما جاء في الكتاب والسنة، وكلامه كسائر صفاته، فإذا كان المسلم يُثبت كل ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات علىٰ الوجه اللائق بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إثباتًا لا يقتضي التمثيل، ولا التكييف، ولا التحريف، ولا التعطيل، فكذلك القول في كلامه وفي قرآنه، إذ القرآن كلام الله، وصفة من صفاته.

وقد قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، **والمقصود به**: القرآن، فالقرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، فالخلق في هذه الآية مُفارق للأمر، والأمر هو كلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقال كذلك: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾[الرحمن: ١-٣]، فما قال في هذه الآية: خلق القرآن، بل قال: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، ففرَّق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بينهما.

وكان من استعاذة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه كان يستعيذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ونحن نعلم أن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، فكلمات الله ومنها القرآن غير مخلوقة.

هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، لكن المعتزلة ومن نحا نحوهم لا يُثبتون كلامًا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هو صفته، وإنما يُثبتون كلامًا مخلوقًا خلقه، ولهم في ذلك شبهات، ذكرها الإمام

الدارمي هاهنا وفندها ورد عليها.

فقال: **(وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا أَنَّ بَعْضَ عُلَمَائِهِ وَزُعَمَائِهِ قَالَ: إِن كَلَام الله مُضَافٌ إِلَيْهِ كَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ رُوحُ اللهِ، وَبَيْتُ اللهِ، وخلق الله، وَهَذَا مِنْ قَدِيمِ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ، وَلَيْسَ فِي حُجَجِ الواقفة)**.

اختلاف الناس في القرآن

قلنا: هذه المسألة وهي مسألة القرآن اختلف الناس فيها علىٰ أقوال كثيرة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية مؤلف في ذلك سماه (التسعينية)، في مجلدات ثلاثة، يتكلم عن كلام الله وعن القرآن، فأهل السنة والجماعة يقولون: هو كلام الله، تكلم به بصوت وحرف، والمعتزلة يقولون: هو مخلوق، ليس بكلام الله، لا يُضاف إليه إضافة الصفة، فيقولون: القرآن مخلوق.

وطائفة أخرىٰ تقول: لفظنا بالقرآن مخلوق، وقولهم كقول الجهمية؛ لأن اللفظ كلمة مشتركة، تحتمل المنطوق الذي هو القرآن، وتحتمل فعل العبد، ومنهم من قال: لا نقول مخلوق أو غير مخلوق، وهؤلاء هم الواقفة، وهم كذلك شر من الجهمية والمعتزلة؛ لما في قولهم من التلبيس علىٰ الناس.

وكذلك الأشعرية، الذين لا يُثبتون كلامًا لله بصوت وحرف، بل يقولون: إن الله يتكلم كلامًا نفسيًا، وأما ما في هذا المصحف فهو عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله حقيقة، والكلابية يقولون: حكاية عن كلام الله تعالىٰ!

وكل هؤلاء شبهتهم واحدة، وهي: أننا لو أثبتنا كلامًا لله فمعنىٰ ذلك: أن الحوادث تحل بذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأن الكلام صفة فعل وصفة ذات، يتكلم وقتما شاء، وهذا فيه نقص



ومُشابهة للمخلوق، فنفوا الكلام عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وسنأتي في آخر هذا الباب بكلام الأشعرية؛ لانتشاره بين الناس، خاصةً الأزهرية، ونعرضه ونرد علىٰ شبهاته.

فقال: (وَهَذَا مِنْ قَدِيمِ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ).

أي: هذه الشبهة من قديم حجج الجهمية، وهو القول بأن إضافة كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ الله كإضافة روح الله، وبيت الله، وخلق الله، فهي إضافة مخلوق إلىٰ خالق، وليست إضافة صفة إلىٰ موصوف، إضافة مخلوق إلىٰ خالق، نعم، الخلق يأتي بمعنىٰ المخلوق كذلك، ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ﴾[لقمان: ١١]، أي: مخلوق الله.

وليست إضافة صفة إلىٰ موصوف، الذي هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَلْيَكْشِفِ الْمُعَارِضُ عَنِ اسْمِ هَذَا الْعَالِمِ الَّذِي قَالَ).

أي: قال هذا الكلام.

(فَإِنَّهُ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا عَنْ جَهْمِيٍّ خَبِيثٍ، وَإِنَّهُ لَا يُقَاسُ رُوحُ اللهِ، وَبَيْتُ اللهِ، وَعَبْدُ اللهِ، الْمُجَسَّمَاتُ الْمَخْلُوقَاتُ، الْقَائِمَاتُ، الْمُسْتَقِلَّاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ، اللَّاتِي كُنَّ بِكَلَامِ اللهِ وَأَمْرِهِ لَمْ يَخْرُجْ شَيْءٌ مِنْهَا مِنَ اللهِ كَكَلَامِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ).

فلا يستويان، لا نجمع هنا بين المتفرقات؛ لأن الإضافة هذه ليست من جنس الأخرىٰ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كما في **(الجواب الصحيح)**: "المُضافات إلىٰ الله نوعان: أعيان، وأوصاف، فالأوصاف قائمة به، غير مخلوقة، لأن الصفة لا تقوم بنفسها، الكلام لا يقوم بنفسه في الهواء، والسمع، والبصر، وغير ذلك، فالصفة لا تقوم بنفسها، وأما الأعيان"، كبيت الله، وناقة الله، وخلق الله، وغير ذلك.

قال: "وأما الأعيان فإما أن تُضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق".

أي: لا يتميز مخلوق علىٰ مخلوق، كقوله تعالىٰ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُوْنِهِ﴾[لقمان: ١١]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ﴾ يعني مخلوق الله، الخلق هنا بمعنىٰ اسم المفعول، أي: مخلوق، كل ما في هذا الكون من خلق الله، ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُوْنِهِ﴾، فالخلق هنا من باب إضافة العين المخلوقة إلىٰ خالقها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لماذا؟ لأنها عين تقوم بنفسها.

قال: "وقد تكون الإضافة أخص"، أي: قد تكون إضافة المخلوق إلىٰ الخالق أخص، وهي إضافة التشريف، كبيت الله، وناقة الله.

فالإضافة كما قلنا إما إضافة ملك وخلق، أو إضافة صفة إلىٰ الموصوف، فلا يُقاس كما قلنا أو كما قال المصنف هاهنا.

قال: **(لِأَنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ قَائِمٌ بِنَفسِهِ، وعينه، وحليته، وجسمه، لا يشك أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَنَّهُ غير الله، وَأَنه لَيْسَ شيء منها لِلَّهِ صِفَةً، وَالْقُرْآنُ كَلَامُهُ الَّذِي مِنْهُ خَرَجَ، وَبِهِ تَكَلَّمَ، لَمْ يَقُمْ بِنَفْسِهِ جِسْمًا غَيْرَ اللهِ قَائِمًا يُحِسُّ أَوْ يُحَسُّ حِينَ تُقِيمُهُ الْقِرَاءَةُ وَالْأَلْسُنُ، فَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الْقِرَاءَةُ خَفِيَ)**.

يعني لا نعلم الكلام إلا بالقراءة.

قال: **(فَلَمْ يُحَسَّ مِنْهُ بِشَيْءٍ، فَلَمْ يَقُمْ لَهُ عَيْنٌ إِلَّا أَنْ يُبيّن بِكِتَابٍ يُكْتَبُ، فَبَيْنَ رُوحِ اللهِ، وَبَيْتِ اللهِ، وَعَبْدِ اللهِ، وَالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ نفس كَلَامِ اللهِ الْخَارِجِ مِنْ ذَاتِهِ بَوْنٌ بَعِيدٌ.**

فَكَيْفَ تَقَلَّدْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ كَلَامَ الْوَاقِفَةِ بَدْءًا ثُمَّ فَرَعْتَ مِنْهُ إِلَىٰ أَفْحَشِ كَلَامِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ كَعَبْدِ اللهِ، وَبَيْتِ اللهِ.

قال: ثُمَّ إِدْخَالِ الْحُجَجِ عَلَىٰ تَعْطِيل ماسواها مِنَ الصِّفَاتِ، إِنَّمَا تَقُولُ الْوَاقِفَةُ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَلَا تَقُولُ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ثُمَّ لا تُعْرِضُونَ لِهَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي عَرَضْتَ لَهَا وَاحْتَجَجْتَ بِهَا، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّكَ مستتر بِالْوَقْفِ، مُنَافِحٌ عَنِ التَّجَهُّمِ، حَتَّىٰ صَرَّحْتَ بِهِ فِي غَيْرِ مَكَانٍ مِنْ كِتَابِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَشْبِيهُكَ إِيَّاهُ بِبَيْتِ اللهِ، أَوْ عَبْدِ اللهِ، وَبِقَوْلِكَ: إِنَّهُ غَيْرُ اللهِ، وَإِنَّهُ مَفْعُولٌ، وَإِنَّ مَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَكَ، لاكتفينا بهَذَا دُونَ مَا سِوَاهُ.

ثُمَّ تَعَلَّقْتَ بعده بالوقف مُسْتَتِرًا بِهِ عَنِ التَجَهُّمِ، تَتَقَدَّمُ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ بِرِجْلٍ وَتَتَأَخَّرُ عَنْهُمْ بِأُخْرَىٰ، فَمَرَّةً تَحْتَجُّ بِحُجَجِ الْوَاقِفَةِ، وَمَرَّةً بِحُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ، كَأَنَّكَ تُلَاعِبُ الصِّبْيَانَ وَتُخَاطِبُهُمْ، وَكَذَلِكَ تَأَوَّلْتَ فِي الْعَرْشِ كَمَا تَأَوَّلَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَكَنَيْتَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَائِكَ وَزُعَمَائِكَ وَلَمْ تُصَرِّحْ بِاسْمِهِ، أَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾[يونس:٣] أي: اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ، تُرِي مَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْكَ أَنَّ هَذَا الَّذِي رَوَيْتَ عَنْهُ هَذَا التَّفْسِيرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ، وَلَا يَدْرِي مَنْ حَوْلَكَ أَنَّهُ أَحَدُ السُّفَهَاءِ.

قال: وَقَدْ فَسَّرْنَا لَكَ تَفْسِيرَهُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَبَيَّنَّا لَكَ فِيهِ اسْتِحَالَةَ هَذَا الْمَذْهَبِ وَبُعْدَهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْمَعْقُولِ.

لو سأل سائل: لماذا قالت الواقفة إن القول بأنه مخلوق أو غير مخلوق لم يرد عن السلف، الذي ورد في الكتاب والسنة عن السلف: القرآن كلام الله فينغي السكوت عما زاد علىٰ الكتاب والسنة؟ نقول: هم ما أرادوا ذلك، ما أرادوا نصرة الكتاب والسنة. أرادوا نصرة قول الجهمية، كما سيأتي؛ لأن مُنافحتهم ووجهتهم كلها إلىٰ الجهمية، كما قلنا في الدرس الماضي، الذي يقول لست كذا ولا أنتمي لجماعة كذا، لكن تراه يفزع في كل وقت وحين إلىٰ نشر كلامهم، والمنافحة عنهم، والوقوف بجوارهم، الواقفة كذلك كانوا يفعلون هذا الأمر.

وهؤلاء شرهم أعظم من شر المنحرفين المعلومين، لماذا؟ لأن هؤلاء يُلبِّسون علىٰ الناس.

قال: ﴿وَقَدْ فَسَّرْنَا لَكَ تَفْسِيرَهُ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَبَيَّنَّا لَكَ فِيهِ اسْتِحَالَةَ هَذَا الْمَذْهَبِ وَبُعْدَهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْمَعْقُولِ.

فَاكْشِفْ عَنْ رَأْسِ هَذَا الْمُفَسِّرِ حَتَّىٰ نَعْرِفَهُ، أَمِنَ الْعُلَمَاءِ هُوَ أَمْ مِنَ السُّفَهَاءِ؟ فَإِنَّكَ لَا تأثره إِلَّا عَنِ الْمَرِيسِيِّ أَوْ عَنْ مَنْ هُوَ أَخْبَثُ مِنْهُ.

وَالْعَجَبُ مِنَ الْمَرِيسِيِّ صَاحِبِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يَدَّعِي تَوْحِيدَ اللهِ بِمِثْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَقَدْ عطل جَمِيع صِفَات الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، فَادَّعَىٰ فِي قِيَاسِ مَذْهَبِهِ أَنَّ وَاحِدَهُ الَّذِي يُوَحِّدُهُ إِلَهٌ مُجَدَّعٌ مَنْقُوصٌ مُشَوَّهٌ بشبح مقصوص لا تتمّ وحدانيته إِلَّا بِمَخْلُوقٍ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَخْلُوقٍ، مِنَ الْكَلَامِ وَالْعِلْمِ وَالِاسْمِ﴾.

لأنه مضىٰ أنهم يقولون في هذه الصفات: إنها مخلوقة، فكأن الله كمَّل نقصًا عنده حاشاه وكلا بهذا المخلوق الذي خلقه.

قال: ﴿وَيْلَكَ! إِنَّمَا الْمُوَحِّدُ الصَّادِقُ فِي تَوْحِيدِهِ الَّذِي يُوَحِّدُ اللهَ بِكَمَالِهِ وَبِجَمِيعِ صِفَاتِهِ فِي عِلْمِهِ، وَكَلَامِهِ، وَقَبْضِهِ، وَبَسْطِهِ، وَهُبُوطِهِ، وَارْتِفَاعِهِ، الْغَنِيَّ عَن جيمع خلقه صِفَاتِهِ، مِنَ النَّفْسِ، وَالْوَجْهِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالْعِلْمِ، وَالْكَلَامِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالسُّلْطَانِ، الْقَابِضَ، الْبَاسِطَ، الْمُعِزَّ، الْمُذِلَّ، الْحَيَّ، الْقَيُّومَ، الْفَعَّالَ لِمَا يَشَاءُ، هَذَا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ أَقْرَبُ مِنْ هَذَا الَّذِي يُوَحِّدُ إِلَهًا مُخدجًا﴾.

الشيء المُخدج أي: الناقص.

قال: ﴿مَنْقُوصًا مَقْصُوصًا، لَوْ كَانَ عَبْدًا عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ لَمْ يكن يُسَاوِي تمرتين، فَكَيْفَ يَكُونُ مِثْلُهُ إِلَهًا لِلْعَالَمِينَ؟ تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَة.

قال: وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا لِمَذْهَبِهِ بِبَعْضِ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ حجج الواقفة، فَقَالُوا: أتقولون: يارب الْقُرْآنِ افْعَلْ بِنَا كَذَا وَكَذَا، أَمْ يُصَلِّي أَحَدٌ لِلْقُرْآنِ كَمَا يُصَلِّي لِلَّهِ؟ يَعْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوق مَرْبُوبٌ.

فَيُقَالُ لِهَذَا التَّائِهِ الْحَائِرِ، الَّذِي لا يَدْرِي مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ: إِنَّهُ لا يُصَلَّىٰ لِلْقُرْآنِ، وَلَكِنْ يُصَلَّىٰ بِهِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ).

(الَّذِي هَذَا الْقُرْآنُ كَلَامُهُ وَصفته، لَا يخص بِالصَّلَاةِ قُرْآن وَلَا غَيْرَهُ، كَمَا أَنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَسُلْطَانَهُ وَعِزَّهُ وَجَلَالَهُ لا يُصلَّىٰ لِشَيْءٍ مِنْهَا مَقْصُودًا بِالصَّلَاةِ إِلَيْهَا وَحْدَهَا، وَلَكِنْ يُصَلِّي لِلْوَاحِدِ الْأَحَدِ الَّذِي هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ: مِنَ الْعِلْمِ، وَالْكَلَامِ، وَالْملك، وَالْقُدْرَة، وَغَيرِهَا، فَاعْقِلْهُ، وَأَنَّىٰ لَكَ الْعَقْلُ مَعَ هَذَا الِاحْتِجَاجِ وَالْخُرَافَاتِ؟!

أَرَأَيْتَكَ إِنْ عَرَّضْتَ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ لما أَنَّهُ قَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: يَا رَبَّ الْقُرْآنِ، فَجَعَلْتَهُ مَخْلُوقًا بِذَلِكَ؟).

هذا جاء في بعض الآثار، جاء عند البيهقي في الصفات، وكذلك عند ابن أبي حاتم في الرد علىٰ الجهمية، من أثر عكرمة أو من قول عكرمة تلميذ عبد الله بن عباس أنه قال: "كان ابن عباس في جنازة، فلما وُضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له، فقال له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مه، لا تقل له مثل هذا، منه بدا وإليه يعود"، يعني لا تقل: يا رب القرآن؛ لأن القرآن صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وجاء كذلك عند أبي عبد الله بن بطة في الإبانة أنه قال: "ومما غالط به الجهمي من لا يعلم أن قال: إن الله رب القرآن، وكل مربوب فهو مخلوق".

قال: "فاحتج الجهمي بكلمة لم ينزل بها القرآن، ولا جاء بها أثر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من الصحابة، ولا من بعدهم من التابعين، ولا من فقهاء

المسلمين".

قال: "فيتخذ ذلك حجة، وإنما هي كلمة خفت علىٰ ألسن بعض العوام".

قَول: رب القرآن.

"وجازت في بعض اللغات، فتجافىٰ لهم عنها العلماء، وإنما المعنىٰ في جواز ذلك".

أي: لو جوَّزنا هذا القول "رب القرآن" فما المعنىٰ؟

قال: "وإنما المعنىٰ في جواز ذلك: كما استجازوا أن يقولوا: من رب هذه الدار"، يعني صاحب، فـ يارب القرآن يعني: يا صاحب القرآن.

قال: "وهذا رب هذه الدابة، وليس هو خلقها، وكما يقولون: من رب هذا الكلام؟ ومن رب هذه الرسالة؟ ومن رب هذا الكتاب؟ أي: من تكلم بهذا الكلام؟ ومن ألَّف هذا الكتاب؟ ومن أرسل هذه الرسالة، لا أنه خالق الكلام، ولا خالق الكتاب والرسالة".

فتُحمَل علىٰ أنه صاحبها أو المتكلم بها.

قال: "فلذلك استجاز بعض العوام هذه الكلمة، وخفت علىٰ ألسنتهم، وإن كان لا أصل لها عمن كان قوله حجة، وإنما قالوا: يارب القرآن كقولهم: يا مُنزل القرآن، ويا من تكلم بالقرآن، ويا قائل القرآن، فلما كان القرآن من الله منسوبًا إليه جاز أن يقولوا هذه الكلمة".

قال: "ومما يُبين لك كفر الجهمية وكذبها في دعواها أن كل مربوب مخلوق: قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ﴾[التوبة: ٣١] أفترىٰ ظن الجهمي أن أحبارهم ورهبانهم خلقوهم من دون الله؟

قال: وكذلك قال يوسف الصديق: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: عند سيدك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[يوسف: ٤٢] انتهىٰ من الإبانة.

وهذه اللفظة وأن كانت من كلام العوام علىٰ المعنىٰ الذي ذكره ابن بطة، فقد ثبت كذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، في رواية صححها، قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، فيقول الصيام: رب منعته الطعام، ويقول القرآن: رب منعته النوم».

وهذه رواية صححها الشيخ الألباني، فالرب قد تأتي بمعنىٰ: الصاحب، فالله عَزَّوَجَلَّ هو صاحب القرآن، خاصةً أن ذلك جاء مثله في الصفات في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصفات:١٨٠]، والعزة صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فرب العزة أي: صاحب العزة، فإذا قال أهل السنة عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه رب القرآن أي: صاحبه؛ لأنه صفته، وهو الذي تكلم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتأتي والمراد رب العمل وثواب العمل.

ولذلك قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك قال: (فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصفات:١٨٠]، أَفَتَحْكُمُ عَلَىٰ عِزَّةِ اللهِ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ كَمَا حَكَمْتَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ؟ وَيْحَكَ! إِنَّمَا قَوْله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ يَقُولُ: ذي الْعِزَّةِ).

ومعنىٰ ذي: صاحب، فرب القرآن أي: صاحب القرآن، وليس هو المربوب المخلوق.

قال: (وَكَذَلِكَ ذُو الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]).

أي: صاحب الجلال والإكرام، فالجلال والإكرام صفتان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ اعْتِقَادِ هَذَا الْمُعَارِضِ رَأْيَ الْجَهْمِيَّةِ لَا رَأْيَ الْوَاقِفَةِ: أَنَّ ذَبَّهُ وَمُنَافَحَتَهُ وَاحْتِجَاجَهُ عَنْ غَيْرِ الْوَاقِفَةِ، وَأَنَّهُ أَظْهَرَ بِلِسَانِهِ الْإِنْكَارَ عَلَىٰ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ: مَخْلُوقٌ وَغَيْرُ مَخْلُوقٍ، تَمْوِيهًا بِهِ وَدُنُوًّا بِهِ إِلَىٰ الْعَامَّةِ).

تأمل في هذا الكلام ستجده في المبتدعة كل وقت وحين، يُظهر أنه يُنكر عليك وعليه، لا يريد اختلافًا، يريد أن يكون الناس علىٰ قلب رجل واحد، كل هذا من أجل أن يُغرر العوام،

ووجهته إلىٰ هذا المبتدع الضال، الذي يدعو إلىٰ غير نهج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا من قديم، كما يقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إنما يقول ذلك لا نقول مخلوق أو غير مخلوق.

(تَمْوِيهًا بِهِ وَدُنُوًّا بِهِ إِلَىٰ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمْ يُكْثِرِ الطَّعْنَ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ).

لا يتعرض لمن قال: مخلوق.

(كَمَا أَطْنَبَ فِي الطَّعْنِ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، حَتَّىٰ جَاوَزَ فِيهِمُ الْحَدَّ وَالْمِقْدَارَ، فَنَسَبَهُمْ فِيهِ إِلَىٰ الْكُفْرِ الْبَيِّنِ وَالْبِدْعَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالضَّلَالَةِ وَالْجَهْلِ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ وَالتَّمَيُّزِ، وَسُوءِ الدِّيَانَةِ، وَسُوءِ مُرَاقَبَةِ اللهِ، وَأَنَّهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ مُطِيعُونَ لِلشَّيْطَانِ وَجُنُودِهِ، مُقَدِّمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ أَنْ قَالُوا: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَنْسِبْ مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ إِلَىٰ جُزْءٍ مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ الَّذِينَ خَالَفُوهُمْ).

هذا الكلام هو نفس الذي يحدث الآن، ممن يُنافح عن جماعة الإخوان المسلمين، أو غيرهم من الفِرَق المنحرفة، ويتستر، يقول: لستُ إخوانيًا، لكن هذا الذي تفعلونه يُفرِّق الأمة، لا بد أن نجتمع علىٰ قلب رجل واحد، لا نقول لا إخواني، ولا سلفي، ولا أي حاجة، قل: أنا مسلم، ثم هو يكيل لك التهم، والأكاذيب، والشتائم، ويأتيك بكل نقيصة، كما قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينسبك إلىٰ البدعة الظاهرة، والضلالة، والجهل، وقلة العلم، والتمييز، انت حافظ مش فاهم، وسوء الديانة، عميل للسلطان، مُخبر، وسوء مراقبة الله، قاسي القلب عندك جفاء وأنك مُطيع للشيطان، والطاغوت، وجنوده، وتُقدِّم بين يدي الله ورسوله، فأين كلامه في الجهة الأخرىٰ؟

يقول الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَمْ يَنْسِبْ مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ إِلَىٰ جُزْءٍ مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ الَّذِينَ خَالَفُوهُمْ).

ثم يقول بعد ذلك أنا لا هذا ولا ذاك!!

قال: (حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ طَعْنِهِ عَلَيْهِمْ).

أي: علىٰ أهل السنة والجماعة.

(أَنْ رَوَىٰ عَنْ أَبِي يُوسُفَ مِنْ رِوَايَاتِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ وَلَمْ يَسْمَعْهُ بِزَعْمِهِ مِنَ ابْنِ الثَّلْجِيِّ أَنَّهُ لَا يُصَلِّىٰ خَلْفَ من يَقُول الْقُرْآن مَخْلُوقٍ).

ذكر هذه الرواية عن أبي يوسف، تلميذ أبي حنيفة، الذي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، يعني يُقيد قوله كلام الله بهذا القيد يقول: لَا يُصَلِّىٰ خَلْفه.

فيقول الإمام الدارمي: (فَلَوْ سَمِعَ هَذَا الْمُعَارِضُ مِنْ أَبِي يُوسُفَ نَفْسِهِ لَمْ تَقُمْ لَهُ بِهِ حُجَّةٌ، وَجَرَّ إِلَىٰ أَبِي يُوسُفَ بِهَا فَضِيحَةً، فَاجْتِهَادُ هَذَا الْمُعَارِضِ فِي الطَّعْنِ عَلَىٰ مَنْ يَقُولُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَصَفْحِهِ عَمَّنْ يَقُولُ: مَخْلُوقٌ، فَهَذَا يَدُلُّ مِنْهُ عَلَىٰ أَسْوَإِ الرِّيبَةِ، وَأَقْبَحِ الظِّنَّةِ، وَأَنَّ ألبه).

عندكم ألبه؟ نعم، ما معنىٰ الألب؟ الألب يعني الصغو، والإنصات، يقال: ألبه معه، وصار الناس عليه ألبًا واحدًا في العداوة والشر، وقد تألبوا عليه تألبًا إذا تظافروا عليه.

يقول: (وَأَنَّ ألبه وَمَيْلَهُ إِلَىٰ من يصفح عَنْهُ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ظِنَّتِهِ: أَنَّ احْتِجَاجَهُ فِيهِ بِالْمَقْذُوفِينَ الْمُتَّهَمِينَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، مِثْلِ المريسي، واللؤلؤي، وَابْنِ الثَّلْجِيّ، وَنُظَرَائِهِمْ، فَأَيْنَ هُوَ من الزُّهْرِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَشُعْبَةَ، وَمَعْمَرٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَوَكِيعٍ، وَنُظَرَائِهِمْ؟ وَأَيْنَ هُوَ عَمَّنْ كَانَ فِي عَصْرِ ابْنِ الثَّلْجِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ، مِثْلِ ابْنِ حَنْبَلٍ، وَابْنِ نُمَيْرٍ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبِي عُبَيْدٍ، وَنُظَرَائِهِمْ إِنْ كَانَ مُتَّبِعًا مُسْتَقِيمَ الطَّرِيقَةِ؟ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي مَذْهَبِهِ حِكَايَةً وَلَا رِوَايَة، وَإِنَّمَا يتعَلَّق بالمغمورين المغموزين، إِذْ لم يُمكنهُ التَّعْلِيق بِهَؤُلَاءِ الْمَشْهُورِينَ، كيما يُرَوِّجُ ضَلَالَتَهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِأَهْلِ

الرِّيَبِ الَّذِينَ لَا قَبُولَ لَهُمْ وَلَا عَدَالَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

قال: ثُمَّ تَقَلَّدْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَفْحَشَ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ فِي نَفْيِ الْكَلَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، لما ادَّعَيْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ نَسَبَ الْكَلَامَ إِلَىٰ الْجِبَالِ، وَالشَّجَرِ، وَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ).

فشبّهت الله تعالىٰ في كلامه بالجبال، والشجر، والشمس، والقمر.

(الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ الْكَلَامِ، وَلَا لَهَا أَسْمَاعٌ وَلَا أَبْصَارٌ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ حُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ، يَجْعَلُونَ اللهَ الْحَيّ القيوم الْمُتَكَلّم بالْكَلَام، السميع البصير، القابض الباسط، كالمدر، والحجارة، والجبال، والتلال، الصم الْبُكْمِ، الَّتِي لَيْسَ لَهَا كَلَامٌ وَلَا أَسْمَاعٌ وَلَا أَبْصَارٌ، فقال).

هذه حجته.

قال: (فَقَالَ: كَمَا يَجوزُ عِنْدَنَا فِي الْمَجَازِ أَنْ يُنْسَبَ الْكَلَامُ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الصُّمِّ البكم، فكذلك يَجُوزُ فِي الْمَجَازِ أَنْ يُنْسَبَ الْكَلَامُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ من غير أَن يَقْدِرَ اللهُ عَلَىٰ الْكَلَامِ فِي دَعْوَاهُمْ، إِلَّا كَقُدْرَةِ الْجِبَالِ، وَالشَّجَرِ، وَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ).

هذا كلام مردود؛ لأن الأصل: حمل الكلام علىٰ الحقيقة، بل الصحيح أن الكلام كله حقيقة، وليس في الكلام مجاز.

فالكلام لا يُؤخَذ باعتبار مفرداته، وإنما يُؤخَذ باعتبار تركيبه، لا يُنظَر إلىٰ الكلمة في لغة العرب باعتبار المفرد، لكن باعتبار التركيب، فهي في هذا التركيب حقيقة، وفي هذا التركيب كذلك بالقرينة حقيقة، عندما نقول: رأيت أسدًا في الغابة، هذا حقيقة في معنىٰ الأسد، وكذلك رأيت أسدًا يخطب علىٰ المنبر، هذا حقيقة كذلك بهذه القرينة.

ولو سلَّمنا أن في اللغة مجازًا، نقول: إنه لا يُصار إلىٰ المجاز هكذا، لكن لا بد من ضابط.



هذا الضابط، **أولًا**: أن يصح استعمال ذلك في لغة العرب.

يعني مثلًا: الروافض ماذا يقولون في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، أبو بكر وعمر، هذا ما يصح في لسان العرب، فإذن هذا لعب واستهزاء.

ولذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ قال في عذر أهل التأويل: أن كلامهم لهم وجه في لغة العرب، هذا الذي منع من تكفيرهم، وأما إن لم يكن له وجه في لغة العرب فهذا كفر واستهزاء بالقرآن، فلا يُصار إلىٰ المجاز إلا إن كان له وجه في لغة العرب.

والضابط الثاني هو استحالة الحمل علىٰ الحقيقة، لوجود القرينة المعتبرة.

فيقولون: إن اليد جاءت في لغة العرب بمعنىٰ النعمة، والقدرة، أو غير ذلك، وأن هذه الإضافات أُضيف الكلام إلىٰ الحجارة والجبال، فكذلك تجوز الإضافة إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فيُقال بالشرط الثاني، وهو: لا بد من وجود القرينة المعتبرة التي تمنع حمل الكلام علىٰ حقيقته، فإذا كانت هناك قرينة معتبرة تُحيل ذلك هنا نقول بالمجاز علىٰ قولهم، وأما إن لم يكن هناك قرينة معتبرة وإنما هي خيالات ومعقولات فاسدة فلا يُصَار إلىٰ المجاز؛ لأنه لا مانع من حمل صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ ظاهرها، مع نفي مماثلة الخالق للمخلوق، فكما أنه لا يُماثل المخلوق في ذاته فكذلك لا يُماثل المخلوق في صفاته، وهم يُقرون بذلك، يُثبتون لله وجودًا، ويُثبتون له حياة، ويُثبتون له علمًا، ويُثبتون له قدرة، يُثبتون له الصفات السبع، ويُثبتون للمخلوق الصفات السبع، يُثبتونها يقولون: لأن العقل دل عليها، لا يوجد خالق بغير هذه الصفات، فيقال لهم: هذه الصفات موجودة عند المخلوق كذلك! يقولون: لكن شتان بين صفة الخالق وصفة المخلوق.

فنقول لهم: عندنا قاعدة يتفق عليها الجميع: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، صحيح لأنك لما قلت في الصفات الأولىٰ أن الله لا يُشبه المخلوق فيها، لأن

ذاته لا تُشبّه ذات المخلوق، فكذلك سائر الصفات، لا يُشابه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيها أو لا يُماثل المخلوقات، ولذلك لا يقال بالمجاز هاهنا.

قال: (فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَشْبَهَ بِالْكُفْرِ الْبَيِّنِ مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ؟ بَلْ هُوَ الْكُفْرُ صَرَاحً،: أَنْ يَكُونَ مَنْزِلَةُ كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ عِنْدهم ككلام الْجبَال، والشجر، والْحَجَرِ، وَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ الْبَيِّنَةِ، هَذَا كَلَامٌ لَيْسَ لَهُ نِظَامٌ، وَلَا هُوَ من مَذَاهِبِ الْإِسْلَامِ).

(لَيْسَ لَهُ نِظَامٌ) يعني ليس له مقدمات عقلية، يعني لا يُقبَل لا في العقل ولا في الشرع، كلام هكذا يُلقىٰ علىٰ عواهنه.

قال: (وَلَا هُوَ من مَذَاهِبِ الْإِسْلَام، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ نَقِيضِهِ مِنَ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا نَقِيضُهَا مِنْ نَفْسِ كَلَامِ الْمُعَارِضِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ كَلَامَ اللهِ وَالْقُرْآنَ مُضَافٌ إِلَىٰ اللهِ، كَبَيْتِ اللهِ، وَكَرُوحِ اللهِ، وكَعَبْدِ اللهِ، أَوْ شَبَّهَهُ بِكَلَامِ الْجِبَالِ وَالشَّجرِ، فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُ مَخْلُوق، اختلفه فِي دَعْوَاهُ بَشَرٌ كَذَّابٌ، كَمَا قَالَ الْوَحِيدُ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥]، لما أَن لَمْ يَخْلُقْ لِنَفْسِهِ كَلَامَهُ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ اللهُ عِنْدَكُمْ، فَهُوَ كَلَامُ نَفْسِهِ بِحَقِيقَة مِنْهُ، وَمِنْهُ خَرَجَ، وَلَا يَجْهَلُ ذُو عَقْلٍ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ اللهِ كَلَامٌ مَخْلُوقٌ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ عِنْدَكُمْ غَيْرَ اللهِ، ثُمَّ أَضَافَهُ كَذِبًا وَزُورًا وَبُهْتَانًا إِلَىٰ اللهِ).

أي أن مخلوقًا تكلم به وأضاف هذا الكلام إلىٰ الله.

قال: (فَهَذَا الْمُتَكَلِّمُ بِهِ الْمُضِيفُ إِلَىٰ اللهِ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ كَافِرٌ باللهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠]، أو يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[طه:١٤]، أَوْ يَقُولُ لِمُوسَىٰ: ﴿أَنَا رَبُّكَ﴾[طه:١٢]).

ولذلك كان القول -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم- بخلق كلام الله الذي هو القرآن إبطالًا للقدر والشرع، إبطالًا للقدر والرسالة، لماذا؟ لأن الله خلق سائر

الكون بقوله: كن، بكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهل يخلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمخلوق؟ هذا فيه إبطال للقدر.

وإبطال للشرع؛ لأن فيه تصديقًا لكلام المشركين، الذين قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، صحيح؟ ﴿وَلَقَد نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُوْلُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[النحل: ١٠٣]، فهذا فيه إبطال للرسالة.

خطورة القول بخلق القرآن وسبب نصرة الحداثيين للمعتزلة

كثير ممن يتكلم في هذه المسألة من أساتذة الجامعات إذا ذكر هذه المسألة -مسألة خلق القرآن والمعتزلة- يقول: هذه المسألة لم تكن لها فائدة، هي مسألة سياسية بحتة، يتابعون المستشرقين في ذلك المنافحين عن المعتزلة، ولذلك يقولون: أراد المأمون أن يحد من سطوة الفقهاء -يقصد بالفقهاء أي أهل السنة والجماعة- فماذا صنع؟ فتقرب إلىٰ المعتزلة بهذا الكلام، ليكونوا في صفه وفي جانبه، ولم تكن مسألة دينية، وإنما هي سياسية بحتة، فلا داعي للكلام فيها، وهذا كلام مردود وباطل، لماذا؟ لأن هذه المسألة لها أثر كبير جدًا الآن، القول بخلق القرآن له أثر كبير جدًا الآن عند الحداثيين أمثال نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون، ومحمد عابد الجابري، وحسن حنفي، هؤلاء معتزلة في عقولهم، يتحسرون أشد التحسر من موقف الإمام أحمد بن حنبل وظهور قوله، وأن موقف المعتزلة لم يكن له الظفر والنصر!! لأن هذا سيفتح الباب أمامهم.

أولًا: هذا القول -القول بخلق القرآن- معناه ماذا؟ أن يفتح ثغرة في الجدار المسدود، علىٰ حد تعبير محمد أركون، يقول: لو نجح المعتزلة في موقفهم لفتح لنا ثغرة في الجدار المسدود" أراد القرآن النص المقدس.

كيف سيكون ثغرة في الجدار؟ يقولون سيتأتىٰ لنا أن نقول: إن القرآن نص بشري

تاريخي، مثله مثل أي نص، كان له ظروف نزول علىٰ أساسها نزل القرآن، ومن هنا الظروف التي نحن فيها الآن لا تُوافق أحكام القرآن، كما ضربنا المثال، مسألة ميراث الأنثىٰ. اعتبر بما حدث في تونس في مسألة الميراث، فإن الباب الذي ولجوا منه هو هذا الباب: تاريخية النص القرآني وإمكانية تعدد قراءته.

فتونس لم تقل نحن نعلم أن الله قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء: ١١] ولن نأخذ بالقرآن، ما قالوا ذلك صراحةً، أعني كل المنافحين عن هذا القول الباطل. لكن قالوا: إن هذه الآية كان لها ظروف تاريخية، المرأة كانت تقبع في خيمتها، لا تُجاهد مع الرجل، ليس لها شأن في المجتمع، لكن المرأة الآن سفيرة، ووزيرة، ورئيسة، ومتعلمة، ومعها شهادات، فكيف يقال إنها لا تُساوي الرجل؟ هذه ظروف وهذه ظروف، ليه؟ لأن القرآن نص لغوي، يقولون هكذا القرآن عربي، فكما أن نصوص اللغة العربية كالشعر والنثر من الممكن أن تخضع للنقد وإعادة النظر، فما الذي يُفرق بين القرآن وغير القرآن؟ كلها تخضع لنفس الأمر، كما نُقل عن طه حسين، لما قال: ايتوني بقلم أحمر لأقوم بنقد بعض المواضع، أو إعادة القول في بعض المواضع في القرآن.

فالقول بخلق القرآن كما قلنا يترتب عليه القول بتاريخية النص، وممن يدعو لهذا القول في مصر إسلام بحيري، وكذلك إبراهيم عيسىٰ، يقولون: بعض أحكام القرآن لا تلزمنا، هذه كانت صالحة لأيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن لا تصلح لنا الآن.

كذلك وجوب نقده، كغيره من النصوص كما قلنا، وإسقاط المرجعية، وتجويز وقوع التحريف والزيادة والنقصان في القرآن، فالمسألة لها توابع لا تنتهي.

قال: (فَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ هَذَا أَوْ قَالَهُ).

أي ادعىٰ أن الذي قاله.

(غَيْرُ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ، كَفِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤] لَا يَسْتَحِقُّ قَائِلُ هَذَا أَنْ يُجْعَلَ قَوْلَهُ قُرْآنًا يُضَافُ إِلَىٰ اللهِ، وَيُقَامُ بِهِ دِينُ اللهِ، فهذا أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ، وَأَضْوَأُ مِنْهَا، إِلَّا عِنْدَ كُلِّ مُدَلِّسٍ.

قال: ولما لَمْ يُذِعْ هَذَا الْمُعَارِضُ هَذَا الْكَلَامَ، وَلَمْ يَنْشُرْهُ فِي النَّاسِ، لَمْ نَتَعَرَّضْ لِمُنَاقَضَتِهِ، وَإِدْخَالٍ عَلَيْهِ).

(مَعَ أَنَّا لَمْ نَقْصِدْ بِالنَّقْضِ إِلَيْهِ، وَلَكِن إِلَىٰ ضُعَفَاءِ مَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ).

هذه قاعدة مهمة جدًا: أن المبتدع لا يُناظَر، ولا يُكلَّم، الإمام الدارمي قال: ما قصدنا بهذا النقض أن نرد أمثال المريسي إلىٰ الإسلام والسنة مرة أخرىٰ؛ لأن هؤلاء نسأل الله العافية، كالذين طبع الله علىٰ قلوبهم، وهذا في المبتدع، إلا أن يشاء الله، ولذلك يُعرَض عنهم، ويُهجَرون، لكن هذا الكلام من أجل من؟

قال: (وَلَكِن إِلَىٰ ضُعَفَاءِ مَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ)، عسىٰ الله أن يُنجي أحد الذين يستمعون إلىٰ هؤلاء بهذا الكلام.

قال: (الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَذَا الْمَذْهَبِ سَمِعُوا بِهِ مِنْهُ، وَلَمْ يَسْمَعُوا ضِدَّ كَلَامِهِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَاحْتِجَاجِهِمْ، فَيَضِلُّونَ بِهِ، إِذْ لَا يَهْتَدُونَ بِضِدِّهِ وَمَا يَنْقُضُهُ عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَلَّفَ لَهُمْ كُتُبًا فِي مَعَالِمِ دِينِهِمْ، مِنْ نَحْوِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا، كَانَ أَوْلَىٰ بِهِ وَأَسْلَمَ لِدِينِهِ).

يقول: أَلِّف في الفقه، أَلِّف في الوضوء، تكلم في الصلاة، فالخطأ في هذه المسائل لا يُخرج من الإسلام إلىٰ الكفر.

فقال: (فَلَوْ أَنَّهُ أَلَّفَ لَهُمْ كُتُبًا فِي مَعَالِمِ دِينِهِمْ، مِنْ نَحْوِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا، كَانَ أَوْلَىٰ بِهِ، وَأَسْلَمَ لِدِينِهِ، وَأَنْفَعَ لِمَنْ حَوَالَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ

اضْطَمَرَ هَذَا الرَّأْيَ قَدِيمًا).

أي أضمره وخبأه.

(وَكَانَ يَجِيشُ فِي صَدْرِهِ، لَا يُمْكِنُهُ كَظْمُهُ، حَتَّىٰ هَمَّ بِإِظْهَارِهِ فِيمَا بَلَغَنِي مرّة، فأنكرها عَلَيْهِ علماؤها وفقاؤها، وَاسْتَتَابُوهُ مِنْهَا فَتَابَ وَعَاهَدَهُمْ أَنْ لَا يَعُودَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، ثُمَّ عِيلَ صَبْرُهُ بَعْدَ وَفَاةِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ حَتَّىٰ عَرَفَ بِمَا صَدرهُ فَافْتُضِحَ، وَفَضَحَ أَئِمَّتَهُ، وَضَلَّ وَأَضَلَّ، وَجَهِلَ، فَلَمْ يَعْقِلْ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مُعْجَبٌ بِالْإِصَابَةِ، غَافِلٌ عَمَّا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْعَارِ وَالنَّقْصِ، مِنْ كِتَابِ اللهِ وَآثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَذَاهِبِ الصَّالِحِينَ).

وقوله (مَعَ أَنَّا لَمْ نَقْصِدْ بِالنَّقْضِ إِلَيْهِ، وَلَكِن إِلَىٰ ضُعفَاءِ مَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ)

فيه أن السني يبتغي برده في المقام الأول هؤلاء الضعفاء، الذين لا علم عندهم، وأما أغلب المبتدعة فيعلمون الحق ويجحدون، فهؤلاء لا كلام معهم.

فهنا يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَوْ عَلِمَ بِذَلِكَ لَكَانَ أَنْ يَكُونَ أَخْرَسَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ، فَكَانَ يَسْتَتِرُ مِنَ الِافْتِضَاحِ بِهِ حَتَّىٰ أَنْطَقَ اللهُ بِهِ لِسَانَهُ، وَصَرَّحَ بِالْمَخْلُوقِ أَيْضًا فِي كَلَامٍ مُمَوَّهٍ عِنْدَ السُّفَهَاءِ، مَكْشُوفٍ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، فَادَّعَىٰ أَيْضًا أَنَّ كَلَامَ اللهِ يَحتمل أَنْ يَكُونَ مِنْ أَفَاعِيلِهِ).

وهذا الضبط صحيح، يَحتمل، وليس يُحتمل؛ لأن يُحتمل بمعنىٰ: يُغتفَر، أما "يَحتمل" يعني له أكثر من وجه.

(فَادَّعَىٰ أَيْضًا أَنَّ كَلَامَ اللهِ يَحتمل أَنْ يَكُونَ مِنْ أَفَاعِيله، وَأَنَّ أَفَاعِيلَهُ زَائِلَةٌ عَنْهُ، وَكُلُّ زَائِلٍ عَنِ اللهِ مَخْلُوقٌ فِي دَعْوَاهُ).

فقيل له: لا نُسلِّم-لا تسلم بالمقدمات حتىٰ لا تلزم بالنتائج- أن مطلق المفعولات

مخلوقة، التي هي من فعل الله، وقد أجمعنا واتفقنا علىٰ أن الحركة، والنزول، والمشي، والهرولة، والاستواء علىٰ العرش، وإلىٰ السماء، هذا من فعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفاته فعل لله.

يقول: **(وقد اتفقنا أن هذه قديمة، وأن الرضا، والفرح، والغضب، والحب، والمقت، كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة، فكل ما خرج من قول "كن" فهو حادث، وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم، والله أعلم)**.

إذًا كل ما كان نتيجة قوله "كن" فهذا مخلوق حادث؛ لأنه كان بالكلمة وبهذا يُفسّر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن عيسىٰ ابن مريم إنه روح الله وكلمة منه، ما المقصود بـ "منه" هاهنا؟ ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[النساء: ١٧١]، ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾، أي: كان عيسىٰ ابن مريم بالكلمة ولم يكن هو الكلمة؛ لأن عيسىٰ مكون مخلوقا، فكل ما كان بعد الكلمة فهو مخلوق حادث، نعم.

فهنا يذكر لنا هذه القاعدة، فيقول عن الرضا، والفرح، والغضب، والحب، والمقت، يقول: **(كلها أفعال في الذات للذات)**.

ما معنىٰ "في الذات"؟ أي: ليست بائنة عن الله، منفصلة، بل هي في ذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

"للذات" أي: مضافة إلىٰ الذات إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

قال: **(وهي قديمة)**.

ولذلك هذه الأفعال وهذه الصفات نقول عنها: هي قديمة النوع حادثة الآحاد؛ لأنها من جهةٍ صفةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اتصف بها أزلًا، ومن جهةٍ أخرىٰ تتعلق بمشيئته، علىٰ أساس ما يقوم من الأسباب، فالفرح له سبب، والغضب له سبب، صحيح.

وصف الصفات بالقِدم لا إشكال فيه؛ لأن هذا وارد في الصفات وليس في التسمية،

ولذلك تقول في دعاء دخول المسجد "وبسلطانه القديم"، نعم، فالسلطان صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وُصف بالقِدم، فوصف الصفات بالقِدم هذا فيه أثر، لكن تسمية الله بالقديم هذا ليس فيه أثر.

قال: (**وهي قديمة، فكل ما خرج من قول "كن" فهو حادث، وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم، والله أعلم**).

قال: (**فَلَمْ يَزَلْ يَعِيبُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَيُلَجْلِجُ بِهِ فِي صَدره حَتَّىٰ صرح بِهِ، وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ بِالْبِلَادِ مَنْ يَفْطِنُ لِمَذْهَبِهِ**).

قال: فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ فِعْلُ اللهِ الزَّائِلُ عنه فَقَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ: كَلَامُ اللهِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ غَيْرُ الْفِعْلِ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ، وَالْمَفْعُولاتُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ لا شَكَّ فِيها، فَقَدْ صَرَّحَ بِالْمَخْلُوقِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَمَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، بَعْدَمَا عَابَ مَنْ قَالَهُ، وَرَجَعَ عَيْبُهُ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

أرأيتك أَيهَا الْمعَارض إِذ ادَّعَيْتَ فِي بَعْضِ كَلَامِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا يُزَادُ علىٰ أَن يقال: كَلَامُ اللهِ، ثُمَّ يُسْكَتُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِك، لما أَنَّهُ).

هذه حجة الواقفة في القرآن الكريم:

(**لما أنه لَمْ يُخَضْ فِيهِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَمَنْ خَاضَ فِيهِ كَانَ بِزَعْمِكَ مُقَدِّمًا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ**).

وهذه كلمة حق أريد بها باطل، لكن لو أمعنا النظر في هذه الكلمة لوجدناها كلمة جليلة، ولذلك بها رُفعت المحنة، وذلك حين قال ابن الأزرمي للواثق، وكان المتوكل يسمع، يعني هذا الكلام علِمَه رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أم لم يعلمه؟ والمناظرة ذكرها الآجري في الشريعة، طيب: علمه وسكت عنه، لو كان كذلك، ألا يسعنا ما وسعه من السكوت؟ فرفعت

المحنة.

قال: (فَكَيْفَ تَرَكْتَ فِيهِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمِنْهَاجَ السَّلَفِ، وَرَجَعْتَ عَنْ كَلَامِ اللهِ فَجَعَلْتَهُ فِعْلًا لَهُ مَخْلُوقًا؟

أَوَمَا تَخْشَىٰ عَلَىٰ نَفْسِكَ مَا تَخَوَّفْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ؟ لقد ارتطمت فِيمَا تَخَوَّفْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ، وَصَرَّحْتَ بِالْمَخْلُوقِ بَعْدَمَا نَسَبْتَ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ مَنْ قَالَهَا، وَبُؤْتَ بِمَا عِبْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ، مِنَ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَبَايَعْتَ جَهْمًا وَالْمَرِيسِيَّ فِي دَعْوَاهُمَا، زَعَمَ هَذَانِ أَنَّهُ مَجْعُولٌ، وَزَعَمْتَ أَنْتَ أَنَّهُ مَفْعُولٌ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ سَوَاءٌ.

وَقَدْ كَانَ رَأْسُ حُجَجِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَوْثَقُهَا فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّىٰ تَأَوَّلُوا فِيهَا عَلَىٰ اللهِ فِي كِتَابِهِ خِلَافَ مَا أَرَادَ، فَقَالُوا: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:١-٣]، وَ ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾).

فادَّعوْا أن الجعل هاهنا بمعنىٰ الخلق، وهذا ما نناقشه، فنُفرق بين جعل وجعل علىٰ ما ورد في لسان العرب.

قال الدارمي: (زَعَمَ هَذَانِ).

يعني المريسي وجهمًا.

هل كل مجعول مخلوق؟

(أَنَّهُ مَجْعُولٌ، وَزَعَمْتَ أَنْتَ).

يعني المعارِض.

(أَنَّهُ مَفْعُولٌ).

والضمير يعود إلىٰ القرآن.

قال: (وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ سَوَاءٌ).

(زَعَمَ هَذَانِ أَنَّهُ مَجْعُولٌ، وَزَعَمْتَ أَنْتَ أَنَّهُ مَفْعُول، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ سَوَاءٌ، وَقَدْ كَانَ هَذا رَأْسُ حُجَجِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَوْثَقُهَا فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّىٰ تَأَوَّلُوا فِيهَا عَلَىٰ اللهِ فِي كِتَابِهِ خِلَافَ مَا أَرَادَ، فَقَالُوا: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِيْنِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:١-٣]، وَقَال تَعالَىٰ: ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورىٰ:٥٢]، فَادَّعَوْا أَنَّهُ لا يُقَالُ لِشَيْءٍ: ﴿جَعَلْنَاه﴾ إِلَّا وَذَلِكَ الشَّيْءُ مَخْلُوقٌ، فَضَلُّوا بِهَذَا التَّأْوِيلِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَجَهِلُوا فِيهِ مَذَاهِبَ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ).

هذه الشبهة شبهةٌ قديمة، وهي الاحتجاج بالجعل الذي جاء في كتاب الله، والزعم بأن هذا الجعل يعني الخلق، كما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، قالوا: معنىٰ الآية: خلقناه قرآنًا عربيًا، ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: خلقناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا.

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار، وهو من أئمة ومؤسسي مذهب الاعتزال كما في كتابه **(المغني في أبواب العدل والتوحيد)** يقول في هذه الآية: "وهذا يوجب حدوثه" أي: وصف القرآن بأنه مجعول هذا يوجب حدوثه، ويعني بالحدوث الخلق "لأن الجعل والفعل سواءٌ في الحقيقة، وكل ذلك وما شاكله يدل علىٰ حدوث القرآن" فهذه شبهتهم، فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَادَّعَوْا أَنَّهُ لا يُقَالُ لِشَيْءٍ: ﴿جَعَلْنَاه﴾ إِلَّا وَذَلِكَ الشَّيْءُ مَخْلُوقٌ، فَضَلُّوا بِهَذَا التَّأْوِيل عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَجَهِلُوا فِيهِ مَذَاهِبَ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ).

جهلوا مذاهب أهل الفقه والتفسير؛ لأن كما سيأتي لو نظرنا في تفسير العلماء للآيات

التي وردت فيها مادة جَعَل لوجدنا أن الجعْل في كثيرٍ منها بل في أغلبها ليس بمعنىٰ الخلق، وجهلوا كذلك البصر بالعربية؛ لأننا سنعلم كذلك أن الجعل في لغة العرب لا يأتي بمعنىٰ واحد، لكن له معان بحسب السياق، فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَقُلْنَا لَهُمْ: مَا ذَنْبُنَا إِنْ كَانَ اللهُ سَلَبَ مِنْكُمْ مَعْرِفَةَ الْكِتَابِ، وَالْعِلْمِ بِهِ وَبِمَعَانِيهِ، وَبِمَعْرِفَةِ لُغَاتِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ ادَّعَيْتُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ فَهُوَ خَلَقْنَاهُ؟ أَرَأَيْتُمْ أَيُّهَا الْجَهَلَةُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦] أَهُوَ خَلَقْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ؟ وَكَذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[الزخرف:٢٨]، والكلمة هي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَهُوَ خَلَقَهَا؟، وقَوْلهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق:٢]، وقَوْلهُ كذلك: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق:٤]، أَهُوَ خَلَقَ لَهُ مَخْرَجًا؟ أَمْ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[الحديد:٢٧] أَهُوَ خَلَقْنَا؟ أَمْ قَوْلُهُ: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾[الحاقة:١١-١٢]؟ أم قَوْله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر:١٠]، أم قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الممتحنة:٥] أَهُوَ فِي دَعْوَاكُمْ لَا تَخْلُقْنَا، بِعَدَما خَلْقِهِمْ مَرَّةً؟ أَمْ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤] أتقول: اخْلُقْ لِي؟ أَمْ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤] أَيِ: اخْلُقْنَا؟! أَمْ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص:٧] أَيَجُوزُ إِنْ يُقَالَ: وَخَالُقوه مِنَ الْمُرْسَلِين بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ؟! أَمْ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[إبراهيم:٣٥]، أَمْ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل:٩١]).

وهذه من أقوىٰ الآيات في الرد علىٰ من جعل كلَّ جعْلٍ في القرآن بمعنىٰ الخلق؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ﴾ هل معناها خلقتم الله؟

(﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل:٩١]، أَمْ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[الزخرف:١٩]).

وهذه كذلك، هل معناها: وخلقوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا؟

(أَمْ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[الشعراء:٨٥] أَهُوَ اخْلُقْنِي وَقَدْ فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ؟، أَمْ قَوْلُ الرَّجُلِ جَعَلَكَ اللهُ بِخَيْرٍ؟ وَكُلُّ مَا عَدَدْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَا يشبهها مِمَّا لَمْ نَعْدُد يَسْتَحِيلُ أَنْ يَصْرِفَ جَعَلْنَا مِنْهَا إِلَىٰ خَلَقْنَا، وأشدها اسْتِحَالَة: مَا ادعيتم عَلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ فِي قَوْله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣] أَنَّهُ خَلَقْنَاهُ، فَلَمْ تَفْقَهُوا مَعْنَاهُ مِنْ قِلَّةِ عِلْمِكُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ).

فالمصنف هاهنا ردّ عليهم بوجوهٍ ثلاثة:

الوجه الأول: جهلهم بلغة العرب، ذلك أن الجعل في لغة العرب يأتي علىٰ موردين، فإما أن تكون جعل متعديةً لمفعولٍ واحد، إما أن يكون الفعل الذي هو جعل متعديًا إلىٰ مفعول واحد، فالمعنىٰ الغالب هاهنا الخلق والإيجاد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[الأنعام: ١]، فالظلمات مفعولٌ به للفعل جعل، والنور معطوفٌ علىٰ الظلمات، فهنا إما بمعنىٰ خلق أو أوجد.

وإذا تعدّىٰ الفعل جعل لمفعولين فليس معناه خلق، وإنما هو بحسب السياق، والغالب فيه معنىٰ صيّر، كما بيّن ذلك الإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته في الاختلاف في اللفظ، وأشار إلىٰ ذلك أيضًا الإمام أحمد في كتابه في الرد علىٰ الزنادقة، فهذا جهلهم أولًا بلغة العرب.

وجهلهم الثاني: إنما هو بمعهود استعمال القرآن، وهذه قاعدةٌ نافعةٌ جدًا في فهم المراد من بعض مفردات القرآن، تجد العلماء يختلفون في بعض المفردات، في معاني بعض

المفردات في القرآن، فإذا نظرت إلىٰ معهود استعمال القرآن لهذه اللفظة، المعنىٰ الذي اطّرد في القرآن لهذه اللفظة وقفت علىٰ المعنىٰ الصحيح لهذه اللفظة.

فلو نظرنا إلىٰ هذه الآيات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي أغلب الآيات التي جاءت في القرآن في مادة جعل لوجدنا أن الغالب علىٰ هذه المادة أنها ليست بمعنىٰ الخلق، فأكثر استعمالها كما قلنا إنما هو في معنىٰ التصيير، أو الإنزال.

ومن هنا كان الوجه الثالث في الرد وهو: قلب الدليل عليهم، وهذا يستعمله كثيرًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ما من دليلٍ صحيحٍ سواءٌ كان آيةً في كتاب الله، أو حديثًا ثابتًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستدل به المبتدع إلا وكان في نفس الدليل ما ينقض استدلاله، طالما أنه استدل بدليلٍ صحيح، آية أو حديثٍ ثابتٍ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بد أن يكون في نفس هذا الدليل ما ينقض استدلاله ويُردّ به عليه.

وهذا ما ألزم به شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه كما نقل ذلك عنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابن رشيق وهو كذلك من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "ما من دليلٍ يأتي به المبتدع" دليلٍ صحيح، لا بد أن يكون صحيحًا "إلا وكان في نفس الدليل ما ينقض هذا الاستدلال".

ولذلك قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا، قال: **(وأشدّها استحالةً)**.

هذا الدليل الذي استدلّوا به وهو قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

(﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أَنَّهُ خَلَقْنَاهُ، فَلَمْ تَفْقَهُوا مَعْنَاهُ مِنْ قِلَّةِ عِلْمِكُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ).

ثم قال: **(وَيْلَكُمْ! إِنَّمَا الْكَلَامُ لِلَّهِ بَدْءًا وَأَخِيرًا، وَهُوَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مِنْهَا)**.

ويقصد بالألسنة هاهنا: اللغات، فيتكلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما شاء من هذه اللغات.

(إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَإِنْ شَاءَ بِالْعِبْرَانِيَّة، وَإِن شَاءَ بالسُّرْيَانيَّة، فَقَالَ: جعلت هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كَلَامِي عَرَبِيًّا، وَجَعَلْتُ التوارة وَالْإِنْجِيلَ مِنْ كَلَامِي عِبْرَانِيًّا، لِمَا أَنَّهُ أَرْسَلَ كُلَّ رَسُولٍ بِلِسَانِ قَوْمِهِ، كَمَا قَالَ: فَجَعَلَ كَلَامَهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ كَلَامًا لِكُلِّ قَوْمٍ بِلُغَاتِهِمْ فِي أَلْسِنَتِهِمْ، فَقَوْلُهُ: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أَيْ: صَرَفْنَاهُ مِنْ لُغَةٍ إِلَىٰ لُغَةٍ أُخْرَىٰ، وَلَيْسَ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ إنّا خَلَقْنَاهُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ فِي دَعْوَاكُمْ، فَهُوَ مَعَ تَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ).

تكلّم به عربيًا، أو سريانيًا، أو عبرانيًا فهو كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونحن نعلم أن التوراة والإنجيل لم يُنزلا بلسان العرب، وإنما نزل بلسان بني إسرائيل، ومع ذلك الذي تكلّم بهما ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فمعنىٰ ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: صرّفناه وصيّرناه قرآنًا عربيًا؛ لأن القرآن بلغة العرب هو الذي يوافق اللسان الذي كان عليه قوم محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لسان العرب.

قال: **(وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢] يَقُولُ: تَسْتَنِيرُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَنْشَرِحُ لَهُ، لا أَنَّهُ نُورٌ مَخْلُوقٌ، لَهُ ضَوْءٌ قَائِمٌ يُرَىٰ بِالْأَعْيُنِ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، فَافْهَمْهُ، وَلَا أَرَاكَ تَفْهَمُهُ.**

وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا لِتَحْقِيقِ قَوْلِهِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِصَاحِبِهِ»، فَقَالَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ: إِنْ قُلْتُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ كَانَ نقضًا لِمَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ لا يَتَرَاءَىٰ شَيْءٌ فِي صُورَةٍ إِلَّا وَذَلِكَ الْمُتَرَائِي وَالْمُتَكَلِّمُ فِي قِيَاسِ مَذْهَبِهِ مَخْلُوقٌ).

والحديث ثابتٌ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(فَقَدْ فَسَّرْنَا هَذَا لِهَذَا الْمُعْجَبِ بِجَهَالَتِهِ فِي كِتَابِنَا هَذَا).**

قد مضى، وذكرنا الأحاديث الصحيحة الكثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفس هذا المعنى كما قال: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول: ألا تعرفني؟ أنا صاحبك القرآن الذي أسهرتك بالليل، وأظمأتك بالنهار، وإن كل تاجرٍ من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيؤتى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويُلبس والداه تاجًا، فيقولان: بمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكم للقرآن»، وكذلك عندما يقول القرآن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما في الحديث الثابت: «يارب حلِّه، يارب زِدْه، يارب ارض عنه»، فسبق أن الذي يقول ذلك إنما هو ثواب القرآن، الذي يأتي هو ثواب القرآن، أي: العمل الصالح.

الشيخ: نعم، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[القيامة: ١٨]، أي: قراءته، القرآن بمعنى القراءة يعني عمل الإنسان، فسيأتي العمل، نعم، الذي يأتي هو العمل، كما جاء في حديث البراء بن عازب في حال الميت في البرزخ: «فيأتيه رجلٌ حسن الثياب، حسن الوجه، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح»، فيجعل الله عمله على صورة هذا الرجل، وعلى النقيض من ذلك «يقول: من أنت؟ يقول: أنا عملك السيء»، فالذي يأتي هو عمل المرء.

لماذا صرفنا هذا الحديث عن ظاهره وقلنا بذلك؟ أقول: للقرينة المعتبرة؟ ما هي القرينة؟ أن القرآن ليس عينًا تقوم بذاتها، وإنما هو صفة، فلا هو يأتي يوم القيامة وحده، كما جاء كذلك في إتيان سورة البقرة وسورة آل عمران كغيايتين، أو كغمامتين كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: (فَقَدْ فَسَّرْنَا هَذَا لِهَذَا الْمُعْجَبِ بِجَهَالَتِهِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، لَيْسَ لَهُ صُورَة، وَلَا جِسْمٌ، وَلَا يَتَحَوَّلُ صُورَةً أَبَدًا، لَهُ فَمٌ وَلِسَانٌ ينْطق بِهِ ويشفع، وَقد عَقِلَ ذَلِكَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الْمَعْقُولُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ ثَوَابٌ يُصَوِّرُهُ اللهُ فِي أَعْيُنِ

الْمُؤْمِنِينَ، جَزَاءً لَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي قَرَؤُوه وَاتَّبَعُوا مَا فِيهِ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَفْسُ الْقُرْآنِ كَلَامٌ غَيْرُ مجسّمٍ فِي كل أَحْوَاله، إِنَّمَا يُحَسُّ بِهِ إِذا قرئَ، فَإِذا زَالَت عَنهُ الْقِرَاءَة لم يُوقف لَهُ علىٰ جسمٍ وَلَا صُورَةٍ، إِلَّا أَنْ يُرْسَمَ بِكِتَابٍ، هَذَا مَعْقُولٌ لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَهُولٍ، قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَلَكِنَّكُمْ تُغَالِطُونَ، وَالْعُلَمَاءُ بِمُغَالَطَتِكُمْ عَالِمُونَ وَلِضَلَالَتِكُمْ مُبْطِلُونَ).

فإما أن الذي يأتي هو الثواب، وإما أن يكون العمل نفسه هو الذي يأتي.

قال: (وَيَكْفِي الْعَاقِلَ أَقَلُّ مِمَّا بَيَنَّا وشرحنا مِنِ مذاهبكم غَيْرَ أَنَّ فِي تَكْرِيرِ الْبَيَانِ شِفَاءً لما فِي الصُّدُور.

وَأما دعواك أَيهَا الْمعَارض أَن لَمْ يَسْبِقْ مِنَ السَّلَفِ فِي الْقُرْآنِ قَوْلٌ وَلَا خَوْضٌ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٌ فَسَنَقُصُّ عَلَيْكَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَنْهُمْ مَا يُكَذِّبُ دَعْوَاكَ، وَسَنَحْكِيهِ لَكَ عَنْ قَوْمٍ مِنْهُمْ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمَ مِمَّنْ حَكَيْتَ عَنْهُمْ مَذْهَبَكَ، نَحْوَ الْمَرِيسِيِّ، وَابْنِ الثَّلْجِي، ونُظَرَائِهِم).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ،حدّ ثَنَا مُوسَىٰ بْنُ دَاوُدَ، حدّثَنَا مَعْبَدٌ قَال عَليّ: وَهُوَ ابْنُ رَاشِدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ).

أي الصادق، وهو من أئمة آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(الْقُرْآنُ خَالِقٌ هُوَ أَوْ مَخْلُوقٌ؟ فقَالَ: "لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوق، وَلكنه كَلَام الله").

وهذا أثرٌ حسن، وهذا أقدم أثرٍ عن القرون الفاضلة في بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يصح عن النبي ولا عن واحدٍ من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه اللفظة: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأقدم أثرٍ جاء في إثبات هذا المُعتقَد وهذه اللفظة هو هذا الأثر، كما قال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسمع ذلك الإمام الدارمي منه، قال: يقول علي في حديث جعفر بن محمد: "ليس القرآن بخالقٍ ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالىٰ" قال علي: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمانٍ أقدم من هذا"، قال علي: "هو كفرٌ"، قال أبو سعيد:

"يعني من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر، وهذا إسناده صحيح"، فقال جعفر: "القرآن كلام الله غير مخلوق".

قال: (وَسَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ يَقُولُ: قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: "أَدْرَكْتُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ خرج وَإِلَيْهِ يعود").

وهذا أثرٌ صحيحٌ كذلك، فيه أن عمرو بن دينار أدرك أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن دونهم من التابعين، وكلهم يقول: الله الخالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله" أي: صفته، وصفات الله غير مخلوقة، ففارقت كل مخلوق "منه خرج وإليه يعود" أي: تكلم به، وإليه يرجع كذلك، أي: في آخر الزمان، كما جاء في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الطُّوسِيّ -مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ- قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَضَّاءٍ مَوْلَىٰ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُبَارَك بِالْمِصِّيصَةِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: "هُوَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ").

وهذا أثرٌ صحيحٌ كذلك.

وقال: (حدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ عَلِيّ بْنُ مَضَّاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ بَقِيّةَ بنِ الوَلِيدِ يَقُولُ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ").

وهذا صحيحٌ كذلك.

قال: (حدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حدّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَضَّاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ يَقُولُ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ").

صحيح.

وقال: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ مَنْصُورٍ، حدّثَنا عَلِيُّ بْنُ مَضَّاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ الْجَزَرِيَّ يَقُولُ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ").

وهو أثرٌ صحيح.

قال: (حَدثنِي مُحَمَّد بن مَنْصُور، حدّثَنا عَلِيُّ بْنُ مَضَّاءٍ، قَالَ: حدّثَنَا هِشَامُ بْنُ بِهْرَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُعَافَىٰ بْنَ عِمْرَانَ يَقُولُ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ".

قَالَ هِشَامٌ: "وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ الْمُعَافَىٰ"، قَالَ عَلِيّ: "وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ هِشَامٌ"، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ: "وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ خَمْسِينَ مَرَّةً"، قَالَ أَبُو سَعِيد عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ: "وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالُوا"، قَالَ الصَّرَّامُ: "وَأَنَا أَقُول كَمَا قَالُوا"، قَالَ رُوَاةُ الصَّرَّامِ).

يعني مَن سمِعوا منه هذا الأثر.

("وَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالُوا"، وَقَالَ لَنَا إِسْحَاقُ: "وَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالُوا").

جاء في هامش المخطوط: وقال كاتب هذا الكتاب، وهو أيوب بن أيوب بن صخر: "ونحن نقول كما قالوا" فقال محقق الكتاب وهو معاصر، قال: "وأنا أقول كما قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود" أسأل الله أن أحيا علىٰ هذا وأموت عليه،

قلتُ-محمد-: ونحن نقول كذلك كما قالوا: هو كلام الله غير مخلوق، أسأل الله أن يثبتنا علىٰ ذلك حتىٰ نلقاه.

فهذا أثرٌ مُسَلْسَلٌ بقولهم: "وأنا أقول كما قالوا"، وهو أثرٌ صحيح.

قال: (فَكُلُّ هَؤُلَاءِ قَالُوا: "إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ"، وَلَيْسُوا بِدُونِ مَنْ رَوَيْتَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَرِهُوا الْخَوْض فِيهِ فَيَقُولُوا: "هوغير مَخْلُوق" مثل أبي أُسَامَةَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَمَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ، إِنْ صَدَقْت عَلَيْهِم دَعْوَاكَ، وَأَخَسُّهُمْ عِنْدَ النَّاسِ مَنْزِلَةً أَعْلَىٰ مِنَ الْمَرِيسِيِّ، وَاللُّؤْلُؤِيِّ، وَابْنِ

الثَّلْجِيِّ، وَنُظَرَائِهِمُ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، حَتَّىٰ لَقَدْ أَكْفَرَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ بِهِ الْقَتْلَ، وَلَمْ يُوجِبُوا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ بِذَلِكَ إِلَّا وَأَنَّ قَوْلَهُمْ بِذَلِكَ كَانَ عِنْدَهُمْ).

وفي هذا، أي: في تكفير هؤلاء الذين يقولون: القرآن مخلوق عدّ الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه أصول الاعتقاد أكثر من خمسمائةٍ وخمسين نفسًا من التابعين وتابعيهم كلهم يقولون: " من قال مخلوق فهو كافر" ذكر أكثر من خمسمائةٍ وخمسين نفسًا من سادات التابعين ومن جاء بعدهم، كلهم يقولون: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر" ويعنون بذلك الكفر الأكبر المخرج من الملة؛ لأنهم يجعلون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا القول محلًا للمخلوق، ويكذّبون صريح كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعم.

ولقد تقلد كفرهم خمسون في	عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عن	هُمُ بل حكاه قبله الطبراني

هكذا قال ابن القيم في نونيته، و الأصل في التكفير أنه مطلق، أما إنزاله علىٰ الأعيان فلا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفّر لا المأمون، ولا الواثق، ولا المعتصم، لم يكفّر هؤلاء، مع أنهم كانوا يقولون: إن القرآن مخلوق، يقولون بقول الجهمية، لدخول الشبهة عليهم.

قال: (حَدَّثَنا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيّ، أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ حَدَّثَهُمْ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ زَنَادِقَةً، ثُمَّ أَحْرَقَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: صدق الله وَرَسُوله).

وهذا أثرٌ صحيح، وفيه عند البزّار عن سُوَيْد بن غَفَلة قال: "أُتي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بزنادقة، فخرج إلىٰ السوق فحفر حفرةً فأحرقهم بالنار، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: صدق الله ورسوله" ثم انطلق حتىٰ دخل الرّحبة فتبعته، فلما أراد أن يدخل البيت قال: مالك يا سويد؟

قلت: يا أمير المؤمنين، كلمةً سمعتها حين حرّقت هؤلاء الزنادقة، تقول: صدق الله ورسوله، قال: يا سويد، إذا سمعتني أقول: قال الله، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أني لأن أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أقول ما لم أسمع منه، وإذا رأيتني أتكلم بأشباه هذا فإنما هو شيءٍ أغيظهم، أو كلمةً نحوها" قال: وإسناده صحيح.

قال: **(فَالْجَهْمِيَّةُ عِنْدَنَا أَخْبَثُ الزَّنَادِقَةِ)**.

يعني إذا كان علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرّق الزنادقة، فالجهمية أخبث الزنادقة.

قال: **(لِأَنَّ مَرْجِعَ قَوْلِهِمْ إِلَىٰ التَّعْطِيلِ كَمَذْهَبِ الزَّنَادِقَةِ سَوَاءٌ)**.

وقد ذكرنا قول ابن المبارك قبل ذلك الذي قال فيه: "لأن أحكي كلام اليهود والنصارىٰ أحبّ إليّ من أن أحكي كلام هؤلاء" يعني الجهمية، قلنا: لأن اليهود والنصارىٰ مع تحريفهم وتنقُّصهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا أنهم يثبتون إلهًا له صفات، فيثبتون لله الصفات، وأما الجهمية فإنهم يثبتون عدمًا، لا يثبتون إلهًا في السماء قد استوىٰ علىٰ عرشه، له الكمال في صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقولهم أخبث من قول اليهود والنصارىٰ، وهم أخبث الزنادقة كما قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: **(حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْمَرِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، حدّثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ حَبِيبِ بنِ أبي حَبِيبِ، عَن أَبِيه عَنْ جَدِّهِ حَبِيب بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، قَالَ: خَطَبَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ بِوَاسِطَ يَوْمَ الْأَضْحَىٰ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْجِعُوا فَضَحُّوا، تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ عُلُوًّا كَبِيرًا، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ)**.

وهذه حكايةٌ مشهورة، وليس لها سندٌ صحيحٌ ثابت، لكن شهرتها في كتب المقالات وفي كتب أهل السنة تغني عن إسنادها، هي مشهورةٌ منقولة منذ ذلك العصر الذي وقع فيه هذا

الفعل إلىٰ يوم الناس هذا، يتناقلها أهل السنة والجماعة، ويثنون عليها، ويثنون علىٰ خالد بن عبد الله القسري مع أنه كان سفّاحًا سفّاكًا للدماء، ومع ذلك جعلوا هذا الفعل من مناقبه، لماذا؟ لأنه وأد به فتنةً عظيمةً وهي فتنة الجعد بن درهم، والجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان، وبق بيان لماذا نُسبت الجهمية إلىٰ الجهم ولم تُنسب إلىٰ الجعد. لأن الجهم كان لَسِنًا، كان خطيبًا يحسن الكلام، فقام بنشر كلامه بين الناس، بخلاف الجعد بن درهم.

طبعًا المفتونون بأهل الاعتزال من أهل زماننا من الحداثيين يقولون: إنه لم يقتله من أجل هذه المقالة وإنما قتله سياسةً؛ لأنه خرج علىٰ بني أمية، الجعد بن درهم خرج علىٰ بني أمية فقتله سياسةً! هل الذي يَقتُل سياسةً يقول هذا الكلام: ضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم؟، وكان ذلك يوم العيد، عيد الأضحىٰ، ثم يذكر علة هذا الفعل؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا، فكذّب صريح القرآن، وطالما أن الله لا يتكلم فالقرآن والتوراة والإنجيل مخلوقة، فذبحه من أجل ذلك، ولهذا يقول ابن القيم في نونيّته يشكر ويثني علىٰ فعل خالد بن عبد الله القسري، يقول:

ولأجل ذا ضحّىٰ بجعدٍ خالدُ	القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسىٰ الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة	لله درّك من أخي قربان

فأثنىٰ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: **(حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: قلت لِإِبْرَاهِيم بن سعد: ما تقول فِي الزَّنَادِقَةِ، تَرَىٰ أَنْ نَسْتَتِيبَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَبِمَ تَقُولُ ذَلِك؟)**.

يعني يسأل عن الدليل.

قَالَ: **(كَانَ علينا وَالٍ بِالْمَدِينَةِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا وَلَمْ يَسْتَتِبْهُ، فَسُقِطَ فِي يَدِهِ فَبَعَثَ إِلَىٰ**



أبي، فَقَالَ لَهُ أَبِي: لَا يَهِيدَنَّك).

ما معنىٰ لا يَهِيدَنَّكَ؟ أي: لا يفزعنّك ذلك، ولا يجعلنّك ذلك في كرب هذا الفعل الذي فعلته.

(فَإِنَّهُ قَوْلُ اللّهِ تعالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[غافر:٨٤]، قَالَ: السَّيْفُ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[غافر:٨٥]، قَالَ: السَّيْف، فقال: سنّتُه الْقَتْل.

وَسَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ نَافِعٍ أَبَا تَوْبَةَ يَقُولُ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: مَا تَرَىٰ فِي قَتْلِ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ؟ قَالَ يُسْتَتَابُونَ، فَقُلْتُ: لَا).

يعني الربيع يقول: لا لأحمد بن حنبل، عندي يستتابون علىٰ أنها من باب الخبر لا من باب الاستفهام، عندكم كذلك؟

نعم، فالقول قول أحمد، قال: يُستتابون، فقال الربيع:

(لَا، أَمَّا خُطَبَاؤُهُمْ فَلَا يُسْتَتَابُونَ وَتُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ.

وقال: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ بكير الْمصْرِيّ، حدّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»).

وهذا الحديث حديثٌ مرسل وإن كان أصله في الصحيح، قال ابن عبد البر في هذا الإسناد: "هكذا رواه جماعة رواة الموطّأ مرسلًا، ولا يصح فيه عن مالكٍ غير هذا الحديث المرسل عن زيد بن أسلم، وقد رُوي فيه عن مالكٍ، عن نافعٍ، عن ابن عمر، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من بدّل دينه فاقتلوه» قال: "وهو منكَرٌ عندي" يعني بهذا الإسناد الذي ينتهي إلىٰ عبد الله بن عمر، ثم قال: "والحديث معروفٌ ثابتٌ مُسنَدٌ صحيح من



حديث عبد الله بن عباس".

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فقه هذا الحديث: «من بدّل دينه فاقتلوه» قال: "أن من ارتدّ عن دينه حلّ دمه، وضُربت عنقه، والأمة مجتمعةٌ علىٰ ذلك" أي: علىٰ حد الردّة، "وإنما اختلفوا في استتابته" يعني لم يختلفوا في حد الردة، وإنما اختلفوا في استتابته، فمنهم من قال باستتابته، ومنهم من قال بعدم استتابته، ومنهم من قال: إن ذلك يرجع إلىٰ ما يراه الإمام من مصلحة، هل يرىٰ المصلحة في استتابته أم لا؟ قال: "فطائفةٌ منهم قالت: لا يستتاب علىٰ ظاهر هذا الحديث ويُقتَل، وطائفةٌ منهم قالت: يستتاب بساعةٍ واحدة ومرةٍ واحدة ووقتٍ واحد" يعني يستتاب مرةً واحدة.

"وقال آخرون: يُستتاب شهرًا"، يعني يُترك شهرًا، يُناظر في ذلك ويُراجع لعله يتوب "وقال آخرون: يستتاب ثلاثًا علىٰ ما رُوي عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، ولم يستتب ابن مسعود ابن النوّاح وحده، لقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لولا أنك رسولٌ لقتلتك»، قال له: اليوم لستَ برسول، واستتاب غيره".

ثم قال: "روىٰ مالكٌ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاري، عن أبيه أنه قال: "قدم علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلٌ من قِبل أبي موسىٰ الأشعري، فسأله عمر عن الناس فأخبره، ثم قال له عمر: هل من مُغْرِبَةِ خبرٍ؟" يعني هل هناك خبرٌ غريب؟ "قال: نعم، رجلٌ كفر بعد إسلامه، فقال له عمر: فماذا فعلتم به؟ قال: قرّبناه فضربنا عنقه، قال عمر: فهلّا حبستموه ثلاثة، وأطعمتموه كل يومٍ رغيفًا، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله؟ اللهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذ بلغني" انتهىٰ من التمهيد، فمذهب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه يستتاب.

(**قَالَ مَالِكٌ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

في هذا الحديث: «**من بدّل دينه فاقتلوه**».

قال: (**وَمَعْنَىٰ حَدِيثِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **هَذَا -فِيمَا نَرَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِثْلُ الزَّنَادِقَةِ، وَأَشْبَاهِهِمْ، فَإِنَّ أُولَئِكَ يُقْتَلُونَ، وَلَا يُسْتَتَابُونَ؛ لِأَنَّهُ لَا تعرف تَوْبَتُهُمْ**).

لأن الزنديق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فلا تُعلم توبته هل تاب حقًا أم لا؟ فيُقتلون وأمرهم إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتوبتهم بينهم وبين الله.

(**وَأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يُسِرُّونَ الْكُفْرَ وَيُعْلِنُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَلَا أَرَىٰ أَنْ يُسْتَتَابَ هَؤُلَاءِ وَلَا يُقْبَلُ قَوْلُهُمْ**).

ثم قال: (**حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَحْيَىٰ الْبُوَيْطِيُّ، عَنِ الشَّافِعِيِّ فِي الزِّنْدِيقِ: "يُقْبَلُ قَوْلُهُ إِذَا رَجَعَ وَلَا يُقْتَلُ"**).

فمسألة الاستتابة فيها خلاف، لكن ليس هناك خلاف في حد الردّة، «**من بدّل دينه فاقتلوه**»، ولا يقال كما يقول كذلك الحداثيون والعلمانيون: إن هذا الحديث كان مبناه علىٰ واقعة عين، يعني كان ذلك قضاءً للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في واقعةٍ معينة ولا يُعمّم الحكم؛ لأن الإجماع قد نُقل في ذلك، أن كل من بدّل دينه فإنه يُقتل.

قال: (**حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَحْيَىٰ الْبُوَيْطِيُّ، عَنِ الشَّافِعِيِّ فِي الزِّنْدِيقِ: "يُقْبَلُ قَوْلُهُ إِذَا رَجَعَ وَلَا يُقْتَلُ"**).

ثم قال: (**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ السِّجِسْتَانِيُّ -وَكَانَ مِنْ أَوْثَقِ أَهْلِ سِجِسْتَانَ وَأَصْدَقِهِمْ- عَنْ زُهَيْرِ بْنِ نُعَيْمٍ الْبَابِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ سَلَّامَ بن أبي مُطِيع يَقُول: "الجمهية كُفَّارٌ"**).

قَالَ: وَسَمِعْتُ زُهَيْرَ بْنَ نُعَيْمٍ يَقُولُ: سُئِلَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ -وَذُكِرَ لَهُ شَيْءٌ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ- فَقَالَ: ذَاكَ كَافِرٌ.

وقال: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، حدّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾[طه:١٤] مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَسَمِعْتُ مَحْبُوبَ بْنَ مُوسَىٰ الْأَنْطَاكِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ وكيعًا يُكَفِّرُ الْجَهْمِيَّةَ، وَكَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنِ خَشْرَمٍ أَنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ كَانَ لَا يَعُدُّ الْجَهْمِيَّةَ فِي عِدَادِ الْمُسْلِمِينَ).

فلا يُعَدّون في الثنتين والسبعين فرقة، بل هم دينٌ مستقلٌ بذاته كالرافضة، وقد بيّن سبب ذلك الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الاعتصام؛ لأنهم لا يثبتون إلهًا، يكفرون بما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بالتوحيد.

قال: (وَسَمِعْتُ يَحْيَىٰ بنَ يَحْيَىٰ يَقُولُ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ مَنْ شَكَّ فِيهِ، أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ".

فَهؤُلَاءِ الَّذِينَ أَكْفَرُوهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ، وَأَنْزَلَاهُمْ مَنْزِلَةَ مَنْ بَدَّلَ دينه فَاسْتحقَّ بتبديله الْقَتْل.

قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَجَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِقَوْمٍ مِن الزَّنَادِقَةِ فَحَرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: "أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَا حَرَّقْتُهُمْ لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وَقَالَ: «لَا تعذبوا بِعَذَاب اللّه».

فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ مَنْ رَوَيْنَا عَنْهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي إِكْفَارِ الْجَهْمِيَّةِ وَقَتْلِهِمْ عَلَيْهِ، وَقَوْلِهِمْ: الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ أَن هَذه الرِّوَايَاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا لَيْسَ أَثَرًا عِنْدَهُ، لِمَا

أَنَّ أَبَا يُوسُفَ قَالَ: "الْأَثَرُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ. وَمَا بَعْدَ هَؤُلَاءِ لَيْسَ بِأَثَرٍ".

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: فَكَيْفَ جَعَلْتَ أَنْتَ أَثَرًا مَا رَوَيْتَ فِي رَدِّ مَذْهَبِنَا عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَأَبِي أُسَامَةَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَالْمَرِيسِيِّ، وَاللُّؤْلُؤِيِّ، وَالثَّلْجِيِّ؟).

فالمبتدع يؤتىٰ له بكل هؤلاء الأئمة ثم يقول: هذا لا يُقبل منهم؛ لأن العمدة في ذلك قال الله وقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يأتي بعد ذلك بكلام كُسير، وعُوير، وثالثٍ ما فيه خير، لا يُعرف، مجهول، ويقول: قال فلان، وقال علان.

قال: (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا رَوَيْنَا مِنْ ذَلِكَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَبَقِيَّةَ بن الْوَلِيد، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَوَكِيعٍ، وَعِيسَىٰ بْنِ يُونُسَ، ونظرائهم أثرًا عنْدك، فأبعد من الْأَثَرِ مَا احْتَجَجْتَ فِي رَدِّهِ عَنِ الْمَرِيسِيِّ، وَالثَّلْجِيِّ، وَاللُّؤْلُؤِيِّ، وَنُظَرَائِهِمْ، فَكَيْفَ أَقَمْتَ أَقَاوِيلَ هَؤُلَاءِ الْمُتَّهَمِينَ لِنَفْسِكَ أَثَرًا، وَلَا تُقِيمُ، أَقَاوِيلَ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَيِّزِينَ لَنَا أَثَرًا؟ مَعَ أَن أَبَا يُوسُفَ إِنْ قَالَ: لَيْسَتْ أَقَاوِيلُ التَّابِعِينَ بِأَثَرٍ فَقَدْ أَخْطَأَ، وإِنَّمَا يُقَالُ: لَيْسَ اخْتِلَافُ التَّابِعِينَ سُنَّةً لَازِمَةً).

هذه قاعدة، يعني إذا اختلف التابعون فليس اختلافهم سنةً لازمة، فيُرد هذا الاختلاف والتنازع إلىٰ الله ورسوله، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُوْلِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[النساء: ٥٩]، لكن إذا لم يختلفوا فقولهم حجة يؤخذ به ويُعتد به.

(كَسُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ).

ولذلك أعيد كلمته مرةً أخرىٰ، يقول:

(مَعَ أَن أَبَا يُوسُفَ إِنْ قَالَ: لَيْسَتْ أَقَاوِيلُ التَّابِعِينَ بِأَثَرٍ فَقَدْ أَخْطَأَ، وإِنَّمَا يُقَالُ: لَيْسَ اخْتِلَافُ التَّابِعِينَ سُنَّةً لَازِمَةً).

وهذا الكلام هو هو يقال في أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن اختلفوا فليس قول بعضهم بأولىٰ من قول الآخر، وإنما يُرَجّح بين أقوالهم علىٰ مقتضىٰ القواعد الشرعية، وهذا الكلام يقال في كلام سائر الناس، وسائر العلماء، لكن إن أجمعوا علىٰ شيءٍ فإجماعهم حجة، والمنقول عن التابعين فمن بعدهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فهذا الكلام حجة.

قال: (فَأَمَّا أَنْ لا يَكُونَ أَثَرًا فَإِنَّهُ أَثَرٌ لا شَكَّ فِيهِ، وَأَقَاوِيلُهُمْ أَلْزَمُ لِلنَّاسِ مِنْ أَقَاوِيلِ أَبِي يُوسُفَ وَأَصْحَابِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَثْنَىٰ عَلَىٰ التَّابِعِينَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠]، فَشَهِدَ لَهُم بِاتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَاسْتِيجَابِ الرُّضْوَانِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِاتِّبَاعِهِمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ سَمَّوْهُمُ التَّابِعِينَ، وَلَمْ يَزَالُوا يَأْثِرُونَ عَنْهُمْ بِالْأَسَانِيدِ كَمَا يَأْثِرُونَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَيَحْتَجُّونَ بِهِمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَيَرَوْنَ آرَاءَهُمْ أَلْزَمَ لَهُم مِنْ آرَاءِ من بعدهمْ، للاسْم الذِي اسْتَحَقّوا مُنَ اللّهِ تَعَالَىٰ وَمِنْ جَمَاعَةِ المُسْلِمِيْن الّذينَ سَمّوْهُم تَابِعِي أَصْحَابِ -مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَتَّىٰ لَقَدْ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: "وَلَا تُفْتِ النَّاسَ بِرَأْيِكَ" فَقَالَ: "رَأْيُنَا لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ آرَائِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ".

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَبِي يُوسُفَ مَا رُوِيَ عَن التَّابِعين أَثَرًا فَبِئْسَ مَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ زَعِيمِهِ وَإِمَامِهِ أَبِي حَنِيفَةَ، إِذْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ عَامَّةَ فُتْيَاهُ بِغَيْرِ أَثَرٍ؛ لِأَنَّ عِظَمَ مَا أَفْتَىٰ وَأَخَذَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ مِمَّا رَوَاهُ عَن حَمَّادٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ).

لابد من التفريق بين الخلاف في المسائل الفقهية، والخلاف في فهم الدين

فعاد الكلام إلىٰ أتباع التابعين، وهذا الكلام مهمٌ جدًا؛ لأنه يفرّق بين اختلافهم في المسائل الفقهية، وبين منهجهم في فهم هذا الدين، هذا الكلام يفرّق بين اختلاف العلماء في المسائل الفقهية فخذ من قولهم ما شئت علىٰ مقتضىٰ القواعد الشرعية، ولا يلزمك بل لا يجوز لك أن تلزم مذهب واحدٍ منهم بعينه؛ لأن العصمة دُفنت، عصمة الأفراد دُفنت بموت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن الكلام في فهم هذا الدين.

وهذا يُرد به علىٰ هذا الجاهل المُسَمّىٰ محمد بن عبد الواحد الحنبلي، وهو شاب جاهل في الثلاثينيات، يطعن في السلف، وفي الشيخ الألباني، وابن عثيمين، وابن باز، وفي كل من يدعون إلىٰ فهم كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما كان عليه أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لك: ده كلام عايم، -هكذا يتكلم بالعامية- ليس له ضابط، ماذا تعنون بهذا الكلام- فهم سلف الأمة-؟ تعنون الإجماع؟ فقولوا: الإجماع، تعنون قول الصحابة؟ فقولوا: قول الصحابة، وبعدين ما الفرق بينكم وبين الأشعرية والماتريدية؟ هم كذلك يقولون هذا الكلام!!

بسبب هذا الخلط وهذا التلبيس لبّس علىٰ كثيرٍ من أتباعه، وللأسف له أتباع؛ لأنه لا يفرّق ويتعمّد ذلك لكي يمرّر به ما شاء من فتاويه الشاذة، كالكلام في التوسّل، يقول: "يجوز أن تتوسّل بذات الصالحين، وبجاه الصالحين، وأن تذهب إلىٰ القبور، وأن تدعو الله عندها، ويجوز أن تصلي في المساجد التي بها قبور"، وقد كان هذا وغيره يُصدَّر علىٰ قنوات الحزبيين بعد هذه الثورة المشؤومة علىٰ أنه الفقيه الأصولي محمد بن عبد الواحد الحنبلي، وهذا الشخص من أجهل الناس وأكثرهم اعتدادًا بجهله، وهذا من أعجب

العجب. لا يفرّق بين فهم الدين وبين الاختلاف في المسائل الفقهية، في المسائل الفقهية خذ ما شئت من مذاهب العلماء علىٰ مقتضىٰ الدليل، هو يقول لك: لأ، مينفعش، التزم مذهبًا واحدًا، لا يجوز لك أن تخالف هذا المذهب، لا يفرق هذا الجاهل بين التعلّم والتعبّد، إذا أردت أن تتعلم فلك أن تتعلم علىٰ أساس مذهبٍ فقهي، تعلم علىٰ المذهب الشافعي، وأصول المذهب الشافعي، ثم بعد ذلك قارن هذه الأصول وهذه الفرعيّات بالكتاب والسنة، وغيرها من المذاهب. لكن لا يجوز لك أن تتعبّد لله بمذهب واحد فقط؛ لأنك بهذا تدّعي العصمة للمذهب ولصاحب المذهب، وأصحاب المذاهب انتشر عنهم واشتُهر أنهم قالوا: "إن صحّ الحديث فهو مذهبي"، وكل قولٍ قلتُه يخالف كلام الله وكلام رسوله لا تأخذوا به.

فهم يقرّون ويعترفون بأنهم ليسوا بمعصومين، وأن الواحد منهم قد يخطئ بسبب أن الحديث لم يصل إليه، أو أنه ظن أنه منسوخ، أو أنه ضعيف، إلىٰ غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، لكن هؤلاء يريدون أن يلزموا الناس بمذهبٍ واحد، وأن يطعنوا في الشيخ الألباني خاصةً، لأن الشيخ الألباني غصّة في حلوق سائر المبتدعة، يعني الإخوان المسلمين يبغضون الشيخ الألباني جدًا؛ لأنه هو الذي قال عن جماعتهم خارجية عصرية، التبليغ لا يحبون الشيخ الألباني؛ لأن الشيخ الألباني قال عنهم صوفية عصرية، كذلك السروريون، الخوارج، العلمانيون، الليبراليون، كل هؤلاء يبغضون الشيخ الألباني؛ لأنه رد عليهم بالحجة والبرهان، وأسكتهم، ولم يستطع الواحد من هؤلاء أن يناظره، ولا أن يجابهه بحجته، فتجد مثل هذا الجاهل يطعن في الشيخ الألباني وفي هذا القيد الذي هو غصة في حلوق هؤلاء، لولا هذا القيد- بفهم سلف الأمة- لقال من شاء ما شاء ومرّر ما شاء، وخلّط ولبّس علىٰ الناس.

فهنا الإمام الدارمي يفرّق بين ماذا؟ بين الفتوىٰ الفقهية، وفهم الدين، فهم الدين لم يختلف فيه سلف الأمة، فهم الدين المقابل للبدعة والكفر، فهم الدين كما فهمه النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا يقابله البدعة، فنحن نتكلم عن سنة وبدعة، لا نتكلم عن جائزٍ ولايجوز.

يجب أن تتوضأ من لحم الإبل أو يُستحب حسب ما يترجح لك من أقوال الأمة. لا نتكلم عن هذه المسألة، قد يكون الإمام الذي نصلي خلفه لا يتوضأ من لحوم الإبل، ومع ذلك نصلي خلفه، قد يعتقد أن القنوت سنة ونصلي خلفه، صحيح؟ ونحن نرجّح أنه ليس بسنة علىٰ هذه الصورة ونصلي خلفه؛ لأن هذا ما أدّاه إليه اجتهاده في فهم نصوص السنة.

وأما إنْ تعلق الأمر بفهمٍ الدين كله فهذا الذي لا نقبله ونردّه، فيدخل في ذلك: مسألة الخروج، مسألة فهم النصوص، الفهم العام، مسألة الاعتقاد والصفات، فالخلاف الفقهي ليس كالخلاف العقدي، الخلاف العقدي بدعة وكفر، إنما الخلاف الفقهي الأمر فيه واسع.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُاللَّهُ كما جاء في تراجمه، لما سُئل: لماذا أكثرت من الكلام والتأليف في أصول الدين وفي الرد علىٰ الفرق ولم تجعل لك مؤلفًا في الفقه وأصول الفقه؟ قال: لأن الأمر في الفقه وأصوله أمر واسع، ولك أن تأخذ بأي قول ترجّح عندك، إن أخطأت لك أجر واحد. والأمر لا يعدو أن يكون مسألة فقهية، لكن مسائل الاعتقاد لا بد فيها من فهم سلف الأمة والوقوف علىٰ ما كان عليه أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: (فَقَدْ شَهِدَ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ كَانَ يُفْتِي بِغَيْرِ أَثَرٍ، وَعَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ تَبِعَهُ فِي فُتْيَاهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا روىٰ عَن التَّابِعين آثارٌ عند أَبِي يُوسُفَ وَعِنْدَكُمْ فَكَيْفَ سَمَّيْتَ رَأْيَ إِبْرَاهِيمَ: آثَارَ أَبِي حَنِيفَةَ؟ وَإِنَّمَا إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، كَذَبْتُمْ إِذًا فِيمَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ لِأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ أَثَرٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ عِنْدَكُمْ).

فَتَفَهَّمْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ ثُمَّ تَكَلَّمْ، وَلَا تَنْطِقَنَّ بِمَا لَا تَعْلَمُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ فَتَعَلَّمْ، وَلَا تُرْسِلْ مِنْ رَأسك مَا يَأْخُذُ مِنْكَ بِالْكَظْمِ فَيَنْقُضَ عَلَيْكَ وَتُطَلَّمَ).

عندي هكذا: (**وَتُطَلَّمَ**)، والطّلَمُ هو الضرب، وفي بعض النسخ: وتُلطّم، قال المحقق: "وهو تحريف، إنما هي تُطَلَّمَ، والطّلَمُ هو الضرب.

(**وَتُعَدَّ فِي عِدَادِ مَنْ لَا يفهم**).

فهذا الذي سبق كان مذهب المعتزلة الجهمية في كلام الله.

مذهب الأشعرية في القرآن

وأما مذهب الأشاعرة -وبه نختم- في القرآن وكلام الله فهو كذلك مبنيٌ علىٰ مذهبهم في الصفات الاختيارية، هذا المذهب مبنيٌ علىٰ مذهبهم في الصفات الاختيارية.

أولًا: ما مذهب الأشعرية؟ هل الأشعرية يقولون صراحةً: القرآن مخلوق؟ لا يقولون، وإنما يقولون: هو كلام الله تكلم به لكن يمنعون القول بالصوت والحرف! الأشعرية دايمًا يقفون في المنتصف، فكلامهم مبنيٌ علىٰ مذهبهم في الصفات الاختيارية، ومذهبهم هذا مبنيٌ علىٰ أصلٍ ودليل: الأصل الكلي عندهم أن مالا يخلو من الحوادث فهو حادث، وهذا أصل الجهم، والجهم أخذ عنه المعتزلة، وعنه الأشعرية والماتريدية، سائر الفرق أخذت عن الجهم، ولذلك كل هؤلاء يُنسبون إلىٰ الجهمية، لماذا؟ مع أن المعتزلي يقول صراحةً: القرآن مخلوق، والأشعري يقول: هو كلام الله غير مخلوق، ويستدلون بكلام السلف، الأشعرية يستدلون بكلام السلف في الرد علىٰ المعتزلة، ومع ذلك هم جهمية،لماذا؟ لأن الأصل واحد، ليست العبرة بالنتيجة، ولكن العبرة بطريقة الاستدلال، فإن كانت طريقة الاستدلال طريقة المتكلمين، طريقة الجهمية فهو جهمي، وليس من أهل السنة والجماعة،

وهذا معنىٰ حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القضاة: «**القضاة ثلاثة**» القاضي الذي قضىٰ عن جهل ووُفق للحق قال: هو في النار؛ لأن استدلاله ليس كاستدلال العلماء، كذلك هذا الذي استدلاله كاستدلال الجهمية هو من الجهمية، فالأشعرية كذلك جهمية، وإن ذموا الجهمية في كتبهم، لكنهم سلكوا مسالكهم في إثبات الصانع وفي الكلام عن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقول الأشاعرة كما قلنا في القرآن وفي كلام الله مبني علىٰ مذهبهم في الصفات الاختيارية، وحقيقة الصفات الفعلية أن الله يفعل ما يشاء من الكلام، والضحك، والغضب، والفرح، والإتيان، والمجيء، والنزول، هذه الصفات تابعةٌ لمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقع أو تكون بعد أن لا تكون، فهذا يقتضي علىٰ مذهبهم التغير، ويقتضي الحدوث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ولذلك نفوا هذه الصفات عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأصل مذهبهم قولهم بأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فقالوا بالكلام النفسي القديم، يعني هل الله يتكلم؟ يقولون: نعم، يتكلم، بصوتٍ وحرف؟ لا يتكلم لا بصوتٍ ولا بحرف.لماذا لا يتكلم لا بصوتٍ ولا بحرف؟ يقول لك: لأننا لو قلنا أنه يتكلم بصوتٍ فإنه بذلك يشبه المخلوق، ولأننا لو قلنا كذلك إنه يتكلم بحرف فهذا فيه نقضٌ للقاعدة: ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث: عندما أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الباء في النطق وقعت قبل السين، والسين وقعت قبل الميم، وهكذا، فحرف السين نُطِق بعد أن لم يكن، ففيه تجدد، وفيه حدوث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث!!

ولذلك قالوا: القرآن قديم، يعني تكلم الله به في الأزل، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم الآن عندهم، شبّهوه بالأبكم والأخرس، فجعلوا الإنسان المتكلم أكمل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لكن أخبرونا: كيف أخذه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الله؟ قالوا: الذي تكلم به جبريل، وكيف أخذه جبريل؟ قالوا: ألقاه في روعه، أي أن جبريل لم يسمع القرآن من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ



وإنما هذا كلام أُلقي في روعه وفي نفسه، الله عَزَّوَجَلَّ ألقاه في نفسه، فأخذه فبلّغه محمدًا، فالذي تكلم به حقيقةً ليس الله، وإنما هو جبريل.

هذا مذهبهم في القرآن وفيما هو مسطور في المصحف. يقولون عن القرآن: إنه عبارةٌ عن كلام الله، عندما تقرأ في كتب المقالات تجد أن القرآن عند الأشعرية عبارة عن كلام الله. وعند الكلّابية حكاية كلام الله. وقولهم(حكاية) يعني كأنك بتنقل صورة لكنها ليست هي الحقيقة، تنقل بعبارتك وحكايتك أنت تلك المعاني التي ليست لك بل لله تعالىٰ!!

يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله، هذه المقالة أخذها الأشعري من محمد بن سعيد بن كُلّاب، الأشعري كان في مبدأ أمره معتزليًا بسبب زوج أمه أبي علي الجبّائي، وظل علىٰ ذلك أربعين سنة ثم لما تركه أخذ بمذهب محمد بن سعيد بن كلّاب، والمذهب الأشعري في أصله مذهب بن كلّاب، يعني الاختلاف يسير جدًا، ولذلك مذهب الأشعرية هو مذهب الكلّابية.

سُمي ابن كلّاب بذلك؛ لأنه كان إذا ناظر أحدًا أخذه كالكُلّاب، كان بارعًا في مناظرته، ولذلك أُعجب به الأشعري وأخذ كلامه في أصول الدين، فأخذ هذا المذهب عن محمد بن كلّاب لما ترك مذهب الاعتزال، وكان الناس قبل ابن كلّاب علىٰ مذهبين لا ثالث لهما: أهل السنة والجماعة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلّم به بصوتٍ وحرف، والمذهب الثاني مذهب المعتزلة الذين يقولون: القرآن مخلوق لم يتكلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به حقيقةً، فتوسّط ابن كلّاب، فلا هو قال: تكلم الله بصوتٍ وحرف، ولا قال: القرآن مخلوق، فأثبت بعض الصفات الذاتية لله كالسمع، والبصر، واليدين، وغير ذلك من الصفات، ونفىٰ سائرها... وكانوا في مبدأ أمرهم يثبتون اليد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الصفات الخبرية كانوا يثبتونها، لكن متأخرو الأشعرية صاروا كالمعتزلة لا يثبتون ذلك.

فأثبت بعض الصفات الذاتية ونفىٰ كل ما يتعلق بمشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل الصفات الفعلية نفاها، وتبعه الأشعري، ومات الأشعري وهو نافٍ للصفات الفعلية، فالأشعري لما قال في الإبانة إنه علىٰ مذهب الإمام المبجّل أحمد بن حنبل كان علىٰ مذهبه إلا في الصفات الاختيارية الفعلية، فكان كذلك لا يثبتها لله بسبب هذا الأصل الفاسد وهو أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

نأتي إلىٰ القرآن، كان الناس كذلك علىٰ قولين كما قلنا، كلام الله بصوتٍ وحرف، ومذهب المعتزلة، فظهر ابن كلّاب وأظهر الرد علىٰ المعتزلة، فافتتن به الناس، وظنوا أنه يرد بحق، وهذا فيه خطورة انحراف الرادّين علىٰ أهل البدع والإلحاد؛ لأن أكثر الذين يردون علىٰ الملاحدة في هذه الأيام يعتمدون في ردودهم علىٰ الكتب المترجمة عن اللاهوتيين الغربيين، وهذه الكتب تقرّر عقيدة النصارىٰ في الإله وفي صفات الإله عيسىٰ بن مريم، الأب والابن والروح القدس، وفي النظريات الفاسدة كنظرية التطور، تجد هؤلاء يثبتون صحة نظرية التطور، لكنهم يقولون: هو تطور موَجّه، يعني الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يوجّهه، وهذا كلام باطل منقوض.

الشاهد أن ابن كلّاب أظهر الرد علىٰ المعتزلة، فافتتن به الأشعري وأخذ بقوله، وقالوا: القرآن عبارة عن كلام الله، وهو كلامٌ نفسي ليس بصوتٍ ولا حرف، كلامٌ واحد تكلم به مرةً واحدة في الأزل، يعني القرآن هو التوراة هو الإنجيل هو الزبور هو سائر الكتب، كلامهم كلام عجيب جدًا، لا يُقبل، يقولون: إن تكلم الله بالسريانية فهو الإنجيل، بالعبرية فهو التوراة، باللغة العربية فهو القرآن، وكله واحد، الخبر كالإنشاء، وهذا كلام غير مقبول.

هل استدلوا علىٰ ذلك بآيات وأحاديث؟ نعم، استدلوا علىٰ ذلك بآيات وأحاديث، فاستدلوا مثلًا بقول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سقيفة بني ساعدة: "إني قد زوّرتُ كلامًا في نفسي"

وكذلك استدلوا بقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم**».

واستدلوا بقول الأخطل:

إن الكــــلام لفــــي الفـــؤاد وإنمـــا   جُعِـلَ اللســـان علــىٰ الفـؤاد دلـيلًا

لكن هذا استدلالٌ منقوض، لأن الكلام في سائر هذه الاستدلالات مقيّد وليس مطلقًا، مقيّد بحديث النفس، وهذا ليس كلامًا، ولذلك النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث نفسه فرّق، قال: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم**» ففرّق بين حديث النفس وبين الكلام الذي هو بصوتٍ وحرف، وعمر لما ذكر ما زوّره في نفسه وما أعدّه في نفسه قيّد ذلك بأنه أعدّه في نفسه، ففرّق كذلك بين الكلام وبين ما يدور في الصدور فليس بكلام، وأما كلام الأخطل فيكفي أنه نصراني سيء السيرة كما جاء في ترجمته، ثم إن هذا البيت لم يثبت بإسنادٍ متصلٍ صحيحٍ إلىٰ الأخطل، وهذا من أعجب العجب: لا يحتجون بالأحاديث الصحيحة متصلة الإسناد إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحجة أنها أخبار آحاد ويميلون لبيت شعر مجهول النسبة!!

ولذلك يقول شيخ الإسلام وغيره: يتركون عشرات الأحاديث، ويتركون الآيات التي وردت في كتاب الله، ويتعلقون ببيت شعرٍ لا يُعرف قائله؛ لأن بعضهم طعن في هذا البيت، ويقولون: هو مجهول النسب، بيت مجهول النسب، فهكذا حال هؤلاء كما قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إنهم يتعلقون بكل مغمور، ويتركون كل مشهور.

ثم ذكر بعد ذلك المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الجزء الثاني من هذا الكتاب، ذكر بابًا في الحث علىٰ طلب الحديث، وبيان مكانة أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد علىٰ من طعن في أبي هريرة، وعمرو بن العاص، ومعاوية، وهذا يبيّن أن هذا الطعن قديم، سنة الخوارج من

قديم، يطعنون في هؤلاء الصحابة الأجلّاء.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يلحقنا بهم علىٰ خير، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أنهينا الكلام عن القرآن، وأنه كلام الله، تكلم به بصوت وحرف، وبيَّنا عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الفِرَق المخالفة في ذلك.

بَابٌ فِي الحثِّ عَلَىٰ طَلَبِ الْحَدِيثِ وَالرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهم- الْحَدِيث

ثم ثنىٰ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك بذكر باب في الحث علىٰ طلب العلم، وفي الدفاع عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفي بيان فضل أهل السنة والجماعة علىٰ غيرهم، وكذلك في بيان أن حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد كُتب علىٰ عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذا الباب الذي عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**بَابٌ فِي الحثِّ عَلَىٰ طَلَبِ الْحَدِيثِ وَالرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وأصحابه** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **الْحَدِيث**).

أي: لم يُكتَب الحديث علىٰ عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، والرد علىٰ من طعن في أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فعقد الباب كذلك في الذب عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحاب الحديث، وأهل السنة، ولبيان فضلهم علىٰ غيرهم.

والمتأمل في هذه الأسباب الثلاثة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي: أن الحديث كُتب علىٰ عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والذب عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبيان فضل أهل السنة والجماعة، المتابعين لسلف الأمة، من الصحابة والتابعين، يجد أنها أمور قديمة معاصرة؛ لأن الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء القرن الثالث، فهي قديمة، تُثار حولها الشبهات من

قديم، وهي معاصرة كذلك؛ لأن أبرز ما يُدندن حوله الحداثيون الطاعنون في سنة النبي ﷺ وفي فهم سلف الأمة هذه الأمور الثلاث، فيطعنون في حديث النبي ﷺ.

ولذلك يتكلمون كثيرًا عن مسألة كتابة الحديث، ويكذبون، ويزعمون أن الحديث لم يُكتَب إلا بعد موت النبي ﷺ بمدة طويلة.

وكذلك يطعنون في صحابة رسول الله ﷺ المشهورين بنقل الحديث وكتابته عن النبي ﷺ المُكثرين من ذلك، كأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ.

والأمر الثالث كذلك: وهو طعنهم في فهم سلف الأمة، فإنهم كثيرًا ما يطعنون في فهم أمثال مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم من أئمة السلف، ومن جاء بعدهم كذلك، كابن تيمية، وابن القيم، وفي عصرنا ابن عثيمين، والألباني، وابن باز، يطعنون في فهم هؤلاء؛ لأنهم يعلمون أن الولوج لهذا الدين والطعن فيه لن يكون إلا بإسقاط هذه الرموز، وهؤلاء الأئمة، حتىٰ يجعلوا من شاء يقول ما شاء.

ووجدنا ذلك في كتابات كثير منهم، كأبي رية مثلًا، محمود أبو رية، الذي كتب كتابًا يطعن فيه في سنة النبي ﷺ ورد عليه أكثر من عالم، منهم الشيخ المعلمي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما سننقل شيئًا من كلامه.

فأبو رية وأمثاله يزعمون ويعتبرون أن الروايات التي جاء بها هؤلاء الأئمة ونقلوها جيلًا عن جيل عن النبي ﷺ ما هي إلا روايات تاريخية، خاضعة لأهواء البشر، وأهدافهم الشخصية، وأنها دخلها الكذب، والانتحال، والوضع علىٰ رسول الله ﷺ فمنهم من كان يضع الحديث يتقرب به إلىٰ الخلفاء، أو ينصر مذهبه، أو يريد

أن يُمرر شيئًا من هوىٰ نفسه، أو غير ذلك، وهذه أمور حقًا قد وقعت، لكن هذا لا يصدق علىٰ السنة الصحيحة التي نُقلت وتلقتها الأمة بالقبول جيلًا بعد جيل، إلىٰ أن يصل الإسناد إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو موجود في الصحيحين، وفي غيرهما من كتب السنة.

فالمصنف هاهنا عقد هذا الباب لبيان أهمية السنة، وللرد علىٰ هؤلاء الطاعنين في سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعقيدة لها جانب كبير يتعلق بسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن أساس العقيدة ومبنىٰ العقيدة علىٰ الدليل، والدليل مأخوذ من كتاب الله ومن سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن إجماع أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواحد من هؤلاء لا يجرؤ علىٰ رد آية من كتاب الله؛ لأنه لو رد آية لكفر، وإنما يتأولها، أو يُفوضها، أي: يُفوض الكيف والمعنىٰ، وأما حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يطعنون فيه، ويُكذِّبون النَقَلة، الذين نقلوا لنا حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكما يقول الشيخ المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يرد علىٰ أبي رية، يقول: "إذا كان الله قد تكفل بحفظ القرآن فإن الأمر كذلك يتعلق بالسنة واللغة العربية"، أي: كما أن الله تكفل بحفظ القرآن فهو كذلك تكفل بحفظ السنة، وبحفظ لغة العرب.

قال: "لأن تكفله سبحانه بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه، وهو السنة، ويستلزم كذلك تكفله بحفظ لسانه"، أي: لسان القرآن، الذي نزل به القرآن، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، قال: "وهو العربية".

لماذا تكفل الله بحفظ هؤلاء الثلاثة: القرآن من جهة اللفظ والمعنىٰ، وكذلك السنة، وكذلك لغة العرب.

قال: "حتىٰ تبقىٰ الحجة باقية قائمة، وتبقىٰ الهداية باقية، بحيث ينالها من يطلبها؛ لأن

محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع".

فليس هناك رسول بعد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبين ما تم تحريفه في الكتاب وفي السنة، وهذه الأمة هي آخر الأمم، وهذه الشريعة هي آخر الشرائع، فكان من حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن حفظ القرآن، وحفظ ما يُبين القرآن، وما يُفهَم به القرآن.

فقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر من روىٰ هذا الكتاب عن الإمام الدارمي، فقال: **(أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف، قال: أخبرنا إسحاق بن أبي إسحاق القراب الحافظ، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي الفضل بن محمد بن الحسين المُزكي، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن إبراهيم الصرام رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أخبرنا أبو سعيد الدارمي فيما أذن لي أن أرويه عنه.**

قال: بَابٌ فِي الحثِّ عَلَىٰ طَلَبِ الْحَدِيثِ وَالرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثُ والذبِّ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وفضلهم عَلَىٰ غَيْرِهِمْ.

قال: وادَّعىٰ الْمُعَارِضُ عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَوْلَهُ: إِنَّ الْأَثر مَا رُوِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أَجْمَعِينَ- ثُمَّ أَنْشَأَ طاعنًا علىٰ الْآثَار.

قال: وروىٰ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أنه قال: "الْآثَارَ تَصُدُّ النَّاسَ عَنْ طَلَبِهَا، وَتُزَهِّدُهُمْ فِيهَا، بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ يُرِي مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْهِ أَنَّهُ فِيمَا يَدَّعِي مِنْ ذَلِك مُصِيبٌ).

هذه الجملة تحتاج إلىٰ بيان من جهة فهم المعنىٰ.

فقال: (وروىٰ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أنه قال: "الْآثَارَ تَصُدُّ النَّاسَ عَنْ طَلَبِهَا، وَتُزَهِّدُهُمْ فِيهَا)، هذا الذي نقله عن أبي يوسف، ثم ماذا فعل هذا المعارض؟

قال الإمام الدارمي: (**بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ**)، يعني ينقل هذه الآثار عن الأئمة، ثم يؤولها تأويلًا باطلًا، (**يُري مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْه**)، يعني يُري أتباعه أنه فيما يدعي من ذلك مُصيب.

ثم قال: (**فَكَانَ مِمَّا تَأَوَّلَ فِي رَدِّهَا أَنْ رَوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ**: «**سَيَفْشُو الْحَدِيثُ عَنِّي**»).

يفشو أي: ينتشر.

«**فَمَا وَافَقَ مِنْهَا الْقُرْآنَ فَهُوَ عَنِّي، وَمَا خَالَفَهُ فَلَيْسَ عني**».

هذا حديث ذكره المعارض ونسبه إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يقول: إن الحديث سينتشر ويفشو بعده، أي: بعد موته، فماذا نصنع؟ قال: اعرضوه علىٰ القرآن، فما وافق من هذه الأحاديث القرآن فهو عني، أي: خذوه، وما خالف القرآن فليس عني.

وهذا الحديث حديث ضعيف، لا يصح إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومثله الحديث كذلك الذي يُروىٰ في عرض السنة علىٰ القرآن، فما وافق القرآن فهو من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما خالف القرآن فهو مكذوب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال عبد الرحمن بن مهدي: فعرضنا هذا الحديث علىٰ القرآن فوجدناه يُخالف القرآن؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ﴾[الحشر: ٧] **فمعنىٰ ذلك**: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يأتي بسنة مستقلة، ليست في كتاب الله، لم تُذكَر في كتاب الله، فعلىٰ مقتضىٰ هذا الحديث هذه السنة تُرَد؛ لأنها ليست مذكورة في كتاب الله، فعرضوا الحديث علىٰ القرآن فوجدوا الحديث يُعارض القرآن ويخالف القرآن فردوه.

وهكذا هذا الحديث، وإن كان قَبِله بعض أهل العلم، وظنوا صحته، فهذا الحديث كما قلنا: حديث ضعيف، أخرجه البيهقي في معرفة السنن، ثم قال في هذه الرواية: قال: هذه الرواية منقطعة، كما قال الشافعي في كتاب (**الرسالة**): "وهو ضعيف لا يثبت".

وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «سُئلت اليهود عن موسىٰ، فأكثروا فيه، وزادوا ونقصوا، حتىٰ كفروا، وسُئلت النصارىٰ عن عيسىٰ، فأكثروا فيه، وزادوا ونقصوا، حتىٰ كفروا، وإنه سيفشو عني أحاديث، فما أتاكم من حديثي فاقرءوا كتاب الله واعتبروه»، الاعتبار هو القياس، يعني قايسوا بين الكتاب وبين الحديث، فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله.

وفيه كذلك أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه، وهو منكر الحديث.

فالحديث لا تصح نسبته إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومع ذلك فالإمام الدارمي علىٰ فرض صحته قلب الدليل عليه، وبيَّن أن الدليل حجة عليه لا له، وهذه عادته رَحِمَهُٱللَّهُ أنه يقلب الدليل علىٰ المعارض.

قال: (**فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَقَدْ تَأَوَّلْتَ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ خِلَافِ مَا أَرَادَ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «سَيَفْشُو الْحَدِيثُ عَنِّي»**).

قد يكون الإمام الدارمي أداه اجتهاده وهو من علماء الحديث إلىٰ تصحيح هذا الحديث وقبوله، وبانت علته لغيره من أئمة الحديث، فلا يُطعَن عليه ولا يُعاب عليه في ذلك؛ لأن مسألة التصحيح والتضعيف مسألة اجتهادية، ترجع إلىٰ مجموعة من القواعد التي يُعملها العالم، فقد يُصيب أجرين وقد يُصيب أجرًا واحدًا.

فقال: (**لَقَدْ تَأَوَّلْتَ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ خِلَافِ مَا أَرَادَ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «سَيَفْشُو الْحَدِيثُ عَنِّي» عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّهُ يَتَدَاوَلُهُ الْحُفَّاظُ مِنَ النَّاسِ، وَالصَّادِقُ، وَالْكَاذِبُ، وَالْمُتْقِنُ، وَالْمُغَفَّلُ**).

ما قيل في المحراب فهو صواب، هكذا قالوا عن حال العامة مع كل ما يسمعون

وصدقوا. كثير من الناس ينقلون كل كلام يقوله الواعظ والخطيب علىٰ أنه حديث لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكم سمعنا من عشرات الأحاديث المشتهرة علىٰ ألسنة الناس ومع ذلك لا تصح نسبتها إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالأحاديث المنشورة في فضائل رمضان: أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وأظلكم شهر كريم، الفريضة فيه تعدل سبعين فريضة، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث، وكلها أحاديث لا تصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه الأحاديث ينقلها الصادق والكاذب، وينقلها المتقن والمغفل، أي: الذي ينقل كل شيء.

(وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَدْ تَبَيَّنَ مَا قَالَ فِي الرِّوَايَاتِ، وَلِذَلِكَ ينتقدها أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِهَا).

فإذا جاءت هذه الأحاديث نظر أئمة الحديث وأئمة الجرح والتعديل في رواتها ونقدوها، وبينوا الصحيح فيها من الزائف الباطل.

ولذلك قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة ماذا نصنع فيها؟ يعني هذه الأحاديث التي رُكِّبت لها أسانيد، متون ورُكِّبت لها أسانيد، لو نظرت في الإسناد لوجدت الإسناد صحيحًا، ظاهره الصحة، إسناد مأخوذ من البخاري، أو مسلم، ورُكِّب له متن معين.

فقيل لابن المبارك: ماذا نصنع في هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: "يعيش لها الجهابذة"، وهذا من حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذا الدين، أن قيّد له علماء الجرح والتعديل، فهؤلاء الذين حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يُزاد فيها أو يُنقَص.

ولذلك قيض الله لهذا العلم -علم الحديث- أناسًا كانوا يجلسون في المجلس ولا همَّ لهم إلا مراقبة المتلقين حديثَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكتب: فلان قام من الحديث

الفلاني للحديث الفلاني، أو غفل، أو خرج، أو انصرف، فإذا جاء هذا الرجل بعد ذلك ليروي الحديث عن شيخه ويقول: حدثنا، فهذا كذب، أو أن يرويه بأي صيغة من الصيغ التي هي من صيغ التدليس، كـ "عن" أو "قال" أو غير ذلك، يقولون: دلَّسه، يكتبون كل شيء، وهذا من حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذا الدين.

فقيَّض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهذا الدين أهل المعرفة بهذه الأحاديث.

فقال: ﴿فَيَسْتَعْمِلُونَ فِيهَا رِوَايَةَ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ، وَيَدْفَعُونَ رِوَايَةَ الْغُفَلَاءِ النَّاسِينَ، وَيُزَيِّفُونَ مِنْهَا مَا رَوَىٰ الكذَّابون، وَلَيْسَ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ الِاخْتِيَارُ مِنْهَا﴾.

علم الحديث رواية ودراية علم له أصوله، وله تخصصه، فليس لكل أحد أن يتكلم في الحديث، في تصحيحه وتضعيفه، يقول: عرضته علىٰ عقلي، أو هذا حديث لا يُقبَل، أو يطعن في رواته من غير سبب معتبر، فهو علم له رجاله، كسائر العلوم العلمية والعملية.

هل يستطيع أحد أن يتكلم في الطب؟ فكذلك علم الحديث، لا يتكلم فيه إلا رجاله، فإذا تكلموا فيه ولم نكن من أهل الاجتهاد قلنا: سمعنا وأطعنا، نقبل منهم قولهم، إذا شهد لهم أهل العلم بالفضل في هذا الباب.

﴿وَيُزَيِّفُونَ مِنْهَا مَا رَوَىٰ الكذَّابون، وَلَيْسَ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ الِاخْتِيَارُ مِنْهَا، وَلَا كُلُّ النَّاسِ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَىٰ الْقُرْآنِ﴾.

هل هناك أحاديث زُيِّفت بسبب عرضها علىٰ القرآن؟ أجل، هناك أحاديث زُيِّفت ورُدَّت بسبب عرضها علىٰ القرآن؛ لأنها تخالف القرآن مخالفة صريحة، هناك أحاديث ذكرها العلماء المعنيون بعلوم الشريعة حقًا، لكن هل معنىٰ ذلك أن تكون هذه قاعدة، أن كل حديث لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعرَض علىٰ القرآن؟ ليست قاعدة مضطردة، لكن يظهر من الحديث أنه يخالف صريح القرآن.

هناك رواية في صحيح مسلم، في عدد الأيام التي خلق الله فيها الدنيا، وفي خلق الأشياء في هذه الأيام، يعني يوم السبت خلق الله كذا، يوم الأحد خلق الله كذا، ويوم كذا، وأن الله خلقها في ستة أيام، فهذه الرواية بعض أهل العلم ردها، وبعضهم حاول التوفيق بينها وبين ما في القرآن، لكن الشاهد أن الذي ردها من علماء الحديث المعتبرين لماذا ردها؟ قالوا: لأنها تخالف ما جاء في القرآن.

فأهل العلم المعتبرون هم فقط القادرون علىٰ عرض بعض الأحاديث علىٰ القرآن.

قال: (**فَيَعْرِفَ مَا وَافَقَهُ مِنْهَا مِمَّا خَالَفَهُ، وإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَىٰ الْفُقَهَاءِ، الْعُلَمَاءِ الْجَهَابِذَةِ، النُّقَّادِ لَهَا، الْعَارِفِينَ بِطُرُقِهَا وَمَخَارِجِهَا، خِلَافَ الْمَرِيسِيِّ، وَاللُّؤْلُؤِيِّ، وَالثَّلْجِيِّ، وَنُظَرَائِهِمُ، الْمُنْسَلِخِينَ مِنْهَا، وَمِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَمِمَّا يُصَدِّقُهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ**).

قلت: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموضوعات: "ولما لم يمكن أحدًا أن يُدخل في القرآن شيئًا ليس منه"، لا يستطيع أن يُدخل في القرآن شيئًا ليس منه، وإنما هو كما قلنا: إما أن يؤول أو يُفوّض المعنىٰ.

قال: "ولما لم يمكن أحدًا أن يُدخل في القرآن شيئًا ليس منه أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينتقصونه، ويُبدلونه، ويصنعونه، ويضعون عليه ما لم يقله، فأنشأ الله عَزَّوَجَلَّ علماء يذبون عن النقل، ويُوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يُخلي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منهم عصرًا من العصور".

ولذلك كان الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المُجددين، الذين جدد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهم هذا الدين، نحن الآن لا نذكر حديثًا خارج البخاري ومسلم إلا ونقول: صححه الألباني، حسنه الألباني، ضعفه الألباني، وهو من أئمة هذا الشأن، فأنشأه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنشاءً واصطفاه ليقوم بهذا الأمر.

والواحد لو نظر في مؤلفات الشيخ الألباني يعجب، يعني من أين جاء بهذا الوقت ليكتب كل هذه الكتابات، السلسلة الصحيحة، والسلسلة الضعيفة، أربعة عشر مجلدًا، وسبع مجلدات، في مجلد فيه أكثر من مجلد مضغوط، صحيح وضعيف أبي داود، الترمذي، الكتب الستة، غير المؤلفات الفقهية، غير المؤلفات في السيرة، والتحقيق كذلك، فأنشأه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنشاءً لخدمة هذا الدين، كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموضوعات.

قال: (**فَقَدْ أَخَذْنَا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**).

يعني علىٰ فرض صحة هذا الحديث.

قال: (**فَلَمْ نَقْبَلْ مِنْهَا إِلَّا مَا رَوَىٰ الْفُقَهَاءُ الحفَّاظ الْمُتْقِنُونَ، مِثْلُ: مَعْمَرٍ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَزُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَة، وَزَائِدَةَ، وَشَرِيكٍ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَوَكِيعٍ، وَنُظَرَائِهِمُ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا بِرِوَايَتِهَا وَمَعْرِفَتِهَا وَالتَّفَقُّهِ فِيهَا خِلَافَ تَفَقُّهِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَما تَدَاوَلَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ وَنُظَرَاؤُهُمْ عَلَىٰ الْقَبُولِ قَبِلْنَا**).

يعني ما تناقلوه من الأحاديث وقبلوها قبلنا هذه الأحاديث.

(**وَمَا رَدُّوهُ رَدَدْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ تَرَكْنَاهُ**).

والعلة في ذلك: (**لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ، وَأَبْصَرَ بِمَا وَافَقَهُ مِنْهَا مِمَّا خَالَفَهُ مِنَ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَاعْتَمَدْنَا عَلَىٰ رِوَايَاتِهِمْ، وَقَبِلْنَا مَا قَبِلُوا، وَزَيَّفْنَا مِنْهَا مَا رَوَىٰ الْجَاهِلُونَ مِنْ أَئِمَّةِ هَذَا الْمُعَارِضِ، مِثْلِ: الْمَرِيسِيِّ وَالثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ، فَأَخَذْنَا نَحْنُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِكَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عنه، وَتَرَكْتَهُ أَنْتَ؛ لِأَنَّكَ احْتَجَجْتَ فِي رَدِّ مَا رَوَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ الْمَشْهُورُونَ الْعَالِمُونَ مَا وَافَقَ مِنْهَا كِتَابَ اللهِ مِمَّا خَالَفَهُ، بِأَقَاوِيلِ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ الْمَغْمُورِينَ**).

ذكرنا لك عشرات الأحاديث في إثبات صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي توافق القرآن، وأنت

أعرضت عن كل هذه الأحاديث، فالحديث حجة لك لا عليك، فقلب الدليل عليه.

قال: (وَالشَّاهِدُ عَلَيْكَ بِمَا أَقُولُ: كِتَابُكَ هَذَا، الَّذِي أَلَّفته عَلَىٰ نَفْسِكَ لَا عَلَىٰ غَيْرِك، وَاحْتَجَجْتَ أَيْضًا فِي رَدِّ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهَا رَأْسُ الْآثَارِ، وَأَلْزَمُهَا للنَّاس بكذب ادَّعَيْتَهُ، زَعَمْتَ أَنَّهُ صَحَّ عِنْدَكَ أَنَّهُ لَمْ تُكْتَبِ الْآثَارُ وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه).

بمقتل عثمان رضي الله عنه انتشرت الفتن بين الناس، والدارمي يريد أن يقول: إن هذه الأحاديث ما ظهرت إلا وقت الفتنة، فكيف تُقبَل؟ هذه هي الدعوة الكاذبة التي يريد الإمام الدارمي رحمه الله أن يردها، وأن يُبين أن الحديث كُتب علىٰ عهد النبي ﷺ.

قال: (زَعَمْتَ أَنَّهُ صَحَّ عِنْدَكَ أَنَّهُ لَمْ تُكْتَبِ الْآثَارُ وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه فَكَثُرَتِ الْأَحَادِيثُ وَكَثُرَ الطَّعْنُ عَلَىٰ مَنْ رَوَاهَا.

قال: فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: دَعْوَاكَ هَذِهِ كَذِبٌ، لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ، فَمِنْ أَيْنَ صَحَّ عِنْدَكَ أَنَّ الْأَحَادِيث لم تكن تكْتب عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ؟ وَمَنْ أَنْبَأَكَ بِهَذَا؟ فَهَلُمَّ أسنده، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، الْقَائِلِينَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، فَقَدْ صحَّ عِنْدَنَا أَنَّهَا كُتِبَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ.

قال: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنْهَا صحيفَة، وَهُوَ أحد الْخُلَفَاء من رَسُول الله ﷺ فقَرَنَهَا بسَيْفِهِ، فِيهَا أَمْرُ الْجِرَاحَاتِ، وَأَسْنَانِ الْإِبِلِ، وَفِيهَا «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَو آوىٰ مُحدثا فعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وَإِذَا فِيهَا: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ»، وَإِذَا فِيهَا: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ»، رَوَاهُ الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيم

التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيه، عَن عَليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

وهذا أخرجه البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ من طريق أبي جحيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سألت علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ أي: عند آل بيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهذا هو موضع الشاهد، قال: "ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ"، وهو أحد الخلفاء الراشدين.

قال: (فَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، قَدْ جِئْنَاكَ بِهِ فِي خِلَافِ دَعْوَاكَ، فَعَمَّنْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ الَّذِي ادَّعَيْتَ أَنَّهُ صَحَّ عِنْدَكَ؟ فَأَظْهِرْهُ حَتَّىٰ نَعْرِفَهُ كَمَا عَرَفْنَا هَذَا.

قال: حَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ، حدثنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقه، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيّ، عَن مُحَمَّد بن الْحَنَفِيَّة، قَالَ: جَاءَت سعاة عُثْمَانَ إِلَىٰ عَلِيٍّ يَشْكُونَهُ، فَقَالَ لِي).

أي: قال علي لمحمد بن الحنفية، لولده.

قال: (خُذْ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ، فَإِنَّ فِيهَا سُنَنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَاذْهَبْ بِهَا إِلَىٰ عُثْمَانَ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَىٰ عُثْمَانَ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا، وَأَتَيْتُ بِهَا عَلِيًّا وَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: "ضَعْهَا مَكَانَهَا").

فهذا فيه: أن الحديث كان يُكتَب علىٰ عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأنه قال في هذه الصحيفة: قال: "فَإِنَّ فِيهَا سُنَنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ".

وفيها: أن عليًا لم يكن وحده يكتب ويعلم حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بل ما عنده من الحديث عند عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولذلك ما رد عثمان هذه الصحيفة استكبارًا ولا عنادًا، ولكن لأنه عنده من سنن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مما في هذه الصحيفة.

وهذا حديث صحيح، وإن كان هذا الإسناد ضعيف.

قال: (فَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّهُ كَتَبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَىٰ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمِنْ أَيْنَ صَحَّ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّهُ لَمْ يكْتب الْحَدِيثُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ حَتَّىٰ قُتِلَ عُثْمَانُ فَأَسْنِدْهُ كَمَا أَسْنَدْنَا لَكَ، وَإِلَّا فَلِمَ تَدَّعِي مَا لَا تَعْقِلُهُ وَلَا تَفْهَمُهُ؟ فَيَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ سَامِعٌ مِنِ الْجُهَّالِ يَحْسَبُ أَنَّكَ مُصِيبٌ فِي دَعْوَاكَ، وَأَنْتَ فِيهَا مُبْطِلٌ.

ثم قال: وَإِنَّمَا قَالَ عُثْمَانُ: "لَا حَاجَةَ لَنَا فِي الصَّحِيفَةِ" عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّا نُحْسِنُهَا وَنَعْرِفُ مِنْهَا مَا فِي الصَّحِيفَةِ.

قال: ثُمَّ كَتَبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، فَأَكْثر).

يعني أكثر من الكتابة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(واستأذنه فِي الْكتابة عَنهُ فَأذن لَهُ).

كتابة الحديث قديمة منذ عهد النبي صلىٰ الله عليه وسلم

وهذا رواه أحمد، والبيهقي، وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وله طرق أخرىٰ، استأذن عبد الله بن عمرو بن العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان يكتب عنه فأذن له في الكتابة، وسنذكر بعض الروايات من كتاب (**جامع بيان العلم وفضله**) للحافظ ابن عبد البر، التي تبين هذا الأمر.

كان عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسمي هذه الصحيفة بالصادقة، وكان يغتبط بها، وبقيت عند ولده يروون منها، كما في ترجمة عمرو بن شعيب في تهذيب التهذيب.

ولذلك هناك صحيفة مروية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إسنادها حسن، وحقق الأمر

فيها الإمام الذهبي في (**سير أعلام النبلاء**)، وهي التي فيها عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، فجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْه وعن أبيه-.

فاستأذن عبد الله بن عمرو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكتب عنه، فأذن له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال: (**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، حدثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ قَالَ: سمعتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: "مَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَأَنَا كُنْتُ لَا أَكْتُبُ"**).

فمن الصحابة من كان يكتب الحديث، ومنهم من كان يكتفي بحفظ الحديث في صدره؛ لأن هذه الأمة أمة أمية، لا تقرأ ولا تكتب، والأصل فيها الحفظ في الصدور لا السطور، ولذلك كان حفظ القرآن في صدور المؤمنين هو العمدة.

ولذلك كانوا يحفظون ما يسمعون، حتىٰ صح عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة من أول مرة سمعها، هي قصيدة طويلة، وعمر من الشعراء الذين يقولون الغزل العفيف، فسمعها ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرة واحدة فحفظها.

فالأصل في هذه الأمة أنهم كانوا يحفظون في صدورهم، لكن لما قل هذا الأمر... قد يكون هذا الأمر رُفع كونًا وقدرًا لأمر أراده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من كتابة الحديث، وحفظ الحديث، فاحتاج الناس إلىٰ كتابة الحديث، فكتبوه بعد ذلك، ودوَّنوه، وهذا من حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأن الحديث لو كُتب علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كُتب كل شيء علىٰ عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله، وفعله، وتقريره، ولم يكن شيء يُحفَظ في صدره كما يقول الشيخ المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: لما خرج لنا هذا الجيل وهؤلاء العلماء، يعني علماء الجرح

والتعديل، ولما خرجت لنا هذه الكتب؛ لأن هذه الكتب كتب الجرح والتعديل، وتراجم الرواة متىٰ خرجت؟ خرجت بعد ذلك، لما صار هناك من يروون الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيَّض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ينظر فيه فيُبين ما يُقبَل وما لا يُقبَل.

فهذا الحديث وهو قول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يكتب وأنا كنت لا أكتب فيه: أن الأمر لم يكن مقصورًا علىٰ أبي هريرة ولا ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بل هناك من الصحابة من كان يحفظ حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم من كان يكتب، ومنهم من لم يكن يكتب، وستأتي الآثار عن بعض الصحابة الذين أذنوا في الكتابة، بل منهم من أمر بالكتابة، كأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حدثنا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلْمَانَ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقُولُ: "لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْفَظَ للحديث مني، إلا ما كام من عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُبَ، فَكَانَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ، وَيَعِي بِقَلْبِهِ، وَكُنْتُ أَنَا أَعِي بِقَلْبِي").

وهذا حديث صحيح بمجموع طرقه.

قال: (وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابَ الصَّدَقَاتِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم قال: حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: "أَخَذْتُ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسٍ كِتَابًا، زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَتَبَهُ لِأَنَسٍ).

زعم أي: قال، فالزعم يأتي بمعنىٰ القول، والاعتقاد، والظن، والمراد هاهنا: القول، وإلا فإنه لا يُكذِّب أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: (**زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَتَبَهُ لِأَنَسٍ، وَعَلَيْهِ خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَهُ مُصَدِّقًا، وَكَتَبَ لَهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ، وَسَاقَ أَبُو سَلَمَةَ الحَدِيث بطوله**.

وقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ فِي الصَّدَقَاتِ، قال: هذه نُسْخَةَ كِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ عِنْدَ آلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْرَأَنِيهَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَوَعَيْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا، وَسَاقَهُ أَبُو صَالِحٍ بِطُولِهِ).

قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: "أُسند هذا ولا يصح، وهو من المراسيل".

لكن ما سبق مما ذُكر عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو حديث صحيح، أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه، وإنما من المراسيل لأن نهاية أمره إلىٰ الزهري، وليس الإسناد متصلًا إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَىٰ، حدثنَا يَحْيَىٰ بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَىٰ أَهْلِ الْيَمَنِ بِكِتَابٍ فِيهِ الْفَرَائِضُ وَالسُّنَنُ والديَّات، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ»**).

هذا الحديث إسناده لا يصح، الإسناد الذي هنا لا يصح، لكن صحح الحديث جماعة من الأئمة لا من حيث الإسناد، يعني هناك جماعة من الأئمة صححوا هذا الحديث لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة.

فقال مثلًا ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ قال في كتاب عمرو بن حزم: "هو كتاب مشهور عند أهل السِيَر، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تُستغنىٰ بشهرتها -أي: بشهرة هذه المعرفة- عن الإسناد؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه، وتلقي الناس له بالقبول، فما فيه متفق عليه إلا قليلًا".

يعني كل ما جاء في هذا الكتاب متفق عليه وله شواهد في أحاديث أخرىٰ، شواهد صحيحة، ولذلك وإن لم يصح إسناده إلا أن معناه صحيح، ما من فقرة في هذا الحديث

وهذا الكتاب إلا ولها شاهد قد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في ضعيف سنن النسائي قال: "أكثر فقراته لها شواهد".

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص: "قد صحح الحديث المذكور بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة، لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة".

فهذا الحديث فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبه إلىٰ أهل اليمن، ففيه: كتابة الحديث علىٰ عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال: **(حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ الله ابْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيه، عن جده، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: «فِي خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ»، وسَاق نعيم الحَدِيث بِطُولِه)**.

وهو كذلك مرسل لا يصح.

قال: **(فَهَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَدْ صَحَّ أَنَّهُ كُتِبت الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي عَصْرِهِمْ وَزَمَانِهِمْ، قَدْ أَسْنَدْنَا لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ إِلَيْهِمْ، فَمِنْ أَيْنَ صَحَّ عِنْدَكَ مَا ادَّعَيْتَ أَنَّهَا لَمْ تُكْتَبْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ، حَتَّىٰ قُتِلَ عُثْمَانُ فَكَثُرَتِ الْأَحَادِيثُ بَعْدَهُ، وَكَثُرَ الطَّعْنُ عَلَىٰ رُوَاتِهَا، وَمَنْ طَعَنَ عَلَىٰ الثِّقَاتِ مِنْ رُوَاةِ الْأَحَادِيثِ عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ؟**

قال: وَأَمَّا أَهْلُ الظِّنة وَالْغَفْلَةِ فِيهَا فَلَمْ يَزَالُوا مطعونين عَلَيْهِمْ، لَيْسَ مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، ونظراؤهم مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- أَنَّهُمْ هُمُ الْمَطْعُونُونَ عَلَيْهِم فِيهَا).

الجمع بين الآثار الواردة في كراهية كتابة العلم وجواز ذلك

قلت: وكذلك جاء عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما عند محمد بن عبد الرحمن الدارمي في المسند أنه كان يقول لبنيه: "يا بني، قيّدوا هذا العلم بالكتابة"، وهذا صح عن أنس بن مالك الصحابي الجليل.

وكذلك سُئل أبو أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أبو أمامة الباهلي عن كتابة العلم، فقال: لا بأس به.

ولذلك عقد الحافظ بن عبد البر في كتابه (**جامع بيان العلم وفضله**) عقد بابًا في ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف، ثم أردفه بباب في بيان الرخصة في كتابة العلم، فذكر في الباب الأول ما جاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تكتبوا عني شيئًا سوىٰ القرآن، فمن كتب عني شيئًا سوىٰ القرآن فليمحه**»، وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، لكنهم اختلفوا في رفعه ووقفه، يعني هل هو من قول أبي سعيد الخدري أم من قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟

فبعد أن ذكر الحافظ بن حجر في الفتح الكلام عن هذا الحديث وهو في صحيح مسلم قال: "قد ثبت أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أذن في الكتابة عنه بما يُعارض حديث أبي سعيد، وستأتي أحاديث الجواز في الباب الذي بعده"، يعني الذي عقده ابن عبد البر.

لكن كيف جمعوا بين أحاديث المنع، قال: «**لا تكتبوا عني شيئًا سوىٰ القرآن**»، وأحاديث الإذن، كما أذن لعبد الله بن عمرو بن العاص، أو كما قال: «**اكتبوا لأبي شاة**».

قال: "قيل في وجوه الجمع بينهما: إن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره"، يعني النهي كان وقت نزول القرآن، حتىٰ لا يلتبس القرآن بغيره.

قال: "والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء

واحد، والإذن في تفريقهما"، يعني لا يُكتَب القرآن والحديث في صحيفة واحدة؛ حتىٰ لا يلتبس القرآن بغيره.

"أو أن النهي متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس"، فنهىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا ثم أذن بعد ذلك، فصار إذنه ناسخًا لنهيه.

قال الحافظ: "وهو أقربها، مع أنه لا يُنافيها"، يعني لأن الجمع ممكن".

قال: "وقيل: النهي خاص بمن خُشي منه الاتكال علىٰ الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أُمِن منه ذلك".

ونقل النووي في الشرح عن القاضي عياض أنه قال: "كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثيرون منهم، وأجازها أكثرهم، ثم أجمع المسلمون علىٰ جوازها، وزال هذا الخلاف".

وقال الخطيب في تقييد العلم: "قد ثبت أن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول إنما هي لئلا يُضاهىٰ بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غيره، أو يُشتغَل عن القرآن بسواه".

قال: "ونُهي عن الكتب القديمة أن تُتخَّذ؛ لأنه لا يُعرَف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها"، يعني كتب أهل الكتاب، "مع أن القرآن كفىٰ منها، وصار مهيمنًا عليها".

قال: "ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام؛ لأن أكثر الأعراب لم يكونوا"، نعم، هو يبين علة النهي.

قال: "ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام؛ وذلك لقلة الفقهاء في ذلك الوقت، والمُميزين بين الوحي وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يُؤمَن أن يُلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا ما



اشتملت عليه كلام الرحمن".

وقال كذلك: "إن من اتسع الناس في كتب العلم وعوَّلوا علىٰ تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، وأسماء الرجال وكُناهم وأنسابهم كثرت، والعبادات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا، وصار علم الحديث في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ، مع رخصة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمن ضعف حفظه في الكتاب، وعملَ السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين بذلك".

وقال الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في تعليقه علىٰ كتاب العلم لأبي خيثمة قال: "واعلم أنه قد كان هناك خلاف قديم بين السلف في كتابة الحديث النبوي، فمنهم المانع ومنهم المبيح، ثم استقر الأمر علىٰ جواز الكتابة، بل وجوبها؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمر بها في غير حديث واحد، كقوله: «**اكتبوا لأبي شاة**»، أخرجه البخاري، قال: ومن المعلوم أن الحديث هو الذي تولىٰ بيان ما أُجمل من القرآن، وتولىٰ تفصيل أحكامه، ولولاه لم نستطع أن نعرف الصلاة والصيام وغيرهما من الأركان والعبادات علىٰ الوجه الذي أراده الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب، ولقد ضل قوم في هذا الزمان زعموا استغناءهم عن الحديث بالقرآن، وهو القائل تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]".

فالذكر ذكران:

- ذكر مُبيَّن، وهو القرآن.

- وذكر مُبيِّن، وهو سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فأخبر أن ثمة مُبيَّنًا وهو القرآن، ومُبيِّنًا وهو الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وحديثه، وقد أكد هذا

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح المشهور: «ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه».

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا في ذكر الرخصة في كتاب العلم، فساق الحديث أو الإسناد إلىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "لما فُتحت مكة قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر الخطبة"، يعني خطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: "فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة، فقال: يا رسول الله، اكتبوا لي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكتبوا لأبي شاة»"، وهذا حديث صحيح.

وكذلك ساق الإسناد إلىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر حديثًا مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كتب ولم أكتب"، وهذا كذلك صحيح.

وساق الإسناد إلىٰ عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت: يا رسول الله، أكتب كل ما أسمع منك؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم»، قلت: في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقًا».

وساق الإسناد كذلك إلىٰ عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أريد حفظه"، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراه ويُقره، وإقراره حجة، يُكتَب الحديث بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالت: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلم في الرضا والغضب؟ قال: فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأومأ بأصبعه إلىٰ فيه وقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»".

ثم ساق بعد ذلك الآثار والأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن صحابته.

فمن ذلك مثلًا: ما جاء عن أنس مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "قيّدوا العلم بالكتاب"، بعضهم يرفعه إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعضهم يجعله من قول أنس.

وكذلك جاء عن عمر بن الخطاب أنه قال: "قيّدوا العلم بالكتاب"، وإسناده ضعيف، وعن عبد الله بن عباس.

وجاء كذلك عن معلم قال: "أخرج إليَّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابًا، وحلف لي: إنه خط أبيه بيده"، يعني كان يكتب الحديث بيده.

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه قال: "لا بأس بكتابة الأطراف".

وجاء عن الضحاك قال: "إذا سمعت شيئًا فاكتبه، ولو في حائط"، يعني لو لم تجد شيئًا تكتب فيه العلم والحديث إلا أن تكتبه علىٰ الجدار فاكتبه، حتىٰ لا تنساه.

وجاء عن بشير بن نهيك أنه قال -وهو أحد الصحابة- قال: "كنت أكتب ما أسمع من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابي، فقلت: هذا سمعته منك، فقال: نعم"، يعني نظر فيه أو سمعه منه وقال: نعم، وأقره علىٰ أن كل ما فيه من حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك جاء عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع عبد الله بن عباس، فيسمع منه الحديث، فيكتبه في واسطة الرحل، فإذا نزل نسخه، وهذا إسناده صحيح، سعيد بن جبير من التابعين، يكتب الحديث عن عبد الله بن عباس الصحابي، وعبد الله بن عباس ينقله عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالإسناد متصل، والكتابة متصلة إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فليس عندنا ما عند اليهود والنصارىٰ، اليهود والنصارىٰ. ليس عندهم إسناد صحيح إلىٰ كتبهم، ولذلك حُرِّفت وبُدِّلت، لكن ما عندنا من حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلسلة متصلة إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو قلابة: قال: "الكتاب أحب إليَّ من النسيان".

وجاء عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كذلك أنه أرخص في أن يُكتَب، يعني أن يُكتَب ما يذكره من الحديث عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وعن ثمامة قال: كان أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول لبنيه: "يا بني، قيِّدوا العلم بالكتاب".

وقال الحسن بن جابر، قال: "سألت أبا أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن كتابة العلم فلم يرىٰ به بأسًا".

وفي الأبيات المشهورة:

أيهـــــا الطالـــــــب علمًـــــــا ايـــــتَ حمَّـــــاد بـــــن زيـــــد

فـــــالتمس علمًـــــا وحلمًـــــا ثـــــــم قيِّـــــــده بقيـــــــد

والقيد: هو الكتابة.

وجاء عن عبد العزيز الدراوردي أنه قال: "أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب،" يعني جمعه في كتاب، لا يعني كتابة حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وجاء عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: "كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس".

فأصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كانوا يكتبون، والتابعون كانوا يكتبون عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأتباع التابعين كانوا يكتبون عن التابعين، وهكذا الإسناد، والسلسلة متصلة إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فكيف يُقال بعد ذلك: إن حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يُكتَب إلا بعد أن قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟

الذَّب عن الصحابة ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه

فهذا محض كذب وافتراء، رد عليه الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبيَّنه، ثم أنشأ في الذب عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبدأ بأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه أكثر رواة الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَمَّا أَهْلُ الظِّنَّة وَالْغَفْلَةِ فِيهَا فَلَمْ يَزَالُوا مطعونين عَلَيْهِمْ، لَيْسَ مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، ونظراؤهم مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- أَنَّهُمْ هُمُ الْمَطْعُونُونَ عَلَيْهِم فِيهَا، حَتَّىٰ ادَّعَيْتَ فِي ذَلِك كَذِبًا عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: "أَكْذَبُ الْمُحَدِّثِينَ أَبُو هُرَيْرَةَ"، وَهَذَا مَكْذُوبٌ عَلَىٰ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَإِنْ تَكُ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ فَاكْشِفْ عَنْ رَأْسِ مَنْ رَوَاهُ، فَإِنَّكَ لَا تَكْشِفُ عَنْ ثِقَةٍ، فَكَيْفَ يَسْتَحِلُّ مُسْلِمٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرْمِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِالْكَذِبِ من غير صِحة ولا تثبت؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ** -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا تسبُّو أَصْحَابِي**» **وقالَ:** «**احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي**»، **وقال:** «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي**»، **وقال:** «**مَنْ سبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله**»).

إذًا المصنف هاهنا يدافع عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخص منهم أبا هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاوية، رضي الله عن سائر أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الذين لقوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنوا به، وماتوا علىٰ ذلك، وإن تخلل ذلك ردة علىٰ الصحيح، فكل من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإنس، والجن، وآمن به، ومات علىٰ ذلك، فهو من الصحابة.

وعدالتهم مقطوع بها عند أهل العلم، وعلىٰ ذلك كتاب الله، وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع الأمة، فالصحابة كلهم عدول.

حتىٰ قال ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الأمة مجمعة علىٰ تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم كذلك"، يعني حتىٰ الذي دخل في هذه الفتن التي أخبر بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم كذلك عدول، فهم علىٰ الجملة عدول، وكذلك أفرادهم وأعيانهم عدول، رضي الله عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فتناول هذا المعارض أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وادعىٰ أنه كان يكذب في الحديث علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ اتهمه بالكذب في الحديث، وأبو هريرة هو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما دُوِّن من السنة.

واسمه علىٰ الصحيح: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، من قبيلة دوس من اليمن، وشُهر بكنيته، أبو هريرة، وكانت هذه الشهرة سببًا في الاختلاف في اسمه علىٰ أقوال كثيرة، أوصلها الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ عشرين قولًا، كان سبب الاختلاف في اسمه أنه شُهر بكنيته، فاختلف الناس في الصحيح من اسمه، لكن الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم: أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي.

أسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة سبع من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولازم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع سنوات ملازمة تامة، كان لا يُفارقه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فكان لا يشغله صفق بالأسواق، وإنما كان ينقطع لسماع حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحفظه.

وتُوفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة سبع وخمسين من الهجرة، وهو حافظ الصحابة إجماعًا.

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بارًا بأمه، وهذا مشهور ثابت عنه، وقصة إسلامه مشهورة في الصحيح.

فطعن هذا الطاعن في أبي هريرة، وكما قلنا: هذا الباب قديم معاصر، الطعن كذلك في حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكون في عصرنا إلا من هذا الباب، من باب أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكذلك معاوية.

فطعن في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبيَّن الإمام الدارمي أن هذه الرواية التي ذكرها عن عمر رواية مكذوبة، عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتشدد في رواية الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان يفعل كما كان يفعل عمر، وكان يُقلل من رواية الحديث؛ حتىٰ لا ينشغل الناس بالحديث عن كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكنه ما كذَّب أبا هريرة، وما رد حديثه، بل كان صادقًا عنده، ويكفي أنه قد ولَّاه أكثر من مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد ثبت في فضل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة أحاديث كثيرة، منها: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا أصحابي**»، **وهذا فيه**: النهي عن أي تنقّص لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن زعم الزاعم أنه يريد أن يبين الحقيقة، وأن يكشف وجه التاريخ، وأن يبين صاحب الحق من المظلوم، فيلج من هذا الباب لينتقص من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يفعل الروافض للانتقاص من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن كان معه من الصحابة وغيرهم، فكل هذا لا يجوز، وإنما الواجب أن نُمسك عما وقع من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن ذلك واقع كونًا وقدرًا، أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن لهم من الحسنات الماحية التي هي كالبحار تُغمَر فيها ما لهم من السيئات، إن كان لهم سيئات -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- فالواجب أن نُمسك عن سائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: «**لا تسبوا أصحابي**»، قلنا: هذا يعم كل سب؛ لأن الفعل المضارع إذا جاء في سياق النهي، أو الشرط، أو النفي، أو الاستفهام، فإنه يعم.

ثم قال: «**أصحابي**»، ولم يُفرِّق بين من أسلم قديمًا ومن أسلم بعد ذلك، صحيح هذا الحديث له سبب ورود، لكن العبرة بعموم اللفظ، فلا يُسَب واحد من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**»، لو أن الواحد ظل طيلة

حياته يجاهد في سبيل الله، ويفتح الفتوحات العظيمة، ويفعل ما يفعل من الخيرات، فإنه لا يبلغ مُدًا من مُد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُد: ملء الكفين، «**أو نصيفه**»: ملء الكف الواحد، وذلك كما **قال علماؤنا**: لما كان عند أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين ربَّاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مزيد الإخلاص وصدق النية، فكان عند الصحابة من الإخلاص وصدق النية ما ليس عند غيرهم.

وكذلك ما أثمر جهادهم في إعلاء كلمة الله، مع ما كانوا فيه من القلة في العدد والعُدة، فأهل مصر بإسلامهم في ميزان عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي ميزان عمر بن الخطاب، الذي أمر عمرو بن العاص أن يفتح مصر، فلهم فضل عظيم، ولذلك لا يُساوَىٰ بهم أحد، ولا يُقارَن بهم أحد.

لما سُئل بعض السلف عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع ما نسمع من فضل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وبعضهم يجعله خليفة راشدًا خامسًا، وليس كذلك الأمر بل الخليفة الخامس هو الحسن وكانت مدة خلافته ستة أشهر بعد مقتل أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، مع ذلك لما يُسئل عبد الله بن المبارك: أعُمر أفضل أم معاوية؟ فقال: لغبار في أنف معاوية خير من ملء الأرض من عمر؛ لأن هذا صحابي، والصحبة لا يعدلها شيء؛ لأن الصحبة اصطفاء، هؤلاء اصطفاهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كونًا وقدرًا لصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما جاء عن عبد الله بن مسعود في الأثر المعروف: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطهر القلوب، فاصطفاه لنفسه، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلب أصحابه أطهر قلوب عباده فجعلهم وزراءه"، أي: وزراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا -وهذا الأثر يُحتَج به في إجماع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو عند الله سيئ.



فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا تسبوا أصحابي»، فهذا فيه: أن سب الصحابة كبيرة من الكبائر، وإن زعم الزاعم أنه يدافع عن صحابي آخر.

يعني بعض الناس تأخذه الحمية ليُدافع ويُبين الحق الذي عليه صحابي آخر، فلا يكون له ذلك إلا بالطعن في أحد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا لا يجوز، وهذا كبيرة من الكبائر.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احفظوني في أصحابي»، وهذا حديث صحيح بشواهده، وإن كان إسناد الحديث قد سُئل عنه الدارقطني سُئل عن أحد أسانيد هذا الحديث في العلل، فقال: "يرويه عبد الملك بن عمير، واختُلف عنه في إسناده، فقيل عنه: فيه عدة أقاويل، وساقها".

لكن الحديث له شواهد يرتقي بها لدرجة الصحة والثبوت.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله الله في أصحابي»، وهذا الحديث إسناده ضعيف، ضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في أكثر من موضع، كالضعيفة، والمشكاة، والجامع، لكن معناه صحيح في كثير من أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»، هذا الكلام من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يكون خبرًا، وهو أبلغ في التحقيق، أن الذي يسب الصحابة هذا ملعون من قِبل الله، والملائكة، والناس أجمعين.

وقد يكون إنشاءً في صورة الخبر، أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو علىٰ من سب أصحابه، ودعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُستجاب، وبيَّن أن الملائكة تلعنه كذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

فسبُ أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من سيما أهل البدع، فكل أهل البدع يسبون أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن عند الصحابة ما يُخالف اعتقادهم الباطل، فلا يتسنىٰ لهم

تمرير الاعتقاد إلا عن طريق سب أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا يلزم منه الطعن في دين الإسلام، يعني إسقاط الصحابة يلزم منه إسقاط دين الإسلام، والطعن في دين الإسلام؛ لأن الذي نقل لنا هذا الدين الصحابة، الذي نقل الدين قرآنًا وسنة هم أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا تم الطعن والتصديق علىٰ هذا الطعن من قِبل أمة الإسلام فهذا يترتب عليه سقوط هذا الدين والطعن في هذا الدين.

وكذلك الطعن في نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالطعن في الصحابة طعن في النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا؟ لأنهم هكذا يكونون قوم سوء، فمن صحبهم كان سيئًا مثلهم، وحاشاه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون كذلك، لكنهم لم يجرؤوا أن يطعنوا في النبي فطعنوا في أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا رأيت رجلًا يذكر أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوء فاتهمه علىٰ الإسلام"، ما قال: هو من أهل البدعة، بل قال: "فاتهمه علىٰ الإسلام"، لأن الإيمان الموجود في قلب المؤمن يمنعه من الطعن في واحد من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان النبي معهم، ولا يخفىٰ عليه شيء من أحوالهم، وإن خفي عليه شيء من أحوالهم أخبره الوحي، ومع ذلك مات وقد رضي عنهم، ومات وقد نزل القرآن بالرضا عن سائر أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل القطع لهم بالجنة، فكيف يطعن مسلم أو من ينتسب للإسلام بعد ذلك في أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

ولذلك قال: (**فَأَيُّ سَبٍّ لِصَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ مِنْ تَكْذِيبِهِ فِي الرِّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!**).

يعني هذا يقول: إن أبا هريرة كان يتعمد الكذب علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختلق الأحاديث ويقول: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا طعن في الصحابي الذي لازم النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملازمةً تامة.

قال: (وَإِنَّهُ لَمِنْ أَصْدَقِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْفَظِهِمْ عَنْهُ، وَأَرْوَاهُمْ لِنَوَاسِخِ أَحَادِيثِهِ، وَالْأَحْدَثِ فَالْأَحْدَثِ مِنْ أَمْرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ من ثَلَاثِ سِنِينَ بَعْدَمَا أَحْكَمَ اللهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الحدود وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ).

فأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصدق من أصدق أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحفظهم للحديث، وهذا ليس قولًا للدارمي فقط، هذا قول سائر العلماء.

قال الشافعي كما في (**تذكرة الحفاظ**) للذهبي قال: "أبو هريرة أحفظ من روىٰ الحديث في دهره"، لم يُقارنه بأحد، قال: "أبو هريرة أحفظ من روىٰ الحديث في دهره".

وقال أبو نعيم: "وكان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، كما في تاريخ دمشق.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن أبا هريرة كان أحفظ الناس للأحاديث النبوية في عصره"، كما في (**الإصابة**).

وقال الذهبي: "أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه المنتهىٰ في حفظ ما سمعه من الرسول، وأدائه بحروفه، وما علمنا أنه أخطأ في حديث واحد"، والإمام الذهبي من أهل الاستقراء، يعني نظر في حديث أبي هريرة واختبره ما وجده أخطأ في حديث واحد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذلك في سير الأعلام.

بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في السير قصة عجيبة، قال: إسنادها كالشمس، ذكرها في ترجمة أبي هريرة، وذلك أن أحد الأحناف المتعصبين لمذهب أبي حنيفة دخل المسجد ذات يوم، فوجد رجلًا يُفتي في المُصراة، وهي التي حُبس لبنها، حتىٰ تُباع بثمن عظيم، ثم بعد ذلك

يكتشف التاجر أن لبنها كان محبوسًا، وأنها ليست بذات لبن، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الرجل: إما أن يردها ومعها صاع من تمر، وإما أن يُمسكها، أو كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكان هذا الرجل يُفتي بهذا الحديث ويذكر هذا الحديث، والحنفية أو الأحناف يقولون: هذا الحديث علىٰ خلاف القياس، وقد ناقشهم الإمام ابن القيم في (**إعلام الموقعين**)، وبيَّن أنه لا يُخالف القياس.

فدخل هذا الرجل وسمع المفتي يذكر الحديث عن أبي هريرة، فقال هذا الرجل: أبو هريرة ضعيف، فسقطت حية من سقف المسدج عظيمة، وأخذت تجري خلف هذا الرجل، ويقال له: تب إلىٰ الله، تب إلىٰ الله، فلما قال: تبت إلىٰ الله اختفت الحية، دفاعًا عن هذا الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: (وَإِنَّهُ لَمِنْ أَصْدَقِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْفَظِهِمْ عَنْهُ، وَأَرْوَاهُمْ لِنَوَاسِخِ أَحَادِيثِهِ).

لأن أبو هريرة أسلم متأخرًا، فكل حديث رواه يخالف حكمًا سبقه فهو ناسخ له، إن لم نستطع أن نجمع بين الحديثين، ونحن نعلم التاريخ، لأن أبا هريرة أسلم متأخرًا.

قال: (وَأَرْوَاهُمْ لِنَوَاسِخِ أَحَادِيثِهِ، وَالْأَحْدَثِ فَالْأَحْدَثِ مِنْ أَمْرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ من ثَلَاثِ سِنِينَ بَعْدَمَا أَحْكَمَ اللهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الحدود وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ.

قال: وَكَيْفَ يَتَّهِمُهُ عُمَرُ بِالْكَذِبِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ النَّفِيسَةِ، وَيُوَلِّيهِ الْوِلَايَاتِ؟ وَلَوْ كَانَ عِنْدَ عُمَرَ كَمَا ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ لَمْ يَكُنْ بِالَّذِي يَأْتَمِنُهُ عَلَىٰ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوَلِّيهِ أَعْمَالَهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّىٰ دَعَاهُ آخِرَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْعَمَلِ

فَأَبىٰ عَلَيْهِ).

دعا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ آخر أمره حتىٰ يكون علىٰ ولاية من ولايات المسلمين فأبىٰ أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال: "أخاف أن يشتموا عرضي، ويأخذوا مالي، ويضربوا ظهري، وأخاف أن أقول بغير حلم، وأقضي بغير علم"، وهذا الأثر ذكره ابن سعد في الطبقات، وهو أثر صحيح.

قال: (حَدَّثَنَاه مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي هِلَالٍ الرَّاسِبِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْن سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال: ثُمَّ عَرَفَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَثَبَّتُوهُ فِي ذَلِكَ، مِنْهُمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَغَيْرُهُمَا).

يعني كان أبو هريرة يروي الحديث بمحضر أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسمعون، ويسكتون، ويعلمون أنه لازم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكثر منهم، وهو من أصدق الناس لهجة.

قال: (وَرَوَىٰ عَنهُ غير وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ آثَارًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاس، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عِدَادِ الكذَّابين -كَمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْهِ- لَمْ يَكُونُوا يَسْتَحِلُّونَ الرِّوَايَةَ عَنْهُ، ثُمَّ قَدْ رَوَىٰ عَنْهُ مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، وَبَصْرَةَ، وَالْكُوفَةِ، وَالشَّامِ، وَالْيَمَنِ، عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ، مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ).

وهو سيد التابعين.

(وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعُرْوَةُ بن الزبير، وَعُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن عتبة).

هؤلاء فقهاء المدينة، يروون عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقبلون حديثه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم من أهل التثبت في الرواية.

قال: (وَعَطَاء، وطاووس، وَمُجَاهِدٌ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، وَالشَّعْبِيُّ).

هؤلاء المذكورون، مَن يقرأ ترجمتهم في الكتب التي ترجمت لهم يقول: حُق للواحد من هؤلاء أن يكون من جيل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان عندهم من الاقتداء والورع في الدين، يروون عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا تظنن أن الواحد من هؤلاء كذاب أو يهم، أو صدوق، هم في أعلىٰ درجات الحفظ، ولذلك هؤلاء في الترجمة يقال عنهم حجة حجة، ثقة ثقة ثقة، كانوا كالجبال، فإذا روىٰ الواحد منهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثبّت حديثه ولم يطعن فيه فهذا كله يُبين أن الرجل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان لا يهم في حديث النبي، ولا يُخطئ، ولا يتقول علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وطاووس، وَمُجَاهِدٌ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ مِنْ أَهْلِ الشَّام، وَمن لا يُحصونَ مِنْ هَذِهِ الْكُورِ، وَقَدْ رَوَوْا الْكَثِيرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَاحْتَجُّوا بِهِ، وَاسْتَعْمَلُوا رِوَايَتَهُ، وَلَوْ عَرَفُوا مِنْهُ مَا ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ مَا حَدَّثُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَكْذَبِ الْمُحَدِّثِينَ.

فاتقِ اللهَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ وَاسْتَغْفِرْهُ مِمَّا ادَّعَيْتَ عَلَىٰ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَعْرُوفِ بِخَلَافِ مَا رَمَيْتَهُ، وَلَو كَانَ لَكَ سُلْطَانٌ صَارِمٌ يَغْضَبُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَوْجَعَ بَطْنَكَ وَظَهْرَكَ، وأَثَّر فِي شَعْرِكَ وبَشَرِكَ حَتَّىٰ لَا تَعُودَ تَسُبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ترميهم بِالْكَذِبِ مِنْ غَيْرِ تثبت.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَصْبَغِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ الْحَرَّانِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَة، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ

رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: "وَاللهِ مَا أَشُكُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مَا لَمْ نَسْمَعْ، كُنَّا نَحْنُ قَوْمٌ لَنَا عَنَاءٌ وَبُيُوتَاتٌ، وَكُنَّا إِنَّمَا نأتي سَوَّلَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ طَرَفَي النَّهَارِ، وَكَانَ مِسْكِينًا لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا مَالَ).

ولذلك كان مع أهل الصُفة، وما خبر أهل الصُفة وشربهم اللبن مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ عنا ببعيد، وقد كانوا كثيرين.

(وَكَانَ مِسْكِينًا لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا مَال، وَإِنَّمَا يَدُهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يَأْكُلُ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، فَوَاللهِ مَا نَشُكُّ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ مَا لَمْ نَسْمَعْ، وَلَا نَجِدُ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ يَقُولُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مَا لم يقل).

وهذا أثر حسن.

قال الإمام: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ يقول: "وَاللهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ، ولكنا نَجْبُنُ وَيَجْتَرِئُ").

أي: يجترئ علىٰ رواية الحديث.

قال رجل لابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: إن أبا هريرة يُكثر الحديث عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ فقال ابن عمر: "أُعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيء به، ولكنه اجترأ وجبنًا"، يعني كان يسأل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ كثيرًا، ويروي عنه كثيرًا، بعض الصحابة كان يخشىٰ رواية الحديث عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ لأنه قد يزيد لفظة أو يُنقص لفظة في الحديث، فكان يُمسك عن حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ ولا يذكر منه إلا القدر اليسير، وأما أبو هريرة فكان حافظًا لحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يذكر ما سمعه من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ دعا له بذلك.

قال الإمام: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حدثنا هُشَيْمٌ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ عَطَاءٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يُحَدِّثُ فَقَالَ: لَمْ يكن يَشْغَلْنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَرْسُ الْوَدِيِّ).

المتكلم من؟ أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: "لم يكن يشغلني عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غرس الوديّ"، والوديّ بتشديد الياء: صغار النخل، والواحدة: وديّة، كما في النهاية.

قال: (لَمْ يكن يَشْغَلْنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَرْسُ الْوَدِيِّ، ولا صفق بالأسواق).

يعني التجارة.

(إِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكلَة يطعمنيها أو كلمة يُعَلِّمُنيهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: صَدَقْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَنا بحديثه).

وهذا أثر صحيح أخرجه عبد الرزاق في المصنف، وغيره كذلك أخرجه.

قال الإمام: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ إِسْمَاعِيل بن جعفر المزكي، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَن سيعد الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ»).

لماذا؟ هذا هو موضع الشاهد.

«لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ علىٰ الحَدِيث».

فهذه شهادة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان حريصًا علىٰ حديث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأجابه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ علىٰ الحَدِيث، أسعد النَّاس بشافعتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قبل نَفسه».**

وهذا أخرجه البخاري، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد له أنه كان حريصًا علىٰ سماع الحديث وحفظه.

فقال الإمام: **(أَفَلَا يُراقب امْرُؤٌ رَبَّهُ، فَيَكُفَّ لِسَانَهُ وَلَا يُكَذِّبَ رَجُلًا أَحْفَظَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرْمِيَهُ بِالْكَذِبِ مِنْ غَيْرِ تثبت وَلَا صِحَّةٍ، وَكَيْفَ يَصِحُّ عِنْدَ هَذَا الْمُعَارِضِ كَذِبُهُ، وَقَدْ ثَبَّتَهُ مِثْلُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ؟ لَو عَضَّ هَذَا الرَّجُلُ عَلَىٰ حَجَرٍ، أَوْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ حَتَّىٰ يَحْرِقَ لِسَانَهُ، كَانَ خَيْرًا لَهُ مِمَّا تَأَوَّلَ عَلَىٰ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

وادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الصَّلْتِ يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بَيْتٌ يُسمىٰ بَيْتَ الْحِكْمَةِ، فَمَنْ وَجَدَ حَدِيثًا أَلْقَاهُ فِيهِ، ثُمَّ رُويت بَعْدَهُ).

الذب عن معاوية رضي الله عنه

انتهىٰ المعارض من الطعن في أبي هريرة وانتقل إلىٰ الطعن في معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فذكر أن معاوية كان له بيت يسميه بيت الحكمة، مع أن بيت الحكمة لم يُنشأ إلا في الدولة العباسية، وما أُنشأ إلا من أجل ترجمة كتب اليونان، التي جلبت الشر والفساد علىٰ بلاد المسلمين إلىٰ الآن.

وكان إذا وجد حديثًا -أي حديث- ألقاه في بيت الحكمة، دُوِّن هذا الحديث في بيت الحكمة، ثم روىٰ هذا الحديث بعد ذلك عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسبه إليه.

فقال الإمام: **(فَهَذِهِ حِكَايَةٌ لَمْ نَعْرِفْهَا وَلَمْ نَجِدْهَا فِي الرِّوَايَاتِ، فَلَا تَدْرِي عَمَّنْ رَوَاهَا أَبُو الصَّلْتِ، فَإِنَّهُ لا يَأْتِي بِهِ عَنْ ثِقَةٍ).**

وهذه الرواية مذكورة عن عبد السلام بن صالح الهروي، وهو شيعي جلد، فراوي هذه الرواية شيعي رافضي.

قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم يكن عندي بصدوق".

وقال الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "رافضي خبيث، متهم بوضع حديث الإيمان إقرار بالقلب".

وهو متهم كذلك بالكذب علىٰ معاوية، وبنسبة ما لا يفعله إليه، فلا يصح ذلك عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولذلك قال الإمام الدارمي: (فَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ مَعْرُوفًا بِقِلَّةِ الرِّوَايَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو شاء لَأَكْثَرَ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَّقِي ذَلِكَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَىٰ النَّاسِ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْإِكْثَارِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ إِن كَانَ لَيَقُولُ: اتَّقُوا مِنَ الرِّوَايَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا كَانَ يذكر مِنْهَا فِي زَمَنِ عُمَرَ، فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُخوِّف النَّاسَ فِي اللهِ).

وهذا أثر صحيح كذلك عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال: (حَدَّثَنَا ابْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، وَسَاقَهُ بِإِسْنَادِهِ، وَهَذَا طَعْنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَارِضِ).

أي: في معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ النَّاسِ عَنْ غَيْرِ تثبت فَيَجْعَلُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوِ استحلَّ مُعَاوِيَةُ هَذَا الْمَذْهَبَ لَافْتَعَلَهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَنَحَلَهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُقْبَلُ مِنْه).

فهذا أولىٰ في أن يُقبَل منه: أن يضع هذه الأحاديث علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويرويها، دون أن يأخذها من الناس ويرويها بعد ذلك، فإن كان الكلام من قِبل نفسه فهذا أولىٰ في القبول، ومع ذلك لم يكن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يفعل ذلك ولا ذاك، يعني ما كان يضع الحديث

علىٰ النبي ﷺ من تلقاء نفسه ولا يأخذ الحديث دون تثبت من الناس.

(لِمَا أَنَّهُ عُرِفَ بِصُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ يُنْحِلُهُ قَوْلَ غيره من عوام النَّاس، وَيَدُلُّكَ قِلَّةُ رِوَايَةِ مُعَاوِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ كَاتِبَه).

معاوية كان أحد كتبة وحي رسول الله ﷺ والنبي ﷺ لا ينتقي لكتابة الوحي إلا من كان موثوقًا أمينًا، وكل الصحابة كذلك.

قال: (وَيَدُلُّكَ قِلَّةُ رِوَايَةِ مُعَاوِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -وَكَانَ كَاتِبَهُ- عَلَىٰ تَكْذِيبِ مَا رَوَيْتَ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاكْشِفْ عَنْ إِسْنَادِهِ فَإِنَّكَ لا تُسْنِدُهُ إِلَىٰ ثِقَةٍ).

والطعن في معاوية كما قلنا قديم حديث، ومثله ما قام به سيد قطب، فإن معاوية كان له الحظ الأوفر من هذا النتن الذي خرج من قلم وفم هذا الرجل، فإنه طعن في معاوية وأبيه وأمه، بل اتهمهم علىٰ الإسلام، وفي ذلك يقول: "وجاء معاوية بن هند"، هكذا يقول عن أحد الصحابة، "وابن أبي سفيان"، ما قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ولكنه ذكر أباه وأمه يتعمد ذلك طعنًا فيه وفي أبيه وأمه، قال: "الذي لم يغلب عليًا"، هو أراد أن يدافع عن علي، فطعن في معاوية.

كيف غلب معاوية عليًا علىٰ زعمه؟ وقد أُمرنا أن نُمسك عن كل هذه الأمور؛ لأن النبي ﷺ قال: «وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا»، لا تتكلم في مثل هذه الأمور، لهم من الحسنات العظيمة ما مثل ذلك مغمور في بحار حسناتهم.

قال: "جاء معاوية بن هند، وابن أبي سفيان، الذي لم يغلب عليًا إلا لركونه للكذب، والغش، والخديعة، والنفاق، وشراء الذمم"، هكذا يصف معاوية رضي الله عنه.

وقال عن إسلام أبيه -إسلام أبي سفيان-: "هو إسلام الشفة واللسان، لا إيمان القلب والوجدان، وما نفذ الإسلام لقلب هذا الرجل قط"، يعني كفَّر أبا سفيان، رضي الله عن

أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعامله بما يستحقه وبما هو أهله من طعنه علىٰ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قالوا بعد ذلك: إن الرجل كان أديبًا، فأين الأدب في هذا الكلام؟

قال: (وهذا طعن كثير من المعارض، أنه كان يجمع أحاديث الناس من غير تثبت).

قرأنا هذا الكلام.

ثم قال: (وَكَذَلِكَ ادَّعَيْتَ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِوَايَةً عَنْهُ، مَعْرُوفًا بِذَلِكَ، فَزَعَمت أنه أَصَابَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أهل الْكتاب، فَكَانَ يَرْوِيهَا لِلنَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُقال لَهُ: لا تحدثنا عَن الزاملتين).

عندي "لا تحدثنا عن الزاملتين"، يعني ينهىٰ الناس عبدَ الله بن عمرو أن يُحدثهم من الزاملتين، لكن حدِثنا من حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هكذا قال المعارض.

وقصة الزاملتين يقول فيها ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين"، زاملتين يعني حِملين، "من كتب أهل الكتاب، فكان يُحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، «لا تُصدقوهم ولا تُكذبوهم»، مجرد تحديث، ففهم أن ذلك فيه الإذن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يُحدث دون نسبة ذلك إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يُفرِّق بين حديث النبي وبين ما يرويه من الزاملتين، حتىٰ إنه كان يُسمي الصحيفة التي يرويها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا في الدرس الماضي بالصادقة، تمييزًا لها عن الزاملتين، لأنها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشيخ المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يدافع عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أقول: هو نفسه لم يكن يثق بها"، يعني بهذه الكتب التي وجدها في الزاملتين، ولهذا كان

يُسمي صحيفته عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادقة، تمييزًا لها عن تلك الصحف، وإنما كان يحكي من تلك الصحف ما قام دليل علىٰ صدقه.

ولذلك ما الذي نقله عبد الله بن عمرو من هذه الصحف؟ كصفة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "سميتك المتوكل، لست بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق"، قال: إنه وجد ذلك عند أهل الكتاب، وهذا صحيح، فكان يُحدِّث منها ما غلب علىٰ ظنه أنه صدق، وما هو موافق للكتاب وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: "أو كان محتملًا، فيحكيه علىٰ الاحتمال"، انتهىٰ من الأنوار الكاشفة في رده علىٰ أبي رية.

فذكر هذا المعارض أن عبد الله بن عمرو كان يُحدِّثهم من الزاملتين وكان الناس يقولون له: لا تُحدِّثنا من الزاملتين، وحدّثنا حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال الإمام الدارمي: **(وَيْحكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! إِنْ كَانَ عبد الله بْنُ عَمْرٍو أَصَابَ الزَّامِلَتَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَقَدْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ أَمِينًا عِنْدَ الْأُمَّةِ عَلَىٰ حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن لَا يَجْعَلَ مَا وَجَدَ فِي الزَّامِلَتَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ كَانَ يَحْكِي عَنِ الزَّامِلَتَيْنِ مَا وَجَدَ فِيهِمَا، وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ مِنْهُ، لَا يُحِيلُ ذَاكَ عَلَىٰ هَذَا وَلَا هَذَا عَلَىٰ ذَاكَ، كَمَا تأَوَّلت عَلَيْهِ بِجَهْلِكَ، وَاللهُ سَائِلُكَ عَنْهُ.**

فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ مِنْ طَعْنِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّوَايَاتِ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عِنْدَ الْأُمَّةِ فِي مَوْضِعِ الْجَرْحِ كَمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ -وَلَيْسُوا كَذَلِكَ- مَا كَانَتْ لَكَ حُجَّةٌ عَلَىٰ أَلْفٍ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَا تَجِدُ سَبِيلًا إِلَىٰ الطَّعْنِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ رَوَوْا مِنْ ذَلِكَ مَا يَغِيظُكَ).

فعلىٰ فرض أن هذا الطعن ثبت في أبي هريرة وفي عبد الله بن عمرو بن العاص فهناك ألف

من المهاجرين والأنصار رووا هذه الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم نجد سبيلًا إلىٰ الطعن فيهم، فهذه الأحاديث في الصفات ثابتة لا مطعن فيها.

قال: (**وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ جَمِيعِ الْفُقَهَاءِ أَنَّ شَهَادَاتِ الْعُدُولِ إِذَا شَهِدَ مَعَهُمْ مَنْ لَيْسَ بِعَدْلٍ لَا يَسْقُطُ، وَلَا يُجْعَلُ مَثَلُ السَّوْءِ بِأَصْحَابِ، رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّهُمْ بِحَمْدِ اللهِ عُدُولٌ، يُؤتمنون عَلَىٰ عهد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَجْرُوحُ مَنْ جَرَحَهُمْ**).

هذه قاعدة حديثية مهمة جدًا، يعني حديث «**إنما الأعمال بالنيات**» كم طريق له صحيح؟ طريق واحد. هل توجد طرق ضعيفة لهذا الحديث؟ كثيرة جدًا. هل تطعن في صحة الحديث؟ لا تطعن في صحة الحديث.

الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو من قدماء المُحدثين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: عندنا قاعدة، هذه القاعدة تقول: إن شهادات العدول -وقسها علىٰ الإسناد الصحيح لـ «**إنما الأعمال بالنيات**»- إذا شهد معهم من ليس بعدل -الروايات الأخرىٰ الضعيفة- قال: لا يسقط، الشهادة لا تسقط، والحديث كذلك لا يضعف، هو ثابت، فكذلك هذه الأحاديث ثابتة من طرق أخرىٰ عن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك لا يُجعَل مثَل السوء لأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وَكُلُّهُمْ بِحَمْدِ اللهِ عُدُولٌ، يُؤتمنون عَلَىٰ عهد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَجْرُوحُ مَنْ جَرَحَهُمْ**).

ما المقصود (**عَلَىٰ عهد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)؟ ما عهد إلينا من الأحاديث، وليس المقصود بالعهد هنا الزمن، بل يُؤتمنون علىٰ الميراث الذي تركه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث.

قال: (**وَلَا يُزَيِّفُ مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ مَشْهُورَةً مَحْفُوظَةً مَأْثُورَةً عَنِ الثِّقَاتِ إِذا وُجِدَ فِيهَا مِائَةُ**

حَدِيثٍ مُنْكَرَةً، وَيُجْرَحُ أَلْفُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْإِتْقَانِ وَالْحِفْظِ فِي الرِّوَايَةِ إذا وُجِدَ فِيهِمْ عِشْرُونَ رَجُلًا يُنْسَبُونَ إِلَىٰ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَقِلَّةِ الْإِتْقَانِ، فَارْبَحِ الْعَنَاءَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ شِفَاءٌ).

أهل البدع لا يُرجىٰ لهم شفاء، وإنما هم في عناء دائم، إلا أن يشاء الله أن يتوب علىٰ أحدهم، لكن الأصل ان أهل البدع لا يتوبون، التوبة محجوبة عنهم ومحجورة عليهم، كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسأل الله السلامة والعافية، وأن يُجنبنا البدع وأهلها.

قال: **(وَكَمَا لَا يُبَهْرَجُ مِائَةُ دِينَارٍ إِذَا وُجِدَ دِينَارَانِ زَائِفَانِ، وَلَا نَحْكُمُ عَلَىٰ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْجَرْحِ إذا وُجِدَ فِيهِمْ مجروحان، وَلَكِن نزيف الزائف مِنْهَا، وَنُرَوِّجُ الْمُنْتَقَدَةَ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْعَمَايَاتِ وَالْأُغْلُوطَاتِ الَّتِي لَا تُجْدِي عَلَيْكَ شَيْئًا؟)**.

ولو جرَّحت أبا هريرة ومعاوية وعمرًا ولن تفعل، ماذا تفعل في باقي الصحابة ورواياتهم؟ فلن ينال إلا العناء.

ولذلك الإمام الدارمي قال له: **(فَارْبَحِ الْعَنَاءَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ شِفَاءٌ)**، يريد: أنا أقول هذا الكلام لا لأردك إلىٰ السنة، لأنه يعلم أن هذا المعارض الجاحد المعاند لا يقبل الحق، وإنما يكتب هذا الكلام وينشره من أجل أن يرد من اغتر بأمثال هؤلاء.

قال: **(فَمَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْعَمَايَاتِ وَالْأُغْلُوطَاتِ الَّتِي لَا تُجْدِي عَلَيْكَ شَيْئًا؟ فَإِنَّهُ لَا يُتْرَكُ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْآثَارِ بِخُرَافَاتِكَ هَذِهِ، وَلَوْ كَانَ الْمَذْهَبُ فِيهِ مَا تَأَوَّلْتَ لَحَرُمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَلَكَانَ يَدُلُّ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ» أَنَّ تَرْكَهُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ)**.

فالمعارض يريد أن نفهم الحديث علىٰ عكس معناه؛ لأنه علىٰ هذا يقول: طالما أننا جرحنا بعضهم فسائر الرواية مردودة، فيصير معنىٰ حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ»: ترك طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم، وهذا خلل في الفهم لا دواء له.

ثم ذكر بعد ذلك الروايات والآثار في فضل طلب العلم وطلب حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن لازم قول المعارض ولازم قول أهل البدع الإعراض عن طلبه، والعمل بنقيض حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حض علىٰ طلب العلم فكل حديث جاء في ذلك فلازم قول المبتدعة أن هذه الأحاديث تحض علىٰ النفرة عن طلب العلم، وترك طلب العلم.

ولذلك قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن انتهىٰ من الكلام عن أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(فَمَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْعَمَايَاتِ وَالْأُغْلُوطَاتِ الَّتِي لَا تُجْدِي عَلَيْكَ شَيْئًا؟ فَإِنَّهُ لَا يُتْرَكُ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْآثَارِ بِخُرَافَاتِكَ هَذِهِ، وَلَوْ كَانَ الْمَذْهَبُ فِيهِ مَا تَأَوَّلْتَ)**.

أي: لو كان معنىٰ حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ذكرت.

(لَحَرُمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَلَكَانَ يَدُلُّ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ» أَنَّ تَرْكَهُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ).

فالمصنف يستطرد في الرد علىٰ المقولة التي قالها المعارض في مبدأ كلامه، فإن المعارض المبتدع في مبدأ كلامه قال: إن الآثار -يعني الأحاديث، والأخبار الواردة عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن جاء بعده من الصحابة والتابعين- يقول: إن الآثار تصد الناس عن طلبها وتُزهدهم فيها.

فلازم كلامه كما قلنا: فهم كل حديث وأثر في طلب العلم علىٰ خلاف المراد منه.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَيَدُلُّ قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يطْلب» أَنَّهَا تَضَعُهُمَا سَخَطًا بِمَا يطلب)**.

وهذا حديث حسن ثابت عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختُلف في وقفه علىٰ صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورفعه إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في جامع بيان العلم وفضله**: قال: "جاء من طرق عن عاصم بن أبي النجود به مرفوعًا وموقوفًا".

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذلك**: "حديث صفوان بن عسال هذا وقفه قوم عن عاصم، ورفعه عنه آخرون، وهو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع، ومثله لا يُقال بالرأي".

يعني حتىٰ لو كان موقوفًا علىٰ صفوان فمثل ذلك من أمور الغيب، لا يُقال بالرأي، فلا شك أنه سمعه من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابي كما نعلم مرة قد يرفع الحديث إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينسبه إليه، أو يذكر الحديث دون أن يرفعه إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن كان الحديث مما لا يُقال بالرأي عُلم أنه من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهنا يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبينًا فضل طلب العلم: «**تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يطْلب**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان المراد من هذا الحديث قال: "تضع أجنحتها له توقيرًا له، وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة، ويطلبه، وهو يدل علىٰ المحبة والتعظيم له"، يدل علىٰ محبة الملائكة وتعظيم الملائكة لطالب العلم؛ لأنه يحمل ميراث النبوة، وهو أشرف ميراث.

وذكروا عن بعض أهل البدع أنه مشىٰ -هذا ذكره ابن القيم لكن لا أذكر الآن في أي كتبه- ذكر أن بعض أهل البدع لما سمع هذا الحديث استهزأ به، فمشىٰ علىٰ أطرافه أو علىٰ أصابع قدمه، فلما قيل له في ذلك، يعني لِمَ تصنع ذلك؟ قال: أخشىٰ أن أطأ أجنحة الملائكة، قال ابن القيم: "فأصبح وقد يبست قدمه"، جزاءً لاستهزائه بحديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَيَدُلُّ قَوْلُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الْحُوتِ فِي**

الْبَحْرِ»).

وهذا حديث صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووالله إن مثل هذه الأحاديث ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفىٰ، في شحذ الهمم علىٰ طلب العلم.

إن كل ما يصدق عليه أنه شيء، هكذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ**»، وهذا بيان لهذه المنزلة العظيمة التي ينالها طالب العلم، لو حسنت نيته، واجتهد في طلب علم حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به من الوحي.

فلازم قول المبتدع ولازم تأويله لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طالب العلم «**يَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ**»، لازم قوله: **(أَنَّهَا تَلْعَنُهُ وَتَدْعُو عَلَيْهِ، فَيَنْقَلِبُ فِي دَعْوَاكَ مَعَانِي الْحَقِّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَالْمَعْرُوفِ إِلَىٰ الْمُنْكَرِ).**

ولذلك أهل البدع أزهد الناس في حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل من أبغض الأشياء إليهم سماع حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بأبواب الاعتقاد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يعنِ بِطَلَبِ الْعِلْمِ عَمَايَاتِ أَصْحَابِ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْمَقَايِيسِ، وَلَكِنْ عَنَىٰ بِهِ مَا يُؤثر عَنهُ).**

فلا يُسمي علم الكلام علمًا، وهو باب يُدرَّس بأصله في الجامعات الأزهرية وغيرها، بل له قسم مخصوص، علم الكلام، وهو ليس بعلم، وإنما هي فلسفات لأهل اليونان ومقدمات عقلية لأناس زهدوا في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستعاضوا عن ذلك بما تُمليه عليهم عقولهم الفاسدة، وفرحوا بكثرة كلامهم وتشقيقهم.



سبب تسمية علم الكلام بهذا الاسم وسبب انتشاره

ومن هنا سُمي علم الكلام بهذا الاسم، فالصحيح من أقوال أهل العلم في تسمية علم الكلام بهذا الاسم بسبب أنه سُمي بذلك بسبب كثرة التشقيق والكلام والجدال، وليست التسمية بسبب ما كان من الكلام في كلام الله؛ لأنهم يقولون: إنما سُمي بذلك لأننا كنا ندافع عن القرآن ضد المعتزلة، فسُمي علم الكلام بذلك بسبب المسألة الكبرىٰ، التي هي مسألة كلام القرآن، وهذا كلام غير صحيح؛ لأن أهل البدع أُطلق عليهم أنهم أهل كلام من قبل أن تظهر هذه البدعة، ووُصم بذلك عمرو بن عُبيد، وغيره من أهل البدع أنهم أصحاب كلام، أي: أهل جدال وتشقيق.

ولذلك كما قلنا: سبب تسمية علم الكلام بذلك: كثرة الكلام والجدال في العقائد، بعيدًا عن النصوص الشرعية في المسائل التي مبناها علىٰ التسليم بنصوص الشرع.

فهناك مسائل فيها قال الله وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالأصل في هذه المسائل: التسليم، لكن هؤلاء لا يُسلِّمون، يُجادلون، ويُناقشون، ويستعيضون عن الكتاب والسنة بهذه الجدالات.

أضرب مثالًا علىٰ ذلك: هل وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحتاج إلىٰ نظر واستدلال؟ أمر فطري، تُقر به القلوب، والعقول، والنفوس السليمة، هم يجعلون أسَّ جدالهم وبحثهم في هذا الباب: إثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعني الواحد من هؤلاء من علماء الكلام يقضي عمره كله من أجل تقرير إثبات وجود الله.

ولذلك المرأة لما قيل لها عن الرازي: معه ألف دليل علىٰ وجود الله، قالت: والله ما احتاج إلىٰ ألف دليل إلا لما قام في قلبه ألف شك، أفي الله شك؟! لا يحتاج إلىٰ كل هذا النظر، والاستدلال، والبحث، هذه أمور فطرية.

ولذلك الآيات المذكورة في كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليست من باب التدليل علىٰ وجود الله، لكن من باب تذكير الفِطر بما فُطرت عليه، ورد الجاحد المعاند.

ولذلك لما سمع جبير بن مطعم ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور: ٣٥] ماذا قال؟ قال: كاد قلبي أن يطير، لماذا؟ هل لأنه نظر، واستدل، وشك؟ لا، لأن هذه الآية أزالت الغشاوة التي كانت علىٰ قلبه، فنبَّهت قلبه، ولامست فؤاده، وأخرجت ما عنده مما بقي من الفِطر السليمة، فأهل الكلام كما قلنا أهل جدال.

وأنت عندما تفتح الكتاب من كتب هذه الفرق الكلامية من أوله إلىٰ آخره لا تجد إلا مقدمات فلسفية منطقية، فإذا ذكر حديث أو آية اعلم أنه يذكرها علىٰ سبيل الشبهة، التي تحتاج إلىٰ رد.

فهم يشققون الكلام كما قلنا في المسائل التي مبناها علىٰ التسليم، وهذا النوع من الكلام هو الذي ذمه السلف، وليس مطلق النظر، واستعمال العقل، والاحتجاج، والمناظرة. الذي ينظر في كتاب الرد علىٰ الجهمية والزنادقة للإمام أحمد يجده مليئًا بالحجج العقلي، والأقيسة العقلية الصحيحة، بل الذي ينظر في هذا الكتاب الذي معنا، **فمعنىٰ ذلك**: أن السلف لم يذموا مطلق الكلام، لكن ذموا الكلام الذي جاء في مقابل النصوص الواضحة الصريحة.

والسؤال الآن: لماذا انتشر علم الكلام والتشقيق وغير ذلك بين المسلمين إن كان علىٰ هذه الصورة المذكورة؟ هذا له أكثر من سبب:

السبب الأول: الالتقاء بأصحاب الديانات والمذاهب الأخرىٰ، وذلك حين اتسعت الدولة الإسلامية، و وكثرت الفتوحات الإسلامية، التقىٰ المسلمون بأصحاب الديانة اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، البوذية، وهؤلاء عندهم آراء، وعندهم معتقدات باطلة،

إن لم يكن المرء عنده ما يُحصِّنه ضد هذه المعتقدات من كتاب الله وسنة النبي ﷺ إما أن يضل، وإما أن يحاول أن يرد هذه المعتقدات بناء علىٰ عقله، والفلسفات التي عنده، من هنا انتشر علم الكلام، بعضهم انبهر وفُتن بما عند هؤلاء، فأخذ ما عندهم، وظن أنه يستطع أن ينصر الإسلام من خلال هذه

الأمور.

والسبب الثاني: حركة الترجمة، ذكرنا قصتها قبل ذلك، وكيف أن هذه الكتب دخلت إلىٰ بلاد الإسلام في زمن الدولة العباسية.

السبب الثالث: البعد عن تعلم الكتاب والسنة، والجهل بهما، فلا تجد واحدًا من أهل الكلام من أساطينهم إلا ويقال في ترجمته: كانت بضاعته مزجاة في حديث رسول الله ﷺ وفي آثار السلف؛ لأنه قضىٰ جُل حياته إن كان من علماء الأصول فقضىٰ جُل حياته في علم الأصول، والفقه، أما العقيدة التي مبناها علىٰ صحيح السنة وآيات الكتاب فهذه قلَّد فيها.

يعني تجد الواحد من هؤلاء مُجتهدًا في باب الأصول، وفي باب الفقه، يجتهد، وينظر، ويبحث عن الأدلة في الكتاب والسنة ولا يُسلِّم، أما باب الاعتقاد يُسلِّم لمن كان قبله من أئمة المذهب الأشعري، أو المعتزلي، أو غير ذلك، فكان عندهم جهل بالكتاب والسنة فيما يتعلق بهذا الباب، باب الاعتقاد، وباب الأسماء والصفات خاصة، والكلام ليس بعلم، وإنما العلم قال الله، قال رسوله، قال أصحاب النبي ﷺ.

قال: (وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يعنِ بِطَلَبِ الْعِلْمِ عَمَايَاتِ أَصْحَابِ الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْمَقَايِيسِ، وَلَكِنْ عَنَىٰ بِهِ مَا يُؤثر عَنهُ).

ﷺ، فما يخوض فيه أصحاب الكلام ليس علمًا، وإنْ سموه علم كلام.

(أَوَ لَيْسَ قَدِ ادَّعَيْتَ أَنَّ الزَّنَادِقَةَ قَدْ وضعو اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ دَلَّسُوهَا عَلَىٰ الْمُحَدِّثِينَ؟ فَدُونَكَ أَيُّهَا النَّاقِدُ الْبَصِير الْفَارِس النحرير، فأوجدنها مِنْهَا اثْنَيْ عَشَرَ حَدِيثًا، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَلِمَ تُهَجِّنُ الْعلم وَالدِّينَ).

(تُهَجِّنُ الْعلم وَالدِّينَ) الهُجنة بالضم من الكلام ما يعيبه، أي: لمَ تعيب العلم والدين، **والتهجين**: التقبيح، فتُهجِّن أي: تعيب وتُقبِّح.

(فَلِمَ تُهَجِّنُ الْعلم وَالدِّينَ فِي أَعْيُنِ الْجُهَّالِ بِخُرَافَاتِكَ هَذِهِ؟).

وهذا حال أهل البدع، دائمًا يُزهدون الناس في العلم والدين، ومجالس العلم، وقد قالوها قديمًا عن علم الشافعي: علمه لا يجاوز سراويل امرأة، هكذا قالوا عن علم الشافعي، يعني لا يُحسن الكلام إلا في الحيض والنفاس، والصلاة والوضوء، أما فقه الواقع وقضايا الأمة فهذه لا يُحسنها هؤلاء، نحن الذين نُحسنها، حتىٰ ذاقت الأمة منهم الويلات، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: (لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا هُوَ دِينُ اللهِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَأَصْلُ كُلِّ فِقْهٍ، فَمَنْ طَعَنَ فِيهِ فَإِنَّمَا يَطْعُنُ فِي دِينِ الله تَعَالَىٰ).

حديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(أَو لم تَسْمَعْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَعَلَ حَدِيث أَصْلَ الْفَقْهِ، فَقَالَ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فرُبَّ حَال فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ»).

الحديث مرة أخرىٰ، حديث عظيم، يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: **(«نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فرُبَّ حَال فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ»، فَجعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَ الْفَقْهِ كُله بعد الْقُرْآن حَدِيثه الَّذِي تَدْفَعُهُ أَنْتَ وَإِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ).**

ولذلك قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السنة في أول العقيدة، قال: "واعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر"، فلا يُؤخَذ القرآن وحده، ولا تُؤخَذ سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحدها.

هذا الحديث حديث عظيم، والشيخ عبد المحسن البدر -حفظه الله وأطال في عمره وفي عمر ولده- صنَّف جزءًا في هذا الحديث، روايةً ودراية، في ما يُقارب مائتي صفحة، وبيَّن سبب اختياره لهذا الحديث، لماذا اختار هذا الحديث: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا»؟ فقال حفظه الله:

"لما تضمنه من دعوة مباركة من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فالذي يسمع حديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينقله إلىٰ الناس في خطبة جمعة أو في درس له نصيب من دعوة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: "وكذلك لشموله علىٰ كثير من مباحث مصطلح الحديث، وشموله لبعض مباحث أصول الفقه"، كالاحتجاج بخبر الواحد، "ولكون الحديث ليس في الصحيحين، ومع ذلك هو متواتر عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وهذا أمر عجيب! الحديث ليس في الصحيحين ومتواتر في طرقه عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغت طرقه في عد الشيخ عبد المحسن -حفظه الله- أكثر من مائة وخمسين طريقًا، انتهت إلىٰ أربعة وعشرين صحابيًا من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك قال: "وهذا مما جعل الحديث جديرًا بالتصنيف".

الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يروي عن أحمد بن يونس، قال: **(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حدثنا زَائِدَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ دِينٌ)**.

يقول ابن سيرين: "إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ دِينٌ"، يعني حديث رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دين.

(فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ).

وجاء بلفظ: "انظروا عمن تأخذوا هذا الحديث، فإنما هو دينكم".

وفي لفظ آخر: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فلا يُؤخَذ إلا عن أهل السنة، لا يُؤخَذ عن أهل البدع"

قال: (فَمَا ظَنُّكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ إِذَا لَقِيتَ اللهَ تَعَالَىٰ وَقَدْ طَعَنْتَ فِي دِينِهِ!).

قال: (ثُمَّ لَمْ تَقْنَعْ بِجَرْحِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّوَايَاتِ، حَتَّىٰ تَعَرَّضْتَ فِي التَّابِعِينَ، فَقُلْتَ: أَلَا تَرَىٰ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ لِغُلَامِهِ: "انْظُرْ أَلَّا تَكْذِبَ عَلَيَّ كَمَا كَذَبَ عِكْرِمَةُ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ").

الذب عن عكرمة مولىٰ ابن عباس

نفس التهم والشبه التي يرددها هؤلاء هي هي التي يُرددها أهل البدع من الظلاميين، والذين يقولون: لا نقبل إلا بالقرآن فقط، كذلك يتكلمون عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ مولىٰ عبد الله بن عباس، ويتهمونه بالباطل.

وهذا المعارض المبتدع يتكلم عن صاحب ابن عباس وتلميذه.

وقد دافع أهل العلم عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ ومن ذلك: قول الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (**التمهيد**) قال: "عكرمة مولىٰ ابن عباس من جلة العلماء"، ما معنىٰ جلة العلماء؟ يعني خيرة العلماء الأجلاء.

أذكر مرةً كنت في مناقشة رسالة علمية، في كلية دار العلوم، في قسم الشريعة، وقد كتب الطالب في ترجمة العالم الذي يتكلم عنه في رسالة الماجيستير، فقد كانت في تحقيق مخطوطة، فقال: وكان من جِلة العلماء، فالمناقش يقول: يا ابني، إيه جلة دي؟ وفسرها



علىٰ ما هو معروف عند عامة المزارعين أنها روث البهيمة! فالطالب شمال يمين يبين له ويذكر له القاموس قال، ولسان العرب، قاله: غيرها، وأبىٰ المناقش إلا أن يغيرها!

فقال ابن عبد البر: "عكرمة مولىٰ ابن عباس من جِلة العلماء، لا يقدح فيه كلام من تكلم فيه؛ لأنه لا حجة مع أحد تكلم فيه، وقد يحتمل أن يكون مالك جبن عن الرواية عنه؛ لأنه بلغه أن سعيد بن المسيب كان يرميه بالكذب، ويحتمل أن يكون لما نُسب إليه من رأي الخوارج".

قال: "وكل ذلك باطل عليه إن شاء الله"، يعني لا هو ممن كان يكذب علىٰ عبد الله بن عباس، ولا هو ممن كان يرىٰ رأي الخوارج.

ولذلك ذكر الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الفتح وقال: إنما تركه مسلم -الإمام مسلم لم يروي له في صحيحه- قال: إنما تركه مسلم لكلام مالك فيه، وقد تعقبه جماعة من الأئمة في ذلك، وصنفوا في الذب عن عكرمة، منهم أبو جعفر بن جرير الطبري الإمام، ومحمد بن نصر المروزي الإمام، وأبو عبد الله بن منده، وأبو حاتم بن حبان، أبو عمر بن عبد البر، كلهم أئمة، قال: وغيرهم.

قال: "وقد رأيت أن ألخص ما قيل فيه هنا، وإن كنت قد استوفيت ذلك في ترجمته من مختصري لتهذيب الكمال".

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأما أقوال من وهَّاه فمدارها علىٰ ثلاثة أشياء: علىٰ رميه بالكذب، وعلىٰ الطعن فيه بأنه كان يرىٰ رأي الخوارج، وعلىٰ القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء.

قال: "فهذه الأوجه الثلاثة يدور عليها جميع ما طُعن به فيه".

قال: "أما البدعة"، يعني إن كان ثبت عنه أنه رأىٰ رأي الخوارج، قال: "فإن ثبت عليه فلا تضر حديثه؛ لأنه لم يكن داعية، مع أنها لم تثبت عليا".

يعني حتىٰ لو ثبتت عليه فأهل العلم يقبلون رواية المبتدع الذي لم يكن داعيًا إلىٰ بدعته، لأنه قد يقوي بدعته بما يرويه من الأحاديث التي يضعها علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما عكرمة فقد كان ثقة ثبتًا حتىٰ وإن رأىٰ رأي الخوارج فلم يكن داعية إلىٰ بدعته.

ولذلك روىٰ الإمام البخاري في صحيحه عن أمثال عمران بن حطان، مع أنه كان من رؤوس الخوارج، لكنه لم يكن داعية إلىٰ بدعته.

قال: "وأما قبول الجوائز فلا يقدح أيضًا إلا عند أهل التشديد، وجمهور أهل العلم علىٰ الجواز"، كما صنف في ذلك ابن عبد البر.

قال: "وأما التكذيب فسنُبين وجوه رده بعد حكاية أقوالهم، وأنه لا يلزم من شيء منه قدح في روايته"، وذكر كلامهم ورد عليهم رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الفتح.

فهنا هذا المعارض المبتدع يطعن في رواية عكرمة مولىٰ عبد الله بن عباس، ونحن نعلم أن عبد الله ترجمان القرآن، وهو الذي فسر القرآن، فإذا طُعن في عكرمة أقرب تلاميذ عبد الله بن عباس إليه طُعن فيما جاء عنه، وسقطت الرواية عن عبد الله بن عباس، فكما أنهم لم يطعنوا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرةً فطعنوا في أصحابه، حتىٰ يقال: رجل سوء له أصحاب سوء فكذلك كانوا يطعنون في التابعين، حتىٰ يكون ذلك بابًا للطعن في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال بعد أن ذكر طعنه في عكرمة، قال: **(تُوهِمُ مَنْ حَوَالَيْكَ مِنَ الْجُهَّالِ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ هَذَا فِي مِثْلِ عِكْرِمَةَ فَقَدْ بَطُلَتِ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا، وَيُظَنُّ بِرُوَاتِهَا كُلِّهَا مَا ظَنَّ ابْنُ عُمَرَ بِعِكْرِمَةَ.**

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: إِنْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُجَوِّزُ الْوَهْمَ عَلَىٰ عِكْرِمَةَ فِي دَعْوَاكَ فَمَا لَكَ رَاحَةٌ فِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِمَّا يغيظك، مِمَّن لا تجد السَّبِيلَ إِلَىٰ الطَّعْنِ عَلَيْهِمْ، مِثْلِ سعيد بن جُبَيْرٍ، وَعَطَاءٍ، وَطَاوُوسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ،

وَنُظَرَائِهِمْ).

يعني تركنا لك عكرمة، ما تفعل في باقي الثقات؟ الذين رووا نفس الأحاديث في صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَالْعَجَبُ مِنْكَ إِذْ تَطْعَنُ فِي رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيمَا يُبْطِلُ دَعْوَاكَ وَتَحْتَجُّ لِإِقَامَةِ دَعْوَاكَ بِرِوَايَةِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، عَنْ أَبِي شِهَابٍ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ، الَّذِي لَا يُدْرَىٰ من هم في، وَعَنِ الْكَلْبِيِّ، عَن أبي صَالح، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَسَانِيدِ، الَّتِي أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ تَرْكِهَا.

أفكلمَا وَافَقَ مِنْ ذَلِك رَأْيك وَإِن كن ضَعِيفًا صَارَ عِنْدَكَ فِي حَدِّ الْقَبُولِ؟ وَمَا خَالَفَ رَأْيَكَ مِنْهَا صَارَ مَتْرُوكًا عِنْدَكَ، وَإِنْ كَانَ عندك الْفُقَهَاء في حَدِّ الْقَبُولِ؟ هَذَا ظُلْمٌ عَظِيمٌ وجور جسيم.

وَادَّعَيْتَ أَيْضًا فِي دَفْعِ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحْكَةً لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا عَاقِلٌ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَا جَاهِلٌ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا تَقُومُ الْحُجَّةُ مِنَ الْآثَارِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي تُرْوَىٰ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كُلَّ حَدِيثٍ لَوْ حَلَفَ رَجُلٌ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَنَّهُ كَذِبٌ لَمْ تُطَلَّقِ امْرَأَتُهُ).

فالمعارض قال في الحديث الذي يُقبَل عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:كل حديث لا بد أن يقول فيه راويه: الطلاق يلزمني، امرأتي طالق، إن كان هذا الحديث كذب عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نمسك الراوي في كل حديث حتىٰ يُطلق امرأته إن كان قد كذب علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(ثُمَّ قُلْتَ: وَلَوْ حلف رجل بِهَذِهِ الْيَمِينِ عَلَىٰ حَدِيثٍ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيحٍ عَنْهُ أَنَّهُ كَذِبٌ مَا طُلِّقَتِ امْرَأَتُهُ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ النَّاقِضِ عَلَىٰ نَفْسِهِ: قَدْ أَبْطَلْتَ بِدَعْوَاكَ هَذِهِ جَمِيعَ الْآثَارِ الَّتِي تُرْوَىٰ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ).

لأنه لم يصنع ذلك واحد من الأئمة، فمعنىٰ ذلك: أن كل الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ أحاديث غير صحيحة.

فيقول: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ النَّاقِضِ عَلَىٰ نَفْسِهِ: قَدْ أَبْطَلْتَ بِدَعْوَاكَ هَذِهِ جَمِيعَ الْآثَارِ الَّتِي تُرْوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا احْتَجَجْتَ مِنْهَا لِضَلَالَتِكَ وَمَا لم تَحْتَجَّ، وَلَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُلْتَفَتُ إِلَىٰ تَأْوِيلِهِ، لَقَدْ سَنَنْتَ لِلنَّاسِ سُنَّةً وَحَدَدْتَ لَهُمْ فِي الْأَخْبَارِ حَدًّا لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِثْلَهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَكَ).

فالحمد لله أنه لم يكن ممن يُقتدىٰ به.

قال: (وَلَوَجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُخْتَارٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي دَعْوَاكَ أَلَّا يَخْتَارَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ يَبْدَأَ بِالْيَمِينِ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ، فَيَحْلِفَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صِدْقٌ أَوْ كَذِبٌ الْبَتَّةَ، فَإِنْ كَانَ شَيْئًا طُلِّقَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ اسْتَعْمَلَهُ وَإِنْ لَمْ تُطَلَّقْ تَرَكَهُ.

قال: وَيْلَكَ! إِنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَزَالُوا يختارون هَذِه الْآثَار ويستعملونها وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَحْلِفَ عَلَىٰ أَصَحِّهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ الْبَتَّةَ، وَعَلَىٰ أَضْعَفِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ الْبَتَّةَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَأْلُونَ الْجَهْدَ فِي اختيار الْأَخْبَارِ إلا الْأَحْفَظِ منها والمثل فالأمثل من رواتها فِي أَنْفُسِهِمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَيْمَانَ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ فِيهَا بِطَلَاقِ نِسَائِهِمْ مَرْفُوعَةٌ عَنْهُمْ حَتَّىٰ ابْتَدَعْتَهَا أَنْتَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَكَ إِلَيْهَا مُسْلِمٌ أَو كَافِرٌ.

فَفِي دَعْوَاكَ يَجِبُ عَلَىٰ الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ أَنْ لَا يَحْكُمُوا بِشَهَادَةِ الْعُدُولِ عِنْدَهُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ يُمَكِّنُ الْقَاضِيَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَيْهِ بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَنَّ الشَّاهِدَ بِهِ قَدْ صَدَقَ، أَوْ أَنَّهُ إِنْ حَلَفَ عَلَيْهَا بِطَلَاقِ امْرَأَتِهِ أَنَّه كَذِبٌ لَمْ تُطَلَّقِ امْرَأَتُهُ.

وَيْحَكَ! مَنْ سَبَقَكَ إِلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي اتِّبَاعِ الرِّوَايَاتِ

وَاخْتِيَارِ مَا يَجِبُ مِنْهَا؟ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَىٰ الْقَاضِي أَنْ يَفْحَصَ عَنِ الشُّهُودِ وَيَحْتَاطَ؛ فَمَنْ عَدَلَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ حُكم بِشَهَادَتِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فِي شَهَادَتِهِ فِي عِلْمِ اللهِ بَعْد، ما لَمْ يَطَّلِعِ الْقَاضِي مِنْهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وتُرَد شَهَادَةُ الْمَجْرُوحِ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي شَهَادَتِهِ فِي عِلْمِ اللهِ بعده، ما لَمْ يَطَّلِعِ الْقَاضِي عَلَىٰ صِدْقِهِ).

وهذه هي طريقة أهل الحديث، صحيح؟ أنهم إن ثبت عندهم أن فلانًا مجروح تُرَد روايته، وإن كان صادقًا في هذا الحديث، ومن ثبت عندهم أنه عدل ثقة فإنه تُقبَل روايته، وإن كان مُخطئًا في هذا الحديث، حتىٰ يأتي من يُخطِّئه ببينة علىٰ ذلك، وهذا امتثال لحديث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار**»، وهذا رواه الستة.

فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقضي علىٰ نحو ما يسمع، وعلىٰ الظاهر، وهكذا كان رواة الحديث وأئمة الحديث.

قال: **(وَكَذَلِكَ الْمَذْهَبُ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْآثَارِ وَقَبُولِهَا مِنْ رُوَاتِهَا، لا مَا تَأَوَّلْتَ أَنْتَ فِيهَا مِنْ هَذِهِ السُّخْرِيَةِ بِنَفْسِكَ وَالضَّحِكِ.**

وادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُروىٰ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ مُنْكَرَةً مُسْتَشْنَعَةً جِدًّا، لا يَجُوزُ إِخْرَاجُهَا، فألَّف مِنْهَا أَحَادِيثَ، بَعْضُهَا مَوْضُوعَةٌ، وَبَعْضُهَا مَرْوِيَّةٌ تُرْوَىٰ وتوقف، لا يَتَقَدَّمُ عَلَىٰ تَفْسِيرِهَا، يُوهِمُ مَنْ حَوَالَيْهِ مِنَ الْأَغْمَارِ أَنَّ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّهَا مَا رُوِيَ مِنْهَا مِمَّا يَغِيظُ الْجَهْمِيَّةَ فِي الرُّؤْيَةِ وَالنُّزُولِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي رَوَاهَا الْعُلَمَاءُ الْمُتْقِنُونَ وَرَأَوْهَا حَقًّا، سَبِيلُهَا سَبِيلُ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ إِخْرَاجُهَا وَلَا الِاعْتِمَادُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا بَعْدَمَا أقرَّ أَنَّهَا مُنْكَرَاتٌ مُسْتَشْنَعَةٌ، يُفَسِّرُهَا وَيَطْلُبُ لَهَا مَخَارِجَ

يَدْعُو٦ إِلَىٰ صَوَابِ التَّأْوِيلِ فِي دَعْوَاهُ).

فوضَعَ أحاديثَ علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفات رب البرية تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثم نسبها إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أخذ يُؤولها بعد ذلك.

فقال له الإمام: (وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! وَمَا يَدْعُوكَ إِلَىٰ تَفْسِيرِ أَحَادِيثَ زَعَمْتَ أَنَّهَا مُسْتَشْنَعَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا عِنْدَكَ، وَلَا يَجُوزُ التحدث بِهَا؟ فَلَوْ دَفَعْتَهَا بِعِلَلِهَا وشنعها عِنْدَكَ كَانَ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْ أَنْ تَسْتَنْكِرَهَا وَتُكَذِّبَ بِهَا، ثُمَّ تُفَسِّرُهَا ثَانِيَةً، كَالْمُثْبِتِ لَهَا عَلَىٰ وُجُوهٍ وَمَعَانٍ مِنَ الْمُحَالِ وَالضَّلَالِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

فَادَّعَيْتَ أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ مَا رَوَىٰ أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الذِّرَاعَيْنِ وَالصَّدْرِ).

وهذا أثر منكر.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة في مثل هذه الآثار، قال: "هذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها؛ لأنها لم ترد عن الصادق عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

فهو من الإسرائيليات، وهو منكر كذلك؛ لأنه مخالف لنصوص القرآن التي جاء فيها ذكر خلق إبليس، قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[الرحمن:١٥].

فحديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- كذلك الذي عند مسلم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُلقت الملائكة من نور**»، فذكر أن الملائكة خُلقت من نور، ولم تُخلَق من الذراع ولا غيره، قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»، فأطلق في هذا الحديث ولم يُقيِّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فماذا قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ ردًا علىٰ هذا الأثر؟ والذي فيه: خَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الذِّرَاعَيْنِ وَالصَّدْرِ.



(قُلْتَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ شعر الذراعين، والصدر.

فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: إِذَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تَتْرُكُ مِنْ أَجْلِهِ جُلَّ الرِّوَايَاتِ، فلِم فَسَّرْتَهُ كَأَنَّكَ تُثْبِتُهُ؟ فَقُلْتَ: تَأْوِيلُه عِنْدَنَا مُحْتَمَلٌ عَلَىٰ مَا يُقَالُ فِي أَسْمَاءِ النُّجُومِ الَّذِي يُسَمَّىٰ مِنْهَا الذِّرَاعَ وَالْجَبْهَةَ).

فبعد أن ذكر الحديث وأقر أنه من المنكرات أوَّله، كابن فورك، من الأشعرية، له كتاب كامل في متشابه حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهم يقصدون بالمتشابه الأحاديث التي وردت في باب الصفات، الكتاب من أوله إلىٰ آخره أحاديث موضوعة ومنكرة، ومع ذلك الكتاب من أوله لآخره تأويل، وتفويض، مع إن الأحاديث كلها باطلة، يجتهد في تأويلها وتفويضها، كأنها ثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن بضاعتهم كانت مزجاة في أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُميزون بين الصحيح والضعيف.

وهكذا فعل المعارض، ذكر هذا الحديث ثم أخذ يؤوله، المقصود هنا يقول: المقصود بالذراع والصدر إن هذه أسماء نجوم، فخلق الله الملائكة من النجوم.

فقال له الإمام الدارمي: (وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! اسْتَنْكَرْتَ الْحَدِيثَ وَتَفْسِيرُكَ أَنْكَرُ مِنْهُ! أَخَلَقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ النُّجُومِ وَشُعُورِهَا الَّتِي يُسمىٰ مِنْهَا الذِّرَاعَ وَالْجَبْهَةَ، أَمْ لِلنُّجُومِ شُعُورٌ فَيُخْلَقُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ؟).

(لَقَدْ أغربت بِهَذَا التَّفْسِير علىٰ جميع الْمُفَسِّرِينَ، وَأَنْدَرْتَ).

من النُدرة.

(وَكِدْتَ أَنْ تَقْلِبَ الْعَرَبِيَّةَ ظَهْرَهَا لِبَطْنِهَا إِنْ جَازَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْمُسْتَحِيلَاتُ، أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ شُعُورِ النُّجُومِ الَّتِيْ تسمىٰ ذِرَاعًا.

قال: وَاحْتَجَجْتَ فِي رَدِّ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرَاهِيَةِ طَلَبِهَا، وَالِاشْتِغَالِ بِجَمْعِهَا، بِحِكَايَةٍ حَكَيْتَهَا عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ عِدَدِ الْمَوْتِ).

وهذا أثر صحيح ثابت عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

معنىٰ قول شعبة: ليس طلب الحديث من عُدد الموت

قال حماد بن أسامة: "سمعت سفيان الثوري يقول: "ليس طلب الحديث من عُدد الموت، ولكنه علة يتشاغل بها الرجل"، وهذا الأثر ذكره ابن عبد البر، وحتىٰ نفهم مراد الإمام سفيان الثوري، نجد أن هذا الأثر ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، تحت باب: ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه، يعني الذي يُكثر في طلب الحديث، كل يوم في مجلس سماع، عنده ما شاء الله إجازات من الأرض للسقف، إجازات في صحيح البخاري من فلان وعلان وفلان وعلان، ماذا يصنع في مجالس السماع؟ يقعد في المجلس كما حضرنا لبعضهم، في لحظة خمسة أحاديث قيلت، سرعة لا تسمع فيها حرفًا من الحديث، وآخر اليوم يمشي فرِحا وتحت إبطه الإجازة، ما الذي استفدته؟ ما فقه الحديث؟ ليس هذا من عداد الموت، هذا ليس مما يعد به للموت لتلقىٰ به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا ما يقصده سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(تذكرة الحفاظ)** بعد أن ذكر هذا الأثر، قال: "قلت: صدق والله، إن طلب الحديث شيء غير الحديث"، طلب الحديث شيء والحديث والعمل بالحديث شيء آخر، "فطلب الحديث اسم عرفي، لأمور زائدة علىٰ تحصيل ماهية الحديث، وكثير منها مراقي إلىٰ العلم، وأكثرها أمور يشغف بها المُحدِّث، من تحصيل النسخ، وتطلب العالي، وتكثير الشيوخ، والفرح بالألقاب والثناء"، يقول: معي إجازة من فلان، وأقصر سند إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: "وتمني العمر الطويل، ليروي"، يريد من الناس أنتأخذ عنه بعد ذلك، "وحب التفرد إلىٰ أمور عديدة لازمة للأغراض النفسانية، لا الأعمال الربانية".

قال: (وَبِقَوْلِ شُعْبَةَ).

يعني هو استدل بقول سفيان.

(وَبِقَوْلِ شُعْبَةَ: "إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ").

وهذا كذلك أثر صحيح ثابت عن شعبة.

قال: (وَبِقَوْلِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رِحْلَتِي فِي الْحَدِيثِ").

قال: (فَتَوَهَّمْتَ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا طَعْنٌ فِي الْآثَارِ وَكَرَاهِيَةٌ مِنْهُم لجمعها وَاسْتِعْمَالِهَا، وَقَدْ أَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ وَغَلِطْتَ فِي التَّأْوِيلِ).

يكفي في رد هذا التأويل: أن هؤلاء الذين قالوا مثل هذا الكلام يُذكَر عنهم أنهم ممن رووا الأحاديث عن مئات الشيوخ، يعني أكثروا من الرحلة، ومن النقل عن الشيوخ، فكيف يقولون كلامًا ويُخالفونه؟! فلا بد أن يكون لهذا الكلام معنىٰ يُفهَم.

ولذلك قال: (فَتَوَهَّمْتَ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا طَعْنٌ فِي الْآثَارِ وَكَرَاهِيَةٌ مِنْهُم لجمعها وَاسْتِعْمَالِهَا، وَقَدْ أَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ وَغَلِطْتَ فِي التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعُدُّوا هَذِهِ الْآثَارَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا طَلَبَهُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنْ خَافُوا أَنْ يَكُونَ قَدْ خَالَطَ ذَلِكَ بَعْضُ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَالِاسْتِطَالَةِ بِهِ عَلَىٰ مَنْ دُونَهُمْ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُمْ إِذَا جَمَعُوهَا وَكَتَبُوهَا لَمْ يَقُومُوا بِالْعَمَلِ بِهَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَيَصِيرُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ).

وهذا الذي يجب أن يكون الفهم عليه في مثل هذه الآثار عن هؤلاء الأئمة -رحمهم الله-

فنحسبهم كانوا من المخلصين العالمين العاملين بما يروون.

ولذلك استفاض ذكرهم والثناء عليهم في الأمة، وطال هذا الثناء حتىٰ وصل إلينا بعد كل هذه القرون.

قال الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح أصحاب الحديث: يريد شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن أهله يضيعون العمل بما يسمعون منه، ويتشاغلون بالمكاثرة به، أو نحو ذلك، والحديث لا يصد عن ذكر الله، بل يهدي إلىٰ أمر الله".

وقال كذلك أو روىٰ الخطيب في شرف أصحاب الحديث من طريق اسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: "سمعت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وسُئل عن قول شعبة: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون، فقال الإمام أحمد: لعل شعبة كان يصوم، فإذا طلب الحديث وسعىٰ فيه يضعف فلا يصوم، أو يريد شيئًا من أعمال البر، فلا يقدر أن يفعله للطلب، فهذا معناه".

وقال أبو بكر الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وليس يجوز لأحد أن يقول: كان شعبة يُثبِّط عن طلب الحديث، وكيف يكون كذلك وقد بلغ من قدره أن سُمي أمير المؤمنين في الحديث؟ كل ذلك لأجل طلبه له واشتغاله به، ولم يزل طول عمره يطلبه حتىٰ مات علىٰ غاية الحرص في جمعه، لا يشتغل بشيء سواه، ويكتب عمن دونه في السن والإسناد، وكان من أشد أصحاب الحديث عناية بما سمع، وأحسنهم إتقانًا لما حفظ"، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فليس المراد من هذه الآثار ما فهمه هذا المبتدع.

قال: (فَإِنَّمَا أَزْرَوْا فِيمَا حَكَيْتَ عنهم بِأَنْفِسِهِمْ).

يتهمون أنفسهم.

(لَا بِالْعِلْمِ وَالْأَحَادِيثِ، كَمَا تَفْعُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ عندهم مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ -كَمَا ادَّعيت عَلَيْهِمْ- مَا صَنَّفُوهَا وَنَقَلُوهَا إِلَىٰ الْأَنَامِ).

أي الخلق.

(وَلَا دَعَوْهُمْ إِلَىٰ اسْتِعْمَالِهَا وَالْأَخْذِ بِهَا، فَيُشْرِكُوهُمْ فِي إِثْم مَا وَقَعُوا فِيهِ، وَمَنْ يَظُنُّ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ مِثْلُكَ بَعْدَ الَّذِي رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «حدِّثوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ»، وَقَالَ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَبَلَّغَهَا غَيْرَهُ»، وَقَوْلَهُ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُم الْغَائِب»، وَقَوْلَهُ: «طَلْبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»، وَقَوْلَهُ: «مَا سَلَكَ رجلٌ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهَا عِلْمًا إِلَّا سهَّل اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ»).

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من هؤلاء.

(وَقَوْلَهُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ».

قال: وهذه هي الْآثَارُ، وَهِيَ أُصُولُ الدِّينِ وَفُرُوعُهُ بَعْدَ الْقُرْآنِ، فَمَنْ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي حضَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ طَلَبِهَا وَإِبْلَاغِهَا وَأَدَائِهَا إِلَىٰ مَنْ يَسْمَعُهَا عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ مَا حكيت عَن سُفْيَانَ، وَشُعْبَةَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، عَلَىٰ خِلَافِ مَا تَأَوَّلْتَهُ.

وَيْحَكَ! إِنَّمَا قَالَ الْقَوْمُ هَذَا تَخَوُّفًا عَلَىٰ أَنْفسِهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ أُوتُوا مِنْهُ الْكَثِيرَ فَلَمْ يُوَفَّقُوا لِاتِّبَاعِهِ كَمَا يَجِبُ).

فيكون حجة عليهم لا لهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(وَلَمْ يَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ الصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ، مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ، وَلَمْ يَتَأَدَّبُوا بِأَحْسَنِ آدَابِهِمْ.

فَقَدْ سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ يَحْيَىٰ يَقُولُ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "طَلَبْنَا الْعِلْمَ فَأَصَبْنَا مِنْهُ شَيْئًا، فَطَلَبْنَا

الْأَدَبَ فَإِذَا أَهْلُهُ قَدْ مَاتُوا"، وَكَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ: "زَيَّنَ الْعِلْمَ حِلْمُ أَهْلِهِ").

يرويدون بذلك العمل بالعلم.

(وَكَمَا قَالَ ابْنِ سِيرِين: "ذهب الْعِلْمُ وَبَقِيَ مِنْهُ غُبّرَاتٌ فِي أَوْعِيَةِ سُوءٍ").

هذا يقوله ابن سيرين عن أهل زمانه، يقول: "ذهب الْعِلْمُ وَبَقِي مِنْهُ غُبّرَاتٌ"، والغبرات: جمع غُبَّر، وهي البواقي.

"وَبَقِي مِنْهُ غُبّرَاتٌ فِي أَوْعِيَةِ سُوء".

قال: (وَكَانَ تَخَوُّفُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْحِكَايَاتِ الَّتِي حَكَيْتَهَا عَنْهُمْ، عَسَىٰ أَنْ لَمْ يُرْزَقُوا هَذِهِ الْآدَابَ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِلْمُ، حَتَّىٰ يَخْلُصَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، فكان ذَلِكَ مِنْهُمْ إِعْظَامًا لِلْعِلْمِ وَإِجْلَالًا لَهُ، لَا اسْتِخْفَافًا بِهِ وَتَعْرِيضًا لِإِبْطَالِهِ، كَمَا فَعَلْتَ أَنْتَ.

قال: وَسَمِعْتُ الطَّيَالِسِيَّ أَبَا الْوَلِيدِ أَنَّهُ سمع ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: "طَلَبْتُ هَذَا الْعِلْمَ يَوْمَ طَلَبْتُهُ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَعْقَبَنِي مَا تَرَوْنَ").

وهذا أثر صحيح.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: "لَمْ أَعْرِفْ لِنَفْسِي يَوْمَ طَلَبْتُهُ تِلْكَ النِّيَّةَ الْخَالِصَةَ، فَأَعْقَبَنِي مِنْهُ أَنِّي اشغلت بِتَحْدِيثِ النَّاسِ بِهِ لَا بِالْعَمَلِ بِهِ، وَالزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْعِبَادَةِ".

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْ عَنْ شَيْءٍ"، أَيْ: لما أَنَّ الَّذِي سَأَلْتُ عَنْهُ صَارَ عَلَيَّ حُجَّةً).

فمن عَلِم علمًا فلا بد أن يعمل به، وإلا كان استكثارًا من الحجج عليه عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقال له يوم القيامة: علمت فماذا عملت؟ وهذا جاء عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في جامع بيان العلم.

(وَقَالَ الشَّعْبِيُّ أَيْضًا: "إِنَّا لسنا بفقهاء، وَلَكِنَّا رُوَاة الْحَدِيثِ").

رحم الله أئمة السلف.

قال: (وَكَمَا قَالَ الْحَسَنُ: هَلْ رَأَيْت فقيهًا قَطُّ؟).

يعني كأن رجلًا قال له: يا فقيه يا إمام، وقد يسمع بعضهم هذه الكلمة ويُمررها أو يقول: أستغفر الله، علىٰ سبيل إظهار الورع، وليس كذلك، وإنما هو يحب أن يُنادىٰ بذلك، العلامة، الشيخ، الفقيه، الأصولي، فكأن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذات يوم قيل له: يا فقيه، أو يا إمام، قال: هل رأيت فقيهًا قط؟

("إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي، ينشر حكم اللهِ فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ").

فهو فيما قُبل منه وفيما رُد عليه يحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا ينتصر لنفسه، وهذا أثر صحيح ثابت عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي رواية أنه قال: "هل رأيت فقيهًا بعينيك؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم علىٰ عبادة ربه".

قال الإمام الدارمي بعد أن ذكر هذه الآثار عن أئمة السلف -رحمهم الله-: (فَتَخَوَّفَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ).

(وَقَدْ كَانُوا أَهْلَهُ، وَمَا زَادَهُمْ تَخَوُّفُهُمْ مِنْ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حُبًّا وعِظمًا، وَلِلْعِلْمِ تَوْقِيرًا وَإِجْلَالًا؛ إِذْ خَافُوا أَنْ لَا يَكُونُوا من صالحي أوعيته.

قال: وَرَوَىٰ الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: "مَا رَأَيْتُ فِيمَا مضىٰ وفيما بَقِي مُؤمنا ازْدَادَ إحسانًا إِلَّا ازْدَادَ شَفَقَةً، وَلَا مَضَىٰ مُنَافِقٌ وَلَا بَقِيَ ازْدَادَ إِسَاءَةً إِلَّا ازْدَادَ بِاللهِ غِرَّةً").

فالعلم الأصل فيه: أنه يُزكي النفوس، وكلما تعلم المرء دين ربه من كتاب الله وسنة النبي ﷺ وقرأ في سير هؤلاء علم قدره ومنزلته، فتواضع وعلم أنه ليس بشيء، ولم يبلغ قلامة ظفر هؤلاء.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا العلم والعمل والتواضع والخشية.

ثم تكلم المصنف بعد ذلك وعاد للكلام عن صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذكر الأحاديث والآثار والرد علىٰ المعارض، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا لِمَذْهَبِهِ الْأَوَّلِ بِحَدِيثٍ مُسْتَنْكَرٍ يَعْجَبَ الْجُهَّالُ مِنْهُ، وَيُوهِمُهُمْ أَنَّ مَا رَوَىٰ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الصِّحَاحِ الْمَشْهُورَةِ وَمِمَّا يُنْقَضُ بِهَا عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ فِي الرُّؤْيَةِ وَالنُّزُولِ وَسَائِرِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ مُسْتَنْكَرٌ، مَجْهُولٌ، مَهْجُورٌ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ، فَزعم أَن حَمَّاد سَلَمَةَ رَوَىٰ عَنْ أَبِي الْمُهَزِّمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ** ﷺ **مِمَّ رَبُّنَا؟ فَقَالَ: «مِنْ مَاءٍ مَرُورٍ لَا مِنْ أَرْضٍ وَلَا مِنْ سَمَاءٍ، خَلَقَ خَيْلًا فَأَجْرَاهَا فَعَرَقَتْ فَخَلَقَ نَفسه من ذَلِك الْعرَق»)**.

بعد أن انتهىٰ المصنف من الكلام عن فضل العلم، وبيان منزلته، وتوجيه ما جاء عن أئمة السلف من كلامهم في الإكثار من طلب الحديث، والانشغال بتحصيله عن العمل به ذكر حديثًا وضعه المبتدعة للتشنيع علىٰ أهل السنة والجماعة، فإن المبتدعة كما نعلم يعطّلون الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن سائر صفاته، فهم يعبدون عدمًا، ولما أرادوا أن يمرّروا ذلك علىٰ جهّالهم، وأن يشنّعوا علىٰ أهل السنة والجماعة ليوهموا جهّالهم أن أهل السنة والجماعة يعبدون ربًا له صفاتٌ كصفات المخلوقين، هي هي في كيفيتها، فجاؤوا بهذا الحديث الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضعوا حديثًا من رواية حمّاد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو إمامٌ في السنة، إلىٰ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ النبي ﷺ أنه قيل له ذات يوم: يا رسول الله، ممّ ربنا؟ وما تسأل عن الصفات، أي: من أي شيءٍ كان ربنا؟ فقال النبي ﷺ: «من ماءٍ



مرور، لا من أرضٍ ولا من سماء، خلق خيلًا فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق».

يزعمون أن أهل السنة وضعوا هذا الحديث ونسبوه إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حديثٌ موضوعٌ مكذوب، واشتدّ قول أهل السنة والجماعة في واضعه، فمن ذلك مثلًا: ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر هذا الحديث في الموضوعات من طريق محمد بن شجاعٍ الثلجي، وهو المبتدع الثاني الذي يروي عنه هذا المعارض، فهو يروي عن بشرٍ المريسي، وعن محمد بن شجاعٍ الثلجي، وذكرنا بعضًا من ترجمته وبعض الفوائد كذلك التي وقفنا عليها في هذه الترجمة..

فذكر من طريق محمد بن شجاعٍ الثلجي، عن حبّان بن هلال، عن حمّاد بن سلمة، عن أبي المهزّم، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الحديث.

الكلام عن حديث: خلق الله نفسه من الفرس!

ثم قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا حديثٌ لا يُشك في وضعه"، الحديث الموضوع هو الحديث المكذوب علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل ليس بحديث، يعني لا يوضع في قائمة الأحاديث؛ لأنه لا أصل له، فهو مُختلَقٌ مكذوب.

قال: "هذا حديثٌ لا يُشك في وضعه، وما وضع مثل هذا مسلم، وإنه لمن أرَكِّ الموضوعات وأدبرها"، من الركاكة والدُبُر، الذي يلقىٰ في الخلف لا يُنظر إليه، ولا يُؤبه به.

قال: "إذ هو مستحيل؛ لأن الخالق لا يخلق نفسه، وقد اتهم علماء الحديث بوضع هذا الحديث محمد بن شجاع، قال أبو أحمد عبد الله بن علي الحافظ: محمد بن شجاع الثلجي متعصب، كان يضع أحاديث في التشبيه، ينسبها إلىٰ أصحاب الحديث يثلبهم بها، منها حديث الفرس"، أي: هذا الحديث، "ثم في مثل هذا الحديث كذلك أبوالمهزّم، واسمه:

يزيد بن سفيان البصري، قال سعيد: رأيته ولو أُعطي درهمًا لوضع خمسين حديثًا"، يعني يتكسّب بوضع الحديث علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو عبد الله الجوزقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا حديثٌ موضوعٌ كفر، لا أصل له عند العلماء، ما قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا رواه عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو المهزّم وإن كان متروكًا فلا يحتمل مثل هذا، ولا حمّاد بن سلمة يستجيز أن يروي عنه مثل هذا الحديث، ولا يُعرف له أصلٌ في كتاب حبّان بن هلال، وإنما الحمل فيه علىٰ محمد بن شجاعٍ الثلجي.

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فهذا الحديث كفرٌ وزندقة، لا ينقاد ولا ينقاس"، يعني العقل يرده، "فكيف خلق الخيل التي عرقت قبل أن تكون نفسه؟"، يعني كيف يخلق خلقًا وليس هو نفسه موجودًا؟، "فإنا نكفّر من يقول: إن كلام الله مخلوق، فكيف من قال نفسه؟"، يعني قال: إن نفس الله مخلوق، "وإنا لا نعرف إلا أن الله هو الأول قبل كل شيء، فكيف كان هناك العرق قبله حتىٰ خلق منه نفسه؟ تعالىٰ الله عما وصفه به الملحدون، ونسبه إليه الكفرة المبطلون، وافترىٰ عليه المجرمون، بل هو كما وصف به نفسه تعالىٰ في كتابه المُنزّل علىٰ نبيه المُرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَد * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١-٤]"، انتهىٰ من الأباطيل.

فهذا الحديث حديثٌ مكذوبٌ موضوعٌ علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَوْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ وَعَقْلٌ لَمْ تَكُنْ تُذِيعُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَا أَصْلَ لَهُ عِنْدَ الْعَلَاء، وَلَمْ يَرْوِهِ عَنْ حَمَّادٍ إِلَّا كلُّ مَقْرُوفٍ فِي دِينِهِ)**.

يقال: قرفتُ الرجل أي: عبتُه، ويقال: هو يُقرف بكذا أي: يُرمىٰ بكذا، ويُتهم، فهو مقروف، فمعنىٰ مقروفٌ في دينه أي: معيبٌ في دينه.

قال: **(فَيَظُنُّ بَعْضُ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْكَ أَنَّ لَهُ أَصْلًا، فَيَضِلُّ بِهِ أَوْ يُضِلُّ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يُعْرَفُ**

لَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ حَمّاد ابْنِ سَلَمَة، وَلَا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ وَقع إِلَىٰ الْمُعَارِضِ؟ وَمِمَّا يَسْتَنْكِرُ فِي هَذَا الْحَدِيث كَذَلِك: أَنَّهُ مُحَالُ الْمَعْنَىٰ).

يعني لا تقبله العقول.

(بَلْ هُوَ كُفْرٌ لَا يَنْقَادُ وَلَا يَنْقَاس، فَكَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَيْلَ الَّتِي عَرَقَتْ قبل أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ فِي دَعْوَاكَ؟).

ولذلك الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حاجج المشركين بذلك، فقالوا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُوْنَ﴾[الطور: ٣٥]، أي: أم خُلقوا من غير خالقٍ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؟ فالفرض الثاني يساوي ما جاء في هذا الحديث؛ لأن الفرض الثاني يقول: ﴿أَمْ هُمُ الخَالِقُوْنَ﴾، أي: خلقوا أنفسهم، وهذا لا يقبله العقل، لماذا لا يقبله العقل؟ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، العدم لا يخلق شيئًا، وهم جعلوا ذلك في حق الله، حاشاه وكلا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فهذا مما يُستنكر في هذا الحديث، إذ كيف خلق الله الخيل التي عرقت قبل أن تكون نفسه في دعواك؟

(وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! إِنَّا نُكَفِّرُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ مَخْلُوقٌ، فَكَيْفَ مَن قَالَ: نَفسُه مَخْلُوقة؟ لَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا عَمَّا تُورِدُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْجُهَّالِ مِمَّا لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَيْهِ، فَعَمَّنْ رَوَيْتَهُ عَنْ حَمَّاد؟ وَمِمَّنْ سمعته؟ فَسَمّه لَنَا نَعْرِفْهُ، فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ كَانَ هَذَا الْعَرَقُ قَبْلَهُ، حَتَّىٰ خَلَقَ مِنْهُ نَفسه؟ وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يُحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْسِيرِه فَإِنَّ الشَّاهِدَ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ بَاطِلٌ).

أي: أن حكايته تكفي في رده، فلا يحتاج إلىٰ كثير تأويلٍ وتفسيرٍ وبيان.

(ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِمَا قُلْتَ وَرَوَيْتَ مِمَّا تستَشْنعهُ، حَتَّىٰ ادَّعَيْتَ لَهُ تَفْسِيرًا عَنْ إِمَامِكَ الثَّلْجِيِّ

أَنَّهُ قَالَ: يَحْتَمِلُ تَأْوِيلُ هَذَا الحَدِيث أنْ يَكُون الْكُفَّارُ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ).

هذا تكملة لكلام المعارض، كلام الثلجي.

(وَذَلِكَ أَنَّ كُبَرَاءَهُمْ وَأَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ كَانُوا عِنْدَهُمْ كَالْأَرْبَابِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[التوبة:٣١]، فَيُقَالُ لِهَذَا الثَّلْجِيِّ الْجَاهِلِ: وَيْلَكَ! يَخْلُقُ اللهُ أُولَئِكَ الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ الَّذِي أُجْرِي، وَفِي الْحَدِيثِ أنه خُلِقَ مِنَ ماءٍ لَا مِنْ أَرْضٍ ولَا مِنْ سَمَاء، فَهَلْ شَكّ أَحَدٌ مِن وَلَدُ آدم أنّ اللّه خَلَقَ آدَمَ مِن الْأَرْضِ، وَذُرِّيَّتَهُ من نَسْله؟ أَو لم يَعْلَمْ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

فـ"رسول" فاعل ليعلم، و "أيها الثلجي" جملة اعتراضية.

(أَو لم يَعْلَمْ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ؟).

الثلجي الكذاب هذا يقول: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن الأحبار والرهبان، تلك الآلهة الباطلة التي اتُخذت من دون الله ممّ خُلقت؟ فجعل الحديث في هؤلاء، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنها خُلقت من عرق الخيل، فهذا جهلٌ فوق جهل؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ما جاء في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩]، وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في أكثر من موضع أنه خلق آدم من طين، ومن تراب، ومن صلصالٍ من حمإٍ مسنون، فكيف خلق الله عَزَّ وَجَلَّ هؤلاء الأحبار والرهبان الذين هم من نسل آدم، كيف خلقهم من عرق الخيل؟ فهذا لا يُقبل كذلك.

ولذلك اشتدّ عليه الإمام الدارمي، ووصفه بالجهل، وقال له: (أَو لم يَدْرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ حَتَّىٰ يَقُولَ: خَلَقَهُمُ اللهُ مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ مِنْ

أَرْضٍ وَلَا سَمَاءٍ؟ لَقَدْ ضَلَّ هَذَا الثَّلْجِيُّ بِهَذَا التَّفْسِيرِ وَضَلَّ بِهِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَلَوْ فَسَّرَ هَذَا صَبِيٌّ لَمْ يَبْلُغِ الْحِنْثَ مَا زَادَ عَلَىٰ هَذَا جَهْلًا وَاسْتِحَالَةً، وهُوَ كُفْرٌ أَضَافَهُ هَذَا الثَّلْجِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَيْلَكَ! نَحْنُ نَدْفَعُ الْحَدِيثَ وَنَسْتَنْكِرُهُ، وَأَنْتَ تَسْتَشْنِعُهُ ثُمَّ تُثْبِتُهُ وَتُفَسِّرُهُ، وَتَلْتَمِسُ لَهُ الْمَخَارِجَ، كَيْ تصوّبه، وَلَئِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرًا فَتَفْسِيرُكَ لَهُ أَنْكَرُ).

هل الكذب علىٰ النبي كفر أم كبيرة؟

وهذا الحديث كما قلنا: كذبٌ علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكذب علىٰ رسول الله من أكبر الكبائر، هذا مما لا خلاف فيه، وقد تواتر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، وهذا وعيدٌ شديدٌ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بالغ أبو محمد الجويني في تكفير الكاذب علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني قال: إن الذي يكذب علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا كافرٌ مرتدٌ عن الإسلام؛ لأنه غيّر الملة والدين والشرع، ولشيخ الإسلام ابن تيمية بحثٌ طويلٌ نافع في هذه المسألة نقل فيه خلاف أهل العلم في كتابه: (**الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول**)، نقل خلاف العلماء في حكم الكاذب علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كذب عليه، فمن كذب علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرسالة، وقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرني أن أبلغكم كذا، وأن أحلّل لكم كذا، وأن أحرّم عليكم كذا، قال: هذا لا يُشك في كفره، وهذا هو سبب ورود هذا الحديث، حديث «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، وذلك أن رجلًا خطب امرأةً من قوم فأبوا ذلك، فذهب إليهم بعد ذلك وقال لهم: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلني إليكم، وقد أحلّ لكم كذا، وحرّم عليكم كذا، وأحلّ لي أن أتزوج ابنتكم، فكذب علىٰ لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جاءه الوحي، أمر أصحابه أن يلحقوا به، وأن يقتلوه، وأن يحرّقوه، قال: وما أظن تجدونه حيًا، ولما وصل الصحابة إليه وجدوه قد لدغته حيةٌ أو عقرب فمات، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث: «من كذب علي معتمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

فالعلماء اتفقوا علىٰ أن الذي يكذب عليه في الرسالة هذا كافرٌ كفرًا أكبر، مرتدٌ عن

الإسلام، وأما الذي يكذب في الحديث، ينسب حديثًا إلىٰ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وليس بحديث، وليس من قول النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهذا الذي اختلفوا فيه، فالجمهور علىٰ أنه واقعٌ في كبيرةٍ من الكبائر، بل من أعظم الكبائر، وبعض العلماء كما قلنا كأبي محمدٍ الجويني ومال إليه ابن العربي المالكي أنه كافرٌ كذلك كفرًا يخرج من الإسلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية قال: "وهذا مذهبٌ قويٌ جدًا" ثم ذكر الأسباب التي تقوّي هذا المذهب.

فانظر إلىٰ هذه الشناعة التي جاءت في هذا الحديث، ينسب هذا القول إلىٰ النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويجيء في هذا القول أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مخلوق، فهذا قولٌ شنيع.

قال: **(وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا فِي دَفْعِ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وَتَقْلِيدِ رُوَاتِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِحِكَايَةٍ حَكَاهَا عَنْ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ).**

هذه شبهةٌ أخرىٰ، يتكلم فيها هذا المعارض عن حكم التقليد، عن حكم اتباع ما جاء عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من آثار وليس بتقليد، إنما هو اتباعٌ للنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعن حكم تقليد أئمة هذا الدين من السلف، فذكر حكايةً عن بشر المريسي.

(كَانَ بِشْرٌ يَحْكِيهَا عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، فَقَالَ مُعْجَبًا بِسُؤَالِهِ: سَأَلْتُ بِشْرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ عَنِ التَّقْلِيدِ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: حَرَامٌ مُحَرَّمٌ لِلْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ هَذَا الْعَالِمُ أَصْلَهُ وَمَعْرِفَتَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَإِنَّمَا التَّقْلِيدُ لِلْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

وَافْتَخَرَ الْمُعَارِضُ بِسُؤَالِ بِشْرٍ عَنْ هَذَا كَأَنَّهُ سَأَلَ عَنْهَا الْحَسَنَ، وَابْنَ سِيرِينَ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ عَنْهَا جهميًا جَاهِلًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُخَالِفًا لِلْإِجْمَاعِ، إِنْ أَخْطَأَ فَعَلَيْهِ خَطَؤُهُ، وَإِنْ أَصَابَ لَمْ يُلْتَفَتْ لِإِصَابَتِهِ، لِأَنَّهُ الْمَأْبُونُ).

المأبون يعني المعيب المطعون.

(فِي دِينِ اللهِ، الْمُتَّهَمُ علىٰ كتاب الله، الطاعن في سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-).

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القضاة ثلاثة: واحدٌ في الجنة، واثنان في النار»، فقضىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي لا يعلم الحق وقضىٰ بالحق أنه من أهل النار؛ لأنه ليس أهلًا للفُتيا والقضاء، فكذلك بشرٌ المريسي عندما يتكلم في دين الله؛ لأنه ليس من أهل الكلام في كتاب الله ولا سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَكَيْفَ تَسْتَفْتِي الْمَرِيسِيَّ، وَقَدْ رَوَيْتَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ هَمَّ بِأَخْذِهِ وَتَنْكِيلِهِ فِي هَذِهِ الضَّلَالَاتِ، حَتَّىٰ فَرَّ مِنْهُ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَإِنْ يَكُنْ مَا قَالَ بِشْرٌ حَقًّا فَبُؤْسًا لَكَ ولأصحابك الَّذين قَلَّدْتُمْ دِينكُمْ أَبَا حَنِيفَةَ، وَأَبَا يُوسُف، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ، فِي أَكْثَرِ مَا تُفْتُونَ).

لأن هؤلاء كانوا حنفية في المذهب الفقهي.

(فِي أَكْثَرِ مَا تُفْتُونَ مِمَّا لا تَقعُونَ مِنْ أَكْثَرِهِ عَلَىٰ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ عَلَىٰ الْعَالِمِ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَفْحَصَ عَنْ أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ).

هذه مسألةٌ مذكورة في كتب أصول الفقه وهي: حكم التقليد، فالأصل في التقليد أنه محرّم، وأنه كالميتة لا يُلجَأ إليه إلا عند الضرورة، لكن هل يجوز للعالم أن يقلد؟ هذا مما اختلف فيه أهل العلم، والصحيح أنه يجوز له أن يقلّد غيره من المجتهدين إذا نزلت به نازلة ولم يسعفه الوقت للنظر والبحث فيها، يعني عالمٌ من العلماء نزلت به نازلة، فتوىٰ ضرورية لا بد أن يفتي فيها، والوقت ضيقٌ جدًا، هل يجوز له أن يقلّد غيره من المجتهدين؟ يعني يتصل بعالم مجتهد ويسأله: يا شيخ فلان ما حكم هذه المسألة؛ لأنه لم يترجّح له شيء، هل يجوز له أن يفعل ذلك؟ نعم، يجوز له أن يفعل ذلك، فالمجتهد إذا غلب علىٰ ظنه رجحان حكمٍ فلا يجوز أن يقلّد غيره، طالما أنه ترجّح عنده الحكم لا يجوز له أن يقلد غيره؛ لأن اجتهاد غيره ليس أولىٰ من اجتهاده، هذا مجتهدٌ عنده آلة الاجتهاد، وهذا مجتهدٌ كذلك عنده آلة الاجتهاد، فما غلب علىٰ ظنه فهو الحكم الذي يجب عليه أن يأخذ به، لكن

إذا نزلت به نازلة، وضاق عليه الوقت قلّد غيره اتفاقًا، كما أشار إلىٰ ذلك الجويني والغزالي، والحق أن المسألة فيها خلاف، أن بعضهم منع التقليد، لكن الراجح أنه يجوز له أن يقلد غيره؛ لأنه بذل ما في وسعه.

ولذلك يقول الإمام الدارمي هاهنا: (غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ عَلَىٰ الْعَالِمِ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَفْحَصَ عَنْ أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ حَتَّىٰ يَعْقِلَهَا بِجَهْدِهِ مَا أَطَاقَ، فَإِذَا أَعْيَاهُ أَنْ يَعْقِلَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَرَأْيُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَأْيِ نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَلَا لَا يُقَلِّدَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ دِينَهُ رَجُلًا، إِنْ آمَنَ آمَنَ وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ، فَإِنْ كُنْتُم لابد فَاعِلِينَ فَالْأَمْوَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ").

وهذا أثرٌ مشهورٌ عن عبد الله بن مسعود، وهو أثرٌ صحيح.

قال: (وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا: "مَنْ عُرِضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ فَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِيمَا قَضَىٰ بِهِ الصالحون قبله").

وهناك آثارٌ كثيرةٌ عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرها ابن القيم في إعلام الموقعين بنفس هذا المعنىٰ، تنظر في كتاب الله، ثم في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بعد ذلك في ما جاء عن أئمة السلف وتجتهد رأيك، وهي بنفس معنىٰ الحديث المرفوع إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث معاذ: «**يا معاذ بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو**»، وهذا الحديث اختلف أهل العلم في تصحيحه وتضعيفه، وبعضهم ردّه من جهة المتن خاصة، يعني أكثر أسانيد هذا الحديث ضعيفة.

الشيخ الألباني ردّه من جهة المتن خاصة؛ لأنه ظهر له أن الحديث يفرّق بين الكتاب

والسنة، وأن المرء يجوز له أن ينظر في الكتاب بمعزلٍ عن السنة، وفي السنة بمعزلٍ عن الكتاب، قال: "وهذا خلاف الحق؛ لأن الكتاب لا يُفهم إلا عن طريق السنة" والذي صحّح الحديث وجّه الحديث غير هذه الوجهة، فقال: ما أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفرّق بين الكتاب والسنة، وإنما أراد أن يبيّن مراتب الأدلة، فأعلىٰ الأدلة مرتبة كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثم سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك السنة مستقلة؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضىٰ في أمور ليست موجودة في كتاب الله صراحةً.

قال: **(فَأَبَاحَ ابْنُ مَسْعُودٍ التَّقْلِيدَ لِلْأَمْوَاتِ، وَقَضَاءِ الصَّالِحِينَ عَلَىٰ التَّحَرِّي وَالِاحْتِيَاطِ، فَمَنْ هَذَا الْمَرِيسِيُّ الضَّالُّ الَّذِي يحْظُرُه عَلَىٰ الْأُمّة؟)**.

أي يحظر تقليد أئمة السلف.

(وَمن هُوَ حَتَّىٰ يُسْتَحَلَّ بِقَوْلِهِ شَيْءٌ أَوْ يُحَرَّمَ؟

وَقَالَ شُرَيْحٌ وَابْنُ سِيرِينَ: "لَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ").

وهذا وهمٌ من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأن الأثر بهذا اللفظ ليس من قول شريح ولا ابن سيرين، وإنما هو من قول ابن مسعود أيضًا كذلك، أخرجه اللالكائي في شرح السنة، والخطيب في الفقيه والمتفقه من طريق العلاء بن المسيّب عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر" فهو من قول ابن مسعود.

قال: **(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ)**.

وإذا ذُكر إبراهيم هكذا فهو إبراهيم النخعي.

قال: **(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "مَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، لَوْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ لم يغسلوا إِلَّا الظفر مَا**



جَاوَزْنَاهُ، كَفَىٰ إِزْراءً عَلَىٰ قَوْمٍ أَنْ نخَالفَ أَعْمَالَهُم").

وهذا سنده ضعيف.

قال: (فالِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ).

هو يستنكر ذلك.

(فالِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَىٰ الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَمَا مَوْضِعُ الِاتِّبَاعِ الَّذِي قَالَه اللهُ تَعَالَىٰ فِيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]؟).

لأن الله عَزَّوَجَلَّ قضىٰ بالرضوان للمهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة: ١١٩]، فالذي يتبع هؤلاء بإحسان فهذا متابعٌ لهم، وهذا هو التقليد إن جاز أن نسميه تقليد الذي مدحه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو استدلال طيب.

قال: (فالِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَىٰ الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَمَا مَوْضِعُ الِاتِّبَاعِ الَّذِي قَالَه اللهُ تَعَالَىٰ فِيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾؟، وَمَا يَصْنَعُ بِآثَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَا يَسَعَ الرَّجُلُ اسْتِعْمَالَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا اسْتَنْبَطَهُ بِعَقْلِهِ فِي خِلَافِ الْأَثَرِ؟ إِذَا بَطَلَتِ الْآثَارُ، وَذَهَبَتِ الْأَخْبَارُ، وَحَرُمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَلَزِمَ النَّاسُ الْمَعْقُولَ مِنْ كُفْرِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ مِنْ تفاسيرهم، فقد عرضنَا كَلَامهم علىٰ الْكتاب وَالسّنة فأخطأوا فِي أَكْثَرِهَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَلَمْ يُصِيبُوا السُّنَّةَ).

ثم قال: (حَدثنَا عبد الله صَالِحٍ الْمَصْرِيُّ، عَنِ الْهِقْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ: "مَا رَأْيُ امْرِئٍ فِي أَمْرٍ بَلَغَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اتِّباعه، ولولم يَكُنْ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فِيهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَانُوا أَوْلَىٰ فِيهِ بِالْحَقِّ مِنَّا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَثْنَىٰ عَلَىٰ

مَنْ بَعْدَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ: لَا، بَلْ نَعْرِضُهَا عَلَىٰ رَأْيِنَا فِي الْكِتَابِ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا صَدَّقْنَاهُ وَمَا خَالَفَهُ تَرَكْنَاهُ، وَتِلْكَ غَايَةُ كُلِّ مُحدِث فِي الْإِسْلَامِ: رَدُّ مَا خَالَفَ رَأْيَهُ من السّنة).

وهذا الأثر سنده فيه عبد الله بن صالحٍ المصري، وهو سيئ الحفظ، لكن هذه عادة أهل البدع، أنهم لا يلتفتون إلىٰ كتاب الله، ولا إلىٰ سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تفسير السلف للشرع، وإنما يعرضون كل ذلك علىٰ عقولهم.

قال: (وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: "لَا تُفْتِ النَّاسَ بِرَأْيِكَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: "رَأْيُنَا لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ آرَائِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ".

وَكَيْفَ تَسْأَلُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ بِشْرًا عَنِ التَّقْلِيدِ، وَهُوَ لَا يُقَلِّدُ دِينَهُ قَائِلَ الْقُرْآنِ وَمُنْزِلَهُ، وَلَا الرَّسُولَ الَّذِي جَاءَ بِهِ، حَتَّىٰ عَارَضَهُمَا فِي صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَكَلَامِهِ بِخِلَافِ مَا عَنَيَا، وَفَسَّرَ عَلَيْهِمَا بِرَأْيِهِ خِلَافَ مَا أَرَادَا؟

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنِّي سَأَلْتُ بِشْرًا الْمَرِيسِيَّ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]، فَقَالَ بِشْرٌ: كَوَّنَهُ كَمَا شَاءَ بِغَيْر كن).

يعني كوّن الأشياء كما شاء، لكن بغير كن؛ لأنه لو أثبت كن لأثبت الكلام لله، وأثبت صفة الكلام.

قال: (أَو مَا وَجَدْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَنْ رَأَيْت مِنَ الْمَشَايِخِ شَيْخًا أَرْشَدَ مِنْ بِشْرٍ؟).

(وَأَعْلَمَ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ بِشْرٍ الَّذِي كَفَرَ بِرَبٍّ قَالَ قَوْلًا لِشَيْءٍ قَطُّ: كُنْ فَكَانَ؟).

هكذا عندي، قال المحقق: لعل صواب العبارة: (الَّذِي كَفَرَ بِرَبٍّ مَا قَالَ لِشَيْءٍ قَطُّ: كُنْ إِلَّا كَانَ

قال: **(وَهَذَا الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِهِ الْمَعْرُوف فِي كُلِّ مِصْرٍ: أَنَّ اللهَ لَمْ يَتكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ قَطُّ، وَلَا يَتكَلَّمُ بِهَا قَطُّ)**.

فالله عنده وعند المعطلة لم يتكلم لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولن يتكلم يوم القيامة، هذا مذهب بشرٍ المريسي، فمذهبه المشهور في كل مصر:

(أَنَّ اللهَ لَمْ يَتكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ قَطُّ، وَلَا يَتكَلَّمُ بِهَا قَطُّ، فَسُؤَالُكَ بِشْرًا عَن هَذِه الْآيَة من بَيْن الْمَشَايِخِ دَلِيلٌ مِنْكَ عَلَىٰ الظِّنَّةِ وَالرِّيبَةِ الْقَدِيمَةِ، وَأَنَّكَ لَمْ تَسْأَلْهُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ ضَمِيرٍ مُتَقَدِّمٍ).

فالمفتون في دينه يبحث عن المفتون مثله حتىٰ يسأله؛ لأنه لو سأل مستقيمًا في دينه سنيًّا، متابعًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجاءه بما لا يسرّه، وإنما يبحث عن عالم ضلال، عن رجلٍ مفتونٍ في دينه ليؤيّد بدعته بهذا الفتوىٰ، سألت الشيخ فلان أو علّان، أو الداعية الفلاني، فأفتاني بكذا، بجواز كذا، أن هذا هو الأصل، فهكذا فعل هذا الرجل المعارض، لما بحث ما وجد إلا بشرّا ليسأله عن هذه الآية.

قال: **(أَفَلَا سَأَلْتَ عَنْهُ مَنْ أَدْرَكْتَ مِنَ الْمَشَايِخِ)**.

(مِثْلَ أَبِي عُبَيْدٍ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، وَنُظَرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالسُّنَّةِ؟! ثُمَّ ادَّعَيْتَ أَنَّ بِشْرًا قَالَ: مَعْنَاهُ أَن يكوِّنَهُ حَتَّىٰ يَكُونَ، أي: مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ يَقُولُ لَهُ: "كُنْ" وَلَكِنْ يُكَوِّنُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ.

ثُمَّ فَسَّرْتَ قَوْلَ بِشْرٍ هَذَا، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ عَنَىٰ بِذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً مِنْ "كُنْ" وَلَكِنِ اللهُ كَوَّنَهَا عَلَىٰ مَا أَرَادَ مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَّةٍ، وَلِلْكَلَامِ وُجُوهٌ بِزَعْمِكَ).

يريد بشرٌ أن الكلام يحتمل، والآية تحتمل هذا المعنىٰ.

(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدِ افْتَرَيْتُمَا علىٰ اللّهِ جَمِيعًا فِيمَا تَأَوَّلْتُمَا مِنْ ذَلِكَ، وَجَحَدْتُمَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إِذِ ادَّعَيْتُمَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تكون بقوله: "كن" وَلَكِن بُكَوِّنُه بِإِرَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ مِنه: "كُنْ"، وَهَذَا هُوَ الْجُحُودُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَمَعَ فِيهِ الْقَوْلَ وَالْإِرَادَةَ).

فالذي ذهب إليه المعارض أن ذلك كان بإرادة الله، والله عَزَّوَجَلَّ في الآية جمع بين القول والإرادة.

(فَقَالَ: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾، فَسَبَقَتِ الْإِرَادَةُ قَبْلَ "كُنْ"، ثُمَّ قَالَ: "كُنْ" فَكَانَ بِقَوْلِهِ وَإِرَادَتِهِ جَمِيعًا).

إذًا هو نظر إلىٰ سياق الآية، وبيّن له أن سياق الآية يرد ما تأوّله.

قال: (فَكَيْفِيَّةُ هَذَا كَمَا قَالَ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ إِنَّهُ إِذَا قَالَ كُنْ فَكَانَ، لَا مَا تَأَوَّلَهُ أَكْذَبُ الْكَاذِبِينَ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِمَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهَا إِلَىٰ تَفْسِير، وَلَا هِيَ من العويصِ الَّذِي يَجْهَلُهَا الْعَوَامُّ، فَكَيْفَ الْخَاصُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ؟

وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يُشْكِلُ عَلَىٰ رَجُلٍ رُزِقَ شَيْئًا مِنَ الْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ حَتَّىٰ يَسْأَلَ عَنْهُ مِثْلَ الْمَرِيسِيِّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَبَّه، فَكَيْفَ يَعْرِفُ قَوْلَهُ؟ وَإِنَّمَا امْتَنَعَ الْمَرِيسِيُّ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَنْ يُقِرُّوا بِهَذَا).

أن يقروا: أن الله قال: كن، لماذا امتنعوا عن ذلك؟

(أَنَّهُمْ قَالُوا: مَتىٰ أقررنا أَنا اللهَ قَالَ لِشَيْءٍ: كُنْ كَلَامًا مِنْهُ لَزِمَنَا أَنْ نُقِرَّ بِالْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنَّهُ نَفْسُ كَلَامِهِ، فَامْتَنَعُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ -فِي دَعْوَاهُمْ- لَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا الْمُعَارِضِ بِسُؤَالِ بِشْرٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَدِيمًا فِي شَبَابِهِ، وَقَدْ عُرِفَ مَذْهَبَ بِشْرٍ أَنَّهُ قَدْ اضْمَرَ هَذَا الرَّأْيَ فِي أَوَّلِ دَهْرِهِ وَلَيْسَ بِرَأْيٍ اسْتَحْدَثَهُ حَدِيثًا).

فهذا الذي نقرؤه يثبّت عندنا القاعدة التي تقول: إن كل مبتدعٍ يعتقد أولًا ثم يستدل، المبتدعة يعتقدون أولًا ثم يستدلّون، فإن جاء في الدليل ما يخالف اعتقادهم ردّوه، أو تأوّلوه، أو حرّفوه؛ لأن العقيدة الأولىٰ عند هؤلاء أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وأن كل تغيّرٍ واقعٍ فإنه يدل علىٰ حدوث صاحبه، فيسمّون الصفات الفعلية تغيّرًا يحلّ بذات الرب، فإذا أثبتنا هذه الصفات ومنها الكلام؛ لأنه يتكلم متىٰ شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا دليلٌ علىٰ مشابهته للمخلوق، ومن هنا نفوا كل الصفات الفعلية، للعقيدة الأولىٰ التي تشبّثوا بها وأخذوها من الجهم.

قال: (**وَرَوَىٰ أَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ**).

(«**قَالَ اللهُ: إِنَّ رَحْمَتِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، وَغَضَبِي كَلَامٌ، إِنَّمَا قَوْلِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُه أَنْ أَقُولَ لَهُ: كن فَيكون**»).

هذا الحديث ذكره الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ وليس من كلام المعارض، في معرض الحجة، لكن هذه الزيادة زيادةٌ منكرة، هذه الزيادة واردة في أشرف حديثٍ لأهل الشام، وهو حديث أبي ذر الذي يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**يا عبادي إني حرّمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا**» الحديث، في آخر الحديث، بعض روايات الحديث وهي عند الطبراني في المعجم الكبير، لكن هذه زيادة منكرة لا تصح، فيها أن الله قال: «**إن رحمتي كلام، وعذابي كلام، وغضبي كلام، إنما قولي لشيءٍ إذا أردتُه أن أقول له كن فيكون**»، فهذه الزيادة لا تصح من جهة الإسناد، وإن كان لها شاهد في كتاب الله، أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون.

قال: (**ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا مِثْلَهُ فِي قَول الله تَعَالَىٰ لعيسىٰ بن مَرْيَمَ: ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾، فَقَالَ: يَقُولُ أَهْلُ الْجُرْأَةِ فِي مَعْنَىٰ ﴿كَلِمَتُهُ﴾: أَيْ: بِكَلِمَتِهِ**).

ويعني بأهل الجرأة: أهل السنة والجماعة، يعني تجرؤوا علىٰ تفسير كتاب الله بما لا يصح، فأهل السنة يقولون في معنىٰ أن عيسىٰ كلمة الله أي: كان بكلمته، فلم يكن عيسىٰ هو الكلمة، وإنما كان بالكلمة، كما سيقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وروح الله أي: خلقٌ من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(فَقَالَ: يَقُولُ أَهْلُ الْجُرْأَةِ فِي مَعْنَىٰ ﴿كَلِمَتُهُ﴾: أَيْ: بِكَلِمَتِهِ، وَإِنْ سُئلوا عَنِ الْمَخْرَجِ مِنْهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)**.

يعني كيف فسرتم ﴿كَلِمَتُهُ﴾ بكلمته؟ قال: لا يستطيعون جوابًا عن ذلك.

(وَتَأَوَّلُوا عَلَىٰ اللهِ بِرَأْيِهِمْ، فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَوَ يَحْتَاجُ فِي هَذَا إِلَىٰ تَفْسِيرٍ وَمَخْرَجٍ؟ قد عقل تَفْسِيرَهُ عَامَّةُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وَحتَىٰ لا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، لا يَكُونُ، فَإِذَا قَالَ: ﴿كُنْ﴾ كَانَ، فَهَذَا الْمَخْرَجُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ بِإِرَادَتِهِ وَبِكَلِمَتِهِ، لا أَنَّهُ نَفْسُ الْكَلِمَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ).

وهذه عقيدة النصارىٰ؛ لأنهم يجعلون عيسىٰ نفس الكلمة التي خرجت من الله فحلّت في بطن مريم فكان عيسىٰ، فعيسىٰ ابن الله، عيسىٰ كلمة الله، هذه عقيدتهم، وأهل السنة يقولون: إن عيسىٰ كان بالكلمة، ولم يكن هو الكلمة، وهذه الكلمة قالها الإمام الدارمي هاهنا، قال:

(فالْمَخْرَجُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ بِإِرَادَتِهِ وَبِكَلِمَتِهِ، لا أَنَّهُ نَفْسُ الْكَلِمَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَلَكِنْ بِالْكَلِمَةِ كَانَ، فَالْكَلِمَةُ مِنَ اللهِ ﴿كُنْ﴾ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَالْكَائِنُ بِهَا مَخْلُوقٌ).

وهذه الجملة اشتُهرت عن شيخ الإسلام ابن تيمية، فكل من يذكر هذه الجملة، أن عيسىٰ كان بالكلمة، ولم يكن هو الكلمة يقول: قال شيخ الإسلام ابن تيمية، والذي قالها في الأصل الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي قالها هاهنا، ولعلها وردت عن بعض السلف في تفسيرهم كمجاهد أو قتادة، أو ابن عباس.

قال: (وَقَوْلُ اللهِ فِي عِيسَىٰ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَبَيْنَ الرُّوحِ وَالْكَلِمَةِ فَرْقٌ فِي الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ الَّذِي نَفَخَ فِيهَا مَخْلُوقٌ).

الروح مخلوقٌ.

(امْتَزَجَ بِخَلْقِه).

امتزج بمريم.

(وَالْكَلِمَةُ مِنَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ لَمْ تَمْتَزِجْ بِعِيسَىٰ، وَلَكِنْ كَانَ بِهَا، وَإِنْ كَرِهَ لِأَنَّهَا مِنَ اللهِ أَمْرٌ، فَعَلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ قُلْنَا، لا عَلَىٰ مَا ادَّعَيْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْكَذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ).

الإضافة في الروح إضافة تشريف من إضافة المخلوق إلىٰ الخالق.

قال: (ثُمَّ عَادَ الْمُعَارِضُ أَيْضًا إِلَىٰ إِنْكَارِ مَا عَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، فَادَّعَىٰ أَنَّ الْمَجِيءَ وَالِانْتِقَالَ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ صِفَةُ الْمَخْلُوقِ، وَاللهُ يَأْتِي فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ فَنُثْبِتُ الظُّلَلَ وَمَجِيئَهَا؛ لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، فَقَالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠]، يَعْنِي يَأْتِيهِمْ أَمْرُهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، عَلَىٰ إِضْمَارِ ﴿أَمْرِهِ﴾).

هكذا فسّرها المعارض، كما ينزل ربنا ينزل أمره، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاءت الملائكة، أو جاء أمر ربك، أو جاء قضاء ربك يوم القيامة، فهكذا فسّر الآية.

(﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠] يَعْنِي يَأْتِيهِمْ أَمْرُهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، عَلَىٰ إِضْمَارِ ﴿أَمْرِهِ﴾).

قال: (كَمَا قَالَ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[يوسف:٨٢]، يُرِيدُ: أَهْلَ الْعِيرِ بِإِضْمَارِ الْأَهْلِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ

الْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠] بِإِضْمَارِ أَمْرِهِ، وَكَذَلِكَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، يُرِيدُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الصُّفُوفُ دونه جايئُونَ بأَمْره، فَفَسَّرُوا: جَاءَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا صَفًّا وَرَبُّكَ فِيهِمْ مُدَبِّرٌ مُحْكِمٌ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[النحل:٣٣]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ ربُكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، فبيَّن الْأَمْرَ هَا هُنَا وَأَضْمَرَهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ).

يعني فسَّر كل هذه الآيات بأن الذي يأتي هو أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَى لماذا فسّر كل ذلك بأنه أمر الله؟ لأنه لو أثبت مجيء الله تَبَارَكَوَتَعَالَى لأثبت الصفة الفعلية لله، وهذا يدل علىٰ الحدوث والتغيّر، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، شابه المخلوقين، ثم إن هذا ينقض الأصل العظيم الذي اعتمدوا عليه في إثبات حدوث العالم وقِدم الله؛ فبهذا فرّقوا بين الله تَبَارَكَوَتَعَالَى وبين حدوث العالم؟ عن طريق الجواهر والأعراض والمتغيّرات، أثبتوا حدوث العالم بما يحدث فيه من تغيّر، والأعراض: كالحركة، والسكون، فقالوا: هذا دليلٌ علىٰ حدوثه، طيب، وما خلا من هذه الحوادث فهو قديم، وبناءً عليه ماذا صنعوا؟ نفوا عن الله كل صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لأن نفي الصفات عندهم يقوم علىٰ أصلين: إما المشابهة، وإما... هو أصلٌ واحد: مشابهة الحوادث، فإذا أثبتنا له سمعًا وبصرًا ويدًا شابه المخلوقين، تُنفىٰ، إذا أثبتنا له مجيئًا ونزولًا وكلامًا شابه المخلوقين، فنفوا الصفات الذاتية والصفات الفعلية، فصاروا يعبدون عدمًا، كل هذا مردُّه إلىٰ هذا الأصل الفاسد الذي لا يدل عليه لا كتاب ولا سنة.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُفْتَرِي عَلَىٰ اللهِ: قَدْ فَسَّرْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ خِلَافِ مَا عَنَىٰ اللّهُ وَفَسَّرَهَا رَسُولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَعَلَىٰ خِلَافِ مَا فَسَّرَهَا أَصْحَابُهُ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ- فَقَدْ رَوَيْنَا تَفْسِيرَهَا عَنْهُمْ فِي صَدْرِ ذَا الْكتاب بأسانديها الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ، عَلَىٰ خِلَافِ مَا فَسَّرْتَ وادَّعيت عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُفَسِّرِينَ، فَمَنْ مُفَسِّرُوك؟).

مَن استفهامية.

(فَمَنْ مُفَسِّرُوكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَحْكِي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِيهَا كَذَا، وَقَالَ آخَرُونَ فِيهَا كَذَا؟ فَمَنْ هَؤُلَاءِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ؟).

مجاهيل، فلا الأول معروف ولا الأخير معروف.

(فَاكْشِفْ عَنْ رؤوسهم وسمِّهم بِأَسْمَائِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَكْشِفُ إِلَّا عَنْ زِنْدِيقٍ، أَوْ جَهْمِيٍّ، لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلَا يُحْكَم لَكَ بِتَفْسِيرِ هَؤُلَاءِ الْمُعَنْعِنِينَ عَلَىٰ تَفْسِيرِ هَؤُلَاءِ الْمَكْشُوفِينَ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ، أَصْحَابُ التَّفْسِيرِ مَعْرُوفُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ، مِثْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابت، وأُبي ابْن كَعْبٍ، وَنُظَرَائِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمِنَ التَّابِعِينَ مِثْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ، وَغَيْرِهِمْ، فَعَنْ أَيِّهِمْ تَحْكِي هَذِهِ التَّفَاسِيرَ الَّتِي تَرْوِيهَا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ فإِنَّا لَمَّا وَجَدْنَاهُمْ مُخَالِفِينَ لِمَا ادَّعَيْتَ عَلَىٰ اللهِ فِي كِتَابِهِ أَتَيْنَاكَ بِهَا عَنْهُمْ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ مَنْصُوصَةً مُفَسَّرَةً).

قال: (فَعَمَّنْ تَرْوِي هَذِهِ الضَّلَالَاتِ وَإِلَىٰ مَنْ تُسْنِدُهَا؟ فَصَرِّحْ بِهِمْ كَمَا صَرَّحْتَ بِبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ وَابْنِ الثَّلْجِيِّ، وَمَا نَرَاكَ صَرَّحْتَ بِبِشْرٍ وَابْنِ الثَّلْجِيِّ وَكَنَيْتَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُفَسِّرِينَ إِلَّا وَأَنَّهُمْ أَسْوَأُ مَنْزِلَةً عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَأَشَدُّ ظِنَّةً فِي الدِّينِ مِنْهُمَا، لَوْلَا ذَلِكَ لَكَشَفْتَ عَنْهُمْ كَمَا كَشَفْتَ عَنْ بِشْرٍ، وَقَدْ فَسَّرْنَا لَكَ أَمْرَ إِتْيَانِ اللهِ وَمَجِيئِهِ وَالْمَلَكِ صَفًّا صَفًّا فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ لَمْ نُحِبَّ أَنْ نعيده هاهُنَا فَيَطُولُ الْكِتَابُ.

وَأَمَّا مَا ادَّعيت من انْتِقَال اللّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ أَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّا لَا نُكَيِّفُ مَجِيئَهُ وَإِتْيَانَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ النَّاطِقُ مِنْ كِتَابِهِ، ثُمَّ مَا وَصَفَ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

لهم شبهة في ذلك، آية من كتاب الله، ذكرناها قبل ذلك، هذه الشبهة نفوا بها كل صفات

الله الفعلية، ومنها هذه الصفة التي سماها المصنف بالحركة والانتقال من مكان إلىٰ مكان.

يقولون: هذه طريقة أبي الأنبياء إبراهيم في إثبات الصانع أنه نفىٰ الصفات الفعلية عن الله، سورة الأنعام، ماذا قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ لسان إبراهيم لما كان مناظرًا لا ناظرًا؟ قال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ عن الكوكب والقمر والشمس، قال: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[الأنعام: ٧٦]، ما معنىٰ الأفول؟ هم قالوا: الأفول بمعنىٰ الحركة، فدليل حدوث هذه الآلهة أنها تتحرك، فمعنىٰ ذلك أن الإله الحق لا يتحرك، فقالوا: هذه طريقة إبراهيم، وهذا كلام لا يقرّه لا اللغة، ولا العقل، ولا سياق الآية؛ لأن إبراهيم لما احتجّ عليهم -هكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- إبراهيم لما احتجّ عليهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ أن هذا هو الرب كانت هذه المُشار إليها من كوكب وقمر وشمس تتحرك، يعني لمّا احتج عليهم أن القمر هو الرب، وأن الشمس هي الرب، والكوكب، هذه كانت تتحرك أم كانت ثابتة؟ كانت سيّارة تتحرك، فليس معناها الحركة، وإنما المعنىٰ أنها تغيب وتزول، فهذا دليلهم الذي أخذوه من كتاب الله، بل يقولون: إن إبراهيم استخدم هذه الطريقة في إثبات الصانع، فكذبوا علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فقال: **(وَأَمَّا مَا ادَّعيت من انْتِقَال اللّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ أَنَّ ذَلِك صِفَةُ الْمَخْلُوقِين، فَإِنَّا لا نُكَيِّفُ مَجِيئَهُ وَإِتْيَانَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَصفَ النَّاطِقُ مِنْ كِتَابِهِ، ثُمَّ مَا وَصَفَ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**.

فالإمام الدارمي يضع لنا قاعدة: إثبات المعنىٰ وتفويض الكيف؛ لأنه قال: **(فَإِنَّا لا نُكَيِّفُ مَجِيئَهُ وَإِتْيَانَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَصفَ النَّاطِقُ مِنْ كِتَابِهِ، ثُمَّ مَا وَصَفَ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِهَا: أَنَّ السَّمَاءَ تَشَقَّقُ لِمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَتَنَزَّلُ مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَفِيكُمْ رَبُّنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، وَهُوَ آتٍ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ دُونِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادِهِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكتاب، وَهُوَ**

مُكَذِّبٌ لِدَعْوَاكَ أَنَّهُ إِتْيَانُ الْمَلَائِكَةِ بِأَمْرِهِ، دُونَ مَجِيئِهِ، لَكِنَّهُ فِيهِمْ مدبِّر بِزَعْمِك، وَيْلَكَ! لَوْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ هِيَ الَّتِي تَجِيءُ وَتَأْتِي بِزَعْمِك دُونَهُ مَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: "لَمْ يأتِ رَبُّنَا وَهُوَ آتٍ"، وَالْمَلَائِكَةُ آتِيَةٌ نَازِلَةٌ، حِينَ يَقُولُونَ ذَلِك.

أَرَأَيْتُم دَعْوَاكُمْ أَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَوَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ الْمَاءِ؟ فَكَيْفَ صَارَ بَعْدُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي دَعْوَاكُمْ؟ وَفِي دَعْوَانَا اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ دُونَ الْأَرْضِ؟ فَكَمَا قَدَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَجِيءَ وَيَأْتِي مَتَىٰ شَاءَ، وَكَيْفَمَا شَاءَ.

أَرَأَيْتَكَ إِذْ فَسَّرْتَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ فَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ أَضْمَرَ فِي ذَلِكَ أَمْرَهُ كَمَا أَضْمَرَ فِي الْقَرْيَةِ وَالْعِير أَهلهَا، أَوَ لست قَدِ ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ أَنْ لَا يُوصَفَ بِالضَّمِيرِ؛ فإِنَّ الضَّمِيرَ مَنِفِيٌّ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِشَيءٍ هُوَ عَنْهُ مَنْفِيٌّ فَهُوَ الْكَافِرُ عِنْدَكَ).

فلو وصفتَ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالضمير (هو) هذا كفرٌ عند المعارض، ثم هو نفسه هنا يقول: إن هذا فيه إضمارًا، وفيه إشارة إلىٰ الله، فيقول القول في موضع وينقضه في موضعٍ آخر.

قال: (فَكَيْفَ نَفَيْتَ عَنْهُ هَذَا الضَّمِيرِ هُنَاكَ، وأَثْبَتّه لَهُ هَهُنَا؟ أَوَلَمْ تَخْشَ عَلَىٰ نَفْسِكَ مَا تَخَوَّفْتَ عَلَىٰ غَيْرِكَ مِنَ الْكُفْرِ؟ وَلَكِنَّكَ تَدَّعِي الشَّيْءَ فَتَنْسَاهُ حَتَّىٰ تَدَّعِيَ بعدُ خِلَافَهُ، فَيُأْخَذ بِحَلْقِكَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّكَ تَكَلَّمْتَ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ بِالْخُرَافِ، وَأَنْتَ آمِنٌ مِنَ الْجَوَابِ.

وَادَّعَيْتَ أَيْضًا أَنَّ الزَّنَادِقَةَ قَدْ وَضَعُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْحَدِيثِ رَوَّجُوهَا عَلَىٰ رُوَاةِ الْحَدِيثِ، وَأَهل الْغَفْلَة مِنْهُم، فيُقال لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: مَا أَقَلَّ بَصَرَكَ بِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَجَهَابِذَتِهِ! لَوْ وَضَعَتِ الزَّنَادِقَةُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ).

(عَلَىٰ رسُولِ اللّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَا تَروجُ لَهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَصَرِ بِالْحَدِيثِ مِنْهَا حَدِيثٌ

وَاحِدٌ، وَلَا تَقْدِيمُ كَلِمَةٍ، وَلَا تَأْخِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُ إِسْنَادٍ مَكَانَ إِسْنَادٍ، وَلَوْ قَدْ صَحَّفُوا عَلَيْهِمْ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ لَاسْتَبَانَ ذَلِكَ عِنْدهم، ورُدَّ فِي نحورهم).

وهذا له شواهد كثيرة عن أئمة الحديث، أنهم كانوا يقفون علىٰ الحرف.

قال: (وَيْلَكَ! هَؤُلَاءِ يَنْتَقِدُونَ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ بتَقْدِيم رَجُلٍ مِنْ تَأْخِيرِهِ، وَتَقْدِيمَ كَلِمَةٍ مِنْ تَأْخِيرِهَا، وَيُحْصُونَ عَلَيْهِمْ أَغَالِيطَهُمْ وَمُدَلَّسَاتِهِمْ، أَفَيَجُوزُ لِلزَّنَادِقَةِ عَلَيْهِمْ تَدْلِيسٌ؟ إِذْ هُمْ فِي الْغَفْلَةِ مِثْلُ زُعَمَائِكَ هَؤُلَاءِ ضَرْبُ الْمَرِيسِيِّ وَنُظَرَائِهِ، إِذْ هُمْ دَلَّسُوا عَلَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ اللهَ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ"؟ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ فَهُوَ هَذَا؛ لِأَنَّ فِيهِ تَعْطِيلَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لِأَنَّ شَيْئًا لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ فَهُوَ لَا شَيْءَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الزَّنَادِقَةِ).

ولذلك الجهم بن صفوان غالَىٰ جدًا في نفي صفات الله حتىٰ إنه منع أن يُطلق علىٰ الله شيء؛ أما الأسماء والصفات فكلها منفية معطلة عنده، وكذلك الإخبار عن الله بأنه شيء، فمنعه كذلك حتىٰ لا يشبه الأشياء، فأخذوا هذه كذلك عنه.

فهنا يقول الإمام الدارمي: (فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ فَهُوَ هَذَا؛ لِأَنَّ فِيهِ تَعْطِيلَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لِأَنَّ شَيْئًا لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ).

هو يقول: لا يُخبر عن الله بأنه شيء، ولو أخبرنا عنه بأنه شيء فإنه لا صفة له ولا اسم، فالدارمي يقول: شيءٌ لا يُدرك بشيءٍ من الحواس، هذا عدم.

(لِأَنَّ شَيْئًا لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَوَاسِّ فَهُوَ لَا شَيْءَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الزَّنَادِقَةِ فَقَدْ رَوَّجُوهُ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾).

كل هذه الأدلة ذكرها قبل ذلك.

قال: (فَأَخْبَرَ أَنَّ مُوسَىٰ أَدْرَكَهُ مِنْهُ الْكَلَامُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْحَوَاسِّ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يُدْرِكُونَ مِنْهُ بالحَوَاسِ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وَالنَّظَرَ أحد الْحَواس، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة:١٧٤]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُؤْمِنِينَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رَوَاهُ عَنْهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَلْ مِنْ حَوَاسٍّ أَبْيَنَ مِنَ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ؟ فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ هَذَا مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ رَوَّجُوهُ عَلَىٰ الْمَرِيسِيِّ وَتُرَوِّجُهُ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَلَىٰ مَنْ حَوَالَيْكَ مِنَ الْجُهَّالِ، وَمَا أَخَالُكَ).

يعني ما أظنك.

(إِلَّا وَسَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلزَّنَادِقَةِ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ تَدْلِيسٌ، غَيْرَ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُهَجِّنَ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ).

الهُجنة -بالضم- من الكلام: ما يعيبه، وفي العلم إضاعته، والتهجين: التقبيح، يعني تريد أن تعيب العلم وأهله.

(وَتُزْرِي بِهِمْ مِنْ أَعْيُنِ مَنْ حَوَالَيْكَ مِنَ السُّفَهَاءِ، بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَيْمَا يَرْتَابَ فِيهَا جَاهِلٌ فَيَرَاكَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ، فَدُونَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فَأَوْجِدْنَا عَشَرَةَ أَحَادِيثَ دَلَّسُوهَا علىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ، كَمَا أَوْجَدْنَاكَ مِمَّا دلسوا علىٰ إمامك المريسي، أَوْ جَرِّبْ أَنْتَ فَدَلِّسْ عَلَيْهِمْ مِنْهَا عَشَرَةً، حَتَّىٰ تَرَاهُمْ كَيْفَ يَرُدُّونَهَا فِي نَحْرِكَ.

وَكَيْفَ دَلَّسَ الزَّنَادِقَةُ عَلَىٰ أَهْلِ الْحَدِيثِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَلَمْ يَبْلُغْ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ، بِغَيْرِ تِكْرَارٍ إِنْ شَاءَ اللهُ؟ إِذًا رِوَايَاتُهُمْ كُلُّهَا مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ فِي دَعْوَاكَ).

أراد الإمام أنَّ كل ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تكرار لا يبلغ اثني عشر ألف

حديث، فإذا كان الزنادقة روّجوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا العدد فمعنىٰ ذلك أن كل حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذب وموضوعًا، وهذا سمعناه من بعضهم، يعني قال: لم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال حديثين أو ثلاثة أو أربعة، والباقي أحاديث مكذوبة... كل ما في البخاري ومسلم أحاديث موضوعة مكذوبة، ألّفها جُمعة محمد! مَنْ جمعة محمد هذا؟ يقول: من كُتب اسمه علىٰ صحيح البخاري إيه! فقرأها: جُمْعه محمد بن إسماعيل، وهي جَمَعَهُ وليست جُمْعة، وهذا من البلاء الذي ابتليت به الأمة هذه الأيام.

قال: (وَرَوَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَنْ حَرِيز بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ شَبِيبٍ أَبِي رَوْحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»).

وهذا الحديث صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون هذه الزيادة الأخيرة، وهي زيادةٌ مُنكَرة، وهي: «وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»، ومضت هذه الزيادة ووجّهناها، كيف وجّهناها، أو كيف وجّهها الشيخ ابن عثيمين وغيره من أهل العلم؟ نقرأ كلام الدارمي أولا، حتىٰ يتسنىٰ لكم تذكُّر ما قرره مشايخنا من قبل.

قال: (وَرَوَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَنْ حَرِيز بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ شَبِيبٍ أَبِي رَوْحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»، فَقُلْتَ كَالْمُنْكِرِ لِهَذَا: تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا نَحَلَهُ الْمُبْطِلُونَ بِأَنَّ ذَلِكَ نَفَسٌ يَخْرُجُ مِنْ جَوْفٍ، فَمِمَّنْ سَمِعْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ هَذَا نَفَسٌ يَخْرُجُ من جَوْفِ اللَّهِ تَعَالَىٰ؟ وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ مَعْقُولُ الْمَعْنَىٰ، جَهِلْتَ مَعْنَاهُ، فَصَرَفْتَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّا لَمْ نَرَ أَحَدًا يَقُولُهُ، أَوْ يَذْهَبُ إِلَيْهِ، إِنَّمَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى الرَّوْحِ).

ما معنىٰ الرَّوْح؟ فرق بين الرُّوح والرَّوْح، الرَّوْح يعني الرحمة ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ

اللهِ﴾[يوسف: ٨٧]، أي: من رحمة الله.

(فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ الرَّوْحِ الَّذِي يَأْتِي بِهَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّ مَهَبَّ الرِّيحِ والرَّوْحِ مِنْ هُنَاكَ مِنْ عِنْدِهِمْ، فأمَّا أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ: هُوَ نَفَسٌ يَخْرُجُ مِنْ جَوْفِ الرَّحْمَنِ، فَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَقُولُهُ قَبْلَكَ، وَأَدْنَىٰ مَا عَلَيْك فِيهِ الْكَذِبِ أَنْ تَرْمِيَ بِهِ قَوْمًا مُشَنِّعًا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُثْبِتَهُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»، أَيْ: أَنَّهُ جَاءَ من قِبَلِ مَكَّة).

جاء كلام كثير لأهل العلم في تفسير هذا الحديث، وهل مازال هذا الأمر موجودًا في أهل اليمن أم أن ذلك كان مخصوصًا بأمرٍ قاله النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يعني هل فعلًا إلىٰ الآن الحكمة يمانية موجودة عند أهل اليمن؟ لأن إنسانًا قد يعترض عليك ويقول: ونحن نرىٰ الآن ما يحدث في اليمن من اضطرابات، وخلافات... وحقًّا عندما تتعامل مع بعض اليمنيين تجد صعوبة في التعامل معهم، فهل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن ذلك أمرٌ كائنٌ إلىٰ يوم القيامة؟ أم أن هذه واقعة عين قالها النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يقصد أمرًا معينًا؟ قبل أن ننقل كلام أهل العلم، كيف نوجّه هذه الزيادة، الشيخ قال إن «أجد نفس الرحمن» يعني رَوْح الرحمن، يعني رحمة الرحمن، صحيح؟ كيف وجّهها من جهة اللغة؟

أنا أتكلم علىٰ هذه اللفظة: «أجد نفس الرحمن»، التنفيس، أحسنت، النفس هاهنا تنفيس، فعبّر باسم المصدر عن المصدر؛ لأن نفس تنفيسًا، المصدر تنفيسًا، زي ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، المصدر كلامًا، فعبّر باسم المصدر تكليمًا، فمعنىٰ هذه الزيادة: «أجد نفس الرحمن»، يعني أجد تنفيس الرحمن، فالمقصود بالتنفيس يعني الرحمة والتفريج.

كما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جهنم أعاذنا الله وإياكم منها «فأذن الله لها بنفسين»، يعني

تنفيسين، أراد التخفيف.

فلماذا قال الإمام الدارمي أن النفس هنا بمعنىٰ الرحمة والروح؟ لأن النفس هنا التنفيس، المقصود به التنفيس، وعلىٰ هذا حمله من أثبته من أهل العلم.

معنىٰ قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: "الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية"

فما معنىٰ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية**»؟ نقرأ كلام الحافظ بن حجر فقط:

أولًا: قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية**»: "وإنما يعني صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أتاكم أهل اليمن**» أي: أهل تهامة؛ لأن مكة يمن، فكان يتكلم عن مكة، وهي تهامية، وهو قوله: «**الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية**»".

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله: أشار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده نحو اليمن فقال: «**الإيمان**» الحديث، قال: "فيه تعقُّبٌ علىٰ من زعم أن المراد بقوله: «**يمانٍ**» الأنصار؛ لأن هناك من حمل الحديث علىٰ الأنصار"، لأن الأنصار أصلهم من اليمن، فحمل الحديث علىٰ الأنصار الموجودين في المدينة، مع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار جهة اليمن، قال: "لكون أصلهم من أهل اليمن؛ لأن في إشارته إلىٰ جهة اليمن ما يدل علىٰ أن المراد بها أهلها حينئذٍ، لا الذين كان أصلهم منها، وسبب الثناء علىٰ أهل اليمن: إسراعهم إلىٰ الإيمان وقبولهم".

إذًا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتحدث عمّا وقع من أهل اليمن في زمانه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"وسبب الثناء علىٰ أهل اليمن: إسراعهم إلىٰ الإيمان وقبولهم، وقد تقدّم قبولهم البشرىٰ حين لم قبلها بنو تميم في أول بدء الخلق"، لما ذكر أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الحديث عن

النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضلّت راحلته فخرج في إثرها، وندم بعد ذلك أن ترك سماع الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاملًا.

وقال الحافظ كذلك رَحِمَهُ اللَّهُ: "تقدم شرح سائر ذلك في أول المناقب وفي بدء الخلق، وأشرتُ هنالك إلى أن الرواية التي فيها «**أتاكم أهل اليمن**» ترد قول من قال: إن المراد بقوله: «**الإيمان يمانٍ**» الأنصار".

وقد ذكر ابن الصلاح قول أبي عبيد وغيره إن معنى قوله: «الإيمان يمانٍ»: أن مبدأ الإيمان من مكة؛ لأن مكة من تهامة، وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة؛ لأن هذا الكلام صدر وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبوك، فتكون المدينة حينئذٍ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية.

والقول الثالث اختاره أبو عبيد: أن المراد بذلك الأنصار؛ لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، قال ابن الصلاح: "ولو تأملوا ألفاظ الحديث لما احتاجوا إلى هذا التأويل؛ لأن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتاكم أهل اليمن**» خطابٌ للناس ومنهم الأنصار، فيتعيّن أن الذين جاؤوا غيرهم.

قال: "ومعنى الحديث وصف الذين جاؤوا بقوة الإيمان وكماله، ولا مفهوم له"، أراد أنه لا يعني أن غيرهم ليسوا كذلك، فهذا المراد بالمفهوم، وهو مفهوم المخالفة، ويسمى دليل الخطاب كذلك.

قال: "ثم المراد الموجودون حينئذٍ منهم، لا كل أهل اليمن في كل زمان" انتهى كلام الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال المحقق -وهو يماني- قال: "ولا مانع أن يكون المراد بقوله: «**الإيمان يمانٍ**» ما هو أعم من ذلك، مما ذكره أبو عبيد، وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله: «**يمان**»

يشمل من يُنسب إلىٰ اليمن بالسُكنىٰ وبالقبيلة، لكن كون المراد به من يُنسب بالسكنىٰ أظهر، بل هو المُشاهد في كل عصرٍ من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن"، لا يعني اليمن وحدها، لكن كل من يوجد من جهة اليمن "غالب من يوجد من جهة اليمن رِقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان" انتهىٰ النقل من فتح الباري.

قال: (وادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا أَنَّ الْمُقْرِئ حَدَّثَ عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ، عَن أبي يُونُسَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿سَمِيْعًا بَصِيرًا﴾ فَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عينِه»).

والجهم وأتباعه يقولون: ثلاثةٌ كانوا مشبّهة من الأنبياء!

من الذي فعل ذلك؟ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهم وأتباعه يقولون: ثلاثةٌ كانوا مشبّهة من الأنبياء: موسىٰ، وإبراهيم، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!! أما موسىٰ فحين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٣]، وأما محمد فحين قرأ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا﴾[النساء: ٥٨] ووضع إبهامه والسباحة علىٰ أذنه وعلىٰ عينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما إبراهيم فلما قال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ وأشار إلىٰ الكوكب، فاتهموا ثلاثة من الأنبياء بأنهم كانوا مشبّهة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا الحديث الذي معنا حديثٌ ثابتٌ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث صحيح.

قال: (وَقَدْ عَرَفْنَا هَذَا مِنْ رِوَايَةِ الْمُقْرِي وَغَيْرِهِ كَمَا رَوَىٰ الْمُعَارِضُ، غَيْرَ أَنَّهُ ادَّعَىٰ أَنَّ بَعْضَ كَتَبَةِ الْحَدِيثِ ثَبَّتُوا بِهِ بَصَرًا بِعَيْنٍ كَعَيْنٍ، وَسَمْعًا كَسَمْعٍ جَارِحًا مُرَكَّبًا.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا دَعْوَاكَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ ثَبَّتُوا لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا فقد صدقت).

فالله له السمع والبصر.



(وأَمَّا دَعْوَاكَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ كَعَيْنٍ وكسمع).

يعني كعين المخلوق وسمع المخلوق.

(فَإِنه كَذِبٌ ادَّعيت عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا كَصِفَاتِهِ صِفَةٌ، وَأَمَّا دَعْوَاك أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: جَارِحٌ مُرَكَّبٌ فَهَذَا كُفْرٌ، لَا يَقُولُهُ أحد من الْمُسلمين، وَلَكنَّا نُثْبِتُ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْعَيْنَ بِلَا تَكْيِيفٍ، كَمَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِيمَا أنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ الرَّسُول ﷺ وَهَذَا الَّذِي تُكَرِّرُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ جَارِحٌ، وَعُضْوٌ وَمَا أَشْبَهَهُ، حَشْوٌ وَخُرَافَاتٌ، وَتَشْنِيعٌ، لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ رَوَيْنَا رِوَايَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعَيْنِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ بِأَسَانِيدِهَا وَأَلْفَاظِهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَعْنِي بِهَا كَمَا عَنَىٰ، وَالتَّكْيِيفُ عَنَّا مَرْفُوعٌ، وَذِكْرُ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ تكلّف مِنْك، وتَشْنِيع).

لأن هذه ألفاظ مجملة، يقال لمن قالها: ماذا تعني بهذه الألفاظ؟ جارحة، عضو، جسم، إن عنىٰ بها إثبات الصفات نقول: هذا حق من جهة المعنىٰ، لكن اللفظ يُرد، وإن عنىٰ بها مشابهة المخلوق فيُرد اللفظ والمعنىٰ.

قال: (وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ رَوَىٰ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْطَأَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَنْ تقرَّبوا إِلَىٰ اللهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ» يَعْنِي الْقُرْآنَ).

وهذا حديثٌ مرسل؛ لأن جبيرًا لم يدرك النبي ﷺ.

(فادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ الثَّلْجِيَّ قَالَ فِي هَذَا مِنْ كِتَابٍ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ الثَّلْجِيِّ).

ما أدقَه من جهمي معطل! يقول إن هناك واسطة بينه وبين الثلجي فلم يسمع ذلك مباشرة من الثلجي.

(قَالَ: ذَهَبَتِ الْمُشَبِّهَةُ فِي هَذَا إِلَىٰ مَا يَعْقِلُونَ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْجَوْفِ، فَنَاقَضُوا إِذْ صَحَّحُوا أَنَّهُ الصَّمْدُ).

أراد بالمشبهة أهل السنة، وهذا التفسير وارد عن السلف، الصمد: الذي لا جوف له.

(وَالصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، فَاحْتَمَلَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهُ أَيْ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ مِنْهُ، كَمَا يُقال: خَرَجَ لَنَا مِنْ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْخَيْرِ، وَخَرَجَ الْعَطَاءُ مِنْ قِبَلِهِ، لَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ.

فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ وَلِإِمَامِهِ الثَّلْجِيِّ: قَدْ فَهِمْنَا مُرَادَكَ، إِنَّمَا تُرِيدُ نَفْيَ الْكَلَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ مُشَنِّعًا بِذِكْرِ الْجَوْفِ، فَأَمَّا خُرُوجُهُ مِنَ اللهِ فَلَا يَشُكُّ فِيهِ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ كَلَامَهُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَخْرُجُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ لَا مَحَالَةَ، وَأَمَّا أَنْ نَصِفَهُ بِالْجَوْفِ كَمَا ادَّعَيْتَ عَلَيْنَا زُورًا فإِنَّا نُجِلُّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْمُتَعَالِي عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، كَمَا قَالَ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا كَخُرُوجِ عَطَاءِ الرَّجُلِ مِنْ قِبَلِهِ، فَقَدْ أقرَّ بِأَنَّهُ كَلَامُ غَيْرِهِ وَكَلَامه غَيْرِهِ مَخْلُوقٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُضاف إِلَيْهِ صِفَةً، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَجَازَ أَنْ يَقُولَ: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّاسُ مِنَ الْغِنَاءِ وَالنَّوْحِ وَالشِّعْرِ كُلُّهُ كَلَامُ اللهِ وَهَذَا مُحَالٌ يَدْعُو إِلَىٰ الضَّلَالِ).

قلنا: هذا قول ابن عربي وغيره الذين يقولون:

وكـل كـلام في الوجـود كلامـه ... سـواء علينـا نثـره ونظامـه

فأثبتوا كل كلام في الوجود كلامًا للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما فيه من الفحش والغناء وغير ذلك، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال: (وَفِي هَذَا الْقِيَاسِ الَّذِي ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ يَجُوزُ أَنْ يُقال: قَوْل الْيَهُود: عُزَيْر ابْنُ اللهِ، وَقَوْل النَّصَارَىٰ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَ اللهُ عَنْهُمْ كَانَ كَلَامَ اللهِ، فَإِنْ كَانَ الْقُرْآنُ

عِنْدَكُمْ كَلَامَ اللهِ فَمِنْهُ خَرَجَ بِلَا شَكٍّ، وَالْجَوْفُ مَنْفِيٌّ عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ فَلَيْسَ بِكَلَامِهِ، وَلَكِنْ كَلَامُ غَيْرِهِ فِي دَعْوَاكُمْ.

فَقُلْ لِهَذَا الثَّلْجِيِّ يَرُدُّ هَذَا التَّفْسِيرَ عَلَىٰ شَيْطَانِهِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، وَمَا نَصْنَعُ فِي هَذَا بِقَوْلِ الثَّلْجِيِّ مَعَ مَا يَرْوِيهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: "أَدْرَكْتُ النَّاسَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يعود").

هذه الجملة عليها إجماع: "مِنْهُ خَرَجَ وَإِلَيْهِ يعود".

قال: (حَدَّثَنَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَأَمَّا أَنْ يُقَاسَ الْكَلَامُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِالْخَيْرِ الَّذِي يَأْتِي مِنْ قِبَلِهِ، وَالْعَطَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّهُ لَا يَقِيسُ بِهِ إِلَّا جَاهِلٌ مِثْلُ الثَّلْجِيِّ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْكَلَامَ يَخْرُجُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِلَا شَكٍّ، وَأَنَّ إِعْطَاء الْعَطاء وبَذْلَ البَذْلَ مِنَ المَالِ لَا يَخْرُجُ مِنْ نَفْسِ الْمُعْطِي وَالْبَاذِلِ، وَلَكِنْ مِنْ شَيْءٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ بِعَيْنِهِ، وَالْكَلَامُ غَيْرُ بَائِنٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْمَالُ وَالْعَطَاءُ بَائِنٌ مِنْهُ).

ذكر الإمام الدارمي وجوه مفارقة الأصل والفرع في هذا القياس الذي قاسه، كانوا أئمة في كل شيء، رحمهم الله ورَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فهناك فرقٌ بين البذل والعطاء وبين الكلام.

فقال: (وَالْكَلَامُ غَيْرُ بَائِنٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْمَالُ وَالْعَطَاءُ بَائِنٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ مَتَىٰ شَاءَ عَادَ فِي مِثْلِ كَلَامِهِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ قَبْلُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرُدَّ الْكَلَامَ الْخَارِجَ مِنْهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ ثَانِيَةً، وَلَعَلَّهُ لَا يَقْدِرُ علىٰ رَدِّ الْمَالِ وَالْعَطَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ وَلَا أَنْ يَعُودَ فِيهِ بِعَيْنِهِ، فَمن قَاس هَذَا بِذَاكَ فَقَدْ تَرَكَ الْقِيَاسَ الَّذِي يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْقِيَاسِ، وَالْمَعْقُولَ الَّذِي يعرفهُ أهل الْعقل).

ثم بعد ذلك تكلم عن صفة اليد الثابتة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

والإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ قد يكرّر كلامًا قاله قبل ذلك، وما ذاك إلا من أجل أن يكون ردُّه

مستوفيًا مستوعبًا لما جاء في كلام المعارض، فهو يرد بحسب ما وصل إليه من كلام المعارض، فإذا كرّر هذا المعارض المبتدع كلامًا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة فإن الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرده مرةً أخرىٰ، وقد يبسط الرد أو يشير إلىٰ أنه نقض هذه الشبهة في مقدمة الكتاب أو في موضعٍ آخر، ومن ذلك الكلام هاهنا عن يد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد مرّ الكلام عن أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له يدان تليقان به، وهذا ثابتٌ في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ ذلك إجماع أهل السنة والجماعة، فكرّر المعارض كلامه وشبهاته هاهنا مرةً أخرىٰ فردّ عليه الإمام الدارمي.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **"الرُّكْنُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهِ خَلْقَهُ")**.

وهذا أثرٌ حسنٌ بمجموع طرقه، ولا يثبت مرفوعًا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه مما لا يقال بالرأي، فله حكم الرفع، يقول فيه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ولم يُعرف أنه أخذ عن أهل الكتاب، قال: "الرُّكْنُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهِ خَلْقَهَ".

قال: (فَرَوَىٰ عَنْ هَذَا الثَّلْجِيِّ مِنْ غَيْرِ سَماعٍ مِنْهُ أَنه قَالَ: يَمِينُ اللهِ نِعْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ وَكَرَامَتُهُ لَا يَمِينُ الْأَيْدِي.

فيُقال لِهَذَا الثَّلْجِيِّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَنْفِيَ عَنِ اللّهِ -سُبْحَانه وَتَعَالَىٰ- بِهَذِهِ الضلالات يَدَيْهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَ بِهِمَا آدَمَ -عَلَيْهِ الصّلَاةُ والسّلَام- وَيْلَكَ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ! إِنَّ تَفْسِيرَهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ بِيَدِ اللهِ نَفْسِهِ، وَأَنَّ يَمِينَ اللهِ مَعَهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ غَيْرُ بَائِنٍ مِنْهُ، وَلَكِنْ تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَأَنَّ الَّذِي يُصَافِحُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَيَسْتَلِمُهُ كَأَنَّمَا يُصَافِحُ اللهَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠]).

فالمعارض هاهنا ظن أن في هذا الأثر حجةً له علىٰ نفي إثبات اليد له تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لكن المتأمّل في هذا الأثر الثابت يرىٰ أنه لا يثبت يدًا لله في الأرض، ولا يثبت الحجر الأسود يدًا لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لأن المعلوم شرعًا وعقلًا أن يد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ معه وهو علىٰ عرشه، مستوٍ علىٰ عرشه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لأن صفاته غير بائنةٍ، غير منفصلةٍ عنه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فكل صفاته الخبرية كالسمع، والبصر، واليد، والقدم، والرجل، والساق، وغير ذلك من الصفات التي ثبتت له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إنما هي معه وعلىٰ العرش غير بائنةٍ منه كما قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذًا ما معنىٰ هذا الأثر؟ قال: **(تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَأَنَّ الَّذِي يُصَافِحُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ)**.

يستلم الحجر الأسود، يقبّله كأنما صافح الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

قال: (كَقَوْلِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]).

مع أننا نعلم أن هذه الآية نزلت في بيعة الرضوان، وأن الذي بايع الصحابة هو النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبايع عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما ذهب إلىٰ قريش ولم يرجع، فالذي بايع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والله عَزَّوَجَلَّ لم يصافح أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠].

غلط البعض عند النظر إلىٰ آيات الصفات في تفاسير السلف

هل نقول كما يقول المؤوّلة والمعطّلة والجهمية: قدرة الله فوق قدرتهم؟ لا نقول كذلك، وإنما نثبت لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ اليد علىٰ الوجه اللائق به، ثم نقول: إن هذا يستلزم ١-٢-٣-٤، أي نعدد ما يستلزمه من أثر الصفة، يعني يستلزم النصرة، يستلزم التأييد، يستلزم المعونة،

يستلزم ما تستلزمه هذه الصفة من آثار، هذا الذي هو عليه سلف الأمة. وهنا قاعدةٌ ينبغي أن ننتبه لها: هذه القاعدة مفادها أننا قد نجد أحيانًا في تفاسير السلف ما يظنه المبتدعة تفويضًا أو تأويلًا باطلًا، فمثلًا إذا قرأت هذه الآية عند ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجده يقول في كلامٍ ما معناه: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يؤيدهم، وينصرهم، والله غالبٌ علىٰ أمره، فتجد بعضهم يؤلف كتابًا عنوانه: (**ابن كثير بين التأويل والتفويض**)، ويجمع كل ما جاء عن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره ليثبت أنه كان من المؤوّلة، من المحرّفة، من المفوّضة، ونقول: هذا كلامٌ باطل، كما نبّه علىٰ ذلك الشيخ صالح آل شيخ -حفظه الله- لأنهم لا يكرّرون إثبات الصفة في كل موضع، يعني مثلًا عند قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوْطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، فتجد ابن كثير وغيره من أئمة التفاسير من السلف يثبتون اليدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يلزمهم أن يثبتوا ذلك عند قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، أو ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، لماذا؟ لأنهم أثبتوها، وهذا متقرّرٌ معلومٌ من حالهم وعقيدتهم، فليس معنىٰ أن ابن كثير أو غيره من أئمة السلف عند هذه الآية يفسّرونها بأثرها، ليس معنىٰ ذلك أنهم ذهبوا مذهب المعطّلة والجهمية وحرّفوا صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فتنبه.

قال: (**فَثَبَّتَ لَهُ الْيَدَ الَّتِي هِيَ الْيَدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُبَايَعَةِ**).

هذا أخذه من سياق الآية؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمّا ذكر مبايعة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قال: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللهَ﴾[الفتح: ١٠] لما ذكر مبايعة الصحابة للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل اكتفىٰ بذلك؟ هل ذكر المعونة والنصرة والتأييد؟ أم قال: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠]؟ قال: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فثبّت له اليد التي هي اليد، أي: أثبت له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن له يدًا تليق به.

(**عِنْدَ ذِكْرِ الْمُبَايَعَةِ، إِذْ سَمَّىٰ الْيَدَ مَعَ الْيَدِ**).

يعني هذه اليد الثانية المذكورة ثانيةً في الآية: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠]، هذا الضمير يعود الىٰ مَن؟ ضمير الجمع يعود إلىٰ من؟ إلىٰ أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحاب النبي لهم أيدي، فثبّت يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في مقابل أيدي أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا يدل علىٰ أن معنىٰ اليد معروف، صحيح؟ وأما الاختلاف فإنما يكون في الكيفية، فالله عَزَّ وَجَلَّ في صفاته ليس كمثله شيء، كما أنه في ذاته ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

قال: (فَثَبَّتَ لَهُ الْيَدَ الَّتِي هِيَ الْيَدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُبَايَعَةِ، إِذْ سَمَّىٰ الْيَدَ مَعَ الْيَدِ، وَالْيَدُ مَعَهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَكَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ قَبْلَ يَدِ السَّائِلِ»).

«إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ» أو «فِي كَفِّ الرّحْمَن»، هذا ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المتصدّق إذا تصدّق فإن هذه الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل.

قال: (فَثَبَّتَ بِهَذَا للّهِ الْيَدَ الَّتِي هِيَ الْيَدُ، وَإِنْ لَمْ يَضَعْهَا الْمُتَصَدِّقُ فِي نفس يَد الل،: وَكَذَا تَأْوِيلُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، إِنَّمَا هُوَ إِكْرَامٌ لِلْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَتَعْظِيمٌ لَهُ، وتثبيت ليدِ الرَّحْمَن وَيَمِينِهِ، لَا النِّعْمَةُ كَمَا ادَّعىٰ الثَّلْجِيُّ الْجَاهِلُ فِي تَأْوِيلِهِ، وَكَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ صَاحِبِ نَجْوَىٰ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، كَذَلِكَ يَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ).

فهذا لا يقتضي أن تكون اليد في الأرض، لا يقتضي المماسّة، كما ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ المثال علىٰ ذلك كثيرًا بالقمر، فالقمر فوقنا، وهو لا يلامس الأرض ولا السماء، صحيح؟ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يقول: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبها كيف يشاء»، هذا الحديث فيه إثبات الأصابع لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهل هذا يقتضي المماسّة والمباشرة؟ لا يقتضي المماسّة ولا المباشرة، فلا يلزم أن كل شيءٍ يكون بين

شيئين أن ذلك يقتضي المماسّة والمباشرة، فالقمر بين السماء والأرض ولا يلامس السماء ولا الأرض، فكذلك هاهنا في قول عبد الله بن عباس لما قال: "الركن يمين الله في الأرض، يصافح به خلقه".

(وَكَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ صَاحِبِ نَجْوَىٰ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، كَذَلِكَ يَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ).

قال: (وَكَذَلِكَ ادَّعَىٰ الْجَاهِلُ الثَّلْجِيُّ أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، قَالَ: بِنِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، فَخَصَّهُ بِمَا خصَّ مِنْ كَرَامَاتِهِ).

كل هذا مضىٰ، ولو تلاحظون المصنف الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيد ما ذكره في مبدأ الكتاب، وكل ذلك كما قلنا من أجل أن يستوعب الرد، فأوّل خلق الله لآدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن هذه نعمة، المراد باليد النعمة، أنه خلقه بيده أي: أنعم عليه بهذا الخلق، لما أخرجه من العدم إلىٰ الوجود كان هذا هو المراد من خلق الله لآدم بيده، أراد مطلق الخلق لا تشريف آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الثَّلْجِيِّ الْبَقْبَاقِ، النَّفَّاجِ: لَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يَعْقِلُ شَيْئًا مِنْ وُجُوهِ الْكَلَامِ لَعَلِمْتَ أَنَّ هَذَا تَأْوِيلٌ مُحَالٌ مِنْ كَلَامٍ لَيْسَ لَهُ نِظَامٌ، وَيْلَكَ! وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ كَلْبٍ، أَوْ خِنْزِيرٍ، أَوْ قِرْدٍ، أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ بَهِيمَةٍ، لَمْ يُنْعِمِ اللهُ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ إِذْ خَلَقَهُ؟).

كل من أخرجه الله عَزَّوَجَلَّ من العدم إلىٰ الوجود فهذا إنعامٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذا الموجود، فسوّىٰ بين آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبين غيره من المخلوقات.

قال: (حَتَّىٰ خَصَّ بِنِعْمَتِهِ آدَمَ، وَمَنَّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْخَلَائِقِ، وَأَيُّ مَنْقَبَةٍ لِآدَمَ فِيهَا إِذْ كُلُّ هَؤُلَاءِ خُلِقُوا بِنِعْمَتِهِ كَمَا خُلِقَ آدَمُ؟

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الثَّلْجِيِّ الْجَاهِلِ فِيمَا ادَّعَىٰ فِي تَأْوِيلِ حَدِيث رَسُولِ اللهِ

ﷺ: «الْمُقْسِطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»).

وهذا حديثٌ صحيح، والمراد بالمقسطين: العادلون، المقسطون من الفعل: قسط أم أقسط؟ فعل ثلاثي أم رباعي؟ فعل رباعي، وهل هو اسم فاعل أم اسم مفعول؟

اسم فاعل، وأما اسم الفاعل من الفعل قسط قاسط، إذن: ما الفرق بين المقسطين والقاسطين؟

متضادان وهذه الهمزة تسمىٰ همزة السلب، فالمقسطون هم العادلون والقاسطون، ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن: ١٥]، القاسطون هم الظالمون، المقسطون أي: العادلون.

«يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ»، قال ﷺ: «وَكِلْتَا يَدَيْهَ يَمِينٌ».

قال: (فَادَّعَىٰ الثَّلْجِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَأَوَّلَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ تَأْوِيلِ الْغُلُويِّينَ).

من الغلُوّ.

(أَنَّهَا يَمِينُ الْأَيْدِي، فَخَرَجَ مِنْ مَعْنَىٰ الْيَدَيْنِ إِلَىٰ النِّعَمِ، ويَعْنِي بِالْغُلُوِيِّينَ أَهْلَ السُّنَّةِ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ يَمِينَانِ، وَلَا يُوصَفُ أَحَدٌ بِيَمِينَيْنِ، وَلَكِنْ يَمِينٌ وَشِمَالٌ بَزَعْمِهِ).

قال الجهمي: هذا الحديث غُصّة في حلوق الغلويّين، أراد أهل السنة والجماعة؛ لأننا نعلم أن كل من له يدان لا بد أن تكون اليد الأولىٰ يمينًا والأخرىٰ شمالًا، فدل ذلك علىٰ أن المراد بـ «كلتا يديه يمين»: البركة، والنعم، وغير ذلك، له نعمٌ عظيمة، وبركاتٌ كثيرة، ولا يعني ذلك إثبات اليدين لله، هكذا قال.

(قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيْلَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! إِنَّمَا عَنَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْيَدَيْنِ مَا قَدْ أَطْلَق عَلَىٰ الَّتِي فِي مُقَابلَةِ اليَمِينِ والشِّمَال، ولكنّ تأْويلَهُ «وَكِلْتَا يَدَيْه يَمِينٌ» أي: مُنَزَّهٌ

عن النّقْصِ والضّعْفِ كَمَا فِي أيْدِينَا الشّمَال مِنَ النّقْصِ وعَدَمِ البَطْش، فَقَالَ: «كِلْتَا يَدَي الرَّحْمَنِ يَمِينٌ»، إِجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا أَنْ يُوصَفَ بِالشِّمَالِ، وَقَدْ وُصِفَت يَدَاهُ بالشّمَالِ واليَسَار).

إذًا الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له قولٌ يرجّحه في إثبات الشمال لله، وهذه المسألة مما اختلف فيها أهل السنة والجماعة، والخلاف فيها خلافٌ فرعي، ليس خلافًا أصليًا، فهم مجمعون علىٰ إثبات اليدين لله، ومجمعون علىٰ أن إحدىٰ اليدين يُطلق عليها اليمين، لكن هل تُسمّىٰ الأخرىٰ بالشمال؟ هذا هو الخلاف، فمنهم من نفاها، وهذا الذي مال إليه ابن خزيمة، ومن المتأخرين العلّامة الألباني، وكذلك الشيخ ابن عثيمين -رحم الله الجميع-.

قال النفاة: لم يثبُت في حديثٍ صحيحٍ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في آية؟ والأصل في الأسماء والصفات أنها توقيفية، مردُّها إلىٰ السمع، إلىٰ قال الله، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا لم يثبت، وإنما الثابت **«يده اليمنىٰ... واليد الأخرىٰ»**، أو **«كلتا يديه يمين»** فنثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفريق الثاني قال: بل نثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اليد الشمال التي تقابل اليمين؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر في أحاديث قال: **«بيده اليمنىٰ... وباليد الأخرىٰ»** والذي يقابل اليمنىٰ: الشمال، فهذا مفهومٌ معروف، وإنما لا نطلق عليها شمالًا لما يوهم ذلك من النقص، فنمسك عن ذلك تأدّبًا مع الله، نمسك عن هذه اللفظة تأدّبًا مع الله، وهذا مال إليه كما قلنا الإمام الدارمي، والشيخ خليل هرّاس، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر كتاب التوحيد، وغير هؤلاء كثير.

وعمدتهم في ذلك أيضًا: ما جاء في صحيح مسلم في حديثٍ من رواية عمر بن حمزة أحد الرواة، أثبت الشمال لله في هذا الحديث، فجاء عند مسلم من حديث عمر بن حمزة، عن

سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يطوي الله** عَزَّوَجَلَّ **السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين بشماله**»، وفي سائر الروايات الأخرىٰ: «**بيده الأخرىٰ**»، «**ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**» الحديث، وهذا الحديث في سنده عمر بن حمزة، وهو ضعيف، وتفرّد بهذه اللفظة "بشماله"، فهي منكرة لا تثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالمتأمل للخلاف أو في الخلاف بين أهل السنة والجماعة في هذه المسألة يكاد يخرج بأن الخلاف خلافٌ لفظي؛ لأن الفريقين يثبتان يدين تليقان به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لكن هل نطلق علىٰ الأخرىٰ الشمال، اليسار أم لا؟ فهذا الفريق يطلق كما جاء في هذه الرواية، أو نثبتها ولا نطلق تأدّبًا مع الله، والفريق الآخر يقول: نمسك عن ذلك ونقول كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اليد اليمين... واليد الأخرىٰ**».

فالإمام الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ يثبت اليد الشمال، ويصفها بأنها شمال ويسار، لكن هذا لا يوهم النقص؛ لأنه ثبّت الحديث الوارد في ذلك؛ لأنه قال: **(وَقَدْ وُصِفَت يَدَاهُ بالشّمَالِ واليَسَار)**، وهذا معناه أنه يثبّت الحديث رَحِمَهُٱللَّهُ.

قال: (وَكَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَجُزْ إِطْلَاقُ الشّمَال واليَسَار لَمَا أَطْلَقَ رسُول اللّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **ولَوْ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ: كِلْتَا يَدَيِ الرَّحْمَنِ يَمِينٌ، لَمْ يَقُلْهُ رسُول اللّهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وَهَذَا قَدْ جوَّزَهُ النَّاسُ فِي الْخلق، فَكيف لَا يجوّزه الثَّلْجِيُّ فِي يَدَيِ اللهِ أَنَّهُمَا جَمِيعًا يَمِينَانِ؟)**.

أراد هاهنا رَحِمَهُٱللَّهُ بأن هذا جاز في الخلق: ما جاء عند الإمام أحمد من حديث رجلٍ من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: **(وَهَذَا قَدْ جوَّزَهُ النَّاسُ فِي الْخلق)**، يعني سُمّي من الناس ذا الشمالين، وذا اليمينين، وغير ذلك، هذا واردٌ في الناس، فممّن سُمّي بذي الشمالين، ويقال

له كذلك: ذو اليدين واحدٌ من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يا رسول الله، أقصُرت الصلاة أم نسيت؟".

قال: **(وَقَدْ سُمِّيَ مِنَ النَّاسِ ذَا الشِّمَالَيْنِ، فَجَازَ فِي دَعْوَىٰ الثَّلْجِيِّ أَيْضًا، خَرَجَ ذُو الشِّمَالَيْنِ مِنْ مَعْنَىٰ أَصْحَابِ الْأَيْدِي)**.

طالما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كلتا يديه يمين**» فقال: بهذا تخرج صفة اليد من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه وصف اليدين باليُمن هكذا قال المعطل، فقال الإمام الدارمي: كذلك من وُصف بذي الشمالين فليس له يدٌ علىٰ منطقك.

قال: **(ثُمَّ ادَّعىٰ الْجَاهِلُ أَيْضًا أَنَّ هَذَا مِنَ النِّعَمِ وَالْإِفْضَالِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: سَأَبْكِيكِ للدُّنْيَا وَلِلْعَيْنِ إِنَّنِي... رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ بَعْدَكَ شُلَّتِ)**.

وهو الكُمَيت بن زيد الأسدي، قال: "سَأَبْكِيكِ للدُّنْيَا وَلِلْعَيْنِ إِنَّنِي... رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ"

فأثبت للمعروف يدًا، قال: ونفس المعروف ليس له يد، وإنما المعطي له يدٌ حقيقية فهي التي تُشَل.

فقال: **(وَيْلَكَ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ! أَتُعَلِّم بِوَجْه الْعَرَبِيَّة ولُغَاتِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بها مِنك؟ هَذَا هَاهُنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ جَائِزٌ فِي الْمَجَازِ)**.

والراجح كما قلنا في مسألة المجاز عدم إثباته، وإن أثبتناه، وهذا عليه كثيرٌ من أهل السنة والجماعة، فلا بد فيه من شرطين:

الشرط الأول: أن يستحيل حمل اللفظ علىٰ الحقيقة، وهذا ليس بمستحيل في صفة الله، فليس بمستحيلٍ ولا ممنوعٍ أن نثبت لله الصفات التي أثبتها لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الوجه

اللائق أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فكما أن ذاته تفارق ذوات المخلوقين فكذلك صفاته تفارق صفات المخلوقين، هناك قدرٌ مشترك وقدرٌ فارق، القدر المشترك هو المعنىٰ، والقدر الفارق الكيفية، طيب، مَن أثبت القدر الفارق مثّل، مَن أثبت القدر الفارق فقال: الكيفية كالكيفية مثّل، ومن نفىٰ القدر المشترك عطّل، من نفىٰ القدر المشترك الذي هو المعنىٰ عطّل.

فالضابط الأول في مسألة المجاز: أن يستحيل حمل اللفظ علىٰ الحقيقة، والضابط الثاني: أن تكون هناك قرينة.

فقال: (هَذَا هَاهُنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ جَائِزٌ فِي الْمَجَازِ لَا يَسْتَحِيلُ، وَفِي يَدَيِ اللهِ تَعَالَىٰ اللَّتَيْنِ يَقُولُ: "خَلَقْتُ بِهِمَا آدَمَ" يَسْتَحِيلُ أَنْ تُصْرَفَ إِلَىٰ غَيْرِ الْيَدِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ لَيْسَ لَهُ يَدَانِ، يَقْبِضُ بِهِمَا وَيَبْسُطُ، وَيَخْلُقُ وَيَبْطِشُ).

وهذه كلها صفات وردت في يد الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ القبض، والبسط، والبطش، والأنامل، والأصابع، والكف، وهذه الأمور لا تجوز في حق المعروف، فلا يجوز القياس.

قال: (فَيُقَالُ: يَدُ الْمَعْرُوفِ مَثْلًا، وَلَا يُقَالُ: فَعَلَ الْمَعْرُوفُ بِيَدَيْهِ كَذَا).

فَعَلَ الْمَعْرُوفُ، المعروف فاعل.

قال: (فَيُقَالُ: يَدُ الْمَعْرُوفِ مَثْلًا، وَلَا يُقَالُ: فَعَلَ الْمَعْرُوفُ بِيَدَيْهِ كَذَا، وَخَلَقَ بِيَدَيْهِ كَذَا، وَكَتَبَ بِيَدَيْهِ كَذَا، كَمَا يُقَالُ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، قَالَ ذَاك فِي سِيَاقِ الْقَوْلِ بَيِّنٌ مَعْقُولٌ، وَهَذَا فِي سِيَاقِ الْقَوْلِ بَيِّنٌ مَعْقُولٌ).

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:كلٌ يُفهم في سياقه.

(مَنْ صَرَفَ مِنْهُمَا شَيْئًا إِلَىٰ غَيْرِ مَعْنَاهُ الْمَعْقُولِ جَهِلَ وَلم يعقل).

فلا حجة في هذا البيت.

قال: ﴿أَو لم يَكْفِكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ كَثْرَةُ مَا نسَبْتَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِمَامُكَ الْمَرِيسِيُّ فِي نَفْيِ الْيَدَيْنِ عَنْهُ بِهَذِهِ الْأُغْلُوطَاتِ؟ وَمَا حَسَدتُما أَبَاكُمَا آدم فِي خلقته بِيَدَيِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي صدر كتابك حَتَّىٰ عُدْتَ لِأَقْبَحَ مِنْهَا فِي آخِرِ الْكِتَابِ، فَادَّعَيْتَ أَنَّ يَدَيِ اللهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَ بِهِمَا آدَمَ قُدْرَتُهُ ونِعْمَتُهُ، فَامْتَنَّ عَلَىٰ آدَمَ بِمَا رَكَّبَ فِيهِ.

وَيْحَكَ! وَهَلْ بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ لم يخلقه بقدرته، حَتَّىٰ يَمْتن عَلَىٰ آدَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام- بِهَذِهِ النِّعْمَةِ مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ؟ هَذَا مُحَالٌ لَا يَسْتَقِيمُ فِي تَأْوِيلٍ، بَلْ هُوَ أَبْطَلُ الْأَبَاطِيلِ.

وَأَشَدُّ مِنْهُ اسْتِحَالَةً مَا ادَّعَيْتَ فِي حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ خَمَّرَ طِينَةَ آدم ثمَّ خَلَقَهَا بِيَدِهِ فَخَرَجَ كُلُّ طَيِّبٍ بِيَمِينِهِ، وَكُلُّ خَبِيثٍ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ مَسَحَ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ بِالْأُخْرَىٰ»﴾.

وهذا أثرٌ صحيحٌ عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: ﴿فَادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ لَهُ تَفْسِيرًا مِنْ قِبَلِكَ: أَنَّهُ لَمَّا امْتَنَّ اللهُ عَلَىٰ آدَمَ بِنِعْمَتِهِ، كَانَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ مُخَالِطَةً لِقُدْرَتِهِ، وَقَالَ بيدَيْه: بنعمَتِه وَقُدْرَتِهِ، هَكَذَا.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: إِذَا خَلَطَ قُدْرَتَهُ بِنِعْمَتِهِ فَسَمَّاهَا يَدَيْهِ فِي دَعْوَاكَ، فَمَا بَالُ هَذِهِ الْمِنَّةِ وُضِعَتْ عَلَىٰ آدَمَ مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ وَكُلُّ الْخَلْقِ فِي نِعْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، إِذْ كُلُّ خَلْقٍ فِي دَعْوَاكَ بِنِعْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ لَا بِيَدَيْهِ؟، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَخْلِطَ الْقُدْرَةَ بِالنِّعْمَةِ، وَالْقُدْرَةُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَالنِّعْمَةُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ؟ هَذَا كَلَامٌ لَا يَخْرُجُ مِنْ جَوْفِ عَاقِلٍ، وَمَا يُوَفَّقُ لِمِثْلِهِ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ.

ثُمَّ رَوَيْتَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ كَذِبًا أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ

أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠] أَيْ: "نِعَمُ اللهِ"، فَعَمَّنْ رَوَيْتَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ؟ فَاكْشِفْ عَنْ رَأْسِهِ، فَإِنَّكَ لَا تَكْشِفُ عَنْ ثِقَةٍ، وَقَدْ أَكْثَرْنَا النَّقْضَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ وَالثَّلْجِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْيَدِ فِي صَدْرِ كِتَابِنَا، غَيْرَ أَنَّكَ أَعَدْتَهَ فِي آخرِ الْكتاب فأَعَدْناه).

فهذا الاستطراد وهذه الإعادة من أجل أنه أعاده مرةً أخرىٰ، وهذا لم أجده ثابتًا عن الحسن البصري، تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠] هذا لا يثبت عن الحسن البصري، ولو ثبت عنه وعن غيره من السلف فالقاعدة كما قلنا:

أنه يثبت لله اليد الحقيقة، ولا يلزمه في كل موضعٍ يفسّر صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يثبتها، وإنما يذكر أثر الصفة، وليس ذلك تعطيلًا للصفة، هذه طريقة السلف.

قال: (ثُمَّ لَمَّا فَرَغْتَ مِنْ إِنْكَارِ الْيَدَيْنِ وَنَفيْتَهما عَنِ اللهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَقْبَلْتَ قِبَلَ وَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِتَنْفِيَهُ عَنْهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعَمَايَاتِ، كَمَا نَفَيْتَ عَنْهُ الْيَدَيْنِ، فَزَعَمْتَ أَنَّ وَكِيعًا رَوَىٰ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أقبل الله عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ فَلَا يَصرِفُهُ عنهُ حتّىٰ يكونَ هُو الّذِي يَنْصَرِف، أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ»).

معطوفة علىٰ حتىٰ، «حتّىٰ يكونَ هُو الّذِي يَنْصَرِف، أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ» وهذا أثرٌ صحيح، نعم.

«أو يحدّث نفسه»؟ عندي في نسختي: «أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ»، الأثر ذكره ابن أبي شيبة من طريق وكيع بلفظ: «إن العبد المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه حتىٰ يكون هو الذي ينصرف أو يحدث حدث سوء» ما الحدث السوء؟ قال: «فلا يبزق بين يديه ولا عن يمينه، فإن عن يمينه كاتب الحسنات، ولكن يبزق عن شماله أو خلف ظهره»، وهذا كذلك أخرجه عبد الرزاق في المصنف، وابن خزيمة في التوحيد، والبيهقي في الصفات بنحوه، وجاء مرفوعًا عند ابن خزيمة، ولا يصح رفعه إلىٰ النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما هو من قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومثله كذلك لا يقال بالرأي.

ففيه: «إن العبد إذا قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه، فلا يصرفه عنه» -لا نافية- «حتىٰ يكون هو الذي ينصرف».

(فقال الْمُعَارِضُ: إِنَّ هَذَا يَحْتَمِلُ أَنَّ اللهَ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَا أَوْجَبَ لِلْمُصَلِّي مِنَ الثَّوَابِ كَمَا قَال: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[البقرة:١١٥]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالكٌ إلاَّ وَّجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، وَكَقَوْلِه: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّه﴾[البقرة:٢٧٢]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]، أَيْ يَبْقَىٰ اللهُ وَحْدَهُ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَلِلَّهِ وَجْهٌ؟ قِيلَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] و ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ فَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَإِنْ أَرَدْتَ عُضْوًا كَمَا تَرَىٰ مِنَ الْوجوهِ فَهُوَ الْخَالِقُ هَذِهِ الْوُجُوهَ، فَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا وَجْهُ الشَّيْءِ وَوَجْهُ الأَمْرِ، وَتقُولُ: هَذَا وَجْهُ الثَّوْبِ وَوَجْهُ الْحَائِطِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَجْهُ رَبِكَ﴾ مَا تَوَجَّهُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّكَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ يَقُولُ: ثَمَّ قِبْلَةُ النَّاسِ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ ثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ).



هل ﴿فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ من آيات الصفات؟

وهذه الآية مما اختلف فيها السلف هل هي من آيات الصفات أم ليست من آيات الصفات؟ **أولًا**: هل الوجه ثابتٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ أجل، الوجه ثابتٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثابتٌ بكتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ ذلك إجماع أهل السنة، والآيات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تكفي في إثبات الوجه، نثبت ذلك علىٰ الوجه اللائق، ولا نقول كما تقول المعطّلة، فإنهم يقولون: لو أننا أثبتنا الوجه لله، لو أننا أثبتنا اليد لله، لو أننا أثبتنا القدم أو الساق أثبتنا له الجارحة، وأثبتنا له الأعضاء، ومعنىٰ ذلك أن الله مركّب تفتقر أعضاؤه بعضها إلىٰ بعض، هكذا يقولون، فالمعتزلة ينفون مثل هذه الصفات عن الله بشبهة التركيب، مركّب ركّبه غيره، يتكون من أبعاضٍ وأجزاء، هكذا يتكلمون عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في قاعدته التي قرّرها أننا نسأله في مثل هذه الألفاظ، ما تعنون بالجارحة؟ ما تعنون بالجسم؟ ما تعنون بالعضو؟ هل تعنون الصفات التي أثبتها الله لنفسه؟ إن قالوا: أجل نقول: نعم، نثبت له الصفات، ولا نثبت هذا اللفظ لما فيه من إيهامٍ وإجمال.

وإن قالوا: نعني بذلك الجارحة التي هي كجارحة الإنسان نقول: لا نثبت المعنىٰ واللفظ؛ لأن هذا لا يجوز في حق الله؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فهذه الآيات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فيها إثبات الوجه لله علىٰ الوجه اللائق له، أما هذه الآية بالذات: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[البقرة: ١١٥] هذه الآية مما اختلف فيها سلف الأمة، هل فيها إثبات صفة الوجه، أم أن المراد بوجه الله هاهنا القبلة؟ وهي كآية ماذا؟ آية الساق

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم: ٤٢]، هذه الآية كذلك مما اختلف السلف في تفسيرها، وإن لم يختلفوا في إثبات الساق لله، يعني الجهة منفكّة، السلف مجمعون علىٰ إثبات الساق لله.

ودليلهم في ذلك: حديث أبي سعيد الخدري في الصحيح: «فيكشف ربنا عن ساقه»، فله ساقٌ تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والساق هاهنا مضافة، لكن هل الساق مضافة في الآية؟ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم: ٤٢] ليست مضافة، مقطوعة عن الإضافة، ولذلك جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: "يوم يكشف عن شدة" فقالوا: ابن عباس من المؤوّلة، من المفوّضة، يفوّض ويؤوّل، وهذا باطل؛ لأن لفظة ساق في الآية ليست مضافة، فإن قلنا: لا تدخل في باب الصفات فابن عباس قال ما تقوله العرب، لما تقول العرب: كشفت الحرب عن ساقها، ما معنىٰ كشفت الحرب عن ساقها؟ أي عن شدتها، فابن عباس يقول ما تقوله العرب، وهناك أثرٌ واردٌ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكره شيخ الإسلام في مقدمة التفسير في آخره، أن التفسير علىٰ أربعة أنواع: تفسيرٌ تعرفه العرب من كلامها، فـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ كقول العرب: "كشفت الحرب عن ساقها"، فإذا قلنا: إنها ليست من آيات الصفات استرحنا ولا يقال إنه أوّل أو فوّض أو غير ذلك، ثم هناك وجه آخر يرجح أنها ليست من آيات الصفات وهو أن الآية مكية وسياقها في الكفار، وكشف الساق يتعلق به عدم سجود المنافقين، وآيات المنافقين مدنية، فتدبر هذا فهو نافع.

طيب، إن قيل: هي من آيات الصفات؟ نقول: القرآن يفسّره سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين أن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة.

طب هذه الآية التي معنا ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾؟ "ذهب بعض السلف كمجاهد، والشافعي، وغيرهما إلىٰ أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾: قبلة الله، وهذا التفسير إنما قالوه في هذا الموضع لا غير"، يعني ليس في كل موضعٍ أضاف الله الوجه إلىٰ نفسه

يقولون: القبلة، وإنما قالوه في هذه الآية، "علىٰ أن الصحيح في هذا أنه كقوله -هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- علىٰ أن الصحيح في هذا أنه كقوله في سائر الآيات التي ذُكر فيها الوجه، فإنه قد اطّرد مجيئه في القرآن والسنة مضافًا إلىٰ الرب تعالىٰ علىٰ طريقةٍ واحدة ومعنًىٰ واحد"، هذه طريقة عظيمة جدًا في النظر في مفردات القرآن، وهي التي تسمىٰ بمعهود استعمال القرآن، معهود استعمال القرآن لهذا التركيب، لهذه اللفظة.

فابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ استقرأ ما جاء في كتاب الله مما يتعلق بهذه اللفظة فقال: "اطّرد مجيء هذه اللفظة في القرآن والسنة مضافةً إلىٰ الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ طريقةٍ واحدة ومعنًىٰ واحد، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع غير الموضع الذي ذُكر في سورة البقرة وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، وهذا لا يتعيّن حمله علىٰ القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقةً، فحمله علىٰ غير القبلة كنظائره كلها أولىٰ"، لأن هذا هو المطّرد في استعمال القرآن.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ قال: أي: قبلة الله، ووجهة الله، قال: هكذا قال جمهور السلف" فجمهور السلف لا يعدّون هذه الآية من الصفات، قال: "وإن عدّها بعضهم في الصفات، وقد يدل علىٰ الصفة بوجهٍ فيه نظر، وذلك أن معنىٰ قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا﴾ أي: تتولّوا، أي تتوجّهوا وتستقبلوا، وهذا يتعدّىٰ إلىٰ مفعولٍ واحد بمعنىٰ يتولّاها، ونظير ولّىٰ وتولّىٰ: قدّم وتقدّم، وبيّن وتبيّن، كما قال: ﴿لَا تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: ١]، وقال: ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[النساء: ١٩]، قال: وهو الوجه الذي لله، والذي أمر الله أن نستقبل، فإن قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يدل علىٰ أن وجه الله هناك من المشرق والمغرب الذي هو لله، كما في آية القبلة: ﴿سَيَقُوْلُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوْا عَلَيْهَا

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ١٤٢]، فلما سألوا عن سبب التولّي عن القبلة -الانصراف- أخبر أن له المشرق والمغرب".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كذلك**: "قد قال مجاهد والشافعي: قبلة الله" يعني ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، قالا: قبلة الله، قال: "وهذا صحيحٌ عن مجاهد والشافعي وغيرهما، وهذا حق، وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومن عدّها في الصفات فقد غلط كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل علىٰ المراد، حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، أي: فثمّ جهة الله، يقال: أي وجهٍ تريد"، ما معنىٰ أي وجهٍ تريد؟ أي: أي جهة.

قال: "وأنا أريد هذا الوجه" أي: أريد هذه الجهة، "كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة: ١٤٨]، أي: جهةٌ هو مولّيها، ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، أي: تستقبلوا وتتوجّهوا والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه".

ونحن نقول: وجه بحري، ووجه قبلي، صحيح، نريد الجهة، علىٰ أن شيخ الإسلام علىٰ ما أذكر عدها من آيات الصفات موضع.

فهذه الآية كذلك مما اختلف فيها السلف، وإن لم يختلفوا في إثبات الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (**فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَمْ تَدَعْ غَايَةً فِي إِنْكَارِ وَجْهِ اللهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْجُحُودِ بِهِ وَبِآيَاتِهِ الَّتِي تَنْطِقُ بِالْوَجْهِ، حَتَّىٰ ادَّعَيْتَ أَنَّ وَجْهَ اللهِ الَّذِي وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ مَخْلُوقٌ، لِأَنَّكَ ادَّعَيْتَ أَنَّهَا أَعْمَالٌ مَخْلُوقَةٌ، يُتَوَجَّهُ بِهَا إِلَيْهِ، وَنِعَمٌ، وَإِحْسَانٌ، وَالْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا، فَوَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فِي دَعْوَاكَ مَخْلُوقٌ، فَزَعَمْتَ أَيْضًا أَنَّهَا قِبْلَةُ اللهِ، وَالْقِبْلَةُ أَيْضًا مَخْلُوقَة**.

فَادَّعَيْتَ أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَه اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذِكْرِ وَجْهِهِ: وَجْهٌ مَخْلُوقٌ، لَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا وَجْهٌ صِفة، وَلَا هُوَ ذُو وَجْهٍ فِي دَعْوَاكَ، وَكِتَابُ اللهِ الْمُكَذِّبُ لَكَ فِي دَعْوَاكَ، وَهُوَ مَا تلَوْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي كُلُّهَا نَاقِضَةٌ لِمَذْهَبِكَ، وَآخِذَةٌ بِحَلْقِكَ، أَوَ تَأثر تَفْسِيرَكَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَثَرٍ مَأْثُورٍ مَنْصُوصٍ مَشْهُورٍ؟ وَلَنْ تَفْعَلَهُ أَبَدًا، لِمَا قد رُوِيَ عَنهُ خِلَافه وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله الله تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦] قَالَ: «النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ».

أَفَيَجُوزُ أَنْ يُتأوَّل هَذَا: أَنَّهُ قَالَ: الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، أَوْ إِلَىٰ أَعْمَالِ الْمَخْلُوقِينَ؟ وَكَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ»).

هذا ثابتٌ في حديث عمار بن ياسر عند النسائي.

قال: (فَيَجُوزُ فِي تَأْوِيلِكَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لذَّة النَّظَرِ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْ أَعْمَالِ خَلْقِكَ، أَمْ إِلَىٰ الْقِبْلَة؟ وَيْلَكُمْ! مَا سَبَقَكُمْ إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْفِرْيَةِ عَلَىٰ اللهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ، وَلَا فِرْعَوْنُ مِنَ الْفَرَاعِنَةِ، وَلَا شَيْطَانٌ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: دَعْوَاكَ أَنَّ وَجْهَ اللهِ كَوَجْهِ الثَّوْبِ وَالْحَائِطِ وَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا يُوقَفُ مِنْهَا عَلَىٰ وَجْهٍ وَلَا ظَهْرٍ، مَا تَرَكْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ بِوَجْهِ اللهِ غَايَةً، وَلَوْ قَدْ تَكَلَّمَ بِهَذَا رَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَوَجَبَ عَلَىٰ أَهْلِ المشرقِ أَنْ يَغْزُوهُ، حَتَّىٰ يَقْتُلُوهُ غَضَبًا لِلَّهِ وَإِجْلَالًا لِوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَرَأَيْتَكَ أَيُّهَا الْجَاهِلُ، إِنْ كَانَ وَجْهُ اللهِ عِنْدَكَ قِبْلَتَهُ وَالْأَعْمَالَ الَّتِي ابْتُغِيَ بِهَا وَجْهُهُ، وَكَوَجْهِ الثَّوْبِ وَالْحَائِطِ، أَفَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْقِبْلَةِ وَلِأَعْمَالِ الْعِبَادِ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؟).

لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال في هذه الآية: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فهل يجوز أن يقال للقبلة ولأعمال العباد: ذو الجلال والإكرام؟

قال: (فَقَدْ عَلِمَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنَّهُ لَا يقدَّس وَجْهٌ بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَأَمَّا تَكْرِيرُكَ وَتَهْوِيلُكَ علينا بالأعضاء والجوارح فهَذَا مَا يَقُوله مُسلم).

المسلم لا يقول هذه الألفاظ في حق الله؛ لأنها لم تثبُت.

(غير أَنَّا نقُول كمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧]، أَنَّهُ عَنَىٰ بِهِ الْوَجْهَ الَّذِي هُوَ الْوَجْهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ لَا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَلَا الْقِبْلَةَ، وَلَا مَا حَكَيْتَ مِنَ الْخُرَافَاتِ كَاللَّاعِبِ بِوَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، يقُول: كلُ وجهٍ هَالكٌ إلّا وَجهَ نَفْسِه الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ، وَأَجْمَلُ الْوُجُوهِ وَأَنْوَرُ الْوُجُوهِ، الْمَوْصُوفُ بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الصِّفَةَ غَيْرُ وَجْهِهِ، وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْهُ غَيْرُ الْيَدَيْنِ، وَالْيَدَيْنِ مِنْهُ غَيْرِ الْوَجْهِ عَلَىٰ رَغْمِ الزَّنَادِقَةِ والجهمية).

فهذه الآية فيها إثبات وجه الله، والوجه من ذات الله؛ لأن المبتدعة والمعطّلة يستدلون بهذه الآية، يقولون: ما تقولون في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] هم يقولون: كل شيءٍ هالك إلا ذاته، فيقولون: الوجه الذات، فنحن نقول: فيها إثبات الوجه، والوجه من الذات.

طيب، جاء عن سفيان وغيره عند البخاري: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، قال: "إلا ما أريد به وجه الله"، فصرفها إلىٰ الثواب، نقول: أثبت الوجه، وأثبت كذلك أن المرء إنما يتقرّب بهذه الأعمال الصالحة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لينال رضاه، وأعظم الرضا أن ينظر إلىٰ وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَسَنَذْكُرُ فِي ذِكْرِ الْوَجْهِ آيَاتٍ وَآثَارًا، لِيَعْرِضَهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ عَلَىٰ تَفْسِيرِكَ هَذا،

هَلْ يَحْتَمِلُ شَيْئًا مِنْهَا شَيْءٌ مِنْهُ؟ فَإِنْ كنتَ لَا تُؤْمِنُ بِهَا فَخَيْرٌ مِنْكَ وَأَطْيَبُ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ قَدْ آمَنَ بِهَا وَأَيْقَنَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وَقَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾، وَقَال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾، وَقَال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾، فَالْخَيْبَةُ لِمَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِوَجْهِ اللهِ نَفْسِهِ، وَأَنَّهَا وُجُوهٌ مَخْلُوقَةٌ.

وَمِمَّا يُوَافِقُهُ مِنْ صِحَاحِ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا حَدَّثَنَاه عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدّثنا جَرِيرٌ، عَنِ الأعمش، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبُو عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهَا»).

وفي نسخة: «لَوْ كَشَفَهُ»، وهذا هو الموافق للصحيح.

قال: «لَوْ كَشَفَهُ».

يعني لو كشف هذا الحجاب.

«لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ».

وقوله: «إِنّ اللّهَ لَا يَنَامُ»، فيه نفي الصفات عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي هي صفات نقص، وهذا يستلزم إثبات كمال الضد، كمال الحياة، كمال القيومية؛ إذ النفي المحض لا مدح فيه، وقد تكرر هذا وتقرر معنا.

قال: (أَفَيَسْتَقِيمُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: أَنْ يُتَأَوَّلَ هَذَا أَنَّهُ أَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ

وَوَجْهُ الْقِبْلَةِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ؟ مَا يَشُكُّ مُسْلِمٌ فِي بُطُولِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ، أَمْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي حَدَّثنَاهُ سُلَيْمَانُ بن حَرْبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الأنعام:٦٥] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ».

أَفَيَجُوزُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنْ يتأوَّل هَذَا: أعوذ بثوابك والأعمال الَّتِي ابْتُغِىٰ بِهَا وَجْهُكَ، وَبِوَجْهِ الْقِبْلَةِ؟ فَإِنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يُستعاذ بِوَجْهِ شَيْءٍ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ وَبِكَلِمَاتِهِ، لا يُسْتَعَاذُ بِوَجْهِ مَخْلُوقٍ).

لأن النبي ﷺ استعاذ بوجه الله، فإن كان الوجه: الأعمال الصالحة فإن هذا استعاذة بمخلوق، والاستعاذة بالمخلوق شرك، فدلّ هذا علىٰ بطلان تأويل المعارض، وهو من بدائع الاستدلال.

في الحديث الذي مضىٰ «حجابه النور» جاء بلفظ: «حجابه النار»، «حجابه النور»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الحديث -في حديث أبي موسىٰ الأشعري-: "فهي حُجُبٌ"، يعني في هذا الحجاب، "فهي حُجُبٌ تحجب العباد عن الإدراك، كما قد يحجب الغمام والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت هذه الحجب تجلّت الشمس والقمر".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الحُجُب عند السلف وأهل الحديث وغيرهم هي حجُب الله عن العبد، وعند من يثبت رؤية الله بلا مواجهة الحجُب عندهم: ما يقوم بالعبد من موانع الرؤية، وهي أمرٌ عدمي، أو عرضٌ وجودي".

وقال كذلك: "فهذا الحديث فيه ذكر حجابه، فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور"، حجابه النور، وحجابه النار، قال: "لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كلّم بها موسىٰ يقال لها: نارٌ ونور، كما سمّىٰ الله نار المصباح نورًا، بخلاف النار المظلمة كنار

جهنم فتلك لا تُسمىٰ نورًا".

فلا ضير من إطلاق النار علىٰ نور الحجاب؛ لأنه نورٌ صافٍ بخلاف نار جهنم -عياذًا بالله- فهي نارٌ مظلمة لا يطلق عليها نور.

(وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَاه سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ»، أَفَيَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ فِي هَذَا: لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ قِبْلَتِكَ وَإِلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي ابْتُغِي بِهَا وُجْهُكَ؟

وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ نِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: «الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ».

أَفَيَجُوزُ أَنْ يتأوَّل هَذَا: أَنَّهُ النَّظَرُ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي ابْتُغِيَ بِهَا وَجْهُ اللهِ وَإِلَىٰ وَجْهِ الْقِبْلَةِ؟

وَكَذَلِكَ قَالَهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: «النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ».

حَدَّثَنَاه مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَغَيْرُهُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِي شِهَابٍ الْحَنَّاطِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَفعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا بَلَغَ النَّعِيمُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ، وَظَنُّوا أَنْ لَا نَعِيمَ أَفْضَلَ مِنْهُ، تَجَلَّىٰ لَهُمُ الرَّبُّ، فَنَظَرُوا إِلَىٰ وجه الرَّحْمَن، فنسوا كلَّ نَعِيمٍ عَايَنُوهُ حِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَنِ»).

وهذا حديثٌ ضعيف، وأولىٰ منه ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ لما يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا ألا نرضىٰ، ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجّنا من النار؟ قال: فاليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا، ثم يكشف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الحجاب عن وجهه.

قال: **(أَفَيَجُوزُ أَنْ تتأوّل هَذَا أَنَّهُ يَتَجَلَّىٰ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فَنَظَرُوا إِلَىٰ وَجْهِ قِبْلَتِهِ، وَإِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؟ كَأَنَّ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِ الْقِبْلَةِ فِي دَعْوَاكَ آثَرُ عِنْدَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ)**.

يعني لو تأوّلنا ما جاء في الصحيح أنهم في الجنة ينظرون إلىٰ وجه الله أي: ينظرون إلىٰ قبلته وإلىٰ الأعمال الصالحة هذا معناه أن ذلك آثر وأفضل عندهم مما هم فيه من نعيم الجنة، وهذا باطل لا يجوز.

قال: **(وَمِنْ ذَلِكَ: مَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاء الْبَصْرِيّ، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُخَارِقِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللهُ، حطَّ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ فَضَمَّهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ فَصَعَدَ بِهِنَّ، لَا يمرُّ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّىٰ يُحَيّا بِهِنَّ وَجْهُ الرَّحْمَنِ، وَقَرَأَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠])**.

قال أبو عبد الله الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه، لكن حكم عليه الشيخ مقبل رَحِمَهُٱللَّهُ بأنه ضعيف لا يصح عن عبد الله بن مسعود.

قال: **(أَفَيَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَأَوَّلَ أنّ هَذَا الْملك يصعد بِهن حَتَّىٰ يُحَيّ بِهنّ وَجْهُ الْقِبْلَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْقِبْلَةِ فِي الْأَرْضِ؟ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ وَعَلِمَ كُلُّ ذِي فَهْمٍ وعِلم أَنَّ هَذِهِ تَفَاسِيرُ مَقْلُوبَةٌ، وَمَغَالِيطُ لَا يَسْتَقِيمُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْقِيَاسِ)**.

تفاسير ومغاليط، ممنوعة من الصرف لا تنون؛ لأنها صيغة منتهىٰ الجموع، فالمنع من

الصرف هنا لعلة واحدة تكفي في المنع.

قال: (وَمَغَالِيطُ لَا يَسْتَقِيمُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْقِيَاسِ فَكَيْفَ فِي الْأَثَرِ؟ وَلَا يهدي شَيْء مِنْهَا إِلىٰ هُدًىٰ، وَلَا يُرْشِدُ إِلَىٰ تُقًىٰ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُسلم بن يزيد، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: «الْحُسْنَىٰ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجه الله»).

وهذا ثابتٌ عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأخرجه المصنف في الرد علىٰ الجهمية كذلك، وابن جرير في التفسير.

قال: (وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَة، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، وَعَنْ جرير، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ سَابِطٍ، وَحَدَّثَنَاهُ الْحِمَّانِيُّ، عَنْ وَكِيع عَن أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: كُلُّهُمْ قَالُوا: "الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ"، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِلَىٰ وَجْهِ الْكَعْبَةِ، وَوُجُوهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، كَمَا ادَّعَيْتَ.

وَعَلَىٰ تَصْدِيقِ هَذِهِ الْآثَارِ وَالْإِيمَانِ بِهَا أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا رَوَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَنْ وَكِيعٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أقبل الله عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ» فَادَّعَيْتَ أَنَّهُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِهِ وَثَوَابِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: وَجْهُ اللهِ فِي الْمَجَازِ، كَمَا يُقَالُ: وَجْهُ الْحَائِطِ، وَوَجْهُ الثَّوب.

وَيْلَكَ! فَهَذَا مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ مُحَالٌ فِي الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا يُقال لِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْوُجُوهِ: أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ إِنْسَانٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَّا وَالْمُقْبِلُ بِوَجْهِهِ مِنْ ذَوِي الْوُجُوهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: لِلثَّوبِ وَجْهٌ، وَالْحَائِطِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَقْبَلَ الثَّوْبُ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ الْمُشْتَرِي، وَأَقْبَلَ الْحَائِطُ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ فُلَانٍ، لَا يُقَالُ: أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الْإِقْبَالِ،

وَكُلُّ قَادِرٍ عَلَىٰ الْإِقْبَالِ ذُو وَجْهٍ، هَذَا مَعْقُولٌ مَفْهُومٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَإِنْ جَهِلْتَهُ فَسَمِّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَوْجُهِ يَجُوزُ لك أَنْ تَقُولَ: أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ فُلَانٍ؛ فَإِنَّكَ لَا تَأْتِي بِهِ، فَافْهَمْ، وَمَا أَرَاكَ وَلَا إِمَامَكَ تَفْهَمَانِ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ.

وَلَوْلَا كَثْرَةُ مَنْ يَسْتَنْكِرُ الْحَقَّ وَيَسْتَحْسِنُ الْبَاطِلَ مَا اشْتَغَلْنَا كُلَّ هَذَا الِاشْتِغَالِ بِتَثْبِيتِ وَجْهِ اللهِ ذِي الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، ولولم يَكُنْ فِيهِ إِلَّا اجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْعَالِمِينَ: "أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ وَأَعُوذُ بِوَجْهِكَ يَا رَبِّ"، وَجَاهَدْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَأَعْتَقْتُ لِوَجْهِ اللهِ).

يريد أن هذا كلامٌ دارجٌ واردٌ علىٰ لسان جميع الناس.

يقول: (ولو لم يَكُنْ فِيهِ إِلَّا اجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ).

يعني هذه الكلمات دارجة علىٰ ألسنة الناس أصحاب الفطر السليمة، بل المعطّلة والجهمية يقولون هذا الكلمات.

فقال: (ولو لم يَكُنْ فِيهِ إِلَّا اجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْعَالِمِينَ: "أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ وَأَعُوذُ بِوَجْهِكَ يَا رَبِّ"، وَجَاهَدْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَأَعْتَقْتُ لِوَجْهِ اللهِ لَكَانَ كَافِيًا مِمَّا ذَكَرْنَا؛ إِذْ عَقِلَهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ، غَيْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ الزَّائِغَةِ الْمُلْحِدَةِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ، الْمُعَطِّلَةِ لِوَجْهِ اللهِ وَلِجَمِيعِ صِفَاتِهِ، عَزَّ وَجَلَّ وَجْهُهُ، وتقدّست أَسْمَاؤُهُ. لَقَدْ سَبَبْتُمُ اللهَ بِأَقْبَحِ مَا سبَّه الْيَهُودُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤]، وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ: يَدُ اللهِ مَخْلُوقَةٌ كلّها).

فهم أقبح قولًا وفعلًا من اليهود، أقبح اعتقادًا من اليهود.

(لَمَّا ادَّعيتم أَنَّهَا نِعْمَتُهُ وَرِزْقُهُ؛ لِأَنَّ النِّعْمَةَ وَالْأَرْزَاقَ مَخْلُوقَةٌ كُلُّهَا).

قلنا: ومن هنا قال مَن قال كعبد الله بن المبارك: "لأن أحكي كلام اليهود والنصارىٰ خيرٌ

لي من أن أحكي كلام هؤلاء" يعني الجهمية.

قال: (ثُمَّ زِدْتُمْ عَلَىٰ الْيَهُودِ، فَادَّعَيْتُمْ أَن وَجه الله مَخْلُوق؛ إذا ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ وَجْهُ الْقِبْلَةِ، وَوُجُوهُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَكَوَجْهِ الثَّوْبِ وَالْحَائِطِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، فَادَّعَيْتُمْ أَنَّ عِلْمَهُ وَكَلَامَهُ وَأَسْمَاءَهُ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ كَمَا هِيَ لكم، فَمَا بَقِي لكُم إِلَّا أَنْ تقُولُوا: هُوَ بِكَمَالِهِ مَخْلُوقٌ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ سَبَبْتُمُ اللهَ بِأَقْبَحِ مَا سبَّته الْيَهُودُ).

تكلم الدارمي بعد ذلك عن صورة الرحمن تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهل له صورةٌ أم لا؟ وهذا كذلك قد تناولناه قبل ذلك، لكن سنقرؤه سريعًا إن شاء الله، وإن احتاج إلىٰ التعليق

هذا المبحث قد سبق لنا أن تناولناه، لكن المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ يستطرد في كتابه وفي رده بناءً علىٰ ما يأتي به المعارض المبتدع، فقد تناولنا حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي أنكره المريسي ومن تبعه «**إن الله يتراءىٰ لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يتراءىٰ في صورته التي يعرفونها، فيعرفونه فيتبعونه**»، وبيّنا المراد بالصورة هاهنا والمراد بالعلامة التي يعرفون بها ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهي قوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم: ٤٢].

وهناك أحاديث أخرىٰ في إثبات الصورة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فإثبات الصورة لله جاء في مواضع ثلاثة:

- في هذا الحديث الذي سمعناه، ويكون ذلك يوم القيامة.

- وكذلك في حديث خلق آدم لما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله خلق آدم علىٰ صورته**» أي: علىٰ صورة الرحمن، له سمعٌ وبصرٌ ووجه، لكن صورة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ليست كأي صورةٍ من صور الخلق، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١].

- والموضع الثالث هو الموضع الذي معنا، وسيذكر المصنف حديثه، وهو حديث معاذ



وغيره: «رأيت ربي الليلة في أحسن صورة»، فهذه هي المواضع الثلاثة التي جاء فيها ذكر الصورة.

ونحن كما هو معلومٌ عن أهل السنة والجماعة نثبت ما أثبته الله لنفسه، نثبت المعنىٰ، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ عَنْ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ رَبِّي فِي جَنَّةِ عدن شَابٍ جعدٍ فِي ثَوْبَيْنِ أخضرين»).

فقوله في هذا الحديث: «شَابٍ جعدٍ» وصفٌ لقوله في الحديث: «ربي»، يعني: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَبِّي شَابٍ جعدٍ فِي ثَوْبَيْنِ.

قال: (وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ فِي أَيْدِي الصِّبْيَانِ، فَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا عِنْدَ الْمُعَارِضِ فَكَيْفَ يَسْتَنْكِرُهُ مَرَّةً ثُمَّ يُثْبِتُهُ أُخْرَىٰ، فَيُفَسِّرُهُ تَفْسِيرًا أَنْكَرَ مِنَ الْحَدِيثِ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَبِعِلَّتِهِ، غَيْرَ أَنِّي اسْتَنْكَرْتُهُ جِدًّا).

هذا كلام الإمام الدارمي.

(لِأَنَّهُ يُعَارِضُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»، وَيُعَارِضُهُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَتَلَتْ قَوْلَهُ تعالَىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾).

هذا الحديث الذي معنا حديثٌ لا يصح، وهو حديثٌ منكر وفي سنده ومتنه اضطرابٌ شديد، قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السيَر: "وهو بتمامه في تأليف البيهقي" يعني هذا الحديث، "وهو خبرٌ منكَر، نسأل الله السلامة في الدين، فلا هو علىٰ شرط البخاري ولا

مسلم، ورواته وإن كانوا غير متهمين فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان، فأول الخبر قال: «رأيتُ ربي»، وما قيّد الرؤية بالنوم، وبعض من يقول: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربه ليلة المعراج يحتجّ بظاهر هذا الحديث، والذي دلّ عليه الدليل عدم الرؤية مع إمكانها، وهذه عقيدة أهل السنة: أن الله لا يُرىٰ في الدنيا مع إمكان هذه الرؤية، بدليل تعليقها علىٰ الجبل واستقرار الجبل كما مضىٰ.

قال: "فنقف عن هذه المسألة، فإن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، فإثبات ذلك أو نفيه صعب، والوقوف سبيل السلامة، وإذا ثبت شيءٌ قلنا به، ولا نعنّف من أثبت الرؤية لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا" لأن المسألة خلافية، نعم.

"ولا نعنّف من أثبت الرؤية لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا، ولا من نفاها، بل نقول: الله ورسوله أعلم، بل نعنّف ونبدّع من أنكر الرؤية في الآخرة، إذ رؤية الله في الآخرة تثبت بنصوصٍ متوافرة".

فرؤية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه في الدنيا هذا مما وقع الخلاف فيه بين العلماء، ومن علماء أهل السنة الكبار- وكلهم كذلك- من أثبت رؤية نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه في الدنيا، ومنهم من نفاها وهو الصحيح الذي عليه الدليل، وعليه أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما رؤية الله في الآخرة فهذه لا تُنفىٰ مطلقًا، بل من نفاها يُبدَّع ويُعنّف كما قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك لأن الدليل في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع الصحابة قد قام علىٰ ذلك.

هذا الحديث الذي معنا كما قلنا حديثٌ منكر، قال ابن الجوزي أبو الفروج: "هذا الحديث لا يثبُت، وطرقه كلها عن حمّاد بن سلمة، قال ابن عديّ: قد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيب حمّاد فكان يدسّ في كتبه هذه الأحاديث، وقال أبو أحمد بن عدي: قال

لنا ابن أبي داوود: روىٰ هذا الحديث شاذان، وإبراهيم ابن أبي سُوَيد، وعفّان، وعبد الصمد بن حسّان عن حمّاد، وراه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة، وهو غريب".

إذًا هذا الحديث ردّه أهل العلم ولم يقبلوه، ولذلك استنكره الإمام الدارمي جدًا فقال: إني استنكرته جدًا.

قال: (فَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدَنَا فِيهِ وَالتَّأْوِيلُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، لَا مَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ تَفْسِيرَهُ: إِنِّي دَخَلْتُ عَلَىٰ رَبِّي فِي جَنَّةِ عَدْنٍ، كَقَوْلِ النَّاسِ: أَتَيْنَاكَ رَبَّنَا شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَهَذَا تَفْسِيرٌ مُحَالٌ لَا يُشْبِهُ مَا شَبَّهْتَ).

فعادة أهل البدع كما رأينا أنهم يأتون بالأحاديث المنكرة والموضوعة والمكذوبة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بعد ذلك يتكلّفون تأويلها.

وعلة ذلك: أن بضاعتهم في الحديث مزجاة، فلا تجد واحدًا من هؤلاء المتكلمين إلا وكانت عنده نُفرةٌ من الحديث، لا يقبل علىٰ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعلمه، وإنما يشغل وقته كله إما بأصول الفقه، أو مسائل الفقه، أو بالمسائل الكلامية، وفلسفة أهل اليونان، لا يقبل علىٰ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك لو جاءه أي حديثٍ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبله ويجعله شبهةً ويحاول تأويله؛ لأنه لا يعرف إسناده ولا يعرف من روىٰ هذا الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد يرد حديثًا في أعلىٰ درجات الصحة، ويستدل بحديثٍ رده كل أهل العلم بالحديث، كما رأينا هاهنا، يقبل هذا الحديث ثم يتكلّف تأويله، فيقول: إن تأويله.

يعني معناه: (كَقَوْلِ النَّاسِ: أَتَيْنَاكَ رَبَّنَا شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).

فهذا الذي رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان شابًا علىٰ هذه الصورة التي ذكرها في الحديث، جعد، في ثوبين أخضرين، فلم ير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما رأىٰ شابًا في منامه، أو في هذه

الرؤيا، فهذا كقول الناس: أتيناك شعثًا غبرًا، هذا الوصف وصف لمن؟ وصفٌ لربنا أم وصفٌ لمن أتىٰ الله؟ وصفٌ لمن أتىٰ الله، فكذلك في هذا الحديث إنما هو وصفٌ لشابٍ رآه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث، وليس وصفًا لله.

فقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللهُ: إن هذا لا ينقاس، ولا يُقبل، لماذا؟ للفرق بين الحديثين، وبين معنىٰ الحديثين علىٰ فرض إثبات الحديث الأول.

قال: (لِأَنَّ فِي رِوَايَتِكَ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُهُ شَابًّا جَعْدًا فِي ثَوْبَيْنِ أَخْضَرَيْنِ»، وَيَقُولُ أُولَئِكَ).

يعني الناس.

(أَتَيْنَاكَ شُعْثًا غُبْرًا، أَيْ قَصَدْنَا إِلَيْكَ نَرْجُو عفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ، وَلَمْ يَقُولُوا: أَتَيْنَاكَ فَرَأَيْنَاكَ شَابًّا جَعْدًا فِي ثَوْبَيْنِ أَخْضَرَيْنِ لِتَغْفِرَ لَنَا، هَؤُلَاءِ قَصَدُوا الثَّوَابَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَلَمْ يَصِفُوا الَّذِي قَصَدُوا إِلَيْهِ بِمَا فِي حَدِيثِكَ مِنَ الْحِلْيَةِ وَالْكُسْوَةِ والمعاينة، فَلفظ هَذَا الْحَدِيثِ بِخَلَافِ مَا فَسَّرْتَ، وَتَفْسِيرُكَ أَنْكَرُ مِنْ نَفْسِ الْحَدِيثِ، فَافْهَمْ وَأَقْصِرْ عَنْ شِبْهِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْحَدِيثِ، فَإِنَّ الْخَطَأَ فِيهِ كُفْرٌ، وَأَرَىٰ الصَّوَابِ مَرْفُوعًا عَنْكَ).

فيتهمه بالجنون، وبالوقوع في الباطل دائمًا.

قال: (وَمِنَ الْأَحَادِيثِ أَحَادِيثُ جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهَا الْعُلَمَاءُ وَرَوَوْهَا وَلَمْ يُفَسِّرهَا، وَمَنْ فَسَّرَهَا بِرَأْيِهِ اتَّهَمُوهُ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ أَنَّ وَكِيعًا سُئل عَنْ حَدِيثِ عبد الله ابْنِ عَمْرٍو: «الْجَنَّةُ مَطْوِيَّةٌ مُعَلَّقَةٌ بِقُرُونِ الشَّمْسِ»).

وهذا أثرٌ باطل، وهو من الإسرائيليات، ولو صحّت نسبته إلىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص فهو من الإسرائيليات التي يُتوقّف فيها، إن لم تعارض شيئًا في كتاب الله ولا في سنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُصدّق ولا تُكذّب، لكن إسناد هذا الأثر لا يصح ولا يثبت، فلا يثبت من جهة السند، ولا من جهة المعنىٰ.

قال: («الْجَنَّةُ مَطْوِيَّةٌ مُعَلَّقَةٌ بِقُرُونِ الشَّمْس»، فَقَالَ وَكِيع: هَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ).

معنىٰ مشهور في قول وكيع ليس معناه ثابتًا، وإنما هذا مما يتداوله الناس ويتناقلونه فيما بينهم.

قال: ("فقَدْ رُوِيَ فَهُوَ يُرْوَىٰ").

يعني نرويه كما رواه هؤلاء.

(فَإِنْ سَأَلُوا عَنْ تَفْسِيرِهِ لَمْ نُفَسِّرْ لَهُمْ، وَنَتَّهِمُ مَنْ يُنكره وينازع فِيهِ، والْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ).

وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن المعنىٰ الذي جاء في هذا الحديث، وهو إثبات الجنة وأنها موجودةٌ الآن وأنها خُلقت، خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يتكلم عن أصل ثبوت الحديث من عدمه، يقول: رواه الناس فرويناه، وما تكلّم عن إسناده، والإسناد كما قلنا: لا يصح.

قال أبو عبد الله الجوزجاني، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا حديثٌ باطل، وخالد بن معدان لم يسمع من ابن عمروٍ شيئًا"، فالحديث لا يصح.

قال: (فَلَوِ اقْتَدَيْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الْمُشْكِلَةِ الْمَعَانِي بِوَكِيعٍ كَانَ أَسْلَمَ لَكَ مِنْ أَنْ تُنْكِرَهُ مَرَّةً، ثُمَّ تُثْبِتَهُ أُخْرَىٰ، ثُمَّ تُفَسِّرَهُ تَفْسِيرًا لا يَنْقَاسُ فِي أَثَرٍ وَلَا قِيَاسٍ عَنْ ضَرْبِ الْمَرِيسِيِّ وَالثَّلْجِيِّ وَنُظَرَائِهِمْ).

ينكر عليه أن يأخذ تفسيره عن المريسي والثلجي.

(ثُمَّ لا حَاجَةَ لِمَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، ثُمَّ فَسَّرْتَهُ تَفْسِيرًا أَوْحَشَ من الأول، فقت: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ رَبِّي فِي جَنَّةِ عَدْنٍ شَابًّا جَعْدًا» أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ شَابًّا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ).

فالوصف لشابٍ من أولياء الله في هذا الحديث، هكذا يقول المعارض.

(وَافَاهُ رَسُولُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ فقَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ رَبِّي»، فَقَدِ ادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرًا عظِيمًا: أَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَرَأَىٰ شَابًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَبِّي، ثُمَّ بَعْدَمَا فسَّر هَذِهِ التَّفَاسِيرَ الْمَقْلُوبَةَ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الزَّنَادِقَةُ فَدَسُّوهَا فِي كُتُبِ الْمُحَدِّثِينَ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْأَحْمَقِ، الَّذِي تَتَلَّعَبُ بِهِ الشَّيَاطِينُ: وَأَيُّ زِنْدِيقٍ اسْتَمْكَنَ مِنْ كُتُبِ الْمُحَدِّثِينَ مِثْلُ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَسُفْيَانَ، وَشُعْبَةَ، وَمَالِكٍ، وَوَكِيعٍ، وَنُظَرَائِهِمْ فيدسُّوا مَنَاكِيرَ الْحَدِيثِ فِي كُتُبِهِمْ؟ وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ أَصْحَابَ حِفْظٍ).

فهذا لا يستطيعه أحدٌ من الزنادقة في مجلس هؤلاء الأئمة؛ لأن هؤلاء كانوا أهل حفظ، يقفون علىٰ الحرف، لا علىٰ الكلمة، فكيف تُدسّ عليهم أمثال هذه الأحاديث.

قال: (وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ كَانُوا لَا يَكَادُونَ يُطْلِعون عَلَىٰ كُتُبِهِمْ أَهْلَ الثِّقَةِ عِنْدَهُمْ فَكَيْفَ الزَّنَادِقَةُ؟ وَأَيُّ زِنْدِيقٍ كَانَ يَجْتَرِئُ عَلَىٰ أَنْ يَتَرَاءَىٰ لِأَمْثَالِهِمْ وَيُزَاحِمَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ؟).

يعني لا يجرؤ واحدٌ من الزنادقة أن يظهر في مجلس هؤلاء، وإلا أوسعوه ضربًا بالنعال، وطردوه من المسجد، كما فعل مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مع هذا المبتدع الذي سأله عن كيفية الاستواء علىٰ العرش.

قال: (فَكَيْفَ يَفْتَعِلُونَ عَلَيْهِمُ الْأَحَادِيثَ وَيَدُسُّونهَا فِي كُتُبِهِمْ؟ أَرَأَيْتَكَ أَيُّهَا الْجَاهِلُ إِنْ كَانَ هَذا الْحَدِيثُ عِنْدَكَ مِنْ وَضعِ الزَّنَادِقَةِ فلِمَ تَلْتَمِسُ لَهُ الْوَجْهَ وَالْمَخَارِجَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ كَأَنَّكَ تُصَوِّبُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ أفَلَا قُلْتَ أَوَّلًا: إِنَّ هَذَا مِنْ وَضعِ الزَّنَادِقَة فتستريح وتريح الْعَنَا وَالِاشْتِغَالَ بِتَفْسِيرِهِ، وَلَا تَدَّعِي فِي تَفْسِيرِهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ

فَرَأَىٰ شَابًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَالَ: هَذَارَبِّي، غَيْرَ أَنَّكَ خَلَطْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ فَوَقَعْتَ فِي تَشْوِيشٍ وَتَخْلِيطٍ، لَا تَجِدُ لِنَفْسِكَ مَفْزَعًا إِلَّا بِهَذِهِ التَّخَالِيطِ، وَلَنْ يُجْزِئ عَنْكَ شَيْئًا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَكُلَّمَا أَكْثَرْتَ مِنْ هَذَا وَشَبَهِهِ ازْدَدْتَ بِهِ فَضِيحَةً؛ لِأَنَّ أَحْسَنَ حُجَجِ الْبَاطِلِ تَرْكُهُ وَالرُّجُوعُ عَنْهُ).

قال: (وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَىٰ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟ فَقُلْتُ»).

(«لَا عِلْمَ لِي يَا رَبِّ، فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ فِي صَدْرِي، فَتَجَلَّىٰ لِي مَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض»... الحديث).

وهو حديثٌ صحيحٌ بمجموع طرقه، جاء عن ثوبان وغيره من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرواية المشهورة عن معاذ.

قال: (فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَقُولَ: أَتَانِي رَبِّي مِنْ خَلْقِهِ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ).

أي: جاءني ربي بخلْقٍ من خلقه، هذا الخلق في أحسن صورة، فالذي جاء بهذه الصورة هو المخلوق وليس الخالق.

قال: (فَأَتَتْنِي تِلْكَ الصُّورَةُ، وَهِيَ غَيْرُ اللهِ، وَاللهُ فِيهَا مُدْبِرٌ، فوضع كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ فِي صَدْرِي، يَعْنِي تِلْكَ الصُّورَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْأَنَامِلُ لِتِلْكَ الصُّورَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ اللهِ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ لِلَّهِ).

فإضافة الأنامل إلىٰ الله هاهنا في هذا الحديث علىٰ تأويل المعارض من إضافة المخلوق إلىٰ الخالق، وليست صفةً للخالق، لا الكف، ولا الأنامل، ولا غير ذلك.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: كَمْ تُدْحَضُ فِي قَوْلِكَ وَتَرْتَطِمُ فِيمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ علم، أرأيتك إِذَا ادَّعيت أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ صُورَةً مِنْ خَلْقِ اللهِ سِوَىٰ اللهِ أَتَتْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تَدْرِي يَا محمدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟ أَفَتَتَأَوَّلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ أَجَابَ صُورَةَ غَيْرِ اللهِ، فقالَ لَها: لَا يَا رَبِّ لَا أَدْرِي، فَدَعَاهَا رَبًّا، دُونَ اللهِ، أَمْ أَتَتْهُ صُورَةٌ مَخْلُوقَةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَانِي رَبِّي»؟ إِنَّ هَذَا لَكُفْرٌ عَظِيمٌ ادَّعَيْتَهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَيَّةُ صُورَةٍ تَضَعُ أَنَامِلَهَا وَكَفَّهَا فِي كَتِفِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَتَجَلَّىٰ لَهُ بِذَلِكَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ غَيْرُ اللهِ؟ فَفِي دَعْوَاكَ ادَّعَيْتَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ أَقَرَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ لِصُورَةٍ مَخْلُوقَةٍ غَيْرِ اللهِ؛ لِأَنَّ فِي رِوَايَتِكَ أَنَّ الصُّورَةَ قَالَتْ لَهُ: "هَلْ تَدْرِي يَا مُحَمَّدُ" فَقَالَ لَهَا: يَا رَبِّ، وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ صُورَةٌ مَخْلُوقَةٌ تَضَعُ أَنَامِلَهَا فِي كَتِفِ نَبِيٍّ مِثْلِ مُحَمَّدٍ، فَيَتَجَلَّىٰ لَهُ بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُمُورٌ لَمْ يَكُنْ يعرِفُها قَبْلَ أَنْ تَضَعَ تِلْكَ الصُّورَةُ كَفَّهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟

وَيْحَكَ! لَا يُمْكِنُ هَذَا جِبْرِيل، وَلَا مِيكَائِيل، وَلَا إِسْرَافِيلُ، وَلَا يُمْكِنُ هَذَا غَيْرُ اللهِ، فَكَمْ تَجْلِبُ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنَ الْجَهْلِ وَالْخَطَإِ، وَتَتَقَلَّدُ مِنْ تَفَاسِيرِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ مَا لَمْ يَرْزُقْكَ اللهُ مَعْرِفَتَهَا، وَلَا تَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَجُرَّكَ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَىٰ الْكُفْرِ بِالَّذِي تَأَوَّلْتَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ صُورَةً مَخْلُوقَةً كَلَّمَتْهُ فَأَجَابَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وقال: «يَا رَبِّ»، أَمِ اللهُ صُورَةٌ لَمْ يَعْرِفْهَا، فَقَالَ: «أَتَانِي رَبِّي» لِمَا أَنَّ اللهَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ مُدَبِّرٌ؟ فَفِي دَعْوَاكَ أَيَجُوزُ لَكَ كُلَّمَا رَأَيْتَ كَلْبًا أَوْ حِمَارًا أَوْ خِنْزِيرًا قُلْتَ: "هَذَا رَبِّي" لِمَا أَنَّ اللهَ مُدَبِّرٌ فِي صُوَرِهِمْ فِي دَعْوَاكَ، وَجَازَ لِفِرْعَوْنَ فِي دَعْوَاكَ أَنْ يَقُولَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لِمَا أَنَّ اللهَ مُدَبِّرٌ فِي صُورَتِهِ بِزَعْمِكَ، وَهَذَا أَبْطَلُ بَاطِلٍ، لَا يَنْجَعُ إِلَّا فِي أَجْهَلِ جَاهِلٍ).

لا ينجع يعني لا يدخل أو لا يؤثر، كما في الصحاح للجوهري.

قال: (وَيْلَكَ! إِنَّ تَأْوِيلَ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، لِمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَدِيث أبي ذر «إِنَّهُ لَمْ يَرَ رَبَّهُ»، وَقَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا»).

فحديث أبي ذرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكذلك الحديث الذي ساقه المصنف هاهنا وأصله عند مسلم، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: «تعلّموا أنه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربه عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت»، هذا في رؤيا الدنيا، في الرؤية البصرية، هذه منفية، لا تكون لأحدٍ من الخلق، مع إمكانها كما قلنا.

(وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "من زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ"، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ذَلِك مَعَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يَعْنِي أَبْصَارَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هَذِهِ الرُّؤْيَةُ).

أي: التي جاءت في حديث ثوبان: «رأيت ربي في أحسن صورة»، وكذلك في حديث معاذ، قال: إنما هذه الرؤية.

رؤية الله في المنام

(كَانَتْ فِي الْمَنَامِ).

فهي رؤيا منامية.

(وَفِي الْمَنَامِ يُمكن رُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَال وَفِي كل صُورَة).

ما المراد بهذا الكلام؟ لأن هذا الكلام عليه عامّة أهل السنة والجماعة، أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الممكن أن يُرىٰ في المنام، كما رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال ابن عباس لما أثبت رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه قال: "رآه بفؤاده مرتين"، وفي الحديث أنه رآه في المنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فما المراد بهذه الرؤية؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية وهو يقرّر عدم رؤية الله في الدنيا، قال: "ولكن لم نره في الدنيا" ثم بيّن علة ذلك، قال: "لعجزنا عن ذلك وضعفنا، كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس، بل كما لا تطيق الخفاش أن تراها، لا لامتناع رؤيتها، فرؤية الشمس جائزة وممكنة، بل لضعف بصره وعجزه، كما قد لا يُستطاع سماع الأصوات العظيمة جدًا، لا لكونها لا تُسمع، بل لضعف السامع وعجزه، ولهذا يحصل لكثير من الناس عند سماع الأصوات العظيمة ورؤية الأشياء الجليلة ضعفٌ، أو رجفان، أو نحو ذلك مما سببه ضعفه عن الرؤية والسماع، لا لكون ذلك الأمر مما تمتنع رؤيته وسماعه، ولهذا وردت الأخبار في قصة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وغيره بأن الناس إنما لا يرون الله في الدنيا للضعف والعجز، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادرٌ علىٰ أن يقويّهم علىٰ ما عجزوا عنه، وهذا يكون في الآخرة، بدليل حال الناس مع الشمس في الآخرة، فتدنو الشمس يوم القيامة منهم مقدار ميل، والأصل في الميل أنه الميل المعروف في المقياس، وكذلك إذا دخلوا الجنة لا يدخلون علىٰ صورتنا، وإنما يدخلون علىٰ صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء، ليناسب ذلك تنعُّمهم بنعيم الجنة، أما الدنيا فإنما حالنا ضعف البصر والسماع وغير ذلك" كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذًا الرؤية -رؤية الله تبارك وتعالىٰ- في الدنيا ممكنة، لكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منعها.

ماذا عن رؤيته في المنام؟ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا كان كذلك" النقل السابق من (**بيان تلبيس الجهمية**) في الجزء الثاني أو المجلد الثاني صفحة ٤٣١، و٣٢.

أما رؤية الله في المنام فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا كان كذلك فالإنسان قد يرىٰ ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حقٌّ في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد" لا يجوز للإنسان أن يعتقد "أن الله في نفسه مثل ما رأىٰ في المنام، فإن سائر ما يُرىٰ في المنام لا يجب أن يكون مماثلًا، ولكن لا بد

أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبةً ومشابهةً لاعتقاده في ربه" فإن كان اعتقاده في ربه وإيمانه حسنًا كانت الصورة حسنة، وإن كان اعتقاده في ربه سيئًا كانت الصورة سيئة، قال: "فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقًا أُتي من الصور، وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس، قال بعض المشايخ: إذا رأىٰ العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجابًا بينه وبين الله، وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلًا ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه، إذ الرؤية تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألةٌ معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفةٍ من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواترٌ عمن رأىٰ ربه في المنام، ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأىٰ ربه في المنام، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤيةً صحيحة كسائر ما يُرىٰ في المنام، فهذا ما يقوله المتجهّمة، وهو باطلٌ مخالفٌ لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم".

قال: "وليس في رؤية الله في المنام نقصٌ ولا عيبٌ يتعلق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه، وقول من يقول: ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه ونحو ذلك إذا حُمل علىٰ مثل هذا كان محملًا صحيحًا، فلا نعتقد أن ما تخيّله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور، أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصوّرها الإنسان ويتخيّلها علىٰ حقيقتها، بل هي علىٰ خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبًا مشابهًا لها فالله تعالىٰ أجلُّ وأعظم".

فالأمر يتعلق باعتقاد الإنسان، لا أنه رأىٰ ربه حقيقةً في منامه، هذا أيضًا من (**تلبيس**

الجهمية) في الجزء الأول.

قال: (**كَذَلِكَ رَوَىٰ مُعَاذُ بْنُ جَبلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي، فَأَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» الحَدِيث**).

حديث عظيم جدًا، وابن رجب له شرح نفيس عليه.

قال: (**فَحِينَ وُجِدَ هَذَا لِمُعَاذ بن جبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَلِكَ صَرفْتَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي فِيهَا إِلَىٰ مَا قَالَ مُعَاذٌ، فَهَذَا تَأْوِيلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، لا مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنُونِ وَالْخُرَافَاتِ، فَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ صُورَةً فِي الْيَقَظَةِ كَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: يَا رَبِّ، غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّكَ لَوْ دَرَيْتَ أَنَّهُ يُخْرِجُكَ تَأْوِيلُكَ إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الضَّلالاتِ لأَمْسَكْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ عَلَىٰ حَدِّ الْجوَاز آمِنًا مِنَ الْجَوَابِ غَارًّا أَنْ يُنْتَقَدَ عَلَيْكَ**.

وَقَدْ رَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: «بَيْنَمَا عَبْدُ اللهِ يُمَجِّدُ رَبَّهُ).

وهو ابن مسعود.

(**إِذْ قَالَ مِعْضَدٌ**).

وهو أحد الرواة، وهو مِعْضَدٌ بن يزيد العِجلي، أبو يزيد الكوفي، قيل أنه أدرك الجاهلية.

قال: (**إِذْ قَالَ مِعْضَدٌ: نِعْمَ الْمَرْءُ رَبُّنَا**).

يعني كان عبد الله بن مسعود يثني علىٰ ربه بما هو أهله، فقال مِعضَد:

(**نِعْمَ الْمَرْءُ رَبُّنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنِّي أُجِلُّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**).

وهذا الأثر إسناده حسن.

قال: (**فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ فِي تَفْسِيرِهِ تَخْلِيطًا مِنَ الْكَلَامِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: الشَّخْصُ فِي قَوْلِهِ**

شَيْءٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهَ، فَأَظُنُّ بِهِ أَنَّهُ يَعْنِي أنّ الشَّيْءَ لا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا، وَاللهُ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ شَيْءٌ).

حكم الإخبار عن الله بالشخص والشيء ولماذا منعه الجهمية

الشخص المذكور في كلام المعارض مقابل للمرء المذكور في كلام مِعضَد، فلما قال مِعضَد هذا الكلام لما سمع عبد الله بن مسعود يثني علىٰ ربه، فقال مِعضَد: "نعم المرء ربنا" فالمرء يعني الشخص، فقال ابن مسعود: "إني أجلُّه عن ذلك، ولكن ليس كمثله شيء، فالمعارض قال: المرء تساوي شيء، فالله لا يُطلق عليه لا المرء، ولا الشخص، ولا شيء، ولذلك منع الجهمية أن يُطلق علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه شيء، فلا أثبتوا له الأسماء، ولا الصفات، ولا الإخبار عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع أنه ثبت عن نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخبر عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنه شخص، والشخص من الشخوص والظهور، كما جاء في حديث سعد بن عبادة المشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا كان جالسًا مع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لمّا قال: "لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفحٍ" لأنه لمّا سمع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في حدّ الزنا أنه لا بد من توفّر شهودٍ أربعة، فقال الصحابي: أتركه مع امرأتي يقطر ذكره منيًّا أو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتىٰ أذهب لآتي بشهودٍ أربع، والله لو رأيته لضربته بالسيف، هذا يقوله من شدة غيرته علىٰ أهله، لا يقوله اعتراضًا علىٰ ما جاء في كتاب الله، فنقل الصحابة ذلك للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغيَر منه، والله أغيَر مني**»، فأثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما لا تثبته الجهمية من صفات الفعل، وهي الغيرة، قال: «**والله أغيَرُ مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغيَر من الله، ولا شخص أحبّ إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحبّ إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة**»، وهذا الحديث علّقه البخاري، قال: باب قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا شخص أغيَر من الله**»، فهذا ممّا يُطلق علىٰ

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ويُخبر به عنه؛ لأن ذلك جائزٌ من جهة اللغة، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

وكذلك إطلاق الشيء علىٰ الله، فهذا ممّا يطلقه أهل السنة والجماعة اتباعًا لما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهذا ممّا ينفيه الجهمية؛ لأن الجهمية يقولون: إن ما يُطلق عليه شيء إنما هو المعدوم، لا يُطلق الشيء علىٰ الله الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، وإنما هذه الكلمة لا تُطلق إلا علىٰ المخلوق المعدوم.

وهناك بحثٌ طيب في كتاب (**قلب الأدلة علىٰ الطوائف المضلة في توحيد الربوبية والأسماء والصفات**) في المجلد الأول، آخر المجلد الأول، آخر بحث، وهو في حكم إطلاق الشيء علىٰ الله، وقلب الأدلة أو أدلة من أنكر إطلاقه علىٰ الله.

أولًا: الشيء في اللغة: مصدر من الفعل الثلاثي شاء: يشاء: شيئًا، فهي مصدر، شاء: يشاء: شيئًا، وهو يُطلق تارةً بمعنىٰ اسم الفاعل ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾[الأنعام: ١٩]، فيُطلق مرةً بمعنىٰ اسم الفاعل، فيكون شيء بمعنىٰ ماذا؟ شاءٍ، فاعل، ويُطلق تارةً بمعنىٰ اسم المفعول، فيكون شيءٌ بمعنىٰ مشيء، مثل بيع: فهو مبيع، وليست: مُباع

قال: "فعلىٰ المعنىٰ الأول يتناول الشيء الباري" لأن الله فاعل "كقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾، بخلاف المعنىٰ الثاني، فالشيء في حق الله تعالىٰ بمعنىٰ الشائي، وفي حق المخلوق بمعنىٰ المشيء" أو: المُشاء، اسم مفعول، كما نقولها بعاميتنا.

قال: "والشيء في اصطلاح أهل اللسان إنما يُطلق بإزاء الموجود"، فإطلاق الشيء علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أي: الموجود، الشيء بمعنىٰ الموجود، سواءٌ كان حادثًا أو قديمًا، فيُطلق علىٰ ما هو حادث، وما هو قديم، والقديم إذا أُطلق علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فالمراد به الذي لم يسبقه عدم.

قال: "وهذا هو المألوف من كلام أهل اللغة كما في قولهم: المعلوم ينقسم إلىٰ: شيء، وإلىٰ ما ليس بشيء، ولم يُعرف عن العرب إطلاق الشيء علىٰ المعدوم"، فليس في كلام العرب أن الشيء يُطلق علىٰ...

والجهمية يقولون: إن إطلاق الشيء يقتضي أن يكون معدومًا، "وقد احتجّ أهل السنة والجماعة في ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إِلّا وَجهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، إذ المعدوم لا يتصف بالهلاك"، لأنه في الأصل معدوم، "وقال: ﴿وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ﴾[الإسراء: ٤٤]، إذ المعدوم لا يُتصوّر منه التسبيح، وبهذا يكون الشيء" ما المراد بالشيء؟ "عبارة عن كل موجود"، فالشيء عبارة عن كل موجود، "إما وجودًا حسيًّا كالأجسام، أو وجودًا معنويًا كالأقوال".

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد أطبق العقلاء علىٰ أن لفظ شيء يقتضي إثبات موجود، وعلىٰ أن لفظ لا شيء يقتضي نفي موجود".

ما حكم إطلاق الشيء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عند أهل السنة:

قال المؤلف: "تقدّم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في إطلاق الأسماء الحسنىٰ علىٰ الباري سبحانه، وأن الأسماء توقيفيةٌ لا يُتجاوز فيها النص، وذلك مذهبهم في الأسماء الحسنىٰ المضافة إلىٰ الله، وأما باب الإخبار فهو أوسع من باب الأسماء ومن باب الصفات، فلا يجب في باب الأخبار أن يكون توقيفيًا، فقد يُخبر عنه تعالىٰ باسمٍ حسن، أو باسمٍ غير سيئ"، مجرد الإخبار، يعني إما أن يُخبر عنه باسمٍ لا يتضمن سوءًا أو باسمٍ حسن، يعني عندما نخبر عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنه دليل الحيارىٰ **كما كان** شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر في مجموع الفتاوىٰ أن من دعاء الصالحين: يا دليل الحيارىٰ، فأطلق علىٰ الله عَزَّوَجَلَّأنه دليل، أي: الذي يدل غيره ويرشده، هذا ليس اسمًا من أسماء الله، ولا صفةً من

صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما هذا من باب الإخبار، وهذا إخبارٌ حسن، وإطلاق الشيء علىٰ الله؟ ليس بسيء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما يُطلق علىٰ الله في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يُطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا، كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه".

ولذلك بعض الناس يستشكل، وينكر علىٰ من يطلق علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أنه موجود، فيقول: هذا لا يجوز في حق الله، لماذا؟ لأنه يعتقد موجود مفعول، لا بد له من فاعل، لا بد له من واجد، فنقول: هذا في حق المخلوقين، وأما في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو الحي القيوم، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، خالق الخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وباريهم، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكلم عن هذه اللفظة، لفظة الموجود فقال: "ويُفرّق في دعائه والإخبار عنه، فلا يُدعىٰ إلا بالأسماء الحسنىٰ، وأما الإخبار عنه فلا يكون باسمٍ سيئ".

ثم ذكر الإخبار عنه بالوجود، قال: "لكن قد يكون باسمٍ حسن، أو باسمٍ ليس بسيئ، وإن لم يُحكم بحسنه، مثل اسم شيء، وذات، وموجود، إذا أريد به الثابت" إذا أريد به الثابت، الموجود، الشيء، هذه بمعنىٰ الثابت، "وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد فهو من الأسماء الحسنىٰ" سيأتي بيان المراد من قول بعض أهل العلم وإطلاق بعض أهل العلم هذه الإطلاقات، يعني هل الموجود من أسماء الله الحسنىٰ الواردة في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ إذا لم يكن كذلك فما الذي أراده شيخ الإسلام ابن تيمية بمثل هذا الكلام: الشيء من أسماء الله الحسنىٰ، أو الموجود من أسماء الله الحسنىٰ؟ سيأتي.

وقال كذلك: "وقد يُفرّق بين اللفظ الذي يُدعىٰ به الرب، فإنه لا يُدعىٰ إلا بالأسماء الحسنىٰ، وبين ما يُخبر به عنه لإثبات حقٍ أو نفي باطل، فالفرق بين مقام المخاطبة" يعني

أن تخاطب الله في دعائك "ومقام الإخبار فرقٌ ثابتٌ في الشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يُدعىٰ الله به من الأسماء الحسنىٰ، وبين ما يُخبر به عنه عَزَّوَجَلَّ مما هو حقٌ ثابتٌ لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزّه عنه عَزَّوَجَلَّ من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية، قال: مع قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، ولا يقال له في الدعاء: يا شيء" لأنه يرادف الموجود وإثبات الذات.

قال: "وهذا التفريق هو ما دلّ عليه كلام الإمام عبد العزيز الكناني في كتابه (**الحيدة**)، ومما يدل علىٰ ذلك أيضًا أن غالب العلماء الذين تكلموا علىٰ الأسماء الحسنىٰ من أهل السنة ومن غيرهم لم يذكروا الشيء علىٰ أنه من أسماء الله الحسنىٰ التي أُمرنا أن ندعوه بها، لكن بالنظر لأقوال علماء السلف حول إطلاق الشيء علىٰ الله نجد أن بعضهم قد أطلقه وذكر أنه اسمٌ لله" من أسماء الله، "وذلك لا يخلو من احتمالاتٍ ثلاث" يعني لأن بعض الناس قد يتوهم أن الشيء من أسماء الله، بناءً علىٰ ما ذكره بعض أهل السنة من أن الشئ اسمٌ من أسماء الله.

فهذا لا يخلو من احتمالاتٍ ثلاثة:

- "أن يتبين من كلامه أن الشيء يُطلق علىٰ الله تعالىٰ من باب الإطلاق العام، لا أنه من باب الأسماء الحسنىٰ التي يُدعىٰ الله بها، فعلىٰ هذا يكون الخلاف لفظيًا"، يعني هو توسّع في العبارة، لكن هو لا يثبته اسمًا من أسماء الله ورد في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال: "ولعل من ذلك ما أورده الإمام القرطبي، حيث ذكر هذا الاسم: ﴿شَيءٍ﴾ من أسماء الله، لكنه قال في كلامه عنه: وهذا الاسم لا يُختلف فيه إن شاء الله، وإن لم يأتِ في عداد الأسماء؛ لأنه ليس من أسماء التضرُّع" فالإطلاق من باب التوسّع، أدخل بعض الأخبار في الأسماء.

قال: "بل لعل هذا ما أراده الإمام البخاري" المصنف هو الذي يقول ذلك، "حيث قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: بابٌ ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾، قال البخاري: فسمّىٰ الله تعالىٰ نفسه شيئًا" أراد أخبر عن نفسه، "وسمّىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القرآن شيئًا، وهو صفةٌ من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ﴾، فالظاهر والله أعلم أن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد من قوله: "فسمّىٰ" التسمية العامة والإطلاق العام، أي أنه يصح أن يُطلق هذا الحرف علىٰ الله، قال: يدل علىٰ هذا الفهم أنه قال: "وسمّىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القرآن شيئًا" ولم يقل أحدٌ إن الشيء من أسماء القرآن من نحو الفرقان والذكر وغيرهما من الأسماء التي ذُكرت للقرآن" ثم ذكر بعد ذلك نقلًا عن الحافظ بن حجر، وهذا النقل نقله عن ابن بطّال كذلك في سبب التسمية بالشيء، وقال: "ولم يُجعل لفظ الشيء من أسمائه، بل دلّ علىٰ نفسه أنه شيء تكذيبًا للدهرية ومنكري الإلهية من الأمم".

ما أدلة أهل السنة والجماعة علىٰ جواز إطلاق الشيء علىٰ الله؟

قال تعالىٰ: ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾، قال: "تقرير هذه الحجة أنه قال: ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً﴾، ثم ذُكر في الجواب عن هذا السؤال قوله: ﴿قُلِ اللهُ﴾، فهذا يوجب كونه تعالىٰ شيئًا، قال تعالىٰ كذلك: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ﴾، قال: والمراد بوجهه ذاته مع دلالته عند أهل السنة علىٰ صفة الوجه" بخلاف المعطّلة الذين يجعلونه في الذات فقط، قال: "فهذا يدل علىٰ أنه تعالىٰ استثنىٰ ذات نفسه من قوله: ﴿كُلُّ شَيءٍ﴾، والمستثنىٰ يجب

أن يكون داخلًا تحت المستثنىٰ منه، فهذا يدل علىٰ أن الله يُسمّىٰ باسم الشيء.

كذلك ما رواه البخاري من حديث عمران أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كان الله ولم يكن شيءٌ غيره»، وفي رواية: «ولم يكن شيءٌ قبله»، وهذا يدل علىٰ أن اسم الشيء يقع علىٰ الله تعالىٰ، وكذلك ما جاء عند الشيخين من حديث أسماء أنها سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا شيء أغيَر من الله»، وفي لفظ مسلم: «ليس شيءٌ أغيَر من الله»، وكذلك ما جاء عند الشيخين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أصدق كلمةٍ قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلٌ».

وكذلك الحجة من جهة اللغة، فهذا يدل علىٰ جواز هذا الإطلاق؛ لأنه مما جاء به كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب.

■ الاحتمال الثاني: أن يتبين من كلامه أنه جعل الشيء اسما لله تعالىٰ كسائر الأسماء الحسنىٰ، وهذا من باب التوسع والاستناد إلىٰ ما جاء في الأخبار عن الله فأدخله في اسماء الله، وهو مذهب مرجوح.

■ الاحتمال الثالث: احتمال كلامه لكلا الأمرين: الإطلاق العام أو الإسمية، فحمله علىٰ المعنىٰ الأول أولىٰ ليوافق عامة اهل العلم.

قال: (فَإِنْ كَانَ هَذَا الْمُعَارِضُ ذَهَبَ إِلَىٰ هَذَا التَّأْوِيلِ فَهَذَا مَحْض الزّندقَة؛ لأنّ الله تعَالَىٰ أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ، وَأَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ، وَخَالِقُ الْأَشْيَاءِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، "نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ"، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ.

حَدَّثَنَاه مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنِ الزُّبَيْرِ أَبِي عَبْدِ السَّلَامِ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْفِهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

وهذا الأثر كذلك إسناده لا يصح إلىٰ ابن مسعود، وإن كان ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية

رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (بيان تلبيس الجهمية).

قال: (**"وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نُورٍ مَخْلُوقٍ إِلَّا وَلَهُ مَرْأًىٰ وَمَنْظَرٌ، فَكَيْفَ النُّور الْأَعْظَم خَالق الْأَنْوَار"**).

أولا: ما المراد بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]؟

الجهمية عند هذه الآية يقولون: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الله منَوِّر السماوات والأرض، لكن لا يوصف هو بأنه نور؛ لأن النور مخلوق، ثم يقولون: نور السماوات والأرض مخلوق أم غير مخلوق؟ مخلوق، فكيف تصفون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنه نور السماوات والأرض؟

وهذا فيه بحثٌ طويل جدًا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (**بيان تلبيس الجهمية**)، **وخلاصته**: أنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية، قال: "قد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في دعائه: «**اللهم لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن**» فليس مفهوم اللفظ: «**أنت نور السماوات والأرض**» أنه شعاع الشمس والنار"، هذا ليس المفهوم من الحديث؛ لأنهم فهموا الحديث كذلك فقالوا: لو أثبتناه لجعلنا صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخلوقة.

قال: "فإن هذا ليس هو نور السماوات والأرض كما ظن بعض الغالطين أن هذا مدلول اللفظ، والنور يُراد به المستنير في نفسه"، فالنورُ صفةٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ "المنير لغيره بهديه، فيدخل في هذا أنت الهادي لأهل السماوات والأرض، وقد قال ابن مسعود: "إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار، نور السماوات من نور وجهه" وإذا كان كونه رب السماوات والأرض وقيّمها لا يناقض أن يكون جعل بعض عباده يربّ بعضًا من بعض الوجوه، ويفهمه، فكذلك كونه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: منيرها، لا يناقض أن يجعل بعض

مخلوقاته منيرًا لبعض" فالنور صفةٌ له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو كذلك منير السماوات والأرض بما شاء من مخلوقاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال: "واسم النور إذا تضمّن صفته وفعله"، فاسم النور يتضمن صفةً وفعلًا، فهو من الأسماء المتعدّية أم اللازمة؟ من الأسماء المتعدّية، بخلاف اسمه الحي، فاسمه الحي من الأسماء اللازمة؛ لأنه يتضمن اسمًا لله، وصفةً التي هي الحياة، أما اسم النور كاسمه العليم، واسمه السميع، واسمه الخالق، فهذه أسماء متعدّية، يعني لها أثرٌ موجودٌ في الخلق.

فقال: "واسم النور إذا تضمن صفته وفعله" يريد أن يقول أنه من الأسماء المتعدية، "كان ذلك داخلًا في مسمّىٰ النور، فإنه لمّا جعل القمر نورًا كان متصفًا بالنور، وكان منيرًا علىٰ غيره، وهو مخلوقٌ من مخلوقاته، والخالق أولىٰ بصفة الكمال" يعني هذا التشبيه من باب التقريب. قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[نوح: ١٦] فشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: فالقمر منيرٌ في نفسه، ومنيرٌ لغيره، ويقول: "فالخالق أولىٰ بصفة الكمال الذي لا نقص فيه من كل ما سواه.

قال: (وَذَكَرَ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "يَقُولُ دَاوُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَدْنِنِي، فَيُقَالُ لَهُ: ادْنُهْ، فَيَدْنُو حَتَّىٰ يَمَسَّ رُكْبَتَهُ").

وهذا إسناده حسن، إلا أنه من الإسرائيليات، هذا لم يرد في شرعنا، أن داوود يطلب من ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يدنيه منه، فيأذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له بالدنوّ، قال: "فيدنو حتىٰ يمسّ ركبته" فالضمير يعود إلىٰ الله، وهذا مذكورٌ عن مجاهد، وإسناده ثابتٌ عن مجاهد.

قال: (فَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: أَنَّهُ يُدْنِيهِ إِلَىٰ خلقْ من خَلْقِهِ، ذِي رُكْبَةٍ حَتَّىٰ تمَسَّ رُكْبَةُ دَاوُدَ رُكْبَةَ ذَلِكَ المَخْلوق، قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَلَوْ كَانَ لِهَذَا الْمُعَارِضِ مَنْ يَقْطَعُ لِسَانَهُ كَانَ قَدْ نَصَحَهُ، وَيْلَكَ! عَنْ أَيِّ زِنْدِيقٍ تَرْوِي هَذِهِ

التَّفَاسِيرَ وَلَا تُسَمِّهِ؟ وَأَيُّ دَرَكٍ لِدَاوُدَ إِذَا اسْتَغْفَرَ اللهَ لِذَنْبِهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِن أَنْ يُدْنِيَهُ إِلَىٰ خَلْقٍ سِوَاهُ فَيَمَسَّ رُكْبَتَهُ، وَمَا يُجْزِئُ عَنْ دَاوُدَ رُكْبَةُ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي إِذَا مَسَّ دَاوُدُ النَّبِيُّ رُكْبَتَهُ غَفَرَ ذَنْبَهُ، وَأَمَّنَ رَوْعَتَهُ؟ إِنَّ ذَلِكَ خَلْقٌ كَرِيمٌ عَلَىٰ رَبِّهِ أَكْرَمُ مِنْ دَاوُدَ وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَاكَ، إِذْ جَعَلَهُ مَفْزَعًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَمُعَوَّلًا عَلَيْهِ فِي ذُنُوبِهِمْ، يَحْكُمُ عَلَىٰ اللهِ فِي مَغْفِرَتِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَة دون الله! ولا بد لِمِثْلِ هَذَا الْخَلْقِ أَنْ يَكُونَ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللهِ اسْمٌ فِي الْمَلَائِكَةِ أَوْ فِي النَّبِيِّينَ، فَمَا اسْمُهُ أَيُّهَا الْجَاهِلُ؟ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا شَيْطَانٌ أَوْ مُدْمِنُ خَمْرٍ سَكْرَانَ، مَا زَادَ عَلَيْكَ جهلا، فَكيف إِنْسَان؟

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنَّهُ يتقرَّب إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا بالدنو مِنْهُ، أَوَ لم تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بِيَوْمِ عَمَلٍ، إِنَّمَا هُوَ يَوْمُ جَزَاءٍ لِلْأَعْمَالِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ فِي الدُّنْيَا؟ فَكَيْفَ رَفَعَ اللهُ الْعَمَلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْجَبَهُ عَلَىٰ دَاوُدَ؟ قُلْتَ: وَكَذَلِكَ مَا رَوَىٰ الْمَسْعُودِيُّ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ: "إِنَّ الرَّب يَبْدُو لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ عَلَىٰ كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ، فَيَكُونُونَ مِنْهُ فِي الْقُرْبِ عَلَىٰ قَدْرِ تَسَارُعِهِمْ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ فِي الدُّنْيَا").

وهذا أثرٌ ضعيف، والمسعودي وإن كان ثقة إلا أنه اختلط، فمن سمع منه قبل الاختلاط فسماعه صحيح، ومن سمع منه بعد الاختلاط فضعيف، وعبد الله بن المبارك وشبابة لم يُذكرا في الرواة عنه هل رويا عنه قبل الاختلاط أم بعده؟ فيُتوقّف فيه، وأبو داود الطيالسي أيضًا سمع من المسعودي بعد الاختلاط، فهذا أثرٌ لا يصح.

قال: (فَادَّعَيْتَ أَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ هَذَا مِنَ الْقُرْبِ: أَنَّهُ يَبْدُو لَهُمْ بِظُهُور الدلالات، وَبَذْلِ الْكَرَامَاتِ لِأَوْلِيَائِهِ، فَيَظْهَرُ بِمَا فَعَلَ دِلَالَاتُهُ).

دلالاتُه فاعل للفعل يظهر.



(وَعَلَامَاتُهُ لَا هُوَ نفْسُه الّذي يظْهَر).

لأنهم ينفون رؤية الباري في الجنة.

(فَيُقَالُ لَكَ: أَيُّهَا الْمُعَارِضُ، بِئْسَمَا أَثْبَتَّ عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا اللهَ بِدِلَالَاتِهِ، وَعَلَامَاتِهِ، وَبِرِسَالَاتِ نَبِيِّهِ، وَمَا أَنْزَلَ فِي كُتُبِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَقَامِهِمْ، حَتَّىٰ يَعْرِفُوهُ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، إِذْ مَاتُوا كُفَّارًا فِي دَعْوَاكَ، جُهَّالًا بِاللهِ وَبِدِلَالَاتِهِ، فَإِنْ كَانُوا كَذَلِكَ فِي دَعْوَاكَ لَمْ يَكُونُوا إِذا أَوْلِيَاء الله؛ إِذا لَمْ يَمُوتُوا عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَعْرِفَةِ الله تَعَالَىٰ).

لأنهم لم يعرفوا الله بكل الدلالات التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، ما عرفوه إلا في الآخرة، في الجنة، فأين الولاية في ذلك؟

(فلَا استحقوا الْكَرَامَاتِ مِنَ اللهِ، وَلَمْ يَكُونُوا أَهْلًا فِي دَعْوَاكَ أَنْ يَبْدُوَ لَهُمْ فِي كَثِيبٍ مِنْ كَافُورٍ، بل يحتجب عَنهُ، إِذْ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِدِلَالَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ وَرِسَالَاتِ نَبِيِّهِ، إِلَّا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، إِذْ كُلُّ كَافِرٍ ومنافق يَعْرِفُهُ يَوْمَئِذٍ بِدِلَالَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ، فَمَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ فِي هَذَا عَلَىٰ الْكَافِرِ؟

ثُمَّ فَسَّرْتَ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ: "إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ عَلَىٰ قَدْرِ تَسَارُعِهِمْ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ" أَنَّ ذَلِكَ تَقَرُّبٌ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شبْرًا تقربت مِنْهُ ذِرَاعًا».

وَيْلَكَ أَيُّهَا الْحَيْرَانُ! إِنَّمَا قَالَ اللهُ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا» فِي الدُّنْيَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَا فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ عَنِ الْعباد، لَقَدْ تقلَّدت أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ تَفَاسِيرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَشْيَاءَ لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا فَصِيحٌ وَلَا أَعْجَمِيٌّ، وَلَوْ قَدْ عِشْتَ سِنِينَ لَقَلَبْتَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَىٰ أَهْلِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

ثُمَّ قُلْتَ: وهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّجْوَىٰ: «إِنَّهُ يَدْنُو

الْمُؤْمِنُ مِنْ ربِّه حَتَّىٰ يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، قلت: فتفسير «كَنَفَه»).

«يضع كنفه».

(أَي: نِعْمَتُهُ وَسَتْرُهُ وَعَافِيَتُهُ، فَتَأْوِيلُ هَذَا أَنَّهُ عَلَىٰ السَّتْرِ مَعَ الْقُرْبِ وَالدُّنُوِّ وَالْمُنَاجَاةِ).

يعني لا يُفسّر بالستر فقط، وإنما هناك قربٌ من الله، ودنوٌّ من الله، ومناجاة، وهذه الثلاثة ينفيها الجهمية، لا يثبتون كلام الله ومناجاته، ولا يثبتون قربه ودنوّه، وإنما فسّروا ذلك بالستر فقط، يضع عليه كنفه أي: ستره.

(فَتَأْوِيلُ هَذَا أَنَّهُ عَلَىٰ السَّتْرِ مَعَ الْقُرْبِ وَالدُّنُوِّ وَالْمُنَاجَاةِ الَّتِي قَالَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ لِجَمِيعِهَا مُنْكِرٌ وَعَلَىٰ مَنْ آمن بهَا مغتاظ).

ثم طعن المعارض بعد ذلك في الحُجب التي احتجب الله تعالىٰ بها عن خلقه

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في الباب الذي عقده في الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه.

قال: (ثُمَّ طَعَنَ الْمُعَارِضُ فِي الْحُجُبِ الَّتِي احْتَجَبَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا عَنْ خَلْقِهِ، فَقَالَ: رَوَىٰ وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عبيد الْمكتب، عَن مجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قال: "احْتَجَبَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ، وَنُورٍ، وَظُلْمَةٍ، وَنُورٍ").

وهذا أثر صحيح إلىٰ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومثله لا يقال بالرأي، وليس ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معروفًا بالأخذ عن بني إسرائيل والتحديث عنهم.

الكلام عن الحجب التي احتجب الله بها

قال: (ففسَّره الْمُعَارِضُ تَفْسِيرًا يُضْحِكُ مِنْهُ، فَقَالَ: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْحُجُبُ آيَاتٍ

يَعْرِفُونَهَا، وَدَلَائِلَ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْمَعْرُوفُ، إِذْ عرَّفهم بِدِلَالَاتِهِ، فَهِيَ آيَاتٌ لَوْ قَدْ ظَهَرَتْ لِلْخَلْقِ لَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُمْ كَالْعِيَانِ بِهَا).

فهذا الباب عقده الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للكلام عن إثبات الحُجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والنصوص في إثبات الحجب له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كثيرة جدًا.

الحُجب: مفردها حجاب، والحاء والجيم والباء أصل يدل علىٰ المنع والستر، ومنه الحجاب الذي ترتديه المرأة.

فالنصوص في إثبات الحجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كثيرة، هذه النصوص يؤمن بها أتباع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي مما ورثوه من العلم عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يتعلق بذات الله، وصفاته، والأمور المضافة إليه، وما يجوز ولا يجوز في حقه، وما يجب، فالله عَزَّ وَجَلَّ احتجب بالنور، واحتجب بالنار، واحتجب بما شاء من الحُجب.

ويؤمنون كذلك كما جاء في النصوص أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

هذا بالنسبة للدنيا؛ لأنَّ خلقَنا في الدنيا خلقٌ ضعيف، ما جُعل للبقاء، وإنما جُعل للفناء، بخلاف حال الآخرة، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُكمل خلق المؤمنين، ويُقوِّيهم، حتىٰ إذا نظروا إلىٰ الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في جناته كان ذلك أعظم كرامة لهم، لكنه لو كشف الحجاب عن وجهه في الدنيا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

ودليل ذلك: ما جاء في قصة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما طلب أن يُريه الله نفسه، وأن ينظر إليه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ﴾، والضمير يعود إلىٰ الجبل، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف: ١٤٣].

فأهل الجنة ينعمون بهذه الكرامة التي يُكرمهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها، قبل أن ينظروا إليه كان هناك حجاب احتجب به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ماذا يصنع أهل السنة تجاه النصوص التي وردت في إثبات الحجاب؟ يُثبتونها كما جاءت، يعلمون المعنىٰ ويُفوضون الكيف؛ لأنه لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ويحسن بنا أن نقرأ كلامًا لابن القيم ذكره في مختصر الصواعق، يُفسر لنا بعض ما يأتي في النصوص، ومنها هذا الذي جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في (**مختصر الصواعق**) في الوجه الحادي عشر في رده علىٰ من عطل صفة النور لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فالله من أسمائه: النور، والنور صفة له.

فقال: "أن النص قد ورد بتسمية الرب نورًا"، «**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض**»، والله في كتابه يقول: ﴿**اللهُ نُوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[النور: ٣٥]، فسمىٰ نفسه نورًا، "وبأن له نورًا مُضافًا إليه".

فالنص جاء بتسمية الرب نورًا، وبوصفه بأنه نور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما من اسم إلا وهو يتضمن صفة.

قال: "وبأنه نور السماوات والأرض، وبأن حجابه نور"، فهو نور، والنور يُضاف كصفة له، وجاء في النصوص أنه نور السماوات والأرض، وأن حجابه من نور، قال: «حجابه النور، لو كشفه» الحديث.

قال ابن القيم: "فهذه أربعة أنواع، فالأول يُقال عليه سبحانه بالإطلاق فإنه النور الهادي"، فيُطلق اسم الله النور دون تقييد.

"والثاني يُضاف إليه كما يُضاف إليه حياته، وسمعه، وبصره، وعزته، وقدرته، وعلمه"؛



لأنه صفة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: "وتارة يُضاف إلىٰ وجهه"، هذا النور الذي هو وصفه تارة يُضاف إلىٰ وجهه، "وتارة يُضاف إلىٰ ذاته، فالأول"، يعني الذي يُضاف إلىٰ وجهه، قال: "كقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعوذ بنور وجهك»، وقوله: نور السماوات والأرض من نور وجهه"، وهذا جاء في أثر عن عبد الله بن مسعود.

"والثاني"، الذي يُضاف إلىٰ الذات، قال: "كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر: ٦٩]"، فأضاف النور هاهنا إلىٰ ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

"وكقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذاك نوره الذي إذا تجلىٰ به".

وهذا جاء في أثر قد سبق، يقول فيه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قيل له: رأىٰ محمد ربه، يعني ليلة الإسراء والمعراج، أو قال هو: رأىٰ محمد ربه، وابن عباس يريد الرؤية القلبية، لا يريد الرؤية البصرية، ولذلك لم يأتِ في النصوص عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه صرح بالرؤية البصرية.

فقيل له: أليس الله تعالىٰ يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام: ١٠٣]؟ فقال: "ويحك! ذلك إذا تجلىٰ بنوره الذي هو نوره لم يقم له شيء"، يعني إذا ظهر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بنوره بصفته فهذا لم يقم له شيء يعني في الدنيا، وأما في الآخرة فأعظم كرامة للمؤمنين أن يروا وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو الذي أضاف إليه النور.

قال: "وكقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذاك نوره الذي إذا تجلىٰ به، وكقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقىٰ عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدىٰ، ومن أخطأه ضل»"، وهذا بناءً علىٰ علمه السابق في خلقه، وفيما يعملون بعد ذلك، ولا يظلم ربك أحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا أخرجه الترمذي وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة، قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقىٰ عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدىٰ، ومن أخطأه ضل».

قال: "والثالث: وهو إضافة نوره إلىٰ السماوات والأرض، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، والرابع: كقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «حجابه النور»، فهذا النور المضاف إليه يجيء علىٰ أحد الوجوه الأربعة".

يعني النور الذي يُضاف إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إما أن يكون اسمًا له، أو صفة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أو نور ماذا؟ مُضاف إلىٰ وجهه، وهذا الذي يُضاف إلىٰ وجهه هذا الصفة.

قال: النور إما أن يُسمىٰ به الرب، وإما أن يكون مضافًا إليه كصفة، وإما أن يكون نور السماوات والأرض، وإما أن يكون نور الحجاب، فهذه هي الأنوار الأربعة التي جاءت في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فالنور لا يأتي إلا علىٰ أحد هذه الوجوه الأربعة.

"والنور الذي احتجب به سُمي نورًا ونارًا، كما وقع التردد في لفظه في الحديث"، يعني عند مسلم.

"في الحديث الصحيح، حديث أبي موسىٰ الأشعري، وهو قوله: «حجابه النور»، أو «النار»، فإن هذه النار هي نور، وهي التي كلم الله كليمه موسىٰ منها، وهي نار صافية لها إشراق بلا إحراق".

بعض أهل العلم رجَّح أحد اللفظين، فقال: الصحيح: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «حجابه النور»، وليس النار.

لكن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجمع بين النور والنار، فيقول: إن الحجاب نور ونار، لكنها نار صافية لها إشراق بلا إحراق.

قال: "فالأقسام الثلاثة"، يعني أقسام النار الثلاثة، "إشراق بلا إحراق، كنور القمر"، فنور القمر نور ونار، يُشرق ولا يحرق.

"وإحراق بلا إشراق، وهي نار جهنم، فإنها سوداء محرقة لا تُضيء"، نسأل الله السلامة والعافية، نار ومع ذلك هي سوداء، لا نور فيها، لا تُضيء.

قال: "وإشراق بلا إحراق، وهي هذه النار المُضيئة، وكذلك نور الشمس له الإشراق والإحراق، فهذا في الأنوار المشهورة المخلوقة، وحجاب الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نور وهو نار، وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها، فنور وجهه حقيقة لا مجاز، وإذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة إليه أقل من نسبة سراج ضعيف إلىٰ قرص الشمس، فكيف لا يكون هذا النور حقيقة؟".

فكيف فسر هذا المعارض النور الذي هو نور الحجاب؟ وكيف فسر هذا الحجاب؟

قال: (ففسَّره الْمُعَارِضُ تَفْسِيرًا يُضْحِكُ مِنْهُ، فَقَالَ: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْحُجُبُ آيَاتٍ يَعْرِفُونَهَا، وَدَلَائِلَ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْمَعْرُوفُ، إِذْ عرَّفهم بِدِلَالَاتِهِ، فَهِيَ آيَاتٌ لَوْ قَدْ ظَهَرَتْ لِلْخَلْقِ لَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُمْ كَالْعِيَانِ بِهَا).

فالحجاب عند المعارض أي: الآيات والدلائل، من أين جاء بهذا التأويل؟ هل هذا مما يُعتد به في لغة العرب؟ هل هذا جاء عليه دليل من حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أثر صحابي أو قول تابعي؟ سنرىٰ.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: عَمَّنْ رَوَيْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْطَانٍ تلقيته؟ وَمَنِ ادَّعىٰ قَبْلَكَ أَنَّ حُجُبَ اللهِ آيَاتُهُ الَّتِي احْتَجَبَ بِهَا؟ فَمَا مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[الشورىٰ:٥١]؟ أَمَعْنَاهُ عِنْدَكَ: مِنْ وَرَاءِ الدِّلَالَاتِ وَالْعَلَامَاتِ؟).

والإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما تميز به كتابه أنه يأتي بالمواضع التي ذُكرت فيها هذه اللفظة، ثم ينظر إلىٰ سياق الآية، ثم يرد بهذا السياق علىٰ هذا الادعاء الذي ادعاه المعارض، وبعض المعاصرين يضعه تحت ما يسمىٰ بالتفسير الموضوعي، وإن كان طريقتهم لا تخلو من المحاذير.

فلو نظرنا لهذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، يعني يسمع كلامه ولا يراه، كما حدث مع موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كليم الله، فهل معنىٰ الآية: إلا وحيًا أو من وراء الدلالات والعلامات؟

(أَمْ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]، أَهُوَ عِنْدَكَ: أَنْ لَا يَرَوْا يَوْمَئِذٍ آيَاتِهِ وَدَلَائِلَهُ؟ وَلَا يَعْرِفُوا يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْمَعْرُوفُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَعْوَاكَ عَنْهُ مَحْجُوبٌ؟ لِمَا أَنَّ كُلًّا يَرَىٰ يَوْمَئِذٍ دِلَالَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ وَآيَاتِهِ، وَكُلٌّ يَعْرِفُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ).

لأن الجميع مؤمنين وكافرين يُقرون بأنه الرب الذي يستحق العبادة، ويُقرون بخطئهم وما وقعوا فيه من الكفر، والشرك، وغير ذلك، فمعنىٰ ذلك: أن الدلائل صارت واضحة، فلو فسرنا هذه الآية بالدلائل والعلامات فمعنىٰ ذلك: أن كل هؤلاء لن يُحجبوا عن رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَمَا مَوْضِعُ الْحِجَابِ يَوْمَئِذٍ؟ وَكَيْفَ صَارَتْ تِلْكَ الدِّلَالَاتُ مِنْ نَارٍ، وَنُورٍ، وَظُلْمَةٍ؟ وَمَا يُصنع بِذِكْرِ النَّارِ وَالظُّلْمَةِ هَا هُنَا فِي الدِّلَالَاتِ وَالْعَلَامَاتِ؟

قال: قُلْتَ: وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي مُوسَىٰ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، حِجَابُهُ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ»).

قال: «لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ».

فالنور الوارد هاهنا في قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حجابه النور أو النار) مخلوق أم صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ نور الحجاب مخلوق أم صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ مخلوق، فالنور نوران: النور الذي هو صفة للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا ليس بمخلوق؛ لأن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليست مخلوقة، وأما نور الحجاب فهو نور مخلوق، فالحجاب ليس صفة الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يفسر لنا ما جاء في حديثين عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنىٰ أراه»، يعني كيف أراه، وسُئل صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نورًا»، ففي مرة يقول: «نور أنىٰ أراه»، فينفي أنه رأىٰ النور، في المرة الأولىٰ يقول: «نور أنىٰ أراه»، فينفي أنه رأىٰ النور، وفي المرة الثانية يقول: «رأيت نورًا»، فيُثبت أنه رأىٰ النور.

وليس بين الحديثين تعارض؛ لأن النور الذي نفىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيته النور الذي هو صفة للباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والنور الذي أثبت النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤيته هو نور الحجاب.

قال: (ثُمَّ قُلْتَ: فَتَأْوِيلُ الْحِجَابِ فِي هَذَا الحَدِيث مِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الأَوَّل هِيَ الدِّلَالَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَعَلَىٰ أَنَّ الدِّلَالَاتِ كَشْفٌ عَنِ الشَّيْءِ لَا حِجَابٌ وَغِطَاءٌ.

ثُمَّ قُلْتَ: فَتَأْوِيلُ قَوْله: «لو كشفها لَأَحْرَقَتْ سُبُحات وَجْهِهِ» لَوْ كَشَفَ تِلْكَ النَّارَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ذَلِكَ الْعِلْمَ الدَّالَّ عَلَيْهِ.

قال: قُلْتَ: وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ «سُبُحَاتُ وَجْهِهِ»: سُبُحَاتُ وَجْهِ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ الْعِلْمُ وَجْهٌ يُتَوَجَّهُ بِرُؤْيَتِهِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[البقرة:١١٥]، قُلْتَ: قِبْلَةُ اللهِ).

هي مضبوطة عندي: العِلم، فلا أدري هل هي العِلم أم العَلَم، العَلَم يعني الشيء الشاخص، عندك العِلم؟

قال: (ثُمَّ قُلْتَ: فَتَأْوِيلُ قَوْله: «لو كشفها لَأَحْرَقَتْ سُبُحات وَجْهِهِ» لَوْ كَشَفَ تِلْكَ النَّارَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ذَلِكَ الْعِلْمَ الدَّالَّ عَلَيْهِ، قُلْتَ: وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ «سُبُحَاتُ وَجْهِهِ»:

سُبُحَاتُ وَجْهِ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ الْعِلْمُ وَجْهٌ يُتَوَجَّهُ بِرُؤْيَتِهِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ).

هل العلم يُرىٰ؟ لا يُرَىٰ، فلعله العَلَم، فالعَلَم هو الشيء الشاخص، ويطلق علىٰ الجبل وغيره.

(كَقَوْلِهِ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[البقرة:١١٥]، قُلْتَ: قِبْلَةُ اللهِ).

قال: (فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: نَرَاكَ قَدْ كَثُرَتْ لَجَاجَتُكَ فِي رَدِّ هَذَا الْحَدِيثِ، إِنْكَارًا مِنْكَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِذْ تَجْعَلُ مَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ مَعْقُولٍ فِي سِيَاقِ اللَّفْظِ أَنَّهُ وَجْهُ اللهِ نَفْسُهُ، فَجَعَلْتَهُ أَنْتَ وَجْهَ العلم، وَوَجْهَ الْقِبْلَةِ، وَإِذْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حِجَابُ الله النَّار، لو كشفها عَن وَجه لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أدْركهُ بَصره» فَإِن لَمْ تَتَحَوَّلِ الْعَرَبِيَّةُ عَنْ مَعْقُولِهَا إِنَّه لَلَوَجه الله حَقًّا، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-).

لله در الدارمي يقول: لعل العربية تحولت عن وجهها وعن معقولها، أنت علمت بذلك ونحن جهلنا به، فإن كانت العربية كما هي فهو وجه الله كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكما أخبر به.

قال: (ولو كانت سُبُحَاتُ وُجُوهِ الْأَعْلَامِ لَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حِجَابُهُ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتِ النَّارُ سُبُحَاتِ وُجُوهِ الْخَلْقِ كُلِّهَا).

فهذا مما يُرجح أن الضبط الصحيح هو العَلَم وليس العِلم؛ لأنه وصفه بأنه مخلوق هاهنا، وجمعه علىٰ الأعلام.

قال: (وَمَا بَالُ تِلْكَ النَّارِ تَحْرِقُ مِنَ العلم سُبُحَاتِهِ، وَتَتْرُكُ سَائِرَهُ؟).

يعني ما بال النار تحرق من العلم وجهه وما ظهر منه، وتترك سائره؟

قال: (وَإِنَّمَا تَفْسِيرُ السُّبُحَاتِ: الْجَلَالُ وَالنُّورُ، فَأَيُّ نُورٍ لوجوه الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَحْرِقَهَا النَّارُ مِنْهُمْ؟ وَمَا لِلنَّارِ تَحْرِقُ مِنْهُمْ سُبُحَاتِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَهَا اللهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَلَا تَحْرِقُهَا قَبْلَ الْكَشْفِ؟ فَلَوْ قَدْ أَرْسَلَ مِنْهَا حِجَابًا وَاحِدًا لَأَحْرَقَتِ الدُّنْيَا كُلَّهَا، فَكَيْفَ سُبُحَاتُ وُجُوهِ الْخَلْقِ؟

وَيْحَكَ! إِنَّ تأويل هَذَا بيِّن، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْسِيرٍ، إِنَّمَا نَقُولُ: احْتَجَبَ اللهُ بِهَذِهِ النَّارِ عَنْ خلقه بقدرته وسلطانه، لَوْ قَدْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَ نُورُ وجه الرَّب وَجَلَاؤُهُ كُلَّ مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، وَبَصَرُهُ مُدْرِكٌ كُلَّ شَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ يُصِيبُ مَا يَشَاءُ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّا يَشَاءُ.

كَمَا أَنَّهُ حِينَ تَجَلَّىٰ لِذَلِكَ الْجَبَلِ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ، وَلَوْ قَدْ تَجَلَّىٰ لِجَمِيعِ جِبَالِ الْأَرْضِ لَصَارَتْ كُلُّهَا دَكًّا، كَمَا صَارَ جَبَلُ موسىٰ، وَلَوْ قَدْ تَجَلَّىٰ لِمُوسَىٰ كَمَا تَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَإِنَّمَا خرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا مِمَّا هَالَهُ مِنَ الْجَبَلِ، مِمَّا رَأَىٰ مِنْ صَوْتِهِ حِينَ دُكَّ فَصَارَ فِي الْأَرْضِ.

قال: وَحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَن وهب، عَن خَالِد الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ والقمر فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا حَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ إِذَا تَجَلَّىٰ لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خشع لَهُ»).

وهذا إسناده مضطرب، وهو حديث مُعَل، كما قال المحقق هاهنا.

قال: (وَإِنَّمَا كَانَتَ تَحْرِقُ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ لو كشفها كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا؛ لأَنَّ اللهَ كَتَبَ الْفَنَاءَ عَلَيْهَا، وَرَكَّبَ مَا رَكَّبَ مِنْ جَوَارِحِ الْخَلْقِ لِلْفَنَاءِ، فَلَا يَحْتَمِلُ نُورَ الْبَقَاءِ).

يعني ما كُتب عليه الفناء لا يحتمل نور البقاء.

قال: (فَتُحْرَقَ بِهِ أَوْ تُدَكَّ كَمَا دكَّ الْجَبَلُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رُكِّبَتِ الْأَبْصَارُ وَالْجَوَارِحُ لِلْبَقَاءِ، فَاحْتَمَلَتِ النّظر إِلَىٰ وجهه، وَإِلَىٰ سُبْحَانَهُ وَنُورِ وَجْهِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْرِقَ أَحَدًا، كَمَا

لَوْ أَنَّ أَجْسَمَ رَجُلٍ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْمَلَهُ لَوْ أُلْقِيَ فِي الدُّنْيَا فِي تَنُّورٍ مَسْجُورٍ لَصَارَ رَمَادًا فِي سَاعَةٍ، فَهُوَ يَحْتَرِقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَلْفَ عَامٍ وَأَكْثَرَ، وَنَارُهَا أَشَدُّ حَرًّا مِنْ نَارِ الدُّنْيَا سَبْعِينَ ضِعفًا).

كما جاء في حديث الصحيحين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم»، قالوا: والله إن كانت كافية يا رسول الله، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلها مثل حرها».

فلو أُلقي هذا الذي ذكر الإمام صفته في هذه النار في نار الدنيا لاحترق في ساعة، لكنه إذا أُلقي في نار الآخرة يصير فيها رمادًا ولا يموت.

(كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[النساء٥٦]، لِأَنَّ أَجْسَامَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ تُرَكَّبُ يَوْمَئِذٍ لِلْبَقَاءِ).

فهذا يكون بالنسبة لأهل الجنة، وكذلك لأهل النار، فأجسامهم تُركَّب للبقاء.

قال: (فَاحْتَمَلَتْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ مَا لَمْ تَكُنْ تَحْتَمِلُ جُزْءًا مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ أَوْلِيَاءُ اللهِ تَحْتَمِلُ أَبْصَارُهُمُ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ قَدْ أَدْرَكَهُمْ شَيْءٌ مِنْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا لَاحْتَرَقُوا، كَمَا قَالَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلم تحتَمِلْهَا أَبْصَارُهُمْ، فَهَذَا تَأْوِيلُ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ أَلْفَاظُهُ، لَا مَا تأَوَّلت لَهُ مِنَ التَّفْسِيرِ الْمَقْلُوبِ، الَّذِي لَا يَنْقَاسُ لِلَفْظِ الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ تَقْلِبَ لَفظه، كَمَا قَلَبْتَ تَفْسِيرَهُ، فَارْبَح الْعَنَاءَ، فَإِنَّ ظَاهِرَ أَلْفَاظِهِ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِالتَّكْذِيبِ بِالتَّوْحِيدِ.

وَسَنَذْكُرُ بَعْضَ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ وَفِي الرِّوَايَاتِ مِنْ أَمْرِ الْحُجُبِ لِيَعْرِضَهَا كل عَاقِلٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ، هَلْ يَنْقَاسُ شَيْءٌ مِنْهَا عَلَىٰ مَا تَأَوَّلْتَ؟

قال: أَوَّلُ ذَلِكَ: مَا رَوَيْتَهُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي

مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ).

وفي رواية: "بخمس كلمات"، أي: جُمل مترابطة في المعنىٰ، ولا يعني بذلك الكلمات المفردة.

(فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حجابه النُّور»).

وفي نسخة: «حجابه النار».

(«لو كشفها لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أدركهُ بَصَره»).

وهذا حديث صحيح ثابت في الصحيح، وهو من الأحاديث عظيمة القدر في قلب كل سني صحيح الاعتقاد وفيه: نفي صفة النوم عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هذا نفي مجمل أم مُفصَل؟ النفي المجمل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورىٰ: ١١]، وأما ما جاء في نفي بعض الصفات عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فهذا يقال فيه: نفي مُفصل، يأتي لنفي صفة بعينها، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص: ٣]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩]، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]، «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ».

متىٰ يأتي النفي مفصلا في حق الله تعالىٰ

والنفي المفصل يُؤتىٰ به لأحد أمرين:

- إما من أجل أن يُرد ما نسبه المشركون لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من النقص، فيأتي النفي المفصل لرد هذا النقص الذي نسبه المشركون لربنا، كما قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فنسبوا له الصاحبة ونسبوا له الولد.

- وإما أن يأتي النفي المفصل لدفع توهم النقص، كأن يُؤتىٰ بشيء عظيم من خلق الله

تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ولا يعظمه شيء، وكل شيء عليه هين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيأتي في خاطر أحدنا أو في خاطر المستمع أن هذا قد يترتب عليه كلل، أو تعب، أو غير ذلك، فينفي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن نفسه العي، والضعف بعد خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام، وكذلك في قوله: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ**»، وفي قوله: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾، لأن حفظ السماوات والأرض ﴿**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ أمر عظيم، فقد يتوهم المرء أن ذلك يترتب عليه أنه إلىٰ الحاجة إلىٰ النعاس، أو التعب، فيأتي هذا النفي من أجل دفع هذا التوهم.

وما من نفي يُؤتىٰ به إلا من أجل إثبات كمال الضد؛ لأن النفي المحض لا مدح فيه.

يعني لو قلت مثلًا: محمد ليس ببخيل، وليس بغبي، وليس بكذا، وليس بسارق، وليس بكاذب، إن لم يترتب علىٰ هذا النفي إثبات كمال ضده، من الصدق، والأمانة، والكرم، فهذا لا مدح فيه.

ولذلك كل نفي يُنفَىٰ عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فالمراد منه: إثبات كمال الضد.

وفيه كذلك: إثبات صفة العلو لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علو الذات، أين في الحديث إثبات علو الذات؟ «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ**».

وفيه: إثبات الحجاب لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لما قال: «**حجابه النور**»، أو «**النار**».

وفيه: إثبات الوجه لله، ولا يُفسَّر بالذات كما يفعل المعطلة.

وفيه: بيان رحمة الله بخلقه، وذلك في عدم كشف الحجاب في الدنيا للعلة المذكورة.

قال: **(وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، حدثنا مُوسَىٰ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ بِشْرٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»)**.

وهذا حديث حسن لغيره، ويشهد له ما جاء عند الترمذي، من قول النبي ﷺ لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «يا جابر، ما لي أراك مُنكسرًا؟»، فقال: يا رسول الله، استُشهد أبي، قُتل يوم أحد، وترك عيالًا ودينًا، فقال ﷺ: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟»، قال: قلت: بلىٰ يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيىٰ أباك فكلمه كفاحًا»، كلمه كفاحًا أي: ليس بينه وبينه حجاب ولا رسول، والحديث لا إشكال فيه؛ لأن ذلك بعد موت والد جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمنفي: أن يرىٰ أحد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الحياة الدنيا، أو أن يُكلمه كفاحًا في هذه الحياة الدنيا.

قال: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا هشيم، عَن دَاوُد، عَن الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ ربَّه فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، ثُمَّ تَلَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام:١٠٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾").

وهو حديث صحيح، وأصله عند الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ لما قال مسروق وقد كان متكئًا عندها، فقالت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-: "يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية"، قلت: وما هن؟ قالت: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ ربَّه فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ"، قال: "وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِيْنِ﴾[التكوير: ٢٣]؟ وقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم يره علىٰ صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عِظَم خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض"، وهذا كان ليلة المعراج وفي مبدأ بعثة النبي ﷺ بعد أن فتر الوحي.

قال: "فقالت: أولم تسمع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورىٰ: ٥١]؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة: ٦٧]".

قالت: "ومن زعم أنه ﷺ يُخبر بما يكون في غد فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾[النمل: ٦٥]".

فهذا أصل هذا الحديث.

فبعد أن ذكر الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث قال: **(أَفَيَجُوزُ أَنْ يُتأَوَّل هَذَا أَنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ بَشَرًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الْآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ؟!**

قال: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَن عبيد الْمكتب، عَن مجاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ: "احْتَجَبَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ، وَظُلْمَةٍ، وَنُورٍ، وَظُلْمَةٍ")**.

وهذا أثر صحيح، كما قلنا.

قال: (أَفَيَجُوزُ أَنْ يَتَأَوَّلَ عَلَىٰ اللهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِأَرْبَعِ عَلَامَاتٍ، وَأَرْبَع دَلَائِلَ، وَنَارٍ وَظُلْمَةٍ وَنُورٍ وَظُلْمَةٍ؟

قال: وَحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حمَّاد بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ جِبْرِيلَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَانْتَفَضَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ أَدْنَاهَا حِجَابًا لَاحْتَرَقْت»**)**.



الزام لا مفر منه للجهمية

وهذا حديث مرسل، لا يصح المرفوع منه لإرساله، فإن زرارة بن أوفىٰ تابعي ثقة، وهذا يندرج في قسم المرسل، فالتابعي الذي يقول: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حديثه مرسل.

قال: (أَفَيَجُوزُ أَنْ يتأوَّل عَلَىٰ جِبْرِيلَ أَنْ يَقُولَ: بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ سَبْعِينَ عَلَامَةً وَدِلَالَةً مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ أَدْنَاهَا لَاحْتَرَقْتُ؟ أَمْ يَجُوزُ أَنْ يتأوَّل عَلَىٰ جِبْرِيلَ أَنَّهُ لَا يَسْتَدِلُّ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْوَاحِدِ لِمَا رَأَىٰ وَشَاهَدَ من آيَاته وَعَلَامَاتِهِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْحُجُبِ الَّتِي ادَّعَيْتَ أَنَّهَا دَلَائِلُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْوَاحِدِ الْمَعْرُوفِ؟ أَوَلَمْ يكتفِ جِبْرِيلُ بِمَا رَأَىٰ وَعَايَنَ مِنَ الدِّلَالَاتِ وَالْعَلَامَاتِ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَهُوَ السَّفِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ، حَتَّىٰ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِالْحُجُبِ الَّتِي ادَّعَيْتَ أَنَّهَا آيَاتُهُ وَعَلَامَاتُهُ؟ وَلَوْ قَدْ رُزِقْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ شَيْئًا مِنَ الْعَقْلِ عَلِمْتَ أَنَّ مَا تَدَّعِي زُورٌ وَبَاطِلٌ، وَلَكِنْ قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»).

وهذا حديث ثابت عند البخاري وغيره.

وقوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ» يعني مما بلغ الناس وتواتر ذلك عنهم، وتوارثوه قرنًا بعد قرن، فهذا فيه: إثبات النبوات، وأن النبوات قديمة، وأول الأنبياء أبي وأبوكم آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وهو نبيٌّ مُكلَّم كما ثبت عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

وفيه: أن شيئًا من كلام النبوة قد يبقىٰ، وإن حُرِّف كلامهم، لكنه يبقىٰ، ولذلك لا يزال يوجد في التوراة والإنجيل ما هو من كلام النبوة، ولا يزال يوجد في التوارة وفي الإنجيل خاصة ما يدل علىٰ إفراد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالعبادة دون من سواه، ونفي الألوهية والعبادة عن عيسىٰ ابن مريم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهذا موجود بكثرة جدًا في الإنجيل، أبىٰ الله إلا أن يُظهره ليكون حجة عليهم.

وقوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» هذا علىٰ معنيين عند أهل العلم:

المعنىٰ الأول: أنه خبر، يُراد به الذم، فمن لم يستحي صنع ما شاء.

والمعنىٰ الآخر: أنه للتهديد، فاصنع ما شئت، فالله يُجازيك علىٰ صنيعك، كما قال الله تعالىٰ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت: ٤٠]، نعم.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، عَنِ الْمُثَنَّىٰ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ، وَظُلْمَةٍ، ثُمَّ بِنُورٍ وَظُلْمَةٍ، مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَالْبَحْرُ الْأَعْلَىٰ فَوْقَ ذَلِك كله تَحت الْعَرْش»).

وهذا حديث لا يصح مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ حديث منكر، في سنده المثنىٰ بن الصباح وهو ضعيف، واضطرب فيه، والصحيح أنه موقوف علىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، وصح كذلك عن عبد الله بن عمر كما مضىٰ.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حُبَابَةَ بِنْتِ عَجْلَانَ الْخُزَاعِيَّةِ، عَنْ أُمِّهَا أُمِّ حَفْصٍ عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ جَرِيرٍ، عَنْ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ وَدَّاعٍ الْخُزَاعِيَّةِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «دُعَاءُ الْوَالِدَةِ يُفْضِي إِلَىٰ الْحجاب»).

وهو حديث ضعيف، في سنده حبابة بنت عجلان الخزاعية، ذكرها الحافظ الذهبي في الميزان، وقال: "لا تُعرَف ولا أمها"، فلا يصح هذا الحديث.

والشاهد فيه: أنه أثبت الحجاب، هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة إلا أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساقها تحت أصل متفق عليه عند أهل السنة والجماعة، عليه دلالة من كتاب الله وسنة النبي ﷺ فهو يسوق هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة والآثار من باب الاستشهاد لا الاعتماد، كما هي طريقة أهل العلم.

ثم قال المصنف بعد ذلك: **(وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! قَدْ عَلِمَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ وعلم أَنَّ أَلْفَاظَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا)**.

فالتوكيد المعنوي للألفاظ، أو للروايات.

(مُخَالِفَةٌ لِمَا ادَّعيت مِنْ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ الْمَقْلُوبَةِ، وَأَنَّ لِلَّهِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ وَعَلَامَةٍ، فَكَيْفَ لَمْ يَحْتَجِبْ مِنْهَا إِلَّا بِأَرْبَعٍ، جَعَلَهَا دِلَالَةً وَعَلَامَةً عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ؟ وَسَائِرُهَا لَا تدل علىٰ دعواك؟).

ثم انتقل المصنف بعد ذلك في كلام طويل يُثبت صفة الضحك للباري تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وغيرها من الصفات الاختيارية الفعلية

قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ إِثْبَاتِ الضَّحِكِ)**.

أي: إثبات هذه الصفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ الوجه اللائق به.

والضحك من صفات الباري الفعلية الاختيارية، الضحك صفة فعلية اختيارية ثابتة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهي قسم من أقسام الصفات المضافة لله تعالىٰ.

والله عَزَّوَجَلَّ له صفات مُثلىٰ وردت في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهذه الصفات لها تقسيمات، فمن ذلك: أنها تُقسَّم إلىٰ:

- صفات ذاتية.

- وصفات فعلية.

- وصفات ذاتية فعلية.

ولا يقال هذا تقسيم مبتدع ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، أي لم يأت حديث ولا آية تقول: أقسام الصفات كذا...كما يقول من لا يعقل من أهل البدع عند اعتراضهم علىٰ

تقسيم التوحيد، وذلك: أن ذلك مما عُلم من استقراء نصوص الشرع، ثم هو لا تقسيم توارد أهل السنة علىٰ ذكره، وهو كذلك تقسيم لا محذور فيه، وإنما غرضه تسهيل العلم وتقريب الشرع.

فالصفات الذاتية: كالحياة، والعلم، والقدرة، هذه تسمىٰ بالصفات الذاتية، أي: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يزل ولا يزال متصفًا بها، لا تنفك عن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا تتعلق بمشيئته.

ومن الصفات كذلك: الصفات الفعلية، وهي التي تتعلق بالمشيئة، كالضحك، والنزول، والفرح، والغضب، وهذه لا يقال عنها إنها صفات ذاتية؛ لأنها تتعلق بمشيئة الباري، وتتعلق بسبب، فالله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ عن العبد إذا وقع منه ما يقتضي منه هذا الرضىٰ، ويغضب علىٰ العبد إذا وقع من العبد ما يقتضي هذا الغضب.

وهناك قسم ثالث: وهو الصفات الذاتية الفعلية، فلم يزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متصفًا بها أبدًا، وهي كذلك تحدث وتتجدد بتجدد المفعولات، كصفة الخلق، فصفة الخلق صفة ذاتية، فالله عَزَّوَجَلَّ لم يستفد اسم الخالق بعد أن خلق عباده، وإنما تسمَىٰ بهذا الاسم وسمىٰ نفسه بهذا الاسم قبل ذلك، فهي بهذا الاعتبار ذاتية، أنها لا تنفك عن الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل ولا يزال متصفًا بها، وباعتبار آحادها فهي فعلية؛ لأنها تتعلق بالمشيئة، يعني خلق الله السماوات والأرض، وما زال يخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رزق من قبلنا وما زال يرزقنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلم موسىٰ، وكلم عيسىٰ، وكلم محمد، وكلم سائر الأنبياء، وما زال يتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكلم ملائكته، ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهي صفات ذاتية فعلية.

وهي التي يقول عنها العلماء: إنها قديمة النوع حادثة الآحاد، قديمة النوع باعتبار نوعها وأصلها، حادثة الآحاد باعتبار ما يتعلق بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من هذه الصفات.

ما هو مذهب أهل السنة والجماعة تجاه كل هذه الأقسام؟ أهل السنة والجماعة يؤمنون

بهذه الصفات كلها، وهذه الأقسام، ويُثبتون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما أثبته لنفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف غيرهم من الفِرَق، كالجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، الذين يقولون في الصفات الفعلية الاختيارية خاصة يقولون: إنها لا تثبت لله تعالىٰ؛ لأن إثباتها يقتضي حلول الحوادث بالباري.

وهذا بيّناه قبل ذلك، بيّنا أن الأصل الذي اعتمد عليه سائر المُعطلة، بدءًا من الجهم بن صفوان، فمن دونه، ممن تبعه علىٰ هذا الأصل، هذا الأصل هو أن دليل إثباتهم حدوث العالم أن هذا العالم تحله الحوادث، فيه متغيرات، فيه أمور تتحول إلىٰ أمور أخرىٰ تكون بعد أن لم تكن، فهذا دليل حدوث هذا العالم.

فكل ما حل به هذه الحوادث وهذه المتغيرات فهو حادث، فلو أننا أثبتنا أن الله يتكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، يُكلم محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقت المعين وفي المكان المعين، في ليلة الإسراء يُكلمه بفرض الصلاة أو غير ذلك، ولم يكن كلمه بعد ذلك، لو أننا أثبتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلامًا حقيقيًا بصوت وحرف هذا معناه: أن هذه الحوادث حلت بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والله مُنزه عن حلول الحوادث؛ لأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ومن هنا نفوا كل هذه الصفات.

وهم متناقضون في ذلك، لماذا؟ لأنهم ما نفوا هذه الصفات إلا من باب نفي مشابهة الخالق للمخلوق، وفي ذات الوقت يُثبتون بعض الصفات، هذه الصفات كالحياة، فيُثبتون الحياة لله، طب ما هو المخلوق حي، وله صفة الحياة، لكن الواحد من هؤلاء إذا سألتهم يقول الواحد منهم: حياة الباري تُفارق حياة المخلوق في أن حياة الباري لم يسبقها عدم، ولا يتبعها فناء، وحياة المخلوق يسبقها عدم ويتبعها فناء.

فيُقال لهم: إذا كان هناك وجه مفارقة بين صفة الباري وصفة المخلوق، وأثبتم المعنىٰ

دون الكيف، فلتكن هذه قاعدة مُضطردة إلىٰ الصفات، فأثبِتوا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الضحك، والفرح، والنزول، وقولوا: نُثبت له المعنىٰ علىٰ الوجه المعروف في لغة العرب، وأما الكيف فيكون كالحياة، والعلم، والقدرة، وغير ذلك، لكنهم كما قلنا: متناقضون.

ومن هنا إما أن يردوا هذه الصفات، وإما أن يُحرفوها، وهو الذي يسمونه بالتأويل، وما هو إلا تحريف، ومنه هذه التأويلات الكثيرة التي سيذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ لسان هذا المعارض في صفة الضحك.

يقول: ويحتمل أن يكون المعنىٰ كذا، ويحتمل أن يكون المعنىٰ كذا، تتكرر هذه الكلمة علىٰ لسانه كثيرًا، كل ذلك من أجل ألا يُثبت هذه الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ إِثْبَاتِ الضَّحِكِ: ثُمَّ أَنْشَأَ الْمُعَارِضُ أَيْضًا مُنْكِرًا أَنَّ اللهَ يَضْحَكُ إِلَىٰ شَيْءٍ ضَحِكًا هُوَ الضَّحِكُ، طَاعِنًا عَلَىٰ الرِّوَايَاتِ الَّتِي نُقِلَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **يُفَسِّرُهَا أَقْبَحَ التَّفْسِيرِ، وَيَتَأَوَّلُهَا أَقْبَحَ التَّأْوِيلِ)**.

لما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ضَحِكًا هُوَ الضَّحِكُ)** يريد: هو الضحك المعروف في لغة العرب، لكنه لا يقبل بهذا المعنىٰ كما قلنا، فذكر بعض النصوص وحرّفها، وأوّلها أقبح التأويل، فمن ذلك:

(فَذَكَرَ مِنْهَا حَدِيثَ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ: «يَتَجَلَّىٰ رَبُّنَا ضَاحِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)**.

وهذا حديث ضعيف جدًا، فيه عمارة القرشي، وهو ضعيف جدًا، لكن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساقه لأنه قد يكون صحيحًا عنده، أو بسبب ما له من الشواهد والمتابعات كما سيأتي في إثبات هذه الصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَأَيْضًا حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَضْحَكُ الرَّبُّ؟**



فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ ربٍّ يَضْحَكُ خيرًا).

وهذا حديثه جليل كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عظيم القدر، حسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ، وكذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزاد، وكذلك الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة.

وفيه: فقه الصحابة في صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصحابي لما علم أن الله يضحك ما قال: يا رسول الله كيف يضحك؟ إن هذا الضحك يشابه ضحك المخلوق، هذا يستلزم اللهاة، والشفتين، واللسان، وغير ذلك، وهذا الله عَزَّوَجَلَّ مُنزه عنه، لكن ماذا قال هذا الصحابي؟ قال: "لَنْ نَعْدَمَ مِنْ ربٍّ يَضْحَكُ خيرًا"، يعني طالما أن الله يضحك ففرجه قريب، وخيره كثير، وعطاؤه لا ينقطع، وهكذا ينبغي أن يتصرف المرء وأن يُقابل المرء هذه الصفات، صفات الجمال، علماؤنا يُسمون هذه الصفات بصفات الجمال، وهي المقابلة لصفات الجلال، كالقهر، والكبرياء، والعظمة، هذه التي تغرس الرهبة والخشية من الله عَزَّوَجَلَّ في القلوب، وأما صفات الجمال هذه فهي التي تُقرب العبد من ربه وتجعل العبد يعلم أن ربه غفور رحيم، وأن فرجه قريب، فلا يقنط، ولا ييأس من رحمة الله، كما فعل هذا الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولذلك كان هذا الحديث غصة في حلوق أهل البدع، لا يقبلونه، وإنما يردونه.

قال: (وحَدِيث جَابِرٍ أيضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَحِكِ الرَّبِّ).

وهو حديث ثابت في صحيح مسلم، حديث طويل، وفيه: «**فيقولون: حتىٰ ننظر إليك، فيتجلىٰ يضحك**»، وهو بنفس لفظ ومعنىٰ حديث أبي موسىٰ السابق الذي ذكرنا أن إسناده ضعيف.

ففيه أنه قال: «**فيتجلىٰ يضحك**»، والمُخبِر هو النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبر عن ربه بهذا اللفظ علىٰ المعنىٰ المعروف في لغة العرب، ثم يُمسك صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمعنىٰ ذلك: أن هذه

المعاني هي المعاني المُثبتَة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تُؤوَّل ولا تُحرَّف.

قال: (فادَّعىٰ الْمُعَارِضُ فِي تَفْسِيرِ الضَّحِكِ أَنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ، وَصَفْحُهُ عَنِ الذُّنُوبِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقُولُ: رَأَيْتَ زَرْعًا يَضْحَكُ؟).

فما الذي صنع هذا المعارض؟ حرَّف المعنىٰ، ما أثبت المعنىٰ الذي أثبته الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنفسه ولا أثبته له نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما حرف المعنىٰ وفسر الصفة بأثرها، وهذا حال الأشعرية وغيرهم، أنهم يفسرون هذه الصفات بأثرها.

فمثلًا: الله عَزَّوَجَلَّ يغضب، «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله**»، كيف يُفسرون الغضب لله عَزَّوَجَلَّ؟ يقولون: هو إرادة الانتقام.

الله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة: ١١٩]، كيف يُفسرون رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ يقولون: هو إرادة الثواب.

الله عَزَّوَجَلَّ يفرح، ويضحك، كيف يُفسرون هذه الصفات؟ يقولون: المراد بذلك: إرادة الرحمة، والصفح عن الذنوب، فيُفسرون هذه الصفات بالإرادة، يجعلونها مندرجة تحت الإرادة، لماذا؟ لأن الغضب -هكذا يقولون- لأننا لو أثبتنا الغضب فالغضب معناه: غليان الدم في العروق، وهيجان القلب، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزه عن ذلك.

فنقول لهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن كنتم تفسرون هذه الصفات بالرضىٰ فيقال لكم: والرضىٰ: ميل القلب"، الرضىٰ في أصله ميل القلب، فلماذا أثبتم الرضا لله ولم تُثبتوا هذه الصفات؟ فلا هم عالمون بالشرع ولا عالمون بلغة العرب.

فالذي صنعه هذا المعارض هاهنا أنه:

أولًا: فسر الصفة بأثرها.

الأمر الثاني: أنه استشهد بكلام العرب، فأعرض عن المعنىٰ الشرعي، وعن الحقيقة الشرعية، ومال إلىٰ الحقيقة اللغوية، مع أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاء إلا لبيان الشرعيات، ما جاء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبيان اللغويات، وإنما جاء لبيان الشرعيات.

فالذي يُقدَّم في ذلك الحقيقة الشرعية؛ لأنها أضيق الحقائق، ثم بعد ذلك الحقيقة العرفية، ما تعارف عليه الناس، لأنها أضيق من الحقيقة اللغوية، ثم بعد ذلك الحقيقة اللغوية.

فقال: لأننا لو قلنا: رأيت الزرع يضحك فليس معناه أنه يضحك، بالمعنىٰ المعروف.

قال: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ كَذَبْتَ فِيمَا رَوَيْتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضَّحِكِ، إذ شَبَّهْتَ ضَحِكَهُ بِضَحِكِ الزَّرْعِ؛ لأَنَّ ضحك الزَّرْعِ لَيْسَ بِضَحِكٍ، إِنَّمَا هُوَ خُضْرَتُهُ وَنَضَارَتُهُ، فَجُعِلَ مَثَلًا لِلضَّحِكِ)**.

هنا الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللهُ سيذكر أن القياس هذا لا ينقاس، لا يجوز أن نقيس ضحك الله علىٰ ضحك الزرع، لماذا؟ لأنه لا بد أن تكون الصورة واحدة، يعني الذي صنعه هذا المبتدع الضال أنه جعل ضحك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الفرع، وجعل ضحك الزرع هو الأصل، فقاس ضحك الله علىٰ ضحك الزرع، طيب، هذا نوع من القياس، لا بد حتىٰ يكون القياس صحيحًا أن تكون العلة واحدة، أن تكون العلة في الفرع والأصل واحدة، طيب ما هي العلة؟ وصف ظاهر منضبط، طب هل الوصف المذكور في ضحك الله هو هو الوصف المذكور في ضحك الزرع؟ تعالوا لنرىٰ.

ضحك الزرع ما هو؟ قال: **(هُوَ خُضْرَتُهُ وَنَضَارَتُهُ، فَجُعِلَ مَثَلًا لِلضَّحِكِ)**، ثم سيذكر بعد ذلك وجهًا آخر في المفارقة.

قال: **(فعمَّن رَوَيْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ؟ فسمِّه، وَإِلَّا فَأَنْتَ المحرِّف قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ، إِذْ شَبَّهْتَ ضَحِكَ اللهِ الْحَيِّ**

الْقَيُّومِ الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ ذِي الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَالسَّمْعِ السَّمِيعِ والبصر البصير).

لماذا ذكر الاسم والصفة؟ لأن المعتزلة يُثبتون الأسماء دون الصفات، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

فشبَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صاحب هذه الصفات والأسماء: **(بِضَحِكِ الزَّرْعِ الْمَيِّتِ، الَّذِي لَا ضَحِكَ لَهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الضَّحِكِ، وَإِنَّمَا ضَحِكُهُ يُمَثَّلُ، وَضَحِكُ اللهِ لَيْسَ يُمَثَّلُ)**.

يعني هذا من باب المجاز، وهذا باب معروف عند العرب بضوابطه عند من يثبته، فهذا مجاز في لغة العرب، لما يقال: رأيت زرعًا يضحك، هذا مما يجوز في كلام العرب؛ لأنهم أطلقوا ذلك وأرادوا ماذا؟ أرادوا نضرته، وبهجته، وجماله، فما أرادوا حقيقة ذلك.

ولذلك يعني نحن لو انتقلنا إلىٰ البلاغة عندما نقول: رأيت زرعًا يضحك، هذه تسمىٰ في البلاغة ماذا؟ بالاستعارة المكنية، لماذا؟ لأنه شبّه الزرع بماذا؟ بإنسان يضحك، فحذف المشبه به وجاء بصفة من صفاته، فهذا مما يجوز في كلام العرب، الاستعارة المكنية، والتصريحية، والتشبيه، هذا مما يجوز في كلام العرب، يأتون به لغرض بلاغي، لمعنىٰ يريدونه.

لكن لما يُقال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يضحك هذا لا يقال إنه من قبيل المجاز، وإنما هذا حقيقة، نُثبت المعنىٰ لأن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تواتر عنه ذكر هذه الصفات دون أن يُحرفها، وأن يؤولها، وأن يقول: إنها من قبيل المجاز، وهو يعلم ذلك مما تقوله العرب، كما سيأتي في كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومتىٰ يُحمَل اللفظ علىٰ المجاز؟ لا بد من وجود قرينة، والقرينة إن هذا القول وهذا الإطلاق معروف في لغة العرب، صحيح؟

الضابط الثاني: امتناع حمله علىٰ الحقيقة، وحمل الضحك المنسوب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الحقيقة والمتصف به الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الحقيقة ليس بمستحيل، وليس بممتنع؛ لأن الآية عندنا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، فنفىٰ المثلية وأثبت لنفسه السمع والبصر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَيْحَكَ! إِنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ نَضَارَتُهُ، وَزَهْرَتُهُ، وَخُضْرَتُهُ، فَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ أَخْضَرُ ضَاحِكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ).

هذا هو الوجه الثاني من أوجه المفارقة، طالما أن الزرع أخضر وأنه ذو ندرة فهو يضحك لكل أحد، للولي والعدو، فهل لو مرَّ مؤمن أمام الزرع سيجد الزرع يضحك، بينما لو أن الكافر مر أمامه، لن يضحك الزرع، يعبث في وجهه؟ هذا لا يكون، هذا هو الوجه الثاني من أوجه المفارقة بين ضحك الله وضحك الزرع.

قال: (فَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ أَخْضَرُ ضَاحِكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، لِلْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ، وَلِمَنْ يَسْقِيهِ، وَلِمَنْ يَحْصُدُهُ).

يعني الذي يتسبب في حياته والذي يتسبب في هلاكه.

(لَا يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَاللهُ يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَمَا).

عندي في نسختي: "عند ما"، لكن هي "عندما".

(عِنْدَمَا يُعْجِبُهُ من فِعَالِهِمْ).

أو لعلها "عند ما"، ما هاهنا موصولة، يعني المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا يريد أن يبين أن الضحك يتعلق بسبب، متىٰ يضحك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ عند، "عند" ظرفية، الذي يُعجبه من فعاله، فإذا رأىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من فعالهم ما يُعجبه ضحك لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وَيَصْرِفُهُ عَنْ أَعْدَائِهِ فِيمَا يُسْخِطُهُ من أفعالهم، فَالدَّلِيلُ مِنْ فِعْلِ اللهِ أَنَّهُ يَضْحَكُ إِلَىٰ قَوْمٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ قَوْمٍ، أَنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ مَثَلٌ عَلَىٰ الْمَجَازِ، وَضَحِكَ اللهِ أَصْلٌ وَحَقِيقَةٌ لِلضَّحِكِ).

فالإمام الدارمي يُثبت المجاز في لغة العرب، لكنه المجاز الذي قام علىٰ قرينة وشهرة في لغة العرب.

ولذلك قلنا قبل ذلك: أن الخلاف الذي يقع بين أهل السنة المُثبتين والنافين هو خلاف لفظي، لا يترتب عليه عمل، لماذا؟ لأن أُس الخلاف كان بين أهل السنة والمعتزلة، وهذا الذي من أجله قامت حرب شيخ الإسلام ابن القيم وابن تيمية علىٰ المجاز، من أجل هذا الأصل عند المعتزلة؛ لأنهم تذرعوا به في رد صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنني أنا من أهل السنة، وأُثبت صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لكنني أقول: إن في لغة العرب من يأذن، فالخلاف بيني وبينك أيها النافي خلاف لفظي، فلا تتشدد في المسألة، ولا تُبدِّع، ولا تهجر علىٰ أساس هذه المسألة.

فقال: (فَالدَّلِيلُ مِنْ فِعْلِ اللهِ أَنَّهُ يَضْحَكُ إِلَىٰ قَوْمٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ قَوْمٍ، أَنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ مَثَلٌ عَلَىٰ الْمَجَازِ، وَضَحِكَ اللهِ أَصْلٌ وَحَقِيقَةٌ لِلضَّحِكِ، وَيَضْحَكُ كَمَا يَشَاءُ، وَالزَّرْعُ أَبَدًا نَضَارَتُهُ وَخُضْرَتُهُ الَّتِي سَمَّيْتَهُ ضَحِكًا قَائِمٌ أَبَدًا، حَتَّىٰ يُسْتَحْصَدَ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ ضَحِكَهُ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ فَقَدْ صَدَقْتَ فِي بَعْضٍ).

ما هذا الذي صدق فيه؟ أن هذا يتعدىٰ إلىٰ أثره، فالذي يضحك الله عَزَّوَجَلَّ له ولفعله يرضىٰ عنه، ويرحمه، فله أثر، فهو صادق في أن هذه الصفات لها أثر، لكنها لا تُفسَّر بالأثر وحده، لا بد من إثباتها.

قال: (فَقَدْ صَدَقْتَ فِي بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَضْحَكُ إِلَىٰ أحد إِلَّا عَن رضىٰ، فَيَجْتَمِعُ مِنْهُ الضَّحِكُ وَالرِّضَا، وَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا عَنْ عَدُوٍّ، وَأَنْتَ تَنْفِي الضَّحِكَ عَنِ اللهِ، وَتُثْبِتُ لَهُ الرِّضَا

وَحْدَهُ، وَلَئِنْ جَزَعْتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الضَّحِكِ حَتَّىٰ نَفَيْتَهُ عَنِ الله بِمَعْنَىٰ ضحك الزَّرْعِ، مَالك مِنْ رَاحَةٍ فِيمَا رَوَىٰ عَنْهُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا يُكَذِّبُ دَعْوَاكَ وَيَسْتَحِيلُ بِهِ تفسيرك).

ثم قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَدَّثَنَاه مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخر رجل يدْخل الْجنَّة يمشي يَكْبُو عَلَىٰ الصِّرَاطِ مرة، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي أَنْجَانِي مِنْكِ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ادْنُنِي مِنْهَا، فَيُدْنِيهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ ربُّ الْعَالَمِينَ»؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُنِي مِمَّ ضَحِكْتُ؟ هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟»).

أي: النبي ﷺ.

(فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: «مِنْ ضَحِكِ ربِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ حِينَ يَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ فَيَقُولُ اللهُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ»).

قال: (أَفَلَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ»).

ففي الحديث، لما قيل له: مما تضحك؟ قال: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ»، فضحك النبي ﷺ وضحكُ النبي معروف، وضحِكَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضحِكُ الصحابيِّ معروف، ولم يفرق النبي ﷺ بين معنىٰ ضحكه وضحك الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما قال لهم: لكن ضحك الرب محمول علىٰ الرضا، والرحمة، وغير ذلك، وإنما ذكر الحديث وسكت ﷺ.

فقال: (أَفَلَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ» أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ ضَحِكَ الزَّرْعِ؛ لِأَنَّهُ يُقَال للزَّرْع: يَضْحَكُ، وَلَا يُقال: يَضْحَكُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ).

لكن هنا إشكال في هذا الحديث: في آخر الحديث قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، مع أن قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه مطلقة دائمًا، من المعروف أن قدرة الله مطلقة، غير مقيدة، لا تُقيَّد بالمشيئة.

ولذلك في القرآن تجدوا: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٠]، وهنا قيَّدها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نسمع ونعلم أن الواحد منا إذا دعا لا يجوز له أن يقول في آخر دعائه: إنك علىٰ ما تشاء قدير، وإنما يقول: إنك علىٰ كل شيء قدير، انت بتجد الداعي في جملة كده محفوظة: إنك علىٰ ما تشاء قدير، وأنت نعم المولىٰ ونعم النصير، طيب، هذه الجملة خطأ؛ لأنها قيَّدت مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويُفهَم منها: أن الأمور التي لم يشأها الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقدر عليها، بمفهوم المخالفة، صحيح؟ لأنك قيدت القدرة بماذا؟ بما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهنا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، وفي آية في القرآن قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيْرٌ﴾[الشورىٰ: ٢٩]، صحيح؟ فقال كذلك: قدير إذا يشاء، فكيف نجمع بين هذه الآيات وبين قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هذا إشكال طيب، سُئل فيه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

حكم قول: إن الله علىٰ ما يشاء قدير

ما حكم قول الإنسان: إن الله علىٰ ما يشاء قدير عند ختم الدعاء ونحوه؟

فكانت الإجابة: "هذا لا ينبغي لوجوه:

الأول: أن الله تعالىٰ إذا ذكر وصف نفسه بالقدرة لم يُقيد ذلك بالمشيئة في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَو شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمعِهِم وَأَبْصَارِهِم إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ﴾[البقرة: ٢٠]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ﴾[البقرة: ١٠٦]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[البقرة: ١٠٧]، قال: فعمَّم في القدرة كما عمَّم في الملك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَينَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة: ١٧]، **قال**: فعمَّم في الملك والقدرة، وخص الخلق بالمشيئة؛ لأن الخلق فعل، والفعل لا يكون إلا بالمشيئة، أما القدرة فصفة أزلية أبدية شاملة لما شاء وما لم يشأه، لكن ما شاءه سبحانه وقع، وما لم يشأه لم يقع، والآيات في ذلك كثيرة".

إذًا وجه الاعتراض الأول والمنع الأول: أن القدرة جاءت في كتاب الله مطلقة، لم تُقيَّد بمشيئة، فلا يجوز للداعي أن يقول: إنك علىٰ ما تشاء قدير.

"**الوجه الثاني**: أن تقييد القدرة بالمشيئة خلاف ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فقد قال الله عنهم: ﴿يَومَ لَا يُخزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُم يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَتمِمْ لَنَا نُوْرَنا وَاغْفِر لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨]".

انظر كيف قال إن هذا قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقول أتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني الواحد منا لو سُئل: أين قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا القول؟ يبحث في كتب الصحاح، والمسانيد، والمصنف أن، وجاء بها من الآية؛ لأن الذي قال ذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه، رحم الله الشيخ ابن عثيمين.

قال: "ولم يقولوا: إنك علىٰ ما تشاء قدير".



قال: "وخير الطريق طريق الأنبياء، وطريق أتباعهم، فإنهم أهدىٰ علمًا وأقوم عملًا".

قال: "والثالث: أن تقييد القدرة بالمشيئة يُوهم اختصاصها بما يشاؤه الله تعالىٰ فقط، لا سيما وأن ذلك التقييد يُؤتىٰ به في الغالب سابقًا"، يعني هذا وجه بلاغي، "حيث يقال: علىٰ ما يشاء قدير، لا يقال: قدير علىٰ ما يشاء".

قال: "وتقديم المعمول يُفيد الحصر، كما يُعلَم ذلك في تقرير علماء البلاغة، وشواهده من الكتاب والسنة واللغة كثيرة".

قال: "وإذا خصصت قدرة الله بما يشاؤه كان ذلك نقصًا في مدلولها، وقصرًا لها عن عمومها، فتكون قدرة الله تعالىٰ ناقصة حيث انحصرت فيما يشاؤه، وهو خلاف الواقع، فإن قدرة الله تعالىٰ عامة فيما يشاؤه وما لم يشأ، لكن ما شاءه فلا بد من وقوعه، وما لم يشأه فلا يمكن وقوعه، فإذا تبين أن وصف الله تعالىٰ بالقدرة لا يُقيد بالمشيئة، بل يُطلق كما أطلقه الله تعالىٰ لنفسه، فإن ذلك لا يُعارضه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمِ إِذَا يَشَاءُ قَدِيْرٌ﴾[الشورىٰ: ٢٩]"، لماذا؟ تدبر في الآية، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِم إِذَا يَشَاءُ قَدِيْرٌ﴾.

قال: "فإن المُقيَد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِم إِذَا يَشَاءُ﴾ أي: إذا شاء جمعهم"، فهو قدير علىٰ ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالمقيد بالمشيئة ماذا؟ الجمع.

قال: "والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة، ولذلك قُيِّد بها، فمعنىٰ الآية: أن الله تعالىٰ قادر علىٰ جمعهم متىٰ شاء، وليس بعاجز عنه كما يدعيه من يُنكره، ويُقيده بالمشيئة، وهذا رد لقول المشركين الذين قالوا كما قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيهِم آيَاتُنا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُم إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُم صَادِقِينَ * قُلِ اللهُ يُحيِيْكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يَجْمَعُكُم إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الجاثية: ٢٥-٢٦]، فلما طلبوا الإتيان لآبائهم تحديًا وإنكارًا لما يجب الإيمان به من البعث بيَّن الله تعالىٰ أن ذلك الجمع

الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته، ولا يُوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم، كما قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ * فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[التغابن: ٧-٩].

والحاصل: أن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ لا يُعارض ما قررناه من قبل؛ لأن القيد بالمشيئة ليس عائدًا إلىٰ القدرة، وإنما يعود إلىٰ الجمع.

وكذلك لا يُعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب الايمان، في باب آخر أهل النار خروجًا، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آخر من يدخل الجنة رجل»، فذكر الحديث، وفيه: أن الله تعالىٰ قال للرجل: «إني لا أستهزئ بك ولكني علىٰ ما أشاء قادر»".

طب كيف لا يُعارض ذلك الآية؟

قال: "وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذُكرت لتقرير أمر واقع"، أمر موجود واقع انقضىٰ، ليس الكلام علىٰ ما يُستقبَل؛ لأننا ندعوا ونرجوا تحقق ذلك في المستقبل، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم في هذا الحديث عن أمر واقع مقرر.

فقال: "ذُكرت لتقرير أمر واقع، والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف لله تعالىٰ أزلًا وأبدًا، ولذلك عبَّر عنها باسم الفاعل، قال: "قادر"، دون الصفة المشبهة "قدير"، وعلىٰ هذا: فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو يستبعده، فقيل له في تقرير هذا الذي وقع: إن الله علىٰ ما يشاء قادر"، وهذا الأمر وقع، فالله شاءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: "فلا حرج في ذلك، وما زال الناس يُعبّرون بمثل هذا في مثل ذلك، فإذا وقع أمر

عظيم يُستغرَب أو يُستبعَد قالوا: قادر علىٰ ما يشاء، فيجب أن يُعرَف الفرق بين ذكر القدرة علىٰ أنها صفة لله تعالىٰ فلا تُقيَّد بالمشيئة، وبين ذكرها لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة؛ لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة، والقدرة هاهنا ذُكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه، والله سبحانه أعلم"، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين في المجلد الأول باب المناهي اللفظية.

قال: **أَفَلَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ» أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ ضَحِكَ الزَّرْعِ؛ لِأَنَّهُ يُقَال للزَّرْع: يَضْحَكُ، وَلَا يُقال: يَضْحَكُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ).**

ثم قال الإمام بحق، قال: **وإنَّا لَمْ نَجْهَلْ مَجَازَ هَذَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ عَلَىٰ خِلَافِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، فَقَدْ سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْشَىٰ وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَىٰ ضَحِكِ الرَّبِّ ببعِيدٌ، إِذْ يَقُولُ:**

مَا روضة مِنْ رِيَاضِ الْحزن ... مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤْزَرٌ بِعَمِيم النبت مكتهل

فذكر له بيت شعر يستدل به هؤلاء علىٰ هذا التأويل والتحريف.

قال: لا نجهل ذلك في لغة العرب، ونحن نعلم أن هذا مما يجوز في لسان العرب، لكن هذا ببعيد عن ضحك الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(فَالزَّرْعُ مَا دَامَ أَخْضَرَ فَهُوَ مُضَاحِكُ للشَّمْسِ أَبَدًا، لَا يخصُّ بِضَحِكِهِ أَحَدًا وَلَا يَصْرِفُهُ عَنْ أَحَدٍ، وَاللهُ يَضْحَكُ إِلَىٰ قَوْمٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ آخَرِينَ).**

آفة هؤلاء: أنهم يركنون إلىٰ لغة العرب، ويجهلون ما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشيخ الإسلام ابن تيمية له كلام نفيس، هذا الكتاب من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام ابن

تيمية، ولعلنا إن شاء نقرؤه في مجالس في هذا الموضع إن شاء الله، كتاب نفيس جدًا جدًا، فيه مباحث في العقيدة، ومباحث في اللغة، ومباحث في مصطلح الحديث، ومباحث في فقه السلف، وبيان هدي السلف، كل كلمة في هذا الكتاب ينبغي أن تُدرَّس، وهو كتاب (**جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتوىٰ الحموية**)، هذه الفتوىٰ التي كانت سببًا في سجن شيخ الإسلام ابن تيمية لما كتب مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، ورد علىٰ الفلاسفة والمتكلمين، وبيَّن جهلهم.

فلو نظرنا لحال هؤلاء نجدهم أنهم يركنون إلىٰ لغة العرب، وهذا مشهور في الأشعار التي يستدلوا بها.

يعني مثلًا في الكلام النفسي:

إن الكـــلام لفـــي فـــؤادي وإنمـــا ... جُعـل اللســان علـىٰ الفـؤاد دلـيلًا

وفي نفي الاستواء:

قــد اســتوىٰ بشــر علــىٰ العــراق ... مـــن غيـــر ســـيف ودم مهـــراق

في نفي وجه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ والنظر إلىٰ وجه الله يوم القيامة، يستدلون:

وجـــوه يـــوم بـــدر نـــاظرات ... إلـــىٰ الـــرحمن تنتظـــر الفـــلاح

إلىٰ غير ذلك من الأشعار، ولو أن هذه الأشعار جُمعت، الأشعار التي استدلت بها الفِرق المخالفة في عقيدتها جمعًا ودراسة نقدية يكون باب عظيم جدًا يعني.

فالإمام الدارمي يُبين أن هذا الأمر لا يجهله أئمة السنة، لكنهم يعلمون أن هذا لا ينقاس، ولا يُنظَر إليه، ولا يُصَار إليه لتعطيل صفات الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.



قال: (وَحَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّادُ، أَخْبَرَنَا يعلىٰ بن عَطاء، عَنْ وَكِيع بْنِ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ»، قَالَ أَبُو رَزِينٍ: أَيَضْحَكُ الرَّبُّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا).

والإسناد ضعيف؛ لجهالة وكيع، لكنه حسن بمجموع طرقه.

قال: (فَهَذَا حَدِيثُكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ الَّذِي رَوَيْتَهُ وَثَبَّتَّهُ وَفَسَّرْتَهُ، وَأَقْرَرْتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَهُ، فَفِي نَفْسِ حَدِيثِكَ هَذَا مَا يَنْقُضُ دَعْوَاكَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أيضحك الرب؟" وَلَو كانَ تَفْسِيرُ الضَّحِكِ الرِّضَىٰ، وَالرَّحْمَةُ، وَالصَّفْحُ عن الذُّنُوبِ فَقَطْ، كَانَ أَبُو رَزِينٍ فِي دَعْوَاكَ إِذًا جَاهِلًا أَنْ لَا يَعْلَمَ أَنَّ ربَّه يرحم ويرضىٰ ويغفر الذنوب، حَتَّىٰ يَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَرْحَمُ رَبُّنَا وَيَغْفِرُ وَيَصْفَحُ عَنِ الذُّنُوبِ؟ بَلْ هُوَ كَافِر فِي دعواك، إِذ لم يعرف الله بالرضىٰ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَ مَا ذَكَرَ اللهُ فِيهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَصَفْحِهِ عَنِ الذُّنُوبِ، مَا كَانَ لَهُ فِيهِ مَنْدُوحَةٌ عَنْ سؤال رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَغْفِرُ رَبُّنَا وَيَرْحَمُ؟ إِنَّمَا سَأَلَهُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ لَا عَمَّا عَلِمَ، وَآمَنَ بِهِ قَبْلُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَوَجَدَ فِيهِ ذِكْرَهُ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ ذكر الضحك).

وهذا فيه: أن الصفات الفعلية بابها السمع، لا تُدرَك بالعقول، وإنما لا بد فيها من السمع، لماذا سأل أبو رزين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟ لأنه لا يعلم أن الله يضحك.

ولذلك نُثبت ما أثبته الله لنفسه، وننفي ما نفاه الله عن نفسه، لكن ماذا نصنع فيما سكت عنه؟ نُمسك، لا ننفي، ولا نثبت.

يعني هل لله أُذُن؟ لو قلت: نعم أخطأت، ولو قلت: لا أخطأت، لكن تُمسك، هل لله فم؟ لو قلت: نعم أخطأت، ولو قلت: لا أخطأت، الصفات الخبرية لا بد فيها من السمع، قال

الله، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (فَلَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَضْحَكُ قَالَ: "لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا"، وَلَوْ كَانَ عَلَىٰ تَأْوِيلِكَ لَاسْتَحَالَ أَنْ يَقُولَ أَبُو رَزِينٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَرْحَمُ ويرضىٰ ويغفر خيرًا، لِمَا أَنَّهُ قَدْ آمَنَ وَقَرَأَ قَبْلُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فَاعْقِلْهُ، وَمَا أَرَاكَ تَعْقِلُهُ.

قال: ثُمَّ لم تأنف من هَذَا التَّأْوِيلَ، حَتَّىٰ ادَّعيت عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ ضَحِكَ اللهِ عَلَىٰ مَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

هو يريد بذلك الكيف، فنسب إلىٰ أهل السنة أنهم يُمثلون ضحك الله بضحك المخلوق.

قال: (وَهَذَا كَذِبٌ تَدَّعِيهِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بِشَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ، ولكنَّا نَقُولُ: هُوَ نَفْسُ الضَّحِكِ).

أي من جهة المعنىٰ.

(يَضْحَكُ كَمَا يَشَاءُ وَكَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَتَفْسِيرُكَ هَذَا مَنْبُوذٌ فِي حشك، ثُمَّ فَسَّرْتَ الضَّحِكَ تَفْسِيرًا أَوْحَشَ مِنْ هَذَا أَيْضًا، فَقُلْتَ: يَحْتَمِلُ).

انظر، ما بين الحين والآخر يقول: يحتمل، يحتمل، يحتمل، نسأل الله السلامة والعافية.

يقول: (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ضَحِكُهُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ضَاحِكًا، يَأْتِيهِمْ مُبَشِّرًا ومعينًا وَدَلِيلًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ).

فسَّر: يضحك ربنا أي تأتي فئة من المؤمنين يوم القيامة، أو يُنشئهم الله إنشاءً، أو يأتي من يأتي من الملائكة يأخذ بيد المؤمنين إلىٰ الجنة، هذا معنىٰ الضحك عند هذا الجاهل.

قال: (وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! أَلَا تَسْمَعُ مَا فِي حَدِيثِكَ الَّذِي رَوَيْتَهُ وَثَبَّتَّهُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ



قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَضْحَكُ رَبُّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ"، وَلَمْ يَقُلْ: أَيَخْلُقُ اللهُ خَلْقًا يَضْحَكُ، ثُمَّ قَالَ: "لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا"، وَلَمْ يَقُلْ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَخْلُقُ الضَّاحِكَ، فَهَذَا فِي نَفْسِ حَدِيثِكَ لَوْ قَدْ عَقِلْتَهُ، وأَنَّي لَكَ الْعَقْلُ مَعَ هَذَا التَّخْلِيطِ؟

قال: وادَّعيت أَيْضًا تَفْسِيرًا لِلضَّحِكِ أَبْعَدَ مِنْ هَذَا، مِنَ الْحَقِّ وَالْمَعْقُولِ؛ فَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يَضْحَكُ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ تُفَسِّرُهُ أَنَّهُ يُضْحِكُهُ وَيَسُرُّهُ).

الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُضحكه ويسره.

(فَذَلِكَ ضَحِكُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النِّسْبَةِ، يَعْنِي أَنَّ الْخَلْقَ وَضَحِكَهُمْ وَكَلَامَهُمْ لِلَّهِ).

أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلق كل ذلك، فيضحك ربنا عنده أي: يخلق الضحك في هذا المخلوق، هو الذي أضحكه.

قال: (فيُقال لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: إِذَا تَحَوَّلَتِ الْعَرَبِيَّةُ إِلَىٰ لُغَتِكَ وَلُغَاتِ أَصْحَابِكَ جَازَ فِيهَا أَنْكَرُ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَأَفْحَشُ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَهَذَا أَيْضًا بيِّنٌ فِي نَفْسِ حَدِيثِكَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ لَهُ: "أَيَضحَك رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟"، وَلَمْ يَقُلْ: أَيُضحك رَبُّنَا، وَلَوْ قَالَ كَذَلِكَ لَكَانَ جَاهِلًا؛ إِذْ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُضحك الرَّبُّ الْخَلْقَ؟ وَقَدْ قَرَأَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[النجم:٤٣]).

قال: (ومحال أن يسأل أحد: أيُضحك الله الخلق؟ لما قد علم كل الخلق المؤمن والكافر أن الله هو أضحك وأبكىٰ، فَلَوِ اشْتَغَلْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا تَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ مَسَائِلِ أَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ).

قلنا إنه كان يحضر عند هؤلاء، عند الحنفية.

(فَلَوِ اشْتَغَلْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا تَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ مَسَائِلِ أَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ

وَنُظَرَائِهِمْ كَانَ أَعْذَرَ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَعَرَّضَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصِّعَابِ الْمَعَانِي، الَّتِي كَانَ يَسْتَعْفِي مِنْ تَفْسِيرِهَا الْعُلَمَاءُ وَأَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ الْبُصَرَاءُ، فَتُفَسِّرُهَا بِجَهْلٍ وَضَلَالٍ.

وَسَنَذْكُرُ لَكَ أَيْضًا بَعْضَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ضَحِكِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ مِمَّا يَنْقُضُ دَعْوَاكَ حَتَّىٰ تَضُمَّهُ إِلَىٰ حَدِيث أبي رزين وَأَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُوَفِّقْكَ فِيهَا لِصَوَابٍ مِنَ التَّأْوِيلِ).

قال الإمام: **(حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يضحك اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْقَوْمُ إِذَا اصطَفُّوا لِلْقِتَالِ، وَالْقَوْمِ إذا اصطفوا للصَّلَاة»).**

وهذا حديث ضعيف الإسناد، لكن هو حسن بشواهده.

ومن هذه الشواهد: ما جاء عند الحاكم في المستدرك، وحسنه المندري، والألباني في الترغيب، قال النبي ﷺ: **«ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفس الله عَزَّ وَجَلَّ فإما أن يُقتَل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: انظروا إلىٰ عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يذر شهوته، فيذكرني، ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا -أي: ناموا- فقام من السحر في سراء وضراء»**، وهو حديث حسن، وفيه: إثبات الضحك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(أَفلا ترىٰ أَيهَا الْمُعَارِضُ أَنَّ هذا الضَّحِكَ لَا يُشْبِهُ ضَحِكَ الزَّرْعِ الَّذِي تأوَّلته؟ لِأَنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ لَا يَخُصُّ أَحَدًا، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنْ أَحَدٍ، وَاللهُ يَضْحَكُ إِلَىٰ قَوْمٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ قوم).**

ثم قال الإمام: **(حدثنا هشام بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ، قال: حدثَنَا إِسْمَاعِيلُ بن عَيَّاش، حَدثني بَحِيرُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مرّة، عَن نعيم ابْن هَمَّارٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ**

إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَي الشُّهَدَاء أفضل؟ قَالَ: «الَّذِين يُلْقَوْنَ فِي الصَّفِّ وَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُم حَتَّىٰ يُقتلُوا، أُولَئِكَ الَّذِي يتلبطون فِي العلىٰ فِي الْجَنَّةِ»).

يتلبطون أي: يتقلبون.

(«يتلبطون فِي العلىٰ فِي الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَىٰ عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»).

وهذا حديث حسن، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم هذه المنزلة.

قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْمُعَافِرِيِّ، عَنْ عبيد الله ابْن الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ صَاحِبِ الْبَحْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: حِينَ يَرْكَبُهُ وَيُخَلَّىٰ مِنْ أَهْلِهِ، وَحِينَ يَمِيدُ مُتَشَحِّطًا").

أي: يميد البحر مضطربًا به.

(وَحِين يرىٰ الْبر ليشرف لهُ).

وهذا أثر صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال: (وحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَن أبي الْأَحْوَص، وَأَبِي الْكَنُودِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ اللهَ يَضْحَكُ إِلَىٰ اثْنَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ، وَرَجُلٌ كَانَ مَعَ قَوْمٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا وَحمَلَ عَلَيْهِمْ، فَاللهُ يَضْحَكُ إِلَيْهِ").

وهذا أثر صحيح.

قال: (ورُوي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَضْحَكُ مِنْ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، كِلَاهُمَا دَاخِلُ الْجَنَّةَ: مُشْرِكٌ قَتَلَ مُسْلِمًا ثُمَّ يُسْلِمُ، فَيُسْتَشْهَدُ بَعْدُ»).

فالمسلم الذي قُتل أولًا يدخل الجنة، والمشرك الذي قتله إذا أسلم بعد ذلك وقُتل في سبيل الله كذلك يدخل الجنة.

وهذا كذلك حديث صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**حَدَّثنَاهُ مَحْبُوبُ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ**).

يعني حدثناه هذا الحديث.

قال: (**حَدَّثنَاهُ مَحْبُوبُ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ سُفْيَان ابْن حُسَيْنٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال: **وَحَدَّثنَاهُ الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنس، عَنْ أَبِي الزِّنَاد، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال: **وَحَدَّثنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْبَغْدَادِيُّ، حدثنَا إِسْمَاعِيل بن زَكَرِيَّا أَبُو زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ السُّلَمِيِّ، عَنْ عبد الله ابْنَ أَبِي الْهُذَيْلِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: "إِنَّ اللهَ يَضْحَكُ مِمَّنْ ذَكَرَهُ فِي الْأَسْوَاقِ"**).

وهذا كذلك أثر صحيح ثابت عن عبد الله بن مسعود، قال له عبد الله بن أبي الهذيل قال: أبلغك أن الله عَزَّ وَجَلَّ يعجب ممن يذكره في الأسواق؟ قال: "لا، بل يضحك"، يعني هذا الذي بلغني عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قاله" ولا يُعرَف عن عبد الله بن مسعود أنه كان يأخذ عن أهل الكتاب، وفيه أن الصحابة كانوا لا يثبتون من الصفات إلا ما جاء في الكتاب والسنة.

قال: (**حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حدثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حدثنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ قَالَتْ: لَمَّا تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

صَاحَتْ أُمُّه، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا يَرْقَأُ دَمْعُكِ، وَيَذْهَبُ حُزْنُكِ؟ فَإِنَّ ابْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللهُ إِلَيْهِ»).

وهناك رواية أخرىٰ: «فإن ابنك أول من ضحك الله إليه واهتز له عرش الرحمن»، لكن إسناده ضعيف، وفي سائر طرقه إسحاق بن راشد، وهو مجهول، كما ذكر ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم.

لكن اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ ثابت عن النبي ﷺ ورضي الله عن سعد بن معاذ.

قال: (وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ ضَحِكِهِ مَا شَبَّهْتَ بِهِ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ ضَحِكِ الزَّرْعِ مَا كَانَ يَقُولُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللهُ إِلَيْهِ»؛ لِأَنَّ خُضْرَةَ الزَّرْعِ وَنَضَارَتَهُ بَادِيَةٌ لِأَوَّلِ نَاظِرٍ إِلَيْهَا وَآخِرٍ، لَا يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَىٰ تَقِيٍّ، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنْ شَقِيٍّ، فَكَمْ تُدْحَضُ فِي بَوْلِكَ، وَتَعْثُرُ فِي قَوْلِكَ، وتغر من حولك؟

أَوَ لم تَقُلْ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ هَذَا أَنَّ اللهَ لَا يُقاس بِالنَّاسِ، وَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَوَهَّمَ فِي صِفَاتِهِ مَا يَعْقِلُهُ مِنْ نَفْسِهِ؟ وَأَنْتَ تَقِيسُهُ فِي ضَحِكِهِ بِالزَّرْعِ، وَتَتَوَهَّمُ فِيهِ مَا يُتَوَهَّمُ بِالزَّرْعِ.

وادَّعيت أَيْضًا فِي صَدْرِ كِتَابِكَ هَذَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ اجْتِهَادُ الرَّأْيِ، وَأَنْتَ تَجْتَهِدُ فِيهَا أَقْبَحَ الرَّأْيِ، حَتَّىٰ مِنْ قَبَاحَةِ اجْتِهَادِكَ تَتَخَطَّىٰ بِهِ الْحَقَّ إِلَىٰ الْبَاطِلِ، وَالصَّوَاب إِلَىٰ الْخَطَأ، أَوَ لم تَذْكُرْ فِي كِتَابِكَ أَنَّهُ لَا يحْتَمل فِي التوحيد إِلَّا الصَّوَابُ فَقَطْ؟ فَكَيْفَ تَخُوضُ فِيهِ بِمَا لَا تَدْرِي؟ أَمُصِيبٌ أَنْتَ أَمْ مُخْطِئٌ؟ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا نَرَاك تفسر التوحيد بِالظَّنِّ، وَالظَّنُّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَهُوَ قَوْلُكَ: يَحْتَمِلُ فِي تَفْسِيرِهِ كَذَا، وَيَحْتَمِلُ كَذَا تَفْسِيرًا، وَيَحْتَمِلُ فِي صِفَاتِهِ كَذَا، وَيَحْتَمِلُ خِلَافَ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ فِي كَلَامِهِ كَذَا وَكَذَا.

وَالِاحْتِمَالُ ظَنٌّ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ يَقِينٍ، وَرَأْيٌ غَيْرُ مُبِينٍ، حَتَّىٰ تَدَّعِي لِلَّهِ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ

أَلْوَانًا كَثِيرَةً وَوُجُوهًا كَثِيرَةً أَنَّهُ يَحْتَمِلُهَا، لَا تَقِفُ عَلَىٰ الصَّوَابِ مِنْ ذَلِكَ فَتَخْتَارَهُ، فَكَيْفَ تَنْدُبُ النَّاسَ إِلَىٰ صَوَابِ التَّوْحِيدِ، وَأَنت دائب تجْهَل صِفَاته وَأَنْتَ تَقِيسُهَا بِمَا لَيْسَ عِنْدَكَ بِيَقِينٍ؟ ولكنَّا نَظُنُّكَ تَقُولُ الشَّيْءَ فَتَنْسَاهُ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ عَلَيْكَ فِيهِ مَا يَأْخُذُ بِحَلْقِكَ أَوْ يَكْظِمُكَ.

قال: وَالْعَجَبُ مِنْ رَجُلٍ يَدَّعِي عَلَىٰ قَوْمٍ زُورًا وَكَذِبًا أَنَّهُمْ يُشَبِّهُونَ اللهَ بَآدَمَ فِي صُورَتِهِ).

يعني التمثيل هاهنا لا يعني إثبات المعنىٰ.

قال: (فَتَدَّعِي عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ كُفْرًا، وَهُوَ يُشَبِّهُهُ فِي يَدِهِ بِأَقْطَعَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَفِي بَصَرِهِ بِأَعْمَىٰ، وَفِي سَمْعِهِ بِأَصَمَّ، وَفِي وَجْهِهِ بِوَجْهِ الْقِبْلَة، وَوجه الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفِي كَلَامِهِ بِأَبْكَمَ).

لأنه ينفي عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل هذه الصفات.

(حَتَّىٰ تَتَوَهَّمَ فِي كَلَامِهِ أَنَّهُ كَكَلَامِ الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ، وَفِي ضَحِكِهِ بِالزَّرْعِ الْأَخْضَرِ.

قال: فَكَيْفَ تُجِيزُ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ ذَلِكَ مَا تَجْحَدُهُ عَلَىٰ غَيْرِكَ؟ لَقَدِ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا، وَكلما احْتَجَجْتَ لِمَذْهَبِكَ مِنْ بَاطِلٍ احْتُمِلَ، وَمَا احتجَّ عَلَيْكَ غَيْرُكَ فِيهِ مِنْ حَقٍّ بَطَلَ؟).

فكلما احتج بباطل يقول: يحتمل، يحتمل، له وجه، لكن عندما يحتج عليه أهل السنة بالحق الذي عليه برهان من كتاب الله، ومن سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: هذا باطل، لا يُقبَل.

قال: (رُوَيْدَكَ بِالْقَضَاءِ فَلَا تَعْجَلْ، فَتَزِلَّ قَدَمُكَ، وَتَسْتَجْهِلَ، وَتَفْتَضِحَ بِهَا عِنْدَ مَنْ عَقِلَ، وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْجَهْمِيَّةِ مِنَ الْحُجَجِ إِلَّا مَا حَكَيْتَ عنه مِنْ هَذِهِ الْعَمَايَاتِ الْمُسْتَشْنَعَةِ، وَالتَّفَاسِيرِ الْمَقْلُوبَةِ، مَا أَسْدَيْتَ إِلَيْهِمْ بِذِكْرِهَا نَصِيحَةً، وَقَدْ زِدْتَهُمْ بِهَا فَضِيحَةً عَلَىٰ فَضِيحَةٍ،

إِذْ تُضِيفُ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الشنائع القبيحة، فكشفت عَنْهُمُ الْغِطَاءَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ هينمة فِي خَفَاء).

والهينمة: هو الصوت الخفي، يعني هذا كان يتكلم به الجهمية في خفاء، أنت فضحته، وكشفت سترهم.

قال: **(وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَدْ مَلَأَ الْعَرْشَ، حَتَّىٰ إِنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ)**.

وهذا وإن كان ثابتًا عن الشعبي إلا أنه لا يُرفَع إلىٰ النبي ﷺ والأصل في إثبات ذلك قال الله، قال رسول الله، قال الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، أنه أخذه عن النبي ﷺ لكن الشعبي تابعي، وُلد في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: **(ثُمَّ فسَّر قَوْلَ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ)**.

هناك حديث منسوب إلىٰ النبي ﷺ فيه إثبات أطيط العرش للرحمن، الأطيط كصفة للرحمن قلنا: هذا لا يثبت، لا تثبت هذه الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن الثابت: «**أطت السماء وحُق لها أن تئط**»، الأطيط: اللي هو صوت الرحل إذا ثقل، هذا لا يثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(ثُمَّ فسَّر قَوْلَ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَدْ مَلَأَهُ آلاءً وَنِعَمًا، حَتَّىٰ إِنَّ لَهُ أَطِيطًا، لا عَلَىٰ تَحْمِيلِ جِسْمٍ، فَقَدْ حَمَّلَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض وَالْجِبَالَ الْأَمَانَةَ، فأبيِّن أَنْ يَحْمِلْنَهَا؛ وَالْأَمَانَةُ لَيْسَتْ بِجِسْمٍ، فَكَذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَا وُصف عَلَىٰ الْعَرْشِ.**

قال: فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَجْلَجْتَ ولبَّست حَتَّىٰ صَرَّحْتَ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَىٰ الْعَرْشِ، إِنَّمَا عَلَيْهِ آلَاؤُهُ وَنَعْمَاؤُهُ، فَلَمْ يبق مِنْ إِنْكَارِ الْعَرْشِ غَايَةٌ بَعْدَ هَذَا التَّفْسِيرِ.

وَيْلَكَ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ الْعَرْشِ بِزَعْمِكَ إِلَّا آلَاؤُهُ وَنَعْمَاؤُهُ وَأَمْرُهُ، فَمَا بَالُ الْعَرْشِ يَتَأَطَّطُ مِنَ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ؟ لَكَأَنَّهَا عِنْدَكَ أَعْكَامُ الْحِجَارَةِ).

الأعكام: جمع عِكم، وهي: عِدل كل شيء، يعني لكأنها عندك عدل الحجارة، يعني كالحجارة، شيء يعدل الحجارة.

(لَكَأَنَّهَا عِنْدَكَ أَعْكَامُ الْحِجَارَةِ وَالصُّخُورِ وَالْحَدِيدِ، فَيَتَأَطَّطُ مِنْهَا الْعَرْشُ ثِقلًا، إِنَّمَا الْآلَاءُ طَبَائِعُ أَوْ صَنَائِعُ لَيْسَ لَهَا ثِقَلٌ، وَلَا أَجْسَامٌ يَتَأَطَّطُ مِنْهَا الْعَرْشُ، مَعَ أَنَّكَ قَدْ جَحَدْتَ فِي تَأْوِيلِكَ هَذَا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ الْعَرْشِ شَيْءٌ مِنَ اللهِ، وَلَا مِنْ تِلْكَ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ، إِذْ شَبَّهْتَهَا بِمَا حَمَّلَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ مِنَ الْأَمَانَةِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، فَقَدْ أَقْرَرْتَ بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ الْعَرْشِ شَيْءٌ؛ لأَنَّ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَال إِذا أبيّنَ أَنْ يحملّن الْأَمَانَةَ لَمْ يُحَمِّلْهُنَّ اللهُ شَيْئًا؛ بَلْ تَرَكَهُنَّ خُلوًا مِنْ تِلْكَ الْأَمَانَةِ، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا.

قال: فَفِي دَعْوَاكَ لَيْسَ عَلَىٰ الْعَرْشِ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ الَّتِي ادَّعيت، كَمَا لَيْسَ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض وَالْجِبَالُ خُلوٌ مِنَ الْأَمَانَةِ، كَذَلِكَ الْعَرْشُ عِنْدَكَ خُلوٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْجَاهِلُ إِلىٰ ما تُورِدُكَ هَذِهِ التَّفَاسِيرُ مِنَ الْمَهَالِكِ، وَمَاذَا تَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، فَتَشْهَدُ عَلَيْكَ بِأَقْبَحِ الْمُحَالِ، وَلَمْ تَتَأَوَّلْ فِي الْعَرْشِ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ تَأْوِيلًا أَفْحَشَ وَلَا أَبْعَدَ مِنَ الْحق من هَذَا.

وَادَّعَيْتَ أَيْضًا أَنَّ قَتَادَةَ رَوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا قَضَىٰ اللهُ خَلْقَهُ اسْتَلْقَىٰ وَوَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ"، ثُمَّ قَالَ: لَا يَنْبَغِي أَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُ).

وهذا حديث مُنكر، وقتادة كذلك من التابعين، والإسناد لا يصح.

ولذلك قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ هذا الحديث في الضعيفة قال: "منكر

جدًا".

وقال كذلك: "الحديث يُشَم منه رائحة اليهودية، الذين يزعمون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعد أن فرغ من خلق السماوات والأرض استراح، تعالىٰ الله عما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا، وهذا المعنىٰ يكاد يكون صريحًا في الحديث، فإن الاستلقاء لا يكون إلا من أجل الراحة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عن ذلك، وأنا أعتقد أن أصل هذا الحديث من الإسرائيليات".

قال: **(ثُمَّ فسَّره الْمُعَارِضُ بِأَسْمَجِ التَّفْسِيرِ وَأَبْعَدِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَهُوَ مُقِرٌّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَهُ.**

فَزَعَمَ أنَّه قِيلَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: "إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَلْقَىٰ"، فَتَفْسِيرُهُ: أَنَّهُ أَلْقَاهُمْ وبثَّهم، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: "وَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ").

جعل الخلق لما خلقهم فوق بعض هذا تفسير "وَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ"، من أين ذلك؟ من لغة العرب.

قال: **(فَيَحْتَمِلُ أنه أَرَادَ بِالرِّجْلِ الْجَمَاعَةَ الْكَثِيرَةَ، كَقَوْلِ النَّاسِ: رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَنَسَبْتَ تِلْكَ الرِّجْلَ إِلَىٰ اللهِ كَمَا نُسِبَ رُوحُ عِيسَىٰ إِلَىٰ اللهِ بِالْإِضَافَةِ).**

إضافة مخلوق إلىٰ الخالق.

(فَأَلْقَىٰ رِجْلًا عَلَىٰ رِجلٍ، أَيْ جَمَاعَةً عَلَىٰ جَمَاعَةٍ -فِي دَعْوَاهُ-).

وبهذا يُفسر المعطلة الأشعرية حديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تزال النار تقول: هل من مزيد؟ حتىٰ يضع الجبار رجله فيها**»، أو "عليها"، أعتقد إن في لفظ "فيها"، فقالوا: رجله أي: الجماعة، حتىٰ يضع جماعة من الناس فيها، فتقول: قد امتلأت.

ففسروا الرجل -رجل الرحمن- بالجماعة، وهنا كذلك فسر هذا الحديث.

قال: (فَيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: مَنْ يَتَوَجَّهُ لِنَقِيضَة هَذَا الْكَلَامِ مِنْ شِدَّةِ اسْتِحَالَتِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ جَمِيعِ الْمَعْقُولِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ؟ وَمَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهَا يَنْطِقُ لَهَا حَتَّىٰ لَا يَحْتَاجَ لها إلىٰ نقيضه).

فهذا الكلام تكفي حكايته في رده، لا يحتاج العناء في الرد.

(وَيْلَكَ! عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ؟ وَمَنْ عَلَّمَكَ؟ وَعَمَّنْ رَوَيْتَ هَذَا؟ فسمِّه حَتَّىٰ يَرْتَفِعَ عَنْكَ عَارُهُ وَيَلْزَمَ مَنْ قَالَهُ).

يعني حتىٰ يلزم من قاله.

(فَأَغْرِبْ بِهَا مِنْ ضَحِكَةٍ! وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ سُخْرِيَةٍ!

وَيْحَكَ! أَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا فَسَمَّاهُ رِجْلًا لَهُ، ثُمَّ أَلْقَىٰ رجلا علىٰ رِجْلٍ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ؟! أَحَطَبًا كَانُوا فَأَخَذَهُمْ فَأَلْقَىٰ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الشَّمْسِ؟ وَفِي أَيِّ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ اسْتَلْقَىٰ فِي مَعْنَىٰ أَلْقَىٰ؟ فَإِنَّكَ لَمْ تَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ لُغَاتِهِمْ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ احْتِجَاجُكَ بِجَهْلِكَ لِمَقْلُوبِ تَفْسِيرِكَ هَذَا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ).

هذا بيت آخر يستدلون به.

فَمَرَّ بِنَا رجل مِنَ النَّاسِ وانزوىٰ ... إِلَيْهِمْ مِن الرِّجْلِ الثمانين أَرْجُلُ

قال: (وَيْلَكَ! إِنَّمَا قَالَ الشاعر: رِجْلٌ مِنَ النَّاسِ، وَرِجْلٌ مِنَ اليمانين، وَلَمْ يقلْ: رِجْلٌ مِنَ اللهِ، كَمَا ادَّعَيْتَ أَنَّ الْخَلْقَ رِجْلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، أَلْقَىٰ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ انْتَحَلْتَ أَنْتَ فِيهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ بِمَا بَهَتَّهُ بِهِ، وَلَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا مَجْنُونٌ مَا زَادَهُ، فأبئس بُؤْسًا لِقَرْيَةٍ).

قال: **(فأبئس بؤسًا مِثْلُكَ فقيهها، والمنظور إِلَيْك فِيهَا)**.

يعني إذا كنت أنت فقيه هذه القرية فبئست القرية.

ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجنب، وهل هو صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أم لا؟ فالله تعالىٰ يقول: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر:٥٦]، هذا يقول بعضهم يوم القيامة، هذا يقوله، فقال: ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾، فهل الجنب صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أم لا

هل الجنب صفة لله تعالىٰ؟

فقال: **(باب في الجنب: وادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا زُورًا عَلَىٰ قَوْمٍ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر:٥٦] قَالَ: يَعْنُونَ بِذَلِكَ الْجَنْبَ الَّذِي هُوَ الْعُضْوُ وَلَيْسَ عَلَىٰ مَا يتوهَّمونه)**.

فالكلام هاهنا في مسألة كون الجنب صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أم لا، لأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قال حاكيًا عن بعض المفرطين في طاعة الله: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾، فأُضيف الجنب إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فادعىٰ هذا المعارض أن بعض أهل السنة يقول: إن الجنب صفة لله.

والجنب: هو العضو، هكذا يقول المعارض، وهذا الكلام ليس بصحيح، وذلك أن سياق الآية يدل علىٰ أن الجنب ليس صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وذلك أن فيها: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾، **والتفريط**: إما أن يكون فعلًا، أو أن يكون تركًا، أن يترك الفعل، والفعل والترك لا يقومان بذات الله، لا في جنب الله ولا في غيره، بل يكون الفعل والترك منفصلين عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ نعم، لأن التفريط إما أن يكون بفعل شيء، أو بترك شيء، وهذا لا يكون في صفة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بل هو منفصل عن ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهذا يمنع أن يكون صفة لله.

ومن هنا كان المراد علىٰ ما بيّنه مفسرو أهل السنة والجماعة التقصير في طاعة الله والتفريط في عبادته، وقالوا: إن هذا الاستعمال معهود في كلام العرب، هذا الاستعمال أنه فرط في جنب الله، أو فرط في جنب كذا، معناه: أنه قصر في هذا الجانب، وليس معناه إثبات الجنب للمضاف إليه.

ولذلك قال أبو يعلىٰ ابن الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: "ونقلت من خط أبي حفص البرمكي، قال ابن بطة: قوله: بذات الله أي: أمر الله، كما تقول: في جنب الله، يعني في أمر الله، وهذا منه يمنع أن يكون الجنب صفة ذات لله، وهو الصحيح عندي، وأن المراد بذلك: التقصير في طاعة الله، والتفريط في عبادته؛ لأن التفريط لا يقع في جنب الصفة، وإنما يقع بالطاعة والعبادة، وهذا مستعمل في كلامهم، يقال: فلان في جنب فلان، يريدون بذلك: في طاعته، وخدمته، والتقرب منه".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كذلك**: "ويبين صحة هذا التأويل ما في سياق الآية من قوله تعالىٰ: ﴿فَأَكُوْنَ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾[الزمر: ٥٨]، ومن قوله: ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ﴾[الزمر: ٥٧]، وهذا كله راجع إلىٰ الطاعات"، فالنظر إلىٰ سياق الآيات يُبين المراد.

وقال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ يقول: "علىٰ ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله".

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"، ثم ساق بأسانيده إلىٰ مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أمر الله، أو في جنب الله، وساق كذلك إلىٰ السُدي أنه قال... فلما قال: في جنب الله قال مجاهد: "في أمر الله".

وقال السدي كذلك: "أي: فيما تركت من أمر الله".

وروىٰ أيضًا بسنده إلىٰ قتادة بن دعامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ



السَّاخِرِيْنَ﴾[الزمر: ٥٦] قال: "فلم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتىٰ جعل يسخر بأهل طاعة الله".

فالأئمة هاهنا نظروا إلىٰ القرائن الموجودة في الآية، وإلىٰ السياق، فنظروا إلىٰ القرائن، وإلىٰ السياق، أمر معتبر لا بد منه.

ولذلك الإمام أحمد في قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة: ٧]، **قال**: "المراد بهذه الآية: معية العلم"، لماذا؟ قال: لأن الآية بدأت بالعلم وانتهت بالعلم، أو خُتمت بالعلم.

فالجنب ليس صفة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وما أوردناه من القرائن والسياق يدل علىٰ صحة التأويل الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

ولذلك قال الإمام: **(فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: مَا أَرْخَصَ الْكَذِبَ عِنْدَكَ، وأخفَّه عَلَىٰ لِسَانِكَ)**.

لأنه كذب علىٰ أهل السنة والجماعة، وقال: إن منهم من يقول: إن الجنب صفة لله.

قال: **(فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ فَأَشِرْ بِهَا إِلَىٰ أَحدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ قَالَهُ، وَإِلَّا فَلِمَ تشنّع بِالْكَذِبِ عَلَىٰ قَوْمٍ هم أَعْلَمُ بِهَذَا التَّفْسِيرِ مِنْكَ، وَأَبْصَرُ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ مِنْكَ وَمِنْ إِمَامِكَ؟ إِنَّمَا تَفْسِيرُهَا عِنْدَهُمْ: تَحَسُّرُ الْكفَّار علىٰ مَا فرطو فِي الْإِيمَانِ وَالْفَضَائِلِ الَّتِي تَدْعُو إِلَىٰ ذَاتِ اللهِ، وَاخْتَارُوا عَلَيْهَا الْكُفْرَ وَالسُّخْرِيَةَ بِأَوْلِيَاءِ اللهِ، فَسَمَّاهُمُ السَّاخِرِينَ، فَهَذَا تَفْسِيرُ الْجَنْبِ عِنْدَهُمْ. فَمَن أَنْبَأَكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: جَنْبٌ مِنَ الْجُنُوبِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَجْهَلُ هَذَا الْمَعْنَىٰ كَثِيرٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، فَضْلًا عَنْ عُلَمَائِهِم.**

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "الْكَذِبُ مُجَانِبُ الْإِيمَانِ").

وساق هذا الأثر لأن المعارض كذب علىٰ أهل السنة والجماعة، فالإمام الدارمي يُبين قبح الكذب، وهو أثر صحيح ثابت عن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأخرجه ابن المبارك في كتاب (**الزهد**)، وكذلك الإمام أحمد، والخلال، وغيرهم.

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **"لَا يَجُوزُ مِنَ الْكَذِبِ جد وَلَا هزل")**.

وهذا كذلك ثابت عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: "مَنْ كَانَ كَذَّابًا فَهُوَ مُنَافِقٌ").

وهذا كذلك ثابت عن الشعبي، أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وابن بطة في الإبانة.

والمراد بالنفاق هاهنا: النفاق العملي؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب**».

قال: **(فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنْهُم)**.

فخلاصة هذه المسألة: أن الجنب ليس صفة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإنما هذا السياق معروف معهود في كلام العرب، والمراد به: التفريط في الطاعة.

قال: **(باب في الرؤية: وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ نَعِيمِهِ وَجَنَّاتِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[القيامة:٢٢-٢٣].

قَالَ الْمُعَارِضُ: فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ نَظَرًا إِلَىٰ مَا أعدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ الْجِنَانِ).

وهذا الحديث لا يصح عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حديث ضعيف جدًا، فيه ثوير بن أبي فاختة، وهو رافضي كذاب، قال عنه سفيان الثوري: "كان من أركان الكذب".

وقال الدارقطني: "متروك".

لكن المعارض مع ذلك لضعف بضاعته في الحديث كسائر أهل البدع وأهل الكلام ظن أن الحديث ثابت عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ يتكلف تأويله.

وأهل البدع لهم في صفة وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي النظر إلىٰ وجهه في الآخرة لهم في ذلك تأويلات عدة، فالمؤمنون إذا نظروا إلىٰ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا معناه عند بعض أهل البدع: العلم، أي: أنهم يعلمون ربهم في هذا الوقت.

ومنهم من أوَّل ذلك بالتفكر بالقلب، طلبًا للمعرفة، فالنظر إلىٰ وجه الله أي: التفكر بالقلب، وليس النظر إلىٰ وجهه الذي هو وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومنهم من جعل ذلك من انتظار الثواب، فقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنتظر ثواب ربها.

وقلنا: هذا لا يجوز في لغة العرب، ولا يجوز كذلك في كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الأحاديث المتواترة بيَّنت أن المؤمنين يرون ربهم وينظرون إلىٰ وجه ربهم في جناته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما من جهة لغة العرب: فلان النظر يأتي متعديًا بنفسه ومتعديًا بحرف الجر، فيكون بمعنىٰ الانتظار إذا عُدِّي بنفسه.

ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن المنافقين أنهم يقولون للمؤمنين: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[الحديد: ١٣]، ما معنىٰ ﴿انْظُرُونَا﴾؟ أي: انتظرونا، وإما إذا عُدِّي بـ إلىٰ فإنما هو

نظر العين، لكنهم يقولون كذلك كما قلنا لجهلهم بلغة العرب إن هذا من انتظار الثواب.

ويقولون: إن قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قوله: ﴿إِلَىٰ﴾ هذا ليس حرف جر، وإنما ﴿إِلَىٰ﴾ مفرد آلاء، فالمراد: آلاء ربها منتظرة، وكذلك تنتظر نعمة ربها، وترتقبها، وكلها تأويلات باطلة.

قال: (فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ جِئْتَ بِتَفْسِيرٍ طَمَّ عَلَىٰ جَمِيعِ تَفَاسِيرِكَ ضَحِكَةً وَجَهَالَةً).

يقال: طم أي: علا وارتفع، ومنه: طم الوادي طمومًا، أي: علا ماؤه.

قال: (وَلَوْ قَدْ رَزَقَكَ اللهُ شَيْئًا مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ وَهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْوَاضِحَةِ لَا يَحْتَمِلُ تَفْسِيرًا غَيْرَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَلَا تَصْدِيقَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ وُجُوهِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَمَنْ سَمَّىٰ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَجْهًا لِلَّهِ قَبْلَكَ؟ وَفِي أَيِّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَجَدْتَ أَنَّ وَجْهَ اللهِ أَعْلَىٰ جَنَّتِهِ؟ مَا لَقِيَ وَجْهِ اللهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ مِنْ تَفَاسِيرِكَ؟! مَرَّةً تَجْعَلُهُ مَا أعدَّ اللهُ لِأَهْلِ الجنَّة، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً تَجْعَلُهُ وَجْهَ الْقِبْلَةِ، وَمَرَّةً تُشَبِّهُهُ بِوَجْهِ الثَّوْبِ وَوَجْهِ الْحَائِطِ، وَاللهُ سَائِلُكَ عمَّا تَتَلَاعَبُ بِوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).

كلام يُحرك القلوب لمن كان له قلب.

قال: (فَإِنْ كَانَ كَمَا ادَّعَيْتَ أَنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَىٰ اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ الَّتِي يَتَوَقَّعُونَهَا مِنَ اللهِ، أَفَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِكَ أَيْضًا: «إِنَّ أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ جَنَّاتِهِ وَنَعِيمِهِ وَكَرَامَاتِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ الْأَدْنَيْنَ مِنْهُمْ يَتَوَقَّعُونَ مِنْ كَرَامَاتِ اللهِ مَا يَتَوَقَّعُ أَكْرَمُهُمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَكْرَمُهُمْ؟»، فَمَا مَوْضِعُ تَمْيِيزِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَدْنَىٰ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ مُلْكِهِ وَنَعِيمِهِ،

وَالْأَعْلَىٰ إِلَىٰ وَجْهِهِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً؟).

فعلىٰ كلامك الكل ينظر إلىٰ آلاء الله ونعمائه.

(إِذْ كُلُّهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِيهَا غَيْرُ مَحْجُوبِينَ، وَلَا عَنِ التَّوَقُّعِ مَمْنُوعِينَ حَتَّىٰ تَلَا رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَكْرَمِينَ مِنْهُمْ مَا لم يتلُ فِي الأدنيين مِنْهُم، تَثْبِيتًا لِوَجْهِهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام، وَتَكْذِيبًا لِدَعْوَاكَ، فَقَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَىٰ كَرَامَاتِهَا نَاظِرَةٌ، فَسُبْحَانَ اللهِ! مَا أَوْحَشَهَا مِنْ تَأْوِيلٍ، وَأَقْبَحَهَا مِنْ تَفْسِيرٍ، وَأَشَدَّهَا اسْتِحَالَةً فِي جَمِيعِ لُغَاتِ الْعَالَمِينَ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَرْزُقْكَ مِنَ الْفَهْمِ إِلَّا مَا تَرَىٰ، لَوْ تكلم بِهَذَا صبيان الْكتاب لَاستضحك النَّاسُ مِنْهُمْ، فَكَيْفَ رَجُلٌ يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ عِدَادِ عُلَمَاءِ بِلَادِهِ؟!

قال: وَرَوَىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَوَىٰ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ).

وهو حديث منكر، ووجه النكارة فيه: أنه قد جاء عند مسلم رَحِمَهُ اللهُ من حديث ابن عباس نفسه أنه قال: رآه بقلبه، وقال: رآه بفؤاده مرتين، ولم يزد علىٰ ذلك، فهذه الزيادة لا تصح إلىٰ ابن عباس؛ لأنها ضعيفة، إسنادها فيه انقطاع بين عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج والضحاك بن مزاحم، ولعل الواسطة هو المتهم بهذا الأثر، ولذلك أسقطه بعض الرواة.

قال: (وَرَوَىٰ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ ربَّه جَعْدًا أَمْرَدَ عَلَيْهِ حُلَّة خَضْرَاءُ).

وهو كذلك لا يصح.

(فادَّعىٰ الْمُعَارِضُ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فسَّروا هَذَا أَنَّ هَذِهِ صِفَةُ جِبْرِيلَ).

أي: رأىٰ جبريل.

(فَعَرَفَ رَبَّهُ بِرُؤْيَةِ جِبْرِيلَ عِلْمًا بِقَلْبِهِ بإدراكه جِبْرِيل عيانًا، فَهَذَا تَفْسِيرُه أَنَّهُ رَأَىٰ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الصُّورَةُ الَّتِي شَاهَدَ بِبَصَرِهِ، وَكَانَتْ صُورَةُ جِبْرِيلَ.

فَقُلْنَا لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُنَاقِضِ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ فِي صَدْرِ كِتَابِك أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ؟ ثُمَّ تدعِي هَاهُنَا أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فَسَّرُوهُ أَنَّهُ صُورَةُ جِبْرِيلَ، وَأَيُّ صَاحِبِ عِلْمٍ يُفَسِّرُ أَحَادِيثَ الزَّنَادِقَةِ).

أحاديث الزنادقة يُضرَب عليها ولا تُفسَّر.

قال: (وَأَيُّ صَاحِبِ عِلْمٍ يُفَسِّرُ أَحَادِيثَ الزَّنَادِقَةِ ويُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلا أن يَكُونَ زُعَمَاؤُكَ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلُونَ؟ وَكَيْفَ تُثْبِتُ الشَّهَادَةَ عَلَىٰ حَدِيثِ الزَّنَادِقَةِ أَن هَذَا تَفْسِيره؟ أَولَيْسَ قد أنبأناك فِي صدر كتابنا هَذَا أَنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الرِّوَايَاتِ يُعَارِضُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ»).

ومضىٰ في المجلس الماضي أن النبي ﷺ قال: «رأيت نورًا»، وفي هذا الحديث قال: «نور أنىٰ أراه»، فالنور الذي أثبته النبي ﷺ هو نور الحجاب، والنور الذي نفاه النبي ﷺ هو نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَبِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ ربَّه فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ"؛ لِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، غَيْرَ أَنَّكَ فَسَّرْتَهُ تَفْسِيرًا شَهِدْتَ فِيهِ بِالْكُفْرِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ ادَّعَيْتَ أَنَّهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ).

والنبي يعلم جبريل، رآه علىٰ صورته الحقيقية مرتين.

(فَظَنَّ أَنَّهُ رَبُّهُ، وَأَنَّهُ قَالَ لِصُورَةٍ مَخْلُوقَةٍ شَاهَدَهَا بِبَصَرِهِ أَنه ربه، فتفكر أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ تَأْوِيلُكَ هَذَا مِنَ الْفَضَائِحِ، حِينَ تَدَّعِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْرِفْ

جِبْرِيلَ مِنَ اللهِ، حَتَّىٰ يَرَىٰ صُورَةَ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ شَابٍّ جَعْدٍ، فَيَدَّعِي أَنَّهُ رَبُّهُ بِزَعْمِكَ، لَوْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ أَبْكَمَ كَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ.

أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَالُوا: إِنَّ هَذَا صُورَةُ جِبْرِيلَ، فَمِنْ أَيِّ أَهْلِ الْعِلْمِ سَمِعْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ؟ فَأَسْنِدْهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ لَا تسنده إِلَّا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ.

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا تُغَالِطُ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ لِتَدْفَعَ بِهَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»، فَتوهم النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَسْتَنْكِرُهَا وَتَلْتَمِسُ لَهَا هَذِهِ الْعَمَايَاتِ كَالَّتِي يَرْوُون فِي الرُّؤْيَةِ وَالنُّزُولِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَأَنَّهُ لَا تُدْفَعُ تِلْكَ بِمِثْلِ هَذَا التَّفْسِيرِ الْمَقْلُوبِ، لِمَا أَنَّهَا قَدْ ثَبَتَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسَانِيدَ كَالصُّخُورِ، فَلَا يُدْفَعُ إِلَّا بِأَثَرٍ مِثْلِهِ مَأْثُورٍ، فَارْبَحِ الْعَنَاءَ فَقَدْ عَلِمْنَا حَوْلَ مَاذَا تَدُورُ، وَلَنْ تَغُرَّ بِمِثْلِهَا إِلَّا كُلَّ مَغْرُورٍ).

فهذه الأحاديث التي هي في الصحيحين ثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وفيها**: إثبات نظر المؤمنين إلىٰ ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة.

بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت ذلك في هذا الحديث بأكثر من وجه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هل ترون الشمس ليس دونها سحاب؟ هل ترون القمر ليس دونه سحاب؟ فإنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليس دونه سحاب، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب، لا تُضامون في رؤيته»**، يعني لا يضيم بعضكم علىٰ بعض، لا يظلم بعضكم بعضًا، يأخذ حقه، أو لا يلتبس الأمر عليكم في ذلك، رؤية واضحة، فالنبي يُشبه الرؤية بالرؤية، ويضرب المثل؛ ليُبين أن هذا الأمر مقطوع به يوم القيامة، لا يحتاج إلىٰ تأويل، ولا يُلتفَت إلىٰ أي تأويل.

ولذلك الصدر الأول علىٰ ذكر هذه الآيات وهذه الأحاديث، وعلىٰ إمرارها، دون أن



يتعرضوا لها بتأويل كتأويل هؤلاء المعطلة.

كل من عارض آية بحديث أو عقل فالحق في خلاف قوله

وما من واحد من هؤلاء قال: إن الحديث الفلاني يعارض الآية، أو يعارض العقل، أو يعارض الأصل، إلا وكان الحق في خلاف ذلك، حتىٰ إن شيخ الإسلام ابن تيمية لما ذكر معارضة بعض الصحابه لبعض الأحاديث ظنًا أنها تعارض بعض الآيات، كما حدث من عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- وحفصة، وغير هؤلاء من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء عارضوا بعض الأحاديث، وغلَّطوا بعض الصحابة في ذكرها، ظنًا منهم أن ذلك يُعارض القرآن، أو يُعارض حديثًا آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكان الحق دائمًا في خلاف قولهم"، يعني كان الحق دائمًا في خلاف قول من عارض الآية بالحديث، هذا في كلام أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أكثر الخلق ورعا، وأعلم الخلق بالنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغة العرب، وعليهم نزل القرآن، وسمعوا السنة، وعلموا تأويلها، ومع ذلك ما عارضوا به القرآن كان الحق في خلاف قولهم، فكيف بهذا الجاهل الذي لا يعلم سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يعلم لغة العرب؟ بل يأتي بما يضحك منه العرب، ثم يقول: هذا يحتمل كذا، وهذا يحتمل كذا، ويريد أن يرد أحاديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا فِي إِنْكَار الرُّؤْيَة بِحَدِيث رَوَاهُ أن خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ضَرَبَ الْعُزَّىٰ بِالسَّيْفِ فَقَالَ لَهَا "كُفْرَانَكَ، لَا سُبْحَانَكَ، إِنِّي رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكَ")**.

وهذا الأثر أخرجه النسائي في الكبرىٰ، وأبو يعلىٰ، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة، بإسناده إلىٰ طفيل عامر بن واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو آخر الصحابة موتًا، قال: "لما فتح رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة"، هذا موضع، مكان، وليس المراد به

النخلة المعروفة، ولذلك تُمنَع من الصرف، "بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة، وكانت بها العزىٰ، فأتاها خالد بن الوليد، وكانت علىٰ ثلاث ثمرات، فقطع الثمرات"، الثمرات: ما يظهر من الأرض من الشجر الذي به شوك.

قال: "فقطع الثمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**ارجع، فإنك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالد، فلما نظرت إليه السدنة وهم حُجّابها أمعنوا في الجبل -هربوا- وهم يقولون: يا عُزىٰ خبريه، يا عُزىٰ عوريه، وإلا فموتي برغم، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها، تحثو التراب علىٰ رأسها، فعممها بالسيف حتىٰ قتلها، ثم رجع إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تلك العزىٰ**»، وهذا حديث حسن.

(قَالَ الْمُعَارِضُ: فَهَذِهِ رَؤْيَةُ عِلْمٍ لَا رُؤْيَةُ بَصَرٍ).

لانه قال: "كُفْرَانَكَ، لَا سُبْحَانَكَ، إِنِّي رَأَيْتُ الله قَدْ أَهَانَكَ"، الرؤية هاهنا رؤية علم، فكذلك الرؤية تكون يوم القيامة، رؤية المؤمنين ربهم تكون رؤية علم، لا تكون رؤية بصر، فيجنح هذا إلىٰ لغة العرب ويترك ما جاء عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواحد من هؤلاء يرد الأحاديث الصحيحة، أو يتأولها، أنه فهم منها ما قلنا من ظاهرها معنىٰ يعتقد مخالفته للقرآن، أو يعتقد مخالفته لأصل أصّله في عقله، وهو إنما أُوتي من نفسه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وذلك لأن من نزل عليهم الوحي والمقررين لمعانيه، أرفع الخلق، وأعلاهم طبقة، ولم يتكلموا بهذه التأويلات الباطلة، مع أنهم أهل اللسان العربي، ومن هنا نعلم أن معاني القرآن والسنة لا تُستفاد بمجرد اللغة والعلم باللسان، بل لا بد من تلقيها عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

فمعاني القرآن والسنة لا تُستفاد بلغة العرب وحدها، وإنما في القرآن والسنة ما لا يُستفاد

إلا من بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن بني أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنه ما يُستفاد من كلام العرب.

ولذلك جاء عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "التفسير علىٰ أربعة أنواع"، فذكر منه: "تفسير لا يعلمه إلا العلماء"، وهذا الذي تُلقِّي علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"وتفسير يعلمه العرب من كلامها"، كالأرض، والشمس، والسماء، والقمر، فهذا لا يحتاج إلىٰ تفسير.

فالكلام في صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يُجنَح فيه إلىٰ لغة العرب وحدها، لكن لا بد من النظر في بيان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ماذا قال أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، إن أمرّوا ذلك كما جاء نُمرّه كذلك كما جاء علىٰ المعنىٰ المعروف في لغة العرب، وإن تكلموا فيه تكلمنا فيه، وإن سكتوا سكتنا وأمسكنا، فهذا هو الاتباع.

فذكر المعارض هذا البيت الذي جاء علىٰ لسان خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "كُفْرَانَكَ، لَا سُبْحَانَكَ، إِنِّي رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَك".

(قَالَ الْمُعَارِضُ: فَهَذِهِ رَؤْيَةُ عِلْمٍ لا رُؤْيَةُ بَصَرٍ، قَالَ: يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَنَحْوِ مَا رَأَىٰ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي دُنْيَاهُ.

قَالَ الْمُعَارِضُ: وفسَّر قَوْمٌ أَن الرؤية لِلشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ الْعِلْمِ، كَمَا يُقال: رَأَيْتُ الْخَلَّ شَدِيدَ الْحُمُوضَةِ، وَرَأَيْتُ الْعُودَ طَيِّبًا، يُرِيدُ رَائِحَتَهُ، كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[الفيل:١]، وَلَمْ يَرَهُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرَكُ بِالرُّؤْيَةِ فَلَهُ قِلَّةٌ وَكَثْرَةٌ، فَاللهُ الْمُتَعَالِي عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يُرَىٰ بِدَلَائِلِهِ وَآثَارِ صُنْعِهِ، فَهِيَ شَوَاهِده، لا الَّذِي يُعْرَفُ بِمُلَاقَاةٍ وَلَا بِمُشَاهَدَةِ حَاسَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ذَهَبَتِ الشُّكُوكُ وَعَرَفُوهُ عَيَانًا، لا بِإِدْرَاكِ بَصَرٍ).

فهنا أكثر من شبهة، وأكثر من تخليط، أن الرؤية هاهنا رؤية علم، أننا لو أثبتنا الرؤية البصرية فهذا يجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يندرج تحت أصل كلي، تحت قياس شمولي.

وهذا يصنعه هؤلاء المبتدعة كثيرًا، يجعلون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مندرجًا تحت قياس شمولي، يندرج تحته أفراد كثيرون، يتساوىٰ هؤلاء الأفراد في هذه القضية.

فقال هاهنا: **(وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرَكُ بِالرُّؤْيَة)**، هذه كلية، يُدرج تحتها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقيس قياسًا شموليًا، والله عَزَّوَجَلَّ لا يجوز في حقه لا القياس الشمولي، ولا القياس التمثيلي، وإنما لا يجوز في حقه إلا قياس الأولىٰ.

وأهل الكلام مُعرضون في كلامهم وفي كتبهم عن قياس الأولىٰ، وهناك خطة قُبلت مؤخرًا في دار العلوم في قسم الفلسفة، في بيان سبب إعراض أهل الكلام عن قياس الأولىٰ في صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا القسم اسمه مذموم فقط، لكن فيه من الخير الكثير يعني، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقهم لكل خير.

فأدرج هؤلاء ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذا القياس الشمولي، ولا يعتدون كما قلنا بقياس الأولىٰ، بل أعرضوا عنه.

ولذلك قال: **(فَاللهُ الْمُتَعَالِي عَنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يُرَىٰ بِدَلَائِلِهِ وَآثَارِ صُنْعِهِ، فَهِيَ شَوَاهِده، لَا الَّذِي يُعْرَفُ بِمُلَاقَاةٍ وَلَا بِمُشَاهَدَةِ حَاسَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ذَهَبَتِ الشُّكُوكُ وَعَرَفُوهُ عَيَانًا، لَا بِإِدْرَاكِ بَصَرٍ)**.

(ثُمَّ قَالَ: فَإِن كَانَ بالرِّوَايَات فهاهنا رِوَايَاتٌ أَيْضًا مُعارِضَةٌ، وَإِنْ كَانَ ما يحتَمل التَّأْوِيل فهاهنا مَا يَحْتَمِلُ أَيْضًا.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا الرِّوَايَاتُ فَمَا نَرَاكَ تَحْتَجُّ فِي جَمِيعِ مَا تَدَّعِي إِلَّا بِكُلِّ أَعْرَجَ مَكْسُورٍ، بِالتَّجَهُّمِ مَشْهُورٌ، وَفِي أَهْلِ السُّنَّةِ مَغْمُورٌ.

وَأَمَّا الْمَعْقُولُ الَّذِي تَدَّعِيهِ مِنْ كَلَامِكَ فَقَدْ أَنْبَأْنَاكَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْهُولٌ، وَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لَا يَخْفَىٰ تَنَاقُضُهُ إِلَّا عَلَىٰ كُلِّ جَهُولٍ

وَأَمَّا مَا احْتَجَجْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَمَعْقُولٌ بِأَنَّ اللهَ لَمَّا قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وروىٰ أبوذر عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قَالَ: «نور أَنَّىٰ أَرَاهُ»، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا»، آمَنَّا بِمَا قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يُرَىٰ فِي الدُّنْيَا.

فَلَمَّا قَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[الفيل:١] عَلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَلَمْ يَرَهُ، لِمَا أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ، فَاسْتَيْقَنَّا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَةُ عِلْمٍ، لَا رُؤْيَة بصر).

وولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل هذا ثابت صحيح، من غير واحد من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرهم ابن سعد في كتاب الطبقات، وكذلك البيهقي في دلائل النبوة.

قال: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[الفرقان:٤٥]، فَاسْتَيْقَنَّا بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ لَمْ يرَ رَبَّهُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِرُؤْيَةِ اللهِ عَيَانًا، وَأَنَّهُ رُؤْيَةُ الْفِعْلِ -مَدُودِ الظِّلِّ الَّذِي يَرَاهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا-.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ خَالِدِ بْنِ الْوَلَدِ: "إِنِّي رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكَ"؛ لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبْصَارَ أَهْلِ الدُّنْيَا لَا تُدْرِكُهُ فِي الدُّنْيَا، فَحِينَ حدَّ اللهُ لِرُؤْيَتِهِ حدًا فِي الْآخِرَة).

لأنه قال تعالىٰ في الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي: في يوم القيامة، ﴿نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، يعني تنظر إليه يوم القيامة.

قال: (عَلِمْنَا أَنَّهَا رُؤْيَةُ عِيَانٍ، وَكَذَلِكَ قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ: هَلْ رَأَي رَبك؟ فَقَالَ: «نور أنىٰ أَرَاهُ؟»، فَلَمَّا سَأَلَهُ أَصْحَابُهُ: "أَنَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كَرُؤْيَةِ

الشَّمْس وَالْقَمَر لَيْلَة الْبَدْر».

قال: وأمَّا تَفْسِيرُكَ أَنَّ رُؤْيَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُؤْيَةُ آيَاتِهِ وَدَلَائِلِهِ فَإِذَا رَأَوْا آيَاته وَذَهَبت الشُّكُوكُ عَنْهُمْ، فَهَذِهِ أَفْحَش كَلِمَةٍ ادَّعَيْتَهَا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ مَاتُوا شُكَّاكًا، لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ حَتَّىٰ يَرَوْا آيَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَبِهَا تَذْهَبُ الشُّكُوكُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ.

وَيْحَكَ! أمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ شَكٍّ مِنْ خَالِقِهِ إِلَّا مَاتَ كَافِرًا؟).

ذلك أن من أنواع الكفر: كفر الشك.

(وَكَيْفَ تَعْتَرِي الْمُؤْمِنِينَ يومئذٍ الشُّكُوكُ، وَالْكُفَّارُ يَوْمَئِذٍ بِرُبُوبِيَّتِهِ مُوقِنُونَ لَا تَعْتَرِيهِمْ شُكُوكٌ؟ فَإِنْ كَانَتِ الشُّكُوكُ يَوْمَئِذٍ تَنْزَاحُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا تَصِفُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكِ بَصَرٍ، فَكَذَلِك الْكفَّار كلهم قد رَأَوْا يَوْمئِذٍ آيَاته وعلاماته مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكِ بَصَرٍ، فَانْزَاحَتْ عَنْهُمُ الشُّكُوكُ، فَصَارُوا كَالْمُؤْمِنِينَ فِي دَعْوَاكَ، فَمَا فَضْلُ بُشْرَىٰ اللهِ وَرَسُوله لِلْمُؤمِنِينَ علىٰ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥].

وَيْحَكَ! لَلْغناء وَالْعَزْفُ أَحْسَنُ مِمَّا تَدَّعِي عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ).

فلو كنت لاشتغلت في الغناء والعزف كان ذلك أهون لك عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ غاية أمرك أن تكون ارتكبت معصية.

(أَحْسَنُ مِمَّا تَدَّعِي عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِه، وَمَا تَقْذِفُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إذ الشُّكُوكَ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا تَذْهَبُ عَنْهُمْ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ، يَوْمَ يَرَوْنَ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ.

فَأَمَّا مَا احْتَجَجْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ قَالَ: "رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَك"، فَمِثْلُ هَذَا جَائِزٌ فِيمَا أَنْتَ مِنْهُ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّهُ لَمْ يُر وَلَمْ يُدْرِك، وَلَمْ يُمْكِنْ إِدْرَاكُهُ، فَأَمَّا فيما يُرْجَىٰ إِدْرَاكُهُ

بِبَصَرٍ فَلَا يَجُوزُ فِيه هَذَا الْمَجَازِ).

فهنا يتكلم كذلك عن المجاز، متىٰ يجوز ومتىٰ لا يجوز، وذكرنا أن من شرط المجاز: امتناع حمل اللفظ علىٰ ظاهره، وهذا الحمل غير ممتنع هاهنا.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَأَمَّا فيما يُرْجَىٰ إِدْرَاكُهُ بِبَصَرٍ فَلَا يَجُوزُ فِيه هَذَا الْمَجَازِ، إِلَّا بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ مِنْ كِتَابٍ مَسْطُورٍ، أَوْ أَثَرٍ مَأْثُورٍ، أَوْ إِجْمَاعٍ مَشْهُورٍ. قال: وَقَوْلُ خَالِدٍ عِنْدَنَا مَعْنَاهُ كَمَعْنَىٰ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يمتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَمْ تَسْمَعِ قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهم مَيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء:٣٤]).

فماذا عنىٰ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله لعمر: أَلَمْ تَسمَعِ قول الله تعالىٰ؟

قال: (إِنَّمَا عَنَىٰ أَبُو بَكْرٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ فِي كِتَابِهِ).

لأن المقطوع به: أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يسمع قول الله بلا واسطة.

هل لم يسمع كلامَ الله بلا واسطة إلا موسىٰ عليه السلام؟

ولذلك قال: (لِمَا أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللهِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدم غير موسىٰ).

هل هذا الكلام صحيح؟ من غير واسطة، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمه، صحيح؟ بلا واسطة، وآدم كلمه بلا واسطة، إذًا كلام الإمام هاهنا فيه نظر.

قال: (لِمَا أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللهِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدم غير موسىٰ).

قلت: هذا الكلام فيه نظر، حيث ثبت التكليم لمحمد صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليلة المعراج، وكذلك هو ثابت لآدم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حين نفخ فيه الروح، فقال الله تعالىٰ له: اذهب لهؤلاء النفر فاستمع إلىٰ ما يُحيّونك به.

وكذلك ثبت عند ابن حبان وصححه الأرناؤوط حديث أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رجلًا سأل النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أنبي كان آدم؟ فقال النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**نعم، مُكلَّم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**».

وتكليم غير موسىٰ أثبته غير واحد من أهل العلم، كالسفاريني في (**لوامع الأنوار البهية**)، وكذلك الشيخ العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ في شرح العقيدة السفارينية، وأحمد بن حجر البوطامي، وغير هؤلاء، أثبتوا تكليم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لغير موسىٰ بلا واسطة.

إذا كان الأمر كذلك فما وجه قول آدم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لموسىٰ: "أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله بكلامه"؟

أوجه التأويلات في ذلك والله أعلم: أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كلم موسىٰ وهو علىٰ الأرض بخلاف تكليمه لآدم ومحمد، فالوحيد الذي كلمه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ الأرض هو موسىٰ، ولذلك كان خصوصية له.

وكذلك قد يقال: إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كلم آدم لكنه شرفه بخصوصية أعلىٰ من ذلك من الكلام، وهي أنه خلقه بيده سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فقال: **(لِمَا أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللهِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدم غير موسىٰ، فحين أَحَاط الْعلم بذلك علمنا أَن أَبَا بكر عنىٰ قَوْلَهُ، لَا السَّمَاعَ مِنَ اللهِ)**.

عنىٰ بذلك أنه سمع كتاب الله وقوله في كتابه، لا أنه سمع ذلك -يعني عمر- لا أنه سمع ذلك من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

قال: (وَهَكَذَا قِصَّة خَالِد ابْن الْوَلِيدِ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[الفرقان:٤٥] لإحاطة الْعِلْمِ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يكن، فلا تدفع مَا أَحَاطَ الْعِلْمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا أَحَاطَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ كَائِنٌ).

فلا تدفع هذا بهذا، أو هذا بذاك.

قال: وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ:

وَجَدْتُ اللهَ إِذَا سَمَّىٰ نِزَارًا ... وَأَسْكَنَهُمْ بِمَكَّةَ قَاطِنِينَا
لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خالصاتٍ ... فَلِلنَّاسِ الْقَفَا وَلَنَا الْجَبِينَا

وهذا من الفخر.

قال: (فَحِينَ عَرَفْنَا يَقِينًا أَنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللهِ لَمْ يَجِدْهُ عَيَانًا فِي الدُّنْيَا، عَلِمْنَا أَنَّ قَوْلَ الْكُمَيْتِ: "وَجَدْتُ اللهَ" يُرِيدُ بِهِ المكارم الَّتِي أَعْطَاهُمُ الله).

فهذا يبين لنا كذلك هذه الاستشهادات بكلام العرب وبكلام العرب أن أئمتنا -رحمهم الله- كانوا علىٰ علم ودراية بمثل هذه الأمور التي يُوظفها المبتدعة في تأويل صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتعطيلها.

وهذا مما يبين لنا أهمية الاعتناء بلغة العرب، وهذا خلاف من نراه الآن من الانصراف عنها وعن علومها، بل التزهيد في ذلك أحيانًا حتىٰ كانت الصولة في ذلك لأهل البدع، فصاروا يتسلطون علىٰ أهل السنة، ويأتونهم بما قد تحتمله العربية من أساليب يموهون بها علىٰ عقدية السلف الصالح، فيأتي الرد من بعض أهل السنة بما يظهر عجزه وضعفه في اللغة، وهذا كله خلاف ما كان عليه أئمتنا رحمهم الله تعالىٰ ونفعنا بعلمهم.

ثم انتقل المصنف بعد ذلك إلىٰ الكلام عن **إثبات العين لله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا قد تناوله قبل ذلك، لكنه يكرر الكلام ويكرر الرد بناء علىٰ ما يأتي به المعارض ويعيده.

قال: (**وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا: أَنَّ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَيْنًا، يُرِيدُونَ جَارِحًا كَجَارِحِ الْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَأَرَادُوا التَّرْكِيبَ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:٣٩]، **وبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[هود:٣٧]، **وبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨].

فقَالَ الْمُعَارِضُ: وَالْمَعْقُولُ بَيِّنٌ أَنَّ هَذَا يُرِيدُ عَيْنَ الْقَوْمِ، يَعْنِي رَئِيسَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ وَلَا يُرِيدُ جَارِحًا، وَلَكِنْ يُرِيدُ الَّذِي يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ).

وهذا استطرادٌ في نقل كلام المعارض.

قال: (**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **فِي قَوْله**: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ **يَقُولُ: "فِي كَلَاءَتِنَا وَحِفْظِنَا"، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ الْقَائِلِ: عَيْنُ اللهِ عَلَيْكَ، يَقُولُ: أَنْتَ فِي حفظ الله وكلاءته**).

ثم قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَيُقَال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا مَا ادَّعَيْتَ أَنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنًا فَإِنَّا نَقُولُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَهُ وَرَسُولَهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

هذا الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هاهنا استطرادٌ وتكملةٌ لما بيّنه قبل ذلك من ثبوت صفة العين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإن لله عينين تليقان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما أثبت هو ذلك لنفسه، وكما أثبته له نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُصنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، وقال: ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن ربكم ليس بأعور، وإن الدجال أعور العين اليمنىٰ**»، فهذا فيه إثبات العينين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة الخبرية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما يثبتون غيرها من السمع، والبصر، واليد، والرجل، والقدم، والأصابع، والأنامل، وغير ذلك من الصفات التي جاءت في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ هذا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وأما المبتدعة المعطّلة من الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية والماتريدية فإنهم لا يثبتون هذه الصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإنما يعطّلونها، ويحرّفون معناها، ويفسّرونها بأثرها كما جاء هاهنا، ولهم في ذلك شبهة أو شبهات:

أول هذه الشبهات: أننا لو أثبتنا العين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهذا يستلزم مشابهة المخلوق، ولذلك قال هاهنا: **(جَارِحًا كَجَارِحِ الْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ)**، فإذا أثبتنا العين لله فهذا فيه مشابهة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمخلوق؛ لأن للمخلوق عينًا، فإذا أثبتنا العين لله صار الخالق كالمخلوق، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، هذه الشبهة الأولىٰ.

والشبهة الثانية: أننا لو أثبتنا العين لله لأثبتنا التركيب في حق الله، والله منزّهٌ عن التركيب؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فهذه الشبهة الثانية، ولذلك قال المعارض: **(وَأَرَادُوا التَّرْكِيبَ)**.

وهاتان الشبهتان ردّ عليهما المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سبق الرد علىٰ الشبهة الأولىٰ، وأظن الشبهة الثانية، الشبهة الأولىٰ وهي: مشابهة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمخلوق، فنقول: القاعدة في ذلك أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأننا لو أثبتنا الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ الوجه اللائق له، نثبت المعنىٰ ونفوّض الكيف له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا فيه نفي التمثيل الذي نفاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن نفسه، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، مع أنه أثبت للعبد في كتابه سمعًا وبصرًا، فمعنىٰ ذلك أن المشابهة هاهنا في قدرٍ معيّن، وأن الاشتراك هاهنا في قدرٍ معيّن وهو: في معنىٰ هذه الصفة، وأما الكيفية ففرقانٌ بين كيفية الخالق وكيفية المخلوق، وكيفية ذات الخالق، وكيفية ذات المخلوق، ويدخل في ذلك كيفية صفات الخالق وكيفية صفات المخلوق؛ لأن هذه الصفات التي تُطلق علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ المخلوق، والأسماء التي تُطلق علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ المخلوق هذه تسمّىٰ

في العربية بالأسماء المتواطئة، يشترك أفرادٌ كثيرون في معناها، لكن يختلفون في كيفيتها، فالحي يُطلق علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ويُطلق علىٰ الإنسان، ويُطلق علىٰ الحيوان، ويُطلق علىٰ النبات، لكن هناك فرقانٌ بين كيفية الحياة بالنسبة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكذلك الإنسان وكذلك الحيوان والنبات، فالاشتراك والتواطؤ إنما هو في المعنىٰ.

ويُردّ عليهم كذلك بلازم قولهم، ولازم إثباتهم لبعض الصفات؛ لأنهم يثبتون لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الحياة، ويثبتون له الوجود، والمخلوق حيٌ موجود، فإذا رُدّ عليهم بذلك يقولون: لكن حياة المخلوق تفارق حياة الخالق، نقول: وكذلك سائر صفات المخلوق تفارق سائر صفات الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كيفيتها، وكذلك في كمالها.

الإجمال من سبل لبس الحق بالباطل

وأما شبهة التركيب فينبغي أن نعلم أولًا أن لفظ التركيب من الألفاظ المُجملة، هذا اللفظ من الألفاظ المُجملة، كسائر الألفاظ التي يعارض بها المبتدعة كتاب الله وسنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والقاعدة في هذه الألفاظ: أنها لا تُطلق لما فيها من الإجمال، ومن لبس الحق بالباطل، ولذلك لا بد من الاستفصال، الألفاظ التي وردت علىٰ لسان المبتدعة مما لم ترد في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذه لا تُثبت بالإطلاق، ولا تُنفىٰ كذلك بالإطلاق، لكن لا بد فيها من الاستفصال والاستفسار، ماذا تريدون بهذا اللفظ، لماذا؟ لأنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "معاني هذه الألفاظ عند المعطّلة غير معانيها في لغة العرب"، فهم يقولون: الله عَزَّوَجَلَّ منزّهٌ عن الجسم، وعن التركيب، وعن الأعضاء، وعن الجوارح، وعن الأبعاض، وعن الأجزاء، طب هذه الألفاظ لها معنىٰ في لغة العرب، هل المبتدعة يريدون المعنىٰ الذي جاء في لغة العرب؟ لا يريدون المعنىٰ الذي جاء في لغة العرب، ولذلك لا بد من سؤالهم عن هذا المعنىٰ الذي أرادوه.

فمثلًا لفظ التركيب: لو سألناهم ماذا تريدون بهذا اللفظ (التركيب)؟ لأن التركيب في لغة العرب له أكثر من معنىٰ، أو يُطلق علىٰ أكثر من أمر، فهل تريدون في هذا المركّب أنه ما كان متفرّقًا فركّبه غيره؟ سيقولون: لا، ما نريد ذلك، ولا يقول أحدٌ بذلك في حق الله، لا يقول أحدٌ من المخلوقين أن صفات الله كانت مُفرّقة، وأن ذات الله كانت مُفرّقة وركبّها غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولون: لا نريد هذا المعنىٰ، هل تريدون أن المركّب ما له أبعاضٌ مختلفة، ويقبل التفريق والانفصال؟ فيقولون: لا، لا نريد ذلك، ولا نقبل ذلك في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأن الله منزّهٌ عن ذلك.

إذًا ما الذي تريدونه بلفظ التركيب؟ يقولون: نريد ذاتًا بصفات، ذاتًا اتصفت بصفات، فهذه الذات لمّا تتصف بهذه الصفات فهذا دليلٌ علىٰ التركيب، طب هل هذا هو معنىٰ التركيب في لغة العرب؟ ليس هذا هو معنىٰ التركيب في لغة العرب.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمّا استقرأ حال المبتدعة وجد أنهم يوظّفون لغة العرب في غير ما جاءت به لغة العرب، وفي غير المعنىٰ المشهور في لسان العرب، فيقولون: المركّب ما له ذاتٌ وصفات يتصف بها، فنقول: الله عَزَّوَجَلَّ له ذات، وله صفات تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتّصف بها، لكنه لم يفتقر لأحدٍ في هذه الصفات، يعني لم يفتقر لأحدٍ ليكمّله بهذه الصفات، وليركّب له هذه الصفات؛ لأنه كما قلنا الصمد، قال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾[الإخلاص: ١-٢]، ما معنىٰ الصمد؟ الصمد في لسان السلف لها ستة معانٍ، من هذه المعاني الصمد أي: الذي لا جوف له، فلا يأكل ولا يشرب، يُطعِم ولا يُطعَم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا فيه نفي الافتقار لغيره، فهو بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كاملٌ في صمديّته، وكاملٌ في سؤدده، وفي عظمته، كما قال ابن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الصمد هو السيد الذي كمُل في سؤدده، العظيم الذي كمُل في عظمته، الكريم الذي كمُل في كرمه" وهكذا إلىٰ آخر صفات ربنا

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فنقول: هذا اللفظ غريب، والمعنىٰ الذي أردتموه من هذا اللفظ لا يجري علىٰ المعاني التي تعرفها العرب، ولذلك قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردًا عليه:

(فيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: أَمَّا مَا ادَّعَيْتَ أَنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنًا فَإِنَّا نَقُولُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَهُ وَرَسُولَهُ).

فعمدتنا في ذلك ما قال الله، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَأَمَّا جَارِحٌ كَجَارِحِ الْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ التَّرْكِيبِ فَهَذَا كَذِبٌ ادَّعَيْتَهُ علَيْنا عَمْدًا، لِمَا أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقُولُهُ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَأْلُو مَا شَنَّعْتَ، لِيَكُونَ أَنْجَعَ لِضَلَالَتِكَ فِي قُلُوبِ الْجُهَّالِ).

قوله: **(لِيَكُونَ أَنْجَعَ لِضَلَالَتِكَ)** أي: ليكون أدخل وآثر لضلالتك في قلوب الجهّال.

قال: **(وَالْكَذِبُ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، فَمِنْ أَيِّ النَّاسِ سَمِعْتَ أَنَّهُ قَالَ: جَارِحٌ مُرَكَّبٌ؟ فأشِرْ إِلَيْهِ، فَإِنَّ قَائِلَهُ كَافِرٌ، فَكَمْ تكرر قَوْلك: جِسْمٌ مُركّبٌ، وأعْضَاءٌ وَجَوَارِحُ، وَأَجْزَاءٌ، كَأَنَّكَ تُهَوِّلُ بِهَذَا التَّشْنِيعِ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ عَنْ وَصْفِ اللهِ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا وَصَفَهُ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ نَصِفِ اللهَ بِجِسْمٍ كَأَجْسَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِعُضْوٍ وَلَا بِجَارِحَةٍ؛ لَكِنَّا نَصِفُهُ بِمَا يَغِيظُكَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَنْتَ ودُعَاتُك لَهَا مُنْكِرُونَ)**.

فلا نطلق هذه الصفات ولا هذه الإطلاقات علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنها لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، ومن أطلقها نستفصل منه، فإن كان يريد المعنىٰ الحق قبلنا المعنىٰ ورددنا اللفظ، وإن كان يريد المعنىٰ الباطل رددنا اللفظ والمعنىٰ.

(فَنَقُولُ).

عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(إِنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ذُو الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، والسمع السَّمِيعِ، والبصرالبصير، نورالسموات وَالْأَرْضِ، وَكَمَا وَصَفَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ حِينَ يَقُول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وَكَمَا قَالَ أَيْضًا: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟»، وَكَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ").

ومضىٰ كل ذلك.

قال: (وَالنُّورُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ إضاءة واستنارة ومرآىٰ، ومنظرًا، وَأَنَّهُ يُدْرَكُ يَوْمَئِذٍ بِحَاسَّةِ النَّظَرِ).

قوله: (وَالنُّورُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ إضاءة) يعني هذا هو المعروف في لغة العرب، أن النور إذا أُطلق فلا بد أن تكون له هذه الصفات، والقرآن نزل بلسانٍ عربيٍ مبين، فمعنىٰ ذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُدرك يوم القيامة بحاسة النظر؛ لأنه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة، كما جاءت بذلك سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَالْكَلَام إِذَا كَشفَ عَنْهُ الْحِجَابُ كَمَا يُدْرَكُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا احْتَجَبَ اللهُ تعالَىٰ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ فِي الدُّنْيَا رَحْمَةً لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لوتجلّىٰ فِي هَذه الدُّنْيَا لِهَذِهِ الْأَعْيُنِ الْمَخْلُوقَةِ الْفَانِيَةِ لَصارَتْ كَجَبَلِ مُوسَىٰ دكًّا، وَمَا احْتَمَلَتِ النَّظَرَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهَا أَبْصَارٌ خُلِقَتْ لِلْفَنَاءِ، لَا تحتمل نور البقاء، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ).

كان هاهنا تامة.

(فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رُكِّبَتِ الأبصار للبقاء فَاحْتَمَلَتِ النَّظَرَ إِلَىٰ نُورِ الْبَقَاءِ).

فاحتجب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أعين الناظرين لأمرين:

الأمر الأول: ليكون ذلك من الغيب، الذي يجب عليهم أن يؤمنوا به.

والأمر الثاني: رحمةً بهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه لو تجلّىٰ في هذه الدنيا كما قال المصنف لهذه الأعين المخلوقة الفانية لصارت كجبل موسىٰ دكًا.

قال: **(وَأَمَّا تَفْسِيرُكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أَنَّهُ قَالَ: "بِحِفْظِنَا وَكَلَاءَتِنَا"، فَإِنْ صَحَّ قَوْلُكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَمَعْنَاهُ الَّذِي ادَّعَيْنَا لَا مَا ادَّعَيْتَ أَنْتَ، يَقُولُ: "بِحِفْظِنَا وَكَلَاءَتِنَا بِأَعْيُنِنَا"؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَن يُوصَف أحدٌ بِكَلَاءةٍ)**.

كلاءة أي حِفظ.

(إِلَّا وَذَلِكَ الْكَالِئ).

يعني الحافظ.

(مِنْ ذَوِي الْأَعْيُن).

وهذه القاعدة يذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا في كتبه، وخاصةً في كتابه **(الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطّلة)**، فإذا جاء عن بعض السلف فرضًا في تفسير اليد بالقدرة، أو بالقوة، أو بالنعمة، له نعمٌ علي، فابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يوصف بذلك إلا من له يدٌ حقيقية، طيب، كذلك الحفظ والرعاية لا يوصف بذلك إلا من له عينٌ حقيقية، والذي قالها قبله الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا، فقال: **(لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَن يُوصَف أحدٌ بِكَلَاءةٍ إِلَّا وَذَلِكَ الْكَالِئ مِنْ ذَوِي الْأَعْيُن)**.

لو صحّ هذا الأثر عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: "بأعيننا أي: بحفظنا ورعايتنا"، فنقول: وإن فسّروها بأثر الصفة فهذا لا يكون إلا ممن له سمعٌ، وبصرٌ، ويدٌ، وصفةٌ لها هذا

الأثر، وهذا صنيع أئمة التفسير كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم، يثبتون الصفة في موضع، ولا يلزمهم أن يكرّروا إثباتها في كل موضعٍ جاءت فيه هذه الصفة، ولذلك يذكرون أثرها في بعض المواضع، فهذا يُنكر علىٰ المعطّل، ولا يُنكر علىٰ السنيّ السلفيّ، لماذا؟ لأنه أثبت الصفة، ومعلومٌ من عقيدته أنه يثبت الصفة، فلا يحتاج أن يكرّر ذلك في كل موضع.

قال: (وَقَدْ فسَّرنا لَكَ بَعْضَ هَذَا الْكَلَامِ فِي صَدْرِ كِتَابِنَا، غَيْرَ أَنَّكَ أَعَدْتَهُ لَحَاجَةً مِنْكَ، واغْتِيَاظًا عَلَىٰ من يُؤمن بِرُؤْيَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَاغْتِيَاظِكَ وَإِفْرَاطِكَ عَلَىٰ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَانْتدبْتَ مختلطًا غضبانًا تَدَّعِي أَنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ لَا تمييز عندهم وَلَا نَظَرَ لَدَيْهِمْ).

وهذه تهمة تلوكها ألسنة المبتدعة ضد كل صاحب سنة في كل وقتٍ وحين، لا يفقهون، حافظين مش فاهمين، لا تمييز عندهم، لا نظر لديهم.

قال: (يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَأَلْزَمَ بِجَهْلِهِ مَنْ لَا يَقُولُ ذَلِكَ الْكُفْرَ، وَهُوَ الْكَافِرُ عيانًا فِيمَا يتكلَّف ممّا لم يُؤْمَرْ بِهِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ السَّلَفُ، فَجَاءَ الظَّالِمُ الْجَرِيءُ فَهُوَ آمِنٌ بِجَهْلِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا يَرْضَىٰ حَتَّىٰ يَنْسِبَ الْمُؤْمِنَ التَّقِيَّ الْكَافَّ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، ثُمَّ وَصَفَ أَنَّ الْكَلَامَ مِنَ النَّاطِقِ لَا يُسَمَّىٰ مُحْدَثًا مَتَّىٰ مَا قَالَهُ، وَلَا يَتْرُكُونَ مَنْ عَرَفَ وَجْهَ الْكَلَامِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: لَا، كل هَذَا الأخلاط غيرةٌ، غير أَن الدَّلِيل عَلَيْكَ أَنَّكَ لَا تُبْدِي كلّ هَذَا إِلَّا عَنْ حُرْقَةٍ، فَأَهْلٌ لَكَ إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْكَلَامَ مِنَ النَّاطِقِ مُحْدَثًا، قَدْ فَهِمْنَا مُرَادَكَ مِنْ هَذَا، يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَهُ مَخْلُوقًا مُحْدَثًا لِلَّهِ فَقَدْ صَدَقْتَ فِي دَعْوَاكَ عَلَيْهِمْ، لَا يَرَوْنَهُ مُحْدَثًا لِلَّهِ كَمَا ادَّعَيْتَ، وَمَنْ رَآهُ مُحْدَثًا لِلَّهِ عَدُّوهُ كَافِرًا؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ كَانَ وَلَا كَلَامَ لَهُ).

هل يُطلق علىٰ كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه مُحدث أم لا يُطلق؟

هذا الإطلاق لا بد له من دليل، أين الدليل؟

أحسنت يا شيخ محمد، ﴿مَا يَأتيهِم مِنْ ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُم يَلعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، ﴿وَما يَأتِيهِم مِنْ ذِكرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعرِضِينَ﴾[الشعراء: ٥]، موضعان في كتاب الله، وصف ذكره بأنه مُحدث.

طيب، ما المراد بالإحداث في وصف كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: "أي: جديدٌ إنزاله" الإحداث بمعنىٰ أنه جديدٌ إنزاله، ولذلك عند البخاري من قول عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: "ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم، وقد حرّفوه وبدّلوه، وزادوا فيه، ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله، تقرؤونه محضًا لم يُشب" ابن عباس صحابي جليل، ترجمان القرآن يقول: "وكتابكم" يعني القرآن "أحدث الكتب بالله"؛ لأنه آخر الكتب نزولًا، فهذا المراد بقوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأتيهِم مِنْ ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحْدَثٍ﴾، ﴿مِنْ ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحْدَثٍ﴾، لا يعنون بذلك الخلق، أنه مخلوق.

ولذلك قال الإمام الدارمي رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قَدْ فَهِمْنَا مُرَادَكَ مِنْ هَذَا، يَعْنِي أَنَّهُمْ لا يَرَوْنَهُ مَخْلُوقًا مُحْدَثًا لِلَّهِ فَقَدْ صَدَقْتَ فِي دَعْوَاكَ عَلَيْهِمْ، لا يَرَوْنَهُ مُحْدَثًا لِلَّهِ)**.

فالذي يريده المعارض أن يكون كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مخلوقًا؛ لأن هذا يؤيد عقيدته في القرآن، القرآن مخلوق، ليس كلام الله.

فأهل السنة يقولون: هو مُحدث، لكن لا يريدون أنه مخلوق.

قال: **(فَقَدْ صَدَقْتَ فِي دَعْوَاكَ عَلَيْهِمْ، لا يَرَوْنَهُ مُحْدَثًا لِلَّهِ كَمَا ادَّعَيْتَ، وَمَنْ رَآهُ مُحْدَثًا لِلَّهِ عَدُّوهُ كَافِرًا؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ كَانَ وَلَا كَلَامَ لَهُ)**.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة»، نعم، ومواضع كثيرة في القرآن، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ﴾، ﴿وَكَلَّمَهُ﴾، يعني ليس الكلام قديمًا، إنما كان في هذا الوقت، وفي هذا الموضع، وكذلك كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء والمعراج، وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ مع سائر الأنبياء وقت وجودهم، لم يكلمهم قبل ذلك، وليس هذا الكلام كلامًا قديمًا.

قال: (**وَأَمَّا قَوْلُكَ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ السَّلَفُ، فَقَدْ أَنْبَأْنَاكَ فِي صدر كتابنا هَذَا مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنَ السَّلَفِ الَّذِينَ كَانُوا أَعْلَمَ بِاللهِ وَبِكِتَابِهِ مِنْ سَلَفِكَ الَّذِينَ احْتَجَجْتَ بِهِمْ مِثْلِ الْمَرِيسِيِّ، وَابْنِ الثَّلْجِيِّ، وَنُظَرَائِهِمْ، وَأَمَّا مَا تَصِفُ عَنْ نَفْسِكَ مِنَ الْكَفِّ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ، فَقَلَّمَا رَأَيْنَا أَسْفَقَ عَيْنًا مِنْكَ، وَلَا أَقَلَّ حَيَاءً**).

قال في القاموس: ثوبٌ سفيق وصفيق، ويقال: سفيق الوجه أي: وقح، فقوله: (**فَقَلَّمَا رَأَيْنَا أَسْفَقَ عَيْنًا مِنْكَ**) يعني أكثر وقاحةً منك.

قال: (**وَلَا أَقَلَّ حَيَاءً، أَوَلَيْسَ كُلُّ مَا ضَمَّنْتَ هَذَا الْكِتَابَ من هَذِه العمايات خوض كُلُّهُ؟ فَإِنَّا مَا رَأَيْنَا خَائِضًا فِيهِ أَقْبَحَ مِنْكَ خَوْضًا، وَأَوْحَشَ مِنْكَ تَأْوِيلًا وَأَقَلَّ مِنْكَ إِصَابَةً، فَمِثْلُكَ فِي وَعْظِكَ كَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ.**

وَأَمَّا قَوْلُكَ: لَا يَتْرُكُونَ مَنْ عَرَفَ وُجُوهَ الْكَلَامِ مَا ضَمَّنْتَ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ نَفْسِكَ، وَعَنْ إِمَامِكَ الْمَرِيسِيِّ، وَالثَّلْجِيِّ، فَقَدِ انْقَلَبَتْ لُغَاتُ الْعَرَب، فصار المُنكَر مِنهَا مُعرّفًا، وَالْمُعرّفُ مُنْكَرًا، وَالْعَرَبِيُّ عَجَمِيًّا، وَالْعَجَمِيُّ عَرَبِيًّا؛ لِأَنَّ تَفَاسِيرَكُمْ هَذِهِ كُلَّهَا مُخَالِفَةٌ لِلُغَاتِهِمْ، وَلِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

ولذلك قلنا: إطلاقات المبتدعة معانيها غريبة عن المعاني العربية المشهورة، ولذلك لما سُئل بعض أئمة العربية عن تفسير الاستواء بالاستيلاء قال: "هذا لا يُعرف في لغة العرب"،

لعله ابن الأعرابي، قال: "هذا لا يُعرف في لغة العرب"، أو ثعلب، لما سُئل عن تفسير المبتدعة للاستواء بالاستيلاء قال: هذا لا تعرفه العرب، فلهم ألفاظ لا بد أن يُسأل عن معانيها.

قال: (مَنْ أَئِمَّتِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنْسِبُهُمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ وُجُوهِ الْكَلَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ لِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا لِأَهْلِ السُّنَّةِ حُجَّةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ إِلَّا نَقَضُوهَا بِخُرَافَاتٍ وَعَمَايَاتٍ، وَلَا تَرَكُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا صَحِيحًا نَاقِضًا لِمَذاهِبِهِمْ إِلَّا ردُّوهُ بِتِلْكَ العمايات.

لَقَدْ تَرَكُوا مَعْرِفَةَ كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَّةِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا، فمثَلُ انْتِحَالِكَ لِهَؤُلَاءِ بِحُسْنِ الْكَلَامِ مِمَّا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المتشبّع بما لمْ يُعط كَلَابِس ثَوْبَيْ زورٍ»).

وهذا أخرجه البخاري، وله سبب ورود، فقد جاء عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن امرأةً قالت: "يا رسول الله، إن لي ضرة، فهل علي جناحٌ إن تشبّعت من زوجي غير الذي يعطيني؟" يعني تذكر أمامها من الكذب ما لم يصنعه زوجها معها، فقال النبي ﷺ: «المتشبّع بِمَا لم يُعط كَلَابِس ثَوْبَيْ زورٍ»، ومعناه: المتكثّر بما ليس عنده، لكن لماذا ثنّىٰ النبي ﷺ الثوب؟ فقال: «كَلَابِس ثَوْبَيْ زورٍ»؟ ولم يقل: كلابس ثوب زور، قال: «كَلَابِس ثَوْبَيْ زورٍ»، لماذا ثنّىٰ النبي ﷺ الثوب؟

الحافظ ابن حجر رحمه الله نقل كلام العلماء في ذلك يعني، لماذا قال النبي ﷺ ذلك؟ فقال: "التثنية إما أنه كالذي قال الزور مرتين مبالغةً في التحذير" يعني قال النبي ﷺ ذلك مبالغةً في التحذير، أي: انغمس في الباطل والزور، "أو أن النبي ﷺ يذكر حالةً كانت لبعض العرب، وهي أنه كان يجعل في الكم كمًا آخر، يوهم

أن الثوب ثوبان"، يعني يركّب للكم كم، نعم، "أو أن المراد أنه حصل له بالتشبُّع حالتان مذمومتان: الحالة الأولىٰ: فقدان ما يتشبّه به من الخصال الحميدة، والحالة الثانية: إظهار الباطل"، ولعل هذا الثالث هو الأظهر، فمثل هذا المعارض كمثل ما جاء في حديث النبي ﷺ.

قال: (لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتَوْا فِيهَا مِنَ الْبَصَرِ إِلَّا خِلَافَ مَا مَضَىٰ عَلَيْهِ أَسْلَافُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ، فَإِنْ جَحَدْتَهُ فَهَاهُنَا رِوَايَاتُهُمْ وَتَفَاسِيرُهُمْ إِذَا نَظَرَ فِيهَا النَّاظِرُ اسْتَيْقَنَ بِضَلَالِ تَفْسِيرِكُمْ، وَاسْتَدَلَّ عَلَىٰ قِلَّةِ عِلْمِكُمْ بِالْمُسْتَحَالَاتِ مِنْهَا، فَمَا نَدْرِي أَيُّ زُعَمَائِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُبْصِرُونَ وُجُوهَ الْكَلَامِ؟ فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَكَيْتَ عَنْهُمْ هَذِهِ الْعَمَايَاتِ، فَقَدْ أَنْبَأْنَاكَ بِنَاقِضِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا، مِمَّا يَجْلِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ الَّذِي لَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهَا، فَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَكَيْتَ عَنْهم يُبْصِرُونَ وُجُوهَ الْكَلَامِ مِنْ زُعَمَائِكَ؟ أَهُوَ المريسي الْمَشْهُور بالتجهُّم؟ فَقَد أَنْبَأْنَاك عَوْرَة كَلامِه، وَكَذَلِكَ الثَّلْجِيُّ، وَكَذَلِكَ ضِرَارٌ، ذَاكَ الزِّنْدِيقُ الَّذِي تَنْتَحِلُ بَعْضَ كَلَامِهِ، وَتُكَنِّي عَنْهُ).

ضرار هو ضرار بن عمرو، القاضي المعتزلي، رئيس فرقة من فرق أهل الاعتزال تُسمىٰ بالفرقة الضرارية، وقال الحافظ الذهبي فيه: "له مقالاتٌ خبيثة".

قال: (فَإِنْ كَانَ أَهْلُ البَصَرِ هؤلاء، وَأَحْسَنُ الْكَلَامِ عِنْدَكَ مَا حَكَيْتَ عَنْ هَؤُلَاءِ، فَإِلَىٰ اللهِ نَبْرَأُ مِمَّا حَكَيْتَ عَنْهُمْ، لَلْغناء وَالنَّوْحُ وَنُبَاحُ الْكِلَابِ أَحْسَنُ مِمَّا حَكَيْتَ عَنْهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا تَنْقَاسُ فِي كِتَابٍ، وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا إِجْمَاعٍ.

أَحَسَدْتَهُمْ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا أَصَابُوا بِهَذِهِ الْعَمَايَاتِ مِنْ وُجُوه الْحق، أم فِيمَا نَالُوا مِنَ الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ عَلَىٰ أَلْسُنِ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّىٰ انْتَحَلْتَ مَذْهَبَهُمْ وَاحْتَجَجْتَ بِكَلَامِهِمْ، حَتَّىٰ تَنَالَ بِهِم وَبِذِكْرِهِمْ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا مِثْلَ مَا نَالُوا؟).

فهو ينكر عليه، لماذا تتشبّث بأقوال هؤلاء؟ هل بسبب حسدك لهم؟ الحسد هنا المقصود به الغبطة، يعني تتمنىٰ أن تكون مثلهم، أم بسبب ما نالوا من الثناءات عند أئمة الإسلام؟!

يقول الإمام الدارمي: (إِذْ يُدعىٰ أَحَدُهُمْ "زِنْدِيقٌ").

هذه هي الثناءات التي وصلتهم من أئمة الإسلام.

(وَالْآخَرُ "جَهْمِيّ"، وَالآخَرُ "تِرْسُ الْجَهْمِيَّةِ").

هذا لقب أُطلق عليهم.

قال: (إِذْ يُدعىٰ أَحَدُهُمْ "زِنْدِيقٌ"، وَالْآخَرُ "جَهْمِيّ"، وَالآخَرُ "تِرْسُ الْجَهْمِيَّةِ"، يَعْنُونَ ابْنَ الثَّلْجِيِّ بِذلِك، وَهَنِيئًا لَكَ مِيرَاثُهُمْ غَيْرَ مَحْسُود، وَلَا مَغْبُوطٍ، فَبِأَيِّ مُتَكَلِّمٍ مِنْهُمْ تَسْتَطِيلُ؟).

ونحن نقول لأهل السنة: هنيئًا لكم أهل السنة ميراثكم عن أسلافكم، ونقول للمبتدعة: بئس الميراث ميراث أهل البدع عن ضلّالهم.

قال: (أَبِالَّذِي زَعَمَ أَنَّ كَلَامَ اللهِ تعالَىٰ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ؟ أَمْ بِالَّذِي قَالَ: أَسْمَاءُ اللهِ مُحْدَثَةٌ مُسْتَعَارَةٌ مَخْلُوقَةٌ؟ أَمْ بِالَّذِي زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ: يارب؟ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ فَضَائِحِ مَا حكيت عَنْهُم فِي كتابك هَذَا كثيرًا، أَهَؤُلَاءِ عِنْدَكَ أَهْلُ الْبَصَرِ بِالْكَلَامِ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالتَّمْيِيزِ؟ فَقَدْ أَخْبَرْنَاكَ أَنَّ النَّوْحَ، وَالْغِنَاءَ، وَنُبَاحَ الْكِلَابِ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَتَفَاسِيرِهِمْ).

قال: (ثُمَّ زَعَمَ الْمُعَارِضُ أَنَّهُ فَرَغَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُشْتَبِهَةِ، وَابْتَدَأَ فِي التَّوْحِيدِ بِالمَعْقُول).

نسأل الله أن يرزقنا صحة المعتقد.

(ثمَّ حكَىٰ فِي تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ كَلامًا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ، وَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا مِنْهَا فِي الرِّوَايَاتِ،

فَقَالَ: يُسْأَلُ الرَّجُلُ: هَلْ عَرَفْتَ الْخَلْق بِالله أوعرفت اللهَ بِالْخَلْقِ؟).

لأنه يحكي أمرًا، يقول: بعض الناس يُسأل: هل عرفتَ ربك بالخلق؟ أم عرفتَ الخلق بربك؟

قال، يقول المعارض: **(فيُقال لَهُ)**.

يقال لهذا السائل.

(مَعْبُودُكَ هَذَا مَا هُوَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ وَمَا صِفَتُهُ؟ وَمَا مِثَاله؟).

هذه الأسئلة تذكّرك بأصلها، فأصلها مناظرة الجهم للسُّمَنيّة، نفس الأسئلة، فهؤلاء أصولهم مأخوذةٌ من رؤوسهم، ليست مأخوذة لا من كتاب الله، ولا من سنة النبي ﷺ، ولذلك من علامات انحراف الجماعات والفرق نسبتها لرؤوسها ومؤسسيها؛ فلا النبي ﷺ ولا الصحابة سألوا من أراد الدخول في الإسلام هذه الأسئلة، فمعنىٰ ذلك ولازم كلامهم: أن النبي ﷺ وأصحاب النبي ومَن تبعهم بإحسان لم يعرفوا التوحيد، ولذلك قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ثمَّ فسَّرهُما بتَفاسِيرَ لَا يُؤْثَر شَيْءٌ مِنْهَا عَنْ أَحَدٍ مَوْسُومٍ بِالْعِلْمِ مِمَّنْ مَضَىٰ وَمِمَّنْ غَبَرَ، فَلَمْ أَجِدْ لِبَعْضِهَا نَقِيضَةً أَسْلَمَ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ، وَكَثِيرًا مِنْهَا قَدْ فَسَّرْتُ فِي صَدْرِ كِتَابِنَا هَذَا، فَإِنْ لَمْ يوحِّد اللّهَ تَعالَىٰ من أمّةِ محمَّدٍ ﷺ أحدٌ إِلَّا مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْخُرَافَاتِ وَجَوَابَاتها فمَا فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمُعَارِضِ مُوَحِّدٌ.



وَقَدْ فسَّرنا لِلْمُعَارِضِ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ مَا كَانَ فِيهِ مَنْدُوحَةٌ من هَذِه التَخَالِيط، أَنَّهُ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هَذَا تَفْسِيرُهُ الْمَعْقُولُ).

هذا هو التوحيد، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا معبود حق إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَهِيَ).

يعني هذه الكلمة.

(كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ، مَنْ جَاءَ بِهَا مُخْلِصًا فَقَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَإِن لم يجِئْ بِمَا فَسَّرَ الْمُعَارِضُ، ولَم يُحسِن مِنْ هَذِهِ الْعَمَايَاتِ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي رَضِيَ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من عَمّه، وهِي الدَّلِيل علىٰ إِسْلَامِ الرَّجُلِ وإِيمَانِه وَتَوْحِيدِهِ).

يعني بذلك الحديث الذي في الصحيحين، لما قال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي طالب: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمةٌ أُحاجّ لك بها عند الله» الحديث، فلو قالها لنفعته، ولما كان من المُخلّدين في النار.

قال: **(وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! أَوَلَمْ تَزْعُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي التَّوْحِيدِ إِلَّا الصَّوَابُ؟ أَفَتَأْمَنُ مِن الْجَوَابَ فِي هَذِهِ الْعَمَايَاتِ أَنْ تَجُرَّكَ إِلَىٰ الْخَطأ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْخَطَأُ فِيهِ كُفْرٌ؟ فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ نَفْسِكَ لَمَّا نَدَبْتَ إِلَيْهِ غَيْرَكَ مِنَ الْخَوْضِ فِيهِ وَمَا أشبهه؟**

ثُمَّ عَادَ الْمُعَارِضُ إِلَىٰ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ ثَانِيَةً فَادَّعَىٰ أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ كلُّهَا؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ هِيَ أَلْفَاظٌ، ولَا يكُونُ لَفْظٌ إِلَّا مِنْ لَافِظٍ، إِلَّا أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا مَا هِيَ قَدِيمَةٌ وَمِنْهَا حَدِيثَةٌ).

يعني بقوله: **(ولَا يكُون لَفْظٌ إِلَّا مِنْ لَافِظٍ)** أي: لا يكون كلامٌ إلا من متكلّم، وهم ينفون الكلام بالنسبة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لأن إثبات الكلام يستلزم التشبيه، والحدوث، والتغيّر، والله منزّهٌ عن ذلك، منزّهٌ عن التشبيه هذه واضحة، طيب، كيف الكلام عند هؤلاء يكون سبيلًا

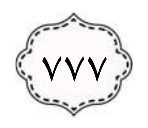
إلىٰ الحدوث والتغيّر؟ لأنهم يقولون: تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، إذا قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ١]، فالباء جاءت قبل السين، والسين جاءت قبل الميم، والألف جاءت قبل اللام، واللام جاءت قبل الراء، فمعنىٰ ذلك أن أحد هذه الحروف سبق الآخر، فوقع التغيّر، ووقع التجدّد، ووقع الحدوث، كلام عجيب، والله منزهٌ عن ذلك، لا يجوز أن نصفه بالكلام، وبأنه يتكلم بصوت وحرف متىٰ شاء.

ولذلك كان المعتزلة أجرأ وأشجع في نفي صفة الكلام، فقالوا: لا يتكلم، كلامه مخلوق، وجاء الأشعرية بعدهم فجبنوا عن ذلك، وموّهوا علىٰ الخلق، فقالوا: يتكلم، لكنه يتكلم بكلامٍ نفسي، ليس بصوتٍ ولا حرف، وهذا الذي يوجد في المصحف عبارة عن كلام الله، ولذلك قال محقّقوهم: لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في أن هذا الذي في المصحف ليس كلام الله حقيقةً، وإنما هو كلامٌ مخلوق، هذا قاله بعض أئمتهم، فجبنوا عن إظهار حقيقة مذهبهم، وهذا في أمورٍ كثيرة يتديّن بها ويعتقدها الأشعرية.

قال: (وَقَدْ فَسَّرْنَا لِلْمُعَارِضِ أَسْمَاءَ اللهِ فِي صَدْرِ كِتَابِنَا هَذَا، وَاحْتَجَجْنَا عَلَيْهِ بِمَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَمْ نُحِبَّ إِعَادَتَهَا هَاهُنَا ليطول بِهِ الْكتاب، غيرأن قَوْلَهُ: هِيَ "لَفْظُ اللَّافِظِ" يَعْنِي أَنَّهُ مِنَ ابْتِدَاعِ الْمَخْلُوقِينَ بِأَلْفَاظِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تعَالَىٰ لَا يَلْفِظُ بِشَيْءٍ فِي دَعْوَاه، وَلَكِنْ وَصْفَهُ بِهَا الْمَخْلُوقُونَ، فَكُلَّمَا حَدَثَ لِلَّهِ فِعْلٌ فِي دَعْوَاهُ أَعَارَهُ الْعِبَادُ أَسْمَاءَ ذَلِكَ الْفِعْلِ).

يعني إذا خلق سمّىٰ العباد ربهم خالقًا، إذا سمع سمّوه سميعًا، إذا أبصر: بصيرًا، إذا رزق: رازقًا، وهكذا، فالعباد هم الذين أعاروا الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأسماء، ولم يكن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ مذهب هؤلاء الضُّلّال قد سمّىٰ نفسه بها.

(يَعْنِي أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ سَمَّوْهُ خَالِقًا، وَحِينَ رَزَقَ سَمَّوْهُ رَازِقًا، وَحِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَلَكَهُمْ



سَمَّوْهُ مَالِكًا، وَحِينَ فَعَلَ الشَّيْءَ سَمَّوْهُ فَعَّالًا.

وَكَذَلِكَ قَالُوا: مِنْهَا حَدِيثَةٌ وَمِنْهَا قَدِيمَةٌ، فَأَمَّا قَبْلَ الْخَلْقِ فَبِزَعْمِهِمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ تَعَالَىٰ اسْمَاء، وَكَانَ كَالشَّيْءِ الْمَجْهُولِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يدْرِي مَا هُو، حتّىٰ حَدَث الْخَلْقُ فَأَحْدَثُوا له أَسْمَاءَهُ، وَلَمْ يَعْرِفِ اللهُ فِي دَعْوَاهُمْ لِنَفْسِهِ اسْمًا، حَتَّىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ فَأَعَارُوهُ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَيَقُولُ: ﴿أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وَ "أَنَا اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"، و ﴿أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾، فَنَفَوْا كُلَّ ذَلِكَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَعَ نَفْيِ الْكَلَامِ عَنْهُ، حَتَّىٰ ادَّعىٰ جَهْمٌ أَنَّ رَأْسَ مِحْنَتِهِ نَفْيُ الْكَلَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ).

نفي الكلام يستلزم نفي القدر والشرع

رأس الأمر عند هؤلاء: نفي الكلام عن الله عَزَّوَجَلَّ لأنهم لو نفوا الكلام نفوا سائر الصفات، كيف ذلك؟

يقول: (فَقَالَ: مَتَىٰ نَفَيْنَا عَنْهُ الْكَلَامَ، فَقَدْ نَفَيْنَا عَنْهُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ، مِنَ النَّفْسِ وَالْيَدَيْنِ، وَالْوَجْهِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا لِذِي نَفْسٍ وَوجهٍ، وَيَدٍ، وَسمْعٍ، وَبَصَرٍ، وَلَا يَثْبُتُ كَلَامٌ لِمُتَكَلِّمٍ إِلَّا لمَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ).

ولذلك نفي الكلام يستلزم نفي الدين والشرع، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يستلزم نفي الشرع والقدر"، وهذه أخذها كذلك من الإمام الهروي، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (**ذم الكلام وأهله**)، والهروي هذا الذي يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: شيخ الإسلام، الإمام الهروي، وهو كذلك الذي شرح له ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (**منازل السائرين**)، وسمّىٰ هذا الشرح (**مدارج السالكين إلىٰ منازل السائرين**)، وله أمور عقّب عليها شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج.

قال الإمام أبو إسماعيل الهروي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ**-: "أما الذين قالوا بإنكار كلام الله عَزَّوَجَلَّ فأرادوا إبطال الكل، يعني إبطال الشريعة كلها؛ لأن الله تعالىٰ إذا لم يكن علىٰ زعمهم الكاذب متكلمًا بطل الوحي، وارتفع الأمر والنهي، وذهبت الملة عن أن تكون سمعية" لأن الملة سمعية، الوحي: الكتاب، السنة، "فلا يكون جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سمع ما بلّغ، ولا الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ ما أنفذ، فيبطل التسليم والسمع والتقليد -يعني الاتباع- ويبقىٰ المعقول الذي به قاموا"، فيقولون: مردُّ ذلك إلىٰ العقل، فالعقل هو الذي يثبت وجود الباري، ويثبت ما يجوز وما لا يجوز في حقه سبحانه، ولذلك قال الجهم: "رأس المحنة نفي الكلام" وكانت أكبر محنة في تاريخ المسلمين في هذا الباب، باب صفات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: محنة خلق القرآن، ولذلك ثبت فيها الإمام أحمد؛ لأنه يعلم أن نفي هذه الصفة عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستلزم إبطال الشرع.

قال: (وَكَذَبَ جَهْمٌ وَأَتْبَاعُهُ فِيمَا نَفَوْا عَنْهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَصَدَقُوا فِيمَا ادَّعَوْا أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَن قَد اجْتَمَعَت فِيه هَذِهِ الصِّفَاتُ، وَقَدِ اجْتَمَعَتْ فِي اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَغمِ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنْ جَزِعُوا مِنْهُ، بِلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَسْمَائِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَقَوْلَهُ، وَوَصْفُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عَلَىٰ رَغْمِ الْجَهْمِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الْوَصْفَ مِنَ اللهِ عَلَىٰ لَوْنَيْنِ: أَمَّا مَا وَصَفَ بِهِ نفسَه فالوَصْفُ والوَاصِفُ غيْرُ مَخْلُوق).

الذي وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه فالوصف غير مخلوق، والواصف الذي هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير مخلوق.

قال: (وَأَمَّا مَا وَصَفَ بِهِ خَلْقَهُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ، وَالْجِنّ وَالْإِنْسِ والأَنْعَام وسائر الخلائق، فَالْوَصْفُ مِنْهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالْمَوْصُوفَاتُ مَخْلوقاتٌ كلُّهَا).

ثم تكلم المصنف بعد ذلك عن إثبات النفس لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

فقال: (وَادَّعَىٰ الْمُعَارِضُ أَيْضًا: أَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِالضَّمِيرِ، وَالضَّمِيرُ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُعَارِضِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ خَبِيثَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ كَلَامِ جَهْمٍ عَارَضَ بِهَا جَهْمٌ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك﴾[المائدة:١١٦]، يَدْفَعُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اللهُ سَبَقَ لَهُ عِلْمٌ فِي نَفْسِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ وَأَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، فَتَلَطَّفَ بِذِكْرِ الضَّمِيرِ لِيَكُونَ أَسْتَرَ لَهُ عِنْدَ الْجُهَّالِ).

وقد كان الجهم ذكيًا، ولم يكن زكيًا، فيأتي بهذه الألفاظ الموهمة ليمرّر بدعته.

ولذلك قال الإمام: (وَهِيَ كَلِمَةٌ خَبِيثَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ كَلَامِ جَهْمٍ عَارَضَ بِهَا جَهْمٌ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك﴾[المائدة:١١٦]).

وهذه اللفظة لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، إثبات الضمير لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي جاء هو إثبات النفس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا بد من الاستفصال فيها.

(فَرِدّ عَلَىٰ جَهْمٍ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُ هَذَا وَقَالُوا لَهُ: كَفَرْتَ بِهَا).

يعني على فرض أننا مرّرنا هذه الصفة، وقلنا: إنك تريد بذلك إثبات النفس، فنفيها يستلزم كفرك من ثلاثة أوجه.

قال له: (كَفَرْتَ بِهَا يَا عَدُوَّ اللهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، وَجْهٍ: أَنَّكَ نَفَيْتَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ الْعِلْمَ السَّابِقَ فِي نَفْسِهِ قَبْلَ حُدُوثِ الْخَلْقِ وَأَعْمَالِهِمْ).

وهذا ثابتٌ في كتاب الله وفي سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَالْوَجْهِ الثَّانِي: أَنَّكَ اسْتَجْهَلْتَ الْمَسِيحَ).

واستجهال الأنبياء كفر.

(أَنَّكَ اسْتَجْهَلْتَ الْمَسِيحَ أَنَّهُ وَصَفَ ربّه تَعَالَىٰ بِمَا لا يُوصَفُ بِأَنَّ لَهُ خَفَايَا عِلْمٍ فِي نَفْسِهِ، إِذْ يَقُولُ لَهُ: ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك﴾).

والأنبياء أعلم الخلق بربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(وَالْوَجْهِ الثَّالِثِ: أَنَّكَ طَعَنْتَ بِهِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ بِهِ مُصَدِّقًا لِعِيسَىٰ، فَأَفْحَمَ جَهْمًا).

فهذا العالم الذي ردّ علىٰ جهم هذه المقالة أفحمه بهذه الأوجه الثلاثة.

قال: (وَقَوْلُ جَهْمٍ: لَا يُوصَفُ اللهُ بِالضَّمِيرِ، يَقُولُ: لَمْ يَعْلَمِ اللهُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ قَبْلَ حُدُوثِهِمْ وَحُدُوثِ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي تَعْطِيلِ النَّفْسِ وَالْعِلْمِ السَّابِقِ، وَالنَّاقِضُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك﴾، فذكر الْمَسِيحُ أَنّ لِلّهِ عِلمًا سابِقًا فِي نَفسِه، يُعلمهُ الله، ولا يعلمه هُوَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه:٤١]، وَقَالَ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَة﴾[الأنعام:١٢]، وقَالَ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَه﴾[آل عمران:٣٠]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»، حَدَّثَنَاه أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ خير مِنْهُم»).

ومثله كذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أشرف حديثٍ لأهل الشام: «يا عبادي، إني حرّمتُ الظلم علىٰ نفسي»، وكذلك ما جاء في ثناء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أنت كما أثنيت علىٰ نفسك».

(فقد أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

يعني في هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي».

قال: (أَنَّ اللهَ يُخْفِي ذِكْرَ الْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ إِذَا أَخْفَىٰ ذِكْرَهُ، وَيُعْلِنُ ذِكْرَهُ إِذَا هُوَ أَعْلَنَ ذِكْرَهُ، فَفَرَّقَ بَيْنَ عِلْمِ الظَّاهِرِ، وَالْبَاطِنِ، وَالْجَهْرِ، وَالْخَفَىٰ، فَإِذَا اجْتَمَعَ قَوْلُ اللهِ وَقَوْلُ الرَّسُولَيْنِ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِما وَسَلَّمَ- فَمَنْ يَكْتَرِثُ لِقَوْلِ جَهْمٍ وَالْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِمَا؟).

فلا عبرة بقول هؤلاء.

المراد بنَفْس الله

قال: (فَنَفْسُ اللهِ هُوَ اللهُ).

نفس الله هو الله، ولذلك نقول: إن المراد بالنفس عند أهل السنة والجماعة: الذات، المراد بالنفس الذات، وهي ثابتةٌ بالكتاب والسنة كما جاء في الآيات والأحاديث، والمراد بالذات: الذات المتصفة بالصفات، فليس المراد بالنفس ذاتًا منفكّةً عن الصفات، وليس المراد بالنفس صفةً للذات، يعني ليست النفس صفة للذات، يعني ليست النفس ذاتًا منفكّةً عن الصفات، وإنما النفس هي الذات بالصفات الثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

حكم الدعاء: اللهم أدخلني في مستقر رحمتك

لذلك قال الإمام: (فَنَفْسُ اللهِ هُوَ اللّه، وَالنَّفْسُ تَجْمَعُ الصِّفَاتِ كُلَّهَا، فَإِذَا نَفَيْتَ النَّفْسَ نَفَيْتَ الصِّفَاتِ، وَإِذَا نفيت الصِّفَات كَانَ لا شيء.

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنا سُفْيَانُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ قَالَ:

«لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْنِي مُسْتَقَرَّ رَحْمَتِكَ، فَإِنَّ مُسْتَقَرَّ رَحْمَتِهِ نفسه»).

وهذا دارج علىٰ ألسنة من يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: جمعني الله وإياك في مستقر رحمته.

قال: (فَقَدْ أَخْبَرَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ فِي نَفْسِهِ).

لكن هذا الدعاء فيه تفصيل في الجواز وعدم الجواز، هذا الأثر الذي جاء عن أبي البختري هو أثرٌ صحيح، قال المحقق: "لم أجده مسندًا عند غير المصنف"، وهذه فائدة الكتب المُسندة، ومحمد بن كثير الذي سمعه الدارمي قال الحافظ ابن حجر: "ثقة، لم يُصِب من ضعّفه، وسفيان هو الثوري، وزيد بن جبير وهو الطائي ثقة، وأبو البختري هو سعيد بن فيروز، وهو ثقةٌ ثبت".

قال المحقق: "وقد أخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد من طريق أبي الحارث الكرماني، قال: "سمعتُ رجلًا قال لأبي الرجاء: أقرأ عليك السلام، وأسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته، فقال: وهل يستطيع أحدٌ ذلك، قال: فما مستقرّ رحمته؟ قال: الجنة، قال: لم تصب، قال: فما مستقر رحمته؟ قال: قلتُ: رب العالمين"، قال العلّامة الألباني: صحيح الإسناد.

وقال كذلك الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا الأثر" يعني أثر أبي الرجاء هذا، قال: "وهذا الأثر يدل علىٰ فضله، وعلمه، ودقة ملاحظته، فإن الجنة لا يمكن أن تكون مستقر رحمته تعالىٰ؛ لأنها صفةٌ من صفاته"، الرحمة صفة "بخلاف الجنة فإنها خلقٌ من خلق الله، وإن كان استقرار المؤمنين فيها إنما هو برحمته تعالىٰ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابيَضَّتْ وُجُوهُهُم فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٧]"، انتهىٰ، من هامش الأدب المفرد.

قال جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مسألة: رجلٌ قال: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، فأنكر عليه شخص، فمن المصيب؟ قال: والجواب: هذا الكلام أنكره بعض العلماء، وردّ

عليه الأئمة" يعني ردّوا علىٰ الإنكار "منهم النووي، وقال: الصواب جواز ذلك، ومستقر الرحمة هو الجنة"، انتهىٰ من الحاوي.

وفي الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي، شيخ الإسلام ابن تيمية البعلي اختار بعض اختياراته الفقهية التي مال إلىٰ ترجيحها وجمعها في كتاب، "قال له رجل، أي: للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جمعنا الله وإياك في مستقر رحمته، فقال أحمد: لا تقل هذا".

قال البعلي: "وكان أبو العباس يميل إلىٰ أنه لا يُكره الدعاء بذلك"، شيخ الإسلام يميل إلىٰ أنه لا يُكره الدعاء بذلك، "ويقول: إن الرحمة هاهنا المراد بها الرحمة المخلوقة، ومستقرّها الجنة، وهو قول طائفةٍ من السلف"، انتهىٰ.

وقال الإمام ابن قيّم الجوزية، الإمام دايمًا ابن القيم يفصّل ويزيد في التوضيح يعني، ويأتي ببيان لعله لا يكون هناك بيان بعده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال ابن القيم بعد كلامٍ له: "وعلىٰ هذا فلا يمتنع الدعاء المشهور بين الناس قديمًا وحديثًا"، فهذا الدعاء مشهور بين الناس، يجري علىٰ ألسنة الناس، "وهو قول الداعي: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك، وذكره البخاري في كتاب الأدب المفرد له عن بعض السلف وحكىٰ فيه الكراهة، قال: إن مستقر رحمته ذاته، وهذا بناءً علىٰ أن الرحمة صفة، وليس مراد الداعي ذلك، بل مراده الرحمة المخلوقة التي هي الجنة، ولكن الذين كرهوا ذلك لهم نظرٌ دقيقٌ جدًا، وهو أنه: إذا كان المراد بالرحمة الجنة نفسها لم يحسن إضافة المستقر إليها" يعني الجنة هي المستقر، فـ اجمعنا في مستقر رحمتك يعني في مستقر المستقر؟ فهذا لا يحسُن في لسان العرب، قال: "ولهذا لا يحسُن أن يقال: اجمعنا في مستقر جنتك، فإن الجنة نفسها هي دار القرار، وهي المُستقر نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿حَسُنَت مُسْتَقَرًّا وَمُقامًا﴾[الفرقان: ٧٦]، فكيف يُضاف المُستقر إليها؟ والمُستقر هو المكان الذي يستقر فيه الشيء، ولا يصح أن يطلب الداعي الجمع في المكان

الذي تستقر فيه الجنة فتأمّله".

قال: "ولهذا قال: مستقر رحمته ذاته" هل سلّم ابن القيم بذلك؟ قال: "والصواب أن هذا لا يمتنع، حتىٰ ولو قال صريحًا: اجمعنا في مستقر جنتك" يعني حتىٰ ولو قال: اجمعنا في مستقر جنتك فهذا كذلك جائز، "لم يمتنع، وذلك أن المُستقر أعم من أن يكون رحمةً أو عذابًا، فإذا أضيف إلىٰ أحد أنواعه أضيف إلىٰ ما يبيّنه ويميّزه عن غيره، كأنه قيل: في المُستقر الذي هو رحمته، لا في المُستقر الآخر، ونظير هذا أن يقال: اجلس في مُستقر المسجد، أي: المُستقر الذي هو المسجد" يعني اجمعنا في مُستقر رحمتك: اجمعنا في المُستقر الذي هو الرحمة، والرحمة هنا مخلوقة التي هي الجنة.

قال: "والإضافة في مثل هذا غير ممتنعة ولا مُستكرَهة، وأيضًا فإن الجنة ولو سُمّيت رحمة لم يمتنع أن يُسمّىٰ ما فيها من أنواع النعيم رحمة، ولا ريب أن مُستقر ذلك النعيم هو الجنة، فالداعي يطلب أن يجمعه الله ومن يحب في المكان الذي تستقر فيه تلك الرحمة المخلوقة في الجنة، وهذا ظاهرٌ جدًا، فلا يمتنع الدعاء بوجهٍ، والله أعلم".

ثم قال: "وهذا بخلاف قول القائل: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، فإن الرحمة هاهنا صفته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهي مُتعلّق الاستغاثة، فإنه لا يُستغاث بمخلوق".

قال: (وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[طه:١٥]، فَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حدّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قَالَ: "من نَفسِي"، فَأَيُّ مُسْلِمٍ سَمِعَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، وَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ أَقَاوِيلِهِمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ وغَوِيٍّ؟ وَلَوْ قَدْ أَظْهَرَ الْمُعَارِضُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ بِبَلَدٍ سِوَىٰ بَلَدِهِ لَظَنَنَّا أَنَّهُ كَانَ يُنْفَىٰ عَنْهَا، وَجَانَبَهُ مِنْ أَهْلِهَا أَهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ.

وَيْحَكَ! إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَرْضَوْا مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ إِذْ أَفْتَىٰ بِخِلَافِ رِوَايَاتٍ رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

أمور ردها العلماء علىٰ أبي حنيفة رحمه الله

يعني هذا في الفقه، ولم يقبلوه من أبي حنيفة الذي هو أبو حنيفة.

قال: (**فِي البيعين بِالْخِيَارِ مالم يَتَفَرَّقَا**).

فهذا ثابتٌ عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك جاء عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ كما جاء في السنة لعبد الله بن أحمد، عن سفيان قال: "كان أبو حنيفة يضرب بحديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمثال، فيردُّها، بلغه أني أحدّث بحديثٍ عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**البيّعان بالخيار ما لم يتفرّقا**»، فقال أبو حنيفة: أرأيتم إن كانا في سفينة كيف يتفرّقان؟ فقال سفيان: هل سمعتم بأشرّ من هذا؟ فلم يقبلوا هذا من أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ.

قال: (**وَفِي الْوُضُوءِ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ**).

هذا ما قبله العلماء كذلك من أبي حنيفة؛ لأن أبا حنيفة جاء كما عند ابن أبي شيبة في المصنف قال: "لا بأس بذلك" يعني لا بأس بالصلاة لمن أكل لحوم الإبل من غير تجديد الوضوء، فلم يقبلوا منه ذلك.

قال: (**وفِي إِشْعَار البُدْن**).

والإشعار أن يشق أحد جنبي البدَنة حتىٰ يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامةً تُعرف بها أنها هدي، وهذا فعله النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نقلت عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فقال أبو حنيفة كما جاء عنه، قال: "هو بدعة"، وقال: "هو حرام؛ لانه تعذيبٌ للحيوان"، والثابت عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلاف ذلك، فلم يقبلوا قول أبي حنيفة.

قال: (**وَفِي إِسْهَامِ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ**).

فجاء عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه جعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهمًا، فجاء في مصنف

ابن أبي شيبة عن أبي حنيفة أنه قال: "سهمٌ للفرس، وسهمٌ لصاحبه"، فلم يقبلوا ذلك من أبي حنيفة.

(وفِي لبس الْمحرم الْخُفَّيْنِ إذَا لَم يَجِدِ النَّعْلَيْنِ).

لم يلتفتوا إلىٰ قول أبي حنيفة؛ لأنه جعل في ذلك فتوىٰ خلاف قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكل هذه الأحاديث.

(وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْأَحَادِيث).

لم يقبلوا كلام أبي حنيفة فيها.

قال: **(حَتَّىٰ نسبوا أَبَا حَنِيفَةَ فِيهَا إِلَىٰ رَدِّ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَاقَضُوهُ فِيهَا، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ فِيهَا الْكُتُبَ)**.

ألّفوا الكتب في الرد علىٰ أبي حنيفة.

(فَكَيْفَ بِمَنْ نَاصَبَ اللهَ فِي صِفَاتِهِ الَّتِي يَنْطِقُ بنصِّها كِتَابُهُ، فَيَنْقُضُهَا عَلَىٰ اللهِ صِفَةً بَعْدَ صِفَةٍ، وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ بِعَمَايَاتٍ مِنَ الْحُجَجِ وَخُرَافَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ خِلَافَ مَا عَنَىٰ اللهُ، وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْهَا الرِّوَايَاتُ، وَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْهَا عَنِ الْعلمَاء الثِّقَات بَلْ كُلُّهَا ضَحِكٌ وَخُرَافَاتٌ؟ فَإِنْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ اسْتَحَقَّ بِمَا أَفْتَىٰ مِنْ خِلَافِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ أَنْ يُنْسَبَ إِلَىٰ رَدِّ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْقَقْتُمْ أَنْتُمْ أَنْ تُنْسَبُوا إِلَىٰ رَدِّ مَا أَنْزَلَ اللهُ، بَلْ أَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِالرَّدِّ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّ أَبَا حَنِيفَة قَدْ وَافَقَهُ عَلَىٰ بَعْضِ فُتْيَاهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، وَلَمْ يُتَابِعْكُمْ عَلَىٰ مَذَاهِبِكُمْ إِلَّا السُّفَهَاءُ وَأَهْلُ الْبِدَعِ والهواء، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ فِيمَا أَفْتَىٰ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ كَفَرَ كَمَنْ أَخْطَأَ).

فالذي يخالف حديث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفقه هذا مخطئ، لكن الذي يصنع ما صنع



هؤلاء فيما يتعلق بجانب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته هذا يكفر -عياذًا بالله-.

فقال: (لِأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ كَفَرَ كَمَنْ أَخْطأَ، وَلَا هُمَا فِي الْإِثْمِ والعار سَوَاء).

(وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ هَذِهِ الْمَجَازَاتِ الَّتِي أَحْدَثْتُمُوهَا دُلْسَةً وَأُغْلُوطَةً عَلَىٰ الْجُهَّالِ، تَنْفُونَ بِهَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ حَقَائِقَ الصِّفَاتِ بِعِلَلِ الْمَجَازَاتِ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: لَا يُحْكَمُ لِلْأَغْرَبِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ الْأَغْلَب).

هذه قاعدة عظيمة في فهم معهود استعمال القرآن: (لَا يُحْكَمُ لِلْأَغْرَبِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَىٰ الْأَغْلَب، وَلَكِن نُصرّف مَعَانِيهَا إِلَىٰ الْأَغْلَبِ حَتَّىٰ تَأْتُوا بِبُرْهَانٍ أَنَّهُ عَنَىٰ بِهَا الْأَغْرَب).

فلا يُحمل ما جاء في القرآن والسنة علىٰ المهجور، وإنما يُحمل علىٰ المشهور من كلام العرب.

قال: (وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي إِلَىٰ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ أقرب، لَا أَن تُعْتَرَضَ صِفَاتُ اللهِ الْمَعْرُوفَةَ الْمَقْبُولَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَرِ فَتُصْرَفُ مَعَانِيهَا بِعِلَّةِ الْمَجَازَاتِ إِلَىٰ مَا هُوَ أَنْكَرُ، وَتُرَدُّ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِدَاحِضِ الْحجَج وبالتي هُوَ أَعْوَجُ، وَكَذَلِكَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَجَمِيعُ أَلْفَاظِ الرِّوَايَاتِ تُصْرَفُ مَعَانِيهَا إِلَىٰ الْعُمُومِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ مُتَأَوِّلٌ بِبُرْهَانٍ بَيِّنٍ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهَا الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:٩٥]، فَأَثْبَتُهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ: أعمُه وأشدُّه اسْتِفَاضَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، فَمَنْ أَدْخَلَ مِنْهَا الْخَاصَّ عَلَىٰ الْعَامِّ).

يريد بذلك: أدخل المغمور غير المشهور علىٰ المعروف المستفيض من كلام العرب، الخاص يريد به المغمور، والعام يريد به المعروف المنتشر بين العرب.

(كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ فِيهَا غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمُرَادُ جَهْمٍ مِن قَوْلِهِ "لَا يُوصَفُ اللهُ بِضَمِيرٍ" يَقُولُ: لَا يُوصَفُ اللهُ بِسَابِقِ عِلْمٍ فِي نَفْسِه، وَاللهُ مُكَذِّبُهُ بِذَلِك ثُمَّ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ: «سَبَقَ عِلْمُ اللهِ فِي خَلْقِهِ،

فهم صائرون إِلَىٰ ذَلِك».

حَدَّثَنَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنْ عبدِ العَزِيزِ بن أَبِي حازم، عَنِ العَلَاءِ بنِ عَبْد الرّحمَنِ الحُرَقِي، عَنْ أَبِيه عَن أَبِي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحَدَّثَنَاه نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، حدّثَنا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جفَّ الْقَلَمُ عَلَىٰ علم الله».

وَحَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حدّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرنَا رَبَاحُ بْنُ زيد، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بزَّة، عَنْ سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ»، فَهَلْ جَرَىٰ الْقَلَمُ إِلَّا بِسَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِي نَفْسِهِ قَبْلَ حُدُوثِ الْخَلْقِ وَأَعْمَالِهِمْ؟ وَاللهِ مَا دَرَىٰ الْقَلَمُ بِمَاذا يَجْرِي حَتَّىٰ أَجْرَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِعِلْمِهِ).

ولذلك القلم قال: ما أكتب، فأخبره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يكتب، بما هو من سابق علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وعلَّمه مَا يَكْتُبُ مِمَّا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»).

وهذا حديثٌ صحيح.

قال: (فَهَلْ كَتَبَ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا عَلِمَ؟ فَمَا مَوْضِعُ كِتَابِهِ هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمَهُ فِي دَعْوَاهُمْ؟

حَدَّثَنَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحِ الْمَصْرِيُّ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي هَانِئٍ حُمَيْدِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِّيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُول: «كتب الله مقادير كل شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِيمَانِ بِسَابِقِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ كَثِيرة، يَطُولُ إِن ذَكرنَاهَا، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا يُبْطِلُ دَعْوَىٰ جَهْمٍ فِي أُغْلُوطَاتِهِ الَّتِي تَوَهَّمَ عَلَىٰ اللهِ فِي الضَّمِير).

وطبعًا مسألة أيهما خُلق أولًا: العرش، أم القلم، أم الماء، هذه تكلمنا فيها قبل ذلك، وذكرنا أن الراجح والذي عليه الجمهور أن العرش هو أول المخلوقات.

هذا نقل أخير عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يستشهد فيه بكل كلام عثمان بن سعيد الدارمي هذا الذي سبق، فقال رَحِمَهُ اللهُ: "فهذا الكلام من عثمان بن سعيد يبيّن أن مسمّىٰ النفس عند السلف هو الذات، كما قال: "فنفس الله هو الله" ده كلام الدارمي، "والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وكذلك قوله: فأخبر أبو البختري أن رحمة الله في نفسه؛ لأن الصفة قائمةٌ بالموصوف، فهذا ونحوه يبيّن مرادهم، وأنهم قصدوا ردّ ما أنكرته الجهمية من ذكر إثبات مسمّىٰ النفس لله، وقيام العلم بها، كما يُذكر عن ثمامة بن أشرس النُميري" وهو أحد أكابر المعتزلة "أنه قال: ثلاثة من الأنبياء مشبّهة: موسىٰ حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسىٰ حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦]، ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا كل ليلة»".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبذلك يتبيّن ما ذكره عثمان بن سعيد حيث قال: "حتىٰ ادّعىٰ جهمٌ أن رأس محنته ردّ الكلام"، ثم ذكر سائر كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا فهم ما جاء في هذا الكتاب، واعتقاد ما فيه، والعمل به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

آيات الصفات من النص وليس الظاهر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب صفة الحب، والبغض، والغضب، والرضا، والفرح، والكُره، والعجَب، والسُخْط، والإرادة، والمشيئة).

قال: (ثُمَّ عَارَضَ الْمُعَارِضُ أَيْضًا أَشْيَاءَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، الَّتِي هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَنَازَعَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا لِيُغَالِطَ النَّاسَ فِي تَفْسِيرِهَا، فذكَر مِنْهَا: الْحُبَّ وَالْبُغْضَ، وَالْغَضَبَ، وَالرِّضَىٰ وَالْفَرَحَ، وَالْكُرْهَ، وَالْعَجَبَ).

عندي مضبوطة، والعُجب وهي: والعَجَب.

(وَالسُّخْطَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْمَشِيئَةَ، ليدْخل عَلَيْهَا مِنَ الْأُغْلُوطَاتِ مَا أَدْخَلَ عَلَىٰ غَيْرِهَا مِمَّا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ، غير أنه قَدْ أَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا بَعْدَمَا خَلَطَهَا بِتِلْكَ، فَحِينَ أَمْسَكَ الْمُعَارِضُ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا أَمْسَكْنَا عَنْ جَوَابِهِ، وَرَوَيْنَا مَا رُوِيَ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ أُغْلُوطَاتِهِ، فَإِلَىٰ اللهِ نَشْكُو قَوْمًا هَذَا رَأْيُهُمْ فِي خَالِقِنَا وَمَذْهَبُهُمْ فِي إِلَهِنَا، مَعَ أَنَّهُ -عز وَجْهُهُ وَجَلَّ ذِكْرُهُ- قَدْ حَقَّقَهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفِيَهَا عَنْهُ الْمُبْطِلُونَ، وَكَذَّبَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدَّعُوهُ، وَعَابَهُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْكُوهُ، ثُمَّ رَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ وَصَفِيُّهُ الْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْنَيْنَا فِيهِ بِمَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْهَا وَسَطَّرَ، وَسَنَّ رَسُولُهُ الْمُصْطَفَىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَ، وَرَدَّدَ مِنْ ذِكْرِهَا وَكَرَّرَ).

هذه الصفات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذكر أن المعارض عارضها بتعطيل أو تحريف هي من صفات الله -تبارك وتعالىٰ- الفعلية وقد مضىٰ الكلام في هذا الباب من الصفات، فالمعطّلة كل المعطّلة بلا استثناء ما عدا أهل السنة ينكرون قيام الصفات الفعلية بربنا -تبارك وتعالىٰ- وبذات الله -تبارك وتعالىٰ- لأنهم يزعمون أن إثباتها يستلزم إثبات قيام الحوادث به، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ولذلك هذه الصفات التي ذكرت

ترادف الإرادة عند هؤلاء، فالحب مثلًا والرضا، والفرح إرادة الثواب، والبغض، والغضب، والكره، والسخط إرادة العذاب والانتقام، لا يثبتون هذه الصفات لربنا -تبارك وتعالىٰ- مع أن ذكرها قد كثر في الكتاب والسنة ولم يأت في موضع واحد أن الله -تبارك وتعالىٰ- ذكر أن معناها أنه يرضىٰ عن عباده، أو أنه يثيبهم، أو أنه يغضب عليهم بل فرّق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين غضبه وانتقامه وكرهه كل ذلك في مواضع من كتابه.

قال: (**فَمَنْ يَكْتَرِثُ لِضَلَالَاتِهِمْ بَعْدَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾[الصف:٤]).

والشاهد: أن الله عَزَّوَجَلَّ أثبت لنفسه حبًا في هذه الآية فنثبته كما جاء في الكتاب.

قال: (**أَمْ قَوْلِهِ تعالىٰ:** ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين﴾[البقرة: ٢٢٢]، **أَمْ قَوْلِهِ تعالىٰ:** ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾[المائدة٥٤]، **فَجَمَعَ بَيْنَ الْحُبَّيْنِ**).

أي: في هذه الآية الأخيرة جمع بين الحبين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾.

(**بين حُبِّ الْخَالِقِ وَحُبِّ الْمَخْلُوقِ، مُتَقَارِنَيْنِ**).

فهو يحِب ويحَب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهم يقولون: إنه يحَب لكنه لا يحِب وإنما يريد الثواب، يريد الجزاء لا يثبتون صفة المحبة لله -تبارك وتعالىٰ-.

(**ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَ مَا يُحِبُّ وَمَا لَا يُحِبُّ، لِيَعْلَمَ خَلْقُهُ أَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ غَيْرُ مُتَّفِقَيْنِ، فَقَالَ تعالىٰ:** ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء:١٤٨]، **وَ قال:** ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين﴾ [الأنعام:١٤١]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٨٠]، **ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَ سَخَطِهِ وَإِسْخَاطِ الْعِبَادِ إِيَّاهُ، فَقَالَ:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَه﴾[محمد:٢٨]، **وَقَالَ:** ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾[الفتح: ٦]، **ثُمَّ ذَكَرَ إِغْضَابَ الْخَلْقِ إِيَّاهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُم﴾[الأحزاب:٥٥]، **يَقُولُ:**

أَغْضَبُونَا، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَغضَب ويُغضَب).

وفرّق في هذه الآية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين غضبه وانتقامه، وهم يفسرون الغضب بإرادة الانتقام، (يَقُولُ: أَغْضَبُونَا).

(فذكر أنّه يَغضَب ويُغضَب)، نعم عندي ويغضِب.

(وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه﴾[المائدة:١١٩]، قال: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُم﴾[التوبة:٤٦]، فَهَذا النّاطِقُ مِنْ كِتابِ اللّهِ يُسْتَغنَىٰ فِيه بِظَاهِرِ التَنْزيلِ عَن التَفْسِير).

أي: أن هذا هو ظاهر القرآن، بل إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن مثل هذه الآيات هي من النص وليست من الظاهر؛ لأن الظاهر ما يحتمل معنيين هو في أحدهما أرجح من الآخر، فمعنىٰ ذلك أنه ربما جاء في موضع التأويل الذي يريده هؤلاء، لكن هل جاء هذا التأويل في موضعٍ من المواضع؟ ما جاء في موضعٍ من المواضع.

فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن آيات الصفات من النص، وليست من الظاهر الذي يحتمل معنيين هو في أحدهما أرجح من الآخر وذلك بسبب اطّراد الاستعمال الوارد في كتاب الله.

قال: (فَهَذَا النَّاطِقُ مِنْ كِتَابِ اللهِ يُسْتَغْنَىٰ فِيهِ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَنِ التَّفْسِيرِ، وَتَعرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ فِي آيَاتِ اللهِ الَّذِينَ غَالَطُوا فِيهَا الضُّعفَاءَ، فَقَالُوا: نُقِرُّ بِهَا كُلِّهَا؛ لِأَنَّهَا مَذْكُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا، غَيْرَ أَنَّا لَا نَقُولُ: يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ وَيَغْضَبُ وَيَسْخَطُ وَيَكْرَهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَا هَذِهِ الصِّفَاتُ مِنْ ذَاتِهِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا، وَلَكِنْ تَفْسِيرُ حُبِّهِ وَرِضَاهُ بِزَعْمِهِمْ: مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ وَالْخِصْبِ وَالدَّعَةِ، وَغَضَبُهُ وَسَخَطُهُ بِزَعْمِهِمْ: مَا يَقَعُونَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْهَلَكَةِ وَالضِّيقِ وَالشِّدَّةِ، فَإِنَّمَا آيَةُ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ وَسَخَطِهِ عِنْدَهُمْ مَا يَتَقَلَّبُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا، لَا أَنَّ اللهَ يحب وَيبغض ويرضىٰ

وَيَسْخَطُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فِي نَفْسِهِ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُكَذِّبِينَ بِصِفَاتِ اللهِ: مَا رَأَيْنَا دَعْوَىٰ أَبْطَلَ وَلَا أَبْعَدَ مِنْ صَحِيحِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنْ دَعْوَاكُمْ هَذِهِ، فَفِي دَعْوَاكُمْ: إِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُؤْمِنُون مِنْ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَسَائِرِ أَوْلِيَائِهِ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ وَعوزٍ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَب، وَفِي خَوْفٍ وَبَلَاءٍ، كَانُوا فِي دَعْوَاكُمْ فِي سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ وعقاب).

ولا شك أن البلاء يصيب أي أحد، فإذا أصاب البلاء بعض الصحابة والصالحين وعلىٰ رأس الصالحين الأنبياء والمرسلون فهذا علىٰ مقتضىٰ قولهم: غضب من الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هؤلاء، وعلىٰ الجانب الآخر:

(وإذا كان الْكَافِرُ فِي خِصْبٍ وَدَعَةٍ وَأَمْنٍ وعافية، وَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ مِنْ مَأْكَلِ الْحَرَام وَشرب الخمور كان فِي رضىٰ مِنَ اللهِ وَفِي مَحَبَّةٍ، مَا رَأَيْنَا تَأْوِيلًا أَبْعَدَ مِنَ الْحَقِّ مِنْ تَأْوِيلِكُمْ هَذَا!

وَبَلَغَنَا أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الْمَرِيسِيِّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْأَسَانِيدِ الْجِيَادِ الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَيْنَا فِي رَدِّ مَذَاهِبِنَا، مِمَّا لَا يُمْكِنُ التَّكْذِيبُ بِهَا؟ مِثْلَ: سُفْيَان عَنْ مَنْصُور عَن الزُّهْرِي، وَالزهْرِيّ

عَنْ سَالِمٍ، وَأَيُّوبَ وَابْنُ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا أَشْبَهَهَا؟، قَالَ: فَقَالَ الْمَرِيسِيُّ: لَا تَرُدُّوهُ فَتُفْتَضَحُوا، وَلَكِنْ غَالِطُوهُمْ بِالتَّأْوِيلِ فتكُونُوا قَد رددْتُمُوها بِلُطْف؛ إِذ لم يُمْكِنْكُمْ رَدُّهَا بِعُنْفٍ، كَمَا فَعَلَ هَذَا الْمُعَارِضُ سَوَاءً).

يعني لا تردوا هذه الأسانيد ولكن قولوا نقبل هذه الأحاديث وهي ثابتة عن النبي ﷺ لكن تأويلها غير ما أردتم فتأويلها كذا وكذا وكذا، كما ذكر عنهم هاهنا في

آيات القرآن، يقولون: نقر بها كلها لأنها مذكورةٌ في القرآن لا يمكن دفعها غير أنّا لا نقول: يحب ويرضىٰ ويغضب، ولكن معنىٰ هذه الصفات كذا وكذا من تأويلاتهم، وهكذا قال المريسي.

قال: (وَسَنَقُصُّ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا رُوِيَ فِي هَذِهِ الْأَبْوَاب من الْحبّ وَالْبُغْضِ وَالسَّخَطِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَمَا أَشْبَهَهُ).

ثم قال الإمام: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الْعَبْدِيُّ، أَخْبَرَنَا هَمّامٌ، عَنْ قَتَادَة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عبادَة بن الصَّامِت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، قال: فَذَكَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الكَرَاهِيَتَيْن مَعًا مِنَ الْخَالِقِ والمَخْلُوق.

وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حدثنَا يَحْيَىٰ -وَهُوَ الْقَطَّانُ- عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَة، قال: حَدثنِي عَامِر الشّعبِي، حَدَّثَنِي شُرَيْحُ بْنُ هَانِئٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، قال: وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللهِ».

وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، قال: أخبرنا خَالِد -وهو ابن عَبْدِ اللهِ- عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جبريل، ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قال: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»).

وهو حديث صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَحَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أخبرنا سُفْيَانُ قَالَ: «مَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا فَأَبْغَضَهُ، وَمَا أَبْغَضَ عَبْدًا فَأَحَبَّهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ وَهُوَ عبْدُ اللّه»).

أي: في علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أي: أنه يكون بعد ذلك من أهل الإيمان لا من عُبّاد الأوثان.

قال: (حَدَّثَنَا مُسَدَّد حدثنا يَحْيَىٰ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللّه الألَدُّ الْخَصِم»).

وهذا أخرجه البخاري.

وقال: (حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ نَافِعٍ الرَّمْلِيّ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ الْجُمَحِيِّ، عَن بشر ابْن عَاصِمٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِيه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كما تَخَلَّلَ الْبَاقِرةِ بألسنتها»).

وهو حديث حسن.

قال: (وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ ثَنَا معَاذ بن هِشَام حَدثنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدُنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سيّدكُم فقَد أَسْخَطْتُم ربَّكُم»).

وإسناده منقطع.

قال: (حَدثنَا مُحَمَّد بن كَثِير، أَخْبرَنا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عبد الله بن عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَهْجُرَ مَا كره رَبك»).

وهذا حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثنَا حَمَّاد -وَهُوَ ابْن سَلمَة- أخبرنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْن»).

وهذا فيه: إثبات صفة العجَب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهناك قراءة: ﴿بَل عَجِبتُ وَيَسخَرونَ﴾ [الصافات: ١٢]، القراءة عندنا: ﴿بَل عَجِبتَ وَيَسخَرونَ﴾ [الصافات: ١٢]، وأما علىٰ القراءة الأخرىٰ ففيها إثبات صفة العجب لله -تبارك وتعالىٰ-.

(فقال: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْن: رَجُلٍ قَامَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِهِ وَأَهْلِهِ إِلَىٰ صَلَاتِهِ، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَانْهَزَمَ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْفِرَارِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمه»).

يعني أبىٰ أن يفر فرجع فقاتل حتىٰ قُتل وهو حديث صحيح ثابتٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجه الحاكم وصححه الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدَائِنِيُّ، حدثنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَوْمٍ جِيءَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ»).

وهو حديث صحيح كذلك أخرجه البخاري.

قال: (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حدثنَا يَحْيَىٰ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدثنِي أَبُو إِسْحَاق، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّهُ كَانَ رِدْفَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَعْجَبُ الرَّبُّ -أَوْ قَالَ: رَبُّنَا- إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»).

وهو حديثٌ صحيحٌ كذلك بمجموع طرقه وفيه إثبات العجَب لله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ

الوجه اللائق به.

قال: (وَحَدَّثَنَا الطَّيَالِسِيُّ أَبُو الْوَلِيدِ، حدّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ، حَدَّثَنِي إِيَادٌ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَطَلَبَهَا حَتَّىٰ شقَّ عَلَيْهِ، فَمَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ، فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا بِهِ فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟ قَالَ الصَّحابَةُ: قُلْنَا: شَدِيدُ الفَرَح»).

أي: هو شديد الفرح.

(يَا رَسُولَ اللهِ، فقَالَ النّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا الرّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»).

والحديث أصله في الصحيح، وهو ثابتٌ عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وحَدَّثَنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَىٰ، حدّثَنَا قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْقُطُ عَلَىٰ بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فلاة».

وَحَدَّثَنِي يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، حدّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلرب تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ كَانَ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَعَهُ رَاحَلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَالُهُ، فَتَوَسَّدَ رَاحِلَتَهُ فغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَنَامَ، ثمَّ قَامَ وَالرَّاحِلَةُ قَدْ ذَهَبَتْ، فَصَعَدَ شَرَفًا فَلم يرَ شَيْئًا، ثمَّ هَبط فَنَظر»).

الشرف: هو المكان المرتفع، صعده فلم ير راحلته.

(ثمَّ هَبَط فَنَظر فَلم يرَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: لَأَعُودَنَّ إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي نِمْتُ فِيهِ حَتَّىٰ أَمُوتَ، قَالَ:

فَعادَ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَالرَّاحِلَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ صَاحِبِ الرَّاحِلَةِ بِهَا حِينَ وجدهَا».

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي سعيد ابْن أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقُول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يتَوضَّأ أَحَدٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاة فِيهِ إِلَّا تبَشْبَشَ اللهُ بِهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بطلعته»).

قال: (وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بنُ سَعْد، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نُوحًا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ: اثْنَتَانِ أُوصِيكَ بِهِمَ،؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ اللهَ يَسْتَبْشِرُ بِهِمَا وَصَالِحَ خَلْقِهِ، وَرَأَيْتُهُمَا يُكْثِرَانِ الْوُلُوجَ عَلَىٰ اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، وَقَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ أَنْهَاكَ عَنْهُمَا فَإِنِّي رَأَيْتُ اللهَ يَكْرَهُهُمَا وَصَالِحَ خَلْقِهِ: الْكِبْرُ وَالشِّرْكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَمِنَ الْكِبْرِ أَنْ أَلْبَسَ الْحُلَّةَ الْحَسَنَةَ؟ فقَالَ النَّبي ﷺ: لَا، إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»).

وهذا حديثٌ صحيح، وما أجمله من حديث، يصلح خطبة.

قال: (وَفِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرْنَا، لَمْ نَأْتِ بِهَا مَخَافَةَ التَّطْوِيلِ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا دِلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَىٰ مَا دَلَّسَ هَذَا الْمُعَارِضُ عَنْ زُعَمَائِهِ الَّذِينَ كَنَىٰ عَنْهُمْ مِنَ الْكَلَامِ الْمُمَوَّهِ الْمُغَطَّىٰ، وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّهُ يَسْتَخْفِي حَتَّىٰ لَا يُفْطَن لِمَعْنَاهُ وَلَا يُدْرَىٰ، وَنَحْنُ نَكْتَفِي مِنْهُ بِالْيَسِيرِ الْأَدْنَىٰ، حَتَّىٰ نقَع عَلَىٰ الْفَرْحَةِ الْكُبْرَىٰ، فَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْمُعَارِضُ يُلَجْلِجُ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ فِي صَدْرِهِ حَتَّىٰ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ الْغِطَاءَ، وَطَرَحَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ، فَصَرَّحَ وَأَفْصَحَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَأَنَّ من قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ كَافِرٌ فِي دَعْوَاهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ لِمَتَأَوِّلٍ عَلَيْهِ مَوْضِعَ تَأْوِيلٍ، وَلَا

لِمُسْتَنْبِطٍ عَلَيْهِ مَوْضِعَ اسْتِنْبَاطٍ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَافِرًا عِنْدَهُ، فَالَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُؤْمِنٌ مُوَفَّقٌ رَاشِدٌ، تَابِعٌ لِلْحَقِّ عِنْدَه.

فَحِينَ كَشَفَ عَنْهُ لِلنَّاسِ إِرَادَتَهُ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِهَا عِبَارَتُهُ، سُقِطَ فِي يَدِهِ وَكُسِرَ فِي دِرْعِهِ، فَادَّعَىٰ أَنَّهُ قَصَدَ بِالْإِكْفَارِ إِلَىٰ مَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ ذَلِكَ بِفَمٍ وَلِسَانٍ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ).

فلمَّا افتُضح وبان أمره للناس قال: أنا قصدت بالإكفار صورةً معيّنة، ما هذه الصورة؟ الذي يقول: إن الله يتكلم بفمٍ ولسان، ونحن نقول: إن الله يتكلم بصوتٍ وحرف، ولا نثبت الفم واللسان، ولا ننفي ذلك، وإنما نمسِك عن ذلك، نثبت ما أثبته الله لنفسه، ونسكت عمّا تركه الله -تبارك وتعالىٰ- ولم يثبته لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو سكت عنه.

فقال: (يُسْأَلُونَ عَنِ الْكَلَامِ، فَإِنِ ادَّعوا فَمًا وَلِسَانًا فَهُوَ كفر لَا شَكَّ فِيهِ، وَإِنْ أَمْسَكُوا عَنِ الْجَوَابِ فِيهِ كَانُوا بِإِمْسَاكِهِمْ أَن يدّعوا فَمًا وَلِسَانًا جهْلٌ لَا يُعْذَرُونَ بِهِ).

فالذي لا يقول: يتكلم بفمٍ ولسان، وإنما يقول: يتكلم فقط، هذا كذلك غير معذورٍ عند هذا المعارض، فالمعارض يرىٰ أن القول بكلام الله الذي هو صفته يلزم منه ولا بد أن تثبت الفم واللسان، والذي يثبت ذلك صراحةً كافر، طيب، والذي يُمسِك عن ذلك ولا يصرّح؟ هو كافرٌ كذلك وغير معذورٍ بهذا الإمساك.

قال: (فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُحْتَجِّ بِهذَا الْمُحَالِ مِنَ الضَّلَالِ: قَد تَفَلَّتَتْ مِنْكَ الْكَلِمَةُ بِلَا تَفْسِيرٍ وَلَا بِحَضْرَةِ مَنْ تَدَّعِي عَلَيْهِ فَمًا وَلِسَانًا، أَوَ تَقْدِرُ أَنْ تُشِيرَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنَّهُ يَتَوَهَّمُ ذَلِكَ؟).

فلا نجد أحدًا من الخلق يقول: إن الله يتكلم بفمٍ ولسان.

(فَتَعَلُّقُكَ بِهَذَا التَّفْسِيرِ الْيَوْمَ مِنْكَ مُوَارَبَةٌ وَاعْتِذَارًا مِنْكَ إِلَىٰ الْجُهَّالِ كَيْلَا يَفْطَنُوا لِمُرَادِكَ مِنْهَا، وَلَئِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِي غَلَطٍ مِنْ مُرَادِكَ إِنَّا مِنْهُ لَعَلَىٰ يَقِينٍ، وَلَئِنْ جَازَ لَكَ هَذَا التَّأْوِيلُ

إذًا يَجُوزُ لِكُلِّ زِنْدِيقٍ وَجَهْمِيٍّ أَنْ يَقُولَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَإِذَا وُبِّخَ، وَوُقِّفَ عَلَىٰ دَعْوَاهُ قَالَ: إِنَّمَا قَصَدْتُ بِالْكُفْرِ قَصْدَ مَنْ يَدَّعِي بِهِ فَمًا وَلِسَانًا، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُشِيرَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَنَّهُ قَالَهُ).

يعني كأن الإمام يريد أن يقول: إن الصورة التي تموّه بها علىٰ الخلق غير موجودةٍ بين الخلق، فأنت ما أردت هذه الصورة.

قال: (فَلَمْ يَنَلِ الْمُعَارِضُ عِنْدَ النَّاسِ بِاعْتِذَارِهِ عُذْرًا، بَلْ حَقَّقَ بِمَا فسَّر، وَأَكَّدَ مِنْ ذَلِك أَنَّهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: يُسْأَلُ من قَالَ: كَلَام الله غير مخلوق، فَإِنِ ادَّعَوْا فَمًا وَلِسَانًا لَقَدْ كَفَرُوا، وَإِنْ أَمْسَكُوا عَنِ الْجَوَابِ فَقَدْ جَهِلُوا، وَلَمْ يُعْذَرُوا، لِمَا أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ فِي دَعْوَاهُ لَا يَحْتَمِلُ مَعْنًىٰ إِلَّا بِفَمٍ وَلِسَانٍ، وَخُرُوجٍ مِنْ جَوْفٍ، وَمَنْ لَمْ يَفْقَهْ ذَلِكَ فَهُوَ عِنْدَ الْمُعَارِضِ جَاهِلٌ).

فهذه هي الكلية التي أدرج تحتها كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإن أثبت كلامًا علىٰ هذه الصورة شبَّهت ومثَّلت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه.

قال: (فَإِنْ كَانَ كَمَا ادَّعَىٰ فَقَدْ حَقَّقَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ، لَمْ يَخْرُجْ بِزَعْمِهِ إِلَّا مِنَ الْأَجْوَافِ وَالْأَلْسُنِ وَالْأَفْوَاهِ الْمَخْلُوقَةِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ وَتَكَبَّرَ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ خَيْرِ الْبَشَرِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا- عَدَدَ مَنْ مَضَىٰ وَغَبَرَ، وَعَدَدَ التُّرَابِ وَالرَّمْلِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ.

ثُمَّ قفىٰ الْمعَارض بِكِتَاب آخر كالمعتذر لِمَا سَلَفَ مِنْهُ، مُصَدِّقًا لِبَعْضِ مَا سَبَقَ مِنْ ضَلَالَاتِهِ، مُكَذِّبًا لِبَعْضٍ، يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ عِنْدَ الرِّعَاعِ لِنَفْسِهِ فِي زَلَّاتِهِ وَسَقَطَاتِهِ عُذْرًا، فَلَمْ ينلْ بِهِ عُذْرًا؛ بَلْ أَقَامَ عَلَىٰ نَفْسِهِ حُجَّةً بَعْدَ حُجَّةٍ، وَكَانَتْ حُجَّتُهُ الَّتِي احتجَّ بِهَا فِي كِتَابِهِ أَعْظَمَ من جُرمه، وهكذا الْبَاطِل، مَا ازْدَادَ الْمَرْء له احْتِجَاجًا إِلَّا ازْدَادَ اعْوِجَاجًا، وَلِمَا خَفِيَ مِنْ ضَمَائِرِهِ

إِخْرَاجًا).

يعني كلما احتج المبتدع لبدعته وضلالته، انغمس في هذه البدعة وفي هذا الضلال، وازداد انحرافًا عن السنة ومنهاج النبي ﷺ وخرج ما يُكنه في ضميره، يُفضَح، ويظهر أمره بين الناس، كلما أراد أن يحتج علىٰ باطنه ذل، وبان انحرافه.

قال: (فَادَّعَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ يَعْنِي أَنَّهُ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ اللهِ فَهُوَ مُصِيبٌ).

قال: (فَادَّعَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِع)، الذي يقول: القرآن مخلوق.

(وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ يَعْنِي أَنَّهُ اللهُ)، أي: أن القرآن هو الله.

قال: (فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ غَيْرُ اللهِ فَهُوَ مُصِيبٌ).

قال: (ثُمَّ إِنْ قَالَ بَعْدَ إِصَابَتِهِ إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ جَاهِلٌ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ جِسْمٍ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ جُزْءٌ مِنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ).

وأنتم ترون هذه الألفاظ ألفاظ مُحدثة، ما جاءت في الكتاب ولا في السنة.

قَالَ: (وَالْكَلَامُ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْقَوْلُ غَيْرُ الْقَائِلِ، وَالْقُرْآنُ وَالْمَقْرُوءُ وَالْقَارِئُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَهُ مَعْنًىٰ.

فَيُقال لِهَذَا الْمُعَارِضِ: مَا أَثبتَّ بِكَلَامِكَ هَذَا الْأَخِيرِ عُذْرًا، وَلَا أَحْدَثْتَ مِنْ ضَلَالَتِكَ بِهِ تَوْبَةً، بَلْ حَقَّقْتَ وَأَكَّدْتَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِتَمْوِيهٍ، وَتَدْلِيسٍ، وَتَخْلِيطٍ مِنْكَ وَتَلْبِيسٍ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ مَوَّهْتَ عَلَىٰ مَنْ لَا يَعْقِلُ بَعْضَ التَّمْوِيهِ فَسَنَرُدُّهُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ إِلَىٰ تَنْبِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: الْكَلَامُ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ، وَالْقَوْلُ غَيْرُ الْقَائِلِ، فَإِنَّهُ لَا يشك عَرَبِيّ ولا عجمي أَنَّ الْقَوْلَ وَالْكَلَامَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْقَائِلِ يخرج من ذواتهم سواء.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنُ غَيْرُ اللهِ فَقَدْ أَصَابَ، فَهَذَا مِنْكَ تَأْكِيدٌ وَتَحْقِيقٌ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ اللهِ فِي دَعْوَاكَ وَدَعْوَانَا مَخْلُوقٌ).

ولذلك لما سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المناظرة: هل الكلام هو الله أم هو غيره؟ فأبىٰ أحمد أن يقول: الكلام هو الله أو أن يقول: الكلام غير الله؛ لأن الكلام وغير الكلام من الصفات لو قيل: هو غير الله فدل ذلك علىٰ المفارقة والانفصال، وأن الصفات مخلوقة، ومنها الكلام، وليست لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفًا، ولا يقال كذلك: إن الكلام هو الله؛ لأن الكلام ليس هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا معروف، فلا يقال: الكلام هو الله ولا غيره، بل يقال: هو صفته التي لا تنفك عن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد كان بكلامه وعلمه وسائر صفاته سبحانه.

فهنا قال: (وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنُ غَيْرُ اللهِ فَقَدْ أَصَابَ، فَهَذَا مِنْكَ تَأْكِيدٌ وَتَحْقِيقٌ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ اللهِ فِي دَعْوَاكَ وَدَعْوَانَا مَخْلُوقٌ، ثُمَّ أَكَّدْتَ أَيْضًا فَقُلْتَ: مَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَقَدْ جَهِلَ، وَقُلْتَ مَرَّةً: فَقَدْ كَفَرَ، فَأَيُّ تَوْكِيدٍ أَوْكَدُ فِي الْمَخْلُوقِ مِنْ هَذَا؟ ثُمَّ رَاوَغْتَ فَقُلْتَ فِي بَعْضِ كَلَامِكَ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، تَمْوِيهًا مِنْكَ وَتَدْلِيسًا عَلَىٰ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ عِنْدَكَ جَاهِلًا كَافِرًا، كَانَ مَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ عِنْدَكَ عَالِمًا مُؤْمِنًا، فَقَوْلُكَ مُبْتَدَعٌ لَا يَنْقَاسُ لَكَ فِي مَذْهَبِكَ، غَيْرَ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُرْضِيَ بِهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَغْمَارِ.

وَأَمَّا قَوْلُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ جِسْمٍ فَهُوَ كَافِرٌ، فَلَيْسَ يُقَالُ كَذَلِكَ، وَلَا أَرَاكَ سَمِعْتَ أَحَدًا يَتَفَوَّهُ بِهِ كَمَا ادَّعَيْتَ، غَيْرَ أَنَّا لَا نَشُكُّ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دُونَ مَنْ سِوَاهُ).

وهذا الذي جاء به الشرع، أن القرآن كلام الله، منه بدا وإليه يعود، ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[التوبة: ٦]، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يتكلم، ومنه خرج، ومنه بدا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ماذا عن ذكر الجسم، والفم، واللسان، والأعضاء، والأجزاء؟

قال الإمام: (وَذِكْرُ الْجِسْمِ وَالْفَمِ وَاللِّسَانِ خُرَافَاتٌ وَفُضُولٌ مَرْفُوعَةٌ عَنَّا، لَمْ نُكَلَّفْهُ فِي دِينِنَا، وَلَا يَشُكُّ أَحَدٌ أَنَّ الْكَلَامَ يَخْرُجُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ.

قال: وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ جُزْءٌ مِنْهُ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ تِلْكَ الْفُضُولِ، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا يَصِفُهُ بِالْأَجْزَاءِ وَالْأَعْضَاءِ، جلّ عَن هَذَا الْوَصْف وَتَعَالَىٰ.

وَالْكَلَامُ صِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ، لا يشبه الصِّفَات، من الْوَجْه، وَالْيَدِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَلَا يُشْبِهُ الْكَلَام من الْخَالِق والمخلوق سائر الصفات).

فكل صفة من هذه الصفات لها معنىٰ، يُغاير معنىٰ غيرها.

قال: (وَقَدْ فَسَّرْنَا ذلك فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ تَفْسِيرًا فِيهِ شِفَاءٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنْ قَالُوا: الْقُرْآنُ هُوَ اللهُ، فَهُوَ كُفْرٌ؛ فَإِنَّا لَا نَقُولُ: هُوَ اللهُ كَمَا ادَّعَيْتَ، فَيَسْتَحِيلُ، وَلَا نَقُولُ: هُوَ غَيْرُ اللهِ، فَيَلْزَمُنَا أَنْ نَقُولَ: كُلُّ شَيْءٍ غَيْرَ اللهِ مَخْلُوقٌ، كَمَا لَزِمَكَ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، خَرَجَ مِنْهُ كَمَا شَاءَ أَنْ يَخْرُجَ، وَاللهُ بِكَلَامِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ بِكَمَالِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْقَارِئِ وَالْمَقْرُوءِ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ مَعْنًىٰ عَلَىٰ حِدَةٍ فَهَذَا أَمْرُ مَذَاهِبِ اللَّفْظِيَّةِ، لَا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ وَقعت عَلَيْهِ؟ وَكَيْفَ تَقَلَّدْتَهُ؟ فَمَرَّةً أَنْتَ جَهْمِيٌّ، وَمَرَّةً وَاقِفِيٌّ، وَمَرَّةً لَفْظِيٌّ).

وهذا هو حال أهل البدع، أنهم يتخبطون دائمًا، وما هذا إلا بسبب عدم التمسك بكتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهم الكتاب والسنة بفهم سلف هذه الأمة؛ لأنهم كما قيل: "هم القوم لا يشقىٰ من اهتدىٰ بهديهم واقتفىٰ آثارهم"، أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلني



وإياكم ممن اقتفىٰ هديهم وآثارهم إلىٰ أن نلقاه.

فهذا المعارض مرة يكون جهميًا، فيقولها صراحة: القرآن مخلوق، ليس كلام الله.

ومرة يكون واقفيًا، ما معنىٰ الواقفي؟ يعني لا يقوله مخلوق ولا غير مخلوق، وهذا كذلك مبتدع ضال، نعم، إنه يريد أن يُواري بدعته، وأن يُخفي بدعته.

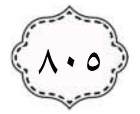
ومرة يكون لفظيًا، ما معنىٰ لفظي؟ يعني يقول لفظي بالقرآن مخلوق، واللفظية كذلك جهمية مبتدعة، لماذا؟ لأن كلمة اللفظ التي هي المصدر تحتمل الملفوظ، تحتمل اسم المفعول، فالمصدر قد يُطلق ويُراد به اسم المفعول، صحيح؟ ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ دُونِهِ﴾[لقمان: ١١]، يعني هذا مخلوق الله، السماوات والأرض.

فعندما تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، اللفظ مخلوق، هذا يحتمل اللفظ الذي هو فعل العبد، ويحتمل الملفوظ الذي هو القرآن، فهذا كذلك لا يجوز.

وكان من شدة فطنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وتأييد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: أنه لم يقبل شيئًا من هذه الألفاظ، ما قبِل إلا ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن إذا قيل له: هل هو كذا أو كذا يقول: لا أدري، ما أعلم عن ذلك شيئًا، ايتني بآية في كتاب الله أو حديث من أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقول به، يستطيع أحمد أن يُجادل بعقله، لكنه لا يريد أن يفتح هذا الباب، وأن يتوسع في هذا الباب.

ولذلك ما رُفعت هذه المحنة إلا بالاقتصار علىٰ ما كان عليه السلف الصالح، وما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل تكلموا في هذا؟ وسعهم السكوت؟ لا وسّع الله علىٰ من يسعه ما وسع هؤلاء، فرُفعت المحنة بسبب التمسك بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحاب النبي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

ولا ينجو المرء من الفتن في كل زمان إلا باقتفاء آثار هؤلاء، مهما عظمت الفتنة، يستطيع



المرء أن يقف فيها صلبًا، لا تناله الفتنة، ولا تضره، ما دامت السماوات والأرض، طالما أنه متمسك بالآثار.

وقد رأينا هذه الفتنة التي عصفت بعقول وقلوب كثير من الناس ممن يُشار إليهم بالبنان، وثبت الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من ليس له ذكر بين الناس، وما ذاك إلا لأن هذا أُعجب بعقله، وغره ثناء الناس عليه، فطاشت عقول هؤلاء، وهذ تمسك بما تعلمه، وربما قد تعلمه من هؤلاء قبل الفتنة، فثبَّته الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهذا كله بفضل الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَبَيَّنَّا لَكَ وُجُوهَ الْقَارِئِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْمَقْرُوءِ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ طَوَّلْتُ وَأَكْثَرْتُ، وَمَعَ ذَلِكَ اخْتَصَرْتُ وَتَخَطَّيْتُ خُرَافَاتٍ لَمْ يَسْتَقِمْ لِكَثِيرٍ مِنْهَا جَوَابٌ، غَيْرَ أَنَّا مَا فَسَّرْنَا مِنْهُ يَدُلُّ عَلَىٰ مَا لَمْ نُفَسِّرْ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِصَوَابِ مَا نَأْتِي وَمَا نذر).

يعني كأن الإمام جعل هذا الكتاب كالقاعدة، يعني نثر فيه قواعده رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي تستطيع أن تضع تحتها الكثير من الفروع، كأصول الفقه، والقواعد الفقهية، فهذه كذلك أصول في مذهب أهل السنة والجماعة وفي توحيد الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا تستطيع أن تضع تحتها كثيرًا من الفروع والشُبه التي يأتي بها هؤلاء لتردها.

قال: (وَاعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَرَ كِتَابًا أَجْمَعَ لِحُجَجِ الْجَهْمِيَّةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي نُسِبَ إِلَىٰ هَذَا الْمُعَارِضِ، وَلَا أَنْقَضَ لِعُرَىٰ الْإِسْلَامِ مِنْهُ، وَلَوْ وَسِعَنِي لَافْتَدَيْتُ مِنَ الْجَوَابِ فِيهِ بِمُحَالٍ، وَلَكِنْ خِفْتُ أَلَّا يَسَعَ أَحَدًا عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَانِ يَكُونُ بِبَلَدٍ يُنْشَرُ فِيهِ هَذَا الْكَلَامُ، ثُمَّ لَا يَنْقُضُهُ عَلَىٰ نَاشِرِهِ ذَبًّا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمُحَامَاةً عَنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ مِنْ ضُعَفَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصبيان، وَأَن يَضِلُّوا بِهِ، وَيَفْتَتِنُوا أَوْ يَشُكُّوا فِي اللهِ وَفِي صِفَاتِهِ).

فهذا هو الذي حمل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تأليف هذا الكتاب.

قال: (وَلَمْ نَأْلُكُمْ فِيهِ وَالْإِسْلَامَ نُصْحًا).

صدق في ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا أدل علىٰ ذلك من انتشار هذا الكتاب بين العلماء وطلبة العلم وانتفاع هؤلاء به.

قال: (وَلَمْ نَأْلُكُمْ فِيهِ وَالْإِسْلَامَ نُصْحًا إِنْ قَبِلْتُمْ، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ فَلْيَنْصَحْ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَإِخْوَانَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلْيَعْرِضْهُ عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَمَنْ غَبَرَ مِنْ عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ، حَتَّىٰ يَسْتَقِرَّ عِنْدَهُ نُصْحُنَا، وَخِيَانَةُ هَذَا الْمُعَارِضِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّهُ أَحْدَثَ أَشْنَعَ الْمُحْدَثَاتِ، وَجَاءَ بِأَنْكَرِ الْمُنْكَرَاتِ، وَلَا آمَنُ عَلَىٰ مَنْ أَحْدَثَ هَذَا بَيْنَ ظَهْرَيْهِمْ فَأَغْضُوا لَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُنْكِرُوهُ عَلَيْهِ بِجِدٍّ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ مَسْخٍ، أَوْ خَسْف، أَوْ خَذْفٍ؛ فَإِنَّ الْخَطْبَ فِيهِ أَعْظَمُ مِمَّا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْعَوَامُّ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عله وَسَلَّمَ- قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ، وَذَلِكَ فِي قَدَرِيَّةٍ وَزَنْدَقِيَّةٍ»).

قال: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيُّ، حدثَنَا ابْنُ الْمُبَارك، عَن حَيْوَة ابْن شُرَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ صَخْرٍ حميد بن زِيَاد، أَن نَافِعًا أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ، وَذَلِكَ فِي قَدَرِيَّةٍ وَزَنْدَقِيَّةٍ»).

وهذا حديث منكر، في سنده حميد بن زياد الخراط.

قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "روىٰ عنه حيوة أحاديث، وعندي صالح الحديث، وإنما أنكرت عليه هذين الحديثين"، وذكر منهما هذا الحديث.

قال: "وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيمًا".

وجاءت أحاديث كثيرة في ذم القدر والقدرية، وكلها لا يخلو من ضعف.

قال: (وَالتَّجَهُّمُ عِنْدَنَا بَابٌ كَبِيرٌ مِنَ الزَّنْدَقَةِ، يُسْتَتَابُ أَهْلُهُ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا، وَقَدْ رَوَيْنَا بَابَ قَتْلِهِمْ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، حَتَّىٰ لَقَدْ رَأَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ اسْتِتَابَةَ الْقَدَرِيَّةِ، فَكَيْفَ الْجَهْمِيَّةُ وَالزَّنَادِقَةُ؟!

قال: حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عَمِّهِ أبي سُهَيْل، قَالَ: "كُنْتُ أُسَايِرُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لِي: مَا تَرَىٰ فِي هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ؟ فَقُلْتُ: أَرَىٰ أَنْ تَسْتَتِيبَهُمْ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا عَرَضْتَهُمْ عَلَىٰ السَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ: ذَلِكَ رَأْيِي"، قَالَ الْقَعْنَبِيُّ: قَالَ مَالك: "ذَلِك رَأْيِي").

وهذا أثر صحيح.

قال: (وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ التَّنُوخِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا نِسْبَةُ رَبِّكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] كُلَّهَا").

وهو حديث مرسل.

قال: (حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حدثَنَا أَبُو هِلَالٍ الرَّاسِبِيُّ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ قَالَ لِلْحَسَنِ: "هَلْ تَصِفُ رَبَّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِغَيْرِ مِثَالٍ").

وهو كذلك ضعيف.

قال: (حَدثنَا سَلام بن سُلَيْمَان المدائيني، حدثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَيْسَ لِلَّهِ مثل").

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أثر صحيح ثابت عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: (وَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ لِلَّهِ مثل، وَلَا شبه، وَلَا كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا كَصِفَاتِهِ صِفَةٌ، فَقَوْلُنَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَنَّهُ شَيْءٌ أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ، وخالق الْأَشْيَاء، وَأحسن الْأَشْيَاء، نور السموات وَالْأَرْض، وَقَول الجهمية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعنون أنه لا شيء، لأنهم لا يُثبتون في الأصل شيئًا، فكيف المِثل؟! وَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ).

يعني أن أهل السنة لما قالوا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ينفون الكيف، ويُثبتون القدر

المشترك، الذي هو المعنىٰ، لكن عندما تقول المعطلة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ماذا يريدون؟ يريدون تعطيل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته، في مآل أمرهم لا يُثبتون شيئًا، لا ذاتًا ولا صفة، وإنما يُثبتون عدمًا.

وهذا باب يستحق الدراسة، المتشابه اللفظي بين أهل السنة وغيرهم من الفِرَق؛ لأن أهل السنة لهم إطلاقات، والمعطلة لهم إطلاقات، والإطلاقات متشابهة، لكن المعنىٰ مختلف، هنا أهل السنة يقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، يستدلون بالآية، والمعطلة يقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، لكن شتان ما بين المعنيين.

أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، والوعيدية -الخوارج والمعتزلة- يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، لكن المعنىٰ مختلف، أهل السنة يقولون عن مرتكبي الكبيرة أنه فاسق ملي، والمعتزلة يقولون في كتبهم: إنه فاسق ملي، نفس اللفظ، لكن شتان ما بين المعنيين، أهل السنة لا يُكفِّرونه، ويقولون: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، لكن المعتزلة يقولون: لا مؤمن ولا كافر، في منزلة بين المنزلتين، ومآله إلىٰ النار إن مات علىٰ ذلك، نعم.

أصول المعتزلة في لفظها كأصول أهل السنة والجماعة، التوحيد، والعدل، إلا المنزلة بين المنزلتين فقط، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإنفاذ الوعيد، صحيح؟ هذه الألفاظ، لكن المعنىٰ يختلف عندهم عن المعنىٰ عند أهل السنة والجماعة، والتأويل عند أهل السنة، باب واسع جدًا يستحق الدراسة، مسألة المتشابه اللفظي، حتىٰ أن بعض الدكاترة السعوديين اقترحوها عنوانًا لرسالة ماجيستير أو دكتوراه، المشترك اللفظي بين أهل السنة والفرق الأخرىٰ.

قال: **(فَقَوْلُنَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَنَّهُ شَيْءٌ أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ، وخالق الْأَشْيَاء، وَأحسن**

الْأَشْيَاء، نور السموات وَالْأَرْض، وقول الجهمية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعنون أنه لا شيء، لأنهم لا يُثبتون في الأصل شيئًا، فكيف المِثل؟! وَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ.

قال: وَالدِّلَالَةُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ هَذِهِ الْخُرَافَاتُ وَالْمُسْتَحَالَاتُ الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا فِي إِبْطَالِهَا، وَاتَّخَذُوا قَوْلَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ دَلَسَةً عَلَىٰ الْجُهَّالِ، لِيُرَوِّجُوا عَلَيْهِمْ بها الضلال، كلمة حق يُبتغىٰ بهَا بَاطِل، وَلَئِنْ كَانَ السُّفَهَاءُ فِي غَلَطٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، إِنَّ الْفُقَهَاءَ مِنْهُمْ لعلىٰ يَقِين).

قال: (وَالْحَمْد لله الْملك الْوَهَّاب، الْكَرِيم التواب، وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين، وصلواته وَسَلَامه علىٰ سيدنَا مُحَمَّد وَآله وَصَحبه وَسلم تسليمًا كثيرًا).

قال الناسخ: (فُرغ من نسخه يَوْم السبت سلخ جُمَادَىٰ الآخر، سنة خمس وَثَلَاثِينَ وَسَبْعمائة، بِالْمَدْرَسَةِ الضيائية، رحم الله واقفها بسفح قاسيون، ظَاهر دمشق المحروسة).

وهذا آخر كتاب النقض علىٰ بشر المريسي عليه أدوم لعنة، وأقبح خزي إلىٰ يوم التناد، وعلىٰ من اتبعه وصدقه في بدعته كلها أو بعضها، ووَرّىٰ عن اسمه فيها، والحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا بما جاء في هذا الكتاب، وأن يرزقنا العلم والعمل والثبات علىٰ ذلك حتىٰ نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



الفهرس

